

# تَارِيحُ ابْنِ غَنَامٍ

الجزء الأول

المسمى:

(روضة الأفكار والأفهام لمرقاة حال الإمام وتعداد شروعات ذوي الإسلام)

للمعلامة الشيخ

حسين بن أبي بكر بن غنام

(١١٥٢ - ١٢٢٥ هـ)

اعتنى به

سليمان بن صالح المزاشي

# تاریخ ابن غنام

## حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

### الناشر



دار الثلوثية للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية الرياض

تليفون : ٤٥٠٧٨٣٢

فاكس : ٤٦٤٥٩٩٩

email : [tholothia@gmail.com](mailto:tholothia@gmail.com)

# تاريخ ابن غنام

## الجزء الأول

المسمى :

( روضة الأفكار والأفهام مُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام )

للعلمة الشيخ

حسين بن أبي بكر بن غنام

( ١١٥٢ - ١٢٢٥ هـ )

- رحمه الله -

اعتنى به

سليمان بن صالح الخراشي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد؛ فإن تاريخ ابن غنام رحمته الله يُعد أهم مصدرٍ لتاريخ هذه البلاد «السعودية»، بعد دعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمته الله؛ حيث أَرخ لإرهاصاتِها، ثم قيامها، ثم توسعها السياسي، مع ما ضَمَّن كتابه من رسائل وآثار للشيخ مهمة، حفظت للأجيال تراثه، وجمعت لكتاب ابن غنام بين الجانب السياسي والعقدي، مما جعله عمدة لدى علماء هذه البلاد، وغيرهم، ينقلون منه عند حديثهم عن الشيخ ومبدأ دعوته<sup>(١)</sup>.

(١) انظر - على سبيل المثال - : «الدرر السنية» (١ / ٣٢٤)، و(١ / ٣٧٥)، و«منهاج التأسيس والتقديس»؛ للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن (ص ٢٧ - ٢٨)، ومقدمة الشيخ عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ لطبعة الدكتور ناصر الدين الأسد (ص ٥). وقال الشيخ ابن قاسم في ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «ومن أراد الاطلاع على حقيقة حاله، وامانحه الله في مبدأ أمره ومآله، من النور المبين، وتجديد الملة والدين، وماحياه من نيل مقصوده، وبلوغه الأمل من توحيد معبوده، وما مَنَّ به عليه من الظفر والتمكين، ولسان الصدق في العالمين؛ فعليه بكتاب «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب»، وهو تأريخ الإمام الشيخ حسين بن غنام الأحسائي الشافعي رحمه الله تعالى». «الدرر السنية» (١٦ / ٣٤٧). أما غيرهم؛ فقال صاحب «نفع العود في سيرة دولة الشريف حمود» (ص ٢٨٠ - ٢٨١): «وقد رأيت تاريخًا حافلًا للعلامة ابن غنام، من علماء الحنابلة، ترجم لسعود، ووالده، والشيخ محمد بن عبد الوهاب، وذكر أيامه، وما اشتملت عليه سيرته...».

ولقد تحدث الأستاذ عبدالرحمن آل الشيخ رحمته في ترجمته لابن غنام من كتابه «مشاهير علماء نجد»<sup>(١)</sup> عن طبعات الكتاب، فقال: «وتاريخه المشهور بتاريخ ابن غنام»، قد سماه: «روضة الأفكار والأفهام، لمرتاد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوي الإسلام»، وهو تاريخ مسجوع سجعاً مملاً، لا يكاد قارئه يخلص من سجعه إلى المعنى المطلوب إلا بعد لأي وجهد، وقد طُبع ثلاث طبعات<sup>(٢)</sup>: الأولى: سنة ١٣٣٢هـ<sup>(٣)</sup> بمدينة بومباي بالهند، على نفقة الملك عبدالعزيز آل سعود رحمته<sup>(٤)</sup>.

= وقد اعتمده معظم من كتب عن تاريخ الدولة السعودية الأولى؛ كمقبل الذكر، وعبدالله بن محمد البسام، وأمين الريحاني، وفلي، وحافظ وهبة، وسعود بن هذلول، وأمين سعيد، ومنير العجلاني، وحسين خزعل، وغيرهم؛ كأبي حاكمة في «تاريخ الكويت». انظر: «أهم المصادر النجدية لتاريخ الدولة السعودية»؛ للدكتور عبدالله الشبل (ص ١٥٥ - ١٥٦).

(١) (ص ١٨٥ - ١٨٨) بتصرف.

(٢) أما طبعة الدار الثقافية للنشر، بمصر، سنة ١٤٢٣هـ، فهي نسخة من طبعة الدكتور الأسد!

(٣) هكذا. ومثله في بحث «عناية الملك عبدالعزيز بنشر الكتب»؛ للأستاذ عبدالعزيز الرفاعي رحمته، منشور ضمن «بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز» (٢ / ٦٥٢) نقلاً عن الشيخ حمد الجاسر رحمته. والصواب أنه طُبع في ٢٠ ربيع الأول سنة ١٣٣٧هـ؛ كما جاء في خاتمة المجلد الأول منه (ص ٣١٢). ويؤكد ما جاء في: «مراجعات في مصادر التاريخ السعودي»؛ للدكتور عبدالله العثيمين (ص ١٧)، و«معجم المطبوعات العربية في شبه القارة الهندية...»؛ للأستاذ أحمد خان (ص ١٣٦). ولعل كتابة الرقم ٧ على الطريقة الهندية، بما يشابه الرقم ٢، هو الذي أوقعهم في الخطأ السابق. انظر: «طباعة الكتب ووقفها عند الملك عبدالعزيز»؛ للأستاذ عبدالرحمن الشقير (ص ٤٦).

(٤) تُعرف «الطبعة الهندية». وقد جاء على غلافها: «على نفقة من قصده طلب الثواب، من رب الأرباب، رجاء من الرحمن الرحيم، أن يجعله عملاً خالصاً لوجه الكريم، =

والثانية: بمطبعة البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٦٨هـ، على نفقة عبدالمحسن بن عثمان أبا بطين رحمته، صاحب المكتبة الأهلية سابقًا بمدينة الرياض.

والطبعة الثالثة: سنة ١٣٨١هـ بمطبعة المدني بمصر، بتحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد، وملتزم نفقات الطبع: الشيخ عبدالعزيز بن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمهم الله، وقد جُرد في هذه الطبعة الأخيرة من الأسجاع الممقوتة، لكن مع الأسف تصرف فيه - محققه - تصرفًا مغلًا، حيث حذف منه جميع ما حواه من القصائد، وهي سبع قصائد، اثنتان لمحمد بن إسماعيل اليمني، المشهور بالصنعاني:

الأولى: بائية ومطلعها:

أما آن عما أنت فيه متابٌ وهل لك من بعد البُعاد إيابٌ  
والثانية: الدالية المشهورة ومطلعها:

سلامي على نجدٍ من حلٍّ في نجدٍ وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي  
وخمس قصائد للمؤلف الشيخ حسين بن غنام: الأولى: هائية ومطلعها:  
نفوس الوري إلا القليل ركوئها إلى الغي لا يُلغي لدينٍ حينها  
تبلغ أبياتها ستة وثلاثين بيتًا، وتقع في (ص ٧١ - ٧٢، ج ٢، طبعة أبا بطين).  
الثانية: سينية، قالها في مناسبة جلاء دهام بن دؤاس عن الرياض، ومطلعها:  
كشف الحق ظُلْمَةَ الإغلاس ونَحَا الدينُ جُمْلَةَ الأرجاس

= بمعرفة الساعي في طبع الكتاب: عبدالمحسن بن محمد ابن مرشد، غفر الله له، ولن أوقف هذا الكتاب، ووالديهما، ووالدي والديهما، وأرحامهما، والمسلمين، آمين. قال الشيخ حمد الجاسر عن ابن مرشد رحمهما الله: «هذا الرجل من أسرة معروفة في الرياض، وكان يتردد على الهند». «بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز» (٢ / ٦٥٢).

والقصيدة الثالثة: عينية، قالها في رثاء شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، ومطلعها:

إلى الله في كشف الشدائد نفزُع وليس إلى غير المهيمن مفزُع  
وتبلغ أبياتها تسعة وثلاثين بيتًا، وتقع في (ج ٢، ص ١٥٥ - ١٥٦، الطبعة المذكورة).

والقصيدة الرابعة: الطائية، التي رد بها على قصيدة محمد بن عبد الله بن فيروز، ومطلعها:

على وجهها الموسوم بالشؤم قد خُطّا عروسُ هوى ممقونة زارت الشَّطّا  
تبلغ أبياتها ستة وسبعين بيتًا، وتقع في (ج ٢، ص ١٩٠ - ١٩٢ من الطبعة المذكورة).

والقصيدة الخامسة: الرائية، قالها في مناسبة قتل ثويني، وتهنئة للأمير سعود ووالده الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، باستيلاء ابنه الأمير سعود على الأحساء، ومطلعها:

تلاأ نورُ الحق وانصدع الفجر وديجور ليل الشرك مَرَّقه الظَّهر  
وتبلغ أبياتها مائة وثمانية عشر بيتًا، وتقع في (ج ٢، ص ٢٣٧ - ٢٤٢ من الطبعة المذكورة).

وكل هذه القصائد التي نوهنا عنها حُذفت من طبعة المدني بلا إشارة إلى حذفها، وحُذف أيضًا من طبعة المدني: رسالة الشيخ حمد بن ناصر بن معمر، المسماة: «الفواكه العذاب في الرد على من لم يُحكم السنة والكتاب»، وهذه الرسالة تقع في (ج ٢ طبعة أبي بطين، وتبتدئ من ص ٢٠٤ إلى ص ٢٣٢)، أي تبلغ ثمانٍ وعشرين صفحة.

كما حُذف الحديثان المسلسلان بالأولية، اللذان رواهما الشيخ محمد



عبد الوهاب إجازة، الأول: «الراحمون يرحمهم الرحمن»، الحديث الثاني: «إذا أراد الله بعبده خيرًا استعمله» الحديث.

وكل هذا الحذف لم يُشر إليه، فإذا جاء القارئ الذي لم يسبق له الاطلاع على الأصل، ظن أن هذا هو تاريخ ابن غنام بكامله، وبدون حذف ولا تغيير، سوى السجعات، حيث نُوه عنها في التمهيد والمقدمة. انتهى كلام الشيخ عبد الرحمن<sup>(١)</sup>.

قلت: وهذه الطبعة الثالثة - رغم المؤاخذات السابقة - هي المتداولة حاليًا بين الناس، أما الطبعتان «الأولى والثانية»؛ فهما في حكم النادر أو المفقود؛ لاسيما الأولى منهما. ولهذا السبب: عزمْتُ على إخراج هذا التاريخ المهم، معتمدًا على مخطوطة الكتاب المحفوظة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية<sup>(٢)</sup>، وعلى الطبعة الأولى الهندية<sup>(٣)</sup>، من خلال الاجتهاد في إخراج نصه كما أراده صاحبه، وصفه بطريقة فنية معاصرة، تُيسر قراءته، مع تخريج أحاديثه، وتوثيق نصوصه، واستكمال سقط الطبعة الهندية<sup>(٤)</sup>، والتعليق على

(١) (ص ١٨٥ - ١٨٨) بتصرف.

(٢) في جزئين، برقم (٢٠٧٤ و ٢٠٧٥)، وعدد أوراقها (١٦٥) ورقة، نُسخَت بخط معتاد، في ١١ جمادى الأول ١٢٧٢ هـ. وناسخها: سعد بن نبهان بن رشيد، أحد «النساخ طلبة العلم في القرن الثالث عشر»، كما يقول الدكتور عبدالله المنيف، في رسالته «صناعة المخطوطات النجدية» (ص ٣٣٥)، وقد ذكر أسماء بعض الكتب التي نسخها، ومنها: «روضة الأفكار» لابن غنام. وانظر للمزيد عنه: «علماء وقضاة حوطة بني تميم والحريق وقراها» للأخ الشيخ عبد الله بن زيد آل مسلم (١/ ٢٦٠ - ٢٦٧).

ولتاريخ ابن غنام نسخ أخرى، ستأتي الإشارة إليه آخر الكتاب - إن شاء الله -.

(٣) مع الاستفادة من «مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب»؛ للتوثق من بعض النصوص.

(٤) وقد تنبه لهذا السقط الطويل: الشيخ عبد المحسن أبابطين رحمته الله، في طبعته =

مارأيته يستحق التعويق، دون إثقال للهوامش، ممهداً لطريق لمن هم أجدر مني من المتخصصين، مقدماً بهذه المقدمات المناسبة؛ توطئة له:

١- ترجمة الشيخ حسين بن غنام رحمته الله.

٢- نقول مهمة عنه وعن تاريخه؛ لثلاثة من الأعلام المعاصرين المهتمين بالتاريخ السعودي، وهم: الشيخ حمد الجاسر رحمته الله، والدكتور عبدالله بن صالح العثيمين، والدكتور محمد بن سعد الشويعر - وفقهما الله -<sup>(١)</sup>.

٣- جانبان يستحقان الاهتمام في تاريخ ابن غنام؟

٤- مجموعة قواعد مهمة تتعلق بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية، وخصوصها، وفي ضمنها الإجابة عن شبهتين يثيرهما بعض المناوئين، ومن تأثر بهم، تتعلقان بماذكره ابن غنام عن حال البلاد النجدية قبل دعوة الشيخ، وبالحكم على مخالفتي الدعوة.

أسأل الله أن ينفع بهذا التاريخ، وأن يُضاعف لصاحبه الأجر؛ جزاءً محافظ لنا من تراث وسيرة إمام الدعوة السلفية في هذا العصر، ومن ناصره من أئمة آل سعود - رحمهم الله جميعاً -، وأن يوفق بلادنا للسير على نهجهم، ويجمع لهم بين الدين الصحيح، والحياة الطيبة، وأن يوزعنا شكر نعمه وآلائه، ولا يفوتني أن أشكر الشيخ الجليل محمد بن ناصر العبودي - حفظه الله -، الذي أفادني عن معاني بعض الألفاظ العدمية الدارجة. وأن أشكر الأخ الكريم: الشيخ

(ص ١٧٨ - ٢٢٨). إضافة إلى سقط كلمات متفرقة تبينت من مراجعة مصادر التي ينقل

سها ابن عدم رحمته الله

(١) وحشية المكر، لم أورد مذكره الدكتور عبدالله السبل عن تاريخ بن عدم في رسالته السابقة «أهم المصادر لتجديد تاريخ الدولة السعودية» (ص ٩٨ - ١٥٦).

عدالله بن بسم البسمي . على تفضله عليّ بقراءة الكتاب قبل طبعه ، وتزويدي  
بملاحظاته الثمينة . والله الموفق ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه  
وسلم تسليماً كثيراً .

كتبه / سليمان بن صالح الخراشي

Alkharashi@hotmail.com



## ترجمة الشيخ حسين بن غنام<sup>(١)</sup>

هو الشيخ حسين بن أبي بكر بن حسين بن عبد الوهاب آل غنام، من قبيلة بني تميم. كان نجدياً الأصل، ولكنه من سكان الأحساء.

وُلد في بلدة المبرز عام ١١٥٢هـ، وهي من ضواحي الهفوف، وتقع عنها بنحو ثلاثة أكيل، والآن اتصلت إحدهما بالأخرى.

نشأ في الأحساء، وأخذ في صباه مبادئ القراءة والكتابة، ولما شب شرع في القراءة على علماء الأحساء من آل مبارك وآل عبدالقادر وغيرهم، وكان الغالب في الأحساء شيوع مذهب الإمام مالك في الفقه، فدرس كتب المالكية في الفروع، فصار مالكي المذهب<sup>(٢)</sup>.

ودرس علوم اللغة العربية من النحو الصرف والبلاغة والمفردات اللغوية حتى أحاط بأغلبها؛ كما أن له هواية بدراسة الأدب العربي، نظمته ونشره، فقرأ أمهات كتب الأدب، وصار له الأسلوب العربي الجيد، والمملكة القوية، كما أجاد قول الشعر، فقال القصائد الجيدة.

ولما قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوته، واتسعت بعد رحيله إلى الدرعية انتقل المترجم إلى الدرعية، واتصل بالشيخ محمد بن عبد الوهاب، ودرس عليه، كما درس على أبنائه وكبار تلاميذه، فشرّب الدعوة وغرست بقلبه،

(١) نقلاً عن «عماء نجد من خلال ثمانية قرون»؛ للشيخ عبد الله البسام رحمه الله، (٢ / ٥٦ -

٥٨) يتصرف يسير وإضافات، ولابن غنام ترجمة في: «مشهير عماء نجد» (ص

١٨٥-٢٠١)، و«الأعلام» (٢ / ٢٥١)، و«روضة لناظرين» (١ / ٧٨ - ٧٩)، و«تحفة

لمستفيد» (٢ / ٢٤١)، و«من أعلام مدينة امبر»؛ بعد الله للذمان (ص ٥٥ - ٦٧).

(٢) طر: عليو الدكتور عبدالرحمن العثيمين عني «لحج الوائلة» (١ / ٣٧٢)

فصار من كبار المدافعين عنها، والدائدين عن حياصها.  
وقد جلس في الدرعية للتدريس، فأخذ عنه عدد من كبار العلماء، واستفادوا منه في العلوم العربية خاصة، فكان من تلاميذه:

- ١- الشيخ حمد بن ناصر بن معمر.
- ٢- ابنه الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن ناصر بن معمر.
- ٣- الشيخ المحدث سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب.
- ٤- الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب. وغيرهم من شباب الدعوة الإسلامية في ذلك الوقت رحمهم الله.

### مؤلفاته:

١- تاريخه. المسمى «روضة الأفكار والأفهام، لمرتاب حال الإمام. وتعداد غزوات ذوي الإسلام»، طبع عدة طبعات، وهو كتاب تاريخ للدعوة السلفية. جمع فيه رسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وذكر فيه غزوات أئمة آل سعود في دولتهم الأولى، كما جمع فيه رسائل الشيخ محمد إلى علماء عصره، وقد عني في أسلوبه باستعمال المحسنات البديعية من السجع والجناس والتورية وغيرها من محسنات اللفظ، إلا أن في ذلك تكلفاً ربما ضاع معه المعنى.

٢- العقد الثمين في شرح أصول الدين، قال في مقدمته<sup>(١)</sup> بعد الحديث عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمته، وانتصار آل سعود لها - : «فَعَنَ لعبدالعزيز - حفظه الله - أن تُجمع الأحاديث التي هي أصول الإسلام

(١) (ص ٢٧)، بتحقيق الشح محمد الهدار، عام ١٤٢٣هـ. وقد حُقق الكتاب عام ١٤٠٣هـ رسالةً جامعيةً، ثم طبع عام ١٤١٤هـ في قصر.



والإيمان، ويضم إليها ما يناسبها من آيات القرآن، وجاءت الإشارة إليّ بشرحها، والكلام على ما تحتاج إليه من البيان، مع الإيجاز الذي لا يُخل بالتبيان؛ لتسهيل الدين الذي لا يُقبل سواه من كل إنسان.. إلخ». وقد جاء الكتاب في سبعة فصول وخاتمة؛ كالتالي: «الفصل الأول: فيما جاء في الإسلام، وأنه دين الله الذي لا يقبل سواه، الفصل الثاني: في تفسير النبي ﷺ الإسلام والإيمان والإحسان، وتسمية كل منهما ديناً، الفصل الثالث: في إخلاص الأعمال لله، وذلك لا يكون إلا بالنية، وما جاء أن الأعمال بالنيات، الفصل الرابع: في دعائم الإسلام التي يتم له بها النظام، ويكفر جاحدها أو بعضها من الأنام، الفصل الخامس: في تعيين قول شرعه المظهر ﷺ، ولزوم العمل بهديه الأنور، وإلغاء مخالفة ضده، وإبطال العمل ورده، الفصل السادس: في أمره ﷺ عند الاختلاف بالتمسك بسنته وسنة خلفائه الراشدين، التي هي منهاج النجاة والهداية، وتحذيره من ارتكاب البدع، التي هي سبيل الضلالة والغواية»، الفصل السابع: في الأمر بالاعتصام بكتاب الله المبين، والتمسك بحبله المتين، وذم الافتراق في الدين، وإخبار الرسول الأمين ﷺ بافتراق أمته المجبيين، على ثلاث وسبعين، وأنها كذب في النار مع المكذبين، إلا من كن على سنته وسنة أصحابه المهتدين ﷺ ورضي عنهم أجمعين. وحشرنا في زمرة يوم الدين، الخاتمة: في الفرق الناجية من النيران، وهم أهل الإسلام والإيمان، الذين تمسكوا بسنة نبيهم واعتصموا بالقرآن؛ فنالوا بذلك رفيع الدرجات في الجنّ». وقال في الخاتمة: «وكان الفراغ من جمع هذه الدرر، وتسطير هذه الغرر، في رابع يوم من صفر، عم ١٢١٦هـ..»

قلت: وهو كتاب مفيد مختصر، نقل فيه كلام المفسرين والعلماء على الآيات والأحاديث المتعلقة بالفصول السابقة. ويحسن التنبيه هنا على خطأ وقع منه

غفر الله له - عند الحديث عن صفة الكلام لله ﷻ؛ حيث قال<sup>(١)</sup>: «وقوله: (كتبه)؛ أي أنها منزلة من عنده، وأنها كلامه لقائم بذاته، المُنزّه عن الحروف والصوت». وقد تعقبه الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله بقوله: «قوله: وأنها كلامه القائم بذاته، المنزه عن الحروف والصوت، هذا الكلام جرى على مذهب الكلائية، ومن تبعهم من الأشعرية، أن الكلام، هو: المعنى القائم بالذات، المنزه عن الحرف والصوت؛ فعلى هذا يكون عندهم ليس هو عين كلام الله؛ لأنه حروف وأصوات. وإنما هو عبارة عن كلام الله، كما قد صرحوا بذلك في كتبهم.

والحق في ذلك هو ما دل عليه الكتب، والسنة، والإجماع: أن الله تعالى لم يزل متكلمًا كيف شاء إذا شاء، بحرف وصوت، كما دل على ذلك القرآن، والأحاديث؛ فأما: القرآن، فواضح؛ وأما الأحاديث، ففي صحيح البخاري وغيره: «إن الله تعالى ينادي آدم يوم القيامة بصوت»، وهذا نص، وفيه نحو أربعة عشر حديثًا؛ وأما: الإجماع، فيكفي في ذلك أنه لا يُعرف عن صحابي، ولا تابعي، حرف واحد يُخالف ذلك، وقد أفرد العلماء هذه المسألة بالتصنيف<sup>(٢)</sup>، والله أعلم<sup>(٣)</sup>.

(١) لمرجع السابق، (ص ٤٧). وأضنه وقع في هذا خطأ بسبب درسته لعقيدة «الأشعرية» في بداية تلقيه العلم على يد بعض علماء الأحناف، ممن كانوا يعتقدون هذه العقيدة «البدعية»، وهدى يُس للمسلم أهمية تنقي الناشئة العلم في صغرهم على أيدي المؤنثين في عقديتهم؛ لئلا تبقى معهم علائق من عقائد أهل البدع.

(٢) سطر للتوسع: رسالة «العقيدة السلفية في كلام رب لمة»؛ لعبد الله الجسع.

(٣) الدرر السنه، (١ / ٣١٨) ونُسب هذا التعليق في هامس (ص ٤٧) من «العقد المتميز» لشيخ عبد الله أدبطن رحمه الله، فمعناه خطأ، أو أن الشيخ نقل عن تعليق لشيخ سليمان.

وعلق تلميذه الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله على هذا الموضع - أيضًا - بقوله<sup>(١)</sup>: «وقوله: وكتبه، أي: أنها منزلة من عنده، وأنها كلامه القديم<sup>(٢)</sup>: اعلم أن مذهب أهل السنة والجماعة أن لله تعالى يتكلم إذا شاء، وقوله «وأنها كلامه القديم»، هذا قول الكرامية، وأهل السنة لا يقولون هذا، بل يقولون: إنها وحيه أوحاه إلى جبريل، وسمع كلام الرب تعالى، وبلغه رسله، وكتب تعالى التوراة بيده... إلخ.

٣- لو جُمعت قصائده لجاءت ديونًا متوسطًا، فإن له القصائد الجياد<sup>(٣)</sup>، ومنها مرثيته بالشيخ محمد بن عبدالوهاب<sup>(٤)</sup>، التي مطلعها:  
إلى الله في كشف الشدائد نزع وليس إلى غير المهيمن مفرع  
وهي قصيدة جيدة مؤثرة بأسلوبها ومعانيها.

(١) الدرر السنية، (٣ / ٢٢٧).

(٢) هكذا. والذي في «العقد الثمين» - كما سبق - : «وأنها كلامه القائم بذاته». والمؤدى واحد؛ وهو أن الله لا يتكلم إذا شاء.

(٣) وقد ذكر له صاحب «نفحات من عسير» (ص ٦٦ - ٧٠) قصيدة أحاب بها عن قصيدة لمحمد بن أحمد الحفظي بعثه للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود. وجاء فيها:  
إمام الهدى عبدالعزيز وقبله أبوه فنالوا رفعة الشأن والقدر

وهذا مما يؤكد أن ابن غنام قد انتقل إلى الدرعية زمن الإمام عبدالعزيز.

وذكر صاحب «نفحات من عسير» قصيدة أخرى (ص ٨١ - ٨٤) دل في مطلعها: «عندما وصلت القصيدة - أي قصيدة الحفزي - إلى الإمام سعود الكبير، وكان أحد تلامذة الشيخ ابن غنام: المدعو عبدالله الغاشمي موجودًا هناك، فاستأذن الإمام في الإجابة عليها، فكتب هذه القصيدة...»، وجاء فيها عن ابن غنام:

حُسَيْنًا عليه الحُسْن بآن رواقه فلا زال في الأحسا جمالًا لأهليها

وهذا يؤكد أن لشيخ ابن غنام أثناء إقامته بالدرعية، كد يتردد على موطنه الأول «الأحساء».

(٤) ستأتي كلمة في تاريخه - إن شاء الله -.

والقصيدة الأخرى في مدح الشيخ عبدالله بن أحمد آل عبدالقادر<sup>(١)</sup>، ومنها:  
 ولو خُيرْتُ تُهد المكارم في فتي لكان لعبدالله يبدو اختيارها  
 همامٌ علا هام السماكين فخره ورئيته فوق الثريا قرارها  
 وفاته: قال ابن بشر في «عنوان المجد»<sup>(٢)</sup>: «وفي شهر ذي الحجة من هذه  
 السنة - ١٢٢٥هـ -، توفي الشيخ العلامة الحبر الفهامة، حسين بن غنام  
 الأحسائي، كانت له اليد الطولى في العلم وفنونه، وله معرفة في الشعر والنثر،  
 وصنف مصنفات...». رحمه الله تعالى.

قال الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ رحمته<sup>(٣)</sup>: «ولم يذكر الرواة له  
 عقباً، وله أبناء عم لا يزال لهم ذكرٌ بقية بالأحساء».

ثناء العلماء عليه: قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمته عنه: «العلامة أبو بكر  
 ابن غنام، فريد وقته بعلم المعقول والمنقول، والشعر والإنشاد، في صدر القرن  
 الثالث عشر»<sup>(٤)</sup>، وقال ابن بشر: «كانت له اليد الطولى في معرفة العلم وفنونه،  
 وله معرفة في الشعر والنثر»<sup>(٥)</sup>، وقال ابن عبدالقادر: «له اليد الطولى في علوم  
 العربية»<sup>(٦)</sup>.



(١) تحفة المستفيد (٢/ ٥٧٥ - ٥٧٦).

(٢) (١/ ١٥١).

(٣) «مشهير علماء نجد»، (ص ٢٠١).

(٤) الدرر السية (١١/ ٤٨٧).

(٥) عنوان المجد (١/ ١٥١).

(٦) تحفة المستفيد (٢، ٦٣١).

## مؤرخو نجد

للشيخ: حمد الجاسر <sup>رحمته</sup> (١)

## تمهيد:

يقولون: إن أسعد الشعوب هو الشعب الذي لا تاريخ له، ويقصدون الشعب الذي لم تحدث فيه حوادث تستحق عناية المؤرخين، ولكن هذا القول لا ينطبق على سكان نجد، ونقصد بكلمة - نجد - مدلولها الاصطلاحي في عهدنا الحاضر، الذي يشمل أكبر جزء في جزيرة العرب، فلقد كان هذا الجزء مسرحاً لكثير من الحوادث منذ أقدم عصور تاريخ العرب. ولكن عناية المؤرخين به كانت ضعيفة، ويرجع هذا إلى أسباب كثيرة منها:

١ - أن تاريخ الأمة العربية - على وجه الإجمال - لم يدوّن إلا بعد ظهور الإسلام في القرن الثاني الهجري. وهذه البلاد تُكون الجزء الواسع من مهد العرب، الذي فيه نشأوا، ومنه انساحوا إلى أنحاء البلاد الأخرى شرقاً وشمالاً، قبل ظهور الإسلام بدهر طويل.

٢ - ومنها أن جل المؤرخين عنوا بتسجيل ما له صلة بالحكومات من الحوادث، تزلّفاً إليها، وتقرباً منها، وأهمّلوا ما عد، ذلك، ومراكز الحكومات العربية - في عهود تدوين تاريخ العرب الحديث، في العراق، وفي الشام، وفي مصر، ولولا ما للحجاز من منزلة دينية في نفوس المؤرخين، لما امتاز من حيث تدوين تاريخه عن صنوه هذا الجزء الذي نتحدث عنه.

(١) نقلاً عن مجده لعرب، (٥ / ٧٩٢ - ٧٩٤) - باختصار - . ويُضّر أيضاً: محلة العرب (٢ / ١٠١٣).



٣ - وقد لا نعدو الحقيقة إذا قلنا بأنه لولا الأزرقى، وأبو غسان شيخ ابن شبة، وابن زباله، والطبري، والفسي، والسمهودي، وأمثال هؤلاء من المكيين والمديين؛ لصاع تاريخ الحجر، لأن عدم بوع علماء في أي قطر من الأقطار البعيدة عن مراكز الحكومات، ممن يعنون بتدوين تاريخ قطرهم، في العهود الماضية، من الأسباب التي تجعل تاريخ ذلك القطر مجهولاً، كحالة نجد<sup>(١)</sup>، فنحن إذا استثنينا علماء ثلاثة أو اثنين من علماء الحديث؛ ك يحيى بن أبي كثير وعكرمة بن عمر (في القرن الأول الهجري) واستثنينا محمد بن إدريس بن أبي حفصة، ثم استعرضنا ما بين أيدينا من كتب التاريخ منذ بدء تدوينها إلى القرن الحادي عشر الهجري، لما وجدنا أية إثارة من علم تحمينا على الاعتقاد بقيام علماء في هذه البلاد فضلاً عن وجود مؤلفات تاريخية تعنى بتسجيل حوادثها.

ولقد قامت في نجد، في ذلك العهد، دويلات من أقواها:

١ - دولة الأخيضريين الطالبية التي حكمت تلك البلاد من منتصف القرن الثالث الهجري إلى أول القرن الرابع (٢٥٣ - ٣١٧هـ).

٢ - دولة القرامطة التي امتد حكمها من الأحساء إلى نجد في سنة ٣١٧ فأزالت الأخيضريين واستمر حكمها إلى منتصف القرن الخامس (٢٨٧ - ٤٧٠هـ) غير أن هاتين الدولتين باعتبارهما خارجتين على دولة الخلافة - الدولة العباسية - ولما أثر عن القرامطة من استهانة بحرمات الأماكن المقدسة، فإن أواخر هاتين الدولتين لم تصل إلينا كاملة، مع أن المتقدمين أشدوا إلى تصدي بعض المؤرخين لتدوين أخبارهما.

(١) كتب الشيخ حمد هذا قبل خروج بعض المصادر التي ثبت وجود علماء في نجد منذ القرن الثامن الهجري. ينظر للعائدة: بحث «الهيئة الحدية الثانية» للدكتور خالد الوزان والأسند عبد الله البسيبي، في مجلة الدرعية (س٩ ع٣٦ ص٥٧).

### رحالة في القرن الخامس يصف نجدًا :

ولعل من المفيد في هذا المقام أن نستمع إلى رحالة اخترق نجدًا في منتصف القرن الخامس الهجري وهو يصف ما عليه تلك البلاد من الجهل .

يقول ناصر خسرو علوي بأنه توجه من الطائف إلى نجد في ٢٣ ذي الحجة عام ٤٤٢ فمر بمكان يبعد عن الطائف ٢٥ فرسخًا، فلبث خمسة عشر يومًا بين قوم لا حكم لهم، يعيشون على السرقة والقتل، ويمسكون كل من يدخل أرضهم بغير خفير ويجردونه مما معه، غير أنه سلم بسبب الخفير الذي معه منهم. ثم بلغ بلدة الأفلاج بعد شهر من خروجه من الطائف، فوجدها منقسمة إلى حزبين بينهما خصومة وعداوة، ووجد أهلها جياعًا عراة جهلاء، وفقراء جدًا، ومع فقرهم وبؤسهم فإنهم كل يوم في حرب وعداء وسفك دماء، وقد سلبوه ما معه من زاد ولباس، وتركوا أثمن شيء يملكه، وهو الكتب. وهذا أبلغ دليل على سيطرة الجهل على أهل تلك الجهات. وقد أيس من الحياة لما بلغ هذه البلدة؛ لأنه لا يتصور الخروج منها واجتياز مئتي فرسخ إلى البصرة كلها مهالك ومخاوف، ولكنه استطاع بعد لأي أن يخرج وأن يصل إلى اليمامة بعد مسيرة أربعة أيام، كلها مشقة وعناء.

### مصادر تاريخ نجد القديمة:

وبلاد بهذه الحالة من الجهل والفوضى. لا مناص للباحث في تاريخها - في هذه الحقبة الطويلة من الزمن - منذ بدء تدوين التاريخ العربي بعد الإسلام إلى نهاية القرن العاشر الهجري - من الرجوع إلى المصادر العامة للتاريخ العربي، بعد أن يُعيبه البحث عن مؤلفات خاصة بهذه البلاد وسيجد في هذه المصادر مادة غزيرة عمد كانت عليه (نجد) في العهود التي سبقت الإسلام، عن أيام العرب، وجبها وقع في نجد بين قبائل من سكانه، وعن أحوار الشعراء الجاهليين

ومواطنهم، وأعليهم من هذه البلاد، وسيجد المؤرخ في دواوين أولئك الشعراء الذين وصلت إلينا دواوينهم أشباء كثيرة مما يهم الباحث معرفتها، وسيجد المؤرخ أيضًا نتفًا من أخبار نجد، مما له صلة بتعيين الولاة، أو بصيانة طريق الحج، أو بخروج بعض القبائل على الولاة، أو بوفود بعض شعراء هذه البلاد على الخلفاء وما هو من هذا القبيل، غير أن كل ذلك يحتاج إلى الغريزة والتنسيق والترتيب بعد الدراسة العميقة. وكل ذلك أيضًا يمكن إرجاعه إلى ما قبل القرن الرابع الهجري، وما بعد هذا القرن - وإلى القرن العاشر - لا نجد لهذا الإقليم الطويل العريض - فيما بين أيدينا من المؤلفات - إلا ما جاء عرضًا في الرحلات المعروفة - كرحلة ناصر خسرو ورحلة ابن المجاور ورحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة، وكلها معروفة، وما جاء في هذه الرحلات لا يروى غلة الباحث المؤرخ.

وهذا القول لا ينفي وجود بعض الإشارات التاريخية الموجزة، التي تتعلق ببدء عمارة البلدان، مستقاة من الوثائق الشرعية وصكوك ملكية العقارات، بقيت تتناقلها الأيدي حتى وصلت إلى أول القرن الحادي عشر، حيث بدأ تدوين التاريخ الذي وصل إلينا عن هذه البلاد؛ لأننا نقرأ أخبار بدء تعمير بلدان عُمرت في القرون الثلاثة الأخيرة من هذه الحقبة من الزمن، فنجد فيما وصل إلينا أن بلدة (التويم) عُمرت في سنة ٧٠٠، و(حرمة) في سنة ٧٧٠، و«لمجمعة» في سنة ٨٢٠، و(العينة) في سنة ٨٥٠، ونجد من أخبار القرن العاشر - فيما وصل إلينا - لمحات قصيرة عن حياة بعض مشاهير علماء ذلك القرن من أهل هذه البلاد، لما لتاريخ هؤلاء من ارتباط بوثائق العقارات.

### في القرن الحادي عشر:

ليس لدينا الآن - ما يمنع من القول بأن بدء تدوين التاريخ في هذه البلاد لم

يكن معروفاً قبل أول هذا القرن. وإن كنت أرحو أن يأتي اليوم الذي يغبر هذا الرأي. بلعثور على شيء من المؤلفات التاريخية، غير أن التاريخ تدوين حقائق واقعة لا دخل للأمال فيه.

### حسين بن غنام

كانت الأحساء منذ القرن العاشر مركزاً من مراكز العلم في الجزيرة، يفد إليها الطلاب من نجد ومن سواحل الخليج العربي ليأخذوا عن علمائها. وفي عهد الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد (١٢١٨ - ١٢٢٩) بلغت الدولة السعودية - في دورها الأول - أوجها من القوة، وأصبحت عاصمة المملكة (الدرعية) مقصد طلاب العلم، ورواد الفضل. من مختلف البلاد، فرأى الإمام سعود رحمه الله أن هذه المدينة وإن كانت مركز الإشعاع لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وفيها أبنؤه العلماء، إلا أنها بحاجة إلى علماء يقومون بتدريس علوم اللغة العربية، فدعا عالم المبرز وأديبها الشيخ حسين بن أبي بكر بن غندم المالكي المذهب ليتولى ذلك<sup>(١)</sup>، فمكث في هذه المدينة بضع سنوات، لا يقتصر على التدريس، بل أخذ يدون تاريخ هذه الدعوة الإصلاحية، مبتدئاً بوصف حالة البلاد الإسلامية، إبان قيام الشيخ محمد بدعوته الإصلاحية. ثم بترجمة الشيخ، وذكر طائفة من رسائله ومؤلفاته، وخصص لذلك كتاباً سماه: «روضة الأفكار

(١) الصواب أنه قدم الدرعية زمن الإمام عبدالعزيز بن محمد؛ بدليل مجاء في كتابه «العقد الثمين» - كما سبق -، ومجاء في قصيدته للحمضي، وقوله في مقدمة تفسير الشيخ محمد لسورة الفاتحة (١ / ٢٢٢، ط: أبانطين): «وكان سبب تأليفه لسورة الفاتحة أن الأمير عبدالعزيز، حفظه الله تعالى، كتب له، وهو إذ ذاك في بند العيبة، يسأله أن يكتب له تفسير الفاتحة». إلخ. فقله: «حفظه الله» يدل على أنه ابتدأ كتابة تاريخه أثناء مقدمه الدرعية، في حياة الإمام عبدالعزيز

والأفهم لمرنَاد حل الإمام»، ثم أُنْعِه بكتاب آخر . جعله سجلاً للغزوات التي قام بها آل سعود في سبيل مناصرة هذه الدعوة ونشرها، وسمّاه: «كتاب الغزوات البَيَّابِيَّة»، والفتوحات الربَّابِيَّة» ابتدأه من سنة انتقال الشيخ محمد ابن عبد الوهاب من العيينة إلى الدرعية في سنة ١١٥٨، وانتهى في النسخة التي وصلت إلينا من هذا التاريخ إلى سنة ١٢١٣، أي قبل انتقال الحكم إلى الإمام سعود بخمس سنوات، وقد عاش ابن غنام إلى سنة ١٢٢٥ في ذي الحجة، ومن المستبعد أن يترك الشيخ ابن غنام اثنتي عشرة سنة (من ١٢١٣ - ١٢٢٥) دون أن يسجل حوادثها، والنسخة التي وصلت إلينا - سواء الأصول الخطية، وكلها من مخطوطات القرن الثالث عشر، أو المطبوعة - مبتورة بترًا واضحًا، آخره:

لقد عَدَمْتَنِي الْكُفْتُ يَوْمَ مَجَالِهَا وَلَا وَسَّطْتَ بِي الْجَمْعَ يَوْمَ التَّنَاضُلِ  
وَلَا أُرَوِّتُ الْأَسْلُ الْظَّمَاءَ

(آخر ما وجد من التاريخ) . .

وقد جرى ابن غنام في كتابة تاريخه هذا على طريقة حاول بها أن يظهر براعته اللغوية، فكتبه مسجوعًا مملًا، وقصره على أنباء الحركة التي خصصه لتاريخها. فكان أوفى سجل لها في خلال نصف قرن (من سنة ١١٥٨ إلى سنة ١٢١٣) وهو أوثق مصدر عن حوادثها.

وفضلاً عما يتصف به ابن غنام من تمكنه من اللغة العربية هذا التمكن الذي حاول إبرازه بتاريخه الذي ضمنه كثيراً من شعره، فإن له مؤلفات أخرى؛ منها «العقد الثمين في أصول الدين». وكان من بلاميده كبار عُدَمَاء الدرعية في عهده؛ كالشيخ حمد بن ناصر بن معمر، والشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد، وغيرهما. وقد عُثِرَ على نكاملة لتاريخ الشيخ حسين بن غنام، وصلت إلى الخزانة السعودية في الرياض وقت نشر تاريخ ابن بشر لأول مرة، أي سنة ١٣٤٩،



ويظهر أن احتواء تاريخ ابن بشر على جل ما في التكملة، وأن أسلوبها مما لا يتلاءم مع أذواق كثير من القراء في هذا العهد للسجع الممل. وأن تاريخ ابن غنام سبق نشره، ولبس هناك كبير فائدة في هذه التكملة لكي يعاد طبع التاريخ كاملاً، هذه الأسباب حالت دون نشر تلك التكملة، وقد وصلت إلى مكتبة الأستاذ رشدي ملحس، وهو الذي حدثني عنها.



## ابن غنام مؤرخاً

للدكتور: عبدالله بن صالح العثيمين<sup>(١)</sup>

أما الكتابة التاريخية لدى النجديين فلم تحدث إلا في القرن الحادي عشر الهجري، وكان أول مؤرخ نجدي: الشيخ أحمد بن محمد البسام «الوهبي التميمي» المتوفى سنة ١٠٤٠هـ، ومن الجدير بالذكر أن أكثر من نصف علماء نجد من القرن العاشر إلى منتصف القرن الثاني عشر قد وُلدوا في أشيقر وتعلموا فيها، وأن بعضاً من غير المولودين فيها قد وفدوا إليها لتلقي العلم على مشيخها، وأن أكثر من نصف العلماء النجديين في الفترة المذكورة ينتمون إلى آل وهبة، وهو فرع آل مشرف أسرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهذا يدل على أن بلدة أشيقر كانت حينذاك مركزاً علمياً في منطقة نجد، وأن آل وهبة، بصفة عامة، وآل مشرف بصفة خاصة، قد احتلوا مركز الصدارة العلمية في هذه المنطقة.

إن ما كتبه أحد بن بسام كان تقييدات مختصرة جداً لحوادث وقعت في نجد بين عامي ١٠١٥ و ١٠٣٩هـ. وبعض هذه التقييدات تبدو وكأن المراد بها ذكر تاريخ الحادثة فقط لمن يعرف الحادثة ذاتها ولا ينقصه إلا معرفة زمن حدوثها، مثل أن يقول: في سنة كذا ذبحة آل فلان، دون ذكر من قتلهم، أو سب القتل أو مكانه. وكان الشيخ أحمد المنقور المتوفى سنة ١١٢٥هـ ممن أفاد من تقييدات البسام، وأضاف إليها تقييدات أخرى لحوادث لاحقة.

(١) نُشر على أربع حلقات في حريدة «الجريدة»، بتاريخ (٥ / ٥ / ١٤٢٣هـ، و ١٢ / ٥ / ١٤٢٣هـ، و ١٩ / ٥ / ١٤٢٣هـ، و ٢٦ / ٥ / ١٤٢٣هـ). ثم نُشره في كتابه «مراحمات في مصادر التاريخ لسعودي» (ص ٣١ - ٥٨). وأعله بتصريف سر.

ولقد فصل أكثر الحوادث التي أشدّت إليها التقييدات المذكورة مؤرخان نجديان فيما بعد، وهما عثمان بن بشر ومحمد الفاخري، اللذان عاشا في القرن الثالث عشر الهجري. بل إن المؤرخ النسابة إبراهيم بن عيسى المتوفى سنة ١٣٤٣هـ ألف نبذة صدرت بعنوان: «تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد». مبتدئاً بسنة ٧٠٠هـ، ومنتهاً بسنة ١٣٤٠هـ، غير أن الحوادث التي أشار إليها غير متوالية. وعاصر ابن عيسى مؤرخ آخر؛ هو عبدالله بن محمد البسم، المتوفى سنة ١٣٤٦هـ، مؤلف «نحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق»، وقد بدأ تاريخه بتمهيد أشار فيه إلى وقائع مهمة على امتداد التاريخ، ثم بدأ المراد من تأليفه بذكر ما حدث عام ٨٥٠هـ، وهو العام الذي بدأ فيه ابن بشر والفاخري تاريخيهما، واستمر في ذكر الأحداث إلى سنة وفاته، وفي تاريخه ذكر لحوادث نزاع بين القبائل في نجد وما يليها شرقاً وشمالاً، لم تذكرها المصادر المتوافرة، ولم يعزها إلى أي مصدر.

على أن النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري شهد - كما هو معروف - ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي غيرت وضع منطقة نجد، دينياً وسياسياً. فلقد تبنى آل سعود أمراء الدرعية تلك الدعوة، التي أصبح التوحيد ببعديه الديني والسياسي قضيتها الجوهرية، وقد انبرى من لديهم القدرة على الكتابة التاريخية لتسجيل تاريخ تلك الدعوة وتفاصيل حياة صاحبها، وتدوين ما قام به أنصارها من جهود نشرها، وتوحيد سكان المنطقة تحت راية ما نادى به.

وكن ممن كتب عن أولئك الأنصار - كما ذكر ابن بشر - محمد بن علي ابن سلوم، الذي وُلد في العطار بسدير سنة ١١٦١هـ، ولأنه كان من المعارضين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ارتحل من نجد إلى الأحساء، حيث درس

على الشيخ عبدالله بن فيروز<sup>(١)</sup>، الذي كان هو الآخر معارضاً للدعوة السلفية، ولما أوشكت الأحساء أن تقع في أيدي آل سعود مع بداية لقرن الثالث عشر الهجري، رحل الاثنان منها إلى البصرة، ثم توفي ابن سلوم في سوق الشيوخ عام ١٢٤٦هـ، على أن ما كتبه ابن سلوم ما زال مفقوداً، ومعرفة الباحثين بمضمونه معتمدة على ما ذكره عنه ابن بشر، إذ قال<sup>(٢)</sup>: «إلا أنني وجدت لمحمد بن علي بن سلوم الفرضي الحنبلي إشارات لطيفة في تتبع السنين، ورسم وقائع كل سنة بما لا يفيد، ولا حقق تحقيقاً للوقائع ومواضعها يتفجع به المستفيد، بلغ في ترسيماته إلى قرب موت عبدالعزيز بن محمد بن سعود».

وتقليل ابن بشر <sup>بالحق</sup> لأهمية ما قام به ابن سلوم ليس أشد إيلاًماً من تقليله لأهمية ما قام به العالم المؤرخ حسين بن غنام، فمع أنه - أي ابن بشر - قد نقل عن ابن غنام نقلاً واضحاً حرفياً حيناً، ومضموناً حيناً آخر، فإنه لم يذكر لمن نقل عنه تاريخاً، بل إنه بعد أن ذكر ما ذكر عن ابن سلوم قال: «ثم وجدت ترسيمات لغيره، أحسن من رسمه، متصلة به»، ولم يذكر اسم صاحب هذه الترسيمات، وإن كان يتضح من المقارنة أنه قصد ابن غنام.

ولد حسين بن أبي بكر بن غنام المنتمي إلى قبيلة تميم في بلدة المبرز بمنطقة الأحساء، التي كانت مركزاً من مراكز لعلم في الجزيرة العربية، وقد برز من أسرته التي كانت - على الأرجح - مالكية المذهب، عدد من العلماء، فنشأ الفتى في ذلك المنح العنمي، الذي واكب إمكانه الذاتية؛ فأصبح عالم شريعة وأستاذ لغة ونظم شعر، ولعل خبر شهد على مستواه الشعري: تلك القصيدة التي مدح بها الشيخ عبدالله بن أحمد الـ عبدالقادر، والتي استهلها مثل عادة

(١) لصواب، محمد بن فيروز انظر. «السحب لولاه» (٣ / ١٠٠٨)

(٢) (١ / ١٦)

كثير من شعراء عصره بنسب ورد فيه :

هل الفجرُ إلا ما بدا من جبينها أو الورْدُ إلا ما جلاه احمرارها  
أو الليلُ إلا من معس شعرها أو الخمرُ إلا ظلها لا عُقارها  
أو السهمُ إلا ما تريش جفونها أو البيضُ إلا لحظها لا غرارها  
مهاة تريك الشمس طلعة وجهها إذا أسفرت يجلو الظلام نهارها  
وقصيدته التي هنا به الكريم أحمد بن رزق على زواجه عام ١١٨٩هـ. وقد  
استهلها بقوله :

أدر كؤوسًا من سُلّاف المدام ولا تُكدرها بفرط الملام  
فقد أتى القصد وحق المني والدمر قد زان وحان المرام  
والوقت صافٍ والصبا برده ضاف وقد عاج وماج الغرام  
وطابت النفس ورق الهوى وقر بالعين لذيد المنام

كنت تلك مؤهلات الشيخ حسين بن غنام في مطلع القرن الثالث عشر  
الهجري، وكانت الدولة السعودية الأولى حينذاك قد أكملت توحيد منطقة نجد،  
وبدأت محاولاتها لانتزاع منطقة الأحساء من قادة بني خالد، الذين سبق أن  
ناصروها العداء، وقدموا بغزوات متعددة ضدها، وكان نجاحها قد جعل من  
قاعدتها الدرعية محط أنظار طلاب العلم في المنطقة؛ وبخاصة أن الشيخ محمد  
بن عبد الوهاب كان ما يزال عى قيد الحياة، وأن أعدادًا ممن تخرجوا على يديه  
وهي طلبعتهم أبائهم قد أصبح لهم تلاميذ كثيرون. ومع أن الكتابات التي  
دونها الشيخ وتلاميذه توّصَحُ أنهم كانوا على مستوى جيد بمعرفة قواعد اللغة  
العربية، فإن التروود من هذه المواعيد كان أمرًا مطوّبًا. ولذلك لم يكن غريبًا أن  
يُدعى غنام إلى الدرعية ليقم فيها، ويتفّع الطلاب بما لديه من معرفة لغوية، ولم  
يكن غريبًا أيضًا أن يكون ذلك اللغوي ممن تطلّعوا إلى العمل في الدرعية بعد أن

احتلت ما احتلت من مكانة رفيعة، وشهدت ما شهدت من تطور كبير؛ وبخاصة أن كتابه في غير مجل التاريخ؛ مثل «العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين» توضح أنه مقتنع بالطرح السلفي الذي طرحه الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأنصاره، ولقد بقي ابن غنام في العاصمة السعودية، الدرعية، حتى وفاته سنة ١٢٢٥هـ، على أنه ليس من المؤكد متى قدم إليها؛ أكان ذلك في أثناء حياة الشيخ محمد المتوفى سنة ١٢٠٦هـ؟ أم بعد أن دخلت منطقة الأحساء تحت الحكم السعودي عام ١٢٠٨هـ؟ فالقرائن التي توحى بأن قدومه كان في أثناء حياة الشيخ تكاد تتسوى، من حيث القوة، مع القرائن التي توحى بأن ذلك القدوم كان بعد وفاته.

لقد أشار ابن غنام في مقدمة تاريخه إلى أنه أراد أن يكتب عن الغزوات التي قام بها أنصار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومع أنه استصعب ذلك؛ وبخاصة أنه كان معترباً عن وطنه - كما قال - «إلا أن داعي النفس لذلك كان كثير، والإمام - أيده الله تعالى - يعزم عليّ في ذلك ويشير»، فشرع في كتابته. وعبارة «أيده الله تعالى»: تقال عادة دعاء للحاكم السياسي، وقد عاصر ابن غنام في الدرعية حاكمين من آل سعود؛ هما: عبدالعزيز بن محمد، وسعود بن عبدالعزيز، على أنه تناول تاريخ مؤسس الدولة السعودية الأولى محمد بن سعود، والموجود من تاريخه لم يصل إلى حكم سعود بن عبدالعزيز.

والمأمل في تاريخ ابن غنام يجد أنه كان إذا تحدث عن محمد بن سعود، المتوفى سنة ١١٧٩هـ سماه الأمير، وذلك من بداية حديثه عنه سنة ١١٥٧هـ، إلى سنة ١١٧٨هـ، غير أنه ورد في قصيدة له عن فشل حملة زعيم بني خلد، عريعر ابن دجين، في السنة الأخيرة قوله:

بحكم إمام المسلمين وعدله تُحاط نواحيها ويُحمى عرينها

وهذه هي الإشارة الوحيدة إلى محمد بن سعود بأنه إمام المسلمين . أما حديث ابن غنام عن عبدالعزيز بن محمد فمختلف، كان يسميه - في أغلب الأحيان - «عبدالعزیز» فقط، بدون لقب، لكنه في حالات قليلة ذكر ما يشير سؤالاً حول اللقب الذي أراده له؛ فعند ذكره لوفاة محمد بن سعود، سنة ١١٧٩هـ قال<sup>(١)</sup>: «وفيها بايع عبدالعزيز أهل الإسلام، وأعطوه على الإمامة عقد الأحكام»، وفي كلامه عن حوادث سنة ١١٩٠هـ قال<sup>(٢)</sup>: «لم غدر زيد بن زامن، أمير الدلم بالعهد . . . وبلغ ذلك على العزم واليقين، عبدالعزيز إمام المسلمين، أمر بغزوه»، وفي كلامه عن الحوادث التي جرت في جنوبي نجد سنة ١٢٠٢هـ قال<sup>(٣)</sup>: «ثم بعد ذلك بأيام قدموا على عبدالعزيز الإمام، فأكرمهم . . . غاية الإكرام»، لكنه قال<sup>(٤)</sup> في سنة ١٢٠٢هـ، أي في السنة السابقة نفسها: «أمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب المسلمين أن يبايعوا سعوداً على الإمارة بعد أبيه»، وفي كلامه عن أحداث عام ١٢٠٥هـ قال<sup>(٥)</sup>: «وفي أثناء تلك الليالي والأيام، أمر عبدالعزيز الإمام، أهل الإيمان والإسلام»، وفي كلامه عن أحداث سنة ١٢١٠هـ قال<sup>(٦)</sup>: «وفيها؛ وبراك (بن عبدالمحسن) وأهل الحسا من تحت إمام المسلمين، لمعت للفتنة بوارق»، ثم قال<sup>(٧)</sup>: «فما تحقق عبدالعزيز الإمام، عن ثويني بصحيح الكلام . . .»، ثم قال<sup>(٨)</sup>: «إن براك (بن عبدالمحسن)

(١) (٢ / ٧٤).

(٢) (٢ / ٩٥).

(٣) (٢ / ١٣٣).

(٤) (٢ / ١٣).

(٥) (٢ / ١٤٨).

(٦) (٢ / ١٧٤).

(٧) (٢ / ١٩٣).

(٨) (٢ / ١٩٧).

«قد أرسل إلى عبدالعزيز الإمام. حدود مسيره إلى الشمال تلك الأيام»،  
وقل<sup>(١)</sup>: «فلما عرف إمام أهل الإيمان، ما قصده ذلك الإنسان»، لكنه مع كل ذلك قال عنه فيما بعد<sup>(٢)</sup>: «ولما أتى الخضر عبدالعزير». دون وصف أول لقب.  
ويتضح مما سبق أن بين تسمية ابن غنام عبدالعزيز بن محمد بالإمام أحياناً،  
وبين السجع - الذي كان المؤلف مغرمًا به - صلة وأي صلة. وهكذا يتضح أن  
ابن غنام لم يتخذ موقفًا معينًا من تسمية عبدالعزيز.

ولقد ذكر ابن غنام في مقدمة تاريخه أنه سمّاه «روضة الأفكار والأفهام،  
لمرتد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوي الإسلام»، ولم يتحدث فيه عن حال  
أحد سوى الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الذي فصل الكلام عن حياته تفصيلًا  
جيدًا، ومعنى ذلك أن المقصود بكلمة «الإمام»: الشيخ محمد نفسه، ومع أنه  
كان إذا تحدث عنه وصفه بالشيخ، في أغلب الأحيان، فإنه وصفه في مقدمة  
كتابه بقوله<sup>(٣)</sup>: «إمام الموحدين». كما وصفه فيها بقوله<sup>(٤)</sup>: «فانتظم في سلك  
الإمام (يعني الشيخ) رجل»، ووصفه عند حديثه عن لجوء سعود بن عريعر إلى  
الدرعية سنة ١٢٠٠هـ<sup>(٥)</sup> بالإمام، وعندما رثاه سنة ١٢٠٦هـ قال عنه<sup>(٦)</sup>:

إمامٌ أصيبَ الناس طرًا بفقده وطاف بهم خطبٌ من البين موجه  
وقد يسأل سائل عن الهدف من الاستطراد في هذه المسألة؟ والجواب هو أنه  
إذا ترخح أن ابن غنام كان يقصد بالإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب، عندما

(١) (٢ / ٢٠٠).

(٢) (٢ / ٢٤٦).

(٣) (ص ٣).

(٤) (ص ٢٩).

(٥) (٢ / ١٢٥).

(٦) (٢ / ١٥٥).



قل في مقدمته: «والإمام يعزم عليّ»؛ فإن ذلك يعني أنه قدم إلى الدرعية قبل وفاة الشيخ، وقبل أن تدخل منطقة الأحساء تحت الحكم السعودي، أم إذا ترجّح أنه كان يقصد بالإمام: الحاكم السعودي وعبرة «أيده الله تعالى»: ترجّح ذلك -؛ فإن ذلك لا يدل على قدومه إلى الدرعية والشيخ محمد ما زال على قيد الحياة.

على أنه ورد في أحد المصادر المخطوطة أن الشيخ عبدالله الكردي أرسل من البحرين سنة ١٢٠٩هـ أحياناً إلى ابن غنام، الذي كان حينذاك قد أتى إلى الزبارة، فأجابه بقصيدة ضمّنها مدحاً للكريم أحمد بن رزق، كما مدح هذه الكریم بقصيدة أخرى في السنة نفسها، وكونه في الزبارة تلك السنة؛ مادحاً لذلك الرجل الكریم، قد يرجح أنه لم ينتقل بعد إلى الدرعية؛ ذلك أن ذهابه من هذه المدينة - بما لقيدتها حينذاك من ثقل سياسي - إلى الزبارة ليمدح رجلاً من غير أفراد تلك القيادة أمرٌ مرجوح.

على أن المصادر تذكر أنه كان من بين الذين درسوا عليه قواعد اللغة العربية في الدرعية: الشيخ حمد بن ناصر بن معمر، الذي لازم الشيخ محمد بن عبدالوهاب ورأس وفدًا من العلماء إلى مكة سنة ١٢١١هـ لمناظرة علمائها، ثم أصبح رئيساً لقضاة مكة من سنة ١٢٢١هـ إلى وفاته سنة ١٢٢٥هـ، فرائسته لوفد من العلماء سنة ١٢١١هـ يرجّح أن دراسته القواعد على ابن غنام كانت قبل ذلك ربما بسنوات عدة.

وسواءً كان قدوم ابن غنام إلى الدرعية قبل وفاة الشيخ محمد بن عبدالوهاب أو بعد وفاته؛ فإنه أصبح أستاذًا لعدد ممن أصبحوا بين علمائها البارزين.

لعل أول نقطة يحسن أن يُشار إليها في الحديث عن هذا التاريخ هي الهدف من كتابته، وإذا اعتمد - في هذا الأمر - على ما كتبه هذا المؤرخ نفسه في

مقدمته: فإن من الواضح أن كتابته له كانت ذاتية ابتداءً، ثم بتشجيع ممن كان يُمكن له التقدير انتهاءً.

استهل ابن غنام ما كتبه بحمد الله والصلاة على نبيه محمد ﷺ، والإشارة باختصار إلى رسالة التوحيد التي جاء بها. وما طرأ على عقائد بعض المسلمين من انحراف، ثم قال بأسلوبه المسجوع، الذي سيأتي الحديث عنه: «لما كنت منزلة العلم أعظم المنازل، والتحلي بحلاه من أفخم الفضائل، لاسيما للأفاضل والأمثال، ومرتبته أرفع المراتب عند الأواخر والأوائل. . . وكان من أسنها شأنًا وفخرًا، وأسماء رتبة وذكرًا، وأرفعها منصبًا وقدرًا، وأنفعها عند الله تقريبًا وحضورًا؛ علم الحديث والأثر، ومعرفة التواريخ والسير، كما نص عليه أرباب الفن والنظر، إذ فيه لمقتفيه عبرة من أجل العبر، تزيد اليبس تحقيقًا وتبصيرًا، ونشره في المجالس والمحافل، ودرسه في البُكر والأصائل، وسيلة من أنفع الوسائل، إلى التأسّي بالمجاهدين، فينل مع الأجر قبولًا وتوقيرًا، فيقتفي السامع آثارهم، إذا سبر أخبارهم، وعرف أنهم بذلوا - رغبة فيما عند الله أعمارهم، فبشرهم بنعمته وفضله تبشيرًا، أردت أن أصنف فيما أشرق ضيؤه وانتشر، وشاع في غالب الأقطار واشتهر، من الغزوات التي هي في محب الدهر كالغُرر، والفتوحات الإسلامية التي مبدأها العقد السادس من القرن الثاني عشر».

وهكذا يتضح - وقدّ لكلام ابن غنام نفسه - أنه ألف تاريخه بدافع ذاتي منه، لُحمنه وسُداه إدراكه لمنزلة التاريخ الرفعة بين العوم: لما ينسج عن فرائده من فوائد، في طبعتها تأسّي الخلف بالسلف، ولما يباله من قدم بكتبته من أجر وثواب عند الله. ولقد أوضح إدراكه لخطورة الإقدام على كتابة التاريخ، وصعوبة ظروفه وهو في دار غربة، أي لم يكن في مسقط رأسه، لكنه مع ذلك

- بين أن عاملين أثرا عليه، أو ساعده في التغلب على شعوره بخطورة الكتابة وصعوبة ظروفه، وأول العاملين: رعبته المدحة في الكتابة، ثانيهما: حفزه عليها من قبل من كان يقدره غية التقدير، وقد عبر عن هذين العاملين بقوله: «لكن داعي انفس لذلك (أي الكتابة) كثير، والإمام - أيده الله تعالى - يعزم عليّ في ذلك ويشير».

وإذا كان الكلام السابق يوحي بالهدف من الكتابة، ويبين عاملي السلب وعاملي الإيجاب في القيام بها، فما الموضوع المستهدف من الكتابة؟

لقد ورد في الكلام السابق المقتبس من مقدمة ابن غنام لتاريخه أنه صنفه لتسجيل الغزوات التي قام بها أنصار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - بقيدة آل سعود-، ابتداءً من العقد السادس من القرن الثاني عشر. وهذا يفيد بأن المستهدف من الكتابة تسجيل الأعمال العسكرية، أو ما سمى الغزوات التي قام بها أولئك الأنصار.

وإذا توسع في المدلول فإنه قد يشمل الظروف السياسية التي واكبتها، على أنه ذكر في المقدمة - أيضًا - أنه سمى تاريخه: «روضة الأفكار والأفهام، لمرئاد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوي الإسلام»، وهذا يفيد أن التاريخ الذي كتبه يشتمل على أمرين: الحديث عن حال الإمام، والحديث عن غزوات أنصار الدعوة السلفية، وما هو موجود فعلاً ينطبق على هذين الأمرين.

لقد كان اقتناع ابن غنام بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب واضحاً كل الوضوح، وكان تقديره لصاحبها وللمن صروحوه بين كل البان، وكان أنصرار بين أنصارها وخصومها - خلال الفترة التي تدولها تاريخه عبقاً كل العقب، فعند الحديث عن تاريخه لابد من أخذ كل هذه الأمور بعين الاعتبار، لكي يُحدد مدى تأثيره على كتابته، وهذا التحديد سيرد الحديث عنه فيما بعد.

اللفظة الثانية التي يحسن أن يُشار إليها في الكلام عن تاريخ ابن غنام: هي محتوياته. يتكون هذا التاريخ من جزأين، اشتمل الجزء الأول منهما على خمسة فصول، تحدث في الفصل الأول عن الأوضاع الدينية وإلى حد ما السياسية - في نجد والإحساء وبعض البلدان الأخرى، وذلك قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وتحدث في الفصل الثاني عن حياة الشيخ محمد، أما الفصل الثالث فاشتمل على بعض الرسائل التي أرسلها الشيخ إلى عدد من قادة البلدان والشخصيات، وأما الفصل الرابع فحوى شيئاً من الأسئلة التي وُجّهت إلى الشيخ وأجوبته عنها، وأما الفصل الخامس فقد ورد فيه تفسير الشيخ لبعض سور القرآن وآياته.

ويبدأ الجزء الثاني من تاريخ ابن غنام بمواصلة الحديث عن حياة الشيخ محمد الذي أورده في الفصل الثاني من الجزء الأول، مفصلاً الظروف التي أدت إلى انتقاله من العيينة، حيث بدأ تطبيق دعوته، ثم إلى الدرعية التي أصبحت قاعدة الدولة المناصرة لتلك الدعوة، وبعد ذلك يبدأ الحديث عن الأعمال العسكرية - أو الغزوات - لتلك الدولة، ابتداءً من عام ١١٥٩هـ.

بدأ ابن غنام حديثه عن الأوضاع الدينية بإعطاء صورة عنها بقوله:

«كان غالب الناس في زمانه (أي زمان الشيخ محمد) متضمخين بالأرجاس، متلطخين بوضر الأرجاس، حتى انهمكوا في الشرك بعد حلول السنة المظهرة بالأرماس... فعمدوا إلى عبادة الأوثان والصالحين، وخلعوا ربة التوحيد والدين، فجدوا في الاسعانة بهم في النوازل والحوادث، والخطوب المعضلة والكوارث».

ثم أعطى تفصيلاً لما كان يُمارس في إقليم العارض النجدي بالذات، وفي مدن الحجاز ومصر واليمن والشام وإعراق والقطيف، وتلك التفصيلات التي

أوردها نذل دلالة واضحة على جهل عظيم بأمور الدين، وتدهور كبير في تفكير من يقومون بها، عفيفة وممدرسة.

وبعد ذلك أورد أربع فوائد مهمة، وقد ضمن الفائدة الثالثة منها: قصيدة من ثلاثة وستين بيتاً للأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني مطلعها:

أما آن عما أنت فيه متابٌ وهل لك من بعد البعاد إيابٌ  
ومما أورده الصنعاني في قصيدته قوله:

نسائل من دار الأراضي سياحة عسى بلدة فيها هدى وصوابٌ  
فيخبر كلٌ عن قبائح ما رأى وليس لأهلها يكون متابٌ  
لأنهم عدوا قبائح فعلهم محاسنٌ يُرجى عندهم ثوابٌ  
كقومٍ عراةٍ في ذرا مصر ما علا على عورة منهم هناك ثيابٌ  
يدورون فيها كاشفين لعورة توتر هذا لا يُقال كذابٌ  
يعدونهم في مصر فضلاءهم دعاؤهم فيما يرون مجابٌ  
وفيها وفيها كلٌ ما لا يعبده لسانٌ ولا يدنو إليه خطابٌ  
وفي كل مصرٍ مثل مصرٍ وإنما لكلٍ مسمًى والجميع ذئابٌ

أم الفصل الثاني من الجزء الأول فعنوانه: نسب الشيخ ومبدأ أمره، وما جرى عليه في قيامه بتلك الدعوة من أهل مصره. وما صدمه به علماء عصره. وحديث المؤلف فيه هو أول سجل عن حياة الشيخ محمد، نسباً، ومولداً، ودراسة. وأسفاراً في طلب العلم، وبداية لدعوته في نجد، إلى استقراره في العيينة. مفصلاً ما قام به العلماء المعارضون له من نشاط ضده، وهو الشط الذي كانت له آثاره على مواقف الأمراء منه، وقد ضمن الفصل وقفات سماها مهمات، تحدث فيها عن كيفية تعامل الشيخ محمد مع خصومه، وما ينبغي أن يتحلى به الداعية، كما ضمنه رأي الشيخ في التقليد الممنوع والمباح. ومما

أورده فيه : القصيدة الدالية المشهورة التي أرسلها الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب يثني فيها عليه ، وتألف القصيدة من خمسة وسبعين بيتًا استهلها بقوله :

سلامي على نجد ومن حل في نجد      وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي  
لقد صدرت من سفح صنعا سقى الحيا      رباها وحيهاها بقهقهة الرعد  
سرت من أسير يُشدّ الريح إن سرت      ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد  
يذكرني مسراك نجداً وأهله      لقد زادني مسراك وجداً عني وجد  
قفي واسألني عن عالم حل سوحها      به يبتدي من ضل عن منهج الرشده  
محمد الهادي لسنة أحمد      فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي  
ومنها :

وقد جاءت الأخبار عنه بأنه      يعبد لنا الشرع الشريف بما يبدي  
وينشر جهراً ما طوى كل جاهل      ومبتدع منه فوافق ما عندي  
ومما أورده في الفصل الثاني - أيضاً - : رسالة الشيخ محمد إلى العالم الأحسائي عبدالله بن محمد بن عبداللطيف . لاثماً له على اشتراكه مع خصومه في الكتابة ضده ، وبخاصة أن ابن عبداللطيف - كما قال الشيخ محمد - في رسالته : قد نشر الله له من الذكر الجميل وأنزل في قلوب عبده له من المحبة ما لم يؤثّه كثيراً من الناس .

ومع أن أكثر عبارات الرسالة توحى بأن الشيخ محمد لم يكن مؤملاً كثيراً في إقناع الشيخ ابن عبداللطيف ، إلا أنه لم يترك وسيلة نظر أنها تؤثر فيه إلا اتبعها . إذ قال : « ما أحسنت لو تكون في آخر هذا الزمان فاروقاً ندين الله ؛ كعمر رضي الله عنه هي أوله »

وأما في الفصل الثالث من الجزء الأول من تاريخ ابن غنام فقد أورد رسائل بعثها الشيخ محمد إلى بعض البلدان والشخصيات. ولهذه الرسائل أهمية تاريخية كبيرة؛ لم يمكن أن تُستدل بها على شخصية الشيخ، والظروف المحيطة بدعوته وبالدولة السعودية التي قامت على أساسها.

ومن المحتمل جدًا أنه لو لم يقم ابن غنام بتدوين تلك الرسائل لضاعت، لكن تدوينه لها أمدنا بثروة تاريخية كبيرة.

ولقد أورد ابن غنام في الفصل الرابع من الجزء الأول من تاريخه أجوبة الشيخ على أسئلة وردت إليه، بعضها كان يُراد منها إيضاح مسألة من مسائل الدين، عقيدة وشريعة، وبعضها كان يُراد منه إيضاح لما يدعو إليه الشيخ، وم يشاع عنه، ومن النوع الأخير رسالة أجاب فيها عن سؤال كان قد وجهه إليه حاكم الكويت الذي لم يُحدد اسمه، وقد فصّلت الحديث عن هذه الرسالة، ومدلولاتها التاريخية في كتابي «العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت»<sup>(١)</sup>.

وأتى الفصل الخامس والأخير من الجزء الأول من تاريخ ابن غنام إيراداتاً لتفسير الشيخ محمد سوراً وآيات من القرآن الكريم، ومما له دلالة تاريخية بالذات من هذا التفسير تفسيره لسورة الفاتحة؛ ذلك أن تفسيره لها كان بناءً على التماس بعثه عبدالعزيز بن محمد بن سعود من الدرعية إلى الشيخ وهو مازال في

(١) (ص ٨٣ - ٨٧). قلت: والمكتور يميل إلى أنه عبدالله بن صباح، الحاكم الثاني للكويت. ونُظر رسالة «نصر وثائقي نادر»؛ للشيخ محمد الشيباني، ورسالة «أمرأء وعلماء من الكويت على عقدة السلف»؛ للشيخ دعش العجمي (ص ٣٤ - ٣٥) لمعرفة ما قبل حول هوية من أرسلت إليه رسالة الشح محمد.

العينة، وهذا يدل على أن عبدالعزيز - ابن الأمير محمد بن سعود - كان على صلة بالشيخ، وافتناع بدعوته، قبل أن يتقل إلى الدرعية ويتبع مع أمرها محمد بن سعود سنة ١١٥٧هـ.

على أن الجزء الثاني من تاريخ ابن غنام هو الأقرب إلى منهجية الرصد التاريخي؛ إذ دُوِّن فيه الأحداث سنة سنة، ومع أن العنوان العام لتاريخه قد اشتمل على مدلول هذا الجزء، فإنه جعل له عنواناً فرعياً هو: «كتاب الغزوات البيانية، والفتوحات الربانية، وذكر السبب الذي حمل على ذلك»، وقد استهله بمواصلة الحديث عن نشاط الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العينة، وردود الفعل لتطبيقه فيها ما كان يدعو إليه. وهي الردود التي أدت إلى انتقاله منها إلى الدرعية، ثم تحدث عن نشاطه في السنتين الأوليين بعد استقراره في موطنه الجديد؛ وذلك قبل أن يدخل أنصار دعوته مع خصومهم في نزاع مسلح، وبعد هذا أخذ يسجل حوادث هذا النزاع. وما واكبه من نشاط سياسي أدباً إلى ما هو معروف في التاريخ العام للمنطقة، من تمكن أولئك الأنصار، بقيادة آل سعود، من توحيدها.

ولقد توقف ما هو متوافر في أيدي الباحثين الآن من تاريخ ابن غنام، مطبوعاً ومخطوطاً عند حوادث عام ١٢١٢هـ، ومن المرجح جداً أن هناك جزءاً متمماً لهذا التاريخ. وهو الجزء الخاص بتدوين الحوادث حتى وفاة مؤلفه عام ١٢٢٥هـ، ذلك أنه من غير المحتمل أن تهمل مؤلفه تدوين حوادث مهمة جداً؛ كغزوة علي باشا مساعد والي بغداد العثماني للأحساء عام ١٢١٣هـ، وهجوم السعوديين على كربلاء عام ١٢١٦هـ، واغتيال الحاكم السعودي عبدالعزيز بن محمد، على يد أحد العراقيين عام ١٢١٨هـ، وتوحيد السعوديين لعسير والحجاز وحزاز.



على أن شيخنا حمد الجاسر رحمته قال - في كلامه عن تاريخ ابن غنام - «وقد عُثر على تكملة لتاريخ الشيخ حسين بن غنام وصلت إلى الخزانة السعودية في الرياض وقت نشر تاريخ ابن بشر لأول مرة؛ أي سنة ١٣٤٩هـ. ويظهر أن احتواء تاريخ ابن بشر على جل ما في التكملة، وأن أسلوبها مما لا يتلاءم مع أدواق كثير من القراء في هذا العهد؛ للسجع الممل، وأن تاريخ ابن غنام سبق نشره، وليس هناك كبير فائدة في هذه التكملة لكي يعاد طبع التاريخ كاملاً، هذه الأسباب حالت دون نشر تلك التكملة، وقد وصلت إلى مكتبة الأستاذ رشدي ملحس، وهو الذي حدثني عنها»<sup>(١)</sup>.

والكلام السابق يمكن أن يُلاحظ عليه أمران:

الأول: أن الجزء الأول من تاريخ ابن بشر سبق أن نُشر في بغداد سنة ١٣٣١هـ، لكنه طبع بجزأيه أول مرة في مكة سنة ١٣٤٩هـ.

الثاني: أن ما سبق نشره من تاريخ ابن غنام هو المتداول المنتهي بحوادث سنة ١٢١٢هـ، وحوادث ثلاث عشرة سنة التي بعدها كانت مهمة جداً - كما سبق أن ذكر-، وحديث ابن غنام - المصدر الأول لتاريخ الدولة السعودية الأولى - أهم من حديث من أتوا بعده؛ كبن بشر، فالفائدة من نشر تكملة تاريخه واضحة كل الوضوح.

ومن الواضح جداً أن ابن بشر قد اطلع على تاريخ ابن غنام؛ لأن مقارنة كتابه مع ذكره سلفه تؤكد اعتماده الكبير عليه في تفصيلات الحوادث التي أوردها ذلك السلف. بل إنه نقل عنه قليلاً من العدرات نقلاً حرفياً، وإن كان لم يذكر هذا النقل وذلك الاعتماد، واكتفى بالقول: إنه وجد ترسيمات للوفائع لابن

(١) مجلة العرب، ربيع الأول ١٣٩١هـ ص ٧٩٣

سلم إلى قرب موت عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ثم وجد ترسيمات لغيره أحسن من رسمه متصلة به. ومن المعروف أن اغتيال عبدالعزيز كان سنة ١٢١٨هـ، وما دام الموجود الآن من تاريخ ابن غنام توقف عند حوادث سنة ١٢١٢هـ، فإنه قد توقف فعلاً قرب وفاة عبدالعزيز، وعلى هذا؛ فإن تكتمه كنت على الأرجح مفقودة في عهد ابن بشر المتوفى سنة ١٢٩٠هـ أيضاً، أو على الأقل كانت مفقودة بالنسبة لهذا المؤرخ.

وإذا كان الشيء بالشيء يُذكر، فماذا عن هذا المتوافر من تاريخ ابن غنام. تتفق مخطوطات هذا التاريخ بانتهاء كل واحدة منها بحديث مؤلفها عن أحداث سنة ١٢١٢هـ، لكن بعضها ينتهي بنهاية مبتورة؛ إذ آخرها صدر من بيت شعر دون إكماله بقيته، وبعضها ينتهي نهاية غير مبتورة؛ وذلك باستكمال الكلام عن أحداث تلك السنة كلها.

ولقد طُبع تاريخ ابن غنام أول مرة في بومبي، ثم طُبع مرة ثانية في القاهرة سنة ١٣٦٨هـ، وهي الطبعة التي تمت على نفقة الشيخ عبدالمحسن البابطين، وينطبق ما فيها على ما في المخطوطات التي نهايتها مبتورة.

ولقد صدرت لهذا التاريخ طبعة أخرى بعنوان «تاريخ نجد للشيخ الإمام حسين ابن غنام»، حرره وحققه الدكتور ناصر الدين الأسد، وقيل في صفحة الغلاف: قابله على الأصل: عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، الذي كتب له تقديمًا سنة ١٣٨٠هـ، والحقبة أنه وقع اجتهادان في هذه الطبعة؛ الأول قد يكون في محله؛ وهو إعادة صياغة كتابته، بحبت جُرد من السجع المتكلف، وحُذفت بعض الحمل المترادفة، والثاني اجتهاد في غير محله؛ وهو إضافة معلومات لم يوردها ابن غنام. وإنما أخذت من غيره؛ وبخاصة تاريخ ابن بشر. وهذا العمل مضلٌّ للقارئ؛ إذ سيظن أن كل المعلومات الموجودة في هذه الطبعة

مما دونه ابن غنام. وهذا غير صحيح. ولهذا فإنه لا يصح الاعتماد عليها.

وإذا أراد الباحث أن يتكلم عن أسلوب ابن غنام في كتابته لتاريخه، وجد أن هذا التاريخ يشتمل على ما أورده من كلام لغيره؛ مثل رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأجوبته عن أسئلة، وتفسيره لسور وآيات من القرآن الكريم، ومثل إirاده لكلام علماء آخرين؛ كابن تيمية والشيخ حمد بن معمر، وهذا كله أورده حرفيًا، وليس له فيه إلا فضيلة إirاده؛ وهو بصفة عامة المكون للجزء الأول.

ويشتمل على ما هو من كلامه؛ وهذا يُكوّن بشكل أساس: الجزء الثاني من تاريخه، وهو الذي ركز فيه على ذكر الأحداث العسكرية أو الغزوات، وقد كتبه ابن غنام بأسلوب مسجوع سجعًا متكلفًا، إلى درجة أنه - في حالات نادرة - ضحى بقواعد اللغة العربية التي كان يدرسها لصالح السجع! ولم يكن المؤرخ الوحيد في زمنه ومنطقته الذي اتبع ذلك الأسلوب، فقد جاء أسلوب عثمان بن سند في كتابه «مطالع السعود» مشابهًا لأسلوب ابن غنام.

وربما كان اتباع ابن غنام لأسلوب السجع محاولة منه لإظهار براعته اللغوية كما قال شيخنا حمد الجاسر، ومن رأى رأيه، وربما كان يرى أن السجع أكثر قبولًا لدى القارئ في تلك الفترة، وبالتالي أعمق تأثيرًا في نفسه؛ ذلك أن ابن غنام كان يعيش في جو مشحون بالتوتر والصراع بين أنصار دعوة الشيخ محمد وخصومهم، وهو باتباعه ذلك الأسلوب يحمل سلاح الكلمة بجانب أولئك الأنصار.

أما المنهج الذي اتبعه ابن غنام في كتابته؛ فإن الجزء الأول منه جاء في مجمله كما سبق أن ذكر إirادًا لكلام غيره. وبالتالي فإن منهجه فيه ليس مما ينبغي التوقف عنده، ولكن منهجه حقيقة يحلّى في الجزء الثاني. والمنهج الذي اتبعه في هذا الجزء هو المنهج المتبع عند بعض مؤرّحي الإسلام في قرون

ماصية؛ وهو تدوين الحوادث سنة سنة. وبما أن الفترة التي كتب تاريخها كانت الصبغة الأساسية فيها الأعمال العسكرية؛ دفاعاً عن الدولة السعودية القائمة على أساس دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، أو هجوماً ضد خصومها، فإن الجزء الثاني جاء سجلاً لتلك الأعمال، وما واكبها من مواقف سياسية.

على أنه قد ضمّن هذا الجزء - في مواضع قليلة - أموراً فكرية دينية، وقصائد بمناسبة أحداث مهمة، فمن القسم الأول: رد الشيخ محمد على ما كتبه أخوه سليمان ضده وقد صدر هذا الرد فيما بعد بعنوان «مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد»، ومنه: أجوبة الشيخ حمد بن معمر عن أسئلة علماء مكة، عندما أرسله قادة الدرعية إلى هناك بطلب من الشريف غلب؛ لمناقشة أولئك العلماء، وقد صدرت هذه الأجوبة فيما بعد بعنوان: «الفواكه العذاب فيمن لمن يحكم السنة والكتاب».

ومن الواضح أن القصائد الموردة في هذا الجزء إنما قيلت في الأحداث المهمة جداً في نظر ابن غنام، سواء كانت صدئاً لانتصارٍ حققه أتباع الدولة السعودية، أو لهزيمة مؤلمة حلت بهم، ومن تلك القصائد: قصيدته بمناسبة غزو صاحب نجران لنجد، وهزيمته لعبد العزيز بن محمد سعود في الحائر. ومطلعها:

عين جودي بواكب هتان واسكبي عبرة على الأجفان

وقصيدته بمناسبة هجوم زعيم بني خالد على الدرعية، ومطلعها:

نفوس الوري إلا القليل ركونها إلى الغي لا يلفي لدين حنينها

وقصيدته بمناسبة دخول الرياض تحت الحكم السعودي، ومطلعها:

كشف الحق ظلمة الإغلاس ومحي الدين جُلمة الأرجاس

وقصيدته في رثاء الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومطعها:  
 إلى الله في كشف الشدائد نفزُع وليس إلى غير المهيمن مفزُع  
 وقصيدته التي رد فيها على قصيدة ابن فيروز، ومطعها:  
 على وجهها الموسوم بالشوم قد خطا عروسٌ هوىً ممقوتة زارت الشطا  
 وقصيدته التي هنا بها سعود بن عبدالعزيز عند قدومه الأحساء، بعد مقتل  
 زعيم المتفق ثويني بن عبدالله، مطعها:  
 تلاًلاً نور الحق وانصدع الفجرُ وديجور ليل الشرك مزقه الظُهرُ  
 وعدد أبياتها ١١٨ بيتاً.

وإذا أخذ ما سبق في الحسبان؛ فإن المرء ينبغي ألا يهتم بالأسلوب أو  
 العرض الذي دون به ابن غنام الحوادث، وإنما ينظر إلى مضمون الأحداث التي  
 دونها، ومن قرأ تاريخه يجد أنه يذكر هزائم أتباع الدولة السعودية تماماً، كما  
 يذكر انتصاراتهم، ويذكر أسماء من قُتلوا منهم. كما يذكر أسماء من قُتلوا من  
 خصومهم ما وجد إلى معرفتها سبيلاً، والمهم للباحث - في نظري - هو النظر  
 إلى المحتوى ذاته، لا إلى أسلوب عرضه. وبما أن تاريخ ابن غنام أول سجل  
 لتفاصيل حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومسيرة دعوته، وأخبار الدولة  
 السعودية الأولى التي نصرتها، فإنه من الممكن أن يُعد - بإنصاف - رائداً  
 لمؤرخي نجد في الفترة التي تناول أحداثها، والله ولي التوفيق.



ابن غنام مؤرخ وتاريخ<sup>(١)</sup>

للدكتور: محمد بن سعد الشويعر

يشعر المتتبع لتاريخ وسط الجزيرة العربية عممة، ونجد خاصة؛ أن هناك فجوة واسعة، وحلقة مفقودة، فيما بين القرن الخامس إلى القرن الحادي عشر الهجري، إذا استثنينا مكة والمدينة، حيث الحرمان الشريفان، وكونهما مأوى الأئمة والأنظار.

ففي القرن الخامس وما قبله كانت هناك ومضات تاريخية توجد متناثرة في كتب التاريخ، وقد تأتي عَرَضًا في سرد الأحداث التاريخية.

ذلك أن نجدًا مع ما فيها من أحداث تاريخية هامة، لم تحظ بمؤرخين يرصدون تلك الأحداث ويعتنون بتدوينها، لأن جل المؤرخين يبحثون عن الوقائع المهمة في حياة الحكام والساسة من جهة، ومن جهة أخرى فموطن هؤلاء الذين دونوا الأحداث التاريخية كان مقر الحكام، وموطن التجمع العلمي في الحواضر الإسلامية في دمشق، وبغداد، ومصر، والأندلس، ولقيروان.

لم يكن في نجد من الأحداث المهمة في نظرهم ما يستوجب الأفراد بحديث مستقر، إذ لا تعدو تلك الأحداث أن تكون حبرًا جانبيًا من تولية والٍ، أو مشاركة بعض الأفراد من القبائل في الجبوش الإسلامية، أو انتقال قبيلة من مكان لآخر.

(١) مقال منشور بمجلة «الدارة»، (العدد الرابع - العدد الأول - ربيع ثاني - ١٣٩٨هـ) -

ولذا كانت نجد حتى بدء ضعف الدولة العباسية نارة تنفرد بوالٍ في اليمامة وهجر، وأخرى ترتبط بوالى المدينة أو مكة، أو يهيمن عليها والى البصرة ولبعدها عن قاعدة الخلافة العباسية، ضعفت الهيمنة العباسية عنها؛ نتيجة لتفكك الذي دب في دولة الإسلام الممثلة في الخلافة العباسية، ونشأ تبعاً لذلك دويلات متعددة، مثلما نشأ في أطراف الدولة العباسية في مصر، والمغرب، وخراسان وغيرها. وإن أقوى الدويلات التي نشأت في نجد:

١- دولة الأخيضريين بين عام ٢٥٣هـ وعام ٣١٧هـ.

٢- دولة القرامطة التي خلقت الأخيضريين بين عام ٣١٧هـ إلى عام ٤٧٠هـ. ولعل نهاية القرن الخامس الهجري آخر ما يستطيع الباحث أن يجد فيه ذكراً لنجد تاريخياً وأحداثاً، حتى القرن الثاني عشر، عندما ظهر حدث عظيم في تاريخ نجد خاصة، والجزيرة العربية عامة، ولانستطيع أن نقول بأن هذه الفجوة بين هذين التاريخين عديمة الأحداث، ذلك أن الباحث لن يأس أو يفقد الأمل في العثور على شذرات تضيء المعالم عن أشياء كنا نعتقدها في حكم المفقود، وتتمثل هذه الأشياء في وثائق عقارية أو تاريخية أو رحلات أو معلومات عابرة؛ كما جاء في سوابق ابن بشر، وأحداث ابن عيسى، ورحلة ناصر خسرو مثلاً.

ذلك الحدث العظيم هو ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله بدعوته الإصلاحية المجددة، ومؤازرة الإمام محمد بن سعود لها، حتى استقامت دولة ذات كيان، فأصبحت هذه الديار محط الأنظار، ومأوى الأفئدة، واستقطبت اهتمام العالم، لأن هذه الدعوة الإصلاحية لم تكن حدثاً داخلياً يقتصر على أبناء الجزيرة وحدهم، ولكنه كان إيقظاً فكرياً شد الأذهان، وجذب الأفئدة، وأشرأبت إليه الأعناق في العلم الإسلامي بأسره.

## ابن غنام وتاريخه

ومؤرخه في هذه الزاوية: حسين بن أبي بكر بن غنام، يرجع نسبه إلى قبيلة تميم، من أكبر القبائل وأوسعها انتشاراً في وسط الجزيرة، من سكان المبرز بالأحساء، وفيها ولد وتعلم، حيث أخذ العلم فيها عن مشايخ من أهلها، لم نجد أحداً ذكر أسماءهم.

لم يحدد الباحثون عن حياة ابن غنام السنة التي ولد فيها؛ لأن عادة أبناء جيله عدم الاهتمام بتدوين السنة التي يولد فيها أي شخص، وكل ما أثبتوه هو تاريخ وفاته عام ١٢٢٥هـ، وفي شهر ذي الحجة بالذات، هذا التاريخ الذي لم يختلف فيه أحد، ذلك لأن ابن بشر أوضح هذا التاريخ في أحداث عام ١٢٢٥هـ عندما قال: «وفي شهر ذي الحجة من هذه السنة توفي الشيخ العلامة والحبر الفهامة حسين بن غنام الأحسائي»<sup>(١)</sup>.

نشأ ابن غنام في الأحساء في بيت علم، وقد عُرف من أسرته عدة علماء كما قال ابن عبد القادر في تحفة المستفيد<sup>(٢)</sup>، فهو أحسائي النشأة والولادة.

واستقر به المقام بالدرعية عندما توجه إليها في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد، في حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمهما الله -؛ كما قل بذلك عبد الرحمن بن عبد اللطيف في كتابه: «مشهير علماء نجد وغيرهم»<sup>(٣)</sup>، فهو نجدى الاستقرار والشهرة. ولكن ابن عبد القادر يقول في تحفة المستفيد<sup>(٤)</sup> بأن

(١) عنوان المجد (١ : ١٤٤).

(٢) (٢ / ١٠٤).

(٣) (ص ١٨٥).

(٤) (٢ / ١٠٤).



ابن غنام قد نقله الإمام سعود بن عبدالعزيز إلى الدرعية في وقت نهضتها . وفي نظري أن الرأي الأول أقرب للصواب ؛ لأن ابن غنام عندما ألف تاريخه . كان يريد قصره على حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته . كما يترأى من عنوانه : «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب» .

هذا بالنسبة للعنوان ، أم بالنسبة للمحتوى فهو يدور في : حال الجزيرة والأحساء ونجد قبل ظهور الإمام رحمته بدعوته الإصلاحية . ثم يسير متتبعا لهذه الحركة ، ويطن في الخاتمة التي هي عن وفاة الشيخ وأثرها النفسي والشعوري<sup>(١)</sup> ، كما كرر خبر وفاته في أحداث عام ١٢٠٦هـ<sup>(٢)</sup> .

وم القصد التي أوردها في رثائه إلا تعبير عن شعور المؤلف تجاه هذا المصلح الكبير ، ودوره العقائدي في نقل سكان الجزيرة خاصة من حياة الظلمة والضلال ، والعزلة والانطواء ، إلى حياة التفتح والنور ، ومعرفة الدين الإسلامي واعتناقه عن بصيرة وفهم . كما يتجلى ذلك في إيقاظ الشعور الإسلامي لدى المسلمين عامة .

فارتباط ابن غنام تاريخيا وشعوريا بالشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته جعلني أرجح الرأي الأول ؛ ذلك أن ابن غنام لابد وأن يكون لازم الشيخ في حياته في الدرعية . وهذه الملازمة لا تتأتى وابن غنام لم يقدم الدرعية إلا بعد ولاية الإمام سعود بن عبدالعزيز .

ومعروف بأن سعودا لم يتسلم الأمر إلا بعد قتل والده في عام ١٢١٨هـ ، وفي

(١) (١ : ٥٠ - ٦٠)

(٢) (٢ : ١٥٤)

هذا التاريخ يكون الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد فارق الحياة إلى الدار الآخرة بمدة مقدارها اثنا عشر عامًا.

ولعل سؤالاً يتبادر للذهن: ألا يمكن أن يكون الإمام سعود قد استقدم ابن غنام في حياة والده؟

وهذا محتمل، إلا أن عبارة ابن عبد القادر «الإمام سعود» تبعد هذا الاحتمال؛ لأن المفهوم منها اعتلاؤه السلطة، فلو قال: «استقدمه الأمير سعود- أو عندما كان أميراً» لانسجم مع القول، وفي هذه الحالة لا نحتاج إلى ترجيح.

وبالتالي؛ فإننا لا نستطيع تحديد السنة التي قدم فيها إلى الدرعية، إلا أن الحركة العلمية المزدهرة فيها، والشعور الديني العميق كانا خلف نزوحه من بلده الذي ولد فيه وتعلم. إلى موطن جديد يجذب ذوي المواهب، ومنهم ابن غنام. والشيخ حمد الجاسر<sup>(١)</sup> يميل مع ابن عبد القادر في ترجيحه أن ابن غنام لم يقدم الدرعية إلا بعد ولاية سعود بن عبدالعزيز بن محمد عام ١٢١٨هـ.

وبالتالي فإنني أميل إلى أن انتقله إلى الدرعية كان في حدود عام ١٢٠٠هـ، للأسباب التالية:

١- أن عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد الذي بدأ بوفاة والده محمد - رحمهما الله عام ١١٧٩هـ؛ كان عهد تدعيم وبناء وتوسع في نشر الدعوة. ولم يبدأ الاستقرار العلمي إلا في حدود عام ١٢٠٠هـ. وإن كانت جذوره قد بدأت مع قيام دعوة الإصلاح التي بدأها الإمامان محمد بن سعود، ومحمد بن عبد الوهاب - رحمهما الله -.

(١) مجلة عرب، ح ٩، مجلد ٥.

٢- أن سعودًا في حدود هذا التاريخ قد اشتد عوده، وكان عضد والده، وقائد الغزوات، ولا يسبعد مع ذلك أن يكون هو الذي استقدم ابن غنام عندما كان أميرًا، ذلك أن الأسرة السعودية قد عُرِفَت منذ نشأة الدولة لسعودية بحب العلم، واستقدام العنماء واحترامهم وإكرامهم.

٣- أن هذا التاريخ يتيح لابن غنام ملازمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ست سنوات قبل وفاته، وهي مدة كافية، كفيلة بأن تجعله يرتبط به شعوريًا؛ ليتجلى ذلك في مؤلفه التاريخي وقصائده فيه، والإشادة بمكانته.

٤- أما قصيدته التي قالها في قدوم الأمير سعود الأحساء بعد قتل «ثويني» عام ١٢١٢هـ، مهنئًا للأمير سعود ولأبيه عبدالعزيز<sup>(١)</sup>، فهي لا تدل قطعًا بأن ابن غنام كان مقيمًا في الأحساء، ولم يرتحل للدرعية، بل من الأرجح أن يكون قد ارتبط بهذه الأسرة الكريمة قبل هذا التاريخ، وأنه شارك أهالي الأحساء في التعبير عن هذا الشعور، لأن «ثويني» هذا قد أفضَّ مضجعهم قبل قتله بسنوات؛ كما أبان عن ذلك تاريخه.

٥- أن أحد تلاميذه في العربية بعد انتقاله للدرعية كما حكاه ابن بشر<sup>(٢)</sup> حمد بن ناصر بن معمر، وهذا قد بعثه الإمام عبدالعزيز بن محمد في عام ١٢١١هـ إلى مكة لينظر علماءها في مسائل العقيدة، فأظهر من البراعة وقوة الحجة ما كان موضع إعجاب عنماء مكة. وهو لن يصل لهذا المستوى إلا بعد أن تمكن من اللغة العربية، وأنهى دراسته مع شيخه ابن غنام.

(١) تاريخه (٢/ ٢٣٧ - ٢٤٢).

(٢) عنون المجد (١/ ١٤٤).

## مذهبه:

اختلف الباحثون في حياة هذا المؤرخ والأديب في المذهب الذي ينتمي إليه في الفروع:

- ١- فقال الشيخ عبدالرحمن بن قسم في الدرر السنية<sup>(١)</sup>: إنه شافعي.
  - ٢- وقال محمد بن عبدالقادر في تحفة المستفيد<sup>(٢)</sup>: إنه مالكي، كما تابعه في هذا القول كل من الشيخ حمد الجاسر في مجلة العرب<sup>(٣)</sup>، وعبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ في: «مشاهير علماء نجد وغيرهم»<sup>(٤)</sup>، والدكتور عبدالعزيز الخويطر في رسالته: «عثمان بن بشر منهجه ومصادره»<sup>(٥)</sup>.
  - ٣- وقال إسماعيل باشا في هدية العارفين<sup>(٦)</sup>: إنه حنبلي، وتابعه في ذلك عمر رضا كحالة في «معجم المؤلفين»<sup>(٧)</sup>.
- وعندما نريد ترجيح رأي من هذه الآراء الثلاثة نجد أكثرها احتمالاً الرأي الثالث.
- ذلك أن تلاميذ ابن غنام والعلماء المحيطين به، كلهم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، فهو جزء من هذا الكل. يتعلم ويُعلم ويناقش في مجتمع لم تتطور فيه الوسائل العلمية، وتتوفر معنوماتها، هذا من جهة، ومن أخرى فإن

(١) (٢ / ٢٤).

(٢) (٢ : ١٠٤).

(٣) (ج ١ / ٥٥).

(٤) (ص ١٨٥).

(٥) (ص ٧).

(٦) (١ / ٣٢٨).

(٧) (٣ ، ٣١٧).

مذهب الإمام أحمد سائد في الأحساء قبل انتقال بن غنم منها ، وهذا في نظري  
أمكن دليل على أنه حنبلي المذهب .

وبالنسبة للرأي الأول فلا نميل إليه لسببين :

١- أن أسرته مالكية المذهب ؛ حيث نشأ وتعلم في حياته الأولى في  
الأحساء .

٢- أن الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله الذي لازمه ابن غنم في حياته الثانية  
بالدرعية ؛ كان يسير في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله .

ولذا نستبعد أن يكون ابن غنم شافعيًا ؛ لأن اتجاهه العلمي في الأحساء  
والدرعية لم يهيئ له ذلك .

وأما القول بأنه مالكي فله ما يبرره ؛ باعتبار أن مذهب أسرته مالكي ، ومن  
جهة أخرى فإن مذهب الإمام مالك كان سائدًا في الأحساء .

ولكن تمذهب أسرته بالمالكية ليس دليلًا قاطعًا على مالكية ابن غنم ،  
وحكمنا بذلك يوقعنا فيما يسميه المنطقيون : الدور والمصدرة ، ذلك أننا حكمنا  
بمالكيته بناءً على مالكية أسرته ، في حين أنه لا يثبت أنه مالكي المذهب إلا  
باعتناقه هو لمذهب الإمام مالك ، سواء عرف عنه ذلك ، أو أُلّف فيه ودافع عن  
الفروع التي ينفرد بها الإمام مالك .

وهذا لا يستبين إلا تتنوع آثاره العلمية وآرائه فيها ، ولم نجد من نقل شيئًا من  
ذلك عنه ؛ لِيُثْبِت مالكيته على هذا الأساس .

**تأثره وتأثيره :**

لقد تأثر ابن غنم بإمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله ، فكان مرتبطًا

به روحاً ومعنى. فسجل حياته وباع دعوته. ورصد الوقائع الحربية والغزوات لنشر الدعوة، وما جرى سببها من أحداث، خلال فترة الازدهار في الدولة السعودية الأولى. بزعمة ثلاثة من أئمتها هم: محمد بن سعود (ت ١١٧٩هـ)، وابنه عبدالعزيز (١١٣٧ - ١٢١٨هـ)، وحفيده سعود بن عبدالعزيز بن محمد (١١٦٣ - ١٢٢٩هـ).

ولم نجد في تاريخه ما يدل على أنه عول في النقل على غيره أو استفاد منه. وهذه عادة غير مستحسنة، فلعله استفاد من غيره، ولكنه تجاهل المنقول عنه، خاصة وأنه قد عُرف قبله بعض المؤرخين ممن وصلت إلينا أخبارهم؛ مثل: أحمد بن بسام (ت ١٠٤٠هـ)، وأحمد المنقور (ت ١١٢٥هـ)، ومحمد بن ربيعة العوسجي (ت ١١٥٨هـ). وعبدالله بن عضيبي (ت ١١٦١هـ)، وإبراهيم بن أحمد بن يوسف (ت ١٢٠٦هـ) المتوفى في دمشق.

وعلى العموم؛ فإن أغلب الأحداث التاريخية كلها كانت وقائعها قريبة العهد من ابن غنام، ولا نحب أن نحمله أكثر مما يجب، فنقول إنه نقل هذه الأحداث من غيره ولكنه تجاهله، بل نقول: إن ابن غنام رصد هذه المعلومات من أحداث عصره وما هو سائد في مجتمعه.

فكان تاريخه يحدد معلومات قريبة العهد، فهو يبدو من عام ١١٥٨هـ وينتهي إلى عام ١٢١٢هـ. ولا بد أنه تأثر بعلماء عصره المحيطين به، إلا أنه لم يستبن لنا شخصيات معينة أخذ عنها العلم، أو تأثر بها في الاتجاه، إلا ما رأيناه من افتقائه لأثر الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ذلك أن تاريخه أوسع مرجع لحياة الإمام محمد بن عبد الوهاب، أو ما نقله من رسائل ومسائل نسبها لأصحابها. وقد اعتبره عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين<sup>(١)</sup> من تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

أما عن تلاميذه الذين أخذوا عنه العربية في الدرعية؛ فإن ابن بشر، وهو أقرب المؤرخين لابن غنام، لم يذكر من تلاميذه الذين أخذوا عنه العربية في الدرعية مع أنهم كثيرون إلا: حمد بن ناصر بن معمر، وسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب.

ولكننا نعتبر ابن غنام بتاريخه هذا أستاذ جيل؛ اقتفى أثره عدد كبير، أخذوا معلوماتهم التاريخية عنه.

وأول تلاميذه في هذا التخصص هو ابن بشر نفسه، إذ كان كتاب ابن غنام مصدرًا مهمًا في تاريخ الدولة السعودية الأولى وما واكبها من أحداث - وإن كان قد وقف عند عام ١٢١٢هـ - أيام عزه ومنعتها، بيد أنه توفي بعد هذا التاريخ بثلاث عشرة سنة. كما يُعتبر مصدرًا مهمًا لكل كاتب يبحث عن تاريخ نجد والجزيرة العربية في تلك الحقبة، أو يتتبع حياة الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

ومن هذا نقول بأن إبراهيم بن عيسى (ت ١٣٤٣هـ) في تاريخه، وعبدالله، فلبى في كتابه: تاريخ نجد، وغيرهما من الباحثين حديثًا في حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، أو تاريخ الدولة السعودية الأولى، قد استفادوا من ابن غنام، وعولوا في معلوماتهم عليه؛ فهو أول راصد لتاريخ نجد وأحداثها، لأن من سبقه لا يمتدزون بالتتابع الموضوعي للمنطقة كاملة؛ كما هو منهج ابن غنام.

ولئن كان ابن غنام - وهذا هو المأخذ عليه من كل درس لتاريخه - يعتمد على السجع الممل، وحشده الكلمات المترادفة التي ترسخ هذا السجع المتكلف، فإن ذلك لا يُنقص من قيمة كتابه كمرجع تاريخي لفترة من الزمن عاصرها وسجل أحداثها، ولعله في سجنه هذا، وبحكم علاقته باللغة العربية - لأنه كان أستاذًا لها في الدرعية - قد تأثر بالنثر في العصور الوسطى، إبان ركود

اللغة العربية، وركونها إلى السجع، والاحتفاء بالمحسنات البديعية.

### تاريخه:

لقد أخرج الناشر لكتاب ابن غنام في طبعته الأولى عام ١٣٦٨هـ (عبدالمحسن أبابطين) هذا المؤلف في جزأيه تحت اسم «تاريخ نجد». ولم يكن ابن غنام قد قصد هذه التسمية، إذ أن التسمية الحقيقية للكتاب: «روضة الأفكار والأفهام، لمرتد حل الإمام»، وقصره على حياة الشيخ محمد ورسائله، وحالة نجد والأحساء، وما وقع فيهما من الشرك وغيره.

ثم أتبعه بكتاب آخر سمه: «الغزوات البيئية والفتوحات الربانية»، تعرض فيه لتاريخ الحوادث والغزوات التي واكبت الدعوة الإصلاحية وانتشارها وقيام الدولة السعودية الأولى، ووقف عند عام ١٢١٢هـ.

ولعل الناشر عندما أعطاه هذه التسمية: «تاريخ نجد»: أراد أن يضيف عليه طابعاً مميزاً. وأن يضم الكتابين تحت مسمى واحد، وأن يشمل التسميات المختلفة، فهو يقول: «تاريخ نجد - المسمى: روضة الأفكار والأفهام، لمرتد حل الإمام، وتعداد غزوات ذوي الإسلام»، فكلمة تاريخ نجد وحده تكفي عن هذا الاسم الطويل، ثم إن كلمة «المسمى» تدل على أن الاسم الأول من إطلاق الناشر.

ولا يغرب عن بالذ أن الباحثين قد أطبقوا تسميات متعددة على هذا المؤلف:

١- فيسماعيل باشا في هدية العارفين<sup>(١)</sup> يقول عن ابن غنام: «صنف التاريخ العجيب سمه...» ولا يذكر الاسم.



٢- وابن عبد القادر في تحفة المستفيد<sup>(١)</sup> يقول: «روضة الأفكار فيما كان في نجد من الأخبار».

٣- وابن فاسم في الدرر السنية<sup>(٢)</sup> يقول: «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهو تاريخ الإمام الشيخ حسين بن غنام الأحسائي».

٤- والزركلي يقول في الأعلام<sup>(٣)</sup>: «روضة الأفكار والأفهام، لمرتاد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوي الإسلام».

٥- وعمر رضا كحالة يقول في معجم المؤلفين<sup>(٤)</sup>: «تصنيفه: تاريخ نجد، العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين، روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوي الإسلام». فهنا جعلهما كتابين وليس كتاباً واحداً، وهذا لم يقله غيره.

وفي نظري أن (أبابطين) كناشر قد أحسن صنفاً بهذه التسمية، فهي تسمية مختصرة تنبئ عن محتوى الكتاب.

وقد يكون الناشر استقاه مما تعارف عليه الناس، أو من مسمى تاريخ عثمان بن بشر: «عنوان المجد في تاريخ نجد».

ثم لعل عبدالله فليبي، قد استفاد منهما هذه التسمية عندما سمي مؤلفه عن تاريخ الدولة السعودية: «تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية».

(١) (٢/ ١٠٤).

(٢) (٢/ ٢٥).

(٣) (٢/ ٢٧٤).

(٤) (٣/ ٣١٧).

وعندما نستعرض كتاب ابن غنام فإن القارئ لا يجده كتابًا خالصًا للتاريخ، بل هو:

١- استعراض لحالة نجد والأحساء، وما وقع فيهما من الشرك وغيره قبل قيام الدعوة الإصلاحية على يد الإمامين محمد بن سعود، ومحمد بن عبد الوهاب - رحمهما الله -.

٢- بيان التوحيد وما يجب على كل مسلم، وقد استعرض في ذلك الأحاديث الصحيحة، وآراء بعض السلف؛ كابن تيمية، وأوضح الشرك الأصغر؛ كالحلف بغير الله، في استعراض مستفيض.

٣- رسائل وردود للشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيره في الدفاع عن الدعوة، وتفنيذ الآراء التي تعارضها، وتوضيح معالم الدين الإسلامي، والآراء الصحيحة في شأن القبور، وقصة الخضر وموسى عليهما السلام.

٤- حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ووفاته، وبعض ما قيل في رثائه من أشعر.

٥- استعراض الوقائع والغزوات من عام ١١٦١هـ إلى عام ١٢١٢هـ، كما ذكر السبب الذي حمله على ذلك، وذكر بعض الحوادث لثلاثة أعوام سبقت هذا التاريخ من عام ١١٥٨هـ.

٦ يتخلل موضوعاته بعض القصائد التي قلها حسب المناسبات، ويورد أبياتًا شعرية يسوقها كشواهد لما ينكلم عنه.

وهذه الطريقة التي سار عليها ابن غنام تختلف عن طريقة ابن بشر الذي قصر مؤلفه على الدحية لتاريخية فقط، وهو ما سار عليه ابن عيسى فيما بعد وغيره. ولا ملامه على ابن غنام في طريقته هذه، ذلك أن أسبقينه في التأليف،

وحماسه الديني، وثقافته العربية، هذه المسيبت جعلت حوانبها المختلفة تؤثر في نفسه، فبسجل أحاسيسه عنها في مؤلفه الذي قصد أن يكون تريحياً، وقد درج بعض أوليين قبله على هذه الطريقة، إذ كانت كتب التراث والتاريخ تحظى بكثير من ذلك.

أما عن طبعات هذا الكتاب ومخطوطاته، فقد تكفل كل من الشيخ حمد الجاسر في مجلة العرب<sup>(١)</sup>، وعبدالرحمن بن عبدالطيف آل الشيخ في كتابه: «مشاهير علماء نجد وغيرهم»<sup>(٢)</sup> ببيضاح الطبعات، وما فيها من زيادات أو نقص.

### ابن غنام أدبياً:

ظهر ابن غنام إبان التفتح الفكري في نجد والأحساء، ونشوء العصر الذهبي للأدب والعلم، فهياً تطلعه العلمي، ونبوغه الفكري؛ إلى تبوء مكانة عالية، ألا وهي تدريس اللغة العربية لخيرة علماء الدرعية وأكابرها، فكانت له اليد الطولى كما قال ابن بشر، ويتمثل التراث الأدبي الذي تركه بن غنام نثراً وشعراً في: أسلوبه المسجوع في مؤلفاته، وخاصة الكتاب الذي نحن بصدد، وحرصه على التعمق في المعاني اللفظية، والغوص على الكلمات التي تتلاءم مع سجعته، مدلاً بذلك على مستواه في هذا الجانب.

ومع أننا لم نجد له نثراً فنيّاً مستقلاً يمكن دراسته، وبين منلته الأدبية عني ضوئه... إلا أن الدكتور محمد الشمخ في كتابه «النثر الأدبي في المملكة العربية

(١) (ج ٩ ص ٥٥)

(٢) (١٨٥ - ٢٠١)

السعودية ١٩٠٠ - ١٩٤٥م<sup>(١)</sup>. قال: «لعل كتب التاريخ من أهم المؤلفات التي يمكن لدارس النثر الأدبي أن يجد فيها من النصوص ما يدل على مستوى الأسلوب الكتابي في هذه الحقبة، ذلك لأن هذه المؤلفات كانت تحرر حينئذ بأسلوب يشبه الأسلوب الأدبي، من حيث استخدام السجع وإطلاق العنان أحياناً لسبحات الخيال والعواطف الذاتية».

ثم قوله بعد أن استعرض أنموذجاً لنثر ابن غنام في سرد الوقائع التاريخية ووصفها: «ومن الواضح أن ابن غنام لم يكتف ههنا بتسجيل الأحداث التاريخية، بل أراد أن يصور الخواطر النفسية والصراع الإنساني، وإذا أباح لنفسه كذلك أن يفسر حوادث التاريخ تفسيراً ذاتياً، وأن يضيف إليها ما رأى أن من الممكن أن يقع حدوثه، فقد جاء أسلوبه التاريخي شبيهاً بالأسلوب المحامي، وفي الحقيقة أن القارئ يكاد ينسى ما للحادثة من قيمة تاريخية، وينصرف إلى ما فيها من متعة قصصية، وقيمة أدبية، رغم ما التزمه الكاتب من سجع عاق سلاسة الرواية، وقل من حيويتها. إلا أن أسلوبه قد تميز بالوضوح، واتسم بالقدرة على تصوير المواقف المتأزمة، والصراع النفسي».

فقد كان يقصد في نظري بيان منزلة ابن غنام النثرية، وأن منهجه التاريخي ما هو إلا سلوك منهجي في الأدب برز في طريقة متميزة، مع ثقافة عربية واسعة، وتصوير بديع للمواقف المتأزمة، بعبارات تعطي مدلولاً خاصاً.

وعندما استعرض الدكتور بكري شيخ أمين في كتابه: الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية<sup>(٢)</sup> في الفصل الثاني: التأليف التاريخي - الأدبي<sup>(٣)</sup>.

(١) (ص ٣١ - ٣٣).

(٢) (ص ٦٠٩ - ٦٤٠).

تكلم عرصاً عن ابن غنم؛ كواحد من هؤلاء المؤرخين في عبارة مجملة لا تبني عن رأي خاص فيه.

أما الشعر؛ فإن ابن غنام قد أودع كتابه التاريخي بعضاً منه، كما عرف له أشعار أخرى متنترة يقولها في مناسبات مختلفة، وهي وإن كنت لم تُستوعب في ديوان خاص به، فإنه جدير بالدراسة والجمع.

وأبرز ما يظهر للقارئ في شعر ابن غنم:

١- سعة الخيال، والعمق في الألفاظ والمعاني.

٢- اختيار المناسبات والمشاركة فيها.

٣- الوصف التصويري؛ كما يتضح ذلك في قصيدته الهائية<sup>(١)</sup>، بحيث يتجلى التعبير الملحمي عندما يصف الجيوش والوقائع النازلة على الأعداء، في تصوير معبر عن الحقيقة.

٤- شعوره الديني يتغلب أحياناً على خياله الشعري، فتراه لا يتوسع في خياله التصويري؛ لأن هاجسه الديني وشعوره الوجداني تحركا في نفسه، فانجذب إليهما.

٥- طول النفس، مما يدل على شاعرية متمكنة، وخيال خصب، وثروة لغوية، كما يتراءى ذلك للقارئ من قصيدته الرثية في تهنئة الأمير سعود، والإمام عبدالعزيز - رحمهما الله - بعد قتل ثويني. فهي تبلغ مائة وثمانية عشر بيتاً.

٦- يودع كثيراً من أشعاره معلومات تاريخية ودينية، من باب الاستشهاد والمقدرة.

(١) (٢) / ٧١ من درجته).

وعلى العموم فإن ابن غدم في شعره أمكن وأجزل منه في نثره. ولدا يبرز في نثره خيال الشاعر وأحاسيسه حينما يخاطب فئة معينة من الناس.

أخيراً:

عندما أخذت هذا الكتاب نموذجاً لكتب التراث لدينا؛ فإنني لم أخذه:

١- لندرته، فهو كتب مطبوع، «طبع مرتين».

٢- ولا لأسلوبه التاريخي، واستقصائه للمعلومات، فهو يسلك طريق السجع الممل أحياناً، ولم يستقصِ تاريخ نجد، سواءً منها الأحداث التي سبقته، وسبقت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقيام الدولة السعودية الأولى، أو جميع أحداث وأخبار نجد والجزيرة العربية في عصره هو.

ولكنني اخترته هنا ككتاب من كتب التراث العلمي لنجد والجزيرة العربية للأسباب التالية:

١- أنه يعتبر أهم مصدر يستند إليه الباحثون، وفي مقدمتهم ابن بشر. كمرجع للوقائع التي حدثت وصحبت قيام الدعوة الإصلاحية على يد الإمامين: محمد بن سعود، ومحمد بن عبد الوهاب - رحمهما الله -.

٢- أنه من أهم المراجع التي أنارت الطريق للباحثين حديثاً في حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، باعتبار المؤلف واحداً من تلاميذه.

٣- أن ابن غدم بمؤلفه هذا يُعتبر أول من فتح باب التأليف التاريخي في نجد، وبدأ بذلك عهداً مضيئاً انقشع عن ظمّة دامت قرابة ستة قرون.

ولذا؛ فإنه مهما حصل فيه من أخطاء، ومهما أخذه عليه بعض الدارسين والباحثين من مآخذ، فإنني أعتبرها حسنات، ذلك أن الفضل دائماً للسابق، وأن

من يأتي بعده مسترشد برأيه ، وإذا صح لنا أن نجعل الريادة التاريخية في نجد في شخص معين ، فإن ابن غنام فيما وصل إليه علمي هو الرائد للتأليف التاريخي ، رغم أنه لم يقصر كتابه على التاريخ . وأما امدونات التاريخية التي سبقت ابن غنام فما هي إلا نبذ تاريخية محدودة الوقائع والحوادث .



## جانبان مهمان من تاريخ ابن غنام

من خلال تأملي لتاريخ ابن غنام رحمته، لفت نظري فيه جانبان مهمان، يستحقان اهتمام الباحثين؛ ومن ثمّ التوسع فيهما:

الجانب الأول: أن ابن غنام رحمته قد صاغ تاريخه بأسلوب يفيض حباً وفرحاً بدعوة التوحيد، التي جدها الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته، ونصرها أئمة الدولة السعودية الأولى؛ متمثلاً قوله تعالى: ﴿قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وِرَاجَتَهُ فَيَنْزِلُ عَلَيْهِ رِزْقًا مِّنْ سَمَوَاتِهِ وَيُخْرِجُ مِنْهَا رِجَالًا مُّجَاهِدِينَ لِّدِينِهِ خَاسِرِينَ فِي مَالِهِمْ وَنُفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقُلْ لِّمَنِ الْعَادَةُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالأُولَىٰ وَمَن يُضِلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلٌ﴾. ويظهر هذ بجلاء عند:

١- حديثه المطوّل عن دخول بلاده الأحساء تحت حكم الدولة السعودية، واستبشاره بهذا الأمر، بدءاً من أحداث سنة (١٢٠٨هـ).

٢- حديثه عن حملة ثويني، واستنصار علماء الضلال من أهل الأحساء به؛ لإنقاذ بلادهم من دولة التوحيد، وإيراده لقصيدة أحد المناوئين «ابن فيروز»، ثم رده عليها بقصيدة مطولة<sup>(١)</sup>، مطلعها:

على وجهها الموسوم بالشوم قد خطأ عروس هوى ممقوتة زارت الشطا

٣- إيراده لقصيدته الطويلة<sup>(٢)</sup> المترعة بالفرح والنشوة، التي قلها «في قدوم سعود الحبس بعد قتل ثويني»، ومطلعها:

تلاً لأ نور الحق وانصدع الفجرُ وديجور ليل الشرك مزقه الظهرُ

وهذا يؤكد أن التوفيق إلى الحق، ولزوم صراط الله المستقيم، أمرٌ رباني،

(١) نجده في أحداث سنة ١٢١١هـ.

(٢) نجده في أحداث سنة ١٢١٢هـ.



يمن الله به على من يشاء من عباده، ولا يخضع لعامى الزمان والمكان. فكم من أناس عاشوا بين طهراني أنبياء الله، وفي ديارهم. ولكنهم أعرضوا، واستكبروا عن الحق. ونكصوا على أعقابهم من بعد ما تبين لهم الهدى. وكم من أناس موقفين، لم يحفظوا بروية الأنبياء. ولكنهم آمنوا بما جاؤوا به من عند ربهم، كما أخبر الله عن هذا الأمر بقوله: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾، وقوله: ﴿وَإِذِ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾.

ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته، السلفية، ليست بدعاً من هذا، فقد عادها بعض من هم أقرب إليها نسباً ومكاناً وزماناً، وشرقوا بها<sup>(١)</sup>، وتنقدها غيرهم بقبول حسن، وهم ناوؤا الزمان والنسب عنها، وبينهم وبينها الجبال والوهاد مكان<sup>(٢)</sup>. ومن هؤلاء: ابن غنام رحمته، الذي لم تأخذه حمية الجاهنية لقومه وبلاده على حساب الحق، وإنما دار معه كيفما دار، ولو على حساب وطنه وخلانه، وهكذا الإيمان إذا ما خلطت بشاشته القلوب، فإنه يجعل صاحبه يُجانب مَنْ قال الله تعالى عنهم: ﴿قَدْ إِنْ كَانَ عِبَادُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبُحَارٌ تَحْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَأَلَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾. فرحم الله الشيخ ابن غنام، ورفع درجته، وأعلى ذكره.

بقي أن يقال هنا، مقاله الدكتور عبدالله العثيمين: «ومع أنه - أي ابن غنام - كان متحمساً للدعوة، فإنه لم يتردد في وصف نتائج المعارك؛ سواء كان النصر

(١) انظر ما ذبح لهم في رسالة «المعارضة المحلية لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد»؛ للدكتور محمد بن عبدالله السويصر.

(٢) انظر نمدح لهم في رسالته «إشاد دعوة شيخ محمد بن عبد الوهاب خارج تحريره العربيه»؛ للأسناد محمد كمال جمعة

فيها لمن هو متحمس لهم، أو لخصومهم»<sup>(١)</sup>. وهذا من إنصافه ﷺ.

الجانب الثاني: مجموعة من صور العدل التي تحلت بها دعوة الإمام المحدد ﷺ، وامثلتها الدولة السعودية الأولى في تعاملها مع خصومها. وهي مما ينبغي إبرازه من الباحثين، لاسيما في ظل الدعايات المكثفة ضد هذه الدعوة المباركة، من قبل أناس وجهات يصدق فيهم المثل العربي القائل: «رمتني بدائها وانسلت». حيث عكسوا الأمور، وصوّروا البريء في صورة المتهم، والمتهم في صورة البريء؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْتَسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرَوْهُ بَرِيًّا فَقَدْ أَخْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾.

ثم مقارنة ذلك بما فعله خصوم الدعوة والدولة السعودية الأولى بها عندما تمكنوا، ليظهر التفاوت للمنصفين، ولبحق لأهل هذه الدعوة أن يرددوا:

ملكننا فكان العدل منا سجية فلما ملكتم سال بالدم أبطح  
وحللتم قتل الأسارى و طالما غدونا على الأسرى ثمن ونصفح  
فحسبكم هذا التفاوت بيننا فكل إناء بالذي فيه ينضح  
فمن تلك الصور - وأشير إليها مجرد إشارات - :

١- قول ابن غنام في أحداث سنة ١١٨٧هـ «وأرسل عبد العزيز إلى أهلها - أي الدلم - الذين ناروا، وخرجوا مع دهام وسروا، يدعوهم إلى الرجوع، فلم يكن أحدٌ عنه بمسموع، إلا من تميز بالشر والفساد، وتوغل في طريق العناد، وتسربل بالبغي والإفساد، ففاؤوا إليها وابوا، وقد ربحوا في ذلك وما خبوا، وسكنوا بها فظنوا». فالعقب إنما هو للمسيء، وصاحب الشر والفساد، دون غيره؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَرَوْا زُرَّةً وَزَرَ أُخْرَى﴾.

(١) مرجمات في مصادر التاريخ السعودي (ص ١٩).

٢- قوله في أحداث سنة ١١٩٠هـ: «وفيها: قدم أهل منيخ وأهل الزلفى على الشيخ وعبد العزيز: لأداء السلام، وتجديداً لعهد الإسلام. ووفد معهم سليمان بن عبد الوهاب. ولم يكن له إلى منيخ رجوع وانقلاب. بل حسن له في الدرعية السكنى والمآب. فقبلوا بالقبول والإكرام والبشاشة، وكان من الشيخ إلى أخيه سليمان أعظم تحنن واهتاشاة، فدثر حاله حينئذ وأراشه، ووسّع عليه قوته ومعاشه، وكان هذا شأنه مع غيره. طيب الله في ضريحه مهده وفرشه». وهذا يبين أن هدف الشيخ محمد ومقصده أن يؤوب الناس إلى توحيد رب العالمين. وتحكيم شرعه، دون انحرافات، وأنه يفرح بأوبتهم للحق، ولا يأخذهم بجرائرهم السابقة إذا ما انتهوا عنها وأنابوا، دون فرق بين قريب أو غريب.

٣- قوله في أحداث سنة ١١٩١هـ: «فلما جهد الحصار أهل البلاد - أي حرّمه -، وأضناهم القتال والجلاد، تحققوا أن سعوداً لا يكاد ينصرف عنهم بغير المقصود، وآيسوا من باطل الوسوس والآمال، وجزموا أنهم لا يحصلون عى طائل ولا حل. طلبوا من سعود الدخول في لإسلام والإقبال، وأبدؤا له الندم والأسف والإذلال. فأسقط عنهم النكال، وتلقاهم بالقبول، وكان لهم إلى مرامهم وصول. واشترط عليهم أن ينفوا جميع الأشرار».

٤- قوله في أحداث سنة ١٢٠٧هـ متحدثاً عمّ عمله الإمام سعود في الأحساء. بعد فتحها: «وأمر بالتدريس في جميع الأربعة المذهب، وتأيد كل سائك إلها وداهب. وتعليم العمم ونشره وإحيائه بالمذاكرة فيه، وذكره والتجرد والتحرير في تفهم النوحيد، فقامو فيه بعدم قعدوا. وشمروا في العلوم واجتهدوا، وأقر الأئمة في مساجدها وأكل حصلها وفوائدها. وقرر العلماء في المدارس، فأصبح كرّ في كتب مذهب دارس، فلم يكن منهجها مطموس ولا دارس. وأقر الأحبس والسبل. فلم يصل إلى أربابها خلل».

وقل بحسنة في رده السابق على ابن فيروز:

وقد ولي الأحسا سعوداً فأسعدت مساعيه أهل الخير فانتظموا سمطاً  
 وقرر أرباب الوظائف كلهم وما شاهدوا في كل أوقافهم هبطاً  
 مدارسهم معمورة بعلومهم وما ثبطوا عن نشر أحكامهم ثبطاً  
 وما أبطلت أحكامهم حيثما أتى بإبطاله الشرع الشريف وما أخطأ  
 ولم ينف إلا كل من عمل الردي ومن كان سبباً لمنطقه مسطاً  
 فليس ترى إلا مفيداً وهادياً وعلماً وتحديثاً بهذا تسمع اللغطا  
 وأمر بمعروف وتنكير منكر وتنكيراً من قد قارف الذنب والسخطا  
 وحشا على فعل الصلاة جماعة وتوبيخ من عنها تخلف أو أبطأ  
 فله رب الحمد والشكر دائماً على نعم لم يحص نظمها لها ضبطاً

قلت: وفي هذا خير بيان عن موقف الدعوة السلفية، والدولة السعودية، من المذاهب الفقهية السنية، وأنها لا تعترض عليها، بل تؤازرها، وإنما اعترضها على البدع والمنكرات، مع حثها المسممين على اتباع الدليل الشرعي، وإن خالف المذهب الفقهي - كما هو معلوم -.

٥ - قوله في أحداث سنة ١٢١٢هـ: «وخاضت البحر بمحمد بن ديماس فرسه مسرعة، فدعي عند ذلك بالأمان، لكونه لم يعرفه من المسلمين إنسان، فأقبل بعد ذلك سريعاً، ونال ذلاً شنيعاً، فقيّد وأُسِرَ بعدما ملّك وقهر، ثم بعد صدور القضية، أتى به منع إمّ المسلمين في الدرعية، فحاول على قتله حجة شرعية، وطريقاً يري ذمته عند رب البرية. فكأنه، حرس الله تعالى من المكروه مهجته، وأدام توفيقه ونعمه وبهجته، تورّع في المسرعة إلى قتله، مع ما صدر من قبيح فعله، فقد كان وقافاً عند الحدود، وكان يدرؤها بالشبه كما للنص بذلك ورود».

٦- أن ولاية أمر الدولة السعودية الأولى كانوا يُبفون حكام البلاد التي تدين لدين الله بلولاء. وترضى بالتزام السريع، على حكمهم. دون أي مضافة أو مصادرة؛ لأن هدف أولئك الكرام أن تخضع تلك البلاد لشريعة رب الأرباب. بغض النظر عن حاكمها من يكون؛ كما فعلوا في حريملاء وحرمه وغيرها. بل وصلوا في تسامحهم وعدلهم إلى أن أبقوا من بذل غاية جهده في منوأتهم على حكمه؛ كالشريف غالب بن مساعد، الذي أبقوه على حكم مكة، رغم جلالة الطويل، وعداوته الظهرة لهم. وكذلك أبقوا الشيعي أحمد بن غانم على حكم بلاده القطيف، مادام قد رضي بالدخول تحت حكم الشريعة في الظاهر. وقد اعترف بهذا: المعارض الشيعي المعاصر حمزة الحسن، في كتابه «الشيعية في المملكة العربية السعودية»<sup>(١)</sup>، رغم حقه الواضح على الدولة السعودية، فقال: «وفي القطيف، التي تُعتبر إقليمًا منفصلًا عن الأحساء، بقيت الزعامة الشيعية السياسية التي كانت منحصرة في بيت آل غانم، حيث أبقى الأمير عبدالعزيز أحمد بن غانم حاكمًا للقطيف، وفي عهد سعود الكبير استمر أحمد بن غانم في الحكم، وفي عهد عبدالله بن سعود كان الحكم القطيفي هو إبراهيم بن غانم». فعمل الباحثين المهتمين يتوسعون في عرض الجانبين السابقين؛ لأهميتهما في إنصاف الدولة السعودية الأولى، ودفع ما لحقها من شبهات الخصوم، وافتراءاتهم.



## قواعد مهمة عن دعوة الشيخ

محمد بن عبد الوهاب السلفية، وخصومها

(١) الطعن في دعوة الشيخ ليس بالأمر الجديد

إن الطعن في دعوة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمته ليس وليد الساعة، إنما بدأ منذ أن خالف الإمام عقائد المنحرفين في عصره، وجهر بدعوة التوحيد، وفي هذا يقول رحمته في رسالته لعلماء البند الحرام: «سلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ وبعد: جرى علينا من الفتنة ما بلغكم وبلغ غيركم. وسببه هدم بناء في أرض على قبور الصالحين، ومع هذا نهيناهم عن دعوة الصالحين، وأمرناهم بإخلاص الدعاء لله، فلما أظهرت هذه المسألة مع ما ذكرنا من هدم البناء على القبور، كبر على العامة، وعاضدهم بعض من يدعي العلم؛ لأسباب ما تخفى على مثلكم، أعظمها اتباع الهوى، مع أسباب آخر فأشعوا عند أن نسب الصالحين، وأنا على غير جادة العلماء، ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغرب، وذكروا عنا أشياء يستحي العقل من ذكرها»<sup>(١)</sup>.

ولطلاب الحق أن يطالعوا هذه الرسائل المهمة: «عقيدة شيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العلم الإسلامي» للشيخ صالح العبود، «دعوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» للدكتور عبدالعزيز آل عبد اللطيف، «إسلامية لا وهابية» للشيخ ناصر العقل، «الشيخ محمد بن عبد الوهاب المجدد المفتري عليه» للشيخ أحمد بن حنبل بن حنبل بن حنبل، «محمد

(١) الدرر السنية (١ ٥٧) وستأتي ضمن تاريخ من عدم إر شاء الله .

من عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتري عليه» للأستاذ مسعود الدوي، و«كشف الأكاذيب والشبهات عن دعوة المصلح الإمام محمد بن عبد الوهاب» للأستاذ صلاح آل الشيخ.

## (٢) الحوار لا ينبغي أن يكون عن وجود «التكفير»، إنما يكون عن أسبابه

إن الشيخ رحمه الله وأتباع دعوة التوحيد مع خصومهم - قديمًا وحديثًا - يدورون في حلقة مفرغة، وجدال عقيم؛ عندما يتهمونه وأتباعه أنهم يكفرون المسلمين أو أن عندهم غلوًا في التكفير.. الخ تهمهم؛ لأنه سيرد عليهم بأنه يبرأ من ذلك كله، وإنما هو يكفر من وقع في الشرك الأكبر

فالخلاف بينه وبينهم ينبغي أن لا يكون في وجود «التكفير»؛ لأنه لا إسلام دون تكفير من يستحق التكفير - لو كان الخصوم يعقلون -، ونصوص الكتاب والسنة حافلة بهذا، وكتب فقهاء الإسلام لا يخلو واحد منها من «كتب الردة»، يوردون فيه الأمور التي إذا ما قلها أو فعلها المسلم فقد ارتكب ناقضًا يُخرجه من الإسلام - كما سيأتي -، إذن؛ فالخلاف ينبغي أن يكون في حقيقة من كفرهم الشيخ؛ هل هم مسلمون؟ أو أنهم نقضوا إسلامهم بما ارتكبوه من أقوال أو أعمال شركية؟

فينبغي أن تنصرف جهود خصوم الشيخ - ومن وافقهم - إلى إثبات أن من كفرهم الشيخ مسلمون - رغم صرفهم أنواعًا من العبادة لغير الله؛ من نذر أو ذبح أو دعاء.. الخ.

هاهنا المعترك بين الشيخ وخصومه.

أما الصياح بأن الشيخ كفر هؤلاء أو قاتل أولئك، والاعتقاد بأنهم بهذا أقاموا الحجة على أن دعوة الشيخ «فيها غلوٌ في التكفير»! فهذا سذاحه وحهل. لأن

الشيخ وعلماء دعوته لم يُكروا هذا كله - رغم التزبدات والفهم السقيم حتى «يفرح» البعض بالعثور عليه! بل هم يقرون ما ثبت منه، ولا يعدونه مذمة مادام مرجعه الأدلة الشرعية -.

فالخلاف ينبغي أن يكون في: «هل يستحق هؤلاء المكفرين» أن يُحكم عليهم بذلك، أو لا يستحقون؟! ويكون المرجع في هذا: الأدلة الشرعية بفهم سلف الأمة، لا مجرد العواطف والأمانى التي يعقبها «التبكي».

(٣) عند المخالفين: من قال «لا إله إلا الله» فقد برئ من الكفر مهما ارتكب من النواقض!

ظن المخالفون للشيخ أن من قال: لا إله إلا الله لا يكفر. ولو لم يعمل بمقتضاها، ويقولون إن الذين قاتلهم الرسول ﷺ وكفّرهم، ونزل فيهم القرآن، لا يشهدون أن (لا إله إلا الله) فكيف يُجعل أولئك المشركون الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله مثل الذي يقولها ويصلي ويصوم؟ ولأن هذه المسألة من أهم المسائل التي إذا ما عاها المسلم وفهمها حق الفهم يقن افتراء الخصوم على دعوة الشيخ، وعدم فهمهم لحقيقة التوحيد الذي جاء به محمد ﷺ؛ فإليك نقولاً مفيدة للشيخ - الذي أولاها الأهمية - ولبعض علماء الدعوة وغيرهم:

هذه الشبهة أوردت على لإمام محمد بن عبد الوهاب، وتولى الإجابة عليها بنفسه. قال رحمه الله ما نصه: «اعلم أن لهؤلاء شبهة. يوردونها على ما ذكرنا. وهي من أعظم شبههم، فأصغ سمعك لجوابها. وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن، لا يشهدون أن (لا إله إلا الله)، ويكذبون الرسول ﷺ. وينكرون البعث، ويكذبون القرآن، ويجعلونه سحراً، ونحن شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. ونصدق القرآن. ونؤمن بالبعث. ونصلي. ونصوم،



فكيف تجعلون مثل أولئك؟ فالجواب: أنه لا خلاف بين العلماء كلهم، أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شيء، وكذبه في شيء، أنه كفر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن، وجحد بعضه، كمن أقر بالوحييد، وجحد وجوب الركعة، أو أقر بهذا كله، وجحد الصوم، أو أقر بهذا كله، وجحد الحج.

ولما لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ للحج، أنزل الله في حقهم ﴿فِيهِ ءَايَاتٌ يَبَيِّنُ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِيَعْلَمَ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ عَلِيمٌ﴾، ومن أقر بهذا كله، وجحد البعث، كفر بالإجماع، وحل دمه وماله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾، فإذا كان الله قد صرح في كتابه، أن من آمن ببعض، وكفر ببعض، فهو الكافر حقًا، وأنه يستحق م ذكر، زالت الشبهة، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء، في كتابه الذي أرسله إلينا.

ويقال أيضًا: إن كنت تقر أن من صدق الرسول ﷺ في كل شيء، وجحد وجوب الصلاة، أنه كفر حلال الدم والمال بالإجماع، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان، وصدق بذلك كله، لا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن كما قدمنا.

فمعلوم أن التوحيد هم أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج، فكيف إذا ححد الإنسان شيئًا من هذه الأمور كفر ونو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر؟ سبحان الله، ما أعجب هذا الجهر! ويقال أيضًا: هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ، قاتلوا بني حنيفة، وقد أسدمو، مع النبي ﷺ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويؤذنون، ويصلون.

فإن قال إنهم يقولون: إن مسيلمة نبي، فقل: هذا هو المطلوب، إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النبي ﷺ كفر، وحل ماله ودمه، ولم تنفعه الشهادتان، ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمسان، أو يوسف؟ أو صحباً، أو نبياً إلى مرتبة جبار السماوات والأرض؟ سبحان الله ما أعظم شأنه ﴿كَذَلِكَ يَطْعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

ويقال أيضاً: الذين حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار، كلهم يدعون الإسلام، وهم من أصحاب عبي، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان<sup>(١)</sup> وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟ أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين؟ أم تظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في علي بن أبي طالب يكفر؟

ويقال أيضاً: بنو عبید القداح<sup>(٢)</sup>، الذين ملكوا المغرب في زمان بني العباس، كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويدعون الإسلام، ويصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء، دون ما نحن فيه، أجمع العلماء على كفرهم وقتلهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون، حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

ويقال أيضاً: إذا كان الأولون لم يكفروا إلا أنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول والقرآن وإنكار البعث وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكره العلماء في كل مذهب: (باب حكم المرتد)، وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، ثم

(١) سيأتي أنهم من لأشخاص الذين كان لناس يعلون فيهم زمن الشيخ رحمه الله.

(٢) أي: العبيدين، وسموهم حصاً لفطيمير وسيأتي شي من أقوال العلماء فيهم. إن شاء الله.

ذكروا أنواعًا كثيرة كل نوع يكفر ويحل دم الرجل وماله، حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها. مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمه يذكرها على وجه المزح واللعب.

ويقال أيضًا: الذين قال الله فيهم ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾، أما سمعت الله كفرهم بكلمة، مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ، ويجاهدون معه، ويصلون، ويزكون ويحجون ويوحدون.

وكذلك الذين قال الله فيهم ﴿لَا تَعْتَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، فهؤلاء الذين صرح الله فيهم أنهم كفروا بعد إيمانهم، وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح.

فتأمل هذه الشبهة، وهي قولهم: تكفرون من المسلمين أناسًا يشهدون أن لا إله إلا الله، ويصلون ويصومون، ثم تأمل جوابها، فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق... إلى أن قال: وللمشركين شبهة أخرى: يقولون إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال لا إله إلا الله، وكذلك قوله «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»، وأحاديث آخر في الكف عمن قالها.

ومراد هؤلاء الجبهة: أن من قالها لا يكفر. ولا يُقتل، ولو فعل ما فعل. فيقال لهؤلاء المشركين الجهال: معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود، وسباهم، وهم يقولون لا إله إلا الله.

وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويصلون ويدعون الإسلام.

وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار، وهؤلاء الجبهة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل، ولو قال لا إله إلا الله، وأد من جحد شيئًا من أركان

الإسلام كفر وقُتل، ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا حذر فرعا من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد، الذي هو أصل دين الرسل ورأسه؟ ولكن أعداء الله ما فهموا الأحاديث.

فأما حديث أسامة: فإنه قتل رجلاً ادّعى الإسلام، بسبب أنه ظن أنه ما ادّعى الإسلام إلا خوفاً على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام: وجب الكف عنه، حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله تعالى في ذلك ﴿يَكْفُرُ بِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾، أي: فتثبتوا، فلاية تدل: على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قُتل، لقوله تعالى ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾، ولو كان لا يُقتل إذا قالها، لم يكن للتثبت معنى.

وكذلك الحديث الآخر وأمثله، معناه ما ذكرناه أن: من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه، إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك. والدليل على هذا أن رسول الله ﷺ قال: أقننته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟ وقل: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، هو الذي قال في الخوارج «أينما لقيتموهم فاقتلوهم، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد». مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلاً وتسييحاً، حتى إن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحبة، فلم تنفعهم لا إله إلا الله، ولا كثرة العبادة، ولا ادعاء الإسلام، لما ظهر منهم مخالفة الشريعة»<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ عبدالله أب بطين رحمه الله: «من أعظم المصائب إعراض أكثر الناس عن النظر في معنى هذه الكلمة العظيمة - أي لا إله إلا الله -، حتى صار كثير منهم يقول: من قال لا إله إلا الله ما نقرب فيه شيئاً وإن فعل ما فعل! لعدم

(١) كشف نسيهات (ص ٥١ ٦٥)، وسنأتي الرسالة كاملة في تاريخ ابن غنم إن شاء الله.

معرفتهم بهذه الكلمة نفياً وإثباتاً. مع أن قائل ذلك لابد أن يتناقض، فهو قيل له: ما تقول فيمن قال: لا إله إلا الله. ولا يُقر برسالة محمد بن عبدالله؟ ثم يتوقف في تكفيره. أو أقر بالشهادتين وأنكر البعث؟ لم يتوقف في تكفيره. أو استحل الزنا أو اللواط أو نحوهما، أو قال إن الصدقات الخمس ليست بفرض، أو أن صيام رمضان ليس بفرض؟ فلا بد أن يقول بكفر من قال ذلك. فكيف لا تنفعه لا إله إلا الله ولا تحول بينه وبين الكفر؟! فإذا ارتكب ما يناقضها؛ وهو عبادة غير الله، وهو الشرك الأكبر الذي هو أكبر الذنوب، قيل: هو يقول لا إله إلا الله، ولا يجوز تكفيره!!».

وقال - أيضاً رحمه الله: «ولازم قول من قال: إنه لا يجوز قتال من قال لا إله إلا الله. تخطئة أصحاب رسول الله ﷺ في قتالهم منعي الزكاة، وإجماعهم على قتال من لا يصلي إذا كانوا طائفة ممتنعين. بل يلزم من ذلك تخطئة جميع الصحابة في قتالهم بني حنيفة، وتخطئة علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قتال الخوارج، بل لازم ذلك رد النصوص بل رد نصوص القرآن كما قدمنا، ورد نصوص رسول الله ﷺ التي لا تحصي، ويلزم صاحب هذه المقالة الفاسدة أنه لا يجوز قتل اليهود لأنهم يقولون لا إله إلا الله!! فتبين بما قررناه أن صاحب هذا القول مخالف للكتاب والسنة والإجماع»<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله: «وقد غلط كثير من المشركين في هذه الأعصار، وظنوا أن من كفر من تلفظ بالشهادتين فهو من الخوارج، وليس كذلك؛ بل التلفظ بالشهادتين لا يكون مانعاً من التكفير إلا لمن عرف معناه، وعمل بمقتضاهما، وأخلص العبادة لله، ولم يشرك به سواه. فهذا تنفعه الشهادتان.

وأما من فالهم ولم يحصل انقياد لمقتضاهما، بل أشرك بالله، واتخذ الوسيط والشفعاء من دون الله، وطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله، وقرب لهم القرابين، وفعل لهم ما يفعله أهل الجاهلية من المشركين، فهذا لا تنفعه الشهاداتان بل هو كاذب في شهادته، كما قل تعالى: ﴿إِذْ جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَأَنَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾.

ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله هو: عبادة الله، وترك عبادة ما سواه، فمن استكبر عن عبادته ولم يعبد؛ فليس ممن يشهد أن لا إله إلا الله، ومن عبده وعبد معه غيره؛ فليس هو ممن يشهد أن لا إله إلا الله<sup>(١)</sup>.

وقل ﷺ راداً على من تشرب قلبه هذه الشبهة:

«وأما قوله: ومن تسمى بالإسلام، وأحب محمداً سيد الأنام، وأحب أصحابه الكرام، واتبع العلماء الأعلام، لا يكفر أحداً من سائر المسلمين، فضلاً عن هدايتهم في الدين، النهم إلا أن يكون من الغلاة الذين أسقطوا حرمة «لا إله إلا الله» وسوّل لهم الشيطان وأملى لهم، حيث استباحوا دماء المسلمين إلى آخر رسالته.

فيقال في جوابه: هذا الجاهل يظن أن من أشرك بالله واتخذ معه الأنداد والآلهة، ودعاهم مع الله لتفريج الكربات وإغاثة اللهفات، يحكم عليه والحال هذه بأنه من المسلمين؛ لأنه يتلفظ بالشهادتين، ومنقضتهما لا تضره، ولا توجب عند كفره، فمن كفره فهو من الغلاة الذين أسقطوا حرمة «لا إله إلا الله» وهذا القول مخالف لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة.

قل شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «من جعل بينه وبين الله وسائط، يدعوهم



وأعظم حق الإسلام وأصحه الأصيل هو . عبادة الله وحده ، والكفر بما يعبد من دونه ، وهذا هو الذي دلت عليه كلمة الإخلاص ، فمن قالها وعبد غير الله ، أو استكبر عن عبادة الله فهو مكذب لنفسه ، شاهد عليها بالكفر والإشراك .

وقد عقد كل طائفة من أتباع الأئمة في كتب الفقه باب مستقلاً في حكم المرتد ، وذكروا أشياء كثيرة يكفر بها الإنسان ، ولو كان يشهد أن لا إله إلا الله ، وقد قال تعالى في النفر الذين قالوا في غزوة تبوك بعض القول الذي فيه ذم لرسول الله ﷺ ومن معه من أصحابه : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخَوْضُ وَلَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۚ لَا تَعْلَمُونَ ۚ قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ فَكُفِّرْهُمْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ بِالْأَسْهَاءِ وَلَوْ كُنْ عَلَى وَجْهِ الْمَرْحِ وَاللَّعِبِ . وَلَمْ يَمْنَعْ ذَلِكَ قَوْلَهُمْ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» .

وكذلك : إجماع الأمة على كفر من صدق مسيلمة الكذاب ، ولو شهد «أن لا إله إلا الله» وقد كفر الصحابة أهل مسجد بالكوفة بكلمة ذكرت عنهم في احتمال صدق مسيلمة ، ولم يلتفت أصحاب رسول الله ﷺ إلى أنهم يشهدون «أن لا إله إلا الله» . لأنه قد وجد منهم ما ينافيها : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ وبالجحمة فالذي يقوم بحرمة «لا إله إلا الله» : هم الذين جاهدوا الناس عليها ، ودعواهم إلى التزامها علماً وعملاً . كما هي طريقة رسل الله وأنبيائه ، ومن تبعهم بإحسان ، كشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى - وأما من أباح الشرك بالله وعبادة غيره ، وتولى المشركين ، وذبح عنهم ، وعادى الموحدين وتبرأ منهم فهو الذي أسقط حرمة (لا إله إلا الله) . ولم يعظمها ، ولا قام بحققها ، ولو زعم أنه من أهلها القائمين بحرماتها<sup>(١)</sup> .

(١) المرجع السابق (٢ / ٩٦٩ ٩٧٢)



وقال - أيضًا رحمه الله: «وقد رأيت لبعض المعاصرين كتبًا يعارض به ما قرر شيخنا من أصول الملة والدير؛ ويجادل بمنع تصليح عبّاد الأولياء والصالحين، ويناضل عن علالة الرافضة والمشرّكين، الذين أنزلوا العبد بمنزلة الله رب العالمين، وأكثر النشيبه بأنهم من الأمة، وأنهم يقولون: لا إله إلا الله، وأنهم يصلون ويصومون، ونسي في ذلك عهد الحمى؛ وما قرّره كافة الراسخين من العلماء، وأجمع عليه الموافق والمخالف من الجمهور والدهماء، ونصّر عليه الأكابر والخواص، من اشتراط العلم والعمل في الإتيان بكلمة الإخلاص، والحكم بموجب الردة على فاعل ذلك من سائر العبيد والأشخاص، وسمّى كتابه: «جلاء الغمة عن تكفير هذه الأمة»، ومراده بالأمة هنا: من عبد آل البيت وغلا فيهم، وعبد الصالحين ودعاهم، واستغاث بهم؛ وجعلهم وسائط بينه وبين الله يدعوههم ويتوكل عليهم!! هذا مراده ولكنه أوقع عليهم لفظ الأمة ترويجًا على الأغمار والجهال، ولبسًا للحق بالباطل، وهو يعلم ذلك وسيجزيه الله ما وعد به أمثاله من المفترين. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْوَعْلَ سَيِّئًا هُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذُلٌّ فِي الْخَيَاطَةِ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾، فلكل مفتر نصيب منها بحسب جرمه وعلى قدر ذنبه، وقد رأيت على هذا الرجل من الذلة والمهانة مدة حياته ما هو ظاهر بين يعرفه من عرفه»<sup>(١)</sup>.

وقال رحمه الله: «إن الشيخ إنما كفر وقتل وأخذ الأموال بأحداث لا تزال موجودة في الأمة تقلّ وتكثر، وأنها لا يكفر بها أحد. وأن تكفير الصحابة لمن كفّروه من أهل الردة على اختلافهم. وتكفير علي للغلاة، وتكفيره للسحرة وقتلهم. وتكفير من بعدهم للقدرية وسجّوهم، وتكفير من بعد أولئك للجهمية.

(١) مصحح لطلاء (ص ٤٣)

وقتلهم للجعد بن درهم وجهم بن صفوان ومن على رأيهم، وقتلهم للزنادقة، وهكذا في كل قرن وعصر من أهل العلم والفقه والحديث طائفة قائمة تكفر من كفره الله ورسوله، وقام الدليل على كفره لا يتحاشون عن ذلك؛ بل يروونه من واجبات الدين وقواعد الإسلام وفي الحديث: «من بدل دينه فاقتلوه»، وبعض العلماء يرى أن هذا، والجهد عليه ركن لا يتم الإسلام بدونه.

وقد سلك سبيلهم الأئمة الأربعة المقلدون، وأتباعهم في كل عصر ومصر، وكفروا طوائف من أهل الأحداث، كالقرامطة والباطنية، وكفروا العبيدين ملوك مصر وقتلواهم، وهم يبنون المساجد، ويصلون ويؤذنون، ويدعون نصرة أهل البيت، وصنف ابن الجوزي كتاباً سماه «النصر على مصر» ذكر فيه وجوب قتالهم، وردتهم.

وقد عقد الفقهاء في كل كتاب من كتب الفقه المصنفة على مذاهبهم، أبواباً مستقلة في حكم أهل الأحداث التي توجب الردة، وسماه: باب الردة، وأكثرهم عرفوا المرتد: بأنه الذي يكفر بعد إسلامه، وذكروا أشياء دون ما نحن فيه من المكفرات حكموا بكفر فاعلها، وإن صلى وصام، وزعم أنه مسلم. قال الشيخ عثمان الحنبلي صاحب «حاشية المنتهى» في عقيدته: تنمى: الإسلام: الإتيان بالشهادتين مع اعتقادهما والتزام الأركان الخمسة إذا تعينت وتصديق الرسول ﷺ فيما جاء به: ومن جحد ما لا يتم الإسلام بدونه، أو جحد حكماً ظاهراً، أجمع على تحريمه أو حله إجماعاً قطعياً، أو ثبت جزئاً كتحریم لحم الخنزير، أو حل خبز، ونحوهما كفر، أو فعل كبيرة، وهي ما فيها حد في الدن، أو وعيد في الآخرة، أو داوم على صغيرة - وهي ما عدا ذلك - فسق. انتهى.

وهذا يعرفه صغار الطلبة فضلاً عن العلماء الممارسين.

وهذا، الأحمق يعدُّ هذا باباً ضيقاً، ويسفه رأي الأئمة وعلماء الأمة ويجهلهم.

وهو يزعم أنه ينصرهم. وما أحسن ما قيل: «لأن بعدي المرء عاقلاً خير له من أن يكون له صديق أحمق». والباب الذي يسع كل أحد هو الباب الشرعي. الذي عنه الداعي النبوي. وأما إهمال الجهاد، وعدم تكفير المرتدين، ومن عدل بربه، واتخذ معه الأنداد والآلهة، فهذا إنما يسلكه من لم يؤمن بالله ورسوله، ولم يُعَظَّم أمره، ولم يسلك صراطه، ولم يقدر الله ورسوله حق قدره، بل ولا قَدَّر علماء الأمة وأئمتها حق قدرهم، وهذا هو الحرج والضيق. قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾. والجهاد للمارقين ولمرتدين وتكفيرهم داخل في مسمى الإسلام، بل هو من أركانه العشرة، كما نصَّ عليه بعض المحققين. وفي الحديث: «وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله» فلا ينشرح له ويراه حقاً وواسعاً إلا صدر من أراد الله هدايته وتوفيقه، ويراه ضيقاً حرجاً من أراد الله أن يضلّه ويخزيه بين عباده المؤمنين. هكذا يقرر الكلام هنا والقول في هذا الموضوع، لا ما زعمه من خسف الله قلبه، فعكس القضية، وراغم الأدلة الشرعية، والقوانين المحمدية، فبعداً لفوم لا يؤمنون. وأما قوله: (إن تكفيرها حذر منه نبيها ﷺ غية التحذير).

فيقال: إن زعمت أن النبي ﷺ حذر عن تكفير من أتى ما يوجب الكفر ويقتضيه ممن بدّل دينه، فهذا مكابرة وجحد للضروريات والحسيّات، وقائله إلى أن يعالج عقله أحوج منه إلى تلاوة الآيات والأحاديث، وحكاية الإجماع، وفعل الأمة طبقة طبقة وقرناً قرناً. وإن أراد أن النهي عن تكفير عموم الأمة وجميعها: فهذا لم يقله أحد، ولم نسمع به عن مارق ولا مبندع، وهل يقول هذا من له عقل يدرك به ويعرف ما في الأمة من العمى والإيمان والدين؟ وأما بعض الأمة فلا مانع من تكفير من فام الدليل على كفره كني حنيفة، وسائر أهل الردة في زمن أبي بكر، وغلاة الفدرية والمارقين الذين مرقوا في زمن علي رضي الله عنه وغلوا

فيه. وهكذا الحال في كل وقت وزمان، ولولا ذلك لبطل الجهاد وترك الكلام في أهل الردة وأحكامهم، وفي هذا القول ما تقدم من تسفيه جميع الأمة. وتجهيل علمائها الذين كفّروا بكثير من الأحداث والمكفّرات، وفيه أنهم لم يسلكوا الطريق الواسع، ولم يفهموا الحديث عن نبيهم. وبالجملّة: فهذا المعترض ممّوه بلفظ الأمة مُنَبَّسٌ<sup>(١)</sup>.

وقال رحمه الله: «واعلم أن هذا المعترض لم يتصور حقيقة الإسلام والتوحيد؛ بل ظن أنه مجرد قول بلا معرفة ولا اعتقاد. وإلا فالتصريح بالشهادتين والإتيان بهما ظاهرًا هو نفس التصريح بالعداوة والبغضاء، وما أحسن ما قيل: وكم من عائب قولًا صحيحًا وآفته من الفهم السقيم.

ولأجل عدم تصويره أنكر هذا، وردّ إلحاق المشركين في هذه الأزمان بالمشركين الأولين. ومنع إعطاء النظر حكم نظيره، وإجراء الحكم مع علته، واعتقد أن من عبد الصالحين ودعاهم وتوكل عليهم وقرب لهم القرابين مسم من هذه الأمة. لأنه يشهد أن لا إله إلا الله ويبنّي المساجد ويصلي، وأن ذلك يكفي في الحكم بالإسلام ولو فعل ما فعل من الشراكات<sup>(٢)</sup> وحينئذٍ فالكلام مع هذا وأمثاله في بيان الشرك الذي حرمه الله ورسوله، وحكم بأنه لا يغفر، وأن الجنة حرام على أهله، وفي بيان الإيمان والتوحيد الذي جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب. وحرم أهله على النار، فإذا عرف هذا وتصوره تبسّ له: أن الحكم يدور مع عنته. وبطل اعتراضه من أصله، وانهدم بناؤه<sup>(٢)</sup>.

وقال رحمه الله موحهاً حديثه إلى أحد المناوئين: «م تقول في الغالية الذين حرّقهم

(١) المرجع السابق (ص ٥٩ - ٦٣).

(٢) المرجع السابق (ص ٧٢ - ٧٣).

علي ابن أبي طالب عليه السلام بمشهد من أصحاب رسول الله ﷺ ؟ ! أهم من الثنتين والسبعين فرقة أم لا ؟ وما تقول في مانعي الزكاة الدين قاتلهم الصدوق وأجمعت الصحابة على تكفيرهم . أهم من الثنتين والسبعين فرقة أم لا ؟ وكذلك بنو حنيفة ، وبنو عبيد القداح موك مصر والمغرب . فإن دخلوا في الثنتين والسبعين فرقة بطل تأسيسك وانهدم أصلك الفاسد ، وإن لم يدخلوا كما هو الصحيح بطل إدخالك أمثالهم من عبّاد القبور في مسمى الأمة في هذا الحديث ، وثبت أن من الفرق من يخرج عن الملة ويرتد بما خالف فيه من نحلته <sup>(١)</sup> .

وقال الشيخ أحمد بن حجر آل بو طامي : «ونحن نسأل هؤلاء المنتقدين : ما حكم من تشهد بالشهادتين وصلى وصم وحج البيت الحرام وكثيراً ما تصدق على الفقراء والمساكين ويعمل أعمال البر ، ولكن أخذ ورقة من أوراق المصحف الشريف وألقاها في القاذورات وهو يعرف أن هذا لا يجوز ، بل هذا كفر ولكنه عمل هذا مع أنه قد أتى بتلك الأعمال الجليلة كما سبق ذكره .

فما يكون موقف هؤلاء ؟ هل يقولون إنه مسلم لأنه تشهد بالشهادتين وصلى وصام ؟ أو يقولون إنه كافر ؟ فإن قالوا هو مسلم فقد خالفوا الإسلام وإجماع المسلمين . وسأورد للقارئ من نصوص العلماء ما يبين خطأهم وضلالهم . وإن قالوا كافر فقد نقضوا قولهم وانهار أساسهم حيث أنهم خطأوا الوهايين على زعمهم وبدعواهم لأنهم يكفرون من يستغيث بغير الله ، أو ينذر بغير الله ولم يراعوا أنه تشهد بكلمة الشهادتين . فهاهم كفروا من كن مسلماً على زعمهم ولم يلتفتوا إلى قوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . ولم تشفع له أعماله الجليلة عندهم .

(١) المرجع السابق (ص ٥٢٤ ٥٢٥)

وهو أن ذا أنقل للفراء من كلام العلماء أتباع المذاهب الأربعة في تكفير من أتى بشيء مما سيأتي بيانه» - ثم ذكر ما تيسر منها - (١).

#### (٤) عدم فهم المخالفين حقيقة العبادة

إن المناوئين لدعوة الشيخ يعترفون أن الشرك الذي حرّمه الله ﷻ هو صرف «العبادة» لغير الله، ولكنهم يُخرجون بعض أفرادها؛ كالدعاء أو الذبح أو النذر. وهم بهذا وقعوا في جهل وتناقض؛ جهل بحقيقة العبادة ومعناها، وتناقض عندما فرقوا بين المتماثلات.

وفي هذا يقول الشيخ عبدالله أبا بطين رحمته عن أحد هؤلاء الخصوم: «فإنه مع اعترافه بأن الشرك الذي حرّمه الله هو الشرك في العبادة، لا يعرف حد العبادة وحقيقتها، وربما قال: العبادة التي صرفها لغير الله شرك: الصلاة والسجود. فإذا طُلب منه الدليل على أن الله سمى الصلاة لغيره أو السجود لغيره شركًا، لم يجده، وربما قال: لأن ذلك خضوع، والخضوع لغير الله شرك! فيقال له: هل تجد في القرآن أو السنة تسمية هذا الخضوع شركًا؟ فلا يجده. فيلزمه أن يقول: لأنه عبادة لغير الله. فيقال: وكذلك الدعاء والذبح والنذر عبادات، مع ما يلزم هذه العبادات من أعمال القلوب: من الذل والخضوع والحب والتعظيم والتوكل والخوف والرجاء وغير ذلك» (٢).

(٥) خلط المناوئين للشيخ بين «التوسل» البدعي والشركي! ثم افتراءهم على الشيخ أنه يكفر بالأول!

إن المناوئين لدعوة الشيخ بخلطون بين «التوسل» البدعي المختلف فيه، وبين

(١) شيخ محمد بن عبد الوهاب، لمحدد المفرد عليه (ص ٩٣ - ٩٤).

(٢) لا تنصار لحرب الله لموحدين (ص ٥٠).

«الاستغاثة» أو «الشفاعة» الشريكة؛ تليست على المسلمين؛ فسمون الثاني باسم الأول؛ ثم يصيغون لهذا الخلط والتليس افتراء وبهتاناً على الشيخ أنه يكفر «المتوسل»! فيظن المسممون ويصدقون أنه يكفر من وقع في توسل المختلف فيه، وهذا ما يريده الخصوم!

يقول الدكتور عبدالعزيز آل عبداللطيف في رسالته «دعوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب»: لقد استغل الخصوم هذا الإجمال والاشتراك في لفظ التوسل، فقبلوا الحقائق، وأجازوا دعاء الموتى، والاستغاثة بهم باسم التوسل، ثم زعموا أن الشيخ الإمام يكفر من توسل بالأنبياء والصالحين!! إن الشيخ الإمام كفر من استغاث بالأموات سواء كانوا أنبياء أو أولياء ولو سميت تلك الاستغاثة توسلاً، فالعبرة بالحقائق والمعاني وليست بالأسماء والمباني، فالتوسل عند عبّاد القبور يطبقونه على الاستغاثة بالموتى وطلب الحاجات منهم - كما تقدم -.

وأما دعوى أن الشيخ كفر من توسل بالصالحين، بمعنى سؤال الله بجاه هؤلاء الصالحين؛ فقد أجاب الشيخ الإمام على تلك الدعوى - ردّاً على ابن سحيم - فقال: «فالمسائل التي شنع بها، منها ما هو من البهتان الظاهر - وذكر الشيخ الإمام منها - قوله: إني أكفر من توسل بالصالحين، وجوابي أن أقول: سبحانه هذا بهتان عظيم»<sup>(١)</sup>.

ووضح حفيده الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب الفرق بينهما بقوله: «اعلم أن التوسل بذات المخوق أو بجاهه غير سؤاله ودعائه. فالتوسل بذاته أو بجاهه أن يقول: اللهم اغفر لي وارحمني، وادخني الجنة

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ٦٤)، دعوى المناوئين (ص ٢٥٥)

بنبيك محمد ﷺ، أو بجاه نبيك محمد ﷺ، ونحو ذلك فهذا بدعة نيس شرك، وسؤاله ودعاؤه هو أن يقول: يا رسول الله أسألك الشفاعة وأنا في كرب شديد، فرج عني، واستحرت بك من فلان فأجرني ونحو ذلك، فهذا كفر وشرك أكبر ينقل صاحبه من الملة؛ لأنه صرف حق الله لغيره؛ لأن الدعاء عبادة لا يصلح إلا لله، فمن دعاه فقد عبده، ومن عبد غير الله فقد أشرك، والأدلة على هذا أكثر من أن تحصر، وكثير من الناس لا يميز ولا يفرق بين التوسل بالمخلوق أو بجاهه، وبين دعائه وسؤاله فافهم ذلك<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ عبدالله أبابطين رحمه الله: «إذا علم الإنسان وتحقق معنى الإله وأنه المعبود، وعرف حقيقة العبادة، تبين له أن من جعل شيئاً من العبادة لغير الله فقد عبده واتخذة إلهاً، وإن فر من تسميته معبوداً أو إلهاً، وسمى ذلك توسلاً وتشفعاً أو التجاءً ونحو ذلك. فالمشرك مشرك شاء أم أبى، كما أن المرابي مرابي شاء أم أبى. وإن لم يُسمَ مفعله رباً، وشارب الخمر شارباً للخمر وإن سماها بغير اسمها، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «يأتي ناسٌ من أمتي يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها»، فتغيير الاسم لا يغير حقيقة المسمى ولا يزيين حكمه<sup>(٢)</sup>.

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله: «تلطف الشيطان في كيد هؤلاء الغلاة في قبور الصالحين، بأن دس عليهم تغيير الأسماء والحدود الشرعية، والألفاظ اللغوية؛ فسموا الشرك وعبادة الصالحين توسلاً ونداءً وحُسن اعتقاد في الأولياء وتشفعاً بهم واستنظهاً بأرواحهم الشريفة، فاستجاب له صبيان العقول وخفافيش البصائر، وداروا مع الأسماء ولم يقفوا مع الحقائق<sup>(٣)</sup>».

(١) الدرر لسية (٩ / ٢٣٤)، وانظر: توحيد الحلاق (ص ٣٠٧ وما بعدها) حيث ردهد لحظ.

(٢) الانتصار لحرب لله الموحدين (ص ٣٣).

(٣) الدرر لسية (١٢ / ٢٨٣).



وقال - أيضًا - : «اعلم أن مسألة الله بجاه الخلق نوع، ومسألة الخلق ما لا يقدر عليه إلا الله نوع آخر، فمسألة الله بجاه عباده منعها أهل العلم، ولم يجزها أحد ممن يعتد به، ويفتدى به كالأئمة الأربعة، وأمثالهم من أهل العلم والحديث، إلا أن ابن عبد السلام أجاز ذلك بالنبي ﷺ خاصة، وقيد بثبوت صحة الحديث الذي جاء في ذلك وهو حديث الأعمى الذي جاء إلى النبي ﷺ وقال: ادع يا محمد الحديث قال ابن عبد السلام إن صح الحديث فيجوز بالنبي ﷺ خاصة، والحديث في سنده من لا يحتج به عند أهل العلم كما لا يخفى على أهل الصناعة. إلى أن قال الشيخ عبداللطيف: ويلجملة فهذه المسألة نوع، ولا يخرج بها الإنسان عن مسألة الله، وإنما الكلام في سؤال العباد وقصدهم من دون الله... فسؤال العباد والاستعانة بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك جلي، ولو قال يا ولي الله اشفع لي فإن نفس السؤال محرم، وطلب الشفاعة منهم شبه قول النصراني يا والدة الإله اشفعي لنا إلى الإله وقد أجمع المسلمون على أن هذا شرك»<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ سعد بن عتيق رحمه الله: «المسألة الثالثة؛ وهي مسألة التوسل بالنبي ﷺ؛ وهو أن يقول القائل: اللهم إني أتوسل إليك بنبيك محمد ﷺ؛ فهي مسألة مشهورة، والكلام فيها معروف... - إلى أن يقول - ونحن وإن قلنا بالمنع من التوسل به ﷺ بهذا اللفظ أو نحوه لما نعتقده من أصحية المنع، فنحن مع ذلك لا نشدد في ذلك على من فعله مستدلاً بالحديث؛ فضلاً عن أن نكفره. كما ينسب إلينا من لم يعرف حقيقة ما نحن عليه»<sup>(٢)</sup>.

(١) البرهين الإسلامية (ص ١١٥ - ١١٦)، وانظر: منهاج لتأسيس (ص ١٧) قال عن

تسمية ابن حريش للاستغثة الشريكة توسلاً: «وهذا فراغ منه أن يسميه شركاً وكفراً»

(٢) عقيدة الطائفة النحلية (ص ٥٤ - ٥٧)

وقال الشيخ سيमान بن سحمان رحمته راداً على أحد الشنئين ممن شابههم المالكى في الافتراء: «قد كان من المعلوم أن الوهابية لا يقولون إن التوسل بذات النبي ﷺ وجهه وحقه وزيارة قبره الشريف شركٌ بالله، بل هذا من الكذب الموضوع على الوهابية، وهم ولله الحمد فيما يقولون ويتنحون على صراط مستقيم، ولا يقولون بجهل الجاهلين وانتحال المبطلين الزائغين عن الدين القويم، بل يقولون إن التوسل بجاه النبي ﷺ من البدع المحرمة المحدثه في الإسلام؛ لأنه لم يرد نصٌّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة ولا عن التابعين ولا من بعدهم من سلف الأمة وأئمتها المهتدين... ثم وضح رحمته الفرق بين التوسل البدعي والاستغاثة الشركية<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ رحمته: «التوسل بالأموات قسمان: قسم محرم لا يجوز؛ كأن تقول: اللهم إني أتوسل إليك بفلان، وقسم شرك لا يُغفر؛ كأن يقول القائل: يا سيدي يا بدوي أنا في حسبك، أنا في عرضك، اشفع لي، يا سيدي الحسين اشفع لي، فهذا شرك؛ لأن الشفاعة ملك لله، ولا تُطلب إلا منه»<sup>(٢)</sup>.

وأختم بجواب رائع للشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ - حفظه الله - يجلي هذا الأمر الذي حاول المخالفون الخلط فيه:

«سؤال: ما الفرق بين التوسل والشفاعة، رجو توضيح وجزاكم الله خيراً.  
الجواب: التوسل هو اتخاذ الوسيلة، والوسيلة: هي الحاجة نفسها، أو ما يوصل إلى الحاجة وقد يكون ذلك التوسل باستشفاع، يعني: بطلب شفاعة؛

(١) كشف غياهب الظلام (ص ١٨١ - ١٨٢)

(٢) تعليقه على كتاب «دعوة الوهابية»؛ لعبدالكريم لحصيص (ص ٧٧).

بمعنى أنه يريد أن يصل إلى حاجته - بحسب ظنه بالاستشفاع، وقد يروم التوصل إلى حاجته بحسب ظنه بغير الاستشفاع: فتوسل مثلاً بالدوات فيسأل الله بذات فلان، أو بجاهه، أو بحرمة، مثل أن يقول: اللهم إني أسألك نبيك محمد - بعد وفاته عليه الصلاة والسلام - أو يقول: اللهم إني أسألك بأبي بكر، أو بعمر، أو بالإمام أحمد، أو ببن تيمية، أو بالولي الفلاني، أو بأهل بدر، أو بأهل بيعة الرضوان، أو بغيرهم. فهذا هو الذي يسمونه توسلاً، وهذا التوسل معناه: أنه جعل أولئك وسيلة، وأحياناً يستعمل في التوسل لفظ: الحرمة، والجاه، فيقول: أسألك بحرمتهم، أو أسألك بجاههم، ونحو ذلك.

أما الاستشفاع: فهو أن يسألهم الشفاعة أي: يطبب منهم أن يشفعوا له. فتحصل من ذلك: أن التوسل يختلف عن الاستشفاع، في أنَّ المستشفع: طلب للشفاعة، وقد علم أن الشفاعة إذا طلبها من العبد يكون قد سأل غير الله، وأما المتوسل - بحسب عُرف الاستعمال - فإنه يسأل الله، لكن يجعل ذلك بوسيلة أحد.

فالاستشفاع: سؤال لغير الله، وأم الوسيلة فهي سؤال الله بفلان، أو بحرمة، أو بجاهه: وكل هذا لا يجوز؛ لأنه اعتداء في الدعاء؛ ولأنه بدعة محدثة ووسيلة إلى الشرك، وأما الاستشفاع بالمخلوق الذي لا يملك الدعاء، كالميت، أو الغائب، أو نحوهما: فهو شرك أكبر؛ لأنه طلب ودعاء لغير الله. فالمتوسل بحسب العرف هو من البدع المحدثة، ومن وسائل الشرك، وأما طلب الشفاعة من غير الله فهو دعاء غير الله، وهو شرك أكبر.

لكن الجاهليون والخرافيون والمبوريون يسمون جميع عباداتهم الشركية - من طلب الشفاعة، والديح، والذرة، والاستغاثة بالموتى، ودعائهم - توسلاً وهذا

غلط في اللغة. والشرع معاً، فالكلام في أصله لا يصح؛ فإن بين التوسل والتشفاعة فرقاً من حيث مدلول المعنى اللغوي. فكيف يسوى بينهما في المعنى؟! أما إذا أخطأ الناس وسموا العبادات المختلفة توسلاً فهذا غلط من عندهم، لا يتحملة الشرع، ولا تتحملة اللغة<sup>(١)</sup>.

## (٦) خصوم الدعوة كفروا الشيخ رحمه الله وأتباعه، وبادروهم بالقتال

وهذا ما لا يذكره المناوئون للدعوة عند حديثهم عنها! لأنه يُناقض ويُعارض ما يحاولون إشاعته. وقد اعترف بهذا المؤرخون<sup>(٢)</sup>:

لقد اتخذ أشراف مكة موقفاً عدائياً من دعوة الشيخ محمد والدولة السعودية على حد سواء منذ البداية. فقد سجن أحد أولئك الأشراف الحجاج التابعين للدولة السعودية سنة (١١٦٢هـ)<sup>(٣)</sup>.

وأصدر قاضي الشرع في تلك البلدة المقدسة فتوى بتكفير الشيخ محمد وأتباعه<sup>(٤)</sup>.

ولذلك مُنعوا من أداء الحج سنوات طويلة. وكم كانت فرحة الشيخ عظيمة

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص ٦١٩ - ٦٢٠)، وانظر أيضاً: الدرر السنية (٢ / ٨٣ - ٨٤)، وصيانة الإنسان (ص ٤٥٦ - ٤٥٧)، والأسنة الحداد (ص ٢٤٨، ٣١٩)، وعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية (٢ / ٩٨).

(٢) وهو يؤكد مافله الشح محمد بن عبد الوهاب رحمه الله عدو دين عقيدته وإنكاره للشرك والمحدثات: «فهذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس، حتى آل بهم الأمر إلى أن كفرونا، وقتلونا، واستحبوا دماءنا. وأموالنا». «الدرر السنية» (١ / ٨٧)، وسيأتي.

(٣) تاريخ بن شر (١ / ٣٧).

(٤) خلاصة الكلام: لدحلال (ص ٢٢٧ - ٢٢٨).

عندما تلقى رسالة من الشريف أحمد بن سعيد عام (١١٨٥هـ)، طالباً منه بعث عالم بجدي لشرح الدعوة التي نادى بها. وقد أرسل إليه الشيخ تلميذه عبدالعزيز الحُصَيْن. وبعث معه رسالة تنبئ عبارتها بما كان يختلج في نفسه من مشاعر طيبة تجاه ذلك الشريف. وما كان يملأ جوانحه من آمال في مناصرته لدعوة الحق. قال الشيخ:

بسم الله الرحمن الرحيم

«المعروض لديك، أدام الله فضل نِعَمه عليك، حضرة الشريف أحمد بن الشريف سعيد - أعزّه الله في الدارين، وأعزّه به دين جده سيد الثقلين-، أن الكتاب لما وصل إلى الخادم وتأمّل ما فيه من الكلام الحسن رفع يديه بالدعاء إلى الله بتأييد الشريف لما كان قصده نصر الشريعة المحمدية ومن تبعها، وعداوة من خرج عنها. وهذا هو الواجب على ولاية الأمور... فلا بد من الإيمان به - أي بالنبي ﷺ - ولا بد من نصرته لا يكفي أحدهما عن الآخر، وأحق الناس بذلك وأولاهم أهل البيت الذين بعثه الله منهم، وشرفهم على أهل الأرض، وأحق أهل البيت بذلك من كان من ذريته ﷺ»<sup>(١)</sup>.

على أن هذه الرسالة اللطيفة لم تُجن منها الثمار المرجوة؛ ذلك أن الشريف أحمد نفسه لم يبق في الحكم أكثر من سنة، فتلاشى ما دار في ذهن الشيخ من أمل، واستمر منع أنصاره من أداء الحج، ومع مرور الأيام لم يكتف أشراف

(١) تاريخ بن غنام (٢ / ٨٠ - ٨١)، وقال الشوكاني في «الدر الطالع» (٢ / ٧): «وأمّا أهل مكة، فصاروا يُكفرونه - أي الشيخ محمد -، ويُطبقون عليه اسم الكافر، وبغداد أنه وصل إلى مكة بعض علماء نحد لفصد الماضرة، فنصره علماء مكة بحضرة الشريف في مسائل تدل على ثبوت قدمه وقدم صاحبه في الدين». وفي هذا ردّ على زعم دخلان وما نقله من أحداث لماضرة

مكة بدلت المع: بل بدأوا بمهاجمة الأراضي الجدية التابعة لدولة السعودية عام (١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م). وكانت النتيجة أن انتصر السعوديون في نهاية المطاف على أولئك الأشراف حتى دخلت المحاز تحت حكمهم. ولم يكن موقف زعماء بني خالد من دعوة لشيخ محمد بن عبد الوهاب والدولة السعودية أقل عداوة من موقف أشراف مكة.

يقول زيني دحلان القبوري: «وكان أهل الحرمين يسمعون بظهورهم - أي الشيخ محمد وأتباع دعوته - في الشرق وفساد عقائدهم ولم يعرفوا حقيقة ذلك، فأمر مولانا الشريف مسعود أن يناظر علماء الحرمين العلماء الذين أرسلوا فظروهم فوجدوهم ضحكة ومسخرة كحمر مستنفرة فرت من قسورة، ونظروا إلى عقائدهم فإذا هي مشتملة على كثير من المكفرات، فبعد أن أقاموا عليهم البرهان والدليل أمر الشريف مسعود قاضي الشرع أن يكتب حجة بكفرهم لظهر ليعلم به الأول والآخر وأمر بسجن أولئك الملاحدة الأندال، ووضعهم في السلاسل والأغلال فسجن منهم جانباً وفرّ الباقيون ووصلوا إلى الدرعية وأخبروا بما شاهدوا، فعتى أمرهم واستكبر، ونأى عن هذا المقصد وتأخر، حتى مضت دولة الشريف مسعود وأقيم بعده أخوه الشريف مساعد بن سعيد، فأرسلوا في مدته يستأذنون في الحج فأبى وامتنع من الإذن لهم فضعفت عن الوصول مطامعهم، فلما مضت دولة الشريف مساعد وتقلد الأمر أخوه الشريف أحمد بن سعيد أرسل أمير الدرعية جماعة من عمدائه كما أرسل في المدة لسابقة. فلما اخترهم علماء مكة وجدوهم لا ينديتون إلا بدين الرندقة فأبى أن يقر لهم في حمى البيت الحرام قرار، ولم يأذن لهم في الحج بعد أن ثبت عند العلماء أنهم كفار، كما ثبت في دولة الشريف مسعود.

فما أن ولي الشريف سرور أرسلوا أبضاً يستأذنونه في رياره البيت المعمور

فأجابهم: بأنكم إن أردتم الوصول آخذ منكم في كل سنة وعام صرمة مش ما تأخذ من الأعاجم وآخذ منكم زيادة على ذلك مائة من الحيل الجياد، فعظم عليهم تسليم هذا المقدار وأن يكونوا مثل العجم فامتنعوا من الحج في مدته كلها، فلم توفي وتولى سيدنا الشريف غالب أرسلوا أيضًا يستأذنون في الحج فمنعهم وتهدهم بالركوب عليهم. وجعل ذلك القول فعلًا، فجهز عليهم جيشًا في سنة ألف ومائتين وخمسة، واتصلت بينهم المحاربات والغزوات إلى أن انقضى تنفيذ مراد الله فيما أراد وسيأتي شرح تلك الغزوات والمحاربات بعد توضيح ما كانوا عليه من العقائد الزائفة التي كان تأسيسها من محمد بن عبد الوهاب.

إلى أن يقول معترفًا: «والحاصل أنه - أي الشيخ محمد - لبس على الأغبياء ببعض الأشياء التي توهمهم بإقامة الدين، وذلك مثل أمره للبوادي بإقامة الصلاة والجماعة ومنعهم من النهب، ومن بعض الفواحش الظاهرة كالزنا واللواط، وكتأمين الطرق والدعوة إلى التوحيد، فصار الأغبياء الجاهلون يستحسنون حاله وحال أتباعه»<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ محمد ﷺ في رسالته لأهل المغرب: «وأما: ما صدر من سؤال الأنبياء، والأولياء الشفاعة بعد موتهم وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها والسرج، والصلاة عنده واتخاذ أعبادًا، وجعل السدنة والنذور لها، فكل ذلك من حوادث الأمور التي أخبر بوقوعها النبي ﷺ وحذر منها، كما هي الحديث عنه ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة، حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فتام من أمتي الأوثان» رواه مسلم

وهو ﷺ حمى جناب التوحيد، أعظم حماية وسد كل طريق يوصل إلى الشرك، فنهى أن يجصص القبر، وأن يبنى عليه كما ثبت في صحيح مسلم، من حديث جابر. وثبت فيه أيضًا: أنه بعث عبي بن أبي طالب ﷺ وأمره أن لا يدع قبرًا مشرفًا إلا سواه، ولا تمثالًا إلا طمسه؛ ولهذا قال غير واحد من العلماء: يجب هدم القباب المبنية على القبور، لأنها أسست على معصية الرسول ﷺ.

فهذا: هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس، حتى آل بهم الأمر إلى أن كفرونا، وقتلونا واستحلوا دماءنا وأموالنا حتى نصرنا الله عليهم، وظفرونا بهم. وهو الذي ندعو الناس إليه ونقاتلهم عليه، بعدما نقيم عليهم الحجة من كتب الله وسنة رسوله وإجماع السلف الصالح من الأئمة؛ ممثلين لقوله ﷺ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾، فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبين، قاتلناه بالسيف والسنان، كما قال تعالى: ﴿نَفَذْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَصُرُّهُ وَرُسُلُهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ عبد الله بن الإمام محمد - رحمهما الله - : «وهذا الدين الذي ندعو إليه، قد ظهر أمره وشاع وذاع، وملا الأسماع، من مدة طويلة، وأكثر الناس بدعون، وخرَجونا، وعادونا عنده، وقتلونا، واستحلوا دماءنا وأموالنا، ولم يكن لنا ذنب سوى تجريد اتوحيد، والنهي عن دعوة غير الله والاستغاثة بغيره، وما أحدث من البدع والمكرات، حتى غلبوا وفُهِروا، فعند ذلك أذعنوا وأقروا بعد الإنكار»<sup>(٢)</sup>.

(١) الدرر السنية (١ / ٨٣ - ٨٨).

(٢) المرجع السابق (١ / ٢٧٤).



وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ، مقررًا منهج جده - الإمام محمد - في مسألة القتال، ومزيلاً للشبه في ذلك: «الشيخ لم يبدأ أحدًا بالقتال، بل أعداؤهم الذين ابتدأه بذلك. وقتله كان من باب الدفع والمجازاة على السببة بمشبه، وما حدث بعده أو في وقته من خطأ أو تعد، فلا يجوز نسبته إليه. وأنه أمر به أو رضي، وقد جرى لأسامة بن زيد في دم الجهنني، وجرى لخالد بن الوليد في دماء بني جذيمة، وأموالهم ما لا يجهله أهل العلم والإيمان.

وذلك في عهده عليه السلام، وقد برئ منه وأنكره، فقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد»، وقال لأسامة «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ كيف تصنع بلا إله إلا الله، إذا جاءت يوم القيامة؟».

ومن أشكل عليه أمر القتل في زمن الشيخ، وعلى دعوته، فهو إما جاهل بحال الأعداء وما قالوه في الإسلام، وما بدلوه من الدين. وما كانت عليه البوادي والأعراض من الكفر بآيات الله. ورد أحكام القرآن، والاستهزاء بذلك، والرجوع إلى سواف البادية، وما كانت عليه من العادات والأحكام الجاهلية. . . أو هو جاهل بما جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، لا شعور له بشيء من ذلك، ولا يدري ما الناس فيه من أمر دينهم؟

وبالجملة: فلواجب أن يتكلم الإنسان بعزم وعدل، ومن فاته العزم، فحسبه السكوت، إن كان يؤمن بالله واليوم الآخر. ومن خلع ربقة الدين من عنقه، فيقل ما شاء، والله بما يعملون بصير»<sup>(١)</sup>.

وقال الدكتور ناصر العقل عن الشيخ وأتباع الدعوة:

«١- إن خصومهم هم الدثوث بالقتال بإعلان الحرب المسلحة وغير المسلحة

(١) مهج لسييس (ص ٢٨)

على الدعوة ودولتها وأتباعها، بل أعدت قوى الشر استعمال القوة والقتل لسيخ وأتباعه قبل وصوله الدرعية وقبل أن يكون لهم كيان، حيث هدده سليمان بن محمد بن عريعر في الأحساء (من بني خالد)، وأندر عثمان بن معمر -أمير العيينة- إن لم يتخذ موقفًا حازمًا ضد الشيخ الإمام، وكذلك فعل ابن شامس العنزي<sup>(١)</sup>، ثم لم تستقرت الدعوة في الدرعية بدأها بالحرب دهام بن دواس أمير الرياض آنذاك.

٢- إن الخصوم كانوا كثيرًا ما يغدرون باتباع الدعوة من الدعاة القضاة والعلماء وضلاب العلم والمعلمين الذين كان يبعثهم الشيخ محمد والولادة والمشيخ -المؤيدين للدعوة- للقرى والبادية والأقاليم لتعليم الناس دينهم وإجراء الأحكام الشرعية بينهم، بل كثيرًا ما يعلنون العصيان على الحاكم الإمام محمد بن سعود، وينقضون البيعة والعهد، ويخرجون على الجماعة والإمام، وهذا ما يحرمه الإسلام، ويأمر بتأديب من يفعله.

٣- وكان حكام الحجاز غالبًا يعلنون العداء لدعوة التوحيد وأتباعها وكانت عداوتهم متنوعة عقدية وسياسية وإعلامية ثم عسكرية، وأحيانًا يقتلون بعض العلماء والدعاة بل والرسل الذين يبعثهم أهل الدعوة إليهم.

٤- وكانوا يمنعونهم من حقوقهم المشروعة كإبلاغ الدعوة، وكأداء فريضة الحج، فقد منعهم منه سبب طويلة ثم أذنوا فيه سنة (١١٩٧هـ). ثم الشريف غلب منعهم من الحج مرة أخرى منذ سنة (١٢٠٣هـ) ومعه ثم غزا معتدًا، وقد بدأ الشريف غالب وغيره من حكام الحجاز الحرب على الدعوة وأتباعها قبل أن يدؤوهم.

(١) انظر حياة شيخ محمد بن عبد الوهاب؛ حرره (ص ١٤)

وأعلن الحرب المسلحة ضدهم، وقد اعترف خصوم الدعوة بذلك وذكره مؤرخوهم معترزين به<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا فإنه عند التحقيق العلمي المتحرد يشب قطعاً أن ما يقال عن الإمام وعلماء الدعوة وحكامها (آل سعود) وأتباعها حول التكفير واستحلال قتال المسلمين ودمائهم كلها مما لا يصح، أو مما قد يكون له وجه شرعي معتبر قام عليه الدليل الشرعي، ذلك أن تكفير من يستحق التكفير شرعاً وسب من يستحق السب شرعاً ليس من التكفير والسب المذموم ولا القسوة، بل مما هو مطلوب شرعاً في الدين الإسلامي بشروطه وضوابطه التي يعرفها الراسخون في العلم. إذن فقد ثبت أنهم لم يبدعوا القتال ولم يقاتلوا ابتداءً، إنما بدأ القتال خصومهم.

ثم إنه من الطبيعي أن اختيار منهج القوة ولحزم والقتال عند الضرورة هو الحل الأمثل في كثير من الأحوال، ومنها الحال التي وصلت إليها الدعوة مع خصومها. ونظراً لقوة البطل والهوى وتمكنه من قلوب كثير من الناس وحياتهم لم تقبل نفوسهم الحق ولم تدعن لأهله. كما أن الناظر لحال كثيرين من الذين أقاموا الدنيا ولم يقعدوها تشييعاً على الدعوة وأتباعها في شبهة التكفير يجد العجب من تحيزهم ضد السنة وأهلها في هذه المسألة (وغيرها) وإغفلهم لأهل البدع الخالص الذين يكفرون خيار الأمة؛ فيكفرون صحبة رسول الله ﷺ وأزواجه أمهات المؤمنين. ويكفرون السلف الصالح.

بل إن أكثر مزاعم التكفير والتشدد التي ألصقت بالدعوة وإمامها حدثت من لرافضة الذين يكفرون خير أمة ويستعصومهم. ومن أشياعهم الذين يشاركهم في بدع المقتبرية والقباب والمشهد والمزارات البدعية، ولطرق

(١) سطر: خلاصة الكلام؛ لدحلال (ص ٢٢٨ - ٢٢٩)

الصوفية والموالد والأذكار المحدثه، ومن المعلوم لدى كل باحث ومحقق: أن أصل هذه البدع ومنشأها كن من مكفرة الصحابة والسلف الصالح. فأبى العدل والإنصاف والتحقيق الذي يدعونه؟، وأبى الغيرة على الحق والدين وعلى الأولياء والصالحين التي يزعمونها؟ وهم يهينون الصالحين ببدعهم. وأين النصح للمسلمين الذي يتظاهرون به؟! وهم يروجون البدع وينصرونها»<sup>(١)</sup>.

ثم نقل عن المؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتي قوله في تاريخه عن جيش إبراهيم باشا عدو الدعوة: «ولما وصلوا بدرًا واستولوا عليها وعلى القرى والخيوف، وبها خيار الناس، وبها أهل العلم الصحاء: نهبهم وأخذوا نساءهم وبناتهم وأولادهم وكتبهم فكانوا.. يبيعونهم من بعضهم لبعض ويقولون: هؤلاء الكفار الخوارج»<sup>(٢)</sup>.

ويقول الشيخ فوزان السابق: «إن الوهابيين لم يبدأوا أحدًا بالقتال، ولم يعتدوا على جيرانهم بالحجاز والعراق، حتى غزاهم جيرانهم في عقر دارهم، ومنعواهم من حج بيت الله الحرام، حتى آل الأمر إلى تجذيب النساء مع الرجال من تحت أستار الكعبة في وقت الشريف مسعود وبعده، فلما حيل بينهم وبين أداء ركن من أركان الإسلام تعين عليهم الجهاد. فلما مكن الله لهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر. لا كما يقول المعارض المفترى.

وهذا ما ذكره العلامة محمود فهمي المصري في كتبه البحر لراحر. قال رحمه الله تعالى: ومع ما كان عليه الوهابيون من الحروب والمبرزات في بلاد

(١) إسلامية لا وهابية (ص ٢٤١ - ٢٤٣). وانقول السابقة منه

(٢) تاريخ لبحرتي (٣ / ٢٤١ - ٢٤٣)

يأعرب لم يعمدوا على حقوق الحكوميين المجاورين لهم، وهما حكومة بغداد والحجار. وكانت قوافل الحجاج تمر من وسط أرضهم من غير أن يحصل لأي فففة ضررًا أو انزعاج، وكانو في أحوال أخوية ودية مع الشريف سرور شريف مكة، وفي سنة ١٧٨١ بعد الميلاد استحصلوا على رخصة منه في أداء حجهم وطوافهم بالكعبة، فتولد من زيادة قوتهم ونفوذ شوكتهم اشتعال نار الغيرة والحسد في قلب الشريف غائب، وفي ظرف بضع سنين من تقده الحكومة، وتوظفه شريف مكة بعد لشريف سرور: أعين حربًا على الوهابية، وكانت طرائق هذا الحرب مثل طرائق حرب البدو، متقطعًا بهدانات صغيرة قصيرة المدة. ولما انتظمت مخبرات الشريف غالب مع الدولة التركية العثمانية، لم يهمل أدنى طريقة يمكنه إجراؤها في تمكين الدولة العثمانية من إدخال عساكرها في بلاد العرب لأجل الوقوع بالوهابيين، إلا وأجراهم، ودعى أنهم من المسحدين الكافرين<sup>(١)</sup>.

### (٧) الواقع الديني لنجد قبل دعوة الشيخ محمد ﷺ

ظن المذوئون للدعوة - ومن غتر بكلامهم - أن عماء الدعوة ومؤرخيها - وعى رأسهم ابن غنام - بلغوا في وصف حال نجد قبل قيام الشيخ محمد ﷺ بدعوة لتوحيد من حيث انتشار الممارسات لدعية ولشركية، وزعمو أن هذا من المسالعات المفصودة لمخالفة للواقع لأجر مسح الشيخ أو المدعو والماس لعذر له فيما قام به! ثم فهم بعضهم من تلك العبارات أن الشيخ أو عماء ندعوة يكفرون بالعموء! وهذا جهل ومغالطة.

(١) سيد و لإشهر (ص ٣٣ - ٣٤)

ولو أنصف هؤلاء لعلموا أن الشيخ محمداً رحمه خرح في مطلع لفرس الثاني عشر الهجري، و هذه لفترة ندخل ضمن ما اصطنع على تسميته (عصور الانحطاط). حيث كانت بلاد المسلمين تعني انحطاطاً شاملاً في جميع مناحي الحياة: دينياً وسياسياً واجتماعياً واقتصادياً.

وكنت صور الشرك والوثنية أكبر مظاهر هذا الانحطاط؛ حيث شاع بين الناس دعاء الأموات والتعلق بالأضرحة والمزارات، والغلو في الصالحين والذبح لقبورهم والنذر لها، والاستغثة بها عند الشدائد، علاوة على السحر والشعوذة، وتصديق مدعي علم الغيب، ونبد الشرائع والتحاكم إلى العوائد الحاهلية.

ففي بلاد مصر - مثلاً - يذكر على باش مبارك في كتبه «الخطط الوفية»<sup>(١)</sup> أنه كن في زمنه في القاهرة وحده مائتان وأربعة وتسعون ضريحاً. وقبله ذكر المؤرخ الجبرتي أن أغنى الناس في مصر وأعظمهم ثراءً في وقته هم سدنة القبور والأضرحة<sup>(٢)</sup>!

أم في بلاد الشام فيذكر عبد الرحمن بك سامي، صاحب كتب «القول الحق في بيروت ودمشق»<sup>(٣)</sup> أنه زار في دمشق وضواحيها فقط مائة وأربعة وتسعين ضريحاً ومزاراً. وكان ذلك عام (١٨٩٠م).

وأم في العراق فقد ذكر محمد رؤوف في كتبه «مرحل الحياة في الفترة المظلمة وما بعدها»<sup>(٤)</sup> أنه في أول القرن الرابع عشر الهجري كان يوجد في عدد

(١) (١ / ٢٤٤).

(٢) تاريخ جبرتي (٣ / ٤٢٦).

(٣) (ص ٩٧).

(٤) (١ / ٧٢).

مائة وحمسون جامعًا قلَّ أن يخبو جامعٌ منها من ضريح!

ويذكر صاحب كتاب «ترجمه الأولياء في الموصل الحذباء» أن بلدة الموصل في وقته كانت تشتمل على أكثر من ستة وسبعين ضريحًا مشهورًا!<sup>(١)</sup>

وقد صنف علامة العراق محمود الألوسي كتابًا عنوانه «القول الأنفع في الردع عن زيارة المدفع». وسبب تصنيفه لهذا الكتاب أن أهل بغداد كانوا يتبركون بمدفع قديم من بقايا العثمانيين! وقد ذكر الشيخ محمد بهجت الأثري في كتابه «أعلام العراق»<sup>(٢)</sup> أن الناس «كانوا يعتقدون في هذا المدفع اعتقاد الجاهلية في اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى»!

وأما في بلاد المغرب فقد ذكر صاحب كتاب «الإعلام بمن حلَّ بمراكش وأغامت من الأعلام»<sup>(٣)</sup> أن القبائل هناك قاموا بثورة عرمة ضد المحتلين الأسبان فقط عندما بنوا مركز حراسة قرب ضريح لأحد الأولياء!

وأما مكة المكرمة، فقد ذكر المؤرخ محمود فهمي المهندس المتوفى سنة (١٣١١هـ) في كتابه «البحر الزاخر»<sup>(٤)</sup> أن النجديين بعد دخولهم لمكة هدموا فيها ما يزيد على ثمانين قبة فاخرة مبنية على قبور وأضرحة منسوبة لآل بيت النبوة. وأما في اليمن فيذكر الشوكاني رحمه الله في كتابه «الدر النضيد»<sup>(٥)</sup> أن كثيرًا من العوام في زمنه وبعض الخواص - أيضًا - غنوا في الصالحين حتى صاروا:

(١) انظر: «لانعراقات العقيدة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين» للدكتور عبي بن بخيت الزهراني (ص ٢٩٥).

(٢) (ص ١٤٥).

(٣) (٣ / ١٩٥).

(٤) (١ / ١٧٦).

(٥) (ص ٢٨).

«يدعونهم ترةً مع لله وترةً استغلاً». ويصرخون بأسمائهم ويعظمونهم تعظيم من يمدت الضر والنفع ويخضعون لهم خضوعاً زائداً على خضوعهم عند وفوفهم بين يدي ربهم في الصلاة ولدعاء». ويقول يَحْسُ: «اعلم أن ما حرّباه وقرّنه من أن كثيراً مما يفعله المعتقدون في الأموات يكون شركاً - قد يخفى على كثير من أهل العلم، وذلك لا لكونه خفياً في نفسه، بل لإطباق الجمهور على هذا الأمر، وكونه قد شاب عليه الكبير، وشبّ عليه الصغير وهو يرى ذلك ويسمعه، ولا يرى ولا يسمع من ينكره، بل ربما سمع من يُرَغَّب فيه ويندب الناس إليه»<sup>(١)</sup>.

وأما في الأستنة عاصمة السلطنة العثمانية فقد كان هناك أربعمئة وواحد وثمانون جامعاً لا يكاد يخبو جامعٌ فيها من ضريح<sup>(٢)</sup> وأما بلاد الهند فحدث عن بحر الشرك ولا حرج<sup>(٣)</sup>.

هذه الأرقام والإحصاءات التي ذكرتها خاصةً بالحواضر والمدن الكبرى، حيث يفترض وجود العلم والعلماء، وأما في القرى والأرياف والبوادي فالأمر أشدّ وأطم<sup>(٤)</sup>.

ويكفي المرء أن يعلم أن الأمراء والوجهاء والأثرياء في ذلك الوقت كانوا يتسابقون على الصّرف ببذخ على المشاهد الشركية. وكانت هذه النفقات تُعد من أعظم مآثر الأمراء والسلاطين!

(١) (ص ٩٣).

(٢) دليل الأستانة (ص ٤٨).

(٣) انظر: «الدعوة نسلفية في شبه القارة الهنديّة» (ص ١٣٩).

(٤) وللمزيد من ذلك؛ انظر الرسالة القمّة للدكتور علي بن سخيّ الرهراني حفظه الله - «الاحراف عقدته في القرن الثالث عشر والرابع عشر»، ونفوس السدفة مها



فبعد هذا كله يبرز سؤالٌ كبيرٌ:

ما الذي سيجعل بلاد نجد استثناءً من هذه الصورة القائمة؟  
وهل أهلها منزّهون عما يجوز على غيرهم؟! أو أنهم حُتقوا من طينةٍ خاصةٍ  
لا تقبل الضلال والشرك؟!!

ولو أنصف المناوئون لدعوة الشيخ محمد ومَن تأثر بهم: لعلموا أن ما نُقل  
من المعارضة والمخاصمة للشيخ - سواء بواسطة التأليف أو القتال - دليلٌ  
واضح على حال البلاد قبل الدعوة السلفية، وإلا فمماذا هذا الاستنكار الواسع  
لها والمدافعة لو كن الناس ذاك الوقت على حالٍ مستقيمة مرضية؟! كيف وقد  
شهد لهذا الحال الكتيب مؤرخو تلك الفترة ممن هم أوثق من المناوئين  
جميعاً؟!.

ولو أنصف هؤلاء - أيضًا - لعلموا أن وصف انتشار الجهر المنتشر  
والمخالقات الشرعية لا يعني تكفير الناس بالعموم - كما يدعون -، فستان بين  
الأميرين. وهذا يُدركه أهل العلم المنصفون الذين يُنزلون الألفاظ منزلها  
المناسب، دون تزيد أو تضيخيم. وينزّم هؤلاء المدعون أن يحكموا بهذا الحكم  
الشنيع على كل من وصف حال الأمة - في فترة من فترات الجهر والإعراض  
عن دين الله وسنة المصطفى ﷺ - بأنه يُكفر الناس. فهل يلتزمون هذا؟ لا أظن  
ذلك؛ لأن مؤلفات العلماء لا تخلو منه - كما سيأتي إن شاء الله -.

ويظهر أن هذه الشبهة قد أثّرت منذ زمن الشيخ محمد رحمه الله. فقد أشار إليها  
في رسالته إلى محمد بن عبد<sup>(١)</sup>، بقوله: «فلما أظهرت تصديق الرسول ﷺ فيما  
جاء به، سبّوني غاية المسبة، وزعموا أنني أكفر أهل الإسلام، وأسئحل

(١) «الدرر السنية»، (١٠، ١١٤).

أموالهم، وصرحوا أنه لا يوجد في جزيرتنا رجل واحد كفر! وبعده قال ابن عمرو وهو أحد خصوم الدعوة: «إنه لم يوجد بعد الرسول ﷺ في نجد وما يبيها من الأقطر والأمصار شرك ولا كفر! تعريضاً كما يقول الشيخ ابن سحمان رحمه الله «بأن ما دعا إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الدعاء إلى توحيد الله، والنهي عن الشرك: أنه ليس من الدين في شيء، بل هو مجرد هوى وطب للملك بدعوى الجهاد»<sup>(١)</sup>.

فتأثر البعض - كما سبق - بهذه الدعوى - للأسف -، حميةً للبلاد النجدية، زاعمين المبالغة في كلام علماء الدعوة ومؤرخيها - وعلى رأسهم ابن غنام - عند حديثهم عن الحالة الدينية أو العلمية في نجد قبل الدعوة، مدعين خلاف ذلك، وأن العلماء كانوا موجودين، والانحراف يسير، وفي هذا ما فيه من التشكيك بكلام العلماء الثقات، قادهم إليه عدم فهمهم لمقصودهم.

وتوضح هذا: أن علماء الدعوة - كالشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في رسالته عن أحوال البلدان قبل الدعوة<sup>(٢)</sup>، ومؤرخيها؛ كابن غنام وابن بشر في تاريخيهما - عندما يتحدثون عن انتشار البدع والشركيات فإنه لا يلزم من كلامهم هذا: جهلهم بوجود العلماء - بالمعنى العام - قبل الدعوة، ممن يشتغلون بالفتيا أو القضاء أو الإمامة، فهذا لا يجهله العامة فضلاً عن العلماء والمؤرخين. ولكن وجود هؤلاء العلماء المُشار إليهم لا ينفي ما ذكره أئمة الدعوة من انتشار البدع والشركيات في عصرهم؛ لأنهم لا يحرجون عن ثلاثة أصناف:

(١) انظر: «الرد على ابن عمرو»، ص ١٣٥، عن «مجلة الدرعية»، (ع ٢ ص ٢٧٠)

(٢) في «الدرر السنية»، (١ / ٣٧٣ - ٤٣٩). وانظر تريدة كتابي «تاريخ نجد من حلال كتب الدرر لسنة».

١- إما عالمٌ مبتدع، يسين بالعقيدة الأشعرية التي لا تُقيم لتوحيد الألوهية والعبادة وزنًا. وإنما همها إثبات وجود الخالق<sup>(١)</sup>. وتوحيد الربوبية الذي لم يُنكره حتى الكفار!، ولهذا فهو لاء «العلماء» لا يرون في تلك الممارسات البدعية أو الشركية انحرافًا! إن لم يؤيدوها.

٢- وإما عالم «مداهن»، رضي بالمنصب والجاه، رغم علمه بانحراف كثير من العامة، لكن يمنعه ماسبق، وهؤلاء وصفهم الإمام محمد بن عبد الوهاب بأنهم «لحيّ فوائن»<sup>(٢)</sup>! - أي لانفع منها -.

٣- وإما عالم «جبن» عن مخالفة واقعه وأبناء عصره، فرضي بالانزواء أو السكوت.

إذن.. فعلماء ومؤرخو الدعوة - وعلى رأسهم ابن غنام - ليس في كلامهم عن أحوال نجد «مبالغة» - كما ظن البعض؛ لأنه لا تعارض عندهم بين ما يسميه هؤلاء علمًا وعلماء - ويعنون المعنى العام -، وبين وجود الانحرافات المستطيرة بين العامة والبادية، بل وبعض مبتدعة العلماء.

فمن الخطأ البين بل السذاجة أن يُشغل هؤلاء أنفسهم لإثبات «المبالغة» المزعومة بمجرد وجود مخطوطة كتبها أحد العلماء النجديين قبل الدعوة! أو وجود العالم الفلاني الذي ألف في الفقه أو المواريث! حتى وصل الحال ببعضهم لكي يُثبت هذه المبالغة - أن يستشهد بقدم «الأوزاعي» في القرن الثاني أو الثالث لمنطقة البصرة للتلمذ على المحدث يحيى بن أبي كثير -

(١) انظر لبيان الفرق في مسألة استوحيد بين أهل السنة والاشعرية: رسالة «منهج أهل السنة وجماعة ومنهج الأشعرية في توحيد الله تعالى»: للأستاذ خالد عبداللطيف نور.

(٢) «الدرر السنية»، (٨ / ٧٨).

رحمهما الله -! و لا أدري ما علاقة هذا بدعوة الشيخ وما قبلها؟!

قلت: وقد رد بعض العلماء والفضلاء على الشبهة السابقة عن حال البلاد قبل الدعوة<sup>(١)</sup>؛ ومن ذلك: قال الدكتور صالح الحسن - وفقه الله -<sup>(٢)</sup>: فقد اطلعت في مجلة الدارة في عددها الثالث من السنة الرابعة على مقال بعنوان: نجد منذ القرن العاشر الهجري... ولقد أعجبت بالمقل، وموضوعه الشائق، ومنهجه التحليلي لبعض الحوادث والأخبار. ومع ذلك فإن لي عليه ملاحظة أرجو من سعادة الدكتور أن يتقبلها بصدر رحب، وله مني جزيل الشكر، وموفوره.

وفي بداية حديثي أقول: إن دور المؤرخ المسلم في بناء الأمة: يتمثل في عرض حقائق التاريخ الإسلامي عرضاً تاريخياً تربوياً، يؤدي دوره في بناء الأمة الإسلامية، كما يتمثل في تنقية التاريخ الإسلامي، مما دس فيه من روايات، وأخبار كاذبة، هدفها تشويه التاريخ الإسلامي، والنيل من المسلمين، وخدمة أغراض طائفية أو مذهبية.

ومن هذا المنطلق أقول: إنني لا أجد مبرراً لمن يشتغلون بالتاريخ من أبناء

(١) انظر على سبيل المثال: «عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لسلفية وأثرها في العالم الإسلامي»؛ للدكتور صالح العبود، (١ / ٦٠ - ١٠٥)، فقد أطل في هذه لمسألة. وانظر: «البيان لأخطاء بعض الكُتّاب»؛ للشيخ صالح الفوزان، (٣ / ٤٥ - ٤٦). ومقلاً للدكتور عبدالعزير آل عبداللطيف بعوان «هل ابتدأت حقائق حدة؟»، ومقلاً آخر للشيخ عبدالعزيز بن فيصل الراجحي، بعوان «نجد ولشرك رغم أفك!»، وثالث للشيخ سر الشويقي، بعوان «هل نُعقل أن الشرك كان موحوداً في بلاد نجد قبل الشيخ محمد بن عبد الوهاب؟». وجميعها مشورة على نُشكه نُعكوتية

(٢) مجله «الدرة»، (لعدد الأول من السنة الخامسة).

المسلمين: أن يعمدوا إلى فلسفة، وتحليل بعض الحوادث، والأخبار ليسلكوا في بعض الحقائق التي تؤدي دورها في بناء الأمة الإسلامية.

وهذا ما حدث لسعادة الدكتور، وذلك حينما بحث الناحية العقدية في ذلك الزمن موضوع بحثه. حيث أنهى سعادة الدكتور تحليله لتلك الناحية بالقول: «بأن هناك - أي في نجد - جهه يمارسون أعمالاً شركية، لكن عدد هؤلاء كان فيما يظهر قليلاً».

وهذه النتيجة تشكيك في الدور الذي قام به الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، من محاربة مظاهر الشرك بالله، والعودة بالأمة إلى الكتاب والسنة: عقيدة، وسلوكاً، ومنهاج حياة.

وهذه النتيجة تُظهر الشيخ بأنه كان مجرد زعيم، أحب الزعامة، وعمل لتحقيق هذه الرغبة، وأن ما قام به من جهاد مسلح لنجد وما حولها لم يكن لإعلاء كلمة الله، بل لم يكن مشروعاً، لأن الناس قد سلكوا منهج الله في العقيدة، والسلوك، إلا النزر اليسير منهم.

كما أن هذه النتيجة تشككنا فيما نقله الثقات لنا من أخبار ذلك الوقت، وحوادثه، بل تشكك في كل ما نقله أتباع المصلح عن إمامهم.

وأود أن أذكر سعادة الدكتور: بأن ما شكك به من أخبار أهل زمان الشيخ، وما هم عليه، ليس هو رأي الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والشيخ حسين ابن غنام، والمؤرخ عثمان بن بشر - وكفى بهم حجة - وإنما هو رأي جميع الكُتُب، والمؤرخين الذين كتبوا عن تاريخ الشيخ وما قام به من أعمال وتضحيات، سواء منهم المعاصر للشيخ رحمه الله أو المتأخر عنه.

وإليك وإلى القارئ الكريم بعض أخبار هؤلاء الثقات:

يقول الشيخ عبدالله بن عيسى القاضي الدرعية وهو من المعاصرين للشيخ في

رسالة له: «فلله الله عباد الله: لا تغفروا بمن لا يعرف شهادة أن لا إله إلا الله، وتلصخ بالشرك وهو لا يشعر، فقد مضى أكثر حياتي، ولم أعرف من أنواعه ما أعرفه اليوم فلله الحمد على ما عدت من دينه. ولا يهولنكم اليوم أن هذا الأمر غرب، فإن نبيكم ﷺ قل: بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، واعتبروا بدعاء أينا إبراهيم عليه السلام بقوله في دعائه: ﴿وَأَجْبِنِي وَيِّنِي أَنْ تَقْبَدَ الْأَصْنَامَ﴾ رَبِّ إِنِّي أَضِنُّ كَثِيرًا مِنَ الدِّينِ. ولولا ضيق الكرامة، وأن الشيخ محمد (يعني محمد بن عبد الوهاب) أجاد وأفاد بما أسلفه من الكلام فيها لأطنت الكلام.

وأما الاتحادي بن عربي صاحب الفصوص، المخلف للنصوص، وابن الفارض، الذي لدين الله محارب، وبالباطل للحق معارض، فمن تمذهب بمذهبهما فقد اتخذ مع غير الرسول سيلاً، وانتحل طريق المغضوب عليهم، والضالين المخالفين لشريعة سيد المرسلين، وقد كفرهم كثير من العلماء العاملين، فإن لم يتب إلى الله من انتحل مذهبهما وجب هجره، وعزله عن الولاية إن كان ذا ولاية من إمامة، أو غيرها، فإن صلاته غير صحيحة، لا لنفسه ولا لغيره.

فإن قال جاهل: أرى عبد الله - يعني نفسه - توه يتكلم في هذا الأمر: فليعلم أنه إنما تبين لي الآن: وجوب الجهاد في ذلك علي، وعلى غري، لقوله تعالى: ﴿وَحَهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ يعني أن قال - ﴿مِنَّةَ أَيْكُمْ إِنْزِهِم﴾. وصلى الله على محمد وآله وسلم.

هذا ما قاله أحد معاصري الشيخ، وهو يثبت فيه وجود الشرك في نجد حينذاك، ووجود من ينتحل مذهب ابن عربي، وابن الفارض، القائلين بوحدة الوجود في هذه البلاد الجديدة.

ويقول الإمام عبدالعزيز محمد بن سعود وهو من المعاصرين للشيخ رحمه الله: «فلما من الله علينا بمعرفة ذلك - أي معنى شهادة أن لا إله إلا الله -، وعرفنا أنه دين الرسل: اتبعناه، ودعونا الناس إليه، ولا فنحن قل ذلك على ما عليه غالب الناس، من الشرك بالله، من عبادة أهل القبور، والاستغاثة بهم، والتقرب إلى الله بالذبح لهم، وطلب الحاجات منهم، إلى أن قال: فحين كشف لنا الأمر، وعرفنا ما نحن عليه، من الشرك، والكفر بالنصوص القاطعة، والأدلة الساطعة: من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وكلام الأئمة الأعلام الذين أجمعت الأمة على درايتهم: عرفنا أن ما نحن عليه وما كنا ندين به أولاً أنه الشرك الأكبر الذي نهى الله عنه، وحذر».

ويقول الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «حالة الناس قبل هذا الدين: أكثرهم حلة، كحالة أهل الجاهلية الأولى، وكل قوم لهم عادة، وطريقة، استمروا عليها، تخلف أحكام الشرع، في الموارث، والدماء، والديات، وغير ذلك، ويفعلون ذلك مستحلين له».

ويقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ: «اعلم يا أخي وفقني الله وإياك لنصواب أن أهل نجد في باديتهم وحضرهم قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، قد اشتدت غربة الإسلام فيما بينهم، واستحكمت، وعم الشرك وطم، وفش الشرك وشاع الكفر وذاع في القرى والأمصار والبادية والحضر، وصارت عبادة الطواغيت والأوثان. ديناً يدينون به. ويعتقدون في الأولياء أنهم ينفعون ويضرون، وأنهم يعلمون الغيب، مع تضييع الصلاة، وترك الركاة وارتكاب المحرمات».

ويقول الإمام الشوكاني في وصف نجد. وغيرها ممن دخل تحت طاعة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «وبالجملة: فكانوا جاهلية جهلاء كما تواترت

بدلت الأخبار، ثم صاروا الآن يصنون الصلوات لأوقاتها، ويأتون بسائر الأركان الإسلامية على أبلغ صفاته».

ويقول أيضاً - في وصف نجد قبيل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «وكانت تلك البلاد قد غلبت عليها أمور الجاهلية، وصار الإسلام فيها غريباً». وبعد نصوص هؤلاء الثقات: نورد بعض النصوص لعلماء ومؤرخين، ومستشرقين كتبوا عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في نجد، ممن كتبوا في العصر الحاضر: يقول أمين الريحاني في وصف الحالة في نجد قبيل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «قبل ظهور هذا المصباح النجدي كان العرب في نجد بل في الشطر الشرقي من شبه الجزيرة منغمسين في عقائد وعبادات جاءتهم من النجف، ومن الأهواز، فكان لا يزال لإباحة القرامطة اثر في الأحساء، وكان للقبور شفاعة لا شفاعة فوقها، فأحلها الناس المحل الأعلى في العبادة، والتوسل، والحق يقال: إن هذه البدع أو هذه الخرافات القديمة أبعدت العرب بادية وحاضرة عن حقيقة الدين. أبعدتهم عن الإسلام الذي جاء يبطل عبادة الأوثان، وكل ما فيه رائحة العبودية لغير الله». . . إلى آخر كلامه في هذا الموضوع.

ويقول الدكتور طه حسين: «أنكر محمد بن عبد الوهاب على أهل نجد: ما كانوا قد عادوا إليه من جاهلية في العقيدة، والسيرة».

ويقول المستشرق كارل بروكلمان رغم تعصبه. ودسه على الإسلام عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «ثم إنه درس مؤلفات أحمد بن نمرة الذي كان قد أحيا في القرن الرابع عشر تعاليم ابن حنبل، والواقع أن دراسته لأراء هذين الإمامين انتهت به إلى الإيقان من أن الإسلام في شكله السائد في عصره، وبخاصة بين الأتراك، مُشرب بالمساوي التي لا تمت إلى الدين الصحيح بنسب. فلما أب



إلى بلده الأول سعى أول ما سعى إلى أن يعدد إلى العقيدة، و لحياه الإسلاميين صفاء هم الأصلي في محيطه الضيق».

ويقول المستشرق ستودارد في كتابه: حاضر العالم الإسلامي، في حدث عن واقع العالم الإسلامي قبيل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «وأما الدين فقد غشيته غشية سوداء، فالهست الوحداية التي علمها صاحب الرسالة الناس سحبا من الخرافات، وقشور الصوفية، وخلت المساجد من أرباب الصلوات، وكثر عدد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمسكين: يحملون في أعناقهم التماثيل، والتعاويذ، والسبحات، ويوهمون الناس بلباطل، والشبهات، ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفء القبور، وانتشرت الرذائل، وهتكت ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء».

وفيما العالم الإسلامي مستغرق في هجعتة ومدلج في ظلمته: إذا بصوت يدوي في قلب صحراء شبه الجزيرة العربية مهد الإسلام يوقظ المؤمنين، ويدعوهم إلى الإصلاح وإلى سواء السبيل، والصراط المستقيم، فكان الصارخ هذا الصوت إنما هو المصلح المشهور، الشيخ محمد بن عبد الوهاب».

والنصوص في هذا المعنى كثيرة جدًا، ولا إخلالها تخفى على سعادة الدكتور، ولولا خشية الإطالة لأوردت المزيد منها.

وفيما أوردته من النصوص دلالة واضحة صريحة على أن الحالة في نجد من الناحية العقديّة، والسلوكية قبيل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى - قد بلغت مبلغًا سيئًا، يوجب على المسلم الحق الجهاد بكل أنواعه لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن الفرقة إلى الاجتماع، ومن الخوف إلى الأمن، وهو ما قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى .

وإن نظرة صادقة محلصة إلى واقع كثير من البلاد العربية والإسلامية التي لم تتأثر تأثراً مباشراً بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وما فيها من البدع، والخرافات، والأمور الشركية المنتشرة اليوم رغم الدعوات الإصلاحية المتعددة، والتي لم تصل إلى مستوى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. إن هذه النظرة لتعطينا أكبر الأدلة على الدور العظيم الذي قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تطهير الجزيرة العربية عامة، ونجد خاصة، من ألوان الشرك والبدع والخرافات.

وفي ختام هذا الكلام أشكر سعادة الدكتور مقدّم على رحابة صدره، وسعة حلمه على أن أخطأت، وليعلم سعادته: أنني إنما كتبت بدافع النصيح لنفسي، ولسعادة أستاذي الكريم، والقراء الكرام ومشاركة في الواجب، والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل». انتهى مقال الدكتور صالح الحسن - وفقه الله -.

قلت: ومن الميزيد الذي لم يذكره الدكتور صالح: وصف الصنعيني لحال البلاد الإسلامية الوارد في قصيدته الشهيرة في مدح الشيخ «سلامي على نجد». <sup>(١)</sup>، وشهادات عديدة سبقت عن أحوال العلم الإسلامي، وشهادات أوردها العجلاني في كتابه عن الشيخ محمد، ومسعود الندوي في كتابه «الشيخ محمد بن عبد الوهاب مصلح مفترى عليه»، وغيرهم <sup>(٢)</sup>.

أخيراً: أقوى ما يقضي على هذه الشبهة أن يُقَدَّر <sup>(٣)</sup>: إنَّ مُخَالَفَةَ الشَّيْخِ مُحَمَّدًا

(١) وسيوردها ابن غنام في مقدمة تاريخه.

(٢) وقبلهم كان العمدة من كل المذهب يؤلفون في التحذير من البدع والشركيات، ويُخبرون عن انتشارها في عصرهم، كأبي شامة وابن وصاح والشاطبي والسبوطي وعبي محفوظ والقاسمي وغيرهم.

(٣) - انحصار من مقال الشيخ عبد العزيز بن فيصل الترحي

ومُدَّوَّيِّهِ ومُفَاتِيهِه أَيضًا: لم ينفوا وقوع ذلك من أهل نجد قَطَّ، وإنما دأبوا في الحكم على مرتكبي تلك الأمور وقتل أصحابها. وقد ذَكَرَ هذا الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ نَفْسُهُ فِي بَعْضِ رَسَائِلِهِ، فَقَالَ وَاصِفًا حَالَهُ مَعَ مُخَالَفِيهِ، وَمَا كَانُوا يَذْكُرُونَهُ عَنْهُ، مِمَّا يَرْضَوْنَهُ مِنْهُ، وَمَا لَا يَرْضَوْنَهُ فِي رِسَالَةٍ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَيْدٍ<sup>(١)</sup>: «وَنَقُولُ ثَانِيًا: إِذَا كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِينَ سَنَةً، يُقْرُونَ لَيْلًا وَنَهَارًا، سِرًّا وَجَهَارًا: أَنَّ التَّوْحِيدَ الَّذِي أَظْهَرَ هَذَا الرَّجُلُ - يَعْنِي الشَّيْخُ نَفْسَهُ - هُوَ دِينُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، لَكِنَّ النَّاسَ لَا يُطِيعُونَهُ! وَأَنَّ الَّذِي أَنْكَرَهُ هُوَ الشِّرْكَ، وَهُوَ صَادِقٌ فِي إِنْكَارِهِ، وَلَكِنْ لَوْ يَسْلَمُ مِنَ التَّكْفِيرِ وَالْقِتَالِ كَانَ عَلَى حَقٍّ. هَذَا كَلَامُهُمْ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ».

وَقَالَ رَجُلٌ فِيهَا مُبَيِّنًا حَالَهُ وَحَالَ خُصُومِهِ<sup>(٢)</sup>: «فَلَمَّا اسْتُهِرَ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعُ - يَعْنِي: بَيَانُ التَّوْحِيدِ، وَبَيَانُ الشِّرْكِ، وَتَكْفِيرُ فَاعِلِيهِ، وَالْأَمْرُ بِقِتَالِهِمْ - صَدَّقَنِي مَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي جَمِيعِ الْبِدَائِنِ فِي التَّوْحِيدِ، وَفِي نَفْيِ الشِّرْكِ، وَرَدُّوا عَنِّي التَّكْفِيرَ وَالْقِتَالَ».

وَقَالَ فِي رِسَالَةٍ أُخْرَى لِبَعْضِ إِخْوَانِهِ، مُبَيِّنًا قَوْلَ خُصُومِهِ فِي حَقِيقَةِ مَا يَدَّعُو إِلَيْهِ، وَيَأْمُرُ بِهِ: «وَلَكِنَّهُمْ يُجَادِلُونَكُمْ الْيَوْمَ بِشُبْهَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَصْغُوا لَجَوَابِهَا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ «كُنْ هَذَا حَقًّا، نَشْهَدُ أَنَّهُ دِينُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، إِلَّا التَّكْفِيرَ وَلِقَاتِلَ». وَالْعَجَبُ مِمَّنْ يَخْفَى عَلَيْهِ جَوَابُ هَذَا إِذَا أَقْرَأُوا أَنَّ هَذَا دِينُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، كَيْفَ لَا يُكْفِّرُ مَنْ أَنْكَرَهُ وَقَتَلَ مَنْ أَمَرَ بِهِ وَحَبَسَهُمْ؟! كَيْفَ لَا يُكْفِّرُ مَنْ أَمَرَ بِحَبْسِهِمْ؟! كَيْفَ لَا يُكْفِّرُ مَنْ جَاءَ إِلَى أَهْلِ الشِّرْكِ يَحْتَنُهم عَلَى لُزُومِ دِينِهِمْ وَتَرْبِيَتِهِ لَهُمْ، وَيَحْتَنُهم عَلَى قَتْلِ الْمُوَحِّدِينَ وَأَخْذِ مَا لَهُمْ؟!»<sup>(٣)</sup>.

(١) الدرر السية (١٠ / ١١٥).

(٢) المرحع السابق (١٠ / ١١٣).

(٣) المرحع السابق (١٠ / ٨).

(٨) أصول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته في قضية التكفير<sup>(١)</sup>

الأصل الأول: عدم التكفير إلا بدليل شرعي صحيح صريح:

التكفير حق الله وحده، فلا يجوز الإقدام عليه إلا بإذن من الله وسلطان، أي بنصر من كتاب الله تعالى، أو سنة نبيه عليه الصلاة والسلام، وحجة قاطعة لا تتطرق إليها شبهة. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقد قرن الله تعالى القول عيه بلا علم، بالإشراك معه غيره؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلِّ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وهذه النصوص الشرعية وغيرها مما جاء في معناها، هي التي جعلت الإمام محمد بن عبد الوهاب يركز على هذا الأصل الأصيل، وهو عدم التكفير إلا بدليل شرعي صحيح صريح، ولهذا فلا يمكن لأحد أن يثبت أن الإمام محمد بن عبد الوهاب، كفر بغير دليل شرعي، بل الثابت: أن ما حكم عليه بكفر فإن له عليه دلائل من الكتاب والسنة.

قال رحمته: «وأما المسائل الأخرى، وهي أنني أقول: لا يتم إسلام الإنسان حتى يعرف معنى لا إله إلا الله، وأني أعرف من يأتيني بمعناها، وأني أكثر النادر إذا أراد بندره التقرب لغير الله، وأخذ النذر لأحد ذلك، وأن الذبح لغير الله كفر،

(١) لخصتها - بتصرف وزيدت - من رسالة «منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب في مسألة التكفير» للشيخ أحمد الرصيمان. وانظر: «صوائط تكفير المعين عند شيخي لإسلام ابن تيمية وبن عبد الوهاب» للشيخ أبي العلاء بن رشد، و«المختصر لمقصد في عقائد أئمة التوحيد» للشيخ مدحت آل فراح.

والذبيحة حرام، فهذه المسائل حق، وأما قائل بها، ولي عيها دلائل من كلام الله، وكلام رسوله، ومن أقوال العلماء المتبعين، كالأئمة الأربعة، وإذا سهل الله تعالى بسطت الحواب عليها في رسالة مستقلة إن شاء الله تعالى»<sup>(١)</sup>.

وكثيراً ما يقرن الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بالحكم بالتكفير بالدليل، من أمثلة ذلك: قوله رحمه الله: «من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثواب الله، أو عقابه، كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيْلَهُ وَعَايُنِي وَرَسُولِي كُنْتُ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ لَا تَعْلَـزُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿[الوبة: ٦٥-٦٦]»<sup>(٢)</sup>.

الأصل الثاني: أن الإمام محمد يكفر بالمتفق عليه، دون المختلف فيه:

وهذا الأصل في منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب يدل على ورعه في مسائل التكفير، كما قال الشيخ عبد النطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ: «والشيخ محمد رحمه الله من أعظم الناس توقفاً وإحجاماً عن إطلاق الكفر، حتى أنه لم يجزم بتكفير الجاهل الذي يدعو غير الله من أهل القبور أو غيرها، إذا لم يتيسر له من ينهبه»<sup>(٣)</sup>.

والمتبع لمنهج الإمام محمد بن عبد الوهاب في مسائل التكفير، يجد أنه رحمه الله لا يكفر إلا بالمتفق عليه دون المختلف فيه، وبيان ذلك كما يلي:

أولاً: عدم تكفيره إلا بما أجمع العلماء عليه: ومما يدل على ذلك قول الإمام محمد رحمه الله ما نصه: «أركان الإسلام الخمسة أولها: الشهادتان، ثم الأركان الأربعة، فالأربعة: إذا أقر بها، وتركها تهاوئاً، فنحن وإن قاتلناه على

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (القسم الخامس، الرسائل لشخصية، ص ١٢).

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (القسم الأول، العقدة (ص ٣٨٦).

(٣) منهاج التأسيس، (ص ٩٨).

فعلها، فلا بكفره تركها، والعلماء اختلفوا في كفر التارك لها كسلاً من غير جحود، ولا نكفر إلا ما أجمع عليه العلماء كلهم، وهو الشهودان. ويضّ نكفره بعد التعريف، إذا عرف وأنكر»<sup>(١)</sup>.

ولم ذكر بعض الأمور الشريكة، بين أن هذا الذي ذكره لم يخالف فيه أحد من علماء المسلمين، بل أجمعوا عليها. فقل: «وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين، بل أجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة، وغيرهم ممن سلك سبيلهم، ودرج على منهجهم»<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: موافقته للمذاهب الأربعة في مسائل التكفير: وبين الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أنه لم يقل في مسائل التكفير، إلا بما دلت عليه الأدلة، وقال به أصحاب المذاهب الأربعة المشهورة جميعاً واتفقوا عليه، فقال في إحدى رسائله: «وأقول: كل إنسان أجادله بمذهبه، إن كان شافعيّ فبكلام الشافعية وإن كان مالكيّ فبكلام المالكية، أو حنبلياً أو حنفيّاً فكذلك».

ثالثاً: تحديه لخصومه أن يأتوا بشيء خالف فيه الإجماع: لما ذكر رحمه الله كفر من جحد علو الله على خلقه، واستوائه على عرشه قال: «فإن سمعتم أني أفيت بشيء خرجت فيه من إجماع أهل العلم نوجه عليّ القول، وقد بلغني أنكم في هذا الأمر، قمتم وقعدتم، فإن كنتم ترعمون أن هذا إنكار لممكر، فيا لست قبمكم كن في عظام في بلدكم. تضاد أصبي لإسلام، شهادة أن لا إله إلا

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب «لقسم الدنت»، فتوى ومسائل (ص ٩).

(٢) مؤلفات شيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب القسم لحامس، الرسائل الشخصية (ص

الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ، منها وهو أعظمها: عبادة الأصنام عندكم من بسر وحجر. هذا يُذبح له، وهذا يُنذر له، وهذا يُطلب إجابة الدعوات، وإغاثة اللهفات. وهذا يدعوه لمضطر في البر والبحر، وهذا يزعمون أن من التجأ إليه ينفعه في الدنيا والآخرة، ولو عصى الله!

فإن كنتم تزعمون أن هذا ليس هو عبدة الأصنام والأوثان المذكورة في القرآن، فهذا من العجب، فإني لا أعلم أحداً من أهل العلم يختلف في ذلك.. إلى أن قال: وأن أدعو من خلفني إلى أحد أربع: إما إلى كتاب الله، وإما إلى سنة رسول الله ﷺ، وإما إلى إجماع أهل العلم، فإن عاند دعوته إلى المباهلة...»<sup>(١)</sup>.

وقال رحمه الله في رسالة بعثها إلى محمد بن فرس: «الواصل إليكم مسألة التكفير، ومن كلام العلماء، وذكر في الإقناع إجماع المذاهب كلها على ذلك، فإن كن عند أحد كلمة تخالف ما ذكروه في مذهب من المذاهب، فذكرها وجزاه خيراً، وإن كان ينبغي يعاند كلام الله، وكلام رسوله، وكلام العلماء، ولا يصغي لهذا أبداً، فاعرفوا أن هذا الرجل معاند، ما هو بطلاب حق، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلٰٓئِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِدْءِ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠]».

### الأصل الثالث: التفريق بين التكفير المطلق، وتكفير المعين:

يفرق الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بين التكفير المطلق وتكفير المعين فيقرر: أن من قال كذا، أو فعل كذا، فهو كافر، لكن الشخص المعين الذي قال ذلك القول، أو فعل ذلك الفعل، لا يحكم بكفره بعينه، حتى تتم جميع

الشروط، وتنتفي جميع الموانع<sup>(١)</sup>.  
 وإذا انطلقت الشروط، وانتفت الموانع، في حق الشخص المعين فقد قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب: «ومسألة تكفير المعين مسألة معروفة، إذا قال قولاً يكون القول به كفرًا، فيقل من قل بهذا القول فهو كافر. ولكن الشخص المعين إذا قل ذلك، لا يُحكم بكفره، حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها»<sup>(٢)</sup>.

**سمات منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته في مسألة التكفير:**  
**السمة الأولى:** تفريقه بين قيام الحجة، وفهم الحجة:

من السمات البارزة في منهج الإمام محمد رحمته، تفريقه بين قيام الحجة، وفهم الحجة. فمن بلغته حجة الله التي بعث بها رسوله، فقد قامت عليه الحجة. و«الحجة على العبادة إنما تقوم بشيئين: بشرط التمكن من العلم بما أنزل الله، والقدرة على العمل به، فأما العاجز عن العلم كالمجنون، أو العاجز عن العمل، فلا أمر عليه، ولا نهى، وإذا انقطع العلم ببعض الدين، أو حصل العجز عن بعضه، كان ذلك في حق العاجز عن العلم أو العمل بقوله، كمن انقطع عن العمل بجميع الدين، أو عجز عن جميعه كالمجنون مثلاً»<sup>(٣)</sup>. وأيضاً فإن قيام الحجة، يختلف باختلاف الأزمنة، والأمكنة، والأحوال والأشخاص.

(١) تُنظر شروط والموانع في رسالة «تكفير المعين عند شبيخي للإسلام ابن تيمية وابن عبد الوهاب»، (ص ٤٠ وما بعدها). وسأُتي بعضها - إن شاء الله -.

(٢) الدرر السنية (٨ / ٢٤٤)

(٣) مجموع لفتاوى (٢٠ / ٥٩).



كما قال ابن القيم: «إن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، فقد تقوم حجة الله على الكفر في زمان دون زمان، وفي بقعة وناحية دون أخرى. كما أنها تقوم على شخص دون آخر، إما لعدم عقله وتمييزه كالصغير والمجنون، وإما لعدم فهمه كالدي لا يفهم الخطاب، ولم يحضر ترجمان يترجم له»<sup>(١)</sup>. وأما فهم الحجة لكلام الله ورسوله، كفهم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فلا يُشترط ذلك.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب: «الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي حديث عهد بالإسلام. والذي نشأ ببادية بعيدة، أو يكون ذلك في مسألة خفية مثل الصرف والعطف؛ فلا يكفر حتى يُعرَّف، وأما أصول الدين التي أوضحها الله وأحكمها في كتابه، فإن حجة الله هو القرآن، فمن بلغه القرآن فقد بلغته الحجة، ولكن أصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة، وفهم الحجة، فإن أكثر الكفار والمنافقين من المسلمين، لم يفهموا حجة الله عليهم، مع قيامها عليهم، كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقن: ١٤٤]، وقيام الحجة نوع، وبلغها نوع، وقد قامت عليهم، وفهمهم إيها نوع آخر، وكفرهم ببلوغها إيهاهم وإن لم يفهموها، فإن أشكل عليكم ذلك، فانظروا قوله ﷺ: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم»<sup>(٢)</sup>، مع كونهم في عصر الصحابة، ويحقر الإنسان عمل الصحابة معهم، ومع إجماع الناس أن لذي أخرجهم من الدين هو التشدد والغلو والاجتهاد، وهم يظنون أنهم يطيعون الله، وقد بلغتهم الحجة، ولكن لم يفهموها، وكذلك قتل علي رضي الله عنه الذين

(١) طريق نهجرتس لاس النقم (ص ٤١٤)

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٣٠) ومسلم (٢٤٥٩).

اعتقدوا فيه. وتحريقهم بالنار<sup>(١)</sup>. مع كونهم تلامذ الصحابة، مع عبادتهم وصلاتهم، وصيامهم، وهم يظنون أنهم على حق. وكذلك إجماع السلف على تكفير علاة القدرة وغيرهم، مع علمهم وشدة عبادتهم، وكونهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ولم يتوقف أحد من السلف في تكفيرهم، لأجل كونهم لم يفهموا<sup>(٢)</sup>.

ويقول أيضاً: «ومن المعلوم أن قيام الحجة، ليس معناه أن يفهم كلام الله ورسوله، مثل فهم أبي بكر رضي الله عنه، بل إذا بلغه كلام الله ورسوله وخلا من شيء يعذر به فهو كافر، كما كان الكفار كلهم تقوم عليهم الحجة بالقرآن، مع قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ [إسراء: ٤٦]، وقوله: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الَّذِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال ٢٢]»<sup>(٣)</sup>.

السمة الثانية: الاحتراز والتثبت:

من سمى منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله، أنه شديد الاحتراز والتثبت في شأنه كله، لاسيما في مسائل التكفير.

يقول الشيخ حسين بن غنام في تاريخه: «إن الشيخ كان ملتزماً بالمنهج السوي، ولم يتسرع لسنه بتكفير أناس أشربت قلوبهم بالمعصية، وبما كانوا عليه من القبائح الشركية»<sup>(٤)</sup>.

ومما يدل على احتراز وتثبت الإمام محمد بن عبد الوهاب، في مسائل

(١) أخرجه: البحري (٣٠١٧).

(٢) مؤلفات لشيخ الإمام، القسم الخامس. رسائل الشخصية (ص ٢٤٤).

(٣) لمرجع نساق (ص ٢٢٠).

(٤) تاريخ ابن غنام (١، ٣٣، ٣٦).

التكفير، قوله رحمه الله: «من أظهر الإسلام، وظن أنه أتى بناقض، لا تكفره بلظن، لأن اليقين لا يرفعه الظن وكذلك لا تكفر من لا يعرف منه الكفر، سبب ناقض ذكر عنه ونحن لم نحققه»<sup>(١)</sup>.

السمة الثالثة: وسطيته في مسائل التكفير بين الجافي والغالي:

من السمات البارزة في منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب في مسائل التكفير، وسطيته بين المرجئة التي فرطت في التكفير، وبين الخوارج الذين أفرطوا في هذا الجانب، فكفروا مرتكب الكبيرة.

ومن المعلوم أن كلا المذهبين، مذهب الخوارج، ومذهب المرجئة، خطرهما عظيم، وعاقبتهما سيئة، فمذهب الخوارج خطره على دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم وجمع كلمتهم، ومذهب المرجئة خطره على دين الله، والتزام الناس بشريعته<sup>(٢)</sup>.

وهذه الوسطية التي ينتهجها الإمام محمد بن عبد الوهاب، هي عقيدة أهل السنة والجماعة، التي يعتقدونها، ويدعو الناس إليها.

قل رحمه الله مقررًا ذلك: «أشهد الله ومن حضرني من الملائكة، وأشهدكم أنني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة... إلى أن قال: والفرقة الناجية وسط في باب أفعاله تعالى بين القدرية والجبرية، وهم في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية، وهم وسط في باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية»<sup>(٣)</sup>.

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الخامس، الرسائل (ص ٢٤).

(٢) انظر: منهج ابن سبويه في التكفير (١ / ٤).

(٣) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الخامس، الرسائل الشخصية (ص ٨).

وقال رحمه الله مخالفًا منهج الحوارج: «ولا أكفر أحد من المسلمين بنبأ، ولا أخرجه من دائرة الإسلام»<sup>(١)</sup>.

وقال أيضًا: «أهل العلم قلوب: لا يجوز تكفير المسلم بالذنب، وهذا حق ولكن ليس هذا ما نحن فيه، وذلك أن الخوارج يكفرون من زنى، أو من سرق، أو سفك الدم، بل كل كبيرة إذا فعلها المسمم كفر»<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضًا: «ولا يخرج عن مرتبة الإسلام، إلا الكفر بالله والشرك المخرج من الملة، وأما المعاصي والكبائر، كالزنى والسرقة وشرب الخمر، وأشبه ذلك فلا يخرج عن دائرة الإسلام عند أهل السنة والجماعة، خلافًا للخوارج والمعتزلة، الذين يكفرون بالذنوب، ويحكمون بتخليده في النار».

#### تكفير المعين وشروطه:

يقرر الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أن الحكم على المعين مرتبط بضوابط شرعية، فلا يمكن أن يكون الحكم على الناس، مبني على ظنون وأوهام، أو دعاوى لا يملكون عليها بينات، وإنما يكون الحكم الدنيوي على الشخص بالإسلام أو الكفر، بناء على الظاهر منه، أما الحكم على الحقيقة فلا سبيل إليه.

قال رحمه الله: «وأما ما ذكر الأعداء عني أنني أكفر بالظن والمبالاة، أو أكفر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة، فهذا بهتان عظيم، يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله»<sup>(٣)</sup>.

(١) المرجع السابق (ص ١٠)

(٢) المرجع السابق (ص ٢٣٣).

(٣) المرجع السابق (ص ٢٥)

## موانع تكفير المعين عند الإمام محمد بن عبد الوهاب:

يتترم الإمام محمد بن عبد الوهاب موانع التكفير، على نهج السنف ومن ذلك:

أولاً: الجهل: فهو يرى العذر بالجهل لمن لم تقم عليه الحجة، مثل من كان حديث عهد بالإسلام، أو ببادية بعيدة عن العلم، أو كان في المسائل الخفية.

ولا يرى العذر بالجهل لمن قامت عليه الحجة، ففرط في التعلم، أو ادعى الجهل في أصول الدين التي أوضحها الله في كتابه، وكانت من المعلومات بالضرورة.

ولهذا قال رحمه الله: «الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي حديث عهد بالإسلام، والذي نشأ ببادية بعيدة، أو يكون ذلك في مسألة خفية مثل الصرف والعطف، فلا يكفر حتى يُعرف، وأما أصول الدين التي أوضحها الله، وأحكمها في كتابه، فإن حجة الله هي القرآن، فمن بلغه القرآن فقد بلغته الحجة»<sup>(١)</sup>.

ثم إن بعض الناس يظن أن من لم يوفق لقبول الحق، لم تقم عليه الحجة، وهذا خطأ كبير، بل وصف الإمام محمد هذا الخطأ بقوله (أصل الإشكال) فقال: «ولكن أصل الإشكال: أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة، وفهم الحجة»<sup>(٢)</sup>، فمن بلغه الخطاب، وفهم معناه، فقد قامت عليه الحجة، وليس كل من يفهم الحق ينقذ له.

فاحوارج مثلاً - عاشو في دار العلم مع الصحابة، وفهموا نفاش الصحابة

(١) المرحع السابق (ص ٢٤٤).

(٢) المرحع السابق

لهم . ولكن لم يوفقوا لهداية . فلا يعدل حينئذ لم تقم عليهم الحجة ، ففرق بين قيام الحجة ، وفهم الحجة كفهم أبي بكر وعمر ، كما قل لإمام محمد : « فمر المعلوم أن قيمها ليس معناه أن يفهم كلام الله ورسوله . مثل فهم أبي بكر رضي الله عنه »<sup>(١)</sup> .

### ثانيًا: الإكراه:

وقد اعتبر الإمام محمد بن عبد الوهاب الإكراه ، مانعا من موانع التكفير . يدعى ذلك أنه لما ذكر نواقض الإسلام العشرة قال : « ولا فرق في جميع هذه لنواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره »<sup>(٢)</sup> ، فلاحظ قوله « إلا المكره » .

### ثالثًا: الخطأ:

وقد ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب أن الذين قالوا للنبي ﷺ « اجعل لنا ذات أنواط » لم يكفروا بسبب أنهم قلوا ذلك مخطئين ، بدليل أنهم عندما نُبهوا على خطأ ذلك تركوه ، ولو عاودوا ذلك بعد النهي ، وفعلوا ما نُهوا عنه كُفروا ، فقال ﷺ : « لا خلاف في أن الذين نهاهم لنبي ﷺ لو لم يطيعوه ، واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا . وهذا هو لمطلوب ، ولكن هذه قصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها ، فنفيد لتعلم والتحرر . ومعرفة أن قول الجاهل « التوحيد فهمناه ! أن هذا من أكبر لجهل ، ومكيد الشيطان . ونفيد أيضًا أن المسلم المحتشم إذا تكلم بكلام كفر وهو لا بدري ، فُتِنه على

(١) المرجع السابق (ص ٢٢٠)

(٢) المرجع السابق (ص ٢١٤)

ذلك، فتأب من ساعته، أنه لا بكفر، كما فعل بنو إسرائيل، والذين سألوا النبي ﷺ<sup>(١)</sup>.

وهذا كما ترى نص صريح من الإمام محمد بن عبد الوهاب في عدم الحكم بالكفر على المجتهد المخطئ.

### رابعاً: التأويل:

والمقصود بالتأويل في بحثنا: هو ما يعرض للشخص من فهم لنصوص الشريعة، يكون مخالفاً لم فهمه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم، وأئمة الدين، وذلك لورود شبهة معينة على ذهن الشخص تصرفه عن الحق، فيقع في المخالفة، وهو لا يقصد مخالفة الشريعة.

وليس كل تأويل يكون عذراً لصاحبه، بل إن التأويل نوعان، نوع لا يكون عذراً لصاحبه، ونوع يُعذر صاحبه به، كما قرر ذلك الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله حيث قال: «التأويل الفاسد في رد النصوص ليس عذراً لصاحبه، كما أنه سبحانه لم يعذر إبليس في شبهته التي أبدأها، كما لم يعذر من خالف النصوص متأولاً مخطئاً، بل كان ذلك التأويل زيادة في كفره»<sup>(٢)</sup>.

وأما التأويل الذي يُعذر صاحبه، فمن أمثلته ما نقله ولخصه الإمام محمد بن عبد الوهاب من تقرير ابن تيمية حيث قال: «لما استحل طائفة من الصحابة والتابعين الخمر، كقدامة وأصحابه، ظنوا أنها تباح لمن عمل صالحاً على ما فهموا من آية المائدة، اتفق علماء كعمر وعلي وغيرهما على أنهم يُستتابون. وإن

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الأول العقيدة، كشف السبوت (ص ١٧٥).

(٢) مؤلفات الشرح للإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الرابع، لتفسير (ص ٩٢).

أصروا على الاستحلال كفروا، وإن أقروا بالتحريم جلدوا، فلم يكفروهم  
 بالاستحلال ابتداءً لأجل الشبهة حتى يبين لهم الحق، فإن أصروا كفروا»

إذن: فمنهج الإمام محمد بن عبد الوهاب في مسألة التأويل، أنه يقسم  
 التأويل، إلى تأويل سائغ يُعذر صاحبه، وتأويل غير سائغ لا يُعذر صاحبه.

وأما التأويل غير السائغ: -أو التأويل الفاسد كما يسميه الإمام محمد ابن  
 عبد الوهاب - فهو معارضة النصوص الشرعية بالهوى، والأقيسة الفسدة،  
 والتأويلات الباطنية التي هي في حقيقة الأمر، تكذيب للنصوص الشرعية.





الاعتقادات المكفرة عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته:

الأول: استحلال أمر معلوم تحريمه من الدين بالضرورة:

معنى الاستحلال: هو أن يعتقد في المحرمات أن الله لم يحرمها، أو أنها مباحة<sup>(١)</sup>.

فالاستحلال كفر اعتقادي، يختص بمخالفة النواهي باستحلالها، كاستحلال الخمر مثلاً.

وقد نقل الإمام محمد بن عبد الوهاب: «جمع الصحبة في زمن عمر على تكفير قدامة بن مظعون وأصحابه، إن لم يتوبوا، لم فهموا من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا﴾ [المائدة: ٩٣]، حل الخمر، لبعض الخواص»<sup>(٢)</sup>.

الثاني: الشك في حكم من أحكام الله تعالى أو خبر من أخباره:

الشك هو التردد بين شيئين، كالذي لا يجزم بصدق الرسول ﷺ ولا بكذبه؛ قال الإمام محمد بن عبد الوهاب: «من لم يكفر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم، كفر إجماعاً»<sup>(٣)</sup>. ولهذا كان من شروط لا إله إلا الله: اليقين المنافي للشك.

(١) الصدم المسبوب، (ص ٥٢٣).

(٢) مؤبدت شيخ الإمام محمد بن الوهاب، القسم لأول، العقيدة (ص ٣٨٠).

(٣) مؤلفات شيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الخامس، الرسائل، شحصة (ص ٢١٣).

وقد ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب أن الشك في القرآن والأحاديث، يوجب هدم الدين، فقال رحمه - في رده على الرافضة القائلين بردة الصحابة كلهم إلا أربعة - : «إذا فرض ارتداد من أخذ من النبي ﷺ، إلا النمر الذين لا يبلغ خبرهم التواتر، وقع الشك في القرآن والأحاديث، نعوذ بالله من اعتقاد يوجب هدم الدين...»<sup>(١)</sup>.

وقد عدّ رحمه : كفر الشك أحد أنواع الكفر المخرج من الملة، فقال : «النوع الثالث : كفر الشك، وهو كفر الظن، والدليل عليه قوله تعالى : ﴿وَدَخَلَ حَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن يُبَدَّ هَذِهِ أَبَدًا﴾ (٢٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّودَتْ إِلَى رَبِّي لَآجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ (٢٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ [الكهف : ٣٥-٣٧]»<sup>(٢)</sup>.

الثالث : من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع النبي ﷺ :

ولهذا فقد اعتبر الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه ، من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه متابعة الرسول ﷺ، أو يسعه الخروج عن طاعته، اعتبره أتى اعتقادًا مكفرًا.

فقال في رسالته «نواقض الإسلام» ما نصه : «التاسع : من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام، فهو كافر»<sup>(٣)</sup>.

(١) مؤلفات الشيخ لإمام محمد بن عبد الوهاب، ملحق المصنفات (ص ١٣).

(٢) لدرر اسية (٢ / ٧٠).

(٣) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الخامس، الرسائل الشخصية، (ص ٢١٣).

وكما اعتبر الإمام محمد بن عبد الوهاب هذا الاعتقاد مكفراً، فقد اعتبره أيضاً جمع من أهل العلم، وذكروا أن هذا لمعتقد المكفر، مشتهر عند غلاة الصوفية والباطنية، قال عنهم ابن الجوزي رحمه الله: «إن قوماً منهم داوموا على الرياضة مدة، فأبوا أنهم قد تجوهروا، فقالوا: لا يبالي لأن ما عملنا، وإنما الأوامر والنواهي رسوم للعوام، ولو تجوهروا لسقطت عنهم، قالوا وحاصل النبوة ترجع إلى الحكمة والمصلحة، والمراد منها ضبط العوام، ولست من العوام، فندخل في حجر التكليف، لأن قد تجوهروا، وعرفنا الحكمة»<sup>(١)</sup>.

وقال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن هؤلاء من يحتج بقوله: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، ويقول معناها: اعبد ربك حتى يحصل لك العلم والمعرفة، فإذا حصل ذلك سقطت العبادة، وربما قال بعضهم: اعمل حتى يحصل لك حل، فإذا حصل لك حل تصوفي سقطت عنك العبادة، وهؤلاء فيهم من إذا ظن حصول مطلوبه من المعرفة والحال، استحل ترك الفرائض، وارتكاب المحارم، وهذا كفر»<sup>(٢)</sup>.

#### الرابع: بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ:

وبغض وكرهية ما أنزل الله على رسوله، من صفات الكافرين، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ فَاسْخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [محمد: ٩] وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّهُمْ كَافِرُونَ﴾ [سؤمن: ٧٠].

وقد عد الإمام محمد بن عبد الوهاب هذا المعتقد من نوافض الإسلام،

(١) نيسب بلس (ص ٤٩٦)

(٢) مجموع الفتاوى (١١ / ٤٠٥)

فقال رحمه الله في رسالته «لوقض الإسلام»: «الخامس: من أعض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ، كفر إجماعاً، والدليل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنزِلَ إِلَهُمْ فَأَلْخَطَ أَعْيُنُهُمْ﴾ محمد [٢٩]»<sup>(١)</sup>. ولما سئل رحمه الله عن معنى ما نقله صاحب الإقذاع، في باب حكم المرتد، عن قول الشيخ تقي الدين: أو كان مبغضاً لما جاء به الرسول اتفاقاً، فما معنى هذا؟

أجاب رحمه الله: «قوله: أو كان مبغضاً لما جاء به لرسول، ولم يشرك بالله، لكن أبغض الرسول عنه، ودعوة الناس إليه، كما هو حال من يدعي العلم، ويقرر أنه دين الله ورسوله، ويبغضونه أكثر من بغض دين اليهود والنصارى، بل يعدون من انتفت إليه، ويحلون دمه وماله، ويرمونه عند الحكم.

وكذلك لرسول أبي بلانذر عن لشرك، بل هو أول ما أنذر عنه، وأعظم ما أنذر عنه، ويقولون: خلق الله ما يتيهون، وينصرون بالقلب واللسان واليد.

والتكفير: بالاتفاق فيمن أبغض النهي عنه، وأبغض الأمر بمعاداة أهله، ولو لم ينكم، ولم ينصر، فكيف إذ فعل ما فعل»<sup>(٢)</sup>.

**الخامس: اعتقاد وجود هدي أو حكم أفضل من هدي النبي ﷺ وحكمه:**

ووجه كون هذا الاعتقاد مكفراً، أنه تكذيب لما جاء في الكتاب والسنة، بأن هدي النبي ﷺ وحكمه، خير الهدي، وأن ما جاء به النبي ﷺ يهدي لنتي هي أقوم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا نَقْرًا فَهِيَ نَقْرَةٌ بِهِيَ هِيَ قَوْمٌ مُّؤْمِنُونَ﴾

(١) مؤلفات نسخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، المسمى بحسن، الرسائل لتحصية (ص ٢١٣)

(٢) مؤلفات شيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الثاني، ماوى ومسائل (ص ٦٢)

لَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ [الإسراء: ٩]، وفي حديث جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب يقول: «أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد»<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [مائدة: ٥٠].

وقد ذكر الإمام محمد عبد الوهاب في رسالته (نوقض لإسلام) أن اعتقاد وجود هدي أو حكم، أفضل من هدي النبي ﷺ وحكمه، كفر مخرج عن الإسلام، فقال ما نصه: «الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يُفصل حكم الطواغيت، فهذا كافر»<sup>(٢)</sup>.

### الأقوال المكفرة عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله:

الأول: سب الله تعالى أو الاستهزاء به:

وقد ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله أن الاستهزاء بالله، وتنقصه، كفر بالله تعالى. قال رحمته الله: (باب من هزل بشيء فيه ذكر له أو القرآن أو لرسول) وفول له تعالى: ﴿وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ بِأَنفُسِكُمْ وَأَن تَتْلُوا رَسُولَكُمْ كُنْتُمْ قَسَّيْرُِونَ﴾ [نور: ٦٥]، وعن ابن عمر، ومحمد بن كعب، وريد بن أسلم، وقتاده .. دخن حديث بعضهم في بعض - أنه قال رجر في غروة توك: «ما رأيت مثل قرائت أرغب بطون، ولا أكذب ألسن، ولا أجبر عند اللقاء - يعني رسول الله ﷺ وأصحابه لقرء - فقال له عوف بن مالك:

(١) أخرجه مسند (٢٠٠٢)

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، قسم الخامس، رسائل الشخصنة

كذب ولكث منقو، لأحبرن رسول الله ﷺ. هدهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ، وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض، ونتحدث حديثاً لركب، نقطع به عند الطريق.

قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعقاً بنسعة ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تكب رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب.

فيقول له رسول الله ﷺ: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَءَايَاتِهِ وَرُسُلِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ لا تَعْدِرُوا فَمَا كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [نوبة ٦٥-٦٦]. ما ستفت إليه، وما يريد عليه «فيه مسائل: الأولى: وهي العظيمة، أن من هزل بهذا، فإنه كافر»<sup>(١)</sup>.

الثاني: سب الرسول ﷺ أو أحد من الأنبياء:

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب فيمن اتهم ثم ائمتين عتشة ﷺ: «ومن هذا الاتهام يزم نقص النبي ﷺ، ومن نقص الله ورسوله فقد كفر. وهو بعمله هذا خارج عن أهل الإيمان، متبع لخطوات لشيطان، وملعون في السب والآخرة»<sup>(٢)</sup>.

الثالث: الاستهزاء بكتب الله المنزلة أو بدين الله أو بشيء من ثوابه وعقابه:

فقد عدَّ الإمام محمد بن عبد الوهاب هذا لاستهزاء بشيء مما جاء به رسول الله ﷺ أحد نوافض لإسلام، فقال رحمه الله: «السادس: من استهزأ بشيء من

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، قسم لأول، بعدده. كذب لنوحى (ص ١١٧، ١١٨).

(٢) مؤلفات شيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، ملحق مصنفات (ص ٢٤).

دين الرسول ﷺ، أو ثواب الله، أو عقابه، كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَسَيَرَكُنَّ لِحَنِيهِمْ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَلَهُمْ فِيهَا أَعْيُنٌ مُدَبَّرَةٌ وَأَعْيُنٌ مُعَمَّرَةٌ لَكُمْ فِيهَا شِقَاقٌ كَثِيرٌ وَأَقْصَىٰ كُفْرٍ أَنْ يَقُولُوا سَوَاءٌ مَا نَعْبُدُ اللَّهَ وَمَا كُنَّا كَافِرِينَ﴾ [التوبة ٦٥-٦٦] (١).

#### الرابع: إنكار المعلوم من الدين بالضرورة:

قرر الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كفر من أنكر معلوم من الدين بالضرورة، كجحد ركن من أركان الإسلام، حتى لو تلفظ بالشهادة، فقال بجملة: «معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل لليهود، وسبهم، وهم يقولون: لا إله إلا الله، وأن أصحاب رسول الله ﷺ قتلوا بني حنيفة، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويصنون، ويدعون الإسلام، وكذلك ندين حرقهم علي بن أبي طالب بالسار، وهؤلاء لجهله مقرونون من أنكر البعث كفر، وقُتل، ولو قال لا إله إلا الله، وأن من جحد شيئاً من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قلها» (٢).

وقد بطلت مية أن كفر أهل الشرك معلوم من الدين بالضرورة، ومنكرًا على من زعم أن المشرك لا يكفر إلا إذا أنكر الإسلام جملة! : «المسألة الثانية: لإقرار بأن هذا هو شرك الأكبر، ولكن لا يكفر به إلا من أنكر لإسلام جملة، وكذب لرسول ولقرآن، وتبع يهوديه أو نصرانية أو غيرهما. وهذا هو الذي يجادل به أهل شرك والعدو... فاعلم أن تصور هذه لمسألة تصور حسن، يكفي في إبطالها من غير دليل خاص. لوجهين:

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، المعقبة والأدب الإسلامي (ص ٣٨٦)  
(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، المصنف الأول، المجلد ١، كشف المسببات (ص ١٧٦)

الأول: أن مقتضى قولهم أن الشرك بالله، وعبادة الأصنام لا تأثير لها في التكفير، لأن الإنسان إن انتقل عن الملة إلى غيرها، وكذب الرسول والقرآن فهو كافر، وإن لم يعبد الأوثان كاليهود.

فإذا كان من انتسب إلى الإسلام لا يكفر إذ أشرك الشرك الأكبر؛ لأنه مسلم يقول: لا إله إلا الله، ويصلي، ويفعل كذا وكذا، لم يكن للشرك وعبادة الأوثان تأثير، بل يكون ذلك كالسواد في الخلقة، أو العمى، أو العرج، فإن كان صاحبها يدعي الإسلام فهو مسلم، وإن ادعى ملة غيرها فهو كافر، وهذه فضيحة عظيمة، كافية في رد هذا القول الفظيع.

الوجه الثاني: أن معصية الرسول ﷺ في الشرك، وعبادة الأوثان، بعد بلوغ العلم كفر صريح بالفطر والعقول، والعموم الضرورية، فلا يُتصور أنك تقول لرجل: ولو من أجهل الناس، وأبلدهم، ما تقول فيمن عصى الرسول ﷺ ولم ينقل له في ترك عبادة الأوثان والشرك، مع أنه يدعي أنه مسلم متبع؟ إلا ويبدر بالفطرة الضرورية إلى القول بأن هذا كفر، من غير نظر في الأدلة، أو سؤال أحد من العلماء<sup>(١)</sup>.

الخامس: رد النصوص الثابتة في الكتاب والسنة:

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب: «لا خلاف بين العلماء كلهم، أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شيء، وكذبه في شيء، أنه كفر لم يدخل في الإسلام»<sup>(٢)</sup>.

(١) مؤلفات نسج للإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الأول، العقيدة معبد المستقيم (ص ٣٠٧)

(٢) مؤلفات الشيخ للإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الأول، العقيدة (ص ١٧١)



ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا  
بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ  
سَبِيلًا ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [نساء: ١٥٠]  
[١٥١]، فإذا كن من آمن ببعض وكفر ببعض، كفر، فكيف بمن كفر بجميع  
الكتب ورده ولم يقبله؟!

الأفعال المكفرة عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته:

الأول: الإشراف بالله:

ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب أن الشرك ينقسم قسمين، أكبر وأصغر،  
فلأكبر مخرج من الملة، والأصغر لا يخرج من الملة، وقد بين الإمام محمد  
بعض الأمثلة للشرك الأصغر فقال: «كيسير الربء، والحلف بغير الله، وقول:  
هذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، وما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله  
وعبيك، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا، وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب حل  
قائله ومقصده.

ومثل للشرك الأكبر، بطب الحوائج من الموتى، ودعائهم لذلك، والنذر لهم  
ليشفعوا عن الله لداعيهم، والنذر لهم»<sup>(١)</sup>. والمقصود بالبحث هنا، الشرك  
الأكبر.

ولقد عرّف الإمام محمد بن عبد الوهاب الشرك بالله، فقال: «هو أن يدعو مع  
الله غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها».

(١) مؤلفات الشيخ للإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الأول، عقبيه، مصد المسند

فمن صرف شيئاً من أنواع لعبادة لغير الله تعالى، أو قصد غير الله بسوء من أنواع العبادة، فقد اتخذ هذا الغير رباً وإلهاً من دون الله تعالى. وأشرك مع الله غيره الشرك الأكبر الذي نهى عنه، وأكبره على المشركين. وأخبر أنه لا يغفره. فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ مَنْ يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]<sup>(١)</sup>.

وذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب صفة إشراك المشركين، وأنها تنطبق على مشركي زمانه وزيادة، فقال: «واعلم أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ، صفة إشراكهم أنهم يدعون الله، ويدعون معه الأصنام والصالحين، مثل عيسى وأمّه، والملائكة، يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وهم يقولون أن الله سبحانه هو النافع الضار، المدبر، كما ذكر الله عنهم في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]، فإذا عرفت هذا، وعرفت أن دعوتهم الصالحين، وتعلقهم عليهم، أنهم يقولون: ما نريد إلا الشفاعة، وأن النبي ﷺ قاتلهم ليخلصوا الدعوة لله، ويكون الدين كله لله... وعرفت أن ذلك هو الشرك بالله الذي لا يغفر لمن فعله، وهو عند الله أعظم من الزنا، وقتل النفس، مع أن صاحبه يريد به التقرب من الله، ثم مع هذا عرفت أمراً آخر، وهو أن أكثر الناس ما عرف هذا، منهم الذين يسمونهم العلماء، في سدير والوشم وغيرهم، إذا قالوا نحن موحدون الله، نعرف ما ينفع ولا يضر إلا الله، وأن

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الأول، العقيدة، الأصول الثلاثة (ص ١٨٦).

لصالحين لا ينفعون ولا يضرّون، وعرفت أنهم لا يعرفون إلا توحيد الكفار، توحيد الربوبية، عرفت كبر نعمة الله عبيث، خصوصاً إذا عرفت أن الذي يواجه الله، ولا يعرف التوحيد، أو عرفه ولم يعمل به، أنه حالد في النار، ولو كان من أعبد الناس، كما قال تعالى: ﴿يَتَّبِعُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِيُظْلِمِينَ مِنْ أَصْكَارٍ﴾ [الحج: ١٧٢] <sup>(١)</sup>.

وقد واجه الإمام حجج المشركين في زمانه، فكشف شبههم بالدليل والبرهان، قال ﷺ: «أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل، يصدون بها الناس عنه، منها قولهم: نحن لا نشرك بالله، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرراً، فضلاً عن عبد القادر أو غيره، ولكن أنا مذهب، والصالحون لهم جاه عند الله، وأطرب من الله بهم.

فجاوبه بما تقدم: وهو أن الذين قتلهم رسول الله ﷺ مقرون بما ذكرت، ومقرون أن أوثانهم لا تدبر شيئاً، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة، وقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووضحه.

فإن قال: هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام؟ أم كيف تجعلون الأنبياء أصناماً؟ فجاوبه بما تقدم.

فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها، وأنهم ما أردوا ممن قصدوا إلا الشفاعة، ولكن أراد أن يفرق بين فعه، وفعلهم بما ذكر.

فذكر له أن الكفار منهم من يدعوا الأصنام، ومنهم من يدعوا الأوبى الذين

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الأول، العقيدة، الرسالة الثالثة

قال الله فيهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَدْعُوا يَسْعَوْنَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أَلْوَسِيَةً أَلَيْسَ قَرِيبٌ﴾ [إسراء: ٥٧]، ويدعون عيسى ابن مريم وأمه، وقد قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ بَنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاكُلَا مِنَ الطَّعَامِ أَنْظَرُ كَيْفَ نُنِيبُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَفَ يُؤْفَكُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ قُلْ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَآ يَمْلِكُ لَكُم ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [مائدة: ٧٥-٧٦]، واذكر له قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ يَأْكُرُونَ كَذِبًا يَعْبُدُونَ﴾ ﴿١٠﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ نَتَّ وَنُتَّ مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [سبا: ٤٠-٤١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا أَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَن أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتَ قَسَمَ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْبُدُمَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْبُدُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [مائدة: ١١٦]، فقل له: أعرفت أن الله كفر من قصد الأصنام، وكفر أيضًا من قصد الصالحين، وقاتلهم رسول الله ﷺ؟ فإن قال: الكفار يريدون منهم، وأنا أشهد أن الله هو النافع الضر المدبر، لا أريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم.

فالجواب: أن هذا قول الكفار سواء بسواء، واقرأ عليه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [نذر ١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يوس ١٨] واعلم أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم<sup>(١)</sup>.

ولما قال دعاة الشرك، إن الذين نزل فيهم القرآن وصفهم بأنهم كفار، لا

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهب، القسم الأول، تعقيد، كشف النقبات

يشهدون أن لا إله إلا الله، ويكذبون الرسول ﷺ، وينكروا البعث، ويكذبون القرآن، ويجعلونه سحرًا. ونحن نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وصدق القرآن ويؤمن بالبعث، ونصلي وصوم، فكيف تجعلون مثل أولئك؟

أجابهم الإمام محمد بن عبد الوهاب بقوله: لا خلاف بين العلماء كلهم أن لرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شيء، وكذبه في شيء، أنه كفر. لم يدخل الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن، وجحد بعضه، كمن أقر بالتوحيد، وجحد وجوب الصلاة، أو أقر بالتوحيد والصلاة، وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كله، وجحد الصوم، أو أقر بهذا كله، وجحد الحج.

ولما لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ للحج أنزل الله في حقهم: ﴿وَلَيْلَى عَلَى النَّاسِ حِجٌّ كَبِيتَ مَنَ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٧].

ومن أقر بهذا كله، وجحد البعث كفر بالإجماع، وحل دمه وماله كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَسْخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۚ﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١]، فإذا كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعض، وكفر ببعض، فهو الكافر حقًا، وأنه يستحق ما ذكر، زالت الشبهة، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسله إلينا.

ويقال أيضًا: إن كنت بقر أن من صدق الرسول ﷺ في كل شيء، وجحد وجوب الصلاة، إنه كافر، حلال الدم والمال، يجمع، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان، وصدق بذلك كله، لا تخنف المذاهب فيه، وقد نطو به القرآن كما قدمنا؛ فمعلوم أن التوحيد هو

أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ، وهو أعظم من الصلاة، ولركة، والصوم، وانحج، فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ؟ وإذا جحد التوحيد، الذي هو دين، لرسول كلهم لا يكفر؟ سبحانه الله، ما أعجب هذا الجهل.

ويقال أيضاً: هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وقد أسلموا مع النبي ﷺ وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، ويؤذنون، ويصلون، فإن قال إنهم يقولون: إن مسيلمة نبي، فقل: هذا هو المطلوب، إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النبي ﷺ كفر، وحل ماله ودمه، ولم تنفعه الشهادتان، ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمساً أو يوسف؟ أو صحابياً أو نبياً، إلى مرتبة جبر السماوات والأرض، سبحانه الله ما أعظم شأنه ﴿كَذَلِكَ يَطْعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٩-٦٠) [لروم: ٥٩-٦٠] (١).

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوها:

هذا النقض داخل في النقض الأول، لأنه من الشرك، وقد أفرد الإمام محمد بن عبد الوهاب في رسالته «نواقض الإسلام» لأهميته، وكثرة وقوعه بين الناس، ولأن بعض المشركين يظنون أن الشرك هو فقط عبادة الأصنام، أما الاعتماد على الصالحين ودعائهم لا يدخل في الشرك.

قال رحمه الله: «من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويسألهم الشفاعة، ويتوكل عليهم، فقد كفر إجماعاً» (٢).

(١) نمرحع اسبق (ص ١٧٢).

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الأول، العقيدة، مجموعة رسائل في التوحيد (ص ٣٨٦).

الثالث: ترك أركان الإسلام بالكلية:

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «أركان الإسلام الخمسة، أولها: الشهادتان، ثم الأركان الأربعة، فالأربعة إذا أفر بها، وبركها تهاوتاً، فحن وإن قتلناه على فعلها، فلا نكفره بتركها، والعلماء اختلفوا في كفر لتارك لها كسلا من غير جحود، ولا نكفر إلا ما أجمع عليه العلماء كلهم، وهو الشهادتان»<sup>(١)</sup>.  
وقد تقدم أن من أصول منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب أنه لا نكفر إلا بالمتفق عليه، دون المختلف فيه.

والإمام محمد يُكفر من لم يأت بالشهادتين، لأن ذلك متفق عليه، كما قال ابن تيمية: «اتفق المسلمون على أن من لم يأت بالشهادتين فهو كافر»<sup>(٢)</sup> فكيف بمن لم يأت بأركان الإسلام بالكلية؟  
الرابع: السحر:

قال الشيخ محمد - في رسالته نواقض الإسلام -: «اعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض... السبع: السحر، ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به، كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمَنَّ مِنْ أَحَدٍ حَقَّ يَقُولَا إِلَّا مَا نَحْنُ فِيهِ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]»<sup>(٣)</sup>.

الخامس: مظاهره المشركين ومعاونتهم على المسلمين:

قال الشيخ رحمه الله: «اعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض... الثامن: مظاهره المشركين، ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الثالث، فتاوى ومسائل (ص ٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٧، ٣٠٢).

(٣) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الأول، نعيمة، (ص ٣٨٦).

مَنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» [المائدة ٥١]»<sup>(١)</sup>.

والمقصود بالتولي المخرج عن الإسلام، التولي المطلق التام. كما قال ابن سعدي رحمه الله: «إن كان توليًا تامًا، كان ذلك كفرًا محررًا عن دائرة الإسلام، وتحت ذلك من المراتب ما هو غليظ، وما هو دونه»<sup>(٢)</sup>.

ومما ينبغي التنبيه له، والتنبيه عليه: أن بعض الناس خاضوا في مسائل الموالاة والمعداة بغير علم، وبنوا عليها أحكام الردة، ولم يفرقوا بين الموالاة المطلقة التامة، وما هو دونه، فكفروا بما لا يُكفر، ولم يقتصروا على ذلك. بل افتروا على الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ونسبوا أنفسهم إليه، وزعموا أن أفكارهم هذه مستمدة من كتبه، فلما بلغ بهم الأمر هذا المبلغ، استدعاهم عالم نجد ومفتيها العلامة عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ، فكشف شبهتهم، وأدحض حججهم، وبرأ ساحة جده - الإمام محمد بن عبد الوهاب - منهم ومن منتهجهم<sup>(٣)</sup>.

وكان مما قاله رحمه الله: «وتأمل قصة حاطب بن أبي بلتعة»<sup>(٤)</sup>، وما فيها من الفوائد، فإنه هاجر إلى الله ورسوله، وجاهد في سبيله، لكن حدث منه أنه كتب بسر رسول الله ﷺ إلى المشركين من أهل مكة، يخبرهم بشأن رسول الله ﷺ، ومسيره لجهادهم. ليتخذ بذلك يداً عندهم تحمي أهله وماله بمكة. فنزل

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الأول، العميدة، مجموعته رسائل في التوحيد (ص ٣٨٦)

(٢) تفسير لكريم لمان (٧ / ٣٥٧).

(٣) بطر: المقدمة التي كتبها الشيخ عبدالسلام الريحس على كتاب «أصون وصواب» لشكبر: «للشيخ عبداللطيف آل الشيخ (ص ٥)



الوحي بخبره، وكان قد أعطى الكتاب ضعينة جعلته في شعرها، فأرسل رسول الله ﷺ عليًا والزبير في طبب الضعينة، وأخبرهم أنهم بجذائنها في روضة خاخ، فكان ذلك، ونهدداه حتى أخرجت الكذب من طفائرها، فأتى به رسول الله ﷺ فدعا حاطب بن أبي بلتعة فقال له: «ما هذا؟» فقال: يا رسول الله: إني لم أكفر بعد إيماني، ولم أفعل هذا رغبة عن الإسلام، وإنما أردت أن تكون لي عند القوم يد أحمي بها أهلي ومالي، فقال ﷺ: «صدقكم خلوا سبيله».

واستأذن عمر في قتله فقال: دعني أضرب عنق هذا المنافق؟ فقال: «وما يدريك أن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم؟»، وأنزل الله في ذلك صدر سورة الممتحنة فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخْذُوا عِدُوِي وَعَدُوَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١] الآيات، فدخل حاطب في المخاطبة باسم الإيمان، ووصفه به، وتناوله النهي بعمومه، وله خصوص السبب الدال على إرادته، مع أن في الآية الكريمة ما يشعر أن فعل حاطب نوع موالاة، وأنه أبلغ إليهم بالمودة، وأن فعل ذلك قد ضل سواء السبيل، لكن قوله: «صدقكم خلوا سبيله» ظاهر فيه أنه لا يكفر بذلك، إذا كان مؤمنًا بالله ورسوله، غير شك ولا مرتاب، وإنما فعل ذلك لغرض دنيوي، ولو كفر لما قال: «خلوا سبيله».

ولا يقال قوله ﷺ «ما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» هو لمانع من تكفيره، لأننا نقول: لو كفر لما بقي من حسنة ما يمنع من لحق الكفر وأحكامه، فإن الكفر يهدم ما قبله، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾، المائدة [٥] وقوله: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعم ٨٨]، والكفر محبط للحسنة والإيمان بالإجماع، فلا يُظن هذا.

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، وقوله: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المحذنة: ٢٢]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِمَّنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧]، فقد فسرتة السنة وقيدته، وخصته بالموالاة المطلقة العامة.

وأصل الموالاة هي: الحب والنصرة والصدقة، ودون ذلك مراتب متعددة، ولكل ذنب حظه وقسطه من الوعيد والذنب، وهذا عند السلف الراسخين في العلم من الصحابة والتابعين معروف في هذا الباب وفي غيره، وإنما أشكل الأمر وخفيت المعاني، والتبست الأحكام على خلوف من العجم والمولدين. الذين لا دراية لهم بهذا الشأن، ولا ممارسة لهم بمعاني السنة والقرآن<sup>(١)</sup>.

**السادس: الإعراض التام عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به:**

والإعراض نوعان:

النوع الأول: مخرج عن الملة، وهو الإعراض الكلي التام عن دين الله تعالى، لا يتعلمه ولا يعمل به.

النوع الثاني: غير مخرج عن الملة، كأن يكون معه أصل الإيمان لكنه يُعرض عن فعل واجب من الواجبات الشرعية.

وقد قرر الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله أن النوع الأول، وهو لإعراض التام عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، كفر مخرج عن الملة، فقل في رسالته «نوافض الإسلام»: «اعلم أن نوافض الإسلام عشرة نوافض... (العاشر): الإعراض عن دين الله لا بنعمه، ولا بعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (٣/ ٧).

أَظَنُّم مِمَّنْ ذَكَرَ بِثَابِتِ رِيِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿٢٢﴾ [السجدة: ٢٢]،  
 وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ: مَا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأُطْعِمَ سَمَ بَنَوْنِ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ نَّعْدِ ذَلِكَ  
 وَمَا أَوْلَتْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ وَدَّ دُعَاؤُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾  
 [النور: ٤٧-٤٨]»<sup>(١)</sup>.

### أسباب الإفراط في التكفير:

أول الفرق إفراطاً في التكفير الخوارج المارقون، الذين يكفرون مرتكب  
 الكبيرة من المسلمين، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب: «الخوارج يكفرون من  
 زنى، أو من سرق، أو سفك الدم، بل كل كبيرة إذا فعلها المسلم كفر»<sup>(٢)</sup>.

السبب الأول: عدم التمسك بالكتاب والسنة: قال الشيخ في إحدى رسائله:  
 «وهو رحمته حمى جناب التوحيد، أعظم حماية، وسد كل طريق يوصل إلى  
 الشرك، فنهى أن يخصص القبر، وأن يبنى عليه، كما ثبت في صحيح مسلم من  
 حديث جابر، وثبت فيه أيضاً أنه بعث علي بن أبي طالب عليه السلام، وأمره ألا يدع  
 قبراً مشرفاً إلا سواه، ولا تمثالاً إلا طمسه، ولهذا قال غير واحد من العلماء  
 يجب هدم القباب المبنية على القبور، لأنها أسست على معصية رسول الله صلى الله عليه وسلم،  
 فهذا الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس حتى آل الأمر بهم، إلى أن كفرونا  
 وقاتلون، واستحلوا دماءنا وأموالنا»<sup>(٣)</sup>.

وقال أيضاً: «إن العداوة واستحلال دماءنا وأموالنا ونسائنا، لسبب عند التكفير

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الأول، لعقيدة، (ص ٣٨٧).

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الخامس، الرسائل الشحصية  
 (ص ٢٣٣).

(٣) المرجع لسابق (ص ١١٤).

والقتل. بل هم لدين يدؤوا بالتكفير والقتل. بل عند قوله تعالى ﴿وَأَنْ تَسْحَدَ لَهُ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الحج: ١٨]، وعند قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْعُوكَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُوسِئَةً أَلَيْسَ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وقوله: ﴿لَهُمْ دَعْوَةُ نَحْنُ وَلَيْسَ دَعْوَانُ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٤]»<sup>(١)</sup>.

وقال أيضًا مقررًا عقيدة أهل السنة والجماعة: «وهم في باب وعيد الله، وسط بين المرجئة والوعيدية، وهم وسط في باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية»<sup>(٢)</sup>.

السبب الثاني: الأسباب السياسية (نصرة الدولة له)، والأسباب النفسية (الحسد): قال الإمام محمد بن عبد الوهاب «هذا الذي أنكروا عليّ، وأبغضوني. وعدوني من أجله، إذا سألو، عنه كل عالم، في الشام واليمن أو غيرهم. يقول: هذا هو الحق، وهو دين الله ورسوله، ولكن ما أقدر أن أظهره في مكانه، لأجل أن الدولة ما يرضون، وابن عبد الوهاب أظهره لأن الحاكم في بلده ما أنكره، بل لما عرف الحق اتبعه»<sup>(٣)</sup>.

السبب الثالث: الجهل بالتوحيد الذي بعث الله به رسله، وجاءت في تقريره النصوص الشرعية، ذلك أن الإمام محمد بن عبد الوهاب، لما قرر التوحيد، الذي دعت إليه الرسل، كذّبه من لم يفهم التوحيد والشرك، وقالوا: كيف يصف أعمال الموحدين بالشرك؟ ورتبوا على ذلك أن الإمام محمد بن عبد الوهاب عنده غلو بالتكفير.

(١) مؤلفات شيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الرابع، التفسير (ص ١٥).

(٢) مؤلفات شيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الخامس، لرسائل استحصية (ص ٨).

(٣) المرجع السابق (ص ٣٢).

وفد ذكر لإمام محمد بن عبد الوهاب أنه وقف على أوراق يحظ ابن سحيم، أنكر فيها تكفير أهل الشرك. وقد عنق الإمام محمد على تلك الرسالة بقوله: «أنه: ذكر أن معنى التوحيد، أن تُصرف جميع العبادات من الأقوال والأفعال لله وحده، لا يُجعل فيها شيء لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل، وهذا حق، ثم يرجع - أي ابن سحيم - يكذب نفسه، ويقول: إن دعاء شمسان وأمثله في الشدائد والنذر لهم، ليبرئوا المريض، ويفرجوا عن المكروب الذي لم يصل إليه عبدة الأوثان وبل يخلصون في الشدائد لله، ويجعل هذا ليس من الشرك، ويستدل على كفره الباطل بالحديث الذي فيه أن الشيطان يأمر أن يُعبد في جزيرة العرب»<sup>(١)</sup>.

وقال رحمه الله في رسالته لابن سحيم: «وقولكم: إننا نكفر المسممين، كيف تفعلون كذا، كيف تفعلون كذا، فإن لم نكفر المسلمين بن ما كفرنا إلا المشركين»<sup>(٢)</sup>.

وقد ظن المخلفون أن من قال: لا إله إلا الله لا يكفر، ولو لم يعمل بمقتضاها، ويقولون إن الذين قاتلهم الرسول ﷺ وكفروهم، ونزل فيهم القرآن، لا يشهدون أن (لا إله إلا الله) فكيف يُجعل أولئك المشركين الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله، مثل الذي يقولها، ويصلي ويصوم؟ هذه الشبهة أوردت على الإمام محمد بن عبد الوهاب. وتولى الإجابة عليها بنفسه، فقال رحمه الله ما نصه: «اعلم أن لهؤلاء شبهة. يوردونها على ما ذكرنا. وهي من أعظم شبههم. فأصع سمعك لجوابها. وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن، لا يشهدون أن

(١) المرجع السابق (ص ٨٨، ٨٩)

(٢) المرجع السابق (ص ١٨٩)

(لا إله إلا الله)، ويكذبون الرسول ﷺ، وينكرون البعث، ويكذبون القرآن، ويجعلونه سحرًا، ونحن نشهد: أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي، ونصوم، فكيف تجعلون مثل أولئك؟  
 فلجواب: أنه لا خلاف بين العلماء كلهم، أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شيء، وكذبه في شيء، أنه كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن، وجحد بعضه، كمن أقر بالتوحيد، وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كله، وجحد الصوم، أو أقر بهذا كله، وجحد الحج.

ولما لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ للحج، أنزل الله في حقهم ﴿فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ زُرَّيْمٍ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَيَرْوِي عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٧]، ومن أقر بهذا كله، وجحد البعث، كفر بالإجماع، وحل دمه وماله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧]، فإذا كان الله قد صرح في كتابه، أن من آمن ببعض، وكفر ببعض، فهو الكافر حقًا، وأنه يستحق ما ذكر، زالت الشبهة، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسله إلينا.

ويقول أيضًا: إن كنت تقر أن من صدق الرسول ﷺ في كل شيء، وجحد وجوب الصلاة، إنه كافر حلال الدم والمال بالإجماع، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان، وصدق بذلك كله، لا تختلف المذهب فيه، وقد نطق به القرآن كما قدمنا.

فمعلوم أن التوحيد هم أعظم فريضة جاء به النبي ﷺ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج، فكيف إذا جحد الإنسان شيئًا من هذه الأمور كهر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين

الرسول كنههم لا يكفرو؟ سبحانه الله، ما أعجب هذا الجهر!

ويقول أيضًا: هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ، قذرو بني حيفة، وقد أسلموا مع النبي ﷺ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويؤذنون، ويصلون.

فإن قال إنهم يقولون: إن مسيلمة نبي، فقل: هذا هو المطلوب، إذا كان من رفع رجلًا إلى رتبة النبي ﷺ كفر، وحل ماله ودمه، ولم تنفعه الشهاداتان، ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمسان، أو يوسف؟ أو صحابيًّا أو نبيًّا إلى مرتبة جبار السماوات والأرض؟ سبحانه الله ما أعظم شأنه ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُتُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٩].

ويقول أيضًا: الذين حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار، كلهم يدعون الإسلام، وهم من أصحاب علي، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهم، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟ أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين؟ أم تظنون أن الاعتقاد في تاج<sup>(١)</sup> وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في علي بن أبي طالب يكفر؟

ويقال أيضًا: بنو عبید القداح<sup>(٢)</sup>، الذين مكوا المغرب في زمن بني العباس، كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويدعون الإسلام، ويصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء، دون ما نحن فيه، أجمع العلماء على كفرهم وقتلهم، وأن بلادهم بلاد حرب،

(١) اسم شخص يُعبد من دون الله في زمن الإمام محمد، وسبني كلام الشيخ محمد بن

إبراهيم نمت عنه.

(٢) عبديين، ويسمون زورًا «الططميون».

وغزاهم المسلمون، حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

ويقول أيضًا: إذا كان الأولون لم يكفروا إلا أنهم جمعوا بين الشرك وتكذب الرسول والقرآن وإنكار البعث وغير ذلك، فما معنى لباب الذي ذكره العلماء في كل مذهب: (باب حكم المرتد)، وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، ثم ذكروا أنواعًا كثيرة كل نوع منها، يكفر ويحل دم الرجل وماله، حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب.

ويقال أيضًا: الذين قال الله فيهم ﴿يَحْيَوْنَ بِإِسْمِهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةً كُفِّرُوا وَكُفِّرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: ١٧٤]، أما سمعت الله كفرهم بكلمة، مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ، ويجاهدون معه، ويصلون، ويزكون ويحجون ويوحدون. وكذلك الذين قال الله فيهم ﴿لَا تَعْدِرُوا فَمَا كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦]، فهؤلاء الذين صرح الله فيهم أنهم كفروا بعد إيمانهم، وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح.

فتأمل هذه الشبهة، وهي قولهم: تكفرون من المسلمين أناس يشهدون أن لا إله إلا الله، ويصلون ويصومون، ثم تأمل جوابها، فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق... إلى أن قال: ولمشركين شبهة أخرى: يقولون إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال لا إله إلا الله<sup>(١)</sup>. وكذلك قوله «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله<sup>(٢)</sup>». وأحاديث أخر في الكف عمن قالها.

ومراد هؤلاء الجهلة: أن من قالها لا يكفر، ولا يُقتل، ولو فعل ما فعل.

(١) أحرجه: البحاري (٦٨٧٢). ومسلم (٩٦).

(٢) أحرجه: البحاري (٢٥) ومسلم (١٢٤).



فيقال لهؤلاء المشركين الجاهل: معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود، وسباهم، وهم يقولون لا إله إلا الله.

وأن أصحاب رسول الله ﷺ قتلوا بني حنيفة، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويصلون ويدعون الإسلام.

وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار، وهؤلاء الجاهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل، ولو قال لا إله إلا الله، وأن من جحد شيئًا من أركان الإسلام كفر وقتل، ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد فرع من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد، الذي هو أصل دين الرسل ورأسه؟ ولكن أعداء الله ما فهموا الأحاديث.

فأما حديث أسامة: فإنه قتل رجلًا ادّعى الإسلام، بسبب أنه ظن أنه ما ادّعى الإسلام إلا خوفًا على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام: وجب الكف عنه، حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله تعالى في ذلك ﴿يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرِئَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء: ٩٤]، أي: فتثبتوا، فالآية تدل: على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل، لقوله تعالى ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾، ولو كان لا يُقتل إذا قالها، لم يكن للتثبت معنى.

وكذلك الحديث الآخر وأمثاله، معناه ما ذكرناه أن: من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه، إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك. والدليل على هذا أن رسول الله ﷺ قال: أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟ وقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»<sup>(١)</sup>، هو الذي قال في الخوارج «أينما لقيتموهم فاقتلوهم»<sup>(٢)</sup>، «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»<sup>(٣)</sup>، مع كونهم من أكثر

(١) أخرجه لبحاري (٢٥) ومسلم (٢٢).

(٢) أخرجه: البخاري (٣٦١١).

(٣) أخرجه: البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤).

الناس عبادة وتهليلاً ونسيحاً، حتى إن الصحابة يحقرون صلاتهم عيدهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم لا إله إلا الله، ولا كثرة العادة، ولا ادعاء الإسلام، لما ظهر منهم مخالفة الشريعة»<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ، مقررًا منهج جده - الإمام محمد - في مسألة القتل، ومزبلاً لنسبه في ذلك: «الشيخ لم يبدأ أحدًا بالقتال، بل أعداؤه الذين ابتدأوه بذلك، وقتله كن من باب الدفع والمجازاة على السيئة بمثلها، وما حدث بعده أو في وقته من خطأ أو تعد، فلا يجوز نسبته إليه، وأنه أمر به أو رضي به، وقد جرى لأسمه بن زيد في دم الجهنمي، وجرى لخالد بن الوليد في دماء بني جذيمة وأموالهم ما لا يجهنه أهل العلم والإيمان.

وذلك في عهده ﷺ، وقد برئ منه وأنكره. فقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد»<sup>(٢)</sup>، وقال لأسمه «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ كيف تصنع بلا إله إلا الله، إذا جاءت يوم القيامة؟»<sup>(٣)</sup>.

ومن أشكل عليه أمر القتال في زمن الشيخ، وعلى دعوته، فهو إما جاهل بحال الأعداء وما قالوه في الإسلام، وما بدلوه من الدين، وما كانت عليه البوادي والأعراب من الكفر بآيات الله، ورد أحكام القرآن، والاستهزاء بذلك، والرجوع إلى سواف البادية، وما كانت عليه من العادات والأحكام الجاهلية... أو هو جاهل بما جاءت به لرسول، ونزلت به الكتب، لا شعور له بشيء من ذلك، ولا يدري ما الناس فيه من أمر دينهم؟

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، كشف الشبهات (ص

١٧١ ١٧٦)

(٢) أخرجه: البخاري (٧١٨٩).

(٣) أخرجه: البخاري (٦٨٧٢)، ومسلم (٩٦).

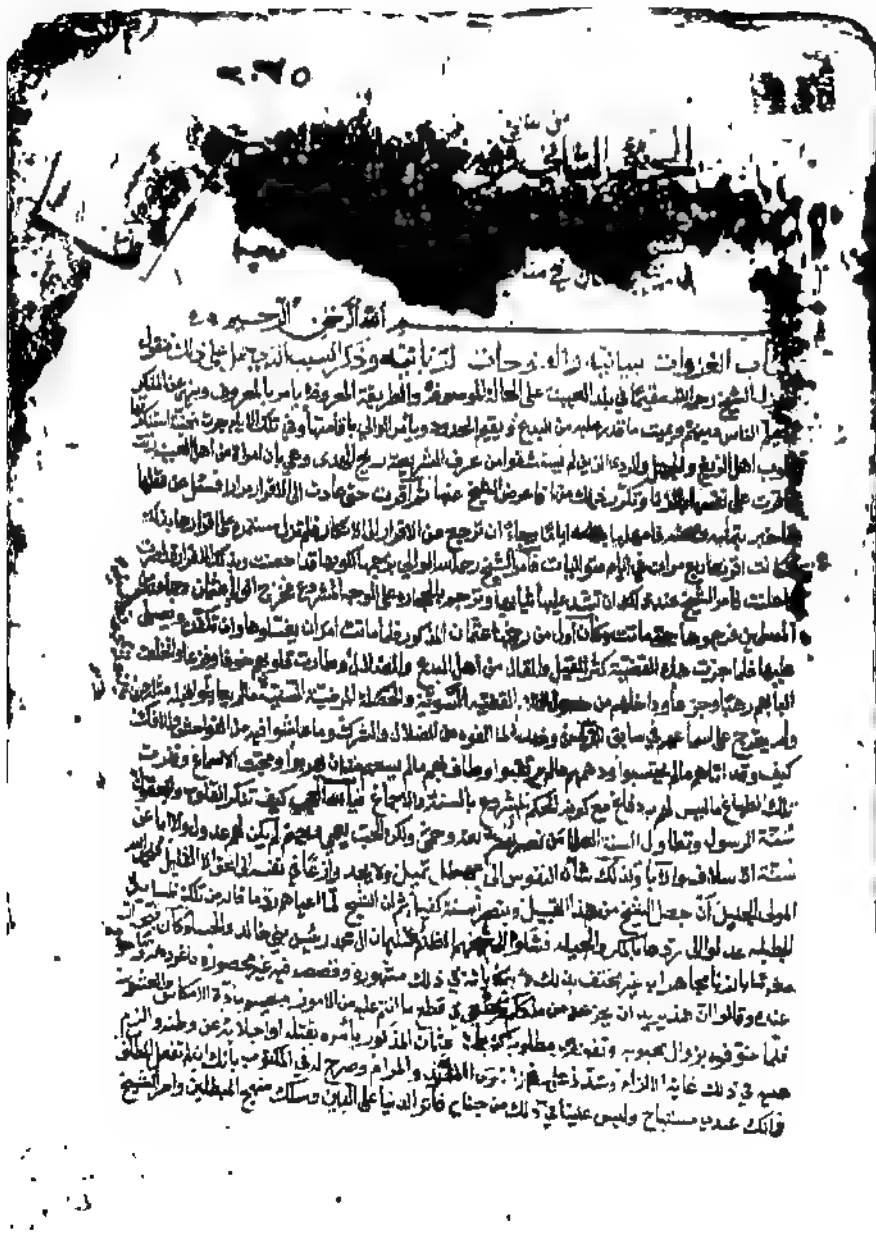
وبالحمة: فلو اُجب أن يتكلم الإنسان بعلم وعدس، ومن فاته العلم، فحسبه  
السكوت، ان كان يؤمن بالله واليوم الآخر، ومن خلع ربقة الدين من عنقه،  
فليقل ما شاء، والله بما يعملون بصير»<sup>(١)</sup>.



(١) مهج التأسيس (ص ٢٨)













تأليف الشيخ بن جلال  
المستقى  
روضة الأفكار والأفهام  
لبرهان حال الإمام زعمار غزوات زعمار الإسلام  
تأليف  
الشيخ الإمام وعلم الهداة الأعلام -  
حسين بن غنام  
رحمته الله رحمة واسعة وأسكنه بفضله دار كرامته  
ومناجحه والسلمين آمين

الجزء الأول

الطبعة الأولى

١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م

على نفقة

الشيخ عبد المحسن بن عثمان أبا بطين  
صاحب المكتبة الأملية - بالرياض محمد

مكتبة عبد المحسن بن عثمان أبا بطين





# تاريخ ابنه غنام

الجزء الأول

المسمى: «دروسة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام،  
وتعداد غزوات ذوي الإسلام»

للشيخ

حسين بن غنام رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ

اعتنى به

سليمان بن صالح الخراشي



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق من الماء بشراً وجعله نسباً وصهرًا وكن ربك قديرًا،  
الذي خلق كل شيء فقدره تقديرًا، وتبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون  
للعالمين نذيرًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تنفي من القلب ريتنا  
وخورًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الذي بعثته نال الشرك رُجومًا  
ودُحورًا.

ونصلي ونسلم على محمد الذي خصصته بأسمى المفاخر والرُتب، وحبوته  
بأسمى المآثر والفضل والحسب، واصطفيته بالقرب والرسالة دون سائر العرب،  
وكان مشهورًا، بعثته متممًا لمكارم الأخلاق، وأزلت به عن هذه الأمة الإضر  
والأغلاق، فأشرق به شمس الهدى في جميع الآفاق، وصار داعيًا إلى  
توحيدك وسراجًا منيرًا، وأنزلت عليه في محكم كتابك صريح أمرك وخطابك،  
وما يرتجى به عظيم ثوابك ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ  
وَمَا لَهُمْ بِهِمْ جَهَنَّمَ﴾ وكفى به سعيًا.

فبادر نبي هذه الأمة، المكشوف به عنهم الغمة، إلى فعل هذه المهمة، وشمر  
عن ساعد الجد فيها تسميرًا، فأسرع في الامتثال، ونصب راية الجهاد والقتال،  
حتى أباد ذوى الشرك والضلال، وجاهدتهم به جهادًا كبيرًا.

وعلى أزواجه، وأصحابه، وجميع أصدرة وأحزابه، وتابعي نهجه وأحبابه،  
وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا.

أما بعد: فإن الله تعالى بعث نبيه الكريم بالشرع الواضح لقويم، والمنهاج اللائح المستقيم، ملة أبين إبراهيم، وكن إذ ذك ضلأ الشرك مُستطيرًا، وقد عكف جميع الأنام على عبادة الأوثان ولأصدم، واندرست حنيفة الخليل ﷺ، وجَدُّوا في عبادة من لا يملك لهم ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، فأقام عليه الصلاة والسلام بأعباء الرسالة، وأزاح حنَادِسَ الجهالة، وأنح الهلاك أولي الضلالة، فدَعَوْا عند ذلك ويلاً وثبورًا، ورفع قواعد التوحيد، وشاد وخفض مندر الكفر وأبد، وجزم أهل العي والفساد، وأعى كلمة الحق بين العباد، ونشر في الآفاق عِلْمَ الجهاد، فلم يَزَلْ ولله الحمد مرفوعًا منشورًا، وأيده بآيات واضحة شهيرة، ومعجزات باهرات منيرة، وقواطع لأعدائه مبيرة، وأعظمها القرآن الذي رَجَعَتْ عن معارضة سورة منه أبصارُ البلغاء خسيئةً حسيرةً ﴿قُلْ لِّئِنْ أَحْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَقًّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.

فأكمل الله تعالى لأمة الدين، ودحضر ببرهانه حجج المبطلين، وأسفرت به وجوه الموحدين، وازدادت قلوبهم بآياته تنويرًا، فوردوا من زُلاله سدسبيلًا، وشربوا من سَسَالِهِ كؤوسًا كان مزاجها زنجبيلًا، ولم يسلكوا غير هديه سبيلًا لما ألقوه مِنْهُلًا نَمِيرًا ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَبًا طَهُورًا﴾ فلم يزل ﷺ صاعدًا على مَنَيفِ ذلك المعراج، سالِك شريف ذلك المنهاج، مقتحمًا فيه الحَزْنَ والسهل من الفجاج، حتى استقام الدين وزال منه الاعوجاج، وأفل الناس يأتونه زُمَرًا وأفواح، فتمت نعمة الله تعالى وعم السرور والابتهاج، ونالوا من سعادة الدارين حُضًّا موفورًا.

ثم لما أطلع الله تعالى به نَذَرَ الهدى وسَعْدَهُ، ورفع في الملأ الأعلى فحره ومجده، قصه إليه واختار له م عده، فقام بواجب الجهاد خلفاؤه عده، حتى

قصموا بمرهفانهم مَنْ كان خَوَّانًا كفورًا، فجندوا الأجناد، وخَفَقَتْ راياتهم في كل بلاد، فذَان لهم كُلُّ حاضر وباد، فأضحى أصل الكفر محزومًا مكسورًا، وفنحوا البلدان شرقًا وغربًا، ودَوَّخُوا الجبابرة طَعْنًا وضربًا، وَصَدَّقُوا البيعة عليهم فعوضهم في جناته حقائق غُلَبًا، لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرًا، فلم يَبْرَحْ بعدهم ذلك الأثر، يجاهد مَنْ أشرك بالله وكفر، حتى عَفَّ رسمُه ودَثِر. بعد أن كن منهجًا مأثورًا.

وتناولت عليه الأحوال والسنون، وتكررت عليه الأعوام حينًا بعد حين، وهو إذ ذاك في الرُّمُس رَهِين، ولم يكن مُخَيَّاه يَسْتَبِين، حتى أحياه إمام الموحِّدين، ورأس العلماء العاملين، وعزة الأئمة المحققين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فصار بأثره معمورًا، فجزَّدَ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ القواضي القواضب. وجاهد وعصابته كل ضالَّ ملحدٍ محارب، حتى أنجح الله تعالى له المآرب، وحقق له ما رام من المطالب، وراضت جزيرة العرب للتوحيد بعد أن كان كل من سكنها عنه هارب، فدانوا بذلك توفيقًا وتسخيرًا، فكانت أعلامهم في غلب البلدان خافقة، وشموس سعدهم في الآفاق شارقة، وَأَسْتَبَّتْهُمْ بين التوحيد والشرك فرقة، وجياد أبطالهم إلى الجهاد سابقة، حتى مَحَقُّوا جميع البدع والأهواء إزالةً وتغييرًا، وَسَطَّرُوا آيات الرشد تسطيرًا، ففازوا بالغية والمرام، وحازوا من الفخر عُلَى مُقَدِّم، حيث قاموا بذروة الإسلام، وأصبح حندهم على جنود الأعداء منصورًا.

هذا؛ ولما كانت منزلة العلم أعظم المنزل، والتحلي بِجَلَالِهِ من أفخم الفضائل، لاسيما للأفضل والأماثل، ومرتبته أرفع المراتب عند الأواخر والأوائل، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ وكان من أسناها شأنًا وفخرًا، وَسَمَّاها رتبةً وذكرًا، وأرفعَها منصًّا وفدًّا، وَاتَّقَنِيهِ عند الله تقربًا



وحضوراً علّم الحديث والأثر، ومعرفة التواريخ والسّير، كما نص عنه أرباب الفن والنظر؛ إذ فيه لِمُقْتَضِيهِ عبرةٌ من أَجْلِ العِبَر، تزيد اللبيب تحقّقاً وبصيرةً، ونَشْرُهُ في المجالس والمحافل، ودرّسُهُ في البُكْرِ والأصاغل وسيلةً من أنفع الوسائل إلى التّأسي بالمجاهدين، فينال مع الأجر قبولاً وتوقيراً، فيقتفي السامع آثارهم؛ إذ سَبَرَ أخبارهم، وعَرَفَ أنهم بذلو رغبةً فيما عند الله أعمارهم، فبَشَّرَهم بنعمته وفضله تبشيراً.

أردتُ أن أصنف فيما أشرق ضياؤه وانتشر، وشع في غالب الأقطار واشتهر، من الغزوات التي هي في مَحْيَِّ الدهر كالغُرَر، والفتوحات الإسلامية التي مبدأها العقدُ السادس من القرن الثاني عشر، فرأيت العوم في تياره خطيراً، وركوب زاحِرِ أمواجه حظيراً، كيف وقد أرسيتُ في مقدم الغربة! وهي كما قيل كربة أي كربة! ومفارقة الوطن على النفوس صعبة، وتحققته أمراً عسيراً، ولكن داعي النفس لذلك كثيراً، والإمام، أيده الله تعالى، يعزم عليّ في ذلك ويُشير، حتى بَدَأَ طالع الإقبال والسعد والبشير، إثرَ ما كنت في ذلك الشّأن أستخير، فشرعتُ فيه حتى أتقنته تصحيحاً وتحريراً، وتلقنتُ تلك المغزّي من حوى في الصّدق رياسةً وتصديراً، ولم أذكر في هذه الغزوات المسطورة، والسير المقررة المزبورة، إلا الكبيرة الواضحة المشهورة، وهجرتُ ما ليس واضحاً وشهيراً، وذكرتُ بعض حوادث السنن مما هو مستفصّل من المسلمين، خصوصاً بدمان الموحّدين، وذكرتُ وفاة بعض لأعيان ممن كان بالدين مذكوراً، وتركت من ليس منهم معروفاً ولا مسبوّراً، ورتبته في كتاب وخمسة فصول؛ لأنّه أقرب إلى التناول والوصول، وأسرع إلى المراد في المحصول، واحترت أن تكون الفصول فيه صدوراً:

الفصل الأول: في بيان ما جرى في تلك الأزمان من الشرك والضلال والطغيان، في نجد والحسنا وغيرهما مما يليهما من البلدان.

الفصل الثاني: في بيان نسب الشيخ ومبدأ أمره، وما جرى عليه في قيامه بتلك الدعوة من أهل مضره، وما صادمه به علماء عصره.

الفصل الثالث: في سرد بعض رسائل أرسلها إلى بعض البلدان، وإلى بعض خواص الإخوان.

الفصل الرابع: في ذكر شيء من المسائل التي سئل عنها فأجاب. وتركت كثيرًا منها لئلا يطول الكتاب.

الفصل الخامس: في ذكر بعض كلامه على القرآن، وما فُتح به عليه في متفرق الآي من البيان.

وجعلت الكتاب لغزوات الأصحاب ذوي التوحيد والإسلام، وجعلتها على ترتيب السنين والأعوام؛ ليسهل تناوله على ذوي الأفهام، ولكونها مترتبة وقوعًا وصدورًا، فلما انجلي عن إثر بدره غمّامه، وتفتحت عن نور زهره أكمّامه، وأشرقت بحسنه البديع أيّامه، وحلّت عقودُه منها صدورًا ونحورًا، سمّيته «روضة الأفكار والأفهام لمرئاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام» فحسّن، ولله الحمد، ختمًا وظهورًا، فهو مثل تاريخ تصنيفه غريب، كما يقضي به الألمعي الأريب، ويشهد به اللؤذعي الأديب، ولا عبرة بمن كان حاسدًا أو غيورًا.

ثم إنني أسأل من نزه في رياضه الأبصار، وأورد معين حياضه الأفكار، ألا يبادر إلى الاعتراض والإنكار، ويواري منه هموة وعشورًا، ويضالعه بعين الإنصاف والإحلال. ويصلح ما رأى به من اختلاف واحتلال، فهذا شأن ذوي الكمال، ولا يعجل إذا ألمى تقصيرًا أو قصورًا.

والله أرجو أن يُنْقِيَهُ مِنَ الرِّيَا وَالْإِعْصَابِ، وَيُثَبِّتَهُ عَلَى سَنَنِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ،  
وَيُيَسِّلَ لَهُ حَزِيلَ الثَّوَابِ، وَيَجْعَلَهُ سَعِيًّا مَشْكُورًا وَعَمَلًا مَرُورًا، وَيَعْمَقَ عَمْدَ ظَعْنِي  
بِهِ الْقَلَمَ وَاللِّسَانَ، وَيُقَبِّلَهُ بِأَنْقُولِ الرِّضْوَانِ، وَيُثَبِّبَ عَلَيْهِ فِي رَفِيعِ الْجَنَانِ وَلُذَانَا  
وَحُورًا.



## الفصل الأول

في بيان ما جرى في تلك الأزمان من  
الشرك والضلال والطغيان في نجد والحسا  
وغيرهما مما يليهما من البلدان

فنقول: كان غالب الناس في زمانه مُتَضَمِّخِينَ بِالْأَرْجَاسِ، مُتَلَطِّخِينَ بِوَضَرِ  
الْأَنْجَاسِ، حَتَّى قَدْ انْهَمَكُوا فِي الشَّرْكِ بَعْدَ حُلُولِ السَّنَةِ الْمُطَهَّرَةِ بِالْأَرْمَاسِ،  
وَأُطْفِئَ نُورَ الْهُدَى بِالْانْطِمَاسِ، بِذَهَابِ ذَوِي الْأَبْصَارِ وَالْبَصِيرَةِ، وَالْأَلْبَابِ  
الْمُضِيئَةِ الْمُنِيرَةِ، وَغَلَبَةِ الْجَهْلِ وَالْجَهْلِ، وَاسْتِعْلَاءِ ذَوِي الْأَهْوَاءِ وَالضَّلَالِ،  
حَتَّى نَهَجُوا فِي تِلْكَ الطَّرَائِقِ مِنْهَجًا وَعَرَا، وَنَبَذُوا كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى وَرَاءَهُمْ  
ظَهْرًا، وَأَتَوْا زُورًا وَبَهْتَانًا وَهُجْرًا، وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَنَّهُمْ يَنَالُونَ بِذَلِكَ أَجْرًا،  
وَيَحْوزُونَ بِهِ عِزًّا وَفَخْرًا، فَأَرْكَبَهُمْ عَلَى مَرَائِبِ الْأَسْلَافِ قَسْرًا، وَامْتَطَوْا  
كُوَاهِلَهُمْ فِي ذَلِكَ السَّنَنِ قَهْرًا، وَحَسَّنَ لَهُمْ أَنْ ذَلِكَ بِحَقِيقَةِ الْحَقِّ أَدْرَى، وَأَنَّهُمْ  
يَنْهَجُ مِنْهَجَ الشَّرِيعَةِ أَحَرَى، فَعَدَلُوا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَخَلَعُوا رِبْقَةَ  
التَّوْحِيدِ وَالِدِينِ، فَجَدُّوا فِي الاسْتِغَاثَةِ بِهِمْ فِي النَّوَازِلِ وَالْحَوَادِثِ، وَالْخُضُوبِ  
الْمَعْضُصَةِ الْكُوَارِثِ، وَأَقْبَبُوا عَلَيْهِمْ فِي طَلِبِ الْحَاجَاتِ، وَتَفْرِيجِ الشَّدَائِدِ  
وَالْكَرْبِ، مِنْ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَالِ، وَكَثِيرٌ يَعْتَقِدُ النُّفْعَ وَالْإِضْرَارَ فِي  
الْحَمَادَاتِ، كَالْأَحْجَارِ وَالْأَشْجَرِ، وَيَتَنَابُونَ ذَلِكَ فِي أَغْلَبِ الْأَزْمَنِ وَالْأَوْقَاتِ،  
وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ إِلَى غَيْرِهَا إِقْبَالٌ وَلَا الْفَاتِ، فَهَمُّ عَلَى نَلِكِ الْأَوْثَانِ عَاكِفُونَ، وَلَهَا  
فِي أَكْثَرِ الْأَحْيَاءِ مِلَازِمُورٌ ﴿نَسُوا أَنَّهُ فَالَسَنَهُمْ نَفْسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

لعب بعبولهم الشيطان. وأخذ بهم مهج الخسران. حتى ألقاهم في قعر

الهُوان، فَلَجُوا فِي طَغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ، تَسَنَّمُوا مِنَ الْهَوَى أَسْمَى فَنَنَ، وَأَتُوا مِنَ الضَّلَالِ أُنْمَى فَنَنَ، وَرَفَضُوا، وَاللَّهُ أَسْنَى سَنَنَ، ﴿أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَلَقَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ أَحْدَثُوا مِنَ الْكُفْرِ وَالْفُجُورِ، وَالْإِشْرَاقِ بَعْدَ أَهْلِ الْقُبُورِ، وَصَرَفَ الدُّعَاءَ لَهُمْ وَالنَّدْوَرَ ﴿وَمَنْ يَتَّعِ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْصِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

شَرَعَ لَهُمْ شَيْطَانُهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ، وَجَعَلُوا لغيره مَا لَا يَجُوزُ صَرْفُهُ إِلَى سِوَاهُ، وَزَادُوا عَلَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ فَقَدْ كَانُوا لَا يَدْعُونَ إِذَا مَسَّهُمُ الضَّرُّ إِلَّا إِيَّاهُ، ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْصِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَلَغَهُمُ الْبَرْ إِذَا هُمْ يَشْرِكُونَ﴾، مَلَأُوا قُلُوبَهُمْ لَهُ بِالْوَجْدِ وَالْمَحَبَّةِ، وَبَذَلُوا أَعْمَارَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ فِي دَفْعِ مَنْ أَبَدَى لَهُمْ مَسَبَّةً، وَلَمْ يَشْتَغِبُوا بِاللَّهِ وَكَفَى لِعَبْدِهِ بِهِ رَغْبَةً، وَلَيْتَهُمْ سَوَّأُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَحَبَّةِ وَالطَّلْبَةِ، ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝١٧ إِذْ سَأَلْتُمْ رَبَّ الْفَلَاحِينَ ۝١٨ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْأَمْرَئُونَ﴾. وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَحَبَّةُ فِي سَوِيْدَاءِ الْقَلْبِ سَارِيَّةً، وَعَمَى صَفْحَةَ الْوَجْهِ وَاللِّسَانَ بِدِيَّةٍ، وَأَفْعَالِ الشَّرِكِ فِي غَالِبِ الْأَفْطَارِ جَارِيَّةً، ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِآيَاتِهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾.

وَقَدْ حَدَثَ الْغَيِّ وَالْإِضْلَالُ وَالْإِسْرَافُ، وَوَقَعَ التَّغْيِيرُ فِي الدِّينِ وَالْإِخْتِلَافُ، مِنْ زَمَانٍ قَدِيمٍ مِنْ غَيْرِ خِلَافٍ. وَجَاءَ بَعْدَهُمْ مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ الدِّينَ هُوَ ذَلِكَ الضَّلَالُ وَالْإِسْرَافُ؛ لِأَنَّهُمْ وَجَدُوا عَلَيْهِ الْآبَاءَ وَالْأَسْلَافَ، ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَهَدَانَا عَلَى آثَارِ آبَاءِ تَالَيْتُمْ أُمَّتَهُمْ وَمَا عَلَيْكُمْ مِنْ شَيْءٍ مِنْهُمْ﴾. وَقَدْ نَصَّ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ، فِي كُنْهِهِ الْمَصْصِفَةُ فِيمَا حَدَثَ مِنَ الْبِدْعِ وَالْحَوَادِثِ مِنَ الْأَنْدَمِ، وَمَا غُيِّرَ مِنْ مَنَارِ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْقَرُونَ﴾.

وَكُنْ أَكْثَرُ النَّاسِ عَلَى دَعْوَةِ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ،

مُجَدِّينَ مُجَنِّهِدِينَ، وبالأعتقاد المحض فيهم مفتونين ﴿وَقَالَ سُبُّهُ لَا تُجِدُوا  
إِلَّاهِينَ أَثَمَّ إِلَّا مَا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ فَإِنِّي فَزَهُوْبٌ﴾ أَيْدَعَى مَنْ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا؟ وَلَا  
يَصْرِفُ عَنْهَا مِنَ السُّوءِ دَفْعًا. وَيُتْرَكُ مَدْبِرُ الْخَلَائِقِ إِعْطَاءً وَمَنْعًا ﴿وَمَا يَكُم مِّنْ  
نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تَعْلَمُونَ إِذْ أَسْأَلُكُمْ النَّفْسَ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ فَغَدَّوْا عَلَيْهَا فِي قَضَاءِ الْحَاجَاتِ  
وَرِاحُوا، وَابْتَهِلُوا لَدَيْهِمْ فِي ذَلِكَ وَبَاحُوا، وَأَحْلُوا مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ وَاسْتَبَاحُوا،  
﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَدْنَىٰ مَا  
لَكُمْ يُغْلَبُ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾.

وكان في بلدان نجد من ذلك أمر عظيم، والكل على تلك الأحوال مقيم،  
وفي ذلك الوادي مُسِيم<sup>(١)</sup>، ﴿حَقُّ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَاذِبُونَ﴾  
وقد مَضَوْا قَبْلَ بُدُوِّ نَوْرِ الصَّوَابِ، يَأْتُونَ مِنَ الشَّرْكِ بِالْعَجَابِ، وَيُسَلِّطُونَ إِلَيْهِ مِنْ  
كُلِّ بَابٍ، وَيَكْثُرُ ذَلِكَ مِنْهُمْ عِنْدَ قَبْرِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ، فَيَدْعُوْنَهُ لِنَفْرِجِ الْكُرْبِ  
بِفَصِيحِ الْخُطْبِ، وَيَسْأَلُونَهُ كَشْفَ النَّوْبِ مِنْ غَيْرِ ارْتِيَابٍ، ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا  
لَا يَشْعُرُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وكان ذلك في الجُبَيْلَةِ<sup>(٢)</sup> مشهورًا، وبِقَضَاءِ الْحَوَائِجِ مَذْكُورًا، وَكَذَلِكَ قَرِيوهُ  
فِي الدَّرْعِيَةِ<sup>(٣)</sup> يَزْعُمُونَ أَنَّ فِيهَا قُبُورًا، أَصْبَحَ فِيهَا بَعْضُ الصَّحَابَةِ مَقْبُورًا، فَصَارَ

(١) المُسِيم: الرَّاعِي، أَوْ مَنْ يَذْهَبُ عَلَى وَجْهِهِ حَيْثُ شَاءَ.

(٢) بلدة تقع شمال غرب مدينة الرياض، على بعد ٥٠ كم.

(٣) قال الأستاذ عبد الحكيم بن عبد الرحمن العواد في مقالته «أماكن بُسِّرَ بها في الدرعية قبل ظهور الدعوة السعيدية» في جريدة الجزيرة بتاريخ (٢١ / ٢ / ١٤٢٨ هـ): «قريوة شعب صغير جدًا يمتد من الشرق إلى الغرب، وينتهي ببعض الممرع، وهو أول شعب نزل على يمين السالك لمخرج محافظة الدرعية لحويي، وحوس عن مقر محافظة الدرعية»، وقال الشيخ عبدالله بن حميس في مقالته عن الدرعية «هو المقبره الرئيسيه لأهل الدرعية». (محلة الدارة، السنة الأولى، العدد الأول)

حظهم في عبادتها موفوراً، فهم في سائر الأحوال عليها بعكفون، ﴿أَيْفَكَ إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ يُبَدُّونَ﴾ وكن أهل تلك التربة أعظم في صدورهم من الله خوفاً ورهبةً، وأفحم عندهم رجاء ورغبةً، فلذلك كانوا في طلب الحاجات، فهم يبتدؤون ويقولون: ﴿يَا وَجَدَ آتَاءَ عَلَى أَمَةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾.

وفي شعيب غيراً<sup>(١)</sup> يفعل من الهجر والمنكر ما لا يُعْهَد مثله ولا يُتصور، ويزعمون أن فيه قبر ضرار بن الأزور<sup>(٢)</sup>، وذلك كذبٌ محضٌ وبهتانٌ مزور<sup>(٣)</sup>، مثله لهم إبليس وصور. ولم يكونوا به يشعرون.

وفي بُليدة الفدا<sup>(٤)</sup> ذكر النخل المعروف بالفحل، يأتونه النساء والرجال، ويقفون بالبكر والآصال، ويفعلون عنده أقبح الأفعال، ويتبركون به ويعتقدون، وتأتيه المرأة إذا تأخرت عن الزواج، ولم تأتِها لنكاحها الأزواج، فتضمه بيديها بحضور ورجاء الانفراج، وتقول: يا فحل الفحول، أريد زوجاً قبل الحول. هكذا صح عنهم القول ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

(١) من روافد وادي حنيفة، شمال الدرعية، قال الشيخ عبدالله بن خميس في مقاله السابق: «العلما كانت منزل بني غبراء». وهم من بني حنيفة.

(٢) الصحابي رضي الله عنه. انظر ترجمته في «الاستيعاب» لابن عبد البر (١ / ٢٢٤)، ورسالة «ضرار بن الأزور» لشاعر - الصحابي - الفارس؛ للأستاذ عبدالعزيز لرفاعي.

(٣) قال ابن حجر في «الإصابة» (٣ / ٤٨١): «واختلف في وفاته، فقال الواقدي: استشهد باليمامة، وقال موسى بن عقبة: بأجنادين، وصححه أبو نعيم، وقال أبو عروبة الحارثي: نزل حران ومات بها، ويقال: شهد اليرموك وفتح دمشق، ويقال: مات بدمشق».

(٤) غرب الدرعية. قال الشيخ عبدالله بن خميس في مقاله السابق: «البليدة، هي ذات لفحال الذي أورد ذكره المؤرخ من عمه في حديثه عن الحرافات بالدرعية، قبل حروح الشيخ محمد بن عبدالوهاب».

وشجرة الطرفية<sup>(١)</sup> تنبت بها الشيطان واعتلق. فكان ينتابها للتبرك طوائف ووفرق، ويعلمون فيها إذا ولدت المرأة ذكرًا الجرق، لعلمهم عن الموت نسلمون. وفي أسفل الدرعية غار كبير<sup>(٢)</sup>. يزعمون أن الله تعالى خلقه في الجبل لامرأة تسمى «بنت الأمير» أراد بعض الفسقة أن يظلمها فصاحت ودعت الله فانفلق لها الغار بإذن العلي الكبير، وكان تعالى لها عن ذلك السوء مجير، فكانوا يرسلون إلى ذلك الغار اللحم والخبز ويهدون، ﴿تَعْبُدُونَ مَا تَشْتَهُونَ \* وَاللَّهُ خَقَّكُمْ \* وَمَا تَعْمَلُونَ﴾. وعندهم رجل من الأولياء يسمى تاج<sup>(٣)</sup>، سلكوا فيه سبيل الطواغيت في الانتهاج، فصرفوا إليه النذر والدعاء واعتقدوا فيه النفع والضر والإفراج، وكانوا

(١) قال الأستاذ عبدالحكيم العواد في مقالته لسابقة «شجرة اطرفية، يبدو أنها من أنواع شجر الصرفة التي تشبه الأثل، وكنت قديمًا تقع في شعب البليلة السابق ذكره، غير بعيدة عن فحل لمحول».

(٢) قال الأستاذ عبدالحكيم العواد في مقالته السابقة «ويسمى أيضًا عار الغاشمية، ويقع الآن في طرف الدرعية الجنوبي، في الجهة الجنوبية لضفة شعب الغاشمية الواقع ضمن نضق مزرعة الملك خالد رحمه الله، المسماة (المغترة)، المواجهة لمنطقة المبيد، ويقال إن أحد المشعوذين كان يختبئ فيه، وعندما يأتيه طالب الحاجة ويبدأ في ذكر حاجته، يقوم هذا المشعوذ بإصدار همهمة من داخل الغار، فيظن الجهلة أن الغار يجيبهم، ويضعون له الطعام والهدايا؛ فيخرج المشعوذ بعد تأكده من دهابهم، وبعد أن يرخي الليل سدوله، فيلقف ما صنعوا له!».

(٣) قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله «فأم تاج فهو من أهل نحر، تُصرف إليه السدور، ويُدعى، ويُعبد منه النفع والضر، وكان يأتي إلى أهل ندرعية من بلدة النحر لنحصيل ماله من السدور، وقد كان يحافه كثير من الناس الذين يعتقدون فيه. وله أعوان وحاشية لا يتعرض لهم بمكرهه، بل يُدعى فيهم الدعوي الكذبة، وتُنسب إليهم الحكايات القبيحة. ومنه يُنسب إلى تاج أنه أعمى، ويأتي من بلدة النحر من غير قائد يقوده».



يأتون إليه لشأنهم أفواج، وبأتي إليهم في الدرعية من بلده الخرح لتحصيل ما له من الندور والحراج ﴿وَنَهْمٌ لِّصُوتِهِمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّثَبَّتُونَ﴾ وكان لجميع أهل تلك البلدان، وسكان تلك الأماكن والأعطان، فيه من الاعتقاد أعظم شدة، فيخافه كل حاكم وظالم وشيطان، ويهاب أعوانه وحاشيته كل إنسان، فلا يتعرضونهم بما يكرهون، ويدعون فيه دعاوى فظيعة، وينسبون إليه حكايات قبيحة شنيعة، كانت ألسنتهم لها مذيعة، ولبهتانها مشيعة، وهم لِمَينِها وزورها مصدقون، فيزعمون أنه أعمى ويأتي من بلده الخرج من غير قائد يقوده، وغير ذلك من الحكايات التي هي مَحْطُّ رحال المشركين، والاعتقادات التي ضلوا بسببها عن الصراط المستقيم، وأعرضوا بها عن إخلاص الدعاء لرب العالمين، الذي ﴿يُحِبُّ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قِيلًا مَا نَذْكُرُونَ.

وأما ما يفعله الآن في الحرم المكي الشريف، زاده الله رفعة وتشريف، فهو يزيد على غيره وينيف، فيُفْعَلُ في تلك البقاع المطهرة المكرمة، والمواضع المعظمة المحترمة، ما يحق أن تُسْفَحَ عند رؤيته سحائب العيون والأجفان، وتُدَالُ<sup>(١)</sup> لأجله الدموع ولا تُصَان، وتلتهب في القلب لواضع الأحزان، إذا رأى ما يصدر في تلك الأماكن من أولئك العربان، من الفسوق والضلال والعصيان، وما عرّا الدين فيه من الهوان، فلقد انتَهَك في المحرمات والحدود، وكان لأهل البطل فيه قديم وقعود، كما هو الآن مشاهد موجود، أين قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَصَهْرَ يُتَّى لِطَبْعِهِمْ وَالْقَائِمِينَ وَأَنزَجْ لِسُجُودٍ؟ ويشهد بذلك من رآه، بمن كان له قلب سليم.

(١) أي: تسفح.

﴿وَمَنْ يُرِدْ بِهِ بِالْحَكْمِ طُغْيَ ثُدُقَهُ مِنْ عَذَابِ إِلِهِ﴾ ولقد نفاهر بذلك فيهم جَمٌ غفير . وتحاهر به بين أظهرهم جمع كثير ، ولم يكن لأهل العلم إزالة ولا تغيير ، بل تألبوا على مصادمة الحق الشهير . وراموا إطفاء مصباحه المنير ، ورخمدا ضيائه المستنير ، وحولوا تغيير مُحْيَا الصواب ﴿وَجَدَلُوا بِالْبَطْلِ يُدْجِشُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ لُنْذِيرٌ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ .

فمن ذلك ما يُفعل عند قبر المحجوب<sup>(١)</sup> ، وقبة أبي طالب<sup>(٢)</sup> ، وهم يعلمون أنه شريف حاكم متعدي غاصب ، كان يخرج إلى بلدان نجد ، ويضع عليهم من المال خراجا ومطالب ، فإن أُعطي ما أراد انصرف ، وإلا أصبح لهم معدي

(١) عبدالله المحجوب (ت ١٢٠٧ هـ) . انظر ترجمته في «عجائب الآثار»؛ للجبرتي (٢) / ٣٦٤ - ٣٦٦ .

(٢) الشريف أبو طالب بن حسن بن نمي ، أحد حكام مكة . (ت ١٠١٢ هـ) . انظر ترجمته في «خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام»؛ للصوفي القبوري أحمد زيني دحلان (ص ٨٨ - ٩١) ، وقال عنه : «دُفن بالمعلاة ، وبني عليه قبة . . وهو يُزار ، ويحامي سادات بنو حسن من استجار بقبوره ، ولا ينال من استجار به مكروه» !!

وليفائدة : قال الشيخ حمد الجاسر رحمته الله عن مقبرة المعلاة : «ويدور الزمان ، فيصح لمكان وما حوله مقبرة لعظماء من أهل مكة ؛ فيُقبَر فيه في القرن الحادي عشر هجري أحد الأمراء لضمة : أبو طالب بن أبي نُمي . وتُبنى فوقه قبة تُعرف بقبة أبي طالب ، بجوار قبة خديجة اخرافية ، ويدور الزمان فيُجهل أبو صلب صاحب لقبة ، فتنشأ خرافة قبة أبي طالب عند المطب عَمَ النبي عليه الصلاة والسلام . الذي مات من صاحب القبة أكثر من عشرة قرون . ومات مشرك بنصر القرآن اكرام ! ويُدفن بجوار أبي طالب بن أبي نُمي أخوه عبد المصطب بن أبي نُمي . ومرور الزمن نشأ خرافة ثالثة ؛ إذ يُصبح هذا عند نطلب من هاشم جد المصطفى عليه الصلاة والسلام ، الذي عاش قبل اسعثة<sup>(١)</sup> . «عرب» (عدد رمضان وشوال . سنة ١٣٩٥ هـ) .

محارب<sup>(١)</sup>، فيأتون قبره بالسماعات والعلامات، للاستغاثة عند حلول المصائب، ونزول الثوب الكوارب.

وكذلك عند قبر المحبوب، يطلبونه الشفاعة لغفران الذنوب؛ لأنه عندهم المقرب المحبوب، فلهذا كنوا من سره يحذرون، وإن دخل متعدي أو سارق أو غاصب مال قبر أحدهم لم يتعرض له أحد من الرجال، ولا يخشى معاقبة ولا إنكال، ولا يتوصل إليه بما يكره ولا يُنال، وإن تعلق جان ولو أقل جناية بالكعبة سُحب منها بالأذيل، فهم في تعظيمها مفرطون، ﴿وَأَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُم يُنصَرُونَ﴾ لا يستطيعون نصرهم وهم لله خدّ مخضرون.

ومن ذلك ما يفعل عند قبر ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين، رضي الله عنها، في سرف<sup>(٢)</sup>، وعند قبر خديجة، رضي الله عنها، في المعلي<sup>(٣)</sup>، مما لا يسوغ لمسلم أن يطلق

(١) قال ابن بشر في «عنوان المجد» (١ / ٢٦): «وفي سنة إحدى عشر وألف ظهر اشريف أبو طالب بن حسن ابن أبي نمي عني نجد».

(٢) خارج مكة بقرب التنعيم، وفيه دُفنت رضي الله عنها.

(٣) مقبرة مكة. قال الشيخ حمد الجاسر رحمته الله: «قبر أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، كان مجهولاً لدى مؤرخي مكة حتى لقرن لثامن الهجري، أي طفلة سبعة قرون من تزيد، ثم أصبح معروفاً محدد المكان، في القرون الخمسة الماضية، حتى يومنا هذا، بعد أن رأى أحد العارفين في المنام كأن نوراً ينبعث من شعبة النور، في مقبرة المعلاة، ولما علم أمير مكة في ذلك العهد بخبر تلك الرؤيا؛ أمر ببذاء قبة فوق المكان الذي رأى ذلك العرف أن لنور ينبعث منه، جازمه ذلك الأمير أن ذلك المكان ما هو سوى قبر خديجة رضي الله عنها! «محنة العرب» (عدد رمضان وشول، ١٣٩٥هـ) وقال الشح محمد بن عثمان الشاوي رحمته الله، وهو أحد مدخلين مع المسك عند العزيز بحجة لمكة في رسالته «نقول الأسد» (ص ١١٨)، بصف ما رآه عند قبر أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها: «فلبه دحولاً مكة المشرفة، بعد أن فرغت من أعمال العمرة، وودنا إلى هذا القبر، وحدث في القبة المنيه على قبر أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ما لا يُستطاع حكيته، من ذلك أن =

عليه إباحةً وحلاً، فصلاً عن كونه يراه قرنةً يُدرك بها أجراً وفضلاً؛ من اختلاط النساء بالرجال، وفعل الفواحش والمنكرات، وارتفاع الأصوات عدهم بالدعوات، وحصول الفدية وشهرة الاستغاثات.

وعند قبر عبد الله بن عباس رضي الله عنه، في الطائف، من الأمور التي تشمئز منها نفس الجاهل، فكيف بالعرف؟ فيقف عند قبره متضرعاً مستغيثاً كلُّ مكروب وخائف، وينادي أكثر الباعة في الأسواق من غير نكير ولا زجر على الإطلاق، ويقول بلهجة قلبٍ واحتراق، كثيرٌ من أهل الشرك والإبلاس، وذوي الفقر والإفلاس: اليوم على الله وعليك يا ابن عباس! ويسألونه الحاجات ويسترزقون، ﴿يَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرَدِّدْ لَهُمُ رَحْمَتُ رَبِّكَ يُضِرُّ لَأْ تَعْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئٌ وَلَا يُنْقِذُون﴾.

وأما ما يُفعل عند قبره، عليه الصلاة والسلام، من الأمور المحرمة العظام؛ من تعفير الخدود، والانحناء بالخضوع والسجود، واتخاذ ذلك القبر عيداً، وقد لَعَنَ عليه الصلاة والسلام فاعله<sup>(١)</sup> وكفى بذلك زجراً ووعيداً، ونهى عما يُفعلُ عنده الآن غالبُ العلماء نهياً شديداً، وغلظوا في ذلك تغيظاً أكيداً، فهو مما لا يَخْفَى ولا يُنْكَرُ، وأعظم من أن يُذْكَرَ، فهو في الشهرة والانتشار، كالشمس في رابعة النهار.

= وجدنا رقعةً مكتوبةً فيها: يا خديجة يا أم المؤمنين جئناك زائرين، وعلى بابك واقفين، فلا نردنا خائبين، فاشفعي لنا إلى محمد، يشفع لنا إلى جبرائيل، ويشفع لنا جبرئيل إلى الله! ووجدنا عندها كبشاً قد جاء به صاحبه ليقربه إليها... ووجدنا عند باب القبة عحوراً شوهاء من سنتها، ولقد حدثني غير واحد أنهم سألوها: ما حالك؟ فقالت: هي خادمة لسيدتها المتصرفة في لكون منذ عدة سنين، ولا تصوم، ولا تصلي، ومع ذلك سمح لها البرؤار...! فحمد لله على نعمة السنة والتوحيد، وحرى الله حياً من كان السب في هدم هذه القبة رمن الملك عبدالعزير رحمه

(١) رواه نُبْهاري (٤٣٥، ٣٤٦) ومسلم (٥٢٩، ٥٣٢).

وَيَكِلُ اللِّسَانُ عَمَّا يُفَعَّلُ عِنْدَ قَبْرِ حِمْرَةَ وَالْبَقِيعِ وَقَبًا مِنْ ذَلِكَ الْقَبِيلِ . وَيَعَجِّرُ الْقَدَمَ عَنْ بَيَانِهِ عَلَى التَّفْصِيلِ . وَلَوْ لَمْ يُذَكِّرْ مِنْهُ إِلَّا الْقَبِيلَ :

وَلَيْسَ بِصَحِّحٍ فِي الْأَذْهَانِ شَيْءٌ إِذَا احتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ<sup>(١)</sup>  
وَأَمَّا مَا يُفَعَّلُ فِي جُذَةِ مِمَّ عَمَتَ بِهِ الْبَلَوِيُّ ، فَقَدْ بَلَغَ مِنَ الضَّلَالِ وَالْفَحْشِ الْغَايَةَ الْقَصْوَى ، وَعِنْدَهُمْ قَبْرُ طَوْلِهِ سِتُونَ ذِرَاعًا عَلَيْهِ قَبَّةٌ ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ قَبْرُ حَوَّيٍّ<sup>(٢)</sup> ، وَضَعَهُ بَعْضُ الشَّيَاطِينِ مِنْ قَدِيمٍ وَهِيَاءَ وَسَوَّى ، يَجْبُو عَنْهُ السَّدَنَةُ مِنَ الْأَمْوَالِ ، كُلِّ سَنَةٍ مَا لَا يَكْدُ يَخْطُرُ عَلَى الْبَالِ ، وَلَا يَدْخُلُ يَسْلُمُ عَلَى أُمِّهِ كُلِّ إِنْسَانٍ ، إِلَّا مُسَلِّمًا دِرَاهِمَ عَاجِلًا مِنْ غَيْرِ تَوَانٍ ، أَيْبِخُلُ أَحَدٌ مِنَ الدَّمِ فَضْلًا عَنْ الْكِرَامِ بِيَذِلَ بَعْضُ الْحَطَامِ ، وَيَدْعُ الدِّخُولَ عَلَى أُمِّهِ وَلِسْلَامٍ !  
وَعِنْدَهُمْ مَعْبِدٌ يُسَمَّى الْعُلَوِيُّ<sup>(٣)</sup> ، وَنَافَوْا فِي تَعْظِيمِهِ جَمِيعَ الْخَلَائِقِ ، وَأَرْبَوْا

(١) الْبَيْتُ لِلْمَتْنِيِّ .

(٢) وَهُوَ مِنَ الزَّعْمِ الْكَذِبِ . نَظَرَ : «مَجْلَةُ الْعَرَبِ» (عَدَدُ رَمَضَانَ وَشَوَّالِ ١٤٠٠ هـ) . وَمِمَّا يُذَكِّرُهَا : أَنَّ شَرِيفَ مَكَّةَ عَوْنَ الرَّفِيقِ (الْمُتَوَفَى عَامَ ١٣٢٣ هـ) لَمَّا هَمَّ بِهِدْمَ الْقَبَّةِ الْمَسْنِيَةِ عَلَى هَذَا الْقَبْرِ احْتِجَّ عَلَيْهِ قَنَاصِلُ الدَّوْلِ لِأَجْنِبِيَّةٍ ، لِمَوْجُودُونَ فِي جِدَةٍ ، يَدْعَوِي أَنْ حَوْءٌ لَيْسَتْ أُمٌّ لِمُسْلِمِينَ وَحَدَّاهُمْ بِأُمِّ جَمِيعِ الْبَشَرِ ! «لِرَحْمَةِ الْحِجَازِيَّةِ» ؛ لِلتَّبَتُونِيِّ (ص ٨١) . قُلْتُ : وَهَذَا مِنْ مَكْرِهِمْ ، وَحَرَصَهُمْ عَلَى أَنْ يَبْقَى لِمُسْلِمُونَ أُسْرَى هَذِهِ الْحَرَافَاتِ وَالشَّرَكِيَّاتِ ، الَّتِي تَصْرِفُهُمْ عَنِ الدِّينِ الصَّحِيحِ ، وَالْدُنْيَا النَّافِعَةِ .

(٣) أَبُو بَكْرُ بْنُ أَحْمَدَ الشَّهِيرُ بِالْعُلَوِيِّ مِنْ آلِ أَحْمَدَ بْنِ السَّكْرَانِ لِسَقَافِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَدْوِيِّ بْنِ عَقِيلِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَلَوِيِّ (ت ١١٢٨ هـ) . لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي «نَزْهَةِ الْفِكَرِ» لِلْحَضْرَاوِيِّ (١ / ٨٧) وَقَارَعَهُ أَيْضًا فِي كِتَابِهِ «لِحَوَاهِرِ الْمَعْدَةِ فِي فَضَائِلِ جِدَةٍ» (نَقْلًا عَنْ مَجْلَةِ لَعَرَبَ : ١٤ / ١٠٨ - ١٠٩) : «وَأَمَّا قُبُورُ الْأَوْلِيَاءِ الْمَشْهُورُونَ بِهَا - أَيْ بِجِدَةٍ - ، فَمِنْ أَكْرَمِهِمْ شَهْرَةُ قَبْرِ الْعَارِفِ دُنْهَ الشَّيْخِ الْعَدْوِيَّةِ ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ دَابِ مَكَّةَ . . وَعَمِيهِ قَبَّةٌ عَظِيمَةٌ وَاسْمُهُ أَبُو بَكْرُ بْنُ أَحْمَدَ الشَّهِيرُ بِالْعُلَوِيِّ مِنْ آلِ أَحْمَدَ بْنِ السَّكْرَانِ لِسَقَافِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَلَوِيِّ مِنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَدْوِيِّ بْنِ عَقِيلِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَدْوِيِّ . وَكَانَ مِيلَادُهُ دَسَّحَرًا ، سُدَّةً مِنْ مِلَادِ الْيَمَنِ مَعْرُوفَةً -

في الغلو على تلك الطرائق، فلو دخل قبره قتلُ نفسٍ أو غاصبٌ أو سارق، لم يُعْتَرَضَ بمكروه من مؤمن ولا فاسق، ولم يُجْبَر أحد أن يكون مُخرَجاً له سائق، أو إلى المساعدة إليه مسارعٌ مسابق، فمن استجار بترته أجير، ولم يُعْرَج عليه حاكم ولا وزير.

وفي سنة عشر بعد المائتين والألف اشترى تاجر من أهل جُدة شهير، من أهل الهند التجار القدامين وأهل الحَسَا ما لا كثير. يزيد على سبعين ألف ريال في التقدير، فوقع عليه بعد أيام انكسار وفلاس وتغيير، ولم يكن عنده ما يقابل شَطْر الذي عليه فهرب إليه مستجير، فلم يتقدم إليه منهم شريف ولا وضيع ولا صغير ولا كبير، وترك بيته وما فيه من مال ولم يُرْزَأ في قليل ولا كثير. حتى اجتمع التجار ورأوا له منهج الإنظار والتيسير، وجعلوا ذلك عليه نجوماً في سنين على التأخير، وكان بعضٌ من أهل الدين بذلك الحال مشير.

= سنة ثَيف وتسعين وألف، وقدم إلى الحج، وحج وعمره بضع عشرة سنة، وتوفي بحجة سنة ١١٢٨ بعد أن استوطنها مدة، وقبره وضريحه شهير». ونقل الأستاذ محمد علي مغربي بَيِّنَةُ كلام الحضراوي عن قبره وبعض القبور بحجة، ثم قال: «كان السذج من الناس يزورون هذه القبور لِيَذْكُرَها الحضراوي، ولِيَكُنَّ كانت منتشرة بمدن أحجاز كلها، ويندرون لها النور، وهذه كلها من البدع لضالة المضلة التي دخلت على المسلمين، واستغل القاثون على هذه القبور سداحة الناس وعفتهم، وجهلهم بالدين لصحيح؛ فقاموا بفساد على هذه القبور، وستلوا على ما يَرُدُّها من أموال النذور، وكل هذا ليس من الدين الصحيح في شيء، بل هو مدعاة للانحدار إلى هاوية الشرك والعباد بالله تعالى، فإله تعالى هو الضار وهو النافع، والدعاء يجب أن يكون له وحده تعالى دون وسيط أو شريك، وقد أزيلت هذه الصور وما عليها من القباب، وانتهت تلك البدع الضالة المصنعة، حيث قامت الحكومة السعودية - بعد انضمام أحجاز إليها - بإزالة تلك القبور والقباب، فسميت للناس عفائدهم من السوابب والاحراجات» «أعلام الحجاز» (٣ / ١٨٤ - ١٨٥)

وَأَمَّا مَا فِي بِلْدَانِ مِصْرَ وَصَعِيدِهَا، مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يُنَزَّهُ الْإِنْسَانُ عَنْ ذِكْرِهَا وَتَعْدِيدِهَا، خُصُوصًا عِنْدَ قُبُورِ الصُّلَحَاءِ وَالْعُبَّادِ مِنْ سَادَتِهَا وَعَبِيدِهَا، كَمَا ذَكَرَهَا الثَّقَاتُ فِي نَقْلِ الْأَخْبَارِ وَتَوْكِيدِهَا، فَأَتُونَ قَبْرَ أَحْمَدَ الْبُدُويِّ<sup>(١)</sup>، وَكَذَا قُبُورَ غَيْرِهِ مِنَ الْعِبَادِ، وَسَائِرُ ثَرْبِ الْمَشْهُورِينَ بِالْخَيْرِ وَالزَّهَادِ، فَيَسْتَغِيثُونَ وَيَنْدُبُونَ وَيَعْجَلُونَهُمْ بِالْإِمْدَادِ، وَيَسْتَحْثُونَهُمْ عَلَى زَوَالِ الْمَصِيبَةِ عَنْهُمْ وَالْأَنْكَادِ، وَيَتَدَاوِلُونَ بَيْنَهُمْ حِكَايَاتٍ، وَيَنْسِبُونَ عَنْهُمْ قَضِيَّاتٍ، وَيَحْكُونَ فِي مُحَافِلِهِمْ مَاجِرِيَّاتٍ، مِنْ أَفْحَشِ الْمُنْكَرِ وَالضَّلَالَاتِ، فَيَقُولُونَ: فَلَانِ اسْتَغَاثَ بِفُلَانٍ فَأَعْيِثَ فُورًا فِي ذَلِكَ الْأَوَانِ، وَفُلَانِ شَكََا ذَلِكَ لِصَاحِبِ الْقَبْرِ حَالَهُ وَأَمْرَهُ فَأَغَاثَهُ وَكَشَفَ عَنْهُ ضَرَّهُ، وَفُلَانِ شَكََا إِلَيْهِ حَاجَتَهُ فَأَزَالَ عَنْهُ فَقْرَهُ، وَأَمْثَالُ هَذَا الْهَذِيقِ، الَّذِي هُوَ زُورٌ وَبُهْتَانٌ، وَيَصْدُرُ هَذَا الْكَلَامُ فِي تِلْكَ الْبِلْدَانِ، وَهِيَ مَمْلُوءَةٌ بِالْعُلَمَاءِ مِنْ أَهْلِ الزَّمَنِ، وَذَوِي التَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ، وَلَا يُزَالُ ذَلِكَ الْمَحْظُورُ، وَلَا يُغَيَّرُ مِنْ صُدُورِ تِلْكَ الْأُمُورِ، بَلْ رُبَّمَا تَنْشَرَحُ مِنْهُمْ لَهُ الصُّدُورُ.

وَأَمَّا مَا يُفْعَلُ فِي بِلْدَانِ الْيَمَنِ، مِنَ الشُّرْكِ وَالْفِتَنِ، قَبْلَ هَذَا الْوَقْتِ فِي هَذَا الزَّمَنِ، فَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَبَ أَوْ يُخْصَى، أَوْ يُعَدَّ وَيُسْتَقْصَى، أَوْ يُدْرَكَ لَهُ أَقْصَى، فَمِنْ ذَلِكَ مَا يَفْعَلُهُ أَهْلُ شَرْقِي صَنْعَاءَ بِقَبْرِ عِنْدَهُمْ يُسَمَّى الْهَادِي<sup>(٢)</sup>، وَالْكَلَّ عَلَى

(١) لصوفي الشهير، المتوفى سنة ٦٧٥ هـ. انظر لبيان حقيقته، وأنه شيعي متستر، بهدف إعادة الدولة الشيعية لمصر: «السيد البدوي ودولة الدراويش في مصر»؛ لمحمد فهمي عبداللصيف، و«السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة»؛ لأحمد صبحي منصور.

(٢) إمام الريدية ديسم (ت ٢٩٨ هـ). ذكر الدكتور علي سعيد سيف في رسالته «الأصْرَحُ فِي الْيَمَنِ مِنَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ وَحَتَّى نَهْيَةِ الْعَاشِرِ الْهَجْرِيِّ» (ص ١٦١) أَنَّ قَبْرَهُ لَمْ يُعْمَرْ إِلَّا مَبْنًى سَنَةَ ٧٣٣ هـ إِلَى سَنَةِ ٧٥٠ هـ، وَهِيَ فِتْرَةُ حُكْمِ الْإِمَامِ لُرَيْدِي الْمَهْدِيِّ لِسَبِّهِ إِلَهَ عِيٍّ مِّنْ مُحَمَّدٍ، الَّذِي كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَى مَشَاهِدَ مَقْبَرَةِ صَعْدَةِ، عَلَى قُبُورِ الْهَادِي وَسَبِّهِ.

دعوته والاستغاثة به رائج غادي، فتأتي المرأة إذا تعسر عليها الحمل أو كنت عقبمه، فتقول عنده كلمة قبيحة عظيمة، فسجد من لا يُعَاجِل بالمعاقبة على الجريمة.

وأما أهل بلد بُرْع، فعندهم البُرعي<sup>(١)</sup>، رجل يَرَحَل إلى دعوته، كل ناءٍ عن محله وبلدته، ويؤتى إليه من غير إشكال، من مسيرة أيام وليال، لطلب الإغاثة وشكاية المحال، ويقىمون عند قبره للزيارة، ويتقربون بالذبايح عنده كما حقق أخباره، من شاهد حضرته واحتضاره.

وأما أهل الهجرية<sup>(٢)</sup> ومن حذا حذوهم، فعندهم قبر يسمى ابن علوان<sup>(٣)</sup>، وقد أقبل عليه العامة في نوائب الزمان، واستغاث به منهم كل لهفان، فهم يدجون به في كل وقت وأوان، ويسميه غوغاهم: مُنْجِي الغارقين، كما حكاه بعض السامعين، وأغلب أهل البر منهم والبحر، يطربون عند سماع ذكره، ويستغيثون به وإن لم يصلوا إلى قبره، ويُذَرُّ له في البحر والبر، وعند أهل بلده وتعظيمه ما يزيد على الحصر، ويفعلون عند قبره السماعات والموائد، ويجتمع عنده أنواع من المعاصي والمفاسد، فليس في أقطار اليمن، في هذا الزمن، من

(١) عبدالرحيم بن أحمد، الفقيه الشاعر الصوفي، (ت ٨٠٣هـ). انظر: «طبقات صلحاء اليمن»؛ للريهي (ص ٤٣ - ٤٤).

(٢) يقول صاحب «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (٢ / ١٧٩٩): «تعددت القرى والمناطق التي تحمل اسم (الهَجْر)، وقد كان الحميريون يعنون بهذا الاسم: المدينة أو القرية الكبيرة... ثم أخذ في تعدادها -».

(٣) أحمد بن علوان، لصوفي اليمني، (ت ٦٦٥هـ). انظر: «طبقات الخواص»؛ لشرحي (ص ٦٩ - ٧١)، وقال: «وقبره طهر معروف، مقصود لزيارة والتبرك من الأُمُكِر النعيذة!» و«هجر لعلم» للاكوع (٢ / ٧٥٠ - ٧٥٨). وقال: «وقد فُسِّن به العامة في عهده، وبعد وفاته، وحتى اليوم». وهو من قرية «دي الحنان» من أعمار نعر.



يساويه في الاشتهار، بل ولا في سائر الأقطار، ولهم في حضرته أمور يفعلونها ديناً، ويتوخونها حياءً فحينئذ يطعنون أنفسهم بالسككين والدباس، وقد جعلها لهم عبادة يديس، ويقولون وهم يرقصون، وبما يعنيه طربون، قد ملأ الوجد منهم ألباباً وذهناً: يا سديتي قبيي بكم مُعَنَّى!

وأما حال حضرموت والشَّحْر<sup>(١)</sup>، ويافع<sup>(٢)</sup> وعدن، فقد ثوى فيهم الغيُّ وقَصْن، وعندهم العِيدْرُوس<sup>(٣)</sup>، يُفعل عند قبره من لسهه ولضلال الويل، ما يغني مجمله عن التفصيل، ويقول قائلهم: شيء لله يا عيدروس، شيء لله يامحيي النفوس!

وأما بلدان الساحل، فعندهم من ذلك مسائل، فعند أهل المَحَا<sup>(٤)</sup>: علي بن عمر الشاذلي<sup>(٥)</sup>، أكثرهم بدعوته والاستغاثة به قد ابتلي، لا تفترا ألسنتهم عن ذكره قعوداً أو قياماً، ويتتابون تربته وحدائماً وقياماً.

- 
- (١) مدينة على ساحل بحر العرب، بين عدن وعمان.  
 (٢) مدينة تقع شمال شرق عدن، على ساحل بحر العرب.  
 (٣) أبو بكر بن عبدالله العيدروس (ت ٩١٤هـ). انظر ترجمته في «الأعلام» (٢ / ٦٦)، و«تاريخ الشَّحْر»؛ لبافقيه (ص ٨٣ - ٨٦)، وقد: «وقبره في عدن، يُزر، ويُتبرك به»! وجاء في «صحيفة ٢٦ سبتمبر» اليمينية (العدد ١٠٥٦): «وعند توفي الشيخ العيدروس دُفن في نفس المكان، وبني فوق ضريحه قبة إلى الشمار من لمسجد، وما يزال أهالي عدن وغيرهم من اليمينيين يقومون حتى الآن بزيارة الإمام العيدروس في ١٣ ربيع الثاني من كل عام هجري...»<sup>١</sup> وانظر رد الشيخ سليمان بن سحمان رحمته الله على من توسل به، في ديوانه (٣ / ١١٢).

- (٤) إحدى مدن محافظة تعز في اليمن، تقع على ساحل البحر الأحمر.  
 (٥) (ت ٨٢٨هـ). انظر ترجمته في «طبقات صلحاء اليمن»، (ص ٢٦٤ - ٢٧٠)، و«الريارات و الأولياء في تهامة»؛ لـصوفي المعاصر عبدالله حادم العمري (ص ٦٥ - ٦٦).

وأما أهل الحديدة، فعندهم الشيخ صدّيق<sup>(١)</sup>، فقبل على تعظيمه والغلو فيه كل فرق. وقد أدّى بهم الأمر والحال، وأوداهم الشيطان في هوة وضلال، إلى أنه لا يمكن أحد يريد ركوب البحر، أو يريد منه النزول إلى البر، حتى يجيء إليه، ويُسلم فوراً عليه، ويطلب منه الإعانة والمدد، فيما أرادته وقصد.

وأما أهل اللّحّة<sup>(٢)</sup>، فعندهم الزبيعي<sup>(٣)</sup> من غير لس، واسمه عندهم الشمس؛ لأن قبره ليس عليه قبة بل مكشوف، وكان إليه جميع النذر مصروف، وهم فيه أظلم وأطغى، وفي تعظيمه ودعوته أضل وأبغى، وأهل البدية منهم تؤثر حكاية عنهم، وهي أنه كان رسولاً في حاجة، فأراد أن يدخل بلده والشمس متدلية للغروب، وكان دخول النهار له مقصود ومطلوب، فقال للشمس: قفي. فوقفت، وسمعت قوله وامتلئت. هكذا ذكر بعض الرجال، والله أعلم بحقيقة الحال.

وقبر رابعة عندهم مشهور<sup>(٤)</sup>، لا يحلفون صدق اليمين إلا به، وغير ذلك من الأمور.

(١) صدّيق بن علي بن أبي الفتح، صوفي الشاذلي (ت ١٠٣١هـ). نظر ترجمته في: «الزبدات والأولياء في تهمة»؛ للصوفي لمعصر عبدالله خادم العمري (ص ١٨٥ - ١٩١)، وانظر: «القبورية في اليمن»؛ لشيخ أحمد المعلم (ص ٣٨٠)، وصحيفة «٢٦ سبتمبر» اليمنية (عدد ١٢١٦).

(٢) تصغير لحية، مدينة ساحية تقع إلى الشمال من مدينة الحديدة بمسافة ١٢٠ كم.

(٣) أحمد بن عمر الزبيعي (ت ٧٠٤هـ). انظر عنه: «طبقات الخواص» (ص ٧٤ - ٧٧)، و«البدر الطالع» (٢ / ١٧٤)، و«هجر العلم» (٤ / ١٩٢٩ - ١٩٣٠)، وبحث «بو الزبيعي العقيليون، أصحاب نلحية، وانتشارهم في تهمة اليمن، وجنوب غرب المملكة العربية السعودية»؛ للدكتور أحمد بن عمر الزبيعي. «محلّة مؤرخ عربي» (عدد ١٢ - المجلد الأول - مارس ٢٠٠٤م)، و«الزبدات والأولياء في تهمة»؛ للصوفي المعاصر عبدالله خادم العمري (ص ٢١٧).

(٤) سمّ أعرفه وفير رعة العدو موحد القدس.

وعندهم الطامة العظيمة، والمعضلة الجسيمة، وهي في أراضي نجران، وما بلها من البلدان، وما حولها من الأعراب والبدوان، وهو الرئيس المعروف عندهم<sup>(١)</sup>، السيد المتقدم في رياستهم وسياستهم، والمطلق فيها والمقيد، فقد أتوا من تعظيمه وتوقيره، وتقديمه في جميع الأمور ونصديره، وقبح الغلو فيه والاعتقاد، ما أفضى بهم إلى طريقة الضلال والإلحاد، فصرفوا له من أنواع العبادة سهماً، وجعلوا فيه للألوهية وسماً، حتى كادوا أن يجعلوه لله نداً، وقسماً، وكان عندهم بذلك الحال شهيراً، فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وأما ما في حلب ودمشق وأقصى الشام وأذنه، فهو مما لا يوقف له على حد، ولم يمكن ضبط أقصاه، ولا يُعرف قدره ومنتهاه، ولو استفرغ الإنسان في ذلك قُصاره، بحسب ما يحكيه من يشاهد ذلك أو يراه، من العكوف على عبادة القبور، وصرف القربان إليها والندور، والمجاهرة بالفسوق والفجور، وأخذ الأماكس والدستور<sup>(٢)</sup>، ووضع الخراج على البغايا من تلك المهور.

وفي الموصل وبلدان الأكراد، وما يبيها من سائر البلاد، وكذا في العراق خصوصاً المشهد وبغداد، ما لا يحتاج إلى حصر وتعداد، فيُفعل عند قبر الإمام أبي حنيفة ومعروف الكرخي والشيخ عبد القادر، رضي الله تعالى عنهم، من الدعاء والاستغاثة بهم ومنهم في سائر الأوقات والأزمان، ما لا يُعرف له صفة ولا شأن، وتُسَفَّح عندهم العبرات والدموع، ويحصل من التعظيم والتذلل عندهم والخصوع، أعظم مما يصدر بين يدي الله في الصلاة في الحضور

(١) أي عند الإسماعيلية، إحدى فرق الشيعة، لعلة. انظر لمعرفة عقائدهم وعلوهم في

سيدهم: رسالة «أصول الإسماعيلية» له كنور سليمان لسلمي

(٢) الدستور: يُطلق على كل قانون غير شرعي

والخشوع. بل كثير ممن فعل ذلك مرارًا وجرب، هم لقضاء الحوائج تريق  
مُجرب.

وأما مشهد علي بن أبي طالب، عليه السلام<sup>(١)</sup>، فقد صيرته الرافضة وثنا بُعِدَ،  
ويُدعى بخالص الدماء دون من ذرأ الخلق وأوجد. ويُضَلَّى له في قبته ويُركع  
ويُسجد، وليس في صدور أولئك الضلال وغيرهم من الجهال، وذوي الفسق  
والضلال، من التعظيم والهيبة والإجلال، لذي الفضل والنوال، ومُعْشَر ما فيها  
لعلي عليه السلام، من غير إشكال، ولا إسراف ولا إفراط في المقال، فتراهم يحلفون  
الأيمان الكاذبة بالله، ولا يخاف أحدهم مولاه، ولا يراقبه سرًا وجهرًا ولا  
يخشاه، ولا يحلف بعلي كاذبًا أبدًا، يُعظم بذلك جماءه. فلا ينتهك ذلك  
ويتعداه، ويجزمون أن عنده مفاتيح الغيب، من غير شك، قبحهم الله، ولا  
ريب؛ ولهذا يقولون إن زيارته أفضل من سبعين حجة، وكفى بما ذكرناه وفي  
خروجهم عن الإسلام حجة، وإخراجهم عن واضح السنن والمحنة، ولقد  
غَلَوْا فيه وأتوا من الشرك القبيح، أعظم مما فعل النصارى بالمسيح، سوى  
دعوى الولدية، فلم تصدر من هذه البرية، وساووهم أو زادوا عليهم في غيرها  
من الخصائل الردية، وزخرفوا على قبره الذي يدعونه قبة مذهب، وخالفوا  
هديه عليه السلام ومذهبه، ولقد كان في حياته حرق ممن غلا فيه أناس، فما أغناهم  
عن انتهاج منهج الضلال والإبلاس.

ومثل ذلك ما يُفعل من لشرك والمنكر والشين. عند مشهد الكظم ومشهد

(١) وهو مشهد مكدوس! قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (١٧ / ٥٠٠): «وكذلك  
مشهد عبي عليه السلام، إما أحدث في دولة بني سويه، وقال محمد بن عبد الله مصير الحافظ  
وعمره. عليه السلام هو قبر المعيرة بن شعنة عليه السلام، وعبي عليه السلام دفن بقصر الإمارة  
بالكوفة»

الحسين، فعندهم من التعظيم لهما والعبادة والوقار، والملازمة لذلك بالعشي والإبكار، والإقبال على ذلك سائر الأحوال والإكثار، أَجَلٌّ وَأَكْثَرُ مم عندهم لله الواحد القهار، ولقد شَبَّ فيهم عَمَى ذلك الكفر، وقبح ذلك المسكر والفُجْر، الرعاع والأطفال، وشاب عليه الصغار من الرجال، فلا يُسْمَعُ في سائر الأحوال، بين أولئك السفلة الأندال، والأرذال الضُّلَّال، ذِكْرٌ لرب العزة والجلال، وإنما دَيَّنْتُهُمْ ذَكَرُ عَلِيٍّ والحسين وبقية الآل.

وأما جميع قرى الشط والمجرة، فقد لبسوا ثياب الشرك والضلال والمَعَرَّة، بل كانوا أهله وأصده ومَقَرَّه.

وكذلك ما حول البصرة وما توسط فيها، من تلك القُبُب والمشاهد، التي أصبح كلُّ إلیها مُقْبِلٌ وقاصد، لا سيما قبر الحسن البصري والزيير، عليه السلام، فقد طلبوا الفرج منهم، وصرفوا لهم من العبادة والدعاء والاستغثة عند الشدائد، وطلبوا منهما جميع الفوائد، وليس لهذا مُنْكَر ولا جاحد، سوى ما يَصُدُّر وما يُشَاهَد، في تلك البلدان من المنكرات والفواحش والمفاسد، ولا يَجْحَدُ ذلك إلا مُبَاهِت معاند.

وأما ما في القَطِيف والبحرين من البدع الرَّفْضِيَّة، والأمور القبيحة الشركية، والمشاهد المعظمة الوثنية، وما يفعله أولئك لُضُّال والأنجاس، من الضلال ولَغْيٍ والإبلاس، وما يأتونه من الشرك والأرجاس، فلا يكاد يخفى على أحد من الناس، ويقف دون ساحل إحصائه الإدراك، ويُقصر عن مقتضاه ونظمه في هذه الأسلاك، وما يجحد ذلك إلا كُلُّ مُعْتَدٍ أَفَّاك.

وإذ رأى أفعالهم كل عارف بالإيمان، وشاهده بالرؤية والعيان، بين له غربة الدين في هذا الزمان، وزاد بصيرة في دينه وإيقن، وخذ في طاعة سيده ومولاه، وحمده على ما خوله وأعطاه، وسارع في خدمته ورضاه، وبادر إلى القيام

بوظائف العبودية فيما أمره ونهاه، وأكثر من شكره على ما منحه من فضله وحباه، وجعله من حزنه المائتزين، الذين هم لديه مقربون ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٦) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿وَتَحَدَّثَ لَدَى النَّاسِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ، وَأَلْزَمَ بِذَلِكَ جَنَانَهُ وَلِسَانَهُ وَفَاهَ، وَنَادَى بِرَفِيعِ صَوْتِهِ وَفَهُ: ﴿قَدْ يَفْضِلُ اللَّهُ وَرَحْمَتِهِ، فِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ وسأل ربه ودعاه، فهو الذي أنقذه من الضلال ونجاه، وسك به سبل الهداية ونجاه، وقال في الدعاء والمناجاة: ﴿رَبِّ فَلَا تَحْزَنْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (١٧) وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيدَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ﴾ صارت الحظوظ الدنيوية، والشهوات النفسية، لهم هي الغاية والمقصد والمراد، وكان ذلك - والعياذ بالله - هو السر لهم في الخلق والإيجاد، وغفلوا عما في ذلك من الوعد والإبعاد، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَلُونَ﴾ ويتأمل العارف الخبير، ذو القلب المنور البصير، افتراق الجزأين في المال والمصير: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾، ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾.

### فوائد:

الأولى: يجب على كل كَيِّس، وهو من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، أن يهتم بما كلفه الله تعالى ويعتني بتخليص نفسه قبل الفوت، ويدأب فيما يورثها النعم السرمدي والكرامة، في دار الخلود والمقامة، وذلك بتجريد التوحيد لله تعالى والنصر من الشرك والسلامة، ويسعى مُشْمَرًا في إصلاح شأنه، وبسطر ما وقع في الفرق في الدين والاختلاف في أهل زمانه، وما جرهم إليه الشيطان باستدراجه لهم وأعواهه، حتى أخذ بهم سنن ضلاله وحدلانه، وصوّح بهم في ببدء طرده وهواه، فكَرَعُوا في حياض الاء والجدود، وَرَتَعُوا في رياض

المحرمات والحدود، وتدين الأكثر بالبدع ولهوى، ورفضوا حبس الله المتين الأقوى، وقلوا: لا يصل إلى معناه ولا تقوى، ورأوا هجره ورفضه هو الغاية القصوى، في التحلي بحلية الورع والتقوى، فألقوا من الهوان في لقعر الأهوى، وصار ذلك من الله تعالى حتمًا مقضيًا، وقدرا مقدورا أزليًا، وبرهانًا لما أخبر به ﷺ واضح جليًا، ومصدقًا لما وعد به ﷺ فوعده يكون مأثيًا.

فقد أخبر ﷺ أن أمته تتبع سنن من كان قبلهم، كاليهود والنصارى وفارس والروم، كما ثبت ذلك في الصحيحين وغيرهم من كتب الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَدَّوْ الْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ» قلوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن!»<sup>(١)</sup>.

وخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها، شبرًا بشبر وذراعًا بذراع» فقيل: يا رسول الله، فارس والروم؟ قال: «ومن الناس إلا أولئك!»<sup>(٢)</sup>.

فأخبر الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن لهوى، أن أمته تفعل كفعل اليهود والنصارى، وهم أهل الكتب وفارس والروم، وهم الأعاجم، وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم ﴿فَرَّقُوا دِيَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا﴾، وأنهم عبدوا العجل والطواغيت، وآمنوا بالجبت والطاغوت، ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتَّبِعُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَنٍ﴾ من كتب السحر، وأنهم قلوا: ﴿سَمِعَتْ وَعَصَيْنَا﴾ و﴿قُلُونَا عَلَفُ﴾، وأنهم كفروا بمحمد ﷺ وعدوه وأبغضوه بعد معرفته، ونبذوا ﴿كِتَابَ اللَّهِ وَرَأَى

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٦) ومسلم (٢٦٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٦).

صُهِرِهِمْ كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ». وأنهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، وأنهم ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَذِهِ هُدًى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾، وأنهم كفروا بدين الرسول ﷺ بغيًا وحسدًا، للعرب أن يخصهم الله تعالى بهذه الفضيلة العظيمة، والمنة الجسيمة، لأنهم كانوا يستفتحون على كفار العرب بمحمد ﷺ ويقولون: هذا أوان نبي قد أظلم زمانه، فنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم. كما ذكر ذلك ابن إسحاق وغيره من أهل السير والمغازي<sup>(١)</sup> فلم بعث الله محمدًا ﷺ من العرب، وصار أتباعه من العرب، كفروا به وأبغضوه بغيًا وحسدًا، ﴿أَن يُزِيلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، فلا بد أن يوجد في هذه الأمة من يفعل فعل اليهود والنصارى وفارس والروم.

وفي حديث الثوري وغيره، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفرقي، عن عبد الله بن يزيد، عن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية كان في أمتي من يفعل ذلك. وإن بني إسرائيل افترقت على ثنتين وسبعين ملة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا واحدة» قلوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي»<sup>(٢)</sup> رواه أبو عيسى الترمذي وقال: هذا حديث غريب مفسر، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وهذا الافتراق مشهور عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة وسعد بن أبي وقاص ومعاوية وعمرو بن عوف الأشجعي وغيرهم.

(١) سره اس هنام (٢/ ١٩٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، وحسنه الشيخ الأساني (صحيح لجمع ٥٣٤٣) دور قوله «حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية كان في أمتي من يفعل ذلك» فقد صعبه.



فعر محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة. والنصارى مثل ذلك، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»<sup>(١)</sup> رواه أبو داود وابن ماجه و الترمذي وقال: هذا حسن صحيح.

وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الكتاب افرقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفرق على ثلاث وسبعين ملة» يعني أهل الأهواء «كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة»، وقال: «إنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله، والله يا معشر العرب، لئن لم تقوموا بما جاء به محمد ﷺ لغيركم من الناس أخرى أن لا يقوم به»<sup>(٢)</sup>.

هذا حديث محفوظ من حديث صفوان بن عمرو، عن الأزهر بن عبد الله الرازي، عن أبي عامر عبد الله بن لُحَي، عن معاوية. ورواه غير واحد، منهم أبو اليمان وبقية وأبو المغيرة، رواه الإمام أحمد، وأبوداود في سننه.

وقد روى ابن ماجه هذا المعنى من حديث صفوان بن عمرو، عن راشد بن سعد، عن عوف بن مالك الأشجعي<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٩٨) و الترمذي (٢٦٤٠) وابن ماجه (٣٩٩١). وصححه الشيخ الألباني (لصحيحة ٢٠٣).

(٢) أخرجه لإمام أحمد في المسند (٤/ ١٠٢) وأبو داود (٤٥٩٧)، وحسنه الشيخ الألباني (الصحيحة ٢٠٤).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٢) وصححه شيخ الألباني (الصحيحة ١٤٩٢).

وَيُرَوَّى مِنْ وَجْهِ أُخَرَ.

فقد أخبر عليه السلام ما فتراق أمته على ثلاث وسبعين فرقة، والثنان والسبعون لا ريب أنهم الذين خاضوا كخوص الذين من قبلهم، قال الله تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَصْنَانُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

وقد ذكر أهل التفسير عن ابن عباس، رضي الله عنه، أنه قال: ما أشبه الليلة بالبارحة! هؤلاء - بني إسرائيل - شُبِّهْنَا بِهِمْ، والذي نفسي بيده لَتَسْبِعُنَّهُمْ، حتى لو دخل الرجل منهم جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتموه! <sup>(١)</sup>

وعن ابن مسعود، رضي الله عنه: أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل سمًا وهديًا، تتبعون أعمالهم حَذْوَ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ، غير أنني لا أدري أتعبدون العجل أم لا؟ <sup>(٢)</sup>

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: المنافقون الذين منكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم. قلت: وكيف؟ قال: أولئك كانوا يُحْفُونَ نفقهم، وهؤلاء أعلنوه! <sup>(٣)</sup>

الثانية: قال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم»:

(١) أخرجه ابن جرير لطبري في تفسيره (١٤ / ٣٤٢).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧ / ٤٨١).

(٣) أخرجه ابن أبي شبة في مصنفه (١٥ / ١٠٩) وأخرجه لصرى في المعجم لأوسط

(٣ / ١٣٤) من قول عبد الله بن مسعود

هذا الاختلاف الذي أخبر به النبي ﷺ إما في الدين فقط، وإما في الدين والدنيا معاً، ثم قد يؤول إلى سلك الدماء، وقد يكون الاختلاف في الدنيا فقط، وهذا الاختلاف الذي وردت به هذه الأحاديث هو مما نهى الله تعالى عنه في قوله ﷺ: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ» الآية، وقوله: «إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا بَيْنَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا أَلَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ» وقوله تعالى: «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ».

ومنشأ هذا الاختلاف من جهة عدم العمل بالعلم، كالذي يعرف الحق من الباطل ويميز بينهم، ولا يتبع ذلك فعلاً ولا قولاً ولا عملاً، وإما من جهة العمل بلا علم، فيجتهد في أصناف العبادة بلا شريعة من الله، ويقول على الله تعالى بلا علم، فالأول من مشابهة اليهود الذين قال الله تعالى فيهم: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَعْلَنُهُمُ النَّارُ» والثاني من مشابهة النصارى الغالين في الدين، والقائلين فيه غير الحق، والضالين عن سواء السبيل.

وقد ابتلى الله تعالى طوائف من هذه الأمة من لمنتسبين إلى العلم بما ابتلى اليهود؛ من حب الدنيا وإيثاره وكنم الحق، فإنهم تارة يكتمون العلم بخلاً به، وكراهة أن ينال غيرهم من الفضل ما نالوه، وتارة اعتياضاً بريسة أو مال، فبخاف من إظهاره انتقاص رياسته أو ماله، وتارة يكون قد خالف غيره في مسألة واعتزى إلى طائفة قد حولفت في مسألة، فيكتم من العلم ما فيه حجة لمخالفه. وإن سم يتقن أن مخالفه مُبطل، ولهذا قال عبد الرحمن بن مهدي وغيره: أهل العلم يكتبون ما لهم وعليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم. وكان السلف رحمهم الله، ابن عيينة وغيره، يقولون: إن من فسد من علمائنا فبه شئ من اليهود،

وَمَنْ فَسَدَ مِنْ عِبَادِنَا فِيهِ شَبَّةٌ مِنَ النَّصَارَى . انتهى كلامه رحمه الله تعالى <sup>(١)</sup> .

وليس العرضُ استيعابُ ما وقع من الاختلاف والافتراق ، واستقصاء ما صدر فيه النزاع والشفاق ، وما وقعت فيه المشابهة والمضاهاة ، فهذا يَحْجُمُ حَوَادُ الفهم عن دَرَكِ أدناه ، ولا يَسَعُ استيفاءُه على الإجمال دون التفاصيل ، لا سيما إن انضم إلى ذلك تحريفُ التأويل ، وتأويل التنزيل ، وإنما القصدُ من ذلك جَلْبُ شَذَرَةٍ يُمَعِّنُ فيها اللبيب فكرَه ، ويأخذ منه نِذَارَتَه وَحَذَرَه ، في هذا الزمان الذي مَن تَمَسَّكَ بدينه فيه يكون كالقباض على جَمْرِهِ . فيجب عليه أن يُلْزِمَ نفسه على ذلك صَبْرَه ، حتى يُعْظِمَ مولاه له أَجْرَه ، ويتضرع إلى الرحمن الرحيم ، أن يهديه الصراط المستقيم ، ويُقِيمَه على السَّنَنِ القويم **﴿وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾** .

فقد ، والله ، ضَحَّمَ الأمرُ وَجْهَهُ ، وتقدم الأمر وعَظُم ، وأطلت الفتن ، وأطلت المحن . في هذا الوقت والزمن ، وظُهِرَ على الضلال والبدع ، والكثير إلى منهاجها نَزَع ، وقل الاكتراث والمبالاة في الدين ، وكَثُرَ سَوَادُ الْمُبْطِلِينَ ، وحُكِمَ على غير برهان ويقين ، بتضليل الدعاة الموحِّدين ، وإبطال ما كانوا له متجرِّدين ، من الدعوة لرب العالمين **﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** هذه دعوة رب الأرباب ، التي نفت الوسائطُ دونه الارتباب . واستيحت عنده الأموال والرقب . وافترق الناس فيها بين حلول لجنة وحسن المناب ، ولحلود في الهاوية دار العذاب . المُعَدَّة لأعداء الله من الجنة والناس أجمعين **﴿وَالَّذِينَ هَهِدُوا فِيهَا لَهُدْيَهُمْ سُلُوكٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾**

(١) كلام شيخ الإسلام ابن تيمية مجموع من عدة مواضع ( فتضاء الصراط المستقيم ٣ / ٧ .

لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾ وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ زَمَانُ هَذَا الْمَوْجُودِ، دَاخِلًا فِي جُمْلَةِ الزَّمَانِ الْمَوْعُودِ، فَارْجُوا لِمَنْ اسْتَقَامَ فِيهِ عَلَى الشَّنِّ الْمَحْمُودِ، أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ فِي الْعَمَلِ أَجْرَ حَمْسِينَ، كَمَا وَرَدَ عَنْ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ <sup>(١)</sup> ﴿قُلْ هَيْدِ سَيِّبِي أَدْعُوهُ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي وَسَخَّرَ اللَّهُ مِنِّي وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿وَلْيَدِينْ جَهْدُهُمْ مِنَّا وَلَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُؤْتِيَنَّهُمْ مِن الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرٍ لِّلْعَمَلِينَ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ صَرَوْا وَعَن رِيحِهِمْ يَبْتَغُونَ﴾.

الفائدة الثالثة: أطبقت لأمة، واتفقت المقالة، أن الله تعالى لا يجمع هذه الأمة على ضلالة، ولا يعمها بالسفاهة والجهالة، فِعِصْمَتُهَا مُسْتَمِرَّةٌ إِلَى انْقِضَاءِ لَامِدٍ، لَا يُنْكَرُ ذَلِكَ وَلَا يَجْحَدُهُ أَحَدٌ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي صَحِيحِ الْأَخْبَارِ، وَنَقَلَتْهُ الْعُدُولُ الْأَخْيَارُ، عَنِ النَّبِيِّ الْمَخْتَرِ <sup>(٢)</sup>.

وأخبر أيضًا أن في أمته أناسًا لا يزالون بهديه يستمسكون <sup>(٣)</sup> وفيها بن أكثرهم

(١) أخرجه أبو دود (٤٣٤٣) والترمذي (٣٠٥٨) وابن ماجه (٤٠١٤) عن أبي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله ﷺ: «اتَّبِعُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ شُحًا مَظَاحًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْتَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ، وَدَعْ عَنكَ الْعَوَامَ؛ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ» وصححه الشيخ الألباني (صحيح الترغيب ٣١٧٢).

(٢) أخرجه لترمذي (٢٧٢٩) من حديث ابن عمر مرفوع: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ» وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ١٨٤٨).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٤١) ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَرَأُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا بَصْرُهُمْ مِنْ خَدْلِهِمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ».

محطّون، وعن هديه ومنها جه منحرفون، وهذا الاختلاف وصدور الانحراف، مما ربّته الشيطان وتفاضته لطباع، وصار للنفوس إلى ذلك إسراع بعد إزمارع، حتى إن ذلك يوجد من بعض العمداء المنتسبين إلى أحد المذاهب المتعصبين، فلا يقبلون من الدين رأياً ولا رواية، إلا ما كان لأصحابهم به عمل أو دراية، فيرفض السّنن الذي أمر جميع الناس بالاستمسك به والاتباع، ويأخذ بهدي أو اختيار بعض الأتباع، ولو تبين له وعرف الحق من غير مذهبه واتضح، ما عرّج عليه ولا ارتضاه ولا جَنَح، ولا صدّع بذلك ولا صدّح.

والواجب على كل إنسان ممن اتصف بصفة الإيمان، أن يُقبل على الحق ويعمل به ممن كان، ولا تحمله الغيرة القلبية، والشهوة المذهبية، على العناد والعصبية، كما يوجد من بعض أهل المذاهب، حَمَلَه التعصب على الطعن - والعياذ بالله - في الأئمة والمثالب.

وترى كثيراً ممن يدعي العلم والمعرفة، وكذلك من المتعبدة ولمتصوفة، لا يَسْلَم بعضهم من بعض، ولا يكون لأعراضهم رفض، بل لا يُعَدُّهم ذلك العالم إلا ضالّاً جَهّاً، والعابد يرى طريقة العجم سفاهة وضالّاً، ويدعي أن العمداء لم يَشْرِبو من صافي الشريعة زُلاًّلاً، ولم يَرِدُوا مِن مَعِينِها سُلْسَلاً، ولم يدركوا من الحضرة وصولاً واتصالاً، ولم يُلقُوا منه قبولاً وإقبالاً، ولقد جاء كلٌّ من أولئك مُحَالّاً، وقد ضلوا والله ضالّاً بعيداً، ولم يقولوا قولاً سديداً، وإنما الحق والصواب ما جاءت به السنة والكتاب، وما قاله وعمل به الأصحاب، وما احناره الأئمة الأربعة المفلّدة في الأحكام المُتَّبعة، فقد انعقد على صحة ما قالوه الإجماع، ولا يحرج عنهم إلا مَنْ رام سَنَنَ الابتداع، فَمَن اهتدى بهم بعد الكتب والسنة فقد رَشَدَ واهتدى، ومن فرق ذلك فقد ضلَّ واعتدى.

ولالإمام أبي عمر يوسف بن عبد البر، الذي شاع علمه في الأقصار، وطب

الأرض في الشهرة والاشتهار، مصنف سمه «كتاب العلم»<sup>(١)</sup> أوغب الكلام فيه على السنة والقرآن، وصرح وجوب التمسك بهما على كل إنسان، خصوصاً ذوي الفضل والشان، هي كل قطر وعصر وزمان. ولم ير التقليد من المنهج السديد، إلا فيما لا بد منه ولا غنى للشخص منه عند تحسر الدليل وفقده، وعدم استيفاء له في وجده<sup>(٢)</sup>.

ولشمس الدين ابن القيم في «إعلام الموقعين» ما يشفي صدور المجتهدين، من رد حُجج المقلدين.

وللأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني، وكان مشهوراً بالعلم والفهم، وله من صدعة الشعر أوفر سَهْم، قصائد كثيرة في هذا المعنى، نَهَجَ فيها المنهج الأسنى، فأحببت أن أثبت فيها «البائية» في هذا الكتاب، لما حَوَتْهُ مِنْ فَضْلِ الخطاب، وأجاد القول فيها وأصاب، ونصها<sup>(٣)</sup>:

أَمَا أَنْ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ مَتَابُ      وَهَلْ لَكَ مِنْ بَعْدِ الْبُعَادِ إِيَابُ  
تَقَضَّتْ بِكَ الْأَعْمَارُ فِي غَيْرِ طَاعَةٍ      سَوَى عَمَلِ تَرْضَاهُ وَهُوَ سَرَابُ  
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ فِعْلُكَ خَالِصًا      فَكُلْ بِنَاءٍ قَدْ بَنَيْتَ خَرَابُ  
فَلِلْعَمَلِ الْإِخْلَاصِ شَرَطٌ إِذْ أَتَى      وَقَدْ وَاثَقَتْهُ سَنَةٌ وَكِتَابُ

(١) اسمه الكامل: «جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله».

(٢) قال يَزِيدُ تحت «باب: فساد لتقيد ونفيه، والفرق بين التقيد والإنعاع» (ص ٤٤٦) «هذا كله لغير العامة، فإن العامة لا بد لها من تقيد عمامتها عند النزلة تنزل بها؛ لأنها لا تبين موقع الحجة، ولا تصل بعدم الفهم إلى عَمِّ ذلك؛ لأن العمدة درجات، لا سبيل منها إلى أعلاها إلا نزل أسفلها، وهذا هو لحائل بين العامة وبين طلب لحجة، وأنه أعلم، ولم نحتجب العلماء أن العامة عبيد تقليد علمائها...»

(٣) ديوان الصنعاني (ص ٦٥ - ٦٨)

وقد صِينَ عن كل ابتداع وكيف ذا  
طغى الماء من بحر ابتداع على الورى  
وطوفان نوح كان في الفلك أهله  
فَأُتِيَ لَنَا فَلَكٌ يُنَجِّي وَلَيْتَهُ  
وَأَيْنَ إِلَى أَيْنَ المطار وكلُّ ما  
نسائل من دار الأراضي سياحة  
فِيُخْبِرُ كُلَّ عَنْ قَبَائِحِ مَا رَأَى  
لَأَنَّهُمْ عَدُّوا قَبَائِحَ فَعَلَهُمْ  
كَقَوْمِ عِزَّةٍ فِي دُرِّ مِصْرَ مَا تَرَى  
يَدُورُونَ فِيهَا كَاشِفِينَ لِعَوْرَةٍ  
يَعُدُّونَهُمْ فِي مِصْرَ مِنْ فَضْلَانِهِمْ  
وَفِيهَا وَفِيهَا كُلُّ مَا لَا يَعُدُّهُ  
وَفِي كُلِّ مِصْرٍ مِثْلَ مِصْرَ وَإِنَّمَا  
تَرَى الدِّينَ مِثْلَ الشَّاةِ قَدْ وَثَبَتْ لَهُ  
لَقَدْ مَرَّقَتْهُ بَعْدَ كُلِّ مَمَرٍّ  
وَلَيْسَ اغْتِرَابُ الدِّينِ إِلَّا كَمَا تَرَى  
فِيَا غَرِبَةَ هَلْ يُرَجَّى مِنْكَ أَوْبَةٌ  
فَلَمْ يَبْقَ لِلرَّاجِي سَلَامَةٌ دِينَهُ  
كِتَابُ حَوَى كُلِّ الْعُلُومِ وَكُلِّ مَا  
فَإِنْ رُمَتْ تَارِيحًا رَأَيْتَ عَجَائِبَهَا  
وَلَا قِتَ هَابِيلاً قَتِيلَ شَقِيقِهِ  
وَتَنْظُرُ نَوْحًا وَهُوَ فِي الْفَلَكِ إِذْ طَغَى

وقد طَبَّقَ الْآفَاقُ مِنْهُ عُبَابُ  
فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُ مَرْكَبٌ وَلَا رَكَابُ  
فَنَجَّاهُمْ وَالْغَارِقُونَ تَبَابُ  
يَطِيرُ بِنَا عَمَّا نَرَاهُ غُرَابُ  
عَلَى ظَهْرَهَا يَأْتِيكَ مِنْهُ عُجَابُ  
صَيَّ بِلَدَةٍ فِيهَا هُدًى وَصَوَابُ  
وَلَيْسَ لِأَهْلِهَا يَكُونُ مَتَابُ  
عَاسَنَ يُرَجَّى عِنْدَهُمْ ثَوَابُ  
عَلَى عَوْرَةٍ مِنْهُمْ هُنَاكَ ثِيَابُ  
تَوَاتَرَ هَذَا لَا يُقَالُ كِذَابُ  
دَعَاؤُهُمْ فِيمَا يَرَوْنَ عُجَابُ  
لِسَانٌ وَلَا يَدْنُو إِلَيْهِ خَطَابُ  
لِكُلِّ مَسْمَى وَالْجَمِيعِ ذَنَابُ  
ذَنَابُ وَمَا عَنْهُ هُنَّ ذَهَابُ  
فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ جَنَّةٌ وَإِهَابُ  
فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْاِغْتِرَابِ إِيَابُ  
فِيُجْبِرُ مِنْ هَذَا الْبُعَادِ مُصَابُ  
سَوَى عِزَّةٍ فِيهَا الْجَلِيسُ كِتَابُ  
حَوَاهِ مِنَ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ صَوَابُ  
تَرَى أَدَمًا إِذْ كَانَ وَهُوَ تَرَابُ  
يَوَارِيهِ لَمَّا أَنْ رَأَاهُ غُرَابُ  
عَلَى الْأَرْضِ مِنْ مَاءِ السَّحَابِ عُبَابُ



وإن شئت كل الأنبياء وقومهم  
 ترى كل ما تهوى وفي القوم مؤمن  
 وجنات عدن حورها ونعيمها  
 فتلك لأرباب التقى و هذه  
 وإن تُريد الوعظ الذي إن عَقَلْتَهُ  
 تجده وما تهواه من كل مشرب  
 وإن رُمْتَ إبراز الأدلة في الذي  
 تدل على التوحيد فيه قواطع  
 وفيه الدواء من كل داء فثق به  
 وما مطلب إلا وفيه دليله  
 ولكن سكان البسيطة أصبحوا  
 فلا يطلبون الحق منه وإنما  
 فإن جاءهم فيه الدليل موافقاً  
 رَضَوْه وإلا قيل هذا مؤول  
 تراه أسيراً كل حُرٍّ يقوده  
 أنعرض عنه عن رياض أريضة  
 يريك صراطاً مستقيماً وغيره  
 يزيد على مَرِّ الجديدين جِدَّة  
 وآياته في كل حين طرية  
 ففيه هدى للعالمين ورحمة  
 فكل كلام دونه القشر لا سوى  
 دعوا كل قول غيره وسوى الذي  
 وما قال كل منهم وأجابوا  
 وأكثرهم قد كذبوه وخابوا  
 ونار بها للمسرفين عذاب  
 لكل شقيٍّ قد حواه عقاب  
 فإن دموع العين عنه جواب  
 فللروح منه مطعم وشراب  
 تريد فما تدعو إليه ثَجَاب  
 بها قُطِعَت للملحدين رقاب  
 فوالله ما عنه ينوب كتاب  
 وليس عليه للذكي حجاب  
 كأنهم عمّا حواه غَضَاب  
 يقولون من يتلوه فهو مُثَاب  
 لما كان للأباء إليه ذهاب  
 ويركب في التأويل فيه صعاب  
 إلى مذهب قد قررته صَحَاب  
 وتعتاض جهلاً بالرياض هَضَاب  
 مفاوز جهل كلها وشعاب  
 فألفاظه مهما تَلَوْتَ عَذَاب  
 وتبلغ أقصى العمر وهي كِعَاب  
 وفيه علوم حجة ونواب  
 وذا كَلِّه عند اللبيب لُبَاب  
 أتى عن رسول الله فهو صواب

وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَاصْبِرُوا عَلَيْهِ وَلَوْ لَمْ يَبْقَ فِي الْفَمِ نَابٌ  
 تَرَوْا فِيهِ مَا تَرْجُونَ مِنْ كُلِّ مَطْلَبٍ إِذَا كَانَ فِيكُمْ هِمَّةٌ وَطِلَابٌ  
 أَطِيلُوا عَلَى السَّيِّئِ الطَّوَالِ وَقُوفَكُمْ تَدِيرُ عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ سَحَابٌ  
 فَكُمْ مِنَ الْوَفِّ فِي الْمَيِّينِ فَكُنْ بِهَا أَلَوْفًا تَجِدُ مَا ضَاقَ عَنْهُ حَسَابٌ  
 وَفِي طَيِّئِ أَتْنَا الْمَشَافِرَ نَفَائِسَ بِطِيبٍ لَهَا نَشْرٌ وَتُفْتَحُ بَابٌ  
 وَكَمْ مِنْ فُصُولٍ فِي الْمَفْصَلِ قَدْ حَوَتْ أَصُولًا إِلَيْهَا لِلذِّكْرِ مَأْبٌ  
 وَمَا كَانَ فِي عَصْرِ الرِّسُولِ وَصَحْبِهِ سِوَاهُ الْهُدَى لِلْعَالَمِينَ كِتَابٌ  
 تَلَا قُضِّلَتْ لَمَّا أَتَاهُ مَجَادِلُ فَابْلِسَ حَتَّى لَا يَكُونَ جَوَابٌ  
 أَقْرَ بَأْنَ الْقِرَانِ فِيهِ طَلَاوَةٌ وَيَعْلُو وَلَا يَعْلُو عَلَيْهِ خَطَابٌ  
 وَأَدْبَرَ عَنْهُ هَائِمًا فِي ضَلَالِهِ يَدْبُرُ مَا ذَا فِي الْأَنَامِ يُعَابُ  
 وَقَدْ قَالَ وَصِي الْمَصْطَفَى لَيْسَ عِنْدَنَا سِوَاهُ وَإِلَّا مَا حَوَاهُ قِرَابٌ  
 وَإِلَّا الَّذِي أَعْطَاهُ فَهَمًّا إِلَهُهُ بِآيَاتِهِ فَاسْأَلْ عَسَاكَ تُجَابُ  
 فَمَا الْفَهْمُ إِلَّا مِنْ عَطَايَاهُ لَا سِوَى بَلِ الْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ مِنْهُ يُصَابُ  
 سَلِيمَانٌ قَدْ أَعْطَاهُ فَهَمًّا فَنَادَهُ يَجِبُكَ سَرِيعًا مَا عَلَيْهِ حِجَابُ  
 وَسَلِّ مِنْهُ تَوْفِيقًا وَلَطْفًا وَرَحْمَةً فَتَلُكُ إِلَى حَسَنِ الْخِتَامِ مَأْبُ

الفائدة الرابعة: في بيان ما جرى في غربة الإسلام، التي وعد بها خير  
 الأنام، وأخبر بوقوعها قبل انقراض الأيام، وكان ذلك منه عليه الصلاة والسلام  
 بإلهام من الله تعالى له وإعلام، فوقع ذلك وصدروا، وبدوا محياه وطهره، كما ينطق  
 به الأثر، وأفصح به الخبر<sup>(١)</sup>.

(١) ينقل ابن عديم هذه الفائدة الرابعة من كتاب «كشف الكربة في وصف حار أهل الغربة»:  
 لاس رحب رحمهما الله، بتصرف

فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ»<sup>(١)</sup>.

وقد رواه الإمام أحمد وابن ماجه من حديث ابن مسعود بزيادة في آخره، وهي: فيل: يا رسول الله، من العرباء؟ قال: «الذين يُصلِحُون إذا فسد الناس»<sup>(٢)</sup>.

وخرجه غيره، وعنده: قال: «الذين يفرون بدينهم خوف الفتن»<sup>(٣)</sup>.

وخرجه الترمذي من حديث كثير بن عبد الله المزني، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ: «إن الدين بدأ غريبًا ويرجع غريبًا، فطوبى للغرباء الذين يُصلِحُون ما أفسد الناس من سنتي»<sup>(٤)</sup>.

وخرجه الطبراني من حديث جابر عن النبي ﷺ وفي حديثه: قيل: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «الذين يصلحون حين يفسد الناس»<sup>(٥)</sup>.

وخرجه أيضًا<sup>(٦)</sup> من حديث شريك بن سعد<sup>(٧)</sup> بنحوه.

(١) صحيح مسلم (١٤٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في 'المسند' (٧٣ / ٤) بهذا اللفظ من حديث عبد الرحمن بن سَنة الأشجعي.

(٣) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (١٦٨) من حديث عبد الله بن عمرو، رضي الله عنه، موقوفًا قال: أحب شيء إلى الله تعالى الغرباء. قيل: أي شيء الغرباء؟ قال: الذين يفرون بدينهم، يجمعون إلى عيسى بن مريم ﷺ. وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الجامع ١٧١).

(٤) الجامع لترمذي (٢٦٣٠) وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الجامع ١٤٤١).

(٥) لمعجم الأوسط (٤٩١٥).

(٦) في المعجم الكبير (٦ / ٢٠٢). قال الهيثمي في مجمع لزوائد (٧ / ٢٧٨): «رجاله رجال الصحيح غير بكر بن سليم وهو ثقة».

(٧) الصواب سهل بن سعد كما عند الطبراني، وابن عامر مع لحافظ ابن رجب على هذا الوجه، لأنه يقل من كده «كشف الكربة في وصف حال أهل لغرة» (ص ١٥).

وخرجه الإمام أحمد من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ حديثه: «فطوبى يومئذ للغرباء إذا فسد الناس»<sup>(١)</sup>.

وخرج الإمام أحمد والطبراني من حديث عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: «طوبى للغرباء» قلنا: وما الغرباء؟ قال: «قوم صالحون قليل في ناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم»<sup>(٢)</sup>.

وروي عن عبد الله بن عمرو، مرفوعاً وموقوفاً، في هذا الحديث: قيل: ومن الغرباء؟ قال: «الفرارون بدينهم، يبعثهم الله تعالى مع عيسى بن مريم عليه السلام»<sup>(٣)</sup>.

ومعنى ظهور الإسلام غريباً أن الخلق قبل مبعثه ﷺ على ضلالة، فدعا إلى الإسلام، فلم يستجب له إلا الواحد بعد الواحد من كل قبيلة، وكان المستجيب له خائفاً من عشيرته وقبيلته، ويؤذى ويشرد ويعذب ويقتل، فيهربون إلى البلاد النائية، كالحبشة، ثم إلى المدينة بعد الهجرة، فصار الداخلون قبل الهجرة غرباء، ثم أتم الله تعالى نعمته على المسلمين، وأكمل لهم الدين، وقُبِضَ سيد المرسلين، فاستمروا على الاستقامة والتعااضد والنصرة في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. حتى أعمل الشيطان مكائده على المسلمين، وألقى بأسهم بينهم، وأفشى فيهم فتنة الشهوات والشبهات، فاصطد الأكثر بهما معاً أو بإحدهما، فكان ذلك كما أخبر به النبي ﷺ.

وفي صحيح البخاري عن عمرو بن عوف عن النبي ﷺ قال: «والله ما الفقر

(١) المسند (١ / ١٨٤)

(٢) المسند (٢ / ١٧٧) ولمعجم الأوسط (٨٩٨٦) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٣٩٢١).

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلة الأولياء (١ / ٢٥) مرفوعاً، وقد تقدم الموقوف فيه قبيل.

أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تُبسط الدنيا عليكم. كما بُسِطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم»<sup>(١)</sup>

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «كيف أنتم إذا فُتحت عليكم خزائن فارس والروم! أي قوم أنتم!» قال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمر الله تعالى. قال: «أو غير ذلك؛ تنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون»<sup>(٢)</sup>.

وفي الصحيحين من حديث عقبة بن عامر، عن النبي ﷺ معناه أيضًا<sup>(٣)</sup>. ولما فُتحت كنوز كسرى على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بكى، فقال: إن هذا لم يُفْتَحْ على قوم قط إلا جُعِلَ بأسهم بينهم»<sup>(٤)</sup>. أو كما قال.

وكان النبي ﷺ يخشى على أمته هاتين الفتنتين، كما في مسند الإمام أحمد عن أبي برزة، عن النبي ﷺ قال: «إنما أخشى عليكم شهوات النفي في بطونكم وفروجكم، ومضلات الفتن» وفي رواية «ومضلات الهوى»<sup>(٥)</sup>.

فلما عمت فتنة الشهوات في تلك الأوقات، وأصبح الخلق إلى زهرة الدنيا في التفات، وصار لهم منتهى المراد، وجدُّوا لها في الارتداد، ارتكبوا المعصية والكبائر، ووقعوا في التباغض والتدابير، بعد أن كانوا إخوانًا، وعلى التناصر أعوانًا.

(١) أخرجه البخاري (٤٠١٥) ومسلم (٢٩٦١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٦٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٤٢) ومسلم (٢٢٩٦).

(٤) تاريخ بطري (٢/ ٤٧١).

(٥) المسند (٤، ٤٢٠) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الترغيب ٥٢، ٢١٤٣).

وأما فتنة الشهات والأهواء المضنة، فسيبها يفرق أهل القبلة، فصاروا شبيعةً ورفقاً وأحراراً، وأكثرهم بسنن الضلال طلباً، وفتحوا من الدع والعي أبواب، وقذفتهم الفتنة في مضلة المفسد، وبيداء الإبداع والتباعد، ومقفرة التقاطع والتحاسد، بعد أن كانوا على قلب رجل واحد، وانتهجوا من الردى مهالك، فلم ينج من أولئك إلا الفرقة الناجية، وهم المذكورون في قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»<sup>(١)</sup> وهم الغرباء المذكورون في هذه الأحاديث، الذين يضلحون إذا فسد الناس، ويضلحون ما أفسد الناس، وهم الذين يفرون بدينهم من الفتن، وهم النزع من القبائل.

وخرج الطبراني من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ في أشرار الساعة قل: «وإن من أشرارها أن يكون المؤمن في القبيلة أقل من النكد»<sup>(٢)</sup> أي: صغار الغنم. وفي مسند الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت، أنه قال لرجل من أصحابه: يوشك إن طلت بكم حياة أن ترى الرجل قد قرأ القرآن على لسان محمد ﷺ فأعده وأبداه، فأحر حلاله، وحرم حرامه، ونزل عند منازلهم، ما يجوز فيكم إلا كما يجوز رأس الحمار<sup>(٣)</sup>.

ومنه قول ابن مسعود ﷺ: سيأتي على الناس زمان يكون المؤمن أذل فيه من الأمة<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤١) ومسلم (١٠٣٧) من حديث معوية.

(٢) المعجم الأوسط (٤٨٦١)

(٣) المسند (٤/ ١٢٥) وضعه الشيخ لأبني (صغير لترغيب ٢١)

(٤) أخرجه الحارثي في الأمالي (٢/ ٢١٧)

وإنما ذلَّ المؤمن في آخر الزمان لغربته بين أهل الفساد، ومبايسته في القصد والمراد، ومخالفته لطريقهم المعتاد.

قال أحمد بن أبي عاصم، وكان من كبار العارفين في زمن أبي سليمان الداراني: إني أدركت من الأزمنة زماً عاد فيه الإسلام غريباً، وعاد وصف الحق غريباً كما بدأ؛ إن ترغب فيه إلى عالم وَجَدْتَهُ مفتوناً بحب الدنيا، يحب التعظيم والرياسة، وإن ترغب فيه إلى عابد وَجَدْتَهُ جاهلاً في عبادته مخدوعاً، صريع عدوه إبليس، قد صعد به إلى أعلى درجات العبدية، وهو جاهل بأدناها، فكيف له بأعلاها... إلى آخره. خرجه أبو نعيم في الحلية<sup>(١)</sup>.

وخرَّج أبو الشيخ الأصبهاني بسنده إلى الحسن قال: لو أن رجلاً من الصدر الأول بُعِثَ اليوم، ما عرف من الإسلام شيئاً إلا هذه الصلاة. ثم قال: أما والله لئن عثر على هذه المنكرات، فرأى صاحب بدعة يدعو إلى بدعته، وصاحب دنيا يدعو إلى دنياه، فعصمه الله تعالى، وقلبه يحن إلى ذكر السلف، فيتبع آثارهم، وَيَسْتَرْبِئُ بِسُنَّتِهِمْ، وَيَتَّبِعُ سَبِيلَهُمْ، كان له أجر عظيم.

تتمة:

مَدَحَ كثير من السلف السُّنَّةَ، ووصفها بالغربة، ووصف أهلها بالقلة. فكان الحسن، رحمه الله تعالى، يقول لأصحابه: يا أهل السنة، تَرَفَّقُوا رحمكم الله، فإنكم من أقل الناس<sup>(٢)</sup>.

وقال يونس بن عبيد: ليس شيء أعرب من السُّنَّة. وأغربُ منها مَنْ يَعْرِفُهَا<sup>(٣)</sup>.

(١) حية الأنبياء (٩ / ٢٨٦).

(٢) أخرجه 'اللاكني' في اعتقاد أهل السنة (١ / ٥٧).

(٣) أخرجه 'اللاكني' في اعتقاد أهل السنة (١ / ٥٨).

وعن سفيان الثوري قال: استوصوا بأهل السنة خيراً؛ فإنهم غرباء<sup>(١)</sup>.

ومراد هؤلاء الأئمة بالسُّنة صريفة النبي ﷺ التي كان عليها هو وأصحابه. السالمة من الشبهات والشهوات، وهي التي وَرَدَ للمتمسك بها والعامل أجرُ خمسين ممن قبلهم، وأن المتمسك بدينه كالقابض على الجمر.

ثم صارت السُّنة، في عرف كثير من العلماء المتأخرين، هي السالمة من الشبهات في الاعتقادات، خاصة في مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وكذلك في مسائل القدر وفصائل الصحبة، وصنفوا في هذا الباب تصنيف سَمَّوْهَا «كتب السنة» وإنما خَصُّوا هذا العلم باسم «السُّنة» لأن خطره عظيم، والمخالف فيه على شفا جُرْفٍ.

### والغربة عند أهل الطريقة غربتان: ظاهرة وباطنة<sup>(٢)</sup>:

فالظاهرة: غربة أهل الصلاح بين الفساق، وغربة الصالحين بين أهل الرياء والنفاق، وغربة العلماء بين أهل الجهل وسوء الأخلاق، وغربة علماء الآخرة بين علماء الدنيا الذين سَلَبُوا الخشية والإشفاق، وغربة الزاهدين بين الراغبين فيما يَنْقُذُ وليس ببق.

وأما الغربة الباطنة: فغربة الهمة، وهي غربة العارفين بين الخلق كلهم، حتى العماء والزهاد، فإن أولئك واقفون مع عبدتهم وعلمهم وزهدهم، وهؤلاء واقفون مع معبودهم لا يُعَرِّجُونَ عنه.



(١) أخرجه الملائكي في اعتقاد أهل السنة (١ / ٦٤).

(٢) من «مدارج السالكين»؛ لاس القليم (٣ / ١٩٤ - ٢٠٥) - بصرف



## الفصل الثاني

في نسب الشيخ ومبدأ أمره، وما جرى عليه  
في قيامه بتلك الدعوة من أهل مصره،  
وما صادمه به علماء عصره

أما نَسَبُهُ، رحمه الله تعالى، وأفاض عليه سُحْبَ غفرانه ووَآلِي، فهو محمد بن عبد الوهاب بن سيمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بُريد بن محمد بن بُريد بن مشرّف<sup>(١)</sup>.

وُلِدَ، رحمه الله تعالى، سنة خمس عشرة بعد المائة والألف من الهجرة النبوية، في بلد العُيَيْنَةِ من البلدان النجدية، فأَنْبَتَهُ اللهُ تعالى نباتًا حسنًا، وجلا به عن صُرْفِ الدهر وسَنًا، وبقي بعد سن الطفولية زمانًا يتعلم في تلك القرآن، معتزلاً في غالب الأوقات لعب الصبيان، ولهو الجهال والغلمان، حتى حفظ القرآن عن ظهر قلب قبل بلوغه العشر، وكان حادَّ الفهم سرَّيًّا، وقَادَ الذهن ذكِيًّا، سريع الحفظ، فصيح اللفظ، ألمعي الفطنة نبيه، اشتغل في العلم على أبيه، وجَدَّ في الطلب، وأدرك بعض الأَرَبِ، وهو في بد العُيَيْنَةِ في تلك الحال، قبل رحته لطلب العلم والارتحال، وتَطَوَّافِهِ له في كثير من البلاد، حتى نال منه المراد، وفاز بالسعد والإسعد، وحاز الرشد والإرشاد.

(١) وفيه نسبه رحمه الله كما هو محفوظ عند ذريته، وفي مشجرة عشيرته ابن شيخ، وعبد فيته الوهبة، وهو كذلك المعتمد عند مترجميه، وعند مشاهير النسابين: ابن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن سُنَيْع بن بهش بن شداد بن زهير بن شهاب بن ربيعة بن أبي سود بن مالك بن حنضة بن مالك بن زيد مائة بن ميم بن مرس أد بن طائحة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. -

وكان والده قد توسم ذلك فيه، ويحدث بذلك ويبيديه، ويؤمل ذلك منه ويرجوه، كما حدث به سليمان أخوه، قال: كن عبد الوهاب أنوه يتعجب من فهمه وإدراكه، قبل بلوغه وإدراكه، ومنهزته، الاحتلام وإفراكه، ويقول أيضًا: لقد استفدت من ولدي محمد فوائد من الأحكام، أو قريباً من هذا الكلام.

وقد كتب والده إلى بعض إخوانه رسالة، نوه فيها بشأنه، يثني فيها عليه، وأن له فهمًا جيدًا ولديه، ولو يلزم الدرس سنة على الولاية، لظهر في الحفظ والإتقان آية، «وقد تحققت أنه بلغ الاحتلام، قبل إكمال اثنتي عشرة سنة على الإتمام، ورأيت أهلاً للصلاة بالجماعة والائتمام، فقدمته لمعرفته بالأحكام، ورؤيته بعد البلوغ في ذلك العم، ثم طوب مني الحج إلى بيت الله الحرام، فأجبت بالإسعاف لذلك المرام، فحج وقضى ركن الإسلام، وأدى المناسك على التمام، ثم قصد مدينته عليه الصلاة والسلام، وأقام فيها شهرين، ثم رجع بعد ذلك فائزًا بأجر الزيرة والمنسك».

وأخذ في القراءة على والده في الفقه على مذهب الإمام أحمد، فسلك فيه الطريق الأحمد، ورزق مع الحفظ سرعة الكتابة، فكان يُحير أصحابه، بحيث

= نظر: «عماء الدعوة»؛ للشيخ عبدالرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ (ص ٦)، و«مشاهير علماء نجد وغيرهم»، له أيضًا (ص ٢٠)، و«البيان الواضح لأسرة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله حتى سنة ١٣٩٣»؛ للشيخ عبدالله بن إبراهيم آل الشيخ (ص ٥)، و«لعماء وكتاب في أشيقر»؛ لعبدالله بن بسم البسيبي (١/ ١٩٣)، و«شجرة نسب شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب وأبنائه وأحفاده»؛ لإبراهيم بن عبدالرحمن آل الشيخ، و«عماء نجد خلال ثمانية قرون»؛ للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن لبسام (١/ ١٢٥)، و«مثير لوحده في أنساب ملوك نجد»؛ لراشد بن عني بن جريس (ص ١٠٦ - ١١٤)، و«مثير محظوظة للشيخ سليمان بن عي بن مشرف نخط المؤرخ إبراهيم بن عيسى، و«درر نهور لخور العين»؛ لطيف الله جعاف (ص ٥٤٧). ومريد من الوثائق واتخذ صل نظر. «نسب الوهبة التتميم وعشائره»؛ للدكتور خالد الوراي، والشيخ عبدالله السبيعي.

إنه يخط بالخط الفصح في المجلس الواحد كراس، من غير سامة ولا نصب ولا الباس، ثم بعد ذلك رحل في العلم وسار، وجَد في الطب إلى ما يليه من الأُمصار، وما يحذيه من الأقطار، فزاحم فيه العلماء الكبار، وأشرق طالعه واستنار، وصدر لهلاله أقمار، فوطئ الحجاز والبصرة لذلك مرارًا، وأتى الأحسا لتلك الأوطار، وأخذ العلم عن جماعة؛ منهم الشيخ عبد الله بن إبراهيم النجدي<sup>(١)</sup> ثم المدني، وأجزه من طريقين، وأول حديث سمعه منه الحديث المشهور المسلسل بالأولية، نقلت من خطه ما نصه:

حدثني الشيخ عبد الله بن إبراهيم، بمنزله بظاهر المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، عن شيخ الإسلام ومفتي الشام أبي المواهب الحنبلي، إجازة، قال: أخبرنا والذي تقي الدين عبد الباقي الحنبلي، وهو أول حديث سمعته، قال: أخبرنا به المعمر الشيخ عبد الرحمن البهوتي الحنبلي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا به شيخنا جمال الدين يوسف الأنصاري الخزرجي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا به والذي شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا به شيخ الإسلام أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا الصلاح محمد بن محمد الجُكُري الصوفي الخازن، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا به الصدر أبو الفتح الميُثُومي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا به الحافظ أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا به الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا به الحافظ إسماعيل بن صالح النيسابوري، وهو أول حديث سمعته منه، قال:

(١) انظر ترجمته في: «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٤ / ٦ - ١٠).

أخبرني والدي أبو حامد صالح المؤذن، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا به أبو طاهر محمد بن محمد الزياد، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرني أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزار، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرني عبد الرحمن بن ستر بن الحكم النيسابوري، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرني سفيان بن عيينة، وهو أول حديث سمعته منه. عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس مولى عبد الله بن عمرو بن العاص، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «الرحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»<sup>(١)</sup> تفرد به سفيان، ولا يصح سنده عن فوق سفيان، والله أعلم.

وحدث أيضًا عنه بالمتسلسل بالحنابلة، قال رحمه الله:

حدثني الشيخ عبد الله بن إبراهيم الحنبلي، بمنزله بظاهر المدينة النبوية، عن شيخ الإسلام ومفتي الشام: أبي المواهب بن تقي الدين عبد الباقي، الحنبليان عفا الله عنهما، إجازة عن والده تقي الدين المذكور، قال: أخبرنا شيخنا عبد الرحمن البهوتي، أخبرنا الشيخ تقي الدين بن النجار الفتوحي، صاحب «منتهى الإرادات» أخبرني والدي شهاب الدين أحمد، قاضي القضاة الحنبلي، أخبرنا بدر الدين الصفدي، الظاهري الحنبلي، أخبرنا عز الدين أبو البركات الحنبلي، أخبرنا أبو علي حنبل بن عبد الله الرضا في قال: أخبرنا أبو القاسم هبة الله الحنبلي قال: أخبرني أبو الحسن بن علي الحنبلي قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر الحنبلي قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن الإمام أحمد الحنبلي قال: حدثني أبي أحمد بن محمد بن حنبل، إمام كل حنبلي، عن ابن أبي عدي، عن حميد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٤٣) والترمذي (١٩٢٤) من طريق سفيان بن عيينة وصححه الشيخ لأساني (صحيح الترمذي ٢٠٠٦).

أراد الله بعبده خيراً استعمله» قالوا: كيف يستعمله؟ قل: «يوفقه لعمل صالح قبل موته»<sup>(١)</sup>، هذا حديث عظيم، قد وقع ثلاثياً للإمام أحمد رحمته.

وقد سمع بحمد، الحديث والفقهاء من جماعته بالبصرة كثيرة، وفرأ بها البحر وأتقى تحريره، وكتب الكثير من الدعة والحديث في تلك الإقامة، ويبحث على طريق الهدى والاستقامة، وكان أكثر لُبِّهِ لأخذ العلم بالبصرة ومقامه، وقد نشر للتوحيد فيها لدى بعض الناس أعلامه، وحقق لهم في ذلك الشأن إتقانه وإعلامه، وأوضح لهم سبيله وأحكامه، فقال: إن الدعوة كلها لله، يكفر من صرف شيئاً منها إلى سواه.

وإذا ذَكَرَ أَحَدٌ بمجلسه شارات الطواغيت أو الصالحين، الذين كانوا يعبدونهم مع رب العالمين، نهاه عن ذلك وزجره، ويُنْهَى له الصواب وحذره. وقال له: محبة الأولياء والصالحين إنما هي اتباع هديهم وآثارهم، والاستندرة بضياء أنوارهم. لا صرف الحقوق الربانية إلى الأجسام الوثنية. وقد وقع ذلك بمجلسه مرة، فأبدى للقاتل نهيه وزجره، وأظهر عليه إغلاظه ونُكْرَه، فتغير وجه القاتل وجال، واستغرب ذلك المقال، وقال: إن كان ما يقوله حقاً هذا الإنسان، فلنأس ليسوا على شيء من زمن. قال رحمه الله تعالى: وكان ناس من مشركي البصرة يأتون إليّ، بشبهات يُلقُونها عليّ، فأقول وهم قعود لديّ: لا تصلح العبادة كلها إلا لله. فَيَبْهَتُ كلُّ منهم فلا ينطق فاه.

ثم رجع بعد ذلك السفر، فإذا والده عبد الوهاب قد رفض سكنى العُيَيْنَةِ وهَجَرَ، واختار سكنى حُرَيْمَلَا، فأقام بها واستقر، فأقام فيها مع أبيه، يُعَدُّ بالتوحيد ويبيّنه، وينادي بإبطال دعوة غير الله ويغشيه، وينصح من عدل عن الحق والرشاد، ويسلك في ذلك سبيل السداد، ويزحر الناس عن الشرك والباطل والفساد، حتى رفع الله تعالى شأنه فساد.

وجدَّ رحمه الله تعالى في تعميم الواجب، وبذل المنفعة للخاص والعم، ونشر

(١) أخرجه للإمام أحمد (٣/ ١٠٦) وصححه الشَّيْخُ الألباني (صحيح الجامع ٣٠٥)

شرائع الإسلام، ومهد سنة محمد عليه الصلاة والسلام، وإزالة ما غطى القلوب من ربن الشرك، الذي هو أعظم الذنوب، وكشف الذنوب المظلمة للناس، وإمطة أدى اللبس والالتباس، ويحذرهم إن داموا على ما هم فيه وقور النعمة والباس، ورفض منهج الغلول والخيانة، وأدى من العلم الأمانة، وترك ما كان علماء السوء قبله له سالكون، وفي قعره العميق راكسون، وفي أرجائه المغبرة ماكثون، وخشي الوقوع في تغليظ الوعيد، كما نطق به القرآن المجيد: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا آتَانَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَأُ مِنْ بَعْدِ مَا يَكُنْهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾، فأى وعيد فوق هذا الوعيد؟ وأي تهديد وراء هذا التهديد؟ كلاً، ما على لعنة الله من مزيد، فبئله ذرؤه من جهبذ عالم، وداع إلى توحيد الله قائم، وناصح لله ملازم، ومجدد لتلك المشاهد السنية والمعالم، ومُخَيِّ لآثار سلفية لم يبق منها سوى الأطلال والمراسم، ومُهيِّب لبِدْع رَقُصِيَّة شابهت المجوسية، وأمور شركة اعتقدها أكثر البرية، أمور إحنة دينية، فأقاموا لها أعياداً ومواسم، وعكفوا عليها والأغلب لها سائم، ولتشبيدها والذب عنها رائم، بل الكل لم يكن منها سالم.

فانتدب هذا الإمام، الذي أضحى بهديه الدين مشرقاً باسمًا، والباطل بحُججه مظلماً سادماً، منادياً على رؤوس العوالم، بإخلاص العبادة لله وتنكير الإشراف لله والمظالم، وإبطال دعوة غيره من نبي وولي وظالم وحاكم، فلم يَخَف في الله لومة لائم، حتى نال من مولاه المُنَحَّ العِظائم، والعطايا الكرام الجسائم، وحاز منه أسنى الصلابة والغنائم، وفاز منه بأوفر المغانم، واختار الله تعالى وما عنده، وبذل في طاعته جهده، وطاقته وجده، ووسعه ووجده، حتى أنجز الله تعالى له وعده، وكثر بعد ذلك مُجِبُّه وجنده. وأجرل عطيته ورقده، وصار له بتلك الدعوة والقدم، توكل على ربه واعنصام، فلم يبال بجميع الأنام، وما رَمَوْه به من الفوادح العظم، وما فَوَّقُوا له من تلك السهام، فلم يكر لهم إليه وصول، وصار كل منهم عنه مغنول، وخدَّ لسانه مفلول، حتى بدا له في أفق تلك البلد طالع لقبول، وُئِمْع فيه بارق سيف الحق المسلول، واسحط دُرّاً

الصلال وانقطع حبله الموصول، وعصفت به عواصف الدُّبور بعد الشَّمال والشمول، وصار لنجمه كسوف وأفول، والعود المورق باللهو والمزامير والطبول، بعد غضته ونطارته يُس وذبول، ولجسمه الممتلى بالفواحش نحول؛ فانظم في سلك الإمام رجال وعصابة فحول، فاتخذوه حلياً وأنيساً، واقتدوا به في كل ما يقول، فكانوا لطريقته المثلى مُتَّبِعِينَ، وبأقواله وأفعاله مُقْتَدِينَ، وبهديه الواضح مُهْتَدِينَ، لا يزلون معه في إخلاص الدعوة مشمِّرين، وفي إدحاض الباطل وأهله مجتهدين، وبإيضاح مناهج الشرك مُعْلِنِينَ، وفيما يُرْضِي الله مُسْرِعِينَ، ولأهل الدين والحق مُكْرِمِينَ، ولأهل الضلال مُوْهِينِينَ، وللضَّلال والفُسَّاق مُهِينِينَ. ولقبح عقائدهم لهم مُبِينِينَ، قائمين في ذلك لرب العالمين، ولوجهه الكريم محتسبين، وفي الفوز غداً مؤمِّلِينَ، وللنَّجاة مُرْتَجِينَ، ﴿وَالَّذِينَ جَهِدُوا مِنَّا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وكان هؤلاء الرجال ملازمين للشيخ في جميع الأحوال، وكان في تعليمهم وإرشادهم لا يزال، فقرأوا عليه كتب الحديث والفقه والتفسير، وحقق لهم ذلك أتم التحقيق والتحرير، وكان <sup>(١)</sup> في تلك المدة يروِّع كل معاند ومعارض، فاشتهر حاله في جميع بلدان العارض، في حُرَيْمَلَا والعُيَيْنَة والدرعية والرياض ومنفوحة، فلم يكن لبعضهم عن اتباع ذلك الحق مندوحة، لكون رب العباد كتب السعادة قبل الميلاد، فكان لأجل ذلك ذا أهبة واستعداد، لما حظي بالمدد والإمداد، فتنور قلبه بضياء الرشاد، وهو مقيم في تلك البلاد، فأتى إليه نس كثير، وانحاز لدعوته جم غفير، وكان النس عند ذلك حزينين، وانقسموا فيه فريقين: فريق أحبه وما دعا إليه، فعاهده على ذلك وبايعه. وحذا حذوه وتابعه، وفريق أنكر ذلك عبه، وهم الأكثر، حتى أعزه الله تعالى عنهم وأظهر، وصار الخلق فيه مختلفين، وفي تلك الأمور متحيرين، والأكثر في مراتع الحيرة يُسِيم<sup>(٢)</sup>،

(١) أي: يذهب على وجهه حيث شاء

وفي مراح الشك والريب مقيم ﴿فَهَيَّ اللَّهُ أَلْبَيْنَ أَمْتُوا يَمَا أَحْتَفُوا فِيهِ مِنْ الْحَقِّ  
بِيَدَيْهِ. وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، فلم يزل رحمه الله تعالى دأبه  
القيام. ونشر دعوة الميث العلام، على الاستمرار والدوام. حتى لهج  
بالإنكار عليه كثير من ذوي العلم والأفهام، وركضوا مع الرؤساء والسياطين  
والطغام، فقلدوهم في ذلك الأمر العوام، فكان لجميع على الأنكال انتظام،  
وعلى الإعانة في ذلك التزام.

فأقام رحمه الله تعالى، وأفاض عليه بره ووالى، في بلد حُرَيْمَلَا سنين ينشر  
أعلام التوحيد، وييدي في المحفل الدر النضيد، وجوهر الحق الفريد، وصنف  
في تلك الإقامة كتب «التوحيد» ونشر أعلامه، ثم بعد ذلك عزم على المسير  
عنها والارتحال، والإقامة بالعُيَيْتَة، فجد في الرحيل والانتقال، وذلك بعد أن  
هدى الله تعالى عثمان بن معمر، لقبول هذا الدين الذي أحياه ذو القلب المنور،  
فدخل منه شيء في قلبه، وأعلن عند جماعته وصحبه، بتقريبه وحبه، فحين  
وصل تلك البلد، قام معه عثمان وقعد، وساعده على ذلك واجتهد، وأمر الناس  
له بالاتباع، وعدم المشاققة له والنزاع، وألزم الخاصة والعامة، أن يمثلوا أمره  
وكلامه، ويسلكوا سبل الاستقامة، ويظهروا توقيره وإكرامه، فكان بعد ذلك  
الأمر والإلزام، وصدور ذلك الاعتناء التام، وشدة الرغبة والاهتمام، وإبداء  
التعظيم له والاحتشام، تُسمع أقواله وتطاع، وتملاً الصدور والأسماع، فصار  
لنزغ ارتداع. وقمع وإقلاع. وللحق والهدى اتباع. ففسا الدين في بلدان  
العارض المعروفة، وأكثرهم قلوبهم عن ذلك النور مصروفة، وعلى ما كانوا  
عليه من الأمور المألوفة، ملازمة محسوسة موقوفة.

ولكن لم يصبر على الإقامة بذلك المكان. مع مشاهدته فيه الأوثان، فعند  
ذلك أمر الشيخ محمد الأمير عثمان، بهدم القُبب والمسجد المبنية في الجبيلة



على قبور الصحابة، وقطع الأشجار التي كست الخشق لها في كل ساعة ممتدة، فادر عثمان لذلك وامثل. وخرج الشيخ معه وحمدتهم على عجل، وخرجوا بالمعاول، والكر للأجر آمين، فهدموا تلك المساجد، وأزالوا رفيع المشاهد، وأزالوا جميع المحضور، عن جميع تلك القبور، وغدلت على السنن المشروع، واندرس الأمر الممنوع، وهديم رفيع ذلك البناء، وبطل ذلك التعظيم لها والاعتناء. وخر شمع الأحجر، وخر ما في العارض من معبدات الأشجار، كشجرة قريوه وأبي دجانة والذيب، فلم يكن أحد إلى التبرك بهما ينب، ولم تسألها من لم تتزوج مثل العادات زوجاً حبيب، وليس هذا في تلك الأزمان بغريب، وليس وقوع أقبح منه بعجيب.

وكان الشيخ رحمه الله تعالى هو الذي بشر قطع شجرة الذيب بيده مع بعض أصحابه، فنال من ربه جزيل أجره وثوابه، وقطع شجرة قريوه ثيباً بن سعود ومشاري بن سعود وأحمد بن سويلم، وجماعة سواهم، فأدركوا من الفوز منهم، فم يبق وثن في البلدان التي كانت تحت يد عثمان، وشع ذلك واستبان، ونعم بذلك بأهل الإيمان، وصلاحوا، حالاً من ذلك المكن، وانتشر الحق من ذلك الأوان، واشتهر الأمر وبان، وسارت بذلك الركبان، فأنكرت ذلك قلوب الذين حقت عليهم كلمة العذاب، وقالوا مشما قال الأولون، ذوو الكفر والإعجاب: ﴿اجْعَلْ لَنَا وَجْهًا رَدًّا هَذَا لَنَا نَجَابٌ﴾ فأخذوا في رده والإنكار عليه، وأثوا بأعظم الأسباب، وزجوا الخلق في لجة الضلال والارتباب، وضجوا على كلمة الحق بالكذيب والإكذاب، وعجوا مطيقين على الشيخ بأنه سحر ومفتري أو كذاب، وحكموا بكفره واستحلال دمه وماله، وجميع من له من الأصحاب ﴿وَجَدَلُوا بِالْبَطِيلِ لِيُدْخِلُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَحَدُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾.

وأشر الناس والعلماء إنكاراً عليه، وأعظمهم تشنيعاً وسعيًا بنشر البه.

سلمان بن سحيم وأبوه محمد، فقد أتهم في ذلك وأنجد، وخذ في التحريش عليه والنحريض، وهياؤا له أسباب الحريض<sup>(١)</sup>، وأرسل بذلك إلى الأحس والحرمين والبصرة، فلم يزل من مراده سوى الخري والعار والحسرة، ولم يحصل من مراده بغير العثرة، ولقد كاد وشنع وعدى وحشر، علماء السوء ونادى وكذب عليه وبهت وزور، وجد في دحض الهدى وشمر، وسعى في إبطله وما قصّر، وبعث الطُّرُوس مُتْرَعَةً بلباطل والمين، إلى علماء الأحس والبصرة والحرمين، فقاموا معه فوراً بالإنكار، وأفتوا للحكام والسلاطين والأشرار، بأن القائم بدعوة النوحيد حتى أشرق لها أنوار، خارجي لها ويبيض في الأقطار، خارجي ليس له في الحق تثبيت ولا قرار، وأنه من لظى الجحيم والنار، على شفا جُرف هار، بل جزم أكثر علماء الأمصار، في تلك الأزمان والأعصار، بأن هذا المبين لآثار السلف الأخيار، المتبع لهدى نبيه المختار، من أقبح الضلال والفَسَاد والكفار، وأشر الخوارج والفجار، وحسبوا أنهم إذا حَرَّشُوا عليه الحكام، يَجِدُون في قتله ويجهدون، فيفوزون حيثنذ بما كانوا يؤملون، ولقد عرفوا أن الذي جاء به الحق، ولكنهم لذلك كانوا يكتمون ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾، فصنفوا المصنفات في تبديعه وتضليله، وتغييره للشرع النبوي وتبديله، وعدم معرفته بأسرار العدم وتجهيله، وسظفروا فيها الجزم بكفره، وبطلان حجه ودليله، وأوحى ﴿تَعْصُمُهُمْ إِلَى بَعْضِ رُحُوفِ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

فأطبق أهل الباطل والضلال على قبيح تلك الأقوال، وأرهفوا أسنة المقال،

(١) لحريض. غصص النوب.

والكل خاض في الإفك ونال، فأب بالخسرا والاذلال. ورجع ولله الحمد  
نحيبه الآمال ﴿وَلْيَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْعَدَةُ الدِّينِ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِبَرِّضُوهُ وَلِيقْتَفُوا مَا  
هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾.

والذي تولى منهم هذا الأمر الكبير، واقتحم لُجَجَ مَوْجِهِ الخطير، وشمر فيه  
أعظم التسمير، وتنادى عليه مع أعوانه لأجل التغيير، حسداً وبغياً لفوزه بهذا  
الفضل الكثير، والفخر النابل المنير: سليمان بن سحيم<sup>(١)</sup>، وأبوه محمد، من  
مطوعة الرياض، والمويس<sup>(٢)</sup> من أهل منيخ، وعبد الله بن محمد بن عبد  
اللطيف<sup>(٣)</sup>. ومحمد بن عبد الرحمن بن عفالق<sup>(٤)</sup>، فصار كل من هؤلاء معانداً  
مجدلاً مشاقق. وحذروا منه جميع الأنام. وأخرجوه بلا شك من حوزة  
الإسلام، وأغرأوا به الخاص والعام، خصوصاً السلاطين والحكام، وقطعوا لهم

(١) انظر ترجمته في «علماء نجد»؛ لبسام (٢ / ٣٨١ - ٣٨٢) قال: «وكان من أشد أعداء  
دعوة الشيخ محمد». وانظر: بحث «موقف سليمان بن سحيم من دعوة الشيخ محمد بن  
عبد الوهاب»؛ للدكتور عبد الله العثيمين، منشور ضمن كتابه «بحوث وتعليقات في  
تاريخ المملكة العربية السعودية» (ص ٨٩ - ١١٣)، ورسالة: «المعارضة المحلية لدعوة  
الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد»؛ لدكتور محمد النويصر (ص ١٤٦ - ١٤٧).

(٢) انظر ترجمته في «علماء نجد» (٤ / ٣٦٤ - ٣٦٩). وهو قاضي بلدة حرمة، ومنيخ  
يُطلق على حرمة وللمجموعة - كم سيأتي - وانظر رسالة الدكتور النويصر السابقة (ص  
١٤٨ - ١٥٧).

(٣) من الأحساء. انظر ترجمته في «سبائك لعسجد»؛ لابن سد (ص ٩٤). وانظر عن  
علاقته بالشيخ محمد وما دار بينهما من مكاتبات: رسالة: «المعارضة لدعوة لشيخ  
محمد بن عبد الوهاب في الأحساء»؛ لدكتور محمد النويصر (ص ٢٠٨ - ٢٢٣).

(٤) من الأحساء. انظر ترجمته في «لسحب الوائلة» (ص ٩٢٧ - ٩٢٨). ونظر رساله  
لدكتور النويصر، سابقة (ص ١٨٩ - ٢٠٨).

وهذه سنة الله تعالى في عباده، جارية في جميع الأزمان على مراده، يختبر بها أحبائه المؤمنين، ويمتحن بها أحزابه المفلحين ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ فيرفع جل وعلا قدر الصابرين، ويعلي مرتبة الصادقين، ويخفض منزلة المنافقين، ويفضح بإرادته الفاسقين والكاذبين، ويحق عليهم كلمة العذاب أجمعين ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفُتُوا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ فمضى رحمه الله تعالى في النصيحة وبذل الجد في الدعوة، والخلق راموا النبل نحوه، فصبر متأسياً بسلفه الصالح فكان له بهم أسوة، ما كانوا عليه يحزنون ﴿وَقَدْ سَفَتْ كَلِمَتُنَا لَعْنَتُنَا لِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿يَهُودَ﴾ هُمْ الْمَصْزُورُونَ ﴿وَالَّذِينَ﴾

## مهمات

الأولى: أنه رحمه الله تعالى لما تظاهر بذلك الأمر والشأن، في تلك الأوقات والأرمان، والناس قد أُشْرِبت منهم القلوب، بمحبة المعاصي والذنوب، وتَوَلَّعُوا بما كانوا عليه من لعصيان، وقبائح الأهواء الغالبة على كل إنسان، لم يُسْرِع لها لسان، ولم يُصَمِّم منه لُبٌّ وَجَنَان، على تكفير أولئك العِزْبَان، بل توقف تورعاً عن الإقدام في ذلك الميدان، حتى نهض عليه جميع العدوان، وباحوا وصاحوا بتكفيره وجماعته في جميع البلدان، ولم يشبوا فيما جاءوا به من الإفث والبهتن، ولم يكثرثوا بما حكموا عليه من الزور، وما اقترفوه من الفجور، بل كان لهم على شنيع ذلك المقال، إقدام وإسراع وإقبال، ولم يأمر رحمه الله تعالى بسفك دم ولا قتال، على أكثر أهل الأهواء والضلال، حتى بدأوه بالحكم عليه وأصحابه بالقتل والتكفير<sup>(١)</sup>، وكان ذلك سبب حسن العقبة للإمام من العليم الخبير، ومساعدة القضاء له ولتدبير، وشؤم ذلك على الأعداء الذين تملاؤا على ذلك الأمر المبير، الذي كنت عقبه عليهم الهلاك والتدمير، جزاءً بما كانوا يكسبون ﴿ثُمَّ كَانَ عَقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا السُّوْءُ أَنْ كَذَّبُوا بِبَيْتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

نعم، ثبت لدينا ونقل نقلاً صحيحاً إلينا، أنهم هم الذين شهدوا على أنفسهم بذلك، وألقوه في مظالم قعر المهالك. ونظَّمُوا أرواحهم مع الكفار في تلك المسالك. وألحقوها من عند أنفسهم بأولئك، فقالوا: إن كان الذي مع من الدعوات والاعتقادات بأهل القصور، في تلك الأزمنة الماضية والدهور، فنحن

(١) مصى في المقدمة بدار هذ من أقوالهم.

كفر ضلال، من غير ريب ولا إشكال، ولقد لهج بذلك الأحوال، ذوو الأحلام منا والجُهَّال.

فهم الذين ألزموا أنفسهم تلك المقارنة، ووسموا أنفسهم بمَيَسَم الكفر والضلالة، وقد أنفذ الشيطان فيهم غدره واحتياله، وجعل تلك لهم إلى مراده حُبلة، وقال لهم وَزَيْنَ، وصرخ لهم وَيَيْنَ، وشرح لهم وَعَيْنَ، وقال لهم: لا يتم لكم سُول ولا مراد، حتى تُلْقُوا هذا القول بين أظهر العباد، فَتُعْرُوا به الحكم والولاة وأهل الفساد، فيبادروه بالقتال والجهاد، وَيُجْلُوهُ - إن لم يَقْتُلُوهُ - عن البلاد. هكذا زخرف لهم اللعين وكدد، حتى وسطهم قَيْقَاء الإهلاك والإبعاد، فتنحى عنهم الخبيث عن يمين وقال: أنتم أهل الشمال الضالين ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.

فلا ريب أنهم هم الذين على أنفسهم قَضَوا، واختاروه لهم ورتَضَوا، وقصدهم بعموم التكفير تحذير الناس عنه والسفير، وحاولوا بذلك مآرب، وَسَخَّتْ لهم به مطالب، ساءت لهم منها العواقب، وخدشتهم منها سهْمٌ صواب، وَحَلَّتْ عليهم مصائب، وارتفع بها للإمام مراتب، وشاع جميل ذكره في المشارق والمغارب، وانعكس عليهم الحال، فلم يحصلوا على أمل، بل كان ذلك البهتان الذي أَتَوْهُ والمحل، عائد عليهم بالهوان والإذلال، والهلاك والقطع والاستئصال، وَتَبَدَّى لأهل الدين كواكب سعد منيرة الإشراف، وأَعْطَاهم الله تعالى غاية الأمل، وربما صحت الأبدان بالعلل، وكثر بعد ذلك صحبه وجمعه، وراد إعلاؤه بالتوحيد وصدُّعُه. ورذُّعُه أهل الشرك وَقَمَّعُه، ومن العداوة ما يَشْرُكُ نفعه.

وإدراك العقل الميبس، الذي حصل من الإيمان على نصيب، لنذي حصل من الحال وبداء، وما تَفَوَّه به أهل الزبغ ولرَّذَى، ومكر به رؤوس العدا، وما

نَوَّوا به أهل الهدى، ظهر له في ضمن ذلك من الحكم والعبر، والمِن التي حُرِّست عن طَوَارِقِ الغَيْرِ، والطائِف التي في الوحود لها واضح الأثر، وصار لها في الموعظة استماع ومُذَكِّر، وبار له ما جرى على الشيخ من المحن وصدر، زاد ولله الحمد منْحًا وتبين له ذلك وطهر، حملهم على ذلك الحسد المحرم المذموم؛ فكان كلُّ منهم لما أمَّله محروم، وبالبعد والمذلة موسوم:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالحقوم أعداء له وخصوم<sup>(١)</sup>

ظنوا أن ذلك عار فأذاعوه، أو خزي فأفشوه وأشاعوه، وتأملوا أنهم بغير الكذب والمين، لا يدركون مُنى، ولا يحصل لهم بغير المعتاد هَنًا، فأوهن الله تعالى بفضله كيد كل عدو وحسود، لأن الحسود كما في الأثر لا يسود، ولم يظفروا بمُرَام ولا مقصود، بل أضاء بسعيهم لأهل الدين في البسيطة إسعاد وسعود، وعروج إلى ذُرَا المفخر وصعود، وما أحسن قول أبي تدم، فلقد أصاب الغرض في هذا المقام:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طُوِّيت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يُعرَف فضل طيب العود<sup>(٢)</sup>

الثانية: كان، رحمة الله عليه، مع ما يسمع من الأذى ويُنقل إليه، وما يَنَمَى من قبيحهم لديه، وفرط تعنتهم وعنادهم، وعدم توقفهم فيه وإسنادهم، وغلوهم في هجرهم له وانتقادهم، وتشريعهم على عرضه أسنة حدادهم، وشحذهم لدمه المعصوم مواضي جلالهم، ومبيلعتهم في السعاية لإهلاكه وارتيادهم، غبر مكثرت بهم ولا مقترف ولا مالي، وينسى بمن كان فيه من ذوي الفضل

(١) لبست لأبي الأسود لدؤلي.

(٢) البتد لأبي تمام

والمعالي، وبقول متوكلاً على مولاه القاهر المتعالي: حسي من سؤالي عمه بحالي. وينشد قول محسود سالي:

إن يحسدوني فلاني لست أحسدكم قبي دوو الفضائل أهل العلم قد حُسدوا<sup>(١)</sup>

بل كان يتضرع إلى سيده ومولاه، الذي خصه بهذا الفضل ووالاه، أن يشرح للحق صدورهم، ويجعل لمورد التوحيد ورودهم وصدورهم، وأن يسهل لقبوله قلوبهم وأمورهم، وأن يكفيه بحوله وقوته شرورهم، ويصرف عنه محذورهم، ويسير معهم بسيرة الصفح والعفو والمغفرة، وأحب ما لديه إتيان أحدهم يبه بالمعذرة.

ولم يعامل أحداً من تلك المطوعة بالإساءة بعد التولي والمقدرة، ولا ريب وحق ذي الجلال، أنهم لو مكنهم الله تعالى منه لقطعوه أوصال، وأوقعوا به أقبح المثلة والنكال، وإلا حرقوه بالنار من غير مراجعة ولا سؤال، وهو يتحقق منهم تلك الأحوال والأمور، ولكنه لم ينتصر لنفسه بعد التمكن والظهور، فحين أكرمه الله تعالى وأعلى في الخافقين منزلته وشأنه، وأهلك حساده وعدوانه، وأعز جماعته وأعوانه، وجاءوا وافدين عليه، مُقَادِين قسراً إليه، وأوقفوا أكثرهم بين يديه، وتنصلوا معذرتهم بين يديه، أُدْخِلُوا بلده وأوطانه، فلم يعاملهم بالإذلال والإهانة، ولم يحتج إلى سبيل التوبيخ والعتاب. ولم يفتح للتأنيب والتكيت أبواب، ومنحهم بره ومعروفه وكرمه، ولم يقابل بالعدل والملازمة. وأندى لهم البشاشة والملاطفة، وأعرض عما أنوه من الإسراف والمجانفة. وكأنهم لم يصدر عليه منهم بلاء. ولم يشعوا به عند ولادة الملاء، وأخذته نهم نرحمه، ولا أُرْد لهم سوء ولا وصمة، ولا مكروه ولا نعمة، وهذا الأمر لا

(١) الست للكُمَيْب لأوسط.



تقواه الطباع البشرية، ولا نهواه قلوب أكثر البرية، ولا نحمله الأنفة والحمية، ولا تكظم عنه ذو العصبية. وهذا الشأن والمقام، لا يُدرك ولا يُدَل ولا يُزَام. ولا يَتَّبَعُ بحوخته إلا البررة الكرام، والعلماء بالله الأعلام، ممن جمَّله الله تعالى بحلّل تقواه، وخَلَّاه بحُلُل معرفته وهده، وهم الذين يقومون حين ينادي المنادي من بطنان العرش: ليقيم اليوم من أجره على الله<sup>(١)</sup>. ولعله رحمه الله تعالى لمح سر: «رب اهد قومي فإنهم لا يعلمون»<sup>(٢)</sup> فلم يؤاخذهم بما كانوا يصنعون، وتلقاهم بالقبول والإقبال. وَلَئِنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ فِي الْمَقَالِ، حَتَّى دَهَشَتْ قُلُوبُهُمْ مِنَ الْاِخْتِجَالِ، وَمَا أَسَدَى إِلَيْهِمْ مِنَ النُّوَالِ، فَكَانَتْ حَالُهُ مَعَهُمْ كَمَا بَيْنَهُ التَّهَامِي فَقَالَ:

إِنِّي لِأَرْحَمُ حَاسِدِي حَرًّا مَا ضَمَّتْ صُدُورُهُمْ مِنَ الْأَوْغَارِ

نَظَرُوا صَنِيعَ اللَّهِ بِفَعْيُونِهِمْ فِي جَنَّةِ وَقُلُوبِهِمْ فِي نَارِ

المهمة الثالثة: يتأكد على كل مؤمن وموحد، أن يسأل الله داوم الهداية ويسترشد، ويتفكر فيم حباه به مولاه، دون أكثر الخلق واختصه، ويشكره تعالى أن وفقه، لتأهله بالقيود على هذه المنصة، وأهله لمراتب لم يكن لها أهلاً، وأسدى إليه من مواهبه إحساناً وفضلاً، وينزِم منهج الصبر على ما تسنى له من الابتلاء عدلاً، فقلّما سلم أهل الإخلاص والإيمان من عوارض الامتحان ونوائب البلاء والافتتن، في كل قطر ووقت وزمان.

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٣١٥) من حديث أنس عن النبي ﷺ قال: «ينادي مناد من كان أجره على الله فليدخل الجنة. مرتين. فيقوم من عفا عن أخيه. قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْفَحَ فَأَخْرُجْ عَلَى اللَّهِ﴾».

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٥) عن عبد الله بن عبد بن عمير مرسلاً قال: لَمَّا كُتِبَتْ رِبَاعِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَشُخَّ فِي خَنْهَةٍ، فَجَعَلَتْ لِدْمَاءِ تَسْبِيلٍ عَلَى وَحْهِهِ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ! فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَبْعَثْنِي طَعَانًا وَلَا لَعْنًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي دَاعِيَةً وَرَحْمَةً. اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»

ولكن السلوان المطاع، الدفي للحزن والهم والارتياح، والحالب للزعت  
الفسانية الارتداع، إجلّة الإبصار والأفكار، وتحقّق مطالعة الأنظار،  
والاعتاظ بعد ذلك والادّكار، وزيادة التسلي والاعتبار، بما جري على الأتقياء  
الأبرار، من الفجرة الكفار، فقد فعّوا بالمصطّفين الأخيار، ما هو معلوم  
بضرورة الأخبار، من القتل والنشر بالمنشار، والإلقاء في موقد النار، وما وقع  
على النبي المختار، والآل والأصهار، من الفسقة الفجار.

فإذا تأمل ذلك ذو الإيمان، حصل له بالرضا إدعان، وازداد سكوت وصبراً  
على مضض الزمن، وتجرع غصص الهم والأحزان، وكفى له أسوه وقدوة  
واتباع، بهؤلاء السلف الصالح الأتباع، ولو لم يكن في ذلك من المصلح  
والأسرار، إلا تكفير الخطايا والأوزار، ورفع المنزل والدرجات العلى في  
الجنات، والأمن في رفيع الغرفات، وظهور الدين والآيات، وإطفاء الشرك  
والضلالات، وإعرازه لأوليائه، وإذلاله لأعدائه - لكان كافياً، وبالمقصود  
وافياً، مع أن ابتلاءه لخاصته وأحبابه، فيه سر عظيم في نصر دينه وأحزابه،  
وانتشار الكلمة ونموها، وارتفاعها بعد ذلك وسموها، ورسوخ التوحيد  
والتوحيد والدين، وإقبال الخلق عليه أجمعين، فهو في الحقيقة حكمة بالغة،  
ولكنها والله منّة سابغة، وقد جاء في بعض الأحاديث أن الله ذكر في التوراة  
لموسى: إني أقسى قلب فرعون لتظهر آياتي وتظهر عجائبي<sup>(١)</sup>.

فمن أكمل الله تعالى له هذا الدين، وقوي له الإيمان واليقين، من العلماء  
والمؤمنين، صبر على أذى المؤذنين، وتحمل مشقة الممتحنين، فهو لا بد أن  
تكون له العاقبة، ويدرك مأموله ومطلبه، وقد قرأ الله تعالى: ﴿أَمَرَ حَسِبْتُمْ أَن

(١) سفر الحروج، الإصحاح السابع (٣ : ٧).

تَدْخُلُوا الْحَيَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ أَنَّ الَّذِينَ حَكَمُوا مِنْكُمْ يَعْلَمُونَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠﴾ وَبِجَارٍ فِي حَمِيمٍ  
حَالَاتِهِ وَسَائِرِ طَاعَاتِهِ، إِلَى رِبهِ الْقَرِيبِ الْمَحْبُوبِ، أَنْ يُنَبِّهَهُ وَيُقَسِّمَ لَهُ مِنَ الْجَهْدِ  
فِيهِ وَالصَّبْرِ أَوْفَرَ صَيْبٍ ﴿١١﴾ ثُمَّ حِينَئِذٍ أَنْ تَدْخُلُوا الْحَيَّةَ وَلَمَّا دَبَّكُمْ مَتَلُ الَّذِينَ حَتَّوْا مِنْ  
فَيْلِكُمْ مَسَّتْهُمْ الْبَاسَةُ وَالصَّرَاءُ وَرُزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ  
أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿١٢﴾.

فبعد سلوكه سُنَنَ الصَّبْرِ وانتهاجه، يتسنى لذة سروره وابتهاجه، ويُفاض عليه  
من سَحَابِ جُودِ مَوْلَاهُ وَبِرِّهِ، وَإِضَاعِافِ ثَوَابِهِ وَأَجْرِهِ، مُقَدِّبَةً عَلَى مَا عَانَى مِنَ  
صَبْرِهِ، وَمَعَامَلَةً عَلَى قِيَامِهِ بِشُكْرِهِ، وَيَفُوزُ بِدَرَجَاتِ الصَّبْرِ فِي الثَّوَابِ، وَضَدَهُ  
يَحُوزُ الْبَعْدَ عَنِ الْوُصُولِ إِلَى تِلْكَ الْأَبْوَابِ، وَالْإِرْتِقَاءَ بِعَصْمَةِ تِلْكَ الْأَسْبَابِ،  
إِلَى سَنَاءِ تِلْكَ الْأَعْتَابِ، وَيُلْقَى إِلَيْهِمُ الْإِزْرُ وَالْعِقَابُ، وَيُلْقَى فِي ذَرْكِ الْحُجُومِ  
وَالْعَذَابِ، وَالْحِكْمَةُ فِي هَذَا وَاضِحَةٌ جَلِيَّةٌ، وَالنَّكْتَةُ فِيهَا لِأُثْحَةٍ غَيْرِ خَفِيَّةٍ، وَهُوَ  
إِظْهَارُ اللَّهِ ﷻ الْعَدْلَ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ، حَتَّى يَقَعَ ذَلِكَ مُعْدِنَةً فِي جَمِيعِ الْأَنَاءِ،  
وَتَجْرِي الْأُمُورُ الْآخِرِيَّةُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَحْكَامِ، وَإِلَّا فَهُوَ جَلُّ  
ثَنُوهِ، وَعَمَتْ آلَاؤُهُ، يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ وَقُوعِهَا جَمْلَةً وَتَفْصِيلاً، أَلَا يَعْلَمُهَا مِنْ  
أَوْجَدِهَا وَقَدَرِهَا وَصَرَفِهَا تَغْيِيرًا وَتَبْدِيلًا! وَلَا تَقَعُ إِلَّا عَلَى وَفْقِ مَا أَرَادَهُ وَتَصْرِيفًا  
وَتَحْوِيلًا، وَهَذَا مِنْ عَظِيمِ عَدْلِهِ، وَجَسِيمِ إِحْسَانِهِ وَفَضْلِهِ، أَلَا يُوَازِدُ أَحَدًا  
بِعِلْمِهِ، وَلَا يَعْدِلُ بِالْعُفُوبَةِ لِحِلْمِهِ.

وَاعْلَمْ - رَحِمَكَ اللَّهُ تَعَالَى وَارْشَدَكَ، وَيَسِّرْ لَكَ الْخَيْرَ وَسَدِّدْ - أَنْ مَا صَدَرَ  
عَلَى لَشِيخٍ مِنَ الْأَحْبَارِ وَالْأَمْتَحَنِ، وَمَا قَسَاهُ مِنَ الْإِتْلَاءِ فِي تِلْكَ الْأَزْمَانِ،  
مِمَّنْ يَدَّعِي لِرَفْعَةِ الشَّأْنِ، وَالْقَدَمِ الرَّاسِخِ فِي الْعِلْمِ وَالْعُرْفِ، وَلَا رَيْبَ مِنْ أَنَّ  
الَّذِي وَفَعُوا فِيهِ مِنَ الْإِفْتِنَانِ، مِمَّا شَأْنُ لَمَّا وَقَعَ فِيهِ مِنْ قَبْلِهِمْ كَمَا فِي الْقُرْآنِ  
﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ

بِالشُّكْرِينَ ﴿ فَأَوْقَعَهُمُ الْخُدَاعُ فِي ثَلَاثِ الْأُودِيَةِ، وَجَبَذَهُمُ إِلَيْهَا بِأَسْبَابِ الْأَهْوَةِ، حَتَّى أَلْبَسَهُمُ مِنْ ذَلِكَ لَعْدَرِ أُرْدِيَةِ، وَكَانَتْ جَبَلُهُ وَتَسْوِيلَاتُهُ لَهُمْ مُرْدَبَةً، وَلَا فَلَاكْثَرُ مِنْهُمْ مِمَّنْ كَسَبَ وَاقْتَرَفَ، أَقْرَ عَلَى نَفْسِهِ وَاعْتَرَفَ، أَنْ مَا أَتَى بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ هُوَ الْحَقُّ وَالصُّوْبُ، وَأَنْ هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ الْمَطْلُوبُ، وَمَنْ لَمْ يَتَحَقَّقْ بِهِ لَمْ يَفْرُقْ بَيْنَ الرَّبِّ وَالْمَرْبُوبِ، وَلَكِنْ أُنْفَتَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُ الْقُتُوبُ، وَخَشِيَ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مَنْ رِيَاسَتَهُ وَدُنْيَاهُ وَجَاهُهُ مُسْلُوبٌ.

وَقَدْ صَرَحَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فِي الْمَحَافِلِ الْكِبَارِ، بِأَنْ مَا يُفَعَّلُ عِنْدَ الْقُبُورِ وَالْأَشْجَارِ، وَالطَّوَاغِيتِ وَالْأَحْجَارِ، مِنَ الشُّرْكِ الْأَكْبَرِ، الَّذِي لَا يُمَحَى إِلَّا بِالتَّوْبَةِ وَيَغْفَرُ، وَبَعْضُ مَنْ أَوْلَتْكَ بَرَحٌ عَلَى الْإِصْرَارِ، وَدَامَ عَلَى الْإِنْكَارِ، وَبَعْضُ يُقَرُّ عِنْدَ الْخَاصَّةِ فِي إِسْرَارٍ، وَيَنْكَرُ ذَلِكَ لَدَى النَّاسِ فِي الْإِجْهَارِ، حَتَّى اجْتَمَعَ مِنْهُمْ الْحَالُ، وَأَخَذَ بِهِمُ الْحَسَدُ وَآلُ، إِلَى إِنْكَارِهِ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ، وَأَضْحَتْ أَلْسِنَتُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِيهِ مَسْرِفَةٌ، وَوُجُوهُهُمْ عَنْهُ مَصْرُوفَةٌ، حَتَّى أَنْكَرُوا مِنَ الشَّرْعِ الْأُمُورَ الْمَعْرُوفَةَ.

فَذَكِّرْنَا عَنْ تَحْقِيقِ وَيَقِينِ، أَنَّهُمْ أَنْكَرُوا عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَعْمَرٍ أَدَبَهُ مِنْ تَخْلُفٍ عَنِ الصَّلَاةِ فِي جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَأْدِيبِهِمْ مَنْ لَمْ يُصَلِّ جَمَلَةً، وَجَبَائِثَهُ الزَّكَاةِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ، وَكَانَ كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ نَجْدِ الْعُدَوَانِ، يَأْتُونَ رُؤَسَاءَ الْبِدَوَانِ، وَيَحْذَرُونَهُمْ وَقَوَعُ الصَّلَاةِ فِي حَيْثُهمُ وَسَمَاعِ الْأَذَانِ، وَيَحْثُوبُهُمْ عَمَى التَّمَسُّكِ بِقِيَحِ تِلْكَ الْأَدْيَانِ، وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْفُسُوقِ وَالْعَصْيَانِ، عِيَادًا بِكَ انْتِهَامِهِمْ عَنِ الْحَسَدِ وَالْبَغْيِ فِيهِ وَالطُّغْيَانِ، كَمَا فَعَلَ ذَلِكَ الْمُنْتَمُونَ لِلْعَمِّ وَالْبَيَانِ، كَيْفَ حَمَلَهُمْ مَا مَلَأَ قُتُوبَهُمْ مِنَ الْبَغْضِ وَالْحَسَدِ، وَمَا أَضْمَرُوهُ مِنَ الْحَقْدِ وَالْعِلِّ الَّذِي أَعْقَبَهُمُ الْحَسْرَةَ وَالْكَمْدَ، عَلَى ذَلِكَ الزُّرُورِ الْمَحْظُورِ فِي الدِّينِ وَالْإِفْتِرَاءِ، وَالتَّعْدِي عَلَى مَنْصَبِ الشَّرِيعَةِ وَالْإِجْتِرَاءِ، وَلَمْ يَحْذَرُوا فِي ذَلِكَ سَعْوَةَ الدِّيَارِ،

ولقد علموا أنهم باعوا الغالي بالذان، فباءوا من صفقتهم بالخسران.

وكان من أعظم الأسباب التي دعتهم إلى هذا الارتكاب، وعدم الخوف والارتقاب، وأشد ما حملهم على ذلك الإغراء، الذي حازوا به سخطاً وخسراً، وأجل الدواعي لذلك والبواعث، التي صيرت أكثرهم لمحكم التوحيد نواكث، إعلان الشيخ رحمة الله تعالى بما هو الحق والصواب، والواجب المحتتم على من بلغ مناط الثواب والعقاب، واللازم على من عرف حق المعرفة رب الأرباب، وأراد القيم بوظائف الخدمة لينال الكرامة يوم الحساب، وهو التمسك والاعتصام بالسنة والكتاب، والعمل بما جاء من هدي الأصحاب، وبما اختاره الأئمة الأربعة، الذين شاعت مذاهبهم في الأمة، فهو إن كن التزم مذهب، فلا يقدمه على النص القطع ولا يتعصب، بل إن لم يلق من النصوص القطعة دليلاً، لم يتخذ غيرها سبيلاً، ولكنه يختار من إلى الدليل أقرب، ومن الأقوال ما هو أصوب، ومن الحكم ما هو أوفق بالشرعية وأنسب.

فلما أسفر من كلامه نور هذا الفجر المنير، وبدر منه هذا البرهان الساطع، المستطير، والنبراس الذي يهتدي به من أراد إلى الله المسير، والحكم الذي أوجب الله تعالى على كافة الخلق إليه المصبر، صارت قلوبهم من ذلك فرقاً أعظم مطير، وسعوا إلى عذب ذلك النмир، بالسعي إلى صافي سنسأله بالتكدير، وإلى تلك المناهل لمورودة للأفضل بجتلاب شوائب التغيير، وتساعد على ذلك الفعل الخطير، الصغير منهم والكبير، وتغافلو عما ورد من الأحكام البنات، والآيات القواطع، المحكمات، ولو لم يكن إلا آية النساء لكفى حجة على المراد ودليلاً ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ إلى قوله: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

فإن العلامة شمس الدين في «إعلام الموفعين». أجمع الناس على أن الرد

إلى الله تعالى هو الرد إلى كتابه، والرد إلى رسوله هو الرد إليه نفسه في حياته، وإلى سنته بعد وفاته<sup>(١)</sup> قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَعْبُرِ هُدًى مِنْ أُنْوَابٍ فَتَنْهَى عَنْهُمْ لَقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ فقسم الأمر إلى اثنين: إم الاستجابة لله والرسول وما جاء به، وإما اتباع الهوى. وكل ما لم يأت به الرسول فهو من الهوى<sup>(٢)</sup> وقد حرم سبحانه القول عليه بلا علم، وجعل ذلك أعظم من الشرك؛ لأنه جعل في المرتبة الرابعة، فقال تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ وقال: كلام أهل الحق على أنه لا يجوز أن يقول العبد: هذا حلال وهذا حرام، إلا لما علم أن الله أحبه وحرمه<sup>(٣)</sup>.

وقال الشافعي، قدس الله تعالى روحه: وأجمع المسلمون على أن من استبان له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس<sup>(٤)</sup>.

وقال أبو عمر، وغيره من العلماء: أجمع الناس على أن المقلد ليس معدوداً من أهل العلم، وأن العلم معرفة الحق بدليله. وهذا أيضاً كما قل أبو عمر بن عبد البر، رحمه الله تعالى، فإن الناس لا يختلفون أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن الدليل، وأم بدون الدليل فهو تقييد. فقد تضمن هذان الإجماعان إخراج المتعصب بالهوى والمتعصب الأعمى عن زمرة العلماء، فإن العلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن

(١) إعلام الموقعين (١ / ٥٠).

(٢) إعلام الموقعين (١ / ٤٧).

(٣) إعلام الموقعين (١ / ٣٨ ٣٩).

(٤) إعلام الموقعين (٢ / ٢٨٢).

أخذه أخذ بخصه وافراً<sup>(١)</sup> وكيف يكون من ورثة الرسول من يجهد ويكدح في رد محاء به إلى قول مُقلِّبه ومُسوِّعه، ويضع ساعات عمره في التعصب، ولا يشعر بتضييعه فتنة عمت فأعمت. ورمت القلوب فأضمت<sup>(٢)</sup>.

قال عبد الله بن المبارك، وغيره من السلف: صنفان إذا صلحنا صلح الناس، وإذا فسداً فسد الناس. قيل: من هم؟ قال: العلماء والملوك. وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى:

رأيت الذنوب تميمت القلوب وقد يورث الذلُّ إدمائها  
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها  
وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبائها<sup>(٣)</sup>

قال أبو عمر بن عبد البر: قال أهل العلم والنظر: حد العلم التبيين، وإدراك المعلوم على ما هو به، فمن بان له الشيء فقد علمه، قالوا: والمقدد لا علم له، لم يختصوا في ذلك، ومن هنا والله أعلم قال البحري:

عرف العارفون فضلك بالعلم وقال الجهال بالتقليد  
وأرى الناس مجمعين على فضلك من بين سيد ومُسود  
وقال أبو عبد الله بن خُوَيْرٍ مَنذَادُ البصري المالكي: التقليد معناه في الشرع الرجوع إلى قول لا حجة لقائه عليه، وذلك ممنوع في الشريعة، والاتباع ما ثبت عليه حجة.

(١) هذا نص حديث أخرجه أبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢) وابن ماجه (٢٢٣) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٦٢٩٧).

(٢) إعلام الموقعس (١/ ٧ - ٨).

(٣) إعلام الموقعس (١/ ١٠).

وقال في موضع آخر من كتبه: كل من اتَّبعت قوله، من غير أن يجب عليه قبوله بدليل يوجب ذلك، فأنت مُقلِّده، والتقيد في دين الله غير صحيح، وكل من أوجب الدليل عليه اتباع قوله فأنت مُتَّبِعُهُ، والاتباع في الدين مسوغ، والتقيد ممنوع<sup>(١)</sup>.

وقد نهى الأئمة الأربعة عن تقليدهم، وذموا من أخذ قولهم بغير حجة. فقال الشافعي: مثل الذي يطلب العم بلا حجة، كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيها أفعى تلدغه، وهو لا يدري، ذكره البيهقي<sup>(٢)</sup>.

وقال إسماعيل بن يحيى المزني، في أول مختصره: اختصرت هذا الكتاب من علم الشافعي لأقربه على من أراده، مع إعلامه نهيه عن تقليده وتقليد غيره؛ لينظر فيه لدينه ويحتاط فيه لنفسه<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو داود: قلت لأحمد: الأوزاعي هو أتبع من مالك! قال: لا تقلد دينك أحداً من هؤلاء، ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذ به، ثم التابعين بعد الرجل فيه مُخَيَّر.

وقد فرق أحمد بين التقيد والاتباع، قال أبو داود: سمعته يقول: الاتباع أن يسمع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه، ثم هو في التابعين مُخَيَّر.

وقال أيضاً: لا تقلدني، ولا تقلد مالكاً ولا الثوري ولا الأوزاعي، وخذ من حيث أخذوا.

وقل: من قلة فقه الرجل أن يكون بقلد دينه لرجال.

(١) إعلام الموقعين (٢/ ١٩٧) وجامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٧).

(٢) لمدخل إلى لسر الكرى (٢٦٣).

(٣) مختصر لمزني (١/ ١).



وقال بشر بن الوليد: قال أبو يوسف: لا يحل لأحد أن يقول مقالته حتى بعث من أين قلنا.

وقد صرح الإمام مالك بأن من ترك قول عمر بن الخطاب لقول إبراهيم النخعي أنه يستتاب. فكيف من ترك قول الله ورسوله لقول من هو دون إبراهيم أو مثله!

وقال أبو جعفر الفريابي: حدثني أحمد بن إبراهيم الدؤقي حدثني الهيثم بن جميل: قلت لمالك بن أنس: يا أبا عبد الله، إن عندنا قومًا وضعوا كتبًا، يقول أحدهم «حدثنا فلان عن فلان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بكذا وكذا، وفلان عن إبراهيم بكذا» ويأخذ بقول إبراهيم! قل مالك: وصح عندهم قول عمر؟ قلت: إنما هي رواية، كما صح عندهم قول إبراهيم. فقال: هؤلاء يستتابون<sup>(١)</sup>.

وقال الطحاوي: حدثنا محمد بن الحكم، حدثنا عبد الله بن الحكم، حدثنا أشهب بن عبد العزيز قال: كنت عند مالك، فسئل عن البتة<sup>(٢)</sup>، فأخذت ألواحي لأكتب ما قال، فقال لي مالك: لا تفعل؛ فعسى في العشي أقول: إنها واحدة. وقال معن بن عيسى القزاز: سمعت مالكًا يقول: إنما أنا بشر، أخطئ وأصيب، فانظروا في قلبي، فكل ما وفق الكتاب والسنة فخذوا به، وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه<sup>(٣)</sup>.

وقال بقي بن مخلد: حدثنا سحنون والحارث بن مسكين، عن ابن القاسم، عن مالك أنه كان يكثر أن يقول: ﴿إِنْ نَظَرْتُ إِلَّا ظَنًّا وَمَنْ يَحْكُمُ بِمُسْتَقْيَيْنِ﴾.

(١) إعلام الموقعين (٢/ ٢٠٠ - ٢٠٣).

(٢) أي: ضلاق البتة، والصحيح أنه وقع واحدة «فدوى الشيخ بن نارة» (٢١ / ٣٦٤).

(٣) إعلام الموقعين (١ / ٧٥).

وقال الفعيني: دخت عبي مالك بن أنس، في مرضه الذي مات فيه، فسلمت عليه ثم جئت، فرأيت به بكى، فقلت: يا أبا عبد الله، ما يبكيك؟ قال: يا ابن قعب، ما لي لا أبكي! ومن أحق بالبكاء مني! والله لو ددْتُ أني صُرْتُ بكل مسألة أفتيت بها بالرأي سوَّط، وقد كانت لي السعة فيما سبقت إليه، وليتني لم أفت بالرأي!

وقال ابن أبي داود: حدثني أحمد بن سنان قال: سمعت الشافعي يقول: مثْلُ الذي ينظر في الرأي ثم يتوب منه، مثل المجنون الذي عولج حتى برأ فأعقل ما يكون.

وقال ابن أبي داود: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سمعت أبي يقول: لا تكاد ترى أحدًا نظر في الرأي إلا وفي قلبه دَغَلٌ<sup>(١)</sup>.

وقال الأصم: أنبأنا الربيع بن سليمان: لنعطيك جملة تعينك إن شاء الله: لا تدع لرسول الله ﷺ حديثًا أبدًا، إلا أن يأتي عن رسول الله ﷺ خلافه، فتعمل بما قلت لك في الأحاديث إذا اختلفت.

قال الأصم: وسمعت الربيع يقول: سمعت الشافعي يقول: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت<sup>(٢)</sup>.

وقال أحمد بن علي بن عيسى بن مهران الرازي: سمعت الربيع يقول: سمعت الشافعي يقول: كل مسألة تكلمت فيها، صح الحرف فيها عن النبي ﷺ عند أهل النقل بخلاف ما قلت، فإني راجع عنها في حياتي وبعد موتي.

وقال الحاكم: سمعت الأصم يقول: سمعت الربيع يقول: سمعت الشافعي

(١) إعلام الموقعين (١، ٧٣).

(٢) المدخل إلى السنن الكبرى (٢٤٩).

يقول، وروى حديثاً، فقال له رجل: هل تأخذ بهذا يا أبا عبد الله؟ فقال: مى رَوَيْتُ عن رسول الله ﷺ حديثٌ صحيحٌ فلم آخذ به، فأشهدكم أن عقلي قد ذهب. وأشار بيده على رؤوسهم<sup>(١)</sup>.

وقال الحميدي: سأل رجلاً الشافعي عن مسألة، فأفتاه وقال: قل رسول الله ﷺ كذا. وقال الرجل: تقول بهذا؟ قال: رأيت في وسطي زنجاراً! أتراني خرجت من كنيسة! أقول (قال النبي ﷺ) وتقول لي: أ تقول بهذا! أروي عن النبي ﷺ ولا أقول به<sup>(٢)</sup>!

وقال الحاكم: أنبأني أبو عمرو بن السماك، مشفهةً، أن أبا سعيد الجصاص حدثهم قال: سمعت الربيع بن سليمان يقول: سمعت الشافعي يقول، وسأله رجل عن مسألة فقال: رَوَيْتُ عن النبي ﷺ أنه قال كذا وكذا. فقال له السائل: يا أبا عبد الله، أ تقول بهذا؟ فرتعد الشافعي واصفرَّ وحل لونه، وقال: ويحك! وأي أرض تُقْلِنِي وأي سماء تُظْلِنِي إذا رويت عن رسول الله ﷺ شيئاً فلم أقل به! نعم، على الرأس والعينين، نعم، على الرأس<sup>(٣)</sup>.

وقال: سمعت الشافعي يقول: ما من أحد إلا وقد يذهب عنه سنة لرسول الله ﷺ وتَعَزَّبُ عنه، فمهم قلْتُ من قول، أو أَصْلْتُ من أصل، فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلْتُ، فالقول ما قال رسول الله ﷺ وهو قولِي. وجعل يردد هذا الكلام<sup>(٤)</sup>.

(١) المسخّل إلى السنن الكبرى (٢٥٠).

(٢) تاريخ دمشق (٥١ / ٣٨٨).

(٣) تاريخ دمشق (٥١ / ٣٨٩).

(٤) تاريخ دمشق (٥١ / ٣٨٩).

وقال الربيع: قال الشافعي: ثم أسمع أحداً نسبته عامة، أو نسب نفسه إلى علم، بحالف في أن اتباع أمر رسول الله ﷺ ولتسييم لحكمه. فإن الله لم يجعل لأحد بعده إلا اتبعه، وأنه لا يزم قول رجلٍ قال إلا بكتاب الله أو سنة رسوله، وأن ما سواهما تع لهما، وأن فرض الله علينا، وعلى من بعدنا وقبلنا، في قبول الخبر عن رسول الله ﷺ واحد، لا يختلف فيه الفرق، وواجب قبول الخبر عن رسول الله ﷺ إلا فرقة سأصف قولها إن شاء الله.

قال الشافعي: ثم تفرق أهل الكلام في تثبيت الخبر الواحد عن رسول الله ﷺ تفرقاً متبايناً، وتفرق عنهم ممن نسبته العامة في الفقه تفرقاً، أتى بعضهم فيه أكثر من التقليد والتحقيق من النظر والغفلة والاستعجال بالرياسة<sup>(١)</sup>. وتواتر عنه أنه قال: إذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط.

تمة: قد بين الشيخ، رحمة الله تعالى، في بعض رسائله: التقليد الممنوع، والمأذون فيه والمباح، فقال<sup>(٢)</sup>:

وأما القول في التقليد واتباع الدليل: . . الثاني: أن الله سبحانه فرض علينا فرضين:

الأول: اتباع رسول الله ﷺ وترك ما خلفه في كل شيء، وأن الإنسان ما يؤمن حتى يحكمه فيما شجر بينه وبين غيره.

والفرض الثاني: أن الله فرض علينا في كل مسألة تدرعها فيها أن ردها إلى الله والرسول، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَرَوْهُ فَقُلُّوا هُدًى لَّهُ وَعَلَىٰ أَعْيُنِنَا﴾

(١) إعلام الموقعين (٢/ ٢٨٥ - ٢٨٦).

(٢) ابن عديم يقتصر على نقل الشاهد من كلام الشيخ محمد رحمه الله. ونظر. «إعلام الموقعين» (٢ - ١٧٨ ومعه)، فهو المرجع الأساس

وخطب بها جميع المؤمنين، المجتهد وغيره، ولكن قول: الواجب عليك تقوى الله ما استطعت، وذلك أن تصلب علم ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة على قدر فهمك. فما عرفت من ذلك فعمل به، وما لم نعرفه واحتجت فيه إلى تقليد أهل العلم قلّدتهم، وما أجمعوا عليه فهو الحق، وما تازعوا فيه رُدُّ إلى الله والرسول. وأما أخذ الإنسان ما اشتبهت نفسه ووحد عليه أباه، وترك ما خالفه من كلام أهل العلم، وغفلته عن كلام الله ورسوله، واستهزأه بمن طلب ذلك، فهذا هو الضلال الذي أنكرنا.

والأدلة على هذا من كلام أهل العلم أكثر من أن تُحصَر، منها:

ما ذكره ابن رجب في «الطبقات» في ترجمة ابن هُبَيْرَة، قال: مما أنكره عليّ بعض من يُفتي في عصره، قال: وتارة إذا ذكّرت لأحدهم الدليل قال: وليس هذا مذهب. فيقيم أو ثأناً تُعبَد مع الله<sup>(١)</sup>.

قال: وقال في «حاشية المنتقى» في كتاب القضاء: من قدّ أمماً ثم خالفه لقوة الدليل، أو يكون أحدهما أعلم أو أتقى أو أروع، فقد أحسن. فقد صرح أن المقلد إذا خالف إمامه لقوة الدليل أو يكون أحدهما أعلم فقد أحسن.

وقال الشيخ تقي الدين<sup>(٢)</sup>، لما سئل عن المقلد لبعض الأئمة إذا رأى حديثاً يخالف إمامه: قد ثبت أن الله فَرَضَ على الخلق طاعته وطاعة رسوله، ولم يوجب على هذه الأمة طاعة أحدٍ بعينه، في كل ما يأمر به وينهى عنه، إلا رسول الله ﷺ. حتى إن صديق هذه الأمة وأفضسها بعد نبيها يقول: أطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم.

(١) دل طبقات الحاسبه (١ / ١١١).

(٢) اس تيمية، في «الفتاوى» (٢٠ / ٢١٠ - ٢١٦).

واتفقوا كلهم على أن ليس أحد معصومًا في كل ما يأمر به ويهوى عنه إلا رسول الله ﷺ ولهذا قال غير واحد من الأئمة: كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ. وهؤلاء الأئمة الأربعة قد نهوا الناس عن تقليدهم في كل ما يقولونه، وذلك هو الواجب عليهم، وقال أبو حنيفة: هذا رأيي، فمن جاء برأي خير منه قبلناه.

ولهذا لما حج أفضل أصحابه، أتى مالكا، فسأله عن مسألة الصاع، وصدقة الخضروات، ومسألة الأجناس، فأخبره ملك بما تدل عليه السنة في ذلك، قال: قد رجعتُ إلى قولك يا أبا عبد الله، ولو رأى صاحبي مثل ما رأيتُ لرجع كما رجعتُ.

وملك كان يقول: إنما أنا بشر أصيب وأخطئ، فعرضوا قولِي على الكتاب والسنة. أو كلامًا هذا معناه.

والشافعي كان يقول: إذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط، وإذا رأيت الحجة موضوعة على الطريق فهو قولِي.

والإمام أحمد كان يقول: لا تقلدوني، ولا تقلدو مالكا ولا الشافعي ولا الثوري، وتعلم كما تعلمنا.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «من يُرد الله به خيرا يفقهه في الدين»<sup>(١)</sup> ولازم ذلك أن من لم يرد به خيرا لم يفقهه في الدين، فيكون التفقه في الدين فرضًا. والتفقه في الدين: معرفة الأحكام الشرعية بأدلتها السمعية، فمن لم يعرف ذلك لم يكن متفقهًا في الدين.

(١) أخرجه لبحاري (٧١) ومسنم (١٠٣٧).

لكن من الناس من يَعْجِزُ عن معرفة الأدلة لتفصيلية في جميع أموره، فيسقط عنه ما يَعْجِزُ عن معرفته، ويلزمه ما يقدر عليه، وأما القادر على الاستدلال فقبل: يحرم عنه التقيد مطلقاً. وقيل: يحور مطلقاً. وقيل: يحور عند الحاجة، كما إذا ضاق الوقت عند الاستدلال. وهذا القول أعدل الأقوال.

والاجتهاد ليس هو أمراً واحداً، فيقبل التجزي والانقسام، بل قد يكون الرجل مجتهداً في فن أو باب أو مسألة، دون فن أو باب أو مسألة، وكل أحد فاجتهاده بحيث وسعه، فمن نظر في مسألة تذرّع العلماء فيها، ورأى مع أحد القولين نصوصاً لا يعلم لها معارضة، بل نَظَرَ مثله، فهو بين أمرين:

إم أن يتبع قول القائل الآخر، بمجرد كونه الإمام الذي اشتغل على مذهبه، ومثل هذا ليس بحجة شرعية، بل مجرد عادة يعارضها عادة غيره لاشتغاله على مذهب إمام آخر.

وإما أن يتبع القول الذي ترجح في نظره بالنصوص الدالة عليه، فحينئذ تكون موافقته لإمام تقاوم ذلك الإمام، وتبقى النصوص سالمة في حقه عن المعارض، فهذا هو الذي يصلح.

وإنم تنزلنا هذا التنزل لأنه قد يقال: إن نَظَرَ هذا قاصر. وليس اجتهاده تاماً في هذه المسألة لضعف آلة الاجتهاد في حقه، وأما إذا قدر على الاجتهاد التام، الذي يعتقد معه أن القول الآخر ليس معه ما يدفع به النص، فهذا يجب عليه اتباع النصوص، وإن لم يفعل كان متبعاً للظن وما تهوى الأنفس. وكان من أكبر العصاة لله ولرسوله. بخلاف من قد يقول: قد يكون للقول الآخر حجة راجحة على هذا النص. وأنا لا أعنيها. فهذا يقل له: قد قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ وقال النبي ﷺ: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»<sup>(١)</sup> والذي

(١) احرجه البخاري (٧٢٨٨) ومسلم (١٣٣٧)

تستطيعه من العلم والفقه في هذه المسألة قد ذلك على أن هذا القول هو الراجح، فعليك أن تتبعه، ثم إن نبين لك فيما بعد أن للنص معارضاً راجحاً كان حكمك حكم المجتهد إذا تغير اجتهاده، وانتقل الإنسان من قول إلى قول لأجل ما تبين له من الحق هو محمود فيه، بخلاف إصراره على قول لا حجة معه عليه، وترك القول الذي توضحت حجته، أو الانتقال من قول إلى قول لمجرد عادة أو اتباع هوى، فهذا مذموم.

وإذا كان الإمام المقلد قد سمع الحديث وتركه، لا سيما إذا كان قد روه أيضاً، فمثل هذا وحده لا يكون عذراً في ترك النص، قد بيننا فيما كتبناه في «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» نحو عشرين عذراً للأئمة في ترك العمل ببعض الحديث، وبيننا أنهم يُعذرون في الترك لتلك الأعذار، وأما نحن فليسنا معذورين في تركنا لهذا القول، فمن ترك الحديث لاعتقده أن ظاهر القرآن يخالفه، أو القيس، أو عمل بعض الأمصار، وقد تبين لآخر أن ظاهر القرآن لا يخالفه، وأن نص الحديث الصحيح مقدم على الظواهر، ومقدم على القياس والعمل، لم يكن عذر ذلك الرجل عذراً في حقه؛ فإن ظهور المدارك الشرعية للأذهان وخفاءها عنها أمر لا ينضبط طرفاه، لا سيما إذا كان الترك للحديث معتقداً أنه قد ترك العمل به المهاجرون والأنصار من أهل المدينة النبوية وغيرها، الذين يقال إنهم لا يتركون الحديث إلا لاعتقادهم أنه منسوخ، أو له معارض راجح، وقد نزع من بعده أن المهاجرين والأنصار لم يتركوه، بل عمل به طائفة منهم، أو من سمع منهم، ونحو ذلك مما يقدح في هذا المعارض للنص.

وإذا قيل لهذا المستهدي المسترشد: أنت أعلم أم الإمام الفلابي؟ كانت هذه معارضة فسدة؛ لأن الإمام الفلابي قد خلفه في هذه المسألة من هو نظيره من الأئمة، وليس أعم من هذا ولا هذا، ولكن نسبة هؤلاء إلى الأئمة كنسبة أبي



بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي ومعاذ، ونحوهم إلى الأئمة وغيرهم، فكما أن هؤلاء الصحبة بعضهم لبعض أكفأ في موارد النزاع، وإذا تنازعوا في شيء ردّوا ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول، وإن كان بعضهم قد يكون أعلم في مواضع أخرى، وكذلك موارد النزاع بين الأئمة.

وقد ترك الناس قول عمر وابن مسعود في مسألة تيمم الجنب، وأخذوا بقول من هو دونهما كأبي موسى الأشعري وغيره لما احتج بالكتاب والسنة<sup>(١)</sup>.

وتركوا قول عمر في دية الأصابع، وأخذوا بقول معاوية لما كان معه السنة أن النبي ﷺ قال: «هذه وهذه سواء».

وقد كان بعض الناس يناظر ابن عباس في المتعة، فقال له: قال أبو بكر وعمر. فقال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء؛ أقول لكم: قال رسول الله ﷺ. وتقولون: قال أبو بكر وعمر!

وكذلك ابن عمر لما سأله عنها فأمر بها، فعارضوه بقول عمر، فبين لهم أن عمر لم يرد ما يقولونه، فآلحوا عليه، فقال لهم: أمر رسول الله ﷺ أحق أن تتبعوا أم أمر عمر<sup>(٢)</sup>!

مع علم الناس أن أبا بكر وعمر أعلم ممن فوق ابن عمر وابن عباس. ولو فُتِحَ هذا الباب لَوَجَبَ أن يُعَرَضَ عن قول الله ورسوله، ويبقى كل إمام في اتباعه بمنزلة النبي ﷺ وهذا تبديل للدين يشبه ما عاب الله به النصاري في قوله: «اتَّكَدُوا أَحْكَرَهُمْ وَرُفَّهِتُهُمْ أَرْبَاكَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧) ومسلم (٣٦٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٩٥).

(٣) انتهى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية

ولو أَطْلَقْتُ لِحَوَادِ الْمَهْمِ الْعَنَانَ، وَأَجْرَيْتُهُ فِي فَسْحِ الْمِيدَانِ، وَاسْتَوْعِبْتُ مَا ثَبَتَ فِيهِ مِنْ قَوْلِ الْعُلَمَاءِ الْأَعْيُنِ، وَأَنْتَيْتُ بِمَا ضَحَّ عَنْ ذَوِي الشَّانِ، لَكَانَ عِبَابًا مِتْلَاطِمِ الْأَمْوَاجِ، وَضَبَابًا هَامِلِ الْوَدْقِ ثَجَّاجِ، وَمَهْمَةً لَا يُسْتَطَاعُ السُّلُوكُ فِي فَجَاجِهَا، وَلَا يُتَسَنَّمُ شَامِخِ مِنْهَا جِهَا، وَيَكَادُ صَافِنُ الْفِكْرِ أَنْ يُحْجَمَ فِي هَذَا الْمِضْمَارِ، وَيُسْرِعَ إِلَى سَبْقِ الْمِرَاعِ الْكَبُورَةِ وَالْعِثَارِ، فِي اسْتِيفَاءِ تِلْكَ الْآثَارِ، وَالْإِسْتِقْصَاءِ عَلَى وَرْدِهِ مِنَ الْأَخْبَارِ، وَلَا تَقْضَى فِي الْكِتَابَةِ أَسْفَارُ، وَالْمِرَادُ تَأْدِيَةُ مَا يَحْصُلُ بِهِ لِلْقُلُوبِ إِسْفَارُ، فَتَسْتَضِيءُ أَلْبَابُ ذَوِي الْإِسْتَبْصَارِ، فَتُشْرِقُ مِنْهُ أَنْوَارُ الْإِعْتِبَارِ.

ولمحمد بن إسماعيل الصنعاني قصيدة بديعة في هذا المعنى، فائقة أترابها رونقًا وحسنًا، وقد جَرَّتْ ذِيُولُ الْفَخْرِ، لَا سِيْمَا بِمَدْحِ هَذَا الْحَبْرِ، وَهِيَ عَلَيْكَ بَادِيَةٌ، وَبِلِسَانِ الْفَضِيحَةِ عَلَى الْمَعَانِدِ مَدِيَّةٌ<sup>(١)</sup>:

سلامي على نجد ومن حلّ في نجد	وإن كان تسليمي على البُعْدِ لَا يُجْهِدِي
لقد صَدَرَتْ مِنْ سَفْحِ صَنْعَا سَقَى الْحَيَا	رُبَاهَا وَحَيَّاهَا بِقَهْقَهَةِ الرِّعْدِ
سَرَتْ مِنْ أَسِيرِ يُنْثِدُ الرِّيحَ إِنْ سَرَتْ	أَلَا يَا صَبَا نَجْدٍ مَقَى هِجَّتْ مِنْ نَجْدِ
يَذْكَرُنِي مَفْرَاكَ نَجْدًا وَأَهْلَهُ	لقد زَادَنِي مَسْرَاكَ وَجْدًا عَلَى وَجْدِ
قَفِي وَاسْأَلِي عَنْ عَالِمٍ حَلَّ سَوْحَهَا	بِهِ يَهْتَدِي مَنْ ضَلَّ عَنْ مَنِهْجِ الرُّشْدِ
مُحَمَّدِ الْهَادِي لِسُنَّةِ أَحْمَدِ	فِيَا حَبْذَا الْهَادِي وَيَا حَبْذَا الْمُهْدِي
لقد أَنْكَرَتْ كُلُّ الطَّوَائِفِ قَوْلَهُ	بَلَا صَدْرٍ فِي الْحَقِّ مِنْهُمْ وَلَا وَرْدِ
وَمَا كُلُّ قَوْلٍ بِالْقَبُولِ مُقَابِلٌ	وَلَا كُلُّ قَوْلٍ وَاجِبُ الطَّرْدِ وَالرَّدِّ
سِوَى مَا أَتَى عَنْ رَبَّنَا وَرَسُولِهِ	فَذَلِكَ قَوْلٌ جَلٌّ يَا ذَا عَنِ الرَّدِّ

وأما أقاويل الرجال فإنها وقد جاءت الأخبار عنه بأنه وينشر جهراً ما طوى كل جاهل ويعمر أركان الشريعة هادماً أعادوا بها معنى سواع ومثله وقد هتفوا عند الشدائد باسمها وكم عقرُوا في سوحها من عقيرة وكم طائف حول القبور مُقبلٍ وحرق عمداً للدلائل دَفَنًا غُلُوَّ نهي عنه الرسول وفرية أحاديث لا تُعزى إلى عالم فلا وصيرها الجهال للذكر ضرّة لقد سري ما جاءني من طريقة وأقبح من كل ابتداع سمعته مذاهب من رام الخلاف لبعضها يضرب عليه سوط ذم وغيبة ويُعزى إليه كل ما لا يقوله فيرميه أهل النصب بالرفض فرية وليس له ذنب سوى أنه غدا ويتبع أقوال الرسول محمد وإن عده الجهال ذنباً فحبذا علام جعلتم أيها الناس ديننا

تدور على قدر الأدلة في النقد يُعيد لنا الشرع الشريف بما يُبدي ومُبتدع منه فوافق ما عندي مشاهد ضلّ الناس فيها عن الرشد يَفُوتُ وَوَدَّ بئس ذلك من ودي كما يهتف المضطر بالواحد الفرد أَهَلَّتْ لغير الله جهراً على عمْدٍ ومستلِم الأركان منهنّ باليد أصاب ففيها ما يجِلُّ عن العدّ بلا مِرْيَةٍ فَاتْرُكُهُ إِنْ كُنْتَ تَسْتَهْدِي تُسَاوِي فَلَسَا إِنْ رَجَعْتَ إِلَى النَّقْدِ تَرَى دَرَسَهَا أَزكى لديهم من الحمْدِ وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي وأنكاه للقلب الموقّق للرشْدِ يَعْضُ بِأنياب الأسود والأسدِ وَيَجْفُوهُ مَنْ قَدْ كَانَ يَهْوَاهُ عَنْ عَمْدٍ لِنَقِيصِهِ عِنْدَ التَّهَامِي وَالسَّجْدِي ويرميه أهل الرفض بالنصب والجحدِ يتابع قول الله في الحَلِّ والعقدِ وهل غيره بالله في الناس من يَهْدِي بِهِ حَبِذَا يَوْمَ انْضَادِي فِي الْحَدِي لِأَرْبَعَةٍ لَا شَكَّ فِي فَضْلِهِمْ عِنْدِي

وهم علماء الدين شرقًا ومغربًا  
 ولكنهم كالناس ليس كلامهم  
 ولا زعموا حاشاهم أن قولهم  
 بى صرحوا أنا نقابل قولهم  
 سلامي على أهل الحديث فإنني  
 هم بذلوا في حفظ سنة أحمد  
 وأصني بهم أسلاف أمة أحمد  
 أولئك أمثال البخاري ومسلم  
 بحور وحاشاهم عن الجزر إنما  
 رَوَوْا وارتَوَوْا من علم سنة أحمد  
 كفاهم كتاب الله والسنة التي  
 أنتم أهدي أم صحابة أحمد  
 أولئك أهدي في الطريقة منكم  
 وشتان ما بين المقلد في الهدى  
 فمن قلّد النعمان أصبح شاربًا  
 ومن يقتدي أضحى إمام مَعَارِفِ  
 فمقتديًا في الحق كن لا مقلدًا  
 وأكفر أهل الأرض من قال إنه  
 مُسمّاه كُلُّ الكائنات جميعها  
 وأن عذاب النار عَذْبٌ لأهلها  
 وعِبَادٌ عَجَلِ السامريّ على هدى  
 وينشدنا عنه نصوصَ فُصُوصِهِ  
 ونور عيون الفضل والحق والزهد  
 دليلًا ولا تقليدهم في غِدِّ يُجِدِي  
 دليل فَيَسْتَهْدِي به كُلُّ مُسْتَهْدِي  
 إذا خالف المنصوص بالقدح والردّ  
 نشأت على حب الأحاديث من مهدي  
 وتنقيحها من جهدهم غاية الجهد  
 أولئك في بيت القصيدة هم قصدي  
 وأحمد أهل الجهد في العلم والجد  
 لهم مَدَدٌ يأتي من الله بالمدّ  
 وليست لهم تلك المذاهب من ورّد  
 كَفَتْ قبلهم صَحْبَ الرسول ذَوِي الرشد  
 وأهل الكِسَا هيئات ما الشوك كالورد  
 فهم قدوتي حتى أُوَسِّدَ في لحدي  
 ومن يقتدي والضدُّ يُعْرِفُ بالضدّ  
 نبذًا وفيه القول للبعض بالحدّ  
 وكان إمامًا في العبادة والزهد  
 ونَحَلَ أَمَّا التقليد في الأسر بالقدّ  
 إله فإن الله جل عن النّدّ  
 من الكلب والحزير والقرود والفهد  
 سواء عذابُ النار أو جنةُ الخلد  
 ولائمهم في اللوم ليس على رشد  
 ينادي خذوا في النظم مكنون ما عندي

وكنثُ امرأً من جند إبليس فارتقى  
 فلو مات قبلي كنت أدركت بعده  
 وكم من ضلال في الفتوحات صدقت  
 يلوذون عند العجز بالذوق لبيتهم  
 فنسأهم ما الذوق قالوا مناله  
 تسرهم بالكشف والذوق أشعرا  
 ومن يطلب الإنصاف بذلي بحجة  
 وهيئات كل في الديانة تابع  
 وقد قال هذا قبلهم كل مشرك  
 كذلك أصحاب الكتاب تتابعوا  
 وهذا اغتراب الدين فاصبر فإنني  
 إذا ما رأوني عظموني وإن أغب  
 هنيئا مريئا في اغتياي فوائد  
 يصلي ولي أجر الصلاة وصومه  
 وكم حاسد قد أنضح الغيظ قلبه  
 فدونكها تحوي علوما جليلة  
 فلا مدحت وصلا ليلتي وزينب  
 إليك طوت عرض الفيا في وطولها  
 أناخت بنجدي فاستراحت ركاها  
 فأحسن قراها بالقراءة ناظما  
 وقد طوت جبر الضعف نظامها  
 وصل على المختار والآل إنها

ي الدهر حتى صار إبليس من جندي  
 دقائق كفر ليس يدركها بعدي  
 به فرقة أضحوا ألد من اللد  
 يذوقون طعم الحق والحق كالشهد  
 عزيز فلا بالرسم يذكرك والحد  
 بأنهم عن مطلب الحق في بعيد  
 ويرجع أحيانا ويهدي ويستهدي  
 أباه كأن الحق في الآباء والحد  
 فهل قدحوا هذي العقيدة من زبد  
 على ملة الآباء فردا على فرد  
 غريب وأصحاب كثير بلا عد  
 فكم أكلوا لحمي وكم مزقوا جلدي  
 فكل فتى يغتابني فهو لي يهدي  
 ولي كل شيء من محاسنه يهدي  
 ولكنه غيظ الأسير على القد  
 منزهة عن وصف حد وعن قد  
 ولا هي دمت هجر سعدى ولا هند  
 فكم قطعت حورا ونجدا إلى نجد  
 وراح خليًا من رحيل ومن شد  
 عليها جوابا فهي من جملة الوفد  
 كما ستر الوجه المشوه بالبرد  
 لحسن ختام النظم واسطة العقد

قد تبين لكل متأمل منصف، فساد ما نحاه كل محادل ومعاوند مسرف، ووضح له بحلب هذه الآثار والأنفال، وسرد هذه العبارات البرية من وصمة المقال، الصحيح الذي يجب اتبعه ولعمل به من الأقوال، والفساد الذي لم يُنسج من الشريعة الغراء على منوال، وزال ما في قلبه من الرئس والإشكال، وعرف يقيناً أن ما اقتفاه من الهدى الصحب والآل، هو النجاة يوم القيامة من شدائد تلك الأهوال، فبدع ما انتحى من المناهج المتأخرة الرجال، ويعرف فضل ذوي العلم والأعمال، الذين اتخذوا كتاب الله تعالى لهم سميماً، وسنة نبيه ﷺ لهم ظهيراً، فكان لهم تبارك وتعالى معيناً ونصيراً، حتى عرجوا في معارج الكمال، وتبوأوا مراتب من الشرف لا تُدرَك ولا تُنال، بل لا يوطأ بغير التوحيد لها جل، وصب عليهم من صيب الرحمة سجال، وتلقاهم بالقبول والإقبال، وأسكنهم من الخلد أرفع ظلال، ينالون ما يشتهون فيه بالغدو والآصال.

فمن عزّت عليه نفسه سعى من الأسباب لها في الخلاص، وراقب يوم الأخذ بلواص، حين يعرض الظالم على يديه ندامة وتسويفاً، وينادي على رءوس الأشهاد، يوم الوقوف والتداد، ولكن لا يُعرج على قوله تعويلاً، ولا يجد إلى منهج الفكك دليلاً، فيقول مما يكابد من العذاب جزاءً له وتنكيلاً: ﴿يَنْتَقِي تَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلاً﴾ ويتحقق بعد ذلك المشاهدة والمعاناة، على ما كان سالكاً في الدنيا من المباينة. لم يكن عليه صالح السلف، والأتباع الذين هم أهدى خلف، وتستبين لهم سبل الراسخين الأتباع، فيجاهد نفسه الركعة إلى الهوى على الاهتداء بهم والاتباع، ويحزم بأن أكثر ما قرره غلاة الأخبار، وأجانبوا فيه دقائق الأفكار، من إيجاب التقليد، وإنكار الاجتهاد، وأنه لا يسوغ لأحد من العبد، تعصب منهم على الوظائف والمناصب، ومصادمة للحق حملهم عليها الاستعلاء للمراتب، واستيفاء المقرر لأهل تلك المذاهب.

خاتمة: توفي الشيخ، رحمه الله تعالى، وله من العمر قريب من شتين وتسعين سنة، وكان في خلال هذه المدة يبدل في طاعة مولاه جهده، محافظاً على ما له من الأحزاب والأوراد، مشمراً في تحصيل نافع لزاد، متجرداً للاستعداد ليوم المعاد، حتى لقي الله تعالى، فأفاض عليه من صيب الرحمة سَجَلاً.

وسياتي الكلام على وفاته في سنتها المعلومة، مع مريثة هنا مثبتة مرقومة. وقد صنف، رحمه الله تعالى، مصنفات كثيرة، وألف مؤلفات نافعة شهيرة، منها: كتاب «التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد» وكتاب «الكبائر» وكتاب «كشف الشبهات» وكتاب «السيرة المختصرة» وكتاب «السيرة المطولة» نحو مجلد، وكتاب «مختصر الهدى النبوي» في مجلد لطيف، وكتاب «مجموع الحديث على أبواب الفقه» وكتاب «مختصر الشرح الكبير والإنصاف» مجلد كبير، وله رسائل كثيرة عقدنا للمختصرات منها فصلاً، واستوعب ما وقفنا عليه منها.

وأما الرسائل المطولة فمنها «كشف الشبهات» وستأتي.

ومنها: رسالة كتبها لعبد الله بن عبد اللطيف الأحسائي، وهي هذه، وأنا أذكرها بكمالها لما فيها من الفوائد الجليلة، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهّاب إلى عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف، حفظه الله تعالى:

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فقد وصل إلينا من ناحيتكم مكاتيب فيها إنكار وتغيظ عليّ، ولما قيل إنك كتبت معهم، وقع في المحاضر بعض الشيء؛ لأن الله سبحانه سر لك من الذكر

الجميل . وأنزل في قلوب عبده لك من المحبة ما لم يؤتْ كثيرٌ من الناس ، لما يُدكرُ عنك من مخالفة من قبلك من حكام السوء . وإيضاً لما أعلم منك من محبة لله ورسوله ، وحسن لفهم . واتباع الحق ولو خالفك فيه كبار أئمتكم . لأنني اجتمعت بك من نحو عشرين ، وتذاكرت أنا وإياك في شيء من التفسير والحديث ، وأخرجت لي كرايس من البخاري كتبتَها ، ونقلت على هوامشها من الشروح ، وقلت في مسألة الإيمان التي ذكر البخاري في أول الصحيح : هذا هو الحق الذي أدين الله به . فأعجبني هذا الكلام ؛ لأنه خلاف مذهب أئمتكم المتكلمين ، وذاكرتني أيضاً في بعض المسائل ، فكنت أحكي لمن يتعلم مني ما من الله به عليك من حسن الفهم ومحبة الله والدار الآخرة .

فلأجل هذا لم أضن فيك المسارعة في هذا الأمر ؛ لأن الذين قاموا فيه مخطئون على كل تقدير ، لأن الحق إن كان مع خصمهم فواضح ، وإن كان معهم فينبغي للداعي إلى الله أن يدعو بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم ، وقد أمر الله رسوليَّه موسى وهارون أن يقولوا لفرعون قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى .

وينبغي للقاضي ، أعزه الله بطاعته ، لما ابتلاه الله بهذا المنصب أن يتأدب بالآداب التي ذكرها الله في كتابه الذي أنزل ليبين للناس ما اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يوقنون ، فمن ذلك لا يَسْتَحِفُّهُ الذين لا يوقنون . ويتثبت عند سعايات الفساق والمنافقين ولا يَعَجَل . وقد وصف الله المنافقين في كتابه بأوصافهم . وذكر شعب النفاق لُتَجْتَبَ وَتُجْتَبَ أهلها أيضاً . فوصفهم بالفصاحة والبيان وحسن اللسان . بل وحسن الصورة ، في قوله : ﴿ وَيدَا رِيَّتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ﴾ الآية . ووصفهم بالمكر والكذب والاستهزاء بالمؤمنين في أول البقرة . ووصفهم بكلام ذي الوحhein ، ووصفهم بالدخول في المخاصمات بين الناس بما لا يحب الله ورسوله . في قوله :



﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ الآية. ووصفهم باستحقاق المؤمنين والرصا بأفعالهم، ووصفهم بغير هذا في البقرة وبراءة وسورة القتال، وغير ذلك، كل ذلك نصيحة لعبده ليجنسوا الأوصاف ومن تنبئ بها. وبهي الله نبيه عن طاعتهم في غير موضع، فكيف يجوز من مثلك أن يقبل من مثل هؤلاء! وأعظم من ذلك أن تعتقد أنهم من أهل العلم وتزورهم في بيوتهم وتعظمهم! وأن لا أقول لك هذا في واحد بعينه، ولكن نصيحة وتعريف بما في كتاب الله من سياسة الدين والدنيا، لأن أكثر الناس قد نبذه وراء ظهره.

وأما ما ذكر لكم عني فإني لم آت به جهالة، بل أقول، ولله الحمد والمنة وبه القوة: ﴿إِنِّي هَدَيْتُ رَجُلًا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مُلَّةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ولست، ولله الحمد، أدعو إلى مذهب صوفي، أو فقيه، أو متكلم، أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم؛ مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير، أو غيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله ﷺ التي أوصى بها أول أمته وآخرهم، وأرجو أني لا أرد الحق إذا أتاني، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين. ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي، حاشا رسول الله ﷺ فإنه لا يقول إلا الحق.

وصفة الأمر، غير خاف عليكم ما دَرَج عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون وأبناؤهم. والأئمة كالشافعي وأحمد وأمثالهما. ممن أجمع أهل الحق على هدايتهم، وكذلك ما دَرَج عليه من سبقت له من الله الحسى من أتباعهم، وغير خاف عليكم ما أحدث الناس في دينهم من الحوادث، وما خالفوا فيه طريق سلمهم. ووجدت المتأخرين أكثرهم قد غيّر وبدل، وسادتهم وأئمتهم وأعلمهم وأعدتهم وأرهدهم؛ مثل ابن القيم والحافظ الذهبي والحافظ

العماد ابن كثير والحافظ ابن رجب، قد اشتد نكيرهم على أهل عصرهم الذين هم حيرٌ من ابن حجر وصاحب «الإقناع»<sup>(١)</sup> بالإجماع. فإذا استدل عليهم أهل زمانهم بكثرتهم وإطباق على طريقتهم قالوا: هذا من أكبر الأدلة على أنه باطل؛ لأن رسول الله ﷺ قد أخبر أن أمته تسلك مسالك اليهود والنصارى «حَذُوا الْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحَرَ صَبَّ لِدَخْلَتُمُوهُ»<sup>(٢)</sup> وقد ذكر الله في كتبه أنهم فرَّقوا دينهم وكانوا شيعاً، وأنهم كتبوا الكتاب بأيديهم وقلوبهم: هذا من عند الله. وأنهم تركوا كتاب الله والعمل به، وأقبلوا على ما أحدثه أسلافهم من الكتب، وأخبر أنه وصاهم بالاجتماع، وأنهم لم يختلفوا لخفاء الدين. بل اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ والزبر: الكتب. فإذا فهم المؤمن قول الصادق المصدوق: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» وجعله قِبْلَةً قَلْبِهِ، تبين له أن هذه الآيات وأشباهاها ليست على ما ظن الجاهلون أنها كانت في قوم كانوا فبنوا، بل يُفهم من ورد عن عمر رضي الله عنه، أنه قال في هذه الآيات: مضى القوم وما يعني به غيركم<sup>(٣)</sup>.

وقد فرض الله على عبده في كل صلاة أن يسأله الهداية إلى صراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم، الذين هم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فمن عرف دين الإسلام، وما وقع الناس فيه من التغيير له عرف مقدار هذا الدعاء وحكمة الله فيه.

(١) موسى الحجاوي (ت ٩٦٨هـ).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٦) ومسلم (٢٦٦٩) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِرًّا بِشِيرٍ، وَذَرَاً بِذَرَاً، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحَرَ صَبَّ لَسَلَكْتُمُوهُ» فَنُتَابِعُ رَسُولَ اللَّهِ، «يَهُودُ وَالنَّصَارَى؟» قَالَ: «قَمَنْ؟».

(٣) أخرجه س أبي حاتم (١، ١٠٤) في تفسير قوله تعالى ﴿ادْكُرُوا عَهْدَ اللَّهِ الَّذِي آتَيْنَاكُمْ﴾.

والحاصل أن صورة المسألة: هل الواجب على كل مسلم أن يطلب علم ما أنزل الله على رسوله، ولا تُعذر أحد في تركه ألبتة، أم يجب عليه أن يسع «التحفة»<sup>(١)</sup> مثلاً؟ فَعَلِمَ المتأخرين وسادتهم. منهم ابن القيم. قد أنكروا هذا غاية الإنكار، وأنه تغيير لدين الله. واستدلوا على ذلك بما يطول وصفه من كتاب الله الواضح، ومن كلام رسول الله ﷺ لبيّن لمن نُورَ الله قلبه. والذين يُجيزون ذلك أو يوجبونه يُدّلون بشبهة واهية، لكن أكبر شُبُهَهِم على الإطلاق: أَنَا لَسْنَا من أهل ذلك ولا نقدر عليه، ولا يقدر عليه إلا المجتهد، ﴿وَإِنْ وَجَدْتُمْ عَائِدَةً عَلَى أَمَةٍ وَإِنَّ عَنِ آبَائِهِمْ مُتَّهِتُونَ﴾.

ولأهل العسم في إبطال هذه الشبهة ما يحتمل مجلداً، ومن أوضحه قول الله تعالى: ﴿تَخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَهْطَهُمْ أَزْكَاءَ مِنْ دُوبِ اللَّهِ﴾ وقد فسرهما رسول الله ﷺ في حديث عدي<sup>(٢)</sup> بهذا الذي أنتم عليه اليوم في الأصول والفروع. لا أعلمهم يزيدون عبيكم مثقال حبة خردل، بل يبين مصداق قوله: «حَذُوا الْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ...» إلى آخره، وكذلك فسرهم المفسرون، لا أعلم بينهم

(١) «تحفة المحتج في شرح المنهاج»؛ لابن حجر الهيتمي الشافعي. قال محمد بن سيمان الكندي: «ذهب علماء حضرموت والشم والأكراد ودغستان وأكثر اليمن والحجاز إلى أن المعتمد ما قاله الشيخ ابن حجر في كتبه، بل في تحفته؛ لما فيها من إحاطة بنصوص الإمام، مع مزيد تتبع المؤلف فيها، ولقراءة المحققين لها عليه». عن «المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي»؛ للدكتور أكرم لقواسمي (ص ٤١٤ - ٤١٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥) من حديث عدي بن حاتم قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «يا عدي اطرح عنك هذا الوثن» وسمعتة يقرأ في سورة براءة ﴿تَخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَهْطَهُمْ أَزْكَاءَ مِنْ دُوبِ اللَّهِ﴾ قال: «أما إنهم لم يكونوا يعدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه» وحسنه الشيخ لألاني في (عده مرام ٦).

اختلافًا. ومن أحسنه ما قاله أبو العالية: أما إنهم لم يعبدوهم، ولو أمروهم بذلك ما أطاعوهم، ولكنهم وجدوا كتاب الله فقالوا: لا نسبق علماءنا بشيء، ما أمرونا به ائتمرنا، وما نهون عنه انتهينا.

وهذه رسالة لا تحتل إقامة الدليل، ولا جوابًا عما يدلي به المخالف. لكن أعرض عليه من نفسي الإنصاف والانقياد للحق، فإن أردتم عليّ الرد بعلم وعدل فعندكم كتاب «إعلام الموقعين» لابن القيم، عند ابن فيروز في مشرفه<sup>(١)</sup>، فقد بسط الكلام فيه على هذا الأصل بسط كثيرًا، وسرد من شبه أئمتكم ما لا تعرفون أنتم ولا آباؤكم، وأجاب عنهم، واستدل لها بالدلائل الواضحة القاطعة؛ منها أمر الله ورسوله عن أمركم هذا بعينه، وأن رسول الله ﷺ وأصحابه وصفوه من قبل أن يقع، وحذروا الناس منه، وأخبروا أنه لا يصير على الدين إلا الواحد بعد الواحد، وأن الإسلام يصير غريبًا كما بدأ، وقد علمتم أن رسول الله ﷺ لما سأله عمرو بن عبسة في أول الإسلام: من معك على هذا؟ قال: «حرٌّ وعبدٌ» يعني أبا بكر وبلا<sup>(٢)</sup>، فإذا كان الإسلام يعود كما بدأ، فما أجهل من استدلال بكثرة الناس وإطباقهم، وأشبه هذه الشبهة التي هي عظيمة عند أهلها، حقيرة عند الله وعند أولي العلم من خلقه، كما قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ فلا أعلم لكم حجة تحتاجون بها إلا وقد ذكر الله في كتابه أن الكفار استدلو بها على تكذيب الرسل، مثل إطباق الناس وطاعة الكبراء وغير ذلك، فمن من الله عليه بمعرفة دين الإسلام الذي دع إليه رسول الله ﷺ عرف قدر هذه الآيات والحجج، وحاجة الناس إليها.

(١) شمال مدينة المبرر.

(٢) أخرجه مسلم (٨٣٢).

فإن زعمتم أن ذكر هؤلاء الأئمة لهذا لِمَنْ كان من أهله، فقد صرحوا بوجوبه على الأسود والأحمر، ولذكر ولأنتى، وأن ما بعد الحق إلا الضلال، وأن قول من قال: ذلك صعب. مكيدة من الشيطان، كاد بها الناس عن سلوك الصراط المستقيم؛ الحليفة ملة إبراهيم. وإن بان لكم أنهم مخطئون فبيّنوا لي الحق حتى أرجع إليه.

وإنما كتبت لكم هذا معذرة من الله ودعوة إلى الله؛ لِأَحْصَلَ ثَوَابَ الداعين إلى الله، وإلا أنا أظن أنكم لا تقبلونه، وأنه عندكم من أنكر المنكرات. من أن الذي يعيب هذا عندكم مثل من يعيب رسول الله ﷺ وأصحابه، لكن أنت من سبب ما أظن فيك من طاعة الله، لا أبعد أن يهديك الله إلى الصراط المستقيم ويشرح قلبك للإسلام، فإذا قرأته. فإن أنكره قلبك فلا عجب، فإن العجب ممن نجا كيف نجا! فإن أصغى إليه قلبك بعض الشيء فعيبك بكثرة التضرع إلى الله، والانطراح بين يديه، خصوصاً أوقات الإحابة، كآخر الليل، وأدبار الصلاة، وبعد الأذان، وكذلك بالأدعية المأثورة، خصوصاً الذي ورد في الصحيح أنه ﷺ كان يقول: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون. اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك. إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»<sup>(١)</sup>، فعليك بالإلحاح بهذا الدعاء بين يدي من يجيب المضطر إذا دعاه، والذي هدى إبراهيم لمخالفة الناس كلهم، وقيل: يا معلم إبراهيم علمني.

وإن صعب عليك مخالفة الناس ففكر في قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا عَلَىٰ شَرْعَةٍ مِّنْ أَمْرٍ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup> إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مَنَ

(١) أخرجه مسلم (٧٧٠)

أَنَّهُ سَبَّكَ ﴿وَأَن تَطْعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وتأمل قوله في الصحيح «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ»<sup>(١)</sup> وقوله ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم... إلى آخره»<sup>(٢)</sup> وقوله: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»<sup>(٣)</sup> وقوله: «وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة»<sup>(٤)</sup> والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة أُفردت بالتصنيف، فإني أحبب، وقد دعوت لك في صلاتي، وأتمنى من قبل هذه المكاتيب أن يهديك الله لدينه القيم، ولا يمنعني من مكاتبتك إلا ظني أنك لا تقبل، وتسلك مسلك الأكثر، ولكن لا مانع لما أعطى الله، والله لا يتعاضم شيئاً أعطاه، وما أحسنت لو تكون في آخر هذا الزمان فاروقاً لدين الله، كعمر ؓ في أوله، فإنك لو تكون معنا لانتصفنا ممن أغلظ علينا.

وأما هذا الخيال الشيطاني الذي اصطاد به الناس؛ أن من سلك هذا المسلك فقد نسب نفسه للاجتهاد، وترك الاقتداء بأهل العلم، وزخرفه بأنواع الزخارف، فليس هذا بكثير من الشيطان وزخارفه، كما قال تعالى: ﴿يُوجِي نَعْصُهُمْ إِلَىٰ بَعْضِ زُخْرُفِ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ فإن الذي أنا عليه وأدعوكم إليه هو في الحقيقة الاقتداء بأهل العلم، فإنهم قد وصّوا الناس بذلك، ومن أشهرهم كلاماً في ذلك إمامكم الشافعي، قال: لا بد أن تجدوا عني ما يخالف الحديث، فكل ما خالفه فأشهدكم أنني قد رجعت عنه.

(١) أخرجه مسلم (١٤٥).

(٢) أخرجه البحاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) وترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجة (٤٢) والإمام أحمد (٤/

(١٢٦) وصححه الشيخ، لالدني (صحيح الجامع ٢٥٤٩)

(٤) هو الحديث، ليسو نفسه.

وأيضاً أنا في مخالفي هذا العالم لم أخالفه وحدي، فإذا اختلف أنا وشافعي مثلاً في أنوال مأكول اللحم، وقلت: القول ببجاسه يخلف حديث العرنيين<sup>(١)</sup> وبخلف حديث أنس أن النبي ﷺ صلى في مراض الغنم<sup>(٢)</sup>. ففار هذا الجاهل الظالم: أنت أعلم بالحديث من الشافعي! قلت: أنا لم أخالف الشافعي من غير إمام اتبعته، بل اتبعت من هو مثل الشافعي أو أعلم منه، قد خلفه واستدل بالأحاديث. فإذا قل: أنت أعلم من الشافعي! قلت: أنت أعلم من مالك وأحمد! فقد عارضته بمثل ما عارضني به، وسليم الدليل من المعارض، واتبعت قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الآية، واتبعت من اتبع الدليل في هذه المسألة من أهل العلم، لم أستدل بلقرآن أو الحديث وحدي حتى يتوجه علي ما قيل، وهذا على التَّنْزِيلِ، وإلا فمعلوم أن اتباعكم لابن حجر<sup>(٣)</sup> في الحقيقة، ولا تبعأون بمن خالفه من رسول أو صاحب أو تابع، حتى الشافعي نفسه، ولا تبعأون بكلامه إذا خالف نصر ابن حجر، وكذلك غيركم، إنما اتبائعهم لبعض المتأخرين لا للأئمة، فهؤلاء الحنابلة من أقل الناس بدعة، وأكثر «الإقذع» و«المنتهى»<sup>(٤)</sup> مخالف لمذهب أحمد ونصه، يعرف ذلك من عرفه.

ولا خلاف بيني وبينكم أن أهل العلم إذ أجمعوا وجب اتباعهم، وإنما الشأن إذا اختلفوا؛ هل يجب علي أن أقبل الحق ممن جاء به وأرد المسألة إلى الله والرسول مقتدياً بأهل العلم، أو أنتحل بعضهم من غير حجة، وأزعم أن الصواب في قوله؟

(١) أخرجه البخاري (١٥٠١) ومسلم (١٦٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٨) ومسلم (٥٢٤).

(٣) الهتمي - كما سب -.

(٤) «منتهى الارادات في الجمع بين المقنع والتنقيح وريادات» للفتوحى (ت ٩٧٢هـ).

فأنتم على هذا الثاني، وهو الذي ذمه الله وسماه شركًا، وهو اتخاذ لعلماء أربابًا، وأنا على الأول، أدعو إليه وأناضر عليه، فإن كن عندكم حق رجعنا إليه وقبضناه منكم، وإن أردت النظر في «إعلام الموقعين»<sup>(١)</sup> فعليك بمناظره في أثناؤه عقدها بين مُقَلِّدٍ وصاحب حجة، وإن أُلْقِيَ في ذهنك أن ابن القيم مبتدع، وأن الآيات التي استدل بها ليس هذا معناها، فاضرعْ إلى الله، واسأله أن يهديك لما اختلفوا فيه من الحق، وتَجَرَّدَ إلى ناظر أو مناظر، أو اطلب كلام أهل العلم في زمانه، مثل الحافظ الذهبي وابن كثير وابن رجب وغيرهم. ومما ينسب للذهبي رحمته الله :

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس خُلِفَ فيه ما العلم نَصْبُكَ للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأي فقيه  
فإن لم تتبع هؤلاء فانظر كلام الأئمة قبلهم، كالحافظ البيهقي في كتاب «المدخل» والحافظ ابن عبد البر والخطابي وأمثالهم، ومن قبلهم، كالشافعي وابن جرير وابن قتيبة وأبي عبيد، فهؤلاء إليهم المرجع في كلام الله وكلام رسوله وكلام السلف، وإياك وتفسير المحرِّفين للكلم عن مواضعه وشروحهم؛ فإنها القاطعة عن الله وعن دينه، وتأمل ما في كتاب «الاعتصام» للبخاري، وما قال أهل العلم في شرحه.

وهل يُتصور شيءٌ أصرح مما صرح عنه عليه السلام أن أمته ستفترق على أكثر من سبعين فرقة، أخبر أنهم كلهم في النار إلا واحدة. ثم وصف تلك الواحدة أنها التي على ما كان عليه الرسول عليه السلام وأصحابه<sup>(٢)</sup> وأسم مقرون أنكم على غير

(١) (٢ / ١٨٢ وما بعدها).

(٢) أحرجه ابن ماجة (٣٩٩٣) والإمام أحمد (٣ / ١٢٠) من حديث أنس، وصححه شيخ الألباني (صحيح الجامع ٢٠٤٢) والإمام أحمد (٤ / ١٠٢) وأخرجه أبو داود (٤٥٩٧) من حديث معاوية



طريقتهم، وتقولون: ما نقدر عليها، ولا يقدر عليها إلا المجتهد. فجزمتم أنه لا يَنْتَفِعُ بكلام الله وكلام رسوله إلا المجتهد، وتقولون: يَحْرُمُ على غيره أن يطلب الهدى من كلام الله وكلام رسوله وكلام أصحابه. فجزمتم وشهدتم أنكم على غير طريقتهم، معترفين بالعجز عن ذلك.

وإذا كنتم مُقَرِّين أن الواجب على الأولين اتباع كتب الله وسنة رسوله، لا يجوز العدول عن ذلك، وأن هذه الكتب والتي خير منها لو تَحَدَّثُ في زمن عمر بن الخطاب لفعل بها وبأهلها أشد الفعل، ولو تَحَدَّثُ في زمن الشافعي وأحمد لاشتد نكيرهم لذلك، فليت شعري؛ متى حرم الله هذا الواجب وأوجب هذا المحرم! ولَمَّا حَدَّثَ قليل من هذا، لا يُشَبِّهُ ما أنتم عليه، في زمن الإمام أحمد؛ اشتد إنكاره لذلك، ولم بلغه عن بعض أصحابه أنه يروي عنه مسائل بخراسان، قال: أشهدكم أنني قد رجعت عن ذلك.

ولما رأى بعضهم يكتب كلامه أنكر عليه وقال: تكتب رأيًا لَعَلِّي أرجع عنه غدا! اطلب العم مثلما طبنا.

ولما سئل عن كتاب أبي ثور قال: كل كتاب ابتُدِعَ فهو بدعة. ومعلوم أن أبا ثور من كبار أهل العلم، وكان أحمد يُثْنِي عليه، وكان يَنْهَى الناسَ عن النظر في كتب أهل العلم الذين يثني عليهم ويعظمهم.

ولما أخذ بعض أئمة الحديث كتب أبي حنيفة هجره أحمد وكتب إليه: إن تَرَكْتَ كتب أبي حنيفة أتيناك تُسَمِّعُنَا كتب ابن المبارك.

ولما ذكر له بعض أصحابه أن هذه الكتب فيها فائدة لمن لا يعرف الكتاب والسنة، قال: إن عَرَفْتُ الحديث لم تَحْجِجْ إليها، وإن لم تعرفه لم نَحِلْ لك النظر فيها. وقال: عَجِبْتُ لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سمين، والله

يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>  
 قل: أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك.

ومعلوم أن الثوري عنده غاية، وكان يسميه أمير المؤمنين فإذا كن هذا كلام  
 أحمد في كتب نتمنى الآن أن نراها، فكيف بكتب قد أقر أهلها على أنفسهم  
 أنهم ليسوا من أهل العلم، وشهد عليهم بذلك! ولعل بعضهم مات وهو لا  
 يعرف ما دين الإسلام الذي بعث الله به رسوله ﷺ.

وشبهتكم التي أُلْقِيَتْ في قلوبكم؛ أنكم لا تقدرُونَ على فهم كلام الله ورسوله  
 والسلف الصالح، وقد قدمت أن النبي ﷺ قال: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ  
 الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ...»<sup>(٢)</sup> إلى آخره، فتأمل هذه الشبهة، أعني قولكم: لا نقدر على  
 ذلك. وتأمل ما حكي الله عن اليهود في قوله: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ  
 بِكُفْرِهِمْ﴾ وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾<sup>(٣)</sup>  
 وقوله: ﴿إِذْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا كَلِمَتهُ  
 لِيُذَكَّرَ فَهَذَا مِنْ مُذَكِّرٍ﴾ واطلب تفاسير هذه الآيات من كتب أهل العلم، واعرف  
 مَنْ نَزَلَتْ فِيهِ، واعرف الأقوال والأفعال التي كانت سبباً لنزول هذه الآيات، ثم  
 اعرضها على قولهم: لا نقدر على فهم القرآن والسنة. تجدُ مصداق قوله:  
 «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» وما في معناه من الأحاديث الكثيرة.

فلتكن قصة إسلام سديان الفارسي منكم عسى نال، ففيها أنه لم يكن على دين  
 الرسل إلا الواحد بعد الواحد، حتى أن آخرهم قال عند موته: لا أعلم على  
 وجه الأرض أحداً على ما نحن عليه. ولكن قد أطل زمان سي<sup>(٤)</sup>. واذكر مع

(١) أخرجه: بخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٦٧٢٣) بلفظ: «لسن سن من كن قبكم شبراً  
 شبر وذو غا ذراع...». وأما لفظ: «حدو قدة - لفته» فأخرجه أحمد (١٢٥ / ٤).

(٢) أخرجه لإمام أحمد (٤٤٢ / ٥)

هذا قول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَهُودَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أُجِيبَتْ مِنْهُمْ﴾ .

فحقيق لمن نصح نفسه وخاف عذاب الآخرة أن ينأمل ما وصف الله به اليهود في كتابه، خصوصاً ما وصف به علماءهم ورهبانهم من كتمان الحق ولبس الحق بالباطل والصد عن سبيل الله، وما وصفهم الله - أي علماءهم - من الشرك والإيمان بالجبوت والطاغوت، وقولهم للذين كفروا: ﴿هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ لأنه عرف أن كل ما فعلوا لا بد أن تفعله هذه الأمة، وقد فعلت.

وإن صعب عليك مخالفة الكبراء، ولم يقبل ذهنك هذا الكلام، فأحضر بقلبك أن كتاب الله أحسن الكتب، وأعظمها بياناً، وأشفاها لدواء الجهل. وأعظمها فرقاً بين الحق والباطل، والله سبحانه قد عرف تفرق عبده وختلافهم قبل أن يخلقهم، وقد ذكر في كتابه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ وأحضر قلبك هذه الأصول، وما يشبهها في ذهنك، واعرضها على قلبك، فإنه إن شاء الله يؤمن بها على سبيل الإجمال. فتأمل قوله: ﴿وَيْذًا قَدِ قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَحَدَّنا عَلَيْهِ ءَبَآنًا﴾ وتكرير هذا الأصل في مواضع كثيرة، وكذلك قوله: ﴿اتَّبِعُوا لِي فَأَتَّبِعُكُمْ أَسْمَاعُ سَبِّتُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُنَنِ﴾ فكل حجة تحتاجون بها تجدها مبسوبة في القرآن، وبعضها في مواضع كثيرة، فأحضر بقلبك أن الحكيم الذي أنزل كتابه شفاء من الجهل. فارقاً بين الحق والباطل، لا بليق منه أن يقرر هذه الحجج ويكررها، مع عدم حاجة المسلمين إليها. وترك الحجج التي يحتاجون إليها. ويعلم أن عباده يفترون، حاشأ أحكم الحاكمين من ذلك.

ومما يهون عليك مخالفة من خالف الحق، وإن كان من أعلم الناس وأذكاهم وأعظمهم جهلاً، ولو اتبعه أكثر الناس، ما وقع في هذه الأمة من افتراقهم في

أصول الدين وصفات الله تعالى. وغالب مَنْ يدَّعي المعرفة وما عليه المتكلمون، وتسميتهم ضريق رسول الله ﷺ حشواً ونشيبها وتحسيماً، مع أنك إذا طالعت في كتب من كسب الكلام، مع كونه يزعم أن هذا واجب على كل أحد، وهو أصل الدين، تجد الكتاب من أوله إلى آخره لا يستدل على مسألة منه بآية من كتاب الله، ولا حديث عن رسول الله، اللهم إلا أن يذكره أو يحرفه عن مواضعه، وهم معترفون أنهم لم يأخذوا أصولهم من الوحي، بل من عقولهم، ومعترفون أنهم مخالفون للسلف في ذلك.

مثلما ذكر في «فتح الباري» في مسألة الإيمان، على قول البخاري: «وهو قول وعمل، ويزيد وينقص»<sup>(١)</sup> فذكر إجماع السلف على ذلك، وذكر عن الشافعي أنه نقل الإجماع على ذلك، وكذلك ذكر أن البخاري نقله، ثم بعد ذلك حكى كلام المتأخرين ولم يرده<sup>(٢)</sup>، فإن نظرت في كتاب التوحيد في آخر الصحيح، فتأمل تلك التراجم، وقرأت في كتب أهل العلم من السلف، ومن أتباعهم من الخلف، ونقلهم الإجماع على وجوب الإيمان بصفات الله تعالى، وتلقيها بالقبول، وأن من جحد شيئاً منها أو تأول شيئاً من النصوص فقد افترى على الله، وخلف إجماع أهل العلم، ونقلهم الإجماع أن عسم الكلام بدعة وضلالة، حتى قال أبو عمر بن عبد البر: أجمع أهل العلم في جميع الأعصار والأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وضلالات، لا يُعدُّون عند الجميع من طبقات العلماء.

والكلام في هذا يطول، والحاصل أنهم عمدوا إلى شيء أجمع المسلمون

(١) طر: فتح باري (١/ ٤٦).

(٢) ولهد تعبه الشيخ علي لشبل - متاعه من الشيخ بن باز رحمه الله - في «لشبيه على لمحالقات العقيدة في فتح باري» (ص ٢٨ - ٢٩)

كلهم، بل وأجمع عليه أحهل الحلق بالله عبدة الأوثان، الذين نُعِثَ فيهم النبي ﷺ فستدع هؤلاء كلامًا من عند أنفسهم كبروا به العقول أيضًا، حتى أنكم لا تقدرون تغيير عوامكم عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها، ثم مع هذا كله تابعهم جمهور من يتكلم في علم هذا الأمر، إلا من سبقت لهم من الله الحسنى، وهم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، يبغضونهم الناس ويرمونهم بالتجسيم.

هذا، وأهل الكلام وأتباعهم من أحذق الناس وأفطنهم، حتى أن لهم من الذكاء والحفظ والفهم ما يحير اللبيب، وهم وأتباعهم مُقِرُّون أنهم مخالفون للسلف، حتى أن أئمة المتكلمين لما ردوا على الفلاسفة في تأويلهم في آيات الأمر والنهي، مثل قولهم: المراد بالصيام كتمان أسرار، والمراد بالحج زيارة مشايخ، والمراد بجبريل العقل الفعال. وغير ذلك من إفكهم - ردَّ عليهم الجواب بأن هذا التفسير خلاف المعروف بالضرورة من دين الإسلام، فقل لهم الفلاسفة: أنتم جحدتم علو الله على خلقه واستواءه على عرشه، مع أنه مذكور في الكتب على السنة الرسل، وقد أجمع عليه المسلمون كلهم، وغيرهم من أهل الملل، فكيف يكون تأويلنا تحريفًا وتأويلكم صحيحًا! فلم يقدر أحد من المتكلمين أن يجيب عن هذا الإيراد.

والمراد أن مذهبهم مع كونه فاسدًا في نفسه مخالف للعقول، هو أيضًا مخالف لدين الإسلام والكتاب والرسول، وللسلف كلهم، ويذكرون في كتبهم أنهم مخالفون للسلف، ثم مع هذا راجت بدعتهم على العالم والجاهل، حتى طبقت مشارق الأرض ومغاريها.

وأنا أدعوك إلى التفكير في هذه المسألة؛ وذلك أن السلف قد كثر كلامهم وتصانيفهم في أصول الدين، وإبطال كلام المتكلمين ونكصرهم، وممن ذكر هذا

من متأخري الشافعية: البيهقي والبغوي وإسماعيل السبي، ومن بعدهم كالحفظ الذهبي، وأما متقدموهم كبن سريج والدارقطني وغيرهم، فكلهم على هذا الأمر، ففتش في كتب هؤلاء، فإني أنيتني بكلمة واحدة أن منهم رجلاً واحداً لم ينكر على المتكلمين ولم يكفرهم، فلا تقبل مني شيئاً أبداً. ومع هذا كله وظهوره غية الظهور رج عليكم، حتى ادعيتم أن أهل السنة هم المتكلمون، والله المستعان.

ومن العجب أنه يوجد في بلدكم من يفتي الرجل بقول إمام، والثاني بقول آخر، والثالث بخلاف القولين. ويُعدُّ فضيلةً وعدماً وذكاءً، ويقال: هذا يُفتي في مذهبين أو أكثر! ومعلوم عند الناس أن مراده في هذا العلو والرياء وأكل أموال الناس بالباطل، فإذا خالفتُ قول عالمٍ لمن هو أعلم منه أو مثله، إذا كان معه الدليل، ولم آت بشيء من عند نفسي، تكلمتم بهذا الكلام الشديد، فإني سمعتم أني أفتيت بشيء خرجتُ فيه من إجماع أهل العلم تَوَجَّهَ عَلَيَّ القول.

وقد بغني أنكم في هذا الأمر قمتم وقعدتم، فإن كنتم تزعمون أن هذا إنكار للمنكر، فإني ليت قيامكم كان في عظام في بلدكم تُضَادُّ أَصْلَ الْإِسْلَام: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. منها، وهو أعظمها، عبادة الأصنام عندكم من بشر وحجر، هذا يُذْبِحُ له وهذا يُنْذِرُ له، وهذا يُطْلَبُ إجابة الدعوات وإغاثة الهممات، وهذا يدعو المضطر في البر والبحر، وهذا يزعمون أن من ألحأ إليه ينمعه في الدنيا والآخرة ولو عصى الله، فإن كنتم تزعمون أن هذا ليس هو عبادة الأصنام والأوثان المذكورة في القرآن، فهذا من العجب: فإني لا أعلم أحداً من أهل العلم يختلف في ذلك، اللهم إلا أن يكون أحد وقع فيما وقع فيه اليهود من إيمانهم بالحج والظاغوت.

وإن ادعيتم أنكم لا تقدرون على ذلك، فإن لم تقدروا على الكل قدرتم على

البعض، كذب وبعض الذين أنكروا عليّ هذا الأمر، وادّعوا أنهم من أهل العلم. ملتبسون بالشرك الأكبر ويدّعون إليه! ولو يسمعون إنساناً يجرّد التوحيد الزمونه بالكفر والفسوق! ولكن نعوذ بالله من رضا الناس بسخط الله.

ومنها: ما يفعله كثير من أتباع إبليس، وأتباع المنجمين والسحرة والكهان، ممن ينتسب إلى الفقر، وكثير ممن ينتسب إلى العلم، من هذه الخوارق التي يوهمون بها الناس، ويشبهون بمعجزات الأنبياء، وكرامات الأولياء، ومرادهم أكل أموال الناس بالباطل والصد عن سبيل الله، حتى أن بعض أنواعها يعتقد فيه من يدعي العلم أنه من العلم الموروث عن الأنبياء، من علم الأسماء، وهو من الجبت والطغوت، ولكن هذا مصداق قوله ﷺ: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»<sup>(١)</sup> ومنها هذه الحيلة الربوية التي مثل حيلة أصحاب السبت أو أشد.

وأنا أدعو من خالفني إلى أحد أربع: إم إلى كتاب الله، وإما إلى سنة رسول الله ﷺ وإما إلى إجماع أهل العلم، فإن عاند دَعْوَتُهُ إلى المباهلة كما دعا إليها ابن عباس في بعض مسائل الفرائض<sup>(٢)</sup> وكما دعا إليها سفيان والأوزاعي في مسألة رفع اليدين وغيرهما من أهل العلم. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

يَا مَنْ تَعَرَّضَ عَلَيْهِمْ أَرْوَاحُهُمْ وَيَرَوْنَ غَيْبًا بَيْنَهَا يَهْوَانُ  
وَيَرَوْنَ أَنْ أَمَامَهُمْ يَوْمَ اللَّقَا لِهِ مَسْأَلَتَانِ شَامِلَتَانِ  
مَاذَا عِبَدْتُمْ؟ ثُمَّ مَاذَا قَدْ أَجَبْتُمْ مَنْ أَتَى بِالْحَقِّ وَالْبِرْهَانِ؟  
هَاتُوا جَوَابًا لِلسَّوَالِ وَهَيِّئُوا أَيْضًا صَوَابًا لِلْجَوَابِ بِدَانِي

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٦) ومسلم (٢٦٦٩)

(٢) أخرجه عبد الرزاق (١٠، ٢٥٤).

وتيقنوا أن ليس يُنجيكم سوى تجريدكم لحقائق الإيمان  
تجريدكم توحيد سبحانه عن شركة الشيطان والأوثان  
وكذاك تجريد اتِّباع رسوله عن هذه الآراء والهذيان  
فالوحي كافٍ للذي يُعنى به شافٍ لِدَاءِ جهالة الإنسان<sup>(١)</sup>

وهذا آخر ما ذكره الشيخ رحمه الله، في هذه الرسالة النافعة، المتضمنة لبيان حقيقة  
ما هو عليه، وما يدعو الناس إليه؛ من إخلاص العبادة بجميع أنواعها لله، والنهي  
عمد يُضاد ذلك، مما أحدثه أهل البدع والتفرق ولاختلاف من هذه الأمة.

وانظر، رحمك الله، إلى تنطفه وإحسانه في الدعوة إلى الله بالتي هي  
أحسن، وصبره على إيذائهم له، وتشنيعهم عليه في رسائلهم وكتبهم التي  
أرسلوها إليه، حتى أن بعضهم سماه «مجنون» وقل: أطعموه الدُّبَّ<sup>(٢)</sup> والثوم  
المربا! يعني أنه مجنون، والمجنون يُدَاوَى بهذا.

### فصل

ثم صنف الشيخ رحمه الله، رسالة عمدة للمسلمين تسمى «كشف الشبهات» جواباً  
لكثير من شُبُههِم التي أدلُّوا بها وذكروها في مصنفاتهم، وهذا لفظها بحروفها،  
قل رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم، رحمك الله، أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة، وهو دين الرسل لذين  
أرسلهم الله به إلى عباده، فأولهم نوح عليه السلام، أرسله الله إلى قومه لما علَّوا في

(١) سوية ابن القيم (٢ / ٣٧٣).

(٢) الدُّبُّ القرع



الصالحين: وذا وشواعة وبُعوث ويعوق ونسرا. وآخر الرسل محمد ﷺ وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين، أرسله الله إلى قوم يتعبدون ويحجون وتصدقون ويدكرون الله، ولكهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله، يقولون: يريد منهم التقرب إلى الله، ونريد شفاعتهم عنده. مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين، فبعث الله محمداً ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد مُحْضٌ حق الله، لا يصلح منه شيء لِمَلَكٍ مُّقْرَّبٍ ولا نَبِيٍّ مُّرْسَلٍ، فضلاً عن غيرهم، وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يميت إلا هو، ولا يحيي إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو. وأن جميع السموات ومن فيهن، والأرض ومن فيها، كلهم عبيده، وتحت تصرفه وقهره.

فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا، فاقراء قوله: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ وقوله: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّعْيِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَرْبِيهِ مَلَكُوتٌ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِيهِ وَلَا يُكْفِرُ عَنْهُ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ وغير ذلك من الآيات.

إذا تحققت أنهم مُقَرَّبُونَ بهذا. ولم يُدْجِنْهُمْ في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه، وهو توحيد العبادة، الذي يسميه المشركون في زمانك «الاعتقاد» كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم إلى الله ليشفعوا له، ويدعو رجلاً صالحاً مثل «اللات» أو نبياً مثل عيسى. وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم

على هذا الشرك، ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ وقال تعالى: ﴿لَمْ دَعَوْهُ تُخَفُّ وَالَّذِينَ دَعَّوْا مِنْ دُونِهِ لَا يَسْمِعُونَ لَهُمْ شَيْئًا﴾ وتحققت أن رسول الله ﷺ قانئهم ليكون الدعاء كله لله، والنذر كله لله، والذبح كله لله، والاستعانة كلها بالله، وجميع أنواع العبادات كلها لله. وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يَدْخِلْهُمْ في الإسلام، وإنَّ قَصْدَهُمُ الملائكة والأنبياء والأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك، هو الذي أحل دمائهم وأموالهم - عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأبى عن الإقرار به المشركون.

وهذا التوحيد هو معنى قولك «لا إله إلا الله» فإن الإله عندهم هو الذي يُقصد لأجل هذه الأمور، سواء كان مَلَكًا، أو نبيًا، أو وليًا، أو شجرة، أو قبرًا، أو جنًّا، لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده، كما قدمت لك، وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ «السيد» فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها، والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو أفراد الله تعالى بالتعلق، والكفر بما يُعبد من دونه، والبراءة منه، فإنه لما قال لهم: «قولوا: لا إله إلا الله» قالوا: ﴿أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَجَدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدعي الإسلام، وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفرة، بل يظن أن ذلك هو التنفّظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني، والحادق منهم يظن أن معناها: لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمر إلا الله. فلا خير في رحل جَهْلُ الكفر أعلم منه بمعنى «لا إله إلا الله».

إذا عرفت ما أفور لك معرفة قلب، وعرفت الشرك بالله الذي قال فيه: ﴿إِنْ

اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ مِمَّنْ يَشَاءُ ﴿١٠﴾ وَعَرَفْتُ دِينَ اللَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ بِهِ الرِّسْلَ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ أَحَدٍ سِوَاهُ، وَعَرَفْتُ مَا أَصْبَحَ غَالِبَ النَّاسِ فِيهِ مِنَ الْجَهْلِ بِهَذَا - أَفَادُكَ فَائِدَتَيْنِ:

الأولى: الفرح بفضل الله ورحمته، كما قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

وأفادك أيضاً: الخوف العظيم، فإنك إذا عَرَفْتَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَكْفُرُ بِكَلِمَةٍ يُخْرِجُهَا مِنْ لِسَانِهِ، وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ جَاهِلٌ فَلَا يُعَذِّرُ بِالْجَهْلِ، وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهَا تَقْرِبُهُ إِلَى اللَّهِ كَمَا ظَنَّ الْكَفَّارُ، خُصُوصًا إِنْ أَلْهَمَكَ اللَّهُ مَا قَصَرَ عَنْ قَوْمِ مُوسَى، مَعَ صَلَاحِهِمْ وَعِلْمِهِمْ، أَنَّهُمْ أَتَوْهُ قَائِلِينَ: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ فَيَحِينُذُ يَعْظُمُ حِرْصُكَ وَخَوْفُكَ عَلَى مَا يَخْلُصُكَ مِنْ هَذَا وَأَمْثَالِهِ.

واعلم أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ مِنْ حِكْمَتِهِ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا بِهَذَا التَّوْحِيدِ إِلَّا جَعَلَ لَهُ أَعْدَاءً، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ وَقَدْ يَكُونُ لِأَعْدَاءِ التَّوْحِيدِ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ وَكُتُبٌ وَحُجَجٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ، وَعَرَفْتَ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ لَا بَدَلَ لَهُ مِنْ أَعْدَاءٍ قَاعِدِينَ عَلَيْهِ، أَهْلَ فَصْحَةٍ وَعَدَمِ وَحُجَجٍ، فَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَعْلَمَ مِنْ دِينِ اللَّهِ مَا يَصِيرُ سَلَاخًا لَكَ تَقَاتِلُ بِهِ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينَ، الَّذِينَ قَالَ إِمَامُهُمْ وَمُقَدِّمُهُمْ لِرَبِّكَ ﷻ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ثُمَّ لَا يَنْبَغُ لَهُمْ أَنْ يَبَيِّنَ أَيْدِيَهُمْ وَمِنْ حَقِيقَتِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ. وَلَكِنْ إِنْ أَقْبَلْتَ عَلَى اللَّهِ، وَأَصْعَيْتَ إِلَى حُجَجِ اللَّهِ وَبَيِّنَاتِهِ، فَلَا نَخَفَ وَلَا نَحْزَنَ ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.

والعَمِّيُّ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ يَغْلِبُ أَتَمًّا مِنْ عُلَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِمَا أَحْضَرُوا أَنفُسَهُمْ﴾، فَجَنَدَ اللَّهُ هُمُ الْغَالِبُونَ بِالْحَقِّ وَاللِّسَانِ كَمَا هُمُ الْغَالِبُونَ

بالسيف واللسان، وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح. وقد من الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله ﴿يَسِّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدًى وَرَحْمَةً وَنُزْرًى لِمُسْتَبِيرٍ﴾، فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما يَنْقُضُهَا وَيُبَيِّنُ بطلانها، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ قال بعض المفسرين: هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة. وأنا أذكر لك شيئاً مما ذكره الله في كتابه جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا، فنقول:

جواب أهل الباطل من طريقين: مُجْمَل ومُفَصَّل.

أما المَجْمَل فهو الأمر العظيم، والفائدة الكبيرة لمن عَقَلَهَا، وذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْنِي تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سَمَّى الله فاحذروهم»<sup>(١)</sup> مثل ذلك إذا قال بعض المشركين: ﴿إِنَّا بِكَ أَوَّلِيَاءَ اللَّهُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِنَّ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وأن الشفاعة حق، وأن الأنبياء لهم جة عند الله، أو ذَكَرَ كلاماً لنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره.

فجأوبه بقولك: إن الله ذكر أن الذين في قلوبهم زيف يتركون المُحْكَمَ وَيَتَّبِعُونَ المُتَشَابِهَ. وما ذكرناه لك؟ من أن الله ذكر أن المشركين يُفِرُّونَ بِالرَّبُوبِيَّةِ، وأنه كَفَرَهُمْ سَعَتَهُمْ عَلَى المَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ. مع قولهم: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ هذا أمر مُحْكَمٌ بَيِّنٌ، لا يقدر أحد أن يغير معناه، وما ذَكَرْتُ لي، أيها

(١) أحرجه سحري (٤٥٤٧) ومسنم (٢٦٦٥)

المشرك، من القرآن أو كلام النبي ﷺ لا أعرف معناه، ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقص، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله.

وهذا جواب جيد سديد، ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله، ولا تسفهونه؛ فإنه كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ﴾.

وأما الجواب المفضل، فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة يصدون بها الناس، منها قولهم: نحن لا نشرك بالله، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا ﷺ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، فضلًا عن عبد القادر أو غيره، ولكن أنا مذنب، والصالحون لهم جاة عند الله، وأطلب من الله بهم.

فجأوبه بما تقدم، وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مُقِرُّون بما ذُكِّرَتْ، ومُقِرُّون أن أوثانهم لا تُدَبِّرُ شيئًا، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة، واقرأ عليه ما ذكر الله في كتبه ووضَّحه.

فإن قال: هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام؟ كيف تجعلون الأنبياء أصنامًا؟

فجأوبه بما تقدم، فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله، وأنهم ما أرادوا مما قصدوا إلا الشفاعة، ولكن أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكر، فذكر له أن الكفار منهم من يدعو الصالحين والأصنام، ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم: ﴿أُولَئِكَ لَبِيبٌ نَدْعُوكَ يَسْعُوكَ إِنَّ رَبَّهُمُ الْوَيْسِيَّةَ إِنَّهُمْ أَقْرَبُ﴾ ويدعون عيسى ابن مريم وأمه، وقد قال الله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كُنَّا يَأْكُلُ اللَّطْعَامَ أَنْظَرُ كَيْفَ سَيِّئَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظَرُ أَنِّي يُؤْفَكُونَ﴾ واذكر قوله: ﴿وَيَوْمَ

فَوْن قَالَ: الْكَفَّارُ يَرِيدُونَ مِنْهُمْ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ النَّافِعَ الضَّارَّ الْمَدْبِّرَ، لَا أُرِيدُ إِلَّا مِنْهُ، وَالصَّالِحُونَ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، وَلَكِنْ أَقْصِدُهُمْ أَرْجُو مِنَ اللَّهِ بِشَفَاعَتِهِمْ.

وَعَلِمَ أَنَّ هَذِهِ الشُّبَّةَ الثَّلَاثَ هِيَ أَكْبَرُ مَا عِنْدَهُ، فِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ وَضَّحَهَا فِي كِتَابِهِ، وَقَهَمَتْهَا فَهَمًّا جَيِّدًا، فَمَا بَعْدَهَا أَيْسَرُ مِنْهَا.

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله. وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعائهم ليس بعبادة.

فقل له: أنت تُقَرِّر أن الله فَرَضَ عليك إخلاص العبادَة، وهو حقّه عليك؟  
 فإذا قل: نعم. فقل له: يَبَيِّن لي هذا الذي فَرَضَ عليك، وهو إخلاص العبادَة  
 لله، وهو حقّه عليك. فإنه لا يعرف العبادَة ولا أنواعها، فَيَبَيِّنْها بقولك: قول  
 الله: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ إذا عَلِمْتَ بهذا هل هو عبادَة؟ فلا بد أن يقول:  
 نعم، والدعاء مخ لعبادَة<sup>(١)</sup>. فقل له: إذا قررت أنها عبادَة. ودَعَوْتَ الله ليلاً  
 ونهاراً، خوفاً وطمعاً. ثم دَعَوْتَ في تلك الحاجة نبياً أو غيره، هل أَشْرَكَت في  
 عبادَة الله غيره، إذا قال الله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ وأطعْتَ الله وَنَحَرْتَ له؟

(١) لفظ حديث أخرجه الترمذي (٣٣٧١) وضعفه السبح الألباني (ضعيف، جامع ٣٠٠٣).

فلا بد أن يقول: نعم. فقل له: إذا نَحَرْتَ لمخلوق أو نبي أو جنِّي أو غيرهما، هل أَسْرَكْتَ في هذه العبادة غيرَ الله؟ فلا بد أن يُقِرَّ ويقول: نعم.

وقل له أيضًا: المَسْرُكون الذين نزل فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك؟ فلا بد أن يقول: نعم.

فقل له: وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك، وإلا أنهم مُقِرُّون أنهم عبيد تحت قهر الله، وأن الله هو الذي يدبر الأمور، ولكن دَعَوْهم والتجأوا إليهم للجاء والشفاعة، وهذا ظاهر جدًا.

فإن قال: أتُنكر شفاعة رسول الله ﷺ وتَبَرُّأ منها؟ فقل: لا أنكرها ولا أتبرأ منها، بل هو ﷺ الشافع المشفع، وأرجو شفاعته، لكن الشفاعة كلها لله، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ ولا تكون إلا من بعد إذن الله، كما قال ﷺ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ ولا يشفع في أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيه، كما قال جل جلاله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ وهو لا يرضى إلا التوحيد، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ فإذا كنت الشفاعة كلها لله، ولا تكون إلا بعد إذنه، ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد - تبيين أن الشفاعة كلها لله، واطلبه منه: اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شَفِّعْهُ فِيَّ. وأمثال هذا.

فإن قال: النبي ﷺ عُطِيَ الشفاعة، وأنا أطلبه مما أعطاه الله.

فالجواب: أن الله أعطاه الشفاعة. ونهاك عن هذا، وقال: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ وأيضًا: فإن الشفاعة أُعْطِيَهَا غَيْرُ النبي ﷺ فصَحَّ أن الملائكة يشفعون، والأولياء يشفعون، أقول: إن الله عطاهم الشفاعة، وأطلبها منهم؟ فإن قلت هذا رَجَعْتُ إلى عبادة الصالحين التي ذكرها الله في كتابه، وإن قلت: لا يَظُنُّ

قولك: أعطاه الله الشفعة، وأنا أطلبه مما أعطاه الله.

فإن قال: أنا لا أشرك بالله شيئاً، حاش وكلاً، ولكن اللجوء إلى الصالحين ليس بشرك.

فقل له: إذا كنت تُقِرُّ أن الله حرّم الشرك أعظم من تحريم الزنا، وتُقِرُّ أن الله لا يغفره، فما هذا الأمر الذي عظمه الله وذكر أنه لا يغفره؟ فإنه لا يدري، فقل له: كيف تَبَرُّا من الشرك وأنت لا تعرفه! كيف يُحرّم الله عليك هذا، ويذكر أنه لا يغفره، ولا تسأل عنه ولا تعرفه؟ أتظن أن الله يُحرّمه ولا يبيّنه لنا؟

فإن قال: الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام!

فقل: وما معنى عبادة الأصنام؟ أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها؟ فهذا يكذبه القرآن، أو هو قَصْدُ خشبة أو حجرة أو بنية أو غيره يَدْعُونَ ذلك ويذبحون له، يقولون إنه يقرب إلى الله ويدفع عنا ببركته؟ فقد صَدَقْتُ، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والبنايا التي على القبور وغيرها، فهذا أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام.

ويقال أيضاً: قولك: الشرك عبادة الأصنام. هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا، وأن الاعتماد على الصالحين ودعائهم لا يدخل في هذا؟ فهذا يرده ما ذكره الله في كتابه: **مَنْ كُفِرَ مَنْ تَعَلَّقَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَعِيسَى وَالصَّالِحِينَ**. فلا بد أن يقر لك أن مَنْ أشرك في عبادة الله أحداً من الصالحين فهو الشرك المذكور في القرآن، وهذا هو المطلوب.

وسر المسألة أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله. فقل: وما الشرك بالله؟ فسرّه لي.

وإن قال: هو عبادة الأصنام. فقل: وما معنى عبادة الأصنام؟ فسرّها لي.

وإن قال: أنا لا أعبد إلا الله. فقل: ما معنى عبادة الله وحده؟ فسرّها لي.



فإن فسرها بما يسه القرآن فهو المطلوب، وإن لم يعرفه، فكيف يدعي شيئاً وهو لا يعرفه!

وإن فسّر ذلك بعبر معناه بيّنت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان، الذي يفعلون في هذا الرمان بعينه، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون عينا، ويصيحون كما صح إخوانهم حيث قالوا: ﴿جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَجَدَّ بِهَذَا شَيْئًا مُّجْتًا﴾.

فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في وقتنا «الاعتقاد» هو الشرك الذي أنزل فيه القرآن وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه، فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل وقتنا بأمرين:

أحدهما: أن الأولين لا يُشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء أو ثناً مع الله إلا في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون لله الدين، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾، وقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ بَلْ إِلَٰهُهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ وقوله: ﴿وَإِذْ مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾، وقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ كَظُلُومٍ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُمُ الدِّينَ﴾.

فمن فهم هذه المسألة التي وضحه الله في كتبه، وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله ويدعون غيره في السراء، وأما في الضر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له وينسون سادتهم. نبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهماً راسخاً؟ والله المستعان.

والأمر الثاني: أن الأولين يدعون مع الله أناساً مُقَرَّبِينَ عند الله؛ إما نبياً وإما أولياء وإما ملائكة. ويدعون أحراراً وأتجاراً مطيعةً له ليسب عاصية. وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس. والذين يدعوبهم هم الذين يحكون عنهم الفجور؛ من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك، والذي يعتقد في الصالح والذي لا يعصي مثل الخشب والحجر أهونُ ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به.

إذا تَحَقَّقَتْ أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصح عقولاً وأخف شرّاً من هؤلاء، فعلم أن هؤلاء شبهةٌ يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شُبُهِهِمْ، فَأُصْحِ سمعك لجوابها، وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله، ويكذبون الرسول، وينكرون البعث، ويكذبون القرآن ويجعلونه سحراً، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي ونصوم، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟

والجواب: أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدّق رسول الله ﷺ في شيء وكذّبه في شيء، أنه كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه، كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة، أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد الحج، ولما لم يُنْقِذْ أناسٌ في زمن النبي ﷺ للحج أنزل الله في حقهم: ﴿وَيَبِّئْ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَمِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾. وَمَنْ أَقَرَّ بهذا كنه وجحد لبعث كفر بالإجماع، وحل دمه وماله، كما قال جل جلاله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾. أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا. فإذا كان الله قد صرّح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقاً، زالت هذه الشبهة، وهذه هي التي ذكرها

بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسل إليه .

ويقال : إذا كنت تُقِرُّ أن مَنْ صدَّق الرسولَ في كل شيء ، وجحد وجوب الصلاة ، أنه كافر حلال الدم بالإجماع ، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث . وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان ، لا يُجحد هذا ولا تختلف المذاهب فيه . وقد نطق به القرآن ، كما قدمت ، فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج ، فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يَكْفُرُ! سبحان الله! ما أعجب هذا الجهل؟!

ويقال أيضاً : هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة ، وقد أسلموا مع النبي ﷺ وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ويؤذنون .

فإن قل : إنهم يقولون إن مسيلمة نبي!

قلنا : هذا هو المطلوب ، إذا كان مَنْ رَفَعَ رجلاً إلى رتبة النبي ﷺ كَفَر وَحَلَّ ماله ودمه ، ولم تنفعه الشهاداتان ولا الصلاة ، فكيف بمن رفع شمسان ويوسف أو صحابياً أو نبياً في مرتبة جبر السماوات والأرض؟ سبحان الله! ما أعظم شأنه ﴿كَذَلِكَ يَطْعُ اللَّهُ عَنْ قُورٍ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

ويقول أيضاً : إن الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار<sup>(١)</sup> كلهم يدعون

(١) أخرج البخاري (٦٥٢٤) عن عكرمة عن أبي عبي رنادقة فأحرقهم ، فبغ ذلك اس عدى فقال : لو كنت أنا لم أحرقهم ؛ لهنى رسول الله عليه لصلاة والسلام : «لا تعذبوا بعذاب الله» ولقلنهم لقول رسول الله عليه الصلاة والسلام : «من بدل دينه فاقتلوه»

الإسلام، وهم من أصحاب عليٍّ، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا في عبيٍّ مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهم. فكيف أجمع الصحبة على قتلهم وكفرهم؟ أتظنون أن الصحبة يكفرون المسلمين؟ أم نظنون الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في علي بن أبي طالب يُكفر؟

ويقول أيضًا: بنو عُبيد القَدَّاح، الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العباس، كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويدعون الإسلام، ويصلون الجمعة والجماعة، فلم أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

ويقال أيضًا: إذا كان الأولون لم يكفروا إلا أنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسل والقرآن وإنكار البعث، وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكر العنماء في كل مذهب «باب حكم المرتد» وهو المسمم الذي يكفر بعد إسلامه، ذكروا أنواعًا كثيرة، كل نوع منها يُكفر ويُحِلُّ دَمَ الرجل وماله، حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من يفعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب.

ويقال أيضًا: الذين قال الله فيهم: ﴿يَحْفُوتُ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةً الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بِاللهِ إِسْمَهُمْ﴾ أما سَمِعْتَ الله كُفْرَهُمْ بكلمة، مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ يحاهدون معه ويصلون معه ويزكون ويحجون ويوحدون. وكذلك الذين قال فيهم: ﴿قُلْ أَيْدِي الْعَالَمِينَ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ لَا تَعْدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بِاللهِ إِيْمَانِكُمْ﴾ فهؤلاء الذين صرح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم هم مع رسول الله ﷺ في غزوه بؤك، قالوا كلمة، ذكروا أنهم قاتلوه على وجه المزح. فتأمل هذه الشبهة، وهي قولهم: تُكفرون المسلمين؛ أناسٌ يشهدون أن لا إله إلا

الله، ويصلون ويصومون. ثم تأمل جوابها، فيه من نفع ما في هذه الأوراق.  
ومن الدليل على ذلك أيضاً: ما حكى الله عن بني إسرائيل، مع إسلامهم  
وعلمهم وصلاتهم. أنهم قالوا لموسى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ وقول  
أناس من الصحابة: «اجعل لك ذات أنواط» فحلف ﷺ أن هذا نظير قول بني  
إسرائيل: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾<sup>(١)</sup>.

ولكن للمشركين شبهة أخرى يُدّلون بها عند هذه القصة، وهي أنهم يقولون إن  
بني إسرائيل لم يكفروا، وكذلك الذين قالوا: (اجعل لك ذات أنواط) لم  
يكفروا.

والجواب أن نقول: إن بني إسرائيل لم يفعلوا، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ  
ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا، وكذلك لا خلاف أن الذين  
نههم النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا، وهذا هو  
المطلوب، ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم، بل العالم قد يقع في أنواع من  
الشرك لا يدري عنها، فيفيد التعلم والتحرز، ومعرفة أن قول الجاهل: التوحيد  
فهمناء. أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان.

وتفيد أيضاً: أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر، وهو لا يدري، فنبّه  
على ذلك وتاب من ساعته، أنه لا يكفر، كما فعل بنو إسرائيل والذين سألوا  
رسول الله ﷺ.

وتفيد أيضاً: أنه لو لم يكفر فإنه يُغلط عليه الكلام تغليظاً شديداً كما فعل  
رسول الله ﷺ.

(١) أحرجه الترمذي (٢١٨٠) والإمام أحمد (٥ / ٢١٨) وصححه الشيخ الألباني (ظلال  
الحجة ٧٦).

وللمشركين شبهة أخرى؛ يقولون: إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال «لا إله إلا الله» وقال: «أَقْتَلْتَهُ بعدما قال لا إله إلا الله!»<sup>(١)</sup> وكذلك قوله. «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لا إله إلا الله»<sup>(٢)</sup> وأحاديث أُخَرُ فِي الكُفِّ عَمَّنْ قَالَهُ. ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ولا يُقتل، ولو فعل ما فعل.

فيقال لهؤلاء الجهنة: معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم، وهم يقولون «لا إله إلا الله» وأن أصحاب رسول الله ﷺ قتلوا بني حنيفة، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويصلون ويدعُونَ الإسلام، وكذلك الذين حرَقَهُمُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بالنار.

وهؤلاء الجهلة يُقَرُّونَ أَنْ مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ كَفَرَ وَقُتِلَ، وَلَوْ قُلَّ «لا إله إلا الله» وأن من جحد شيئًا من أركان الإسلام كُفِرَ وَقُتِلَ، وَلَوْ قَالَهَا، فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعًا من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أساس دين الرسل ورأسه؟ ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث.

فأما حديث أسامة؛ فإنه قتل رجلًا ادَّعى للإسلام؛ بسبب أنه ظن أنه ما ادَّعى الإسلام إلا خوفًا على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه، حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله في ذلك: ﴿يَتْلُوا آيَاتِ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَسُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَيَّنُّوا﴾ أي: تَبَيَّنُوا. فَلَايَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَحِبُّ الْكُفَّ عَنْهُ وَانْتَبِهَ. فَإِنْ تَبَيَّنَ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَخْلَفُ الْإِسْلَامَ قُتِلَ، لقوله: ﴿فَبَيَّنُّوا﴾ ولو كان لا يُقْتَلُ إِذَا قَالَهَا لَمْ يَكُنْ لِلتَّبَيُّنِ مَعْنَى، وكذلك الحديث الآخر وأمثاله معاه

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٨) ومسلم (٩٦)

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٣) ومسلم (٢٠).

ما ذكرناه. وأن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك.

والسبيل على هذا: أن رسول الله ﷺ هو الذي قال: «أَقْتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ!» وقل: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» هو الذي قال في الخوارج: «أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، لَنْ أَدْرِكْتَهُمْ لَأَقْتُلَنَّاهُمْ قَتْلَ عَادٍ»<sup>(١)</sup> مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلاً، حتى أن الصحابة يَحْقِرُونَ أنفسهم عندهم، وتعلموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم «لا إله إلا الله» ولا كثرة العبادة ولا ادِّعاء الإسلام لم يظهر منهم مخالفة الشريعة.

وكذلك ما ذكرناه من قتل اليهود، وَقِتَالِ الصَّحْبَةِ بَنِي حَنِيفَةَ، وكذلك أراد ﷺ أن يغزو بني المصطلق لم أخبره رجل منهم أنهم مَنَعُوا الزَّكَاةَ، حتى أنزل الله: ﴿بَنَاتُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ نَبَلْهُ فَسَبِّتْهُ أَنْ تَصِيبُوا قَوْمًا بَٰجِهَةً﴾<sup>(٢)</sup> وكان الرجل كاذباً عليهم.

وكل هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ في الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه.

ولهم شبهة أخرى؛ وهي ما ذكر النبي ﷺ أن الناس يستغيثون بآدم ثم بنوح ثم إبراهيم ثم بموسى ثم بعبسى، فكلهم يعتذر، حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>. قالوا: فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً.

والجواب أن نقول: سحان من طبع على قلوب أعدائه، فإن الاستغاثة

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٦) ومسلم (١٠٦٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٢٧٩).

(٣) هو حديث الشماعة لطول، أخرجه البخاري (٤٤٧٦) ومسلم (١٩٣).

بالمخلوق فيما يُقدّر عليه لا ننكرها، كما قال تعالى في قصة موسى: ﴿فَاسْتَعِذْهُ﴾<sup>(١)</sup> أَلَدَىٰ مِنْ شَيْعَبِهِ عَلَىٰ لَدَىٰ مِنْ عَدُوٍّ. وكما بسّعت الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره في أشياء يقدر عليها المخلوق، ونحن أنكرنا استغاثة العباد التي يفعلونها عند قبور الأولياء، أو في غيبتهم، في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله، إذا ثبت ذلك فستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف، وهذا جائز في الدين والآخرة، أن تأتي عند رجل صالح حيّ، يجالسك ويسمع كلامك، تقول له: ادع الله لي. كما كن أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه في حياته، وأم بعد موته فحاشا وكلاً أنهم سألوا ذلك، بل أنكر لسلف على من قصّد دعاء الله عند قبره. فكيف بدعائه نفسه؟

ولهم شبهة أخرى، وهي قصة إبراهيم، لما أُلقي في النار اعترض له جبريل في الهوى قال: ألت حاجة؟ فقال إبراهيم: أما إليك فلا<sup>(٢)</sup>. فقالوا: فلو كانت الاستغاثة شركاً لم يعرضها على إبراهيم.

فالجواب: أن هذا من جنس الشبهة لأولى، فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه، فإنه كما قال الله فيه: ﴿سَدِيدُ الْقُوَى﴾ فلو أذن الله له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها ويبقيها في المشرق والمغرب لفعل، ولو أمره الله أن يَضَعَ إبراهيم عنده في مكان بعيد لفعل، ولو أمره الله أن يرفعه إلى السماء لفعل، وهذا كرجل غي له مال كثير. يرى رجلاً محتاجاً، فيعرض عليه أن يُقرضه أو يَهْتَم شيئاً بقصي به حاجته، فيأبى ذلك المحتاج أن يأخذ، ويصر إلى أن يأتيه

(١) أحرجه لطبري في تفسيره (١/ ١٤٨) واليهيقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٩) وهو مقطوع.



الله بررق لا مِنة فيه لأحد، فأين هذا من استغاثة العباداة والشرك، لو كانوا يفقهون!

ولنختم الكلام بمسألة عظيمة مهمة. تُفهم مما تقدم، لكن نُفرد الكلام لعظم شأنها. وكثرة الغلط فيها، فنقول:

لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختلف شيء من هذا لم يكن الرجل مسلمًا، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند، كفرعون وإبليس، وهذا يغلط فيه كثير من الناس، يقولون: هذا حق، ونحن نفهم هذا. ونشهد أنه الحق، ولكن لا نقدر نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم، أو غير ذلك من الأعذار، ولم يذّر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار، كما قال تعالى: ﴿أَشْرَوْا بِعَابَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَبِيلًا﴾ وغير ذلك من الآيات، كقوله: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً، وهو لا يفهمه ولا يعتقد به، فهو منافق، وهو أشد من الكافر الخالص ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ وهذه المسألة مسألة طويلة، تبين لك إذا تأملت في السنة الناس، ترى من يعرف الحق ويترك العمل به؛ ليخوف نقص دُنْيَا أو جَاهٍ أو مداراة، وترى من يعمل به ظاهراً لا باطناً.

ولكن عليك بفهم آيتين من كتب الله:

أولها: قوله: ﴿لَا تَعْدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ مَعَكُمْ بِمَكْرِهِمْ﴾ فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه اللعب والمزح، تبين لك أن الذي ينكلم بالكفر ويعمل به، خوفاً من نقص مال أو جَاهٍ أو مداراة لأحد، أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها.

والآية الثانية: فوالله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ، إِلَّا مَنْ أَكْثَرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلْنَاهُمْ عَصَتْ مِنْكَ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ١٣٠ ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ﴿الآية، فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان، وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه، سواء فعل خوف، أو مداراة، أو مشقة بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله، أو فعل على وجه المزح، أو لغير ذلك من الأغراض، إلا المكره. والآية المشهورة تدل على هذا من جهتين:

الأولى: قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْثَرَهُ﴾ فلم يستثن الله إلا المكره، ومعنوم أن الإنسان لا يُكره إلا على الكلام والعمل، وأما عقيدة القلب فلا يُكرهه أحد عليها.

والثانية: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد والجهل، أو البغض للدين، أو محبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدين، فآثره على الدين. والله ﷻ أعلم.

هذا آخر ما ذكره الشيخ رحمه الله، في هذه الرسالة النافعة، فليتأمل الدبيب الناصح لنفسه، الذي يخاف الله ويرجوه، ما قرره الشيخ رحمه الله، في هذا الكتاب من بيان التوحيد الذي دعب إليه الرسل، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، وأن الإلهية كلها بجميع أنوعها لله وحده، لا يصح منها شيء لا لِمَلَكٍ مُقَرَّبٍ ولا نَبِيٍّ مُرْسَلٍ. ثم يتدبر ما ذكره الله في كتابه من بيان هذا الأصل وتوضيحه، وتقريبه للأذهان بالأمثال العصبية التي لا يعقلها إلا من أراد الله هدايته، فإن هذا الأصل العظيم هو الذي خلق الله لأجله جميع المخلوق، وأرسل لأجل معرفته والعمل به جميع المرسلين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ

وَحَسِبُوا أَلْطَلْعُوتَ . وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادُونَ﴾ ، وقال تعالى: ﴿وَسَتَلَّ مَنْ أُرْسِنَا مِنْ قَلْبِكَ مِنْ رُسُنَا خَعْنًا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً عُنْدُونَ﴾ ، وقال لسيد المرسلين محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَفِيقِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِمَّا بَرَّاهُمُ حَيْفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﷻ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﷻ لَا شَرِيكَ لَّهُ ، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ والإله هو الذي تَأْلَهُ القلوب عبادة له ، واستغاثه به ، ودعاء له ، ورجاء له ، وتوكلاً عليه ، وخشية له ، وإجلالاً وإكراماً ، فمن أخذ شيئاً من أنواع الإلهية والعبادة التي لا تصلح إلا لله وجعله لمخلوق فقد اتخذها إلهاً مع الله ، وإن لم يزعم أنه إله ، فإذا فعل ما يفعل أهل الشرك وعبادة الأوثان بآلهتهم فقد عبدهم ، وصار له إلهاً مع الله ، فكان ممن اتخذ إلهين اثنين .

قال العلماء رحمهم الله : من غلا في نبي ، أو رجل صالح ، أو غير صالح ، وجعل فيه نوعاً من الإلهية ، مثل أن يقول : يا سيدي فلان ، أغثني واجبرني وانصرني . أو : اقض ديني . أو : أن فقير إليك . أو : أنا في حسبك . أو : متوكل عليك . أو يذبح له ، أو يَنْذِر له ، أو يرجوه أو يخافه - فهذا كله شرك وضلال وجنون وخبال ، يُستتاب صاحبه وتقدم عليه الحجة ، فإِنْ تاب وإلا ضُرِبَتْ عنقه ، وإن زعم أنه إنما يريد شفاعة له عند الله وتقريبه زلفى ؛ فإن المشركين عبادة الأوثان إنما عَرَّهَمُ الشيطان وكادهم واصطادهم بذلك ، كما هو صريح في محكم آيات التنزيل ، لمن تدبره وعقل عن ربه العظيم الجليل .

وقد روى الرمدي وغير واحد من أهل الحديث عن أبي واقد الليثي أنه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُيْن ، ونحن حديثو عهد بكفر ، وللمشركين بسدره يَعْكُفُونَ عليها ويَبْطُؤُونَ بها أسحتهم ، يقال لها «دات أنواط» فمررن بسدره فقلت : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال : «اللله

أكبر. إنها السنن. قلنم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾<sup>(١)</sup>.

فتدبر رحمت الله هذا الحديث، وتفكر فيه وتأمله، كيف أفتى ﷺ وحلف على هذه الفتيا أن هذا مثل قول بني إسرائيل لموسى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا هُمْ ءَالِهَةٌ﴾ مع أنهم لم يتلفظوا بذلك، وإنما قالوه بالمعنى، مع أنهم مجتهدون في ذلك. لم يشعروا أن هذا كقول بني إسرائيل، ولهذا أتوا رسول الله ﷺ قائلين له ذلك جهلاً منهم، ومع هذا كله أخبر الصادق المصدوق وحلف على هذا الخبر أن هذا كقول بني إسرائيل لموسى سواء بسواء.

فإذا كان هذا الأمر العظيم خفي على أولئك السادة وجهلوه، فكيف لا يخفى على غيرهم في هذه الأزمان، التي خفيت فيها أعلام الإسلام، واشتدت فيها غربة الإسلام بين الأنام والإيمان، حتى صار المعروف منكراً والمنكر معروفاً، والمجرّد للتوحيد يخرج عن الإسلام، وكن الشيطان قد اصطاد كثيراً من الناس، بأن هذا التعظيم للأنبياء والأولياء والصالحين توسّلٌ واستشفاعٌ إلى الله بهم في إجابة الدعوات، وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وأنتم تقولون «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وأن هذه الأمة المحمدية لا تشرك بالله، ولا يقع الشرك في جزيرة العرب أصلاً، وأنتم لم تقولوا إن هؤلاء آلهة مع الله كما قاله عبّد الأوثان. وإنما هؤلاء عبّد صالحون، وأنتم عبّد مذنبون مخطئون. فتجعلونهم وسائط بينكم وبين الله، فتقربون إليهم وتستشفعون بهم وتوسّلون بهم؛ لأنهم أقرب منكم إلى الله. وهذا هو فعل الناس قبلكم، ولستم خيراً من

(١) أحرجه الترمذى (٢١٨٠) والإمام أحمد (٥ / ٢١٨) وصححه الشيخ الألباني (طال

فلان وفلان. وأشياء هذه الزخارف التي يُغري بها الناس هو وإخوانه من سياطين الجن والإنس، فتصغي إلى ذلك أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ويرضونه ويقترون ما هم مقترون، ثم يُغريهم بعداوة أهل التوحيد والإحلاص، فيستهترون منهم بقلوبهم وأبدانهم، ويسعون في أذيتهم، ويبتغون لهم العوائل، والله مع الذين اتقوا ولذين محسنون.

فإذا كان هذا تغليظ رسول الله ﷺ على أولئك السادة، لما طلبوا منه مجرد مشابهة المشركين في جعل سدة لتويط الأسلحة، والتبرك بها، والعكوف عندها، فكيف بما هو أشد من ذلك من الشرك الأكبر الذي لم يفعله عبّاد الأوثان، بل هو أعظم منه بكثير!

#### فوائد:

كان العلماء رحمهم الله، من قديم الزمان ينكرون هذا الذي حدث في هذه الأمة؛ من تعظيم القبور وبنائها، وبناء المشاهد عليها والمساجد، ودعائها، وسؤال أهلها الحاجات وتفريج الكربات، ويبينون للناس أن هذا خلاف دين الإسلام الذي بعث الله به رسوله ﷺ ودخول في دين عبّاد الأوثان، فليس هذا الذي بينه الشيخ رحمه الله للناس؛ من النهي عن دعوة أهل القبور، والإشراك بهم، والتبرك بالأشجار والأحجار فهمة من تنقاء نفسه دون أن يفهمه أحد من علماء هذه الأمة، بل العلماء كلهم من جميع المذاهب مُطَبِّقُونَ على النهي عنه، والإنكار والتغليظ على مَنْ فَعَلَهُ مِنَ الْحَثِّ، وإزالة ما قدروا عليه من ذلك، ومراعي العلماء هم الذين يُعْتَدُّ بهم في معرفة الحلال والحرام، المشهورون بالعلم والمعرفة عند أهل الإسلام، الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم، بل يحاهدون في سبيل الله أهل البدع والآثام بحسب استطاعتهم وقدرتهم؛ إم باليد أو باللسان، أو بالقلب وهو أضعف مراتب الإيمان، وقد ثبت أن رسول الله ﷺ

قال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»<sup>(١)</sup> وقال عليه السلام: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»<sup>(٢)</sup> أخرجاه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومن ذلك ما ذكره الإمام أبو بكر الطرطوشي رحمته الله في كتابه المشهور الذي سمى «البعث على إنكار البدع والحوادث»<sup>(٣)</sup>: روى البخاري<sup>(٤)</sup> عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ قَبْلَ حُنَيْنٍ، وَنَحْنُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سَدْرَةٌ يَغْكُفُونَ حَوْلَهَا وَيَنْوُطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَمَرَرْنَا بِسَدْرَةٍ، فَقُنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتَ أَنْوَاطٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، هَذَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ» لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»<sup>(٥)</sup> فانظروا. رحمكم الله، أينما وَجَدْتُمْ سَدْرَةً أَوْ شَجَرَةً يَقْصِدُهَا النَّاسُ، وَيَعْظُمُونَ مِنْ شَأْنِهَا، وَيَرْجُونَ الْبَرَّةَ وَالشِّفَاءَ مِنْ قَبْلِهَا، وَيَنْوُطُونَ بِهَا الْمَسْمِيرَ وَالْخِرْقَ، فَهِيَ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَاقْطَعُوهَا. انتهى كلامه ﷺ<sup>(٦)</sup>.

فانظر، رحمك الله، إلى تصريح هذا الإمام بأن كل شجرة يقصدها الناس ويعظمونها، ويرجون الشفاء والعافية من قبلها، فهي ذات أنواط التي قل

(١) أخرجه مسلم (٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٨) ومسلم (١٣٣٧).

(٣) هكذا. وكتاب الطرطوشي سمى «الحوادث والبدع»، وأما «البعث على إنكار البدع والحوادث» فهو لأبي شامة - كما سيأتي -

(٤) لم يروه البخاري، وهي في (مختصر لحوادث وابدع ص ١٨): (روى أحمد).

(٥) أخرجه الترمذي (٢١٨٠) والإمام أحمد (٥ / ٢١٨) وصححه الشيخ الألباني (طلال الحية ٧٦).

(٦) لحوادث وابدع (ص ١٠٥).

رسول الله ﷺ لأصحابه لما طلبوا منه أن يجعل لهم شجرة كذات أنواط فقال: «الله أكبر، هذا كقول بني إسرائيل: ﴿حَجَلْ لَنَا إِنِّهَا﴾» مع أنهم لم يطلبوا إلا مجرد مشابهتهم في العكوف عندها وتعليق الأسلحة للتبرك، فنبين لك بهذا أن من جعل قبراً أو حجراً أو شجرة، أو شيئاً حياً أو ميتاً، مقصوداً له، وعظمه ودعاه، واستغث به وتبرك به، وعكف على قبره، فقد اتخذهُ إلهًا مع الله، فإذا كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه أنكر عليهم مجرد طلبهم منه مشابهة المشركين في العكوف وتعليق الأسلحة للتبرك، فما ظنك بما هو أعظم من ذلك وأظلم؛ الشرك الأكبر الذي حرّمه الله ورسوله، وأخبر أن أصلح الخلق لو يفعله لحبط عمله وصار من الظالمين، فصنوات الله وسلامه عليه كما بلغّ البلاغ المبين، وعرفنا بالله، وأوضح لنا الصراط المستقيم، فحقيق بمن نصح نفسه وآمن بالله واليوم الآخر ألا يغتر بم عليه أهل الشرك من عبادة القبور من هذه الأمة.

ومن ذلك ما ذكره لإمام محدث الشام عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، المعروف بـ«أبي شامة» من فقهاء الشافعية وقدمائهم، في كتابه الذي سماه «الباعث على إنكار البدع والحوادث»<sup>(١)</sup> في فصل البدع المُستَقْبَحَة، قال:

ثم هذه البدعة المُستَقْبَحَة تنقسم إلى قسمين: قسم تعرف العامة والخاصة أنه بدعة، إما محرمة وإما مكروهة. وقسم يظنه معظمهم، إلا من عصم، عبادة وقرّبات وطاعات وسُنَن.

فأما القسم الأول فلا نطول بذكره؛ إذ كُفِيََتْ مُؤَنَةُ الكلام فيه لاعتراف فاعله أنه ليس من الدين، لكن نبين من هذا القسم مما قد وقع فيه جماعة من جُهَال

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث (١/ ٢٥ - ٢٨)

العوام، الناذبين لسريعة الإسلام، التاركين للاقتداء بأئمة الدين من الفقهاء، وهو ما يفعله طوائف من المنتمين للفقر، الذي حقيقته الافتقار من الإيمان؛ من مؤاخاة النساء الأجانب والخنوة بهن، واعتقادهم في مشايخ لهم ضالين مُضِلِّين، يأكون في نهار رمضان من غير عذر، ويتركون الصلوات، ويخامرون النجاسات، غير مكترئين لذلك، فهم داخلون تحت قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذُرْ بِهِ اللَّهُ﴾ وبهذه الطرق وأمثالها كان مبدئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها.

ومن هذا القسم أيضاً ما قد عم الابتلاء به؛ من تزيين الشيطان للعامة تخليقَ الحيطان والعُمَد، وسرَّج مواضع مخصوصة في كل بلد يحكي لهم حاك أنه رأى في منامه بها أحداً ممن شهِرَ بالصلاح والولاية، فيفعلون ذلك ويحافظون عليه، مع تضييعهم فرائض الله تعالى وسننه، ويظنون أنهم متقربون بذلك، ثم يتجاوزون هذا إلى أن يَعُظَمَ وَقَعُ تلك الأماكن في قلوبهم، فيعظمونها، ويرجون الشفاعة لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لهم، وهي من بين عيون وشجر وحائط وحجر.

وفي مدينة دمشق، صانها الله تعالى من ذلك، مواضع متعددة: كعوية الحمى خارج باب توما، والعمود المخفق خارج البيت الصغير، والشجرة الملعونة اليابسة خارج باب النصر في نفس قارعة الطريق، سهَّل الله قطعها واجنائها من أصلها، مما أشبهها بذات أنوط الواردة في الحدث الذي رواه محمد بن إسحاق وسفيان بن عسنة، عن الزهري، عن سنان بن أبي سنان، عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، وكانت لقريش شجرة حضراء عظيمة، يأنونها كل سنة فيعقدون عليها سلاحيهم، ويعكفون عندها، وينبحون لها. وفي رواية: خرجنا مع النبي ﷺ قبل حنين، ونحن



حديثو عهد بكر، وللمشركين سِنَّدَرَة يعكفون عليها، وَيَنُوطُونَ بها أَسْبَحَتَهُمْ. يقال لها «ذات أنواط» فمررنا بسدره، فتدديد من جَنَّتِي الطريق. وحن نسر إلى حنين: يا رسول الله، اجعل لك ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال النبي ﷺ: «الله أكبر، هذا كما قال قوم موسى لموسى ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ ﴿لَتَرْكِبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ﴾»<sup>(١)</sup> أخرجه الترمذي بلفظ آخر، والمعنى واحد، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

قل الإمام أبو بكر الطرطوشي في كتابه المتقدم ذكره: فانظروا، رحمكم الله، أينما وجدتم سدره أو شجرة يقصدها الناس، ويعظمون من شأنها، ويرجون البرء والشفاء من قبلها، وَيَنُوطُونَ بها المسمير والخرق. فهي ذات أنواط، فاقطعوها.

قلت: ولقد أعجبني ما فعله الشيخ أبو إسحاق الجينبي. رحمه الله تعالى، أحد الصالحين ببلاد أفريقية، حكى عنه صاحبه الصالح أبو عبد الله محمد بن أبي العباس المؤدب أنه كان إلى جانبه عين تسمى «عين العافية» كانت العمه قد افْتُسِنُوا بها؛ يأتونها من الآفاق، مَنْ تَعَذَّرَ عليها نكاح أو ولد قالت: مضوا بي إلى العافية. فتعرف بها الفتنة. قل أبو عبد الله: فأنا في لَسَحَر ذات ليلة، إذ سمعت أذان أبي إسحاق نحوها، فخرجت فوجدته قد هدمها، وأَذَن الصبح عليها، ثم قال: اللهم إني هدمتها لك فلا ترفع لها رأساً. قل: فما رُفِعَ لها رأس إلى الآن.

قلت: وأدهى من ذلك وأمر إقدامهم على قطع الطريق السائلة. يجزون في

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨٠) والإمام أحمد (٥ / ٢١٨) وصححه الشيخ الألباني (ظلال

أحد الأبواب القديمة الثلاثة العادية، التي هي من بناء الجن في زمن نبي الله  
 سيمان بن داود عليه السلام، أو من بناء ذي القرنين. وقيل فيها غير ذلك، ما يؤدّن  
 بالتقدم على ما نقلناه في كتاب «تاريخ مدينة دمشق» حرسها الله تعالى. وهو  
 بالباب الشمالي. ذَكَرَ لَهُمْ بَعْضُ مَنْ لَا يُوَثِّقُ بِهِ، فِي شَهْرٍ سَنَةِ سِتْ وَثَلَاثِينَ  
 وَسِتَّمِائَةٍ، أَنَّهُ رَأَى مَنْامًا يَقْتَضِي أَنَّ ذَلِكَ الْمَكَانَ دُفِنَ فِيهِ بَعْضُ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَقَدْ  
 أَخْبَرَنِي عَنْهُ ثِقَةٌ أَنَّهُ اعْتَرَفَ لَهُ أَنَّهُ افْتَعَلَ ذَلِكَ، فَقَطَّعُوا طَرِيقَ الْمَارَةِ فِيهِ، وَجَعَلُوا  
 الْبَابَ بِكَمَلِهِ أَصْلَ مَسْجِدٍ مَغْصُوبًا، وَقَدْ كَانَ الطَّرِيقُ يَضِيقُ بِسَالِكِيهِ، فَتَضَاعَفَ  
 الضِّيقُ وَالْحَرَجُ عَلَى مَنْ دَخَلَ وَمَنْ خَرَجَ، ضَاعَفَ اللَّهُ عَذَابَ مَنْ تَسَبَّبَ فِي  
 بِنَائِهِ، وَأَجْزَلَ ثَوَابَ مَنْ أَعَانَ عَلَى هُدْمِهِ وَإِزَالَةِ عَتِدَتِهِ، اتَّبَاعًا لِسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي  
 هُدْمِ مَسْجِدِ الضَّرَارِ الْمُرْصَدِ لِأَعْدَائِهِ مِنَ الْكُفَرِ، فَلَمْ يَنْظُرِ الشَّرْعُ إِلَى كَوْنِهِ  
 مَسْجِدًا، وَهَدَمَهُ لَمْ يُقْصِدْ بِهِ مِنَ السُّوءِ وَالرَّذَى، وَقَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿لَا تَقُمْ  
 فِيهِ أَبَدًا﴾ أَسْأَلَ اللَّهَ الْكَرِيمَ مَعَاذَتَهُ مِنْ كُلِّ مَا يَخْلُفُ رِضَاهُ، وَأَلَّا يَجْعَلَ مِمَّنْ  
 أَضْلَاهُ فَاتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ. انْتَهَى مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ أَبُو شَامَةَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى<sup>(١)</sup>  
 وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَئِمَّةِ الشَّافِعِيَّةِ مِنْ أَهْلِ أَوَائِلِ الْقُرُونِ السَّابِعِ.

وقال الإمام أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي، رحمه الله تعالى: لم صعبت  
 التكليف على الجُهَّالِ وَالضَّعَّامِ، عَمَلُوا عَنْ أَوْضَاعِ الشَّرْعِ إِلَى أَوْضَاعٍ وَضَعُوهُ  
 لِأَنْفُسِهِمْ، فَسَهَّلْتُ عَلَيْهِمْ؛ إِذْ لَمْ يَدْخُلُوا بِهَا تَحْتَ أَمْرِ غَيْرِهِمْ. قَالَ: وَهُمْ عِنْدِي  
 كَعَارِ بِهَذِهِ الْأَوْضَاعِ؛ مِثْلَ تَعْظِيمِ الْقُبُورِ وَإِكْرَامِهَا، وَإِلْزَامِهَا لِمَا نَهَى عَنْهُ الشَّرْعُ؛  
 مِنْ إِبْعَادِ الشُّرُجِ، وَتَقْيِيلِهَا، وَتَخْلِيلِهَا، وَخُطْبِ الْمَوْتَى بِالْحَوَائِجِ، وَكُتْبِ الرُّقْعِ  
 فِيهَا «يَا مَوْلَايَ افْعَلْ بِي كَذَا، وَكَذَا» وَأَحْذِ تَرْبَتَهَا تَبَرُّكًا بِهَا، وَبِفَضْلِ الطَّيِّبِ عَلَى

(١) الباعث على إكرام السع والحوادث (١). ٢٥ - ٢٨

القبور. وشهد الرحال إليها، ولقاء الخرق على الشجر اقتداءً بمن عبد اللات والعري. والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكف، ولم يتمسح بآخر مسجد المومنين يوم الأربعاء، ولم يقر لحملون على جنازة: اصدق أبو بكر أو محمد وعلي. أو لم يعقد على قبر أبيه أزيًا بالجص ولاجرًا، ولم يخرق ثيابه إلى الذيل، ولم يرق ماء الورد على القبر. انتهى<sup>(١)</sup>.

فتأمل، رحمك الله تعالى. ما ذكره هذا الإمام، الذي هو أجل أئمة الحنابلة، بل من أجل أئمة الإسلام، وما كشفه من الأمور التي يفعلها الخواص من الأنام، فضلًا عن النساء والغوغاء والعوام، مع كونه في سادس القرون، والناس إذ ذاك لما ذكره يفعلون. وجهابذة العلماء والنقذة لذلك يشهدون، وحظهم من النهي مرتبته الثانية فهم به قائمون، يتضح لك فساد ما زخرفه المبطلون، وموة به، لمتعصبة والملحدون.

الفائدة الثانية: قال الشيخ تقي الدين<sup>(٢)</sup>: جاءت السنة أن يُسأل الله بأسمائه وصفته. فيقول: «أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم»<sup>(٣)</sup>، و«أسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد»<sup>(٤)</sup>،

(١) نقله عنه الإمام ابن القيم في: (إغاثة اللفظ ١ / ١٩٥).

(٢) ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ. وابن غنام يُلخص هذه العشرة من كتابه «الاستغاثة في لرد على البكري».

(٣) أخرجه أبو دود (١٤٩٧) ولساني (١٣٠٠) وابن ماجه (٣٨٥٨) وصححه الشيخ لأبني (صحيح بر ماجه ٣٨٥٨).

(٤) أخرجه أبو داود (١٤٩٥) والترمذي (٣٤٧٥) وسنن (١٣٠١) وابن ماجه (٣٨٤٧) وصححه الشيخ لأبني (صحيح أبي دود ١٣٤١).

وكذلك قوله: «أسألك بمعاقد العز من عرشك، ومنتهى الرحمة من كتابك، وباسمك الأعظم، وجدك الأعلى، وكلماتك التامة»<sup>(١)</sup>. مع أن هذا الدعاء الثالث في جواز الدعاء به قولان للعلماء.

قال الشيخ أبو الحسين القُدُورِيّ: قال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف قال: قال أبو حنيفة: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، وأكره أن يقول: بمعاقد العز من عرشك. أو يقول: بحق خلقت.

والجواز قول أبي يوسف. قال: قال أبو يوسف: بـ«معاقد العز من عرشك» هو الله تعالى، فلا أكره ذلك، وأكره «بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت والمشعر الحرام».

قال القُدُورِيّ: المسألة بخلقه لا تجوز؛ لأنه لا حق لمخلوق على الخالق، فلا تجوز. يعني وفاقاً.

وقال البلدحي في شرح «المختارة»: ويكره أن يدعو الله إلا به، فلا يقول: أسألك بفلان، أو بملائكتك، أو بأنبيائك، أو نحو ذلك؛ لأنه لا حق للمخلوق على الخالق. انتهى.

قلت: وهذا من أبي يوسف وأبي حنيفة وغيرهما يقتضي المنع أن يُسأل الله تعالى بغيره، وأم سؤال الميت أو الغائب، نبياً كان أو غيره، فهو من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين، لم يأمر الله تعالى به، ولا رسوله، ولا فعله أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين، وهذا مما يُعْتَمَد بالاضطرار من دين الإسلام، فإن أحداً منهم ما كان يقول إذا نزلت به برة أو عرّضت له حاجة لميت: يا سيدي يا فلان، أنا في

حسبك. أو: اقض حاجتي. كما يقوُّنه بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم في الموتى والعائنين. ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي ﷺ بعد موته، ولا بعيره من الأنبياء، لا عند قبورهم، ولا إذا بعدو عنها، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأنبياء ولا الصلاة عندها.

ولما قحط الناس في زمان عمر بن الخطاب استسقى بالعباس وتوسل بدعائه، وقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك إذا أجدبنا فتسقيننا، وإنا نتوسل إليك بعم نبيد فاسقنا. فَيُسْقَوْنَ. كما ثبت ذلك في صحيح البخاري<sup>(١)</sup>.

وكذلك معاوية رضي الله عنه، لما استسقى بأهل الشام توسل بيزيد بن الأسود الجرشى<sup>(٢)</sup> فهذا الذي ذكره عمر رضي الله عنه. تَوَسَّلَا مِنْهُمْ تَوَسَّلْ بدعاء النبي ﷺ وشفاعته في حياته، ولهذا توسلوا بعده بدعاء العباس، وبدعاء يزيد بن الأسود، وهذا هو الذي ذكره الفقهاء في كتاب «الاستسقاء» فقالوا: يستحب أن يَسْتَسْقِيَ بالصالحين، وإذا كانوا من أقارب رسول الله ﷺ فهو أفضل.

وقد كره العدماء، كمالك وغيره، أن يقوم الرجل عند قبر النبي ﷺ يدعو لنفسه. وذكروا أن هذا من البدع التي لم يفعلها السلف.

قال أصحاب مالك إنه إذا دخل المسجد، يدنو من القبر، فيسلم على النبي ﷺ ثم يدعو مستقبل القبلة، يولي ظهره، وقيل: لا يولي ظهره. وإنما اختفوا لما فيه من استدباره، فأما إذا جعل الحجرة عن يساره فقد زال المحذور بلا خلاف.

(١) صحيح البخاري (٣٥٠٧).

(٢) أخرجه أبو زرعة الدمشقي في (تاريخ دمشق ١ / ٦٨) ويعقوب القسوي في (المعروف والريخ ١ / ٢٦٨، ٢ / ٢٢١) وقال المحافظ ابن حجر: سند صحيح (الندحيص الحبير

ولعل هذا الذي ذكره الأئمة أحذوه من كراهة الصلاة إلى القبر، فإن ذلك قد ثبت النهي فيه عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup> فلم ينهى أن يتخذ القبر مسجداً، أو قبلةً أمروا بالآلا يتحرى الدعاء إليه، كما لا يصلى إليه.

قال مالك في «المبسوط»: لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو، ولكن يسلم ويمضي.

ولهذا، والله أعلم، حُرِّفَت الحجرة وثُلُثَت لِمَا بُنِيَتْ، فلم يُجْعَل حائطها الشمالي على سَمَتِ القبلة، ولا جُعِلَ مُسََّحًا.

وذكر الإمام أحمد وغيره أنه يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره؛ لثلاث يستدبره، وذلك بعد تحيته والصلاة والسلام عليه، ثم يدعو لنفسه. وذكروا أنه إذا حَيَّاه وصلى يستقبل وجهه بأبي هو وأمي ﷺ، فإذا أراد الدعاء جعل الحجرة عن يساره واستقبل القبلة ودعا، وهذا مراعاة منهم أن يفعل الداعي والزائر ما نهى عنه؛ من تحري الدعاء عند القبر.

وقد كره مالك رحمه الله، وغيره من أهل العلم لأهل المدينة كلما دخل أحداهم المسجد أن يجيء فيسلم على النبي ﷺ وصاحبيه، قال: وإنما يكون ذلك لأحدهم إذا قدم من سفر، أو أراد سفرًا، ونحو ذلك.

ورخص بعضهم في السلام عليه إذا دخل المسجد للصلاة ونحوه. وأما قصده دائماً للصلاة والسلام عليه فما علمتُ أحدًا أرخص في ذلك؛ لأن ذلك نوع من تخاذة عيداً، وأيضاً فإن ذلك بدعه؛ فقد كان المهاجرون والأنصار في

(١) أخرجه ابن حبان (الإحسان ٢٣٢٣) من حديث أسر أن نبي ﷺ نهى عن الصلاة إلى القبور. وصححه الشرح لألبانى (صحيح الجامع ٦٨٩٣).

عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، يجيئون إلى المسجد كل يوم خمس مرات يصلون، ولم يكونوا يأتون مع ذلك إلى القبر يسلمون عليه: لعلمهم رضي الله عنهم.  
 لما كان النبي صلى الله عليه وسلم يكرهه من ذلك، وما نهاهم عنه، ولأنهم كانوا يسلمون عليه حين دخول المسجد والخروج منه، وفي آخر الصلاة في التشهد، كما كانوا يسلمون عليه كذلك في حياته، والمأثور عن ابن عمر يدل على ذلك.

قال سعيد في سننه: حدثنا عبد الرحمن بن يزيد، حدثني أبي، عن ابن عمر أنه كان إذا قدم من سفر أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فصلى وسلم عليه وقال: السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه<sup>(١)</sup>. وعبد الرحمن بن يزيد وإن كان يُضَعَّف، لكن الحديث الصحيح عن نافع يدل على أن ابن عمر ما كان يفعل ذلك دائماً ولا غالباً.

وما أحسن ما قال مالك رحمته الله: لن يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها. ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم، ونقص إيمانهم، عُوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك وغيره، ولهذا كرهت الأمة استلام القبر وتقبيله، وبنوه بناء مَنَعُوا الناس أن يصلُّوا إليه.

ومما يبين حكمة الشريعة، وأنها كما قيل «سفينة نوح» مَنْ ركبها نجا، ومَنْ تخلف عنها غرق أن الذين خرجوا عن المشروع زَيْنَ لهم الشيطان أعمالهم حتى خرجوا إلى الشرك، فطائفة من هؤلاء يُصلُّون لميت، ويستدبر أحدهم القبلة ويسجد للفبر، ويقول أحدهم: القبلة قبلة العامة، وقبر الشيخ فلا فلة

(١) أحرجه عبد الرزاق (٣/ ٥٧٦) وأبو بكر بن أبي شبة (٣/ ٣٤١) والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٤٥) والحاظ ابن حجر رواه البيهقي موقوفاً سند صحيح (إنحرف

الخاصة. وهذا يفوله من هو أكثر الناس عبادة ورهبا. وهو شيخ متوع. ولعله أمثل أتبع شيخه بقوله في شيخه وآخر من أعيان الشيوخ المتبوعين. أصحاب الصدق والاجتهاد في العبادة والزهد. يأمر المرتد أول ما يتوب أن يذهب إلى قبر الشيخ. ويعكف عليه عكوف أهل التماثيل عليها. وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادة القبور؛ من الرقة والخشوع والدعاء وحضور القلب، ما لا يجده أحدهم في مساجد الله التي ﴿أُذِنَ أَنَّهُ لَن تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾. وآخرون يحججون للقبور. وطائفة صنفوا كتباً وسموها «مناسك حج المشاهد» كما صنف أبو عبد الله محمد بن النعمان، الملقب بـ«المفيد» أحد شيوخ الإمامية كتاباً في ذلك، وذكر فيه من الحكايات المكذوبة على أهل البيت ما لا يخفى كذبه على من له معرفة بالنقل.

وآخرون يسافرون إلى قبور المشائخ، وإن لم يسئوا ذلك نُسكاً وحجاً، فالمعنى واحد، وكثير من هؤلاء أعظم قصده من الحج قصد قبر النبي ﷺ لا حج البيت.

وبعض الشيوخ المشهورين بالدين والزهد والصلاح صنف كتاباً سماه «الاستغاثة بالنبي ﷺ في اليقظة والمنام» وقد ذكر في مناقب هذا الشيخ أنه حج مرة، وكان قبر النبي ﷺ منتهى قصده، ثم رجع إلى مكة، وجعل هذا من منافبه. فإن كان هذا مستحباً فينبغي لمن يجب عليه حج البيت، إن حج، أن يجعل المدينة منتهى قصده، ولا يذهب إلى مكة، فإنه زيادة كلفة ومشقة مع ترك الأفضل! وهذا لا يقوله عاقل.

وبسبب الخروج عن الشريعة صار بعض أكابر الشيوخ عند الناس، ممن يقصده الملوك والقضاة والعلماء والعامة. على طريقة ابن سبعين، قبل عنه به كان يقول: السيوف المحجوجة ثلاثة: مكة وبيت المقدس والبيت الذي



للمشركين في الهند. وهذا لأنه كان يعتقد أن دين اليهود حق ودين النصارى حق، وجاءه بعض إخواننا العرفين، قبل أن يعرف حقيقته، فقل له: أريد أن أسلك على يدك. فقال: على دين اليهود والنصارى أو المسلمين؟ فقل له: واليهود والنصارى أليسوا كفارًا! فقل: لا تشدد عليهم، ولكن الإسلام أفضل. ومن الناس من يجعل مقبرة الشيخ بمنزلة عرفات، يسافرون إليها وقت الموسم، فيُعرفون بها كما يُعرف المسلمون بعرفات، كما يُفعل هذا في المغرب والمشرق.

ومنهم من يحكي عن الشيخ الميت أنه قال: كل خطوة إلى قبري كحجة، ويوم القيامة لا أبيع بحجة. فأنكر بعض الناس ذلك، فتمثل له الشيطان بصورة الشيخ، وزجره عن إنكار ذلك.

وهؤلاء وأمثالهم صلاتهم وتُسكُّهم لغير الله رب العالمين، فيسبون على ملة الحنفية، وليسوا من عمار مساجد الله التي قال الله فيها: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَمَنَ بِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ وعُمَرُ مشهد المقابر يُخشون غير الله، ويرجون غير الله، حتى أن طائفة من أرباب الكبر، الذين لا يُخشون الله فيم يفعلونه من القبائح، إذ رأى قبة الميت، أو الهلال الذي على رأس القبة، يخشى من فعل الفواحش. ويقول أحدهم لصاحبه: ويحك! هذا هلال القبة! فيُخشون المدفون تحت الهلال ولا يخشون الذي خلق السموات والأرض، وجعل أهلة السماء مواقيت للناس والحج!

وهؤلاء إذ نُوبِظُوا خَوْفُوا مُنَازَرَتِهِمْ، كما صنع المشركون مع إبراهيم، عبه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَحَآخَمَهُ قَوْمُهُ قَالَ اتَّخَذْتُنِي إِلَهًا وَدَدْتُنِي إِلَٰهًا وَتَضَعُنِي فِي صَفْوَىٰ مَنَازِلِ اللَّهِ﴾. وكَبَفَ حَافَ مَنَ شَرَكْتُهُ وَلَا تَخَافُوكَ أَنْتُمْ أَتَمَرَكُمُ بِأَسْوَىٰ مَا لَكُمْ يُبَرِّئُ بِهِ

عَلَيْكُمْ سَطَنًا فَإِنَّ لَفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْرِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :  
﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُنْتَهَدُونَ﴾ .

وآخرون قد جعلوا الميت بمنزلة الإله ، والشيخ الحي المتعلق به كالنبي ، فمن  
الميت تُطْلَبُ قضاء الحاجات وكشف الكربات ، وأما الحي فالحلال ما حلَّه  
والحرام ما حرَّمه . وكأنهم في أنفسهم قد عزلوا الله أن يتخذوه إلهًا ، وعزلوا  
محمدًا ﷺ أن يتخذوه رسولًا . وقد يجيء القريب العهد بالإسلام والتابع لهم  
المُحْسِنُ الظَّنُّ بهم ، أو غيره ، يطلب من الشيخ الميت إما دَفْعَ ظلم مَبْدِيٍّ يريد أن  
يظلمه ، أو غير ذلك . فيدخل ذلك السادن فيقول : قد قلت للشيخ ، والشيخ يقول  
للنبي ، والنبي يقول لله ، والله قد بعث رسولاً إلى السلطان فلان . فهل هذا إلا  
محض دين المشركين والنصارى ، وفيه من الكذب والجهل ما لا يستجيزه كل  
مُشْرِكٍ أو نصراني ، ولا يَرُوجُ عليه ؟

ويأكلون من النذور ، والمنذور ما يؤتى به إلى قبورهم ، ما يدخلون به في  
معنى قوله تعالى : ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ  
بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ، فإنهم يأكلون أموال الناس بغير حق ،  
ويصدون عن سبيل الله ، ويعوضون بأنفسهم ويمنعون غيرهم ، إذ التبع لهم  
يعتقد أن هذا هو سبيل الله ودينه ، فيمتنع لسبب ذلك من الدخول في دين الحق  
الذي بعث الله به رسوله ، وأنزل به كتبه .

والله سبحانه لم يذكر في كتابه المشهد ، بل ذكر المساحد ، وأنها خالصة  
لوجهه ، قال تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ ، وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا  
تَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ، وقال تعالى : ﴿فِي سُورَةِ آدِنَ أَنَّ  
أَنْ تَرْفَعُ وَيَذْكُرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ ، وقال تعالى : ﴿وَتَوَلَّأَ دَفْعُ اللَّهِ الشَّرَّ عَنْهُمْ سَعْيًا  
هُمْ مَّتَّ صَوْمُعُ وَبَعِثَ وَصَلَاتٍ وَمَسْجِدٍ﴾ . ولم يذكر بيوت الشرك . كبيوت النيران

والأصنام والمشاهد؛ لأن الصوامع والبيع لأهل الكتاب، فالممدوح من ذلك ما كن مببًا قبل النسخ والتبديل، كما أننى على اليهود والنصارى والصابئين الذين كانوا قبل النسخ والتبديل، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون الصالحات، فيوت الأوثان وبيوت النيران وبيوت الكواكب وبيوت لمقابر لم يمدح الله شيئًا منها، ولم يذكر ذلك إلا في قصة من لعنهم النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِيكْ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ مِنْهُمْ مَسْجِدًا﴾. فهؤلاء الذين اتخذوا مسجدًا على أهل الكهف كانوا من النصارى الذين لعنهم النبي ﷺ حيث قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»<sup>(١)</sup> وفي رواية: «وصالحهم»<sup>(٢)</sup> ودعاء المقبورين من أعظم الوسائل إلى ذلك.

وقد قدم بعض شيوخ المشرق، فتكلم معي في هذا، فبيئت له فساد هذا، فقال: كيف وقد قال النبي ﷺ: «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور»؟ فقلت: هذا مكذوب باتفاق أهل العلم، لم يرو عن النبي ﷺ أحد من علماء الحديث، وبسبب هذا وأمثله ظهر مصدق قول النبي ﷺ: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَدُّو الْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتموه» قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن!»<sup>(٣)</sup>.

وهؤلاء الغلاة المشركون إذا حصل لأحدهم مطلبه، ولو من كفر، لم يُقْبَل على الرسول، بل يطلب حاجته من حيث يظن أنها تُقْضَى، فتارة يذهب إلى ما يظنه قبر رحل صالح، ويكون فيه قبر كافر أو مدفق، وتارة يعلم أنه كافر أو منافق فيذهب إليه، كما يذهب قوم إلى الكنيسة، أو إلى مواضع يقال لهم إنها

(١) أخرجه البحاري (٤٣٥) ومسلم (٥٢٩).

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٥٦) ومسلم (٢٦٦٩).

نقبل النذر، فهذا يقع فيه عامتهم، وأما الأول فيقع فيه خاصتهم.

والمقصود هنا أن كثيراً من الناس يعظم من يكون في الباطن كفرة أو منافقاً، ويكون هذا عنده والرسول من جنس واحد؛ لا اعتقاده أن الميت يقضي حاجته إذا كان رجلاً صالحاً، وكلاً هذين عنده من جنس واحد، يستغيث به، وكم من مشهد يعظمه الناس وهو كذب، بل يقال إنه قبر كافر، كالمشهد الذي بسفح جبل لبنان، الذي يقال إنه «قبر نوح» فإن أهل المعرفة يقولون إنه قبر بعض العمالة، وكذلك مشهد الحسين الذي بالقاهرة، وقبر أبي بن كعب الذي بدمشق، اتفق العلماء أنها كذب، ومنهم من قل إنهما قبران لنصرانيين. وكثير من المشاهد نازع فيها وعندها شيطان تُضِلُّ بسببها مَنْ تُضِلُّ.

ومنهم من يرى في المنام شخصاً يظن أنه المقبور، ويكون ذلك شيطاناً تصوّر بصورته، كالشيطان الذين يكونون بالأصنام، وكالشياطين الذين يتمثلون لمن يستغيثون بالأصنام والموتى والغائبين، وهذا كثير في زماننا وغيره، مثل أقوام يرصدون بعض التماثيل التي بالبراني بديار مصر، بأخميم وغيره، يرصدون التماثيل مدة، لا يتطهرون طهر المسممين، ولا يصلون صلاة المسلمين، ولا يقرأون، حتى يتعلق الشيطان تلك الصورة، فيراها تتحرك، فيطمع فيها أو غيرها، فيرى شيطاناً قد خرج له، فيسجد لذلك الشيطان حتى يقضي بعض حوائجه.

ومثل هؤلاء كثير في شيوخ الترك الكفار، يسمونه السوي. وهو المخنث عندهم، إذا طلبوا منه بعض هذه الأمور، أرسوا له من ينكحه، ويصبون له حركات عالية في لبنة ظلماء، وقرنوا له خبزاً وميتة، وعوا غناء ينسبه، بشرط ألا يكون عنده من يذكر الله، ولا هناك شيء فيه شيء من ذكر الله، ثم يصعد ذلك الشيخ المفعول به في الهواء، ويروون الدف بطير في الهواء، ويضرب من

مَدَّ يده إلى الحبز، ويضرب الشيطان بآلات اللهو، وهم يسمعون، ويغني لهم الأعاني التي كانت تغنيها أبؤهم الكفار، ثم قد يعيب، وكذلك الطعام، وقد نقل إلى بيت البوي، وقد لا يغيب، ويقربون له ميتة يحرقونها بالنار، ويقضي بعض حوائجهم.

ومثل هذا كثير جداً للمشركين، فالذي يجري عند المشاهد من جنس ما يجري عند الأصنام، وقد تَقَيَّنْتُ بطرق متعددة أن ما يُشْرِكُ به من دون الله؛ من صنم وقبر وغير ذلك، قد يكون عنده شياطين تُضِلُّ من أشرك به، وأن تلك الشياطين لا يقضون إلا بعض أغراضهم، وإنما يقضون بعض أغراضهم إذا حصل لهم من الشرك والمعصي ما يحبه الشيطان، فمنهم من يأمر الداعي أن يسجد له، ومنهم من يأمره بالفواحش، وقد يفعلها الشيطان، وقد ينهاء عما أُمِرَ به من التوحيد والإخلاص والصلوات الخمس وقراءة القرآن ونحو ذلك.

والشياطين تُغْوِي الإنسان بحسب ما تطمع منه، فإن كان ضعيف الإيمان أَمَرَتْهُ بالكفر اليقين، وإلا أَمَرَتْهُ بما هو فسق أو معصية، وإن كان قليل العلم أَمَرَتْهُ بما لا يَعْرِفُ أنه مخالف للكتاب والسنة، وقد وقع في هذا النوع كثير من الشيوخ الذين لهم نصيب وافر من الدين والزهد والعبادة، لكن لعدم علمهم بحقيقة الدين الذي بعث الله به رسوله ﷺ طَمَعَتْ فيهم الشياطين، حتى أوقعوهم فيما يخالف الكتاب والسنة.

وقد جرى لغير واحد من أصحابنا المشايخ، أنه كان يَسْتَعِثُّ بأحدهم بعض أصحابه، فيرى الشيخ قد جاء في البقطة حتى قصى ذلك المطلوب، وإنما هي شياطين تتمثل للمشركين الذين يدعون غير الله، والجن بحسب الإنس، والكفر للكفر، والفاجر للفاجر، والجاهل للجاهل، وأما أهل العلم والإيمان فاتبَعُوا الجن لهم كَتَّبَاعِ الإنس، تَتَّبَعُونَهُ فيما أَمَرَ الله به ورسوله.

وكان رجل يباشر التدريس ويتنصب إلى الفتيا، كان يقول: السبي ﷺ يعلم ما يعلمه له، ويقدر على ما يقدر له عليه، وأن هذا السر انتقل بعده إلى الحسن، ثم انتقل في ذرية الحسن إلى لشيخ أبي الحسن الشاذلي وقالو: هذا مقدم القطب الغوث الفرد الجامع.

وكان شيخ آخر معظّم عند أتباعه يدعي هذه المنزلة ويقول إنه المهدي الذي بشر به النبي ﷺ وإنه يزوج عيسى ابنته، وأن نواصي الملوك والأولياء بيده، يولي من يشاء ويعزل من يشاء، وأن الرب يناجيه دائماً، وأنه الذي يمد حملة العرش وحيثان البحر، وقد عزّزته تعزيزاً بيغاً في يوم مشهود، بحضرة من أهل المسجد الجامع، يوم الجمعة بالقاهرة، فعرفه الناس، وانكسر بسببه أشباهه من الدجاجة.

ومن هؤلاء من يقول: قول الله سبحانه: ﴿يَا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ \* يَتَّبِعُونَ يَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ وَتُفَرِّقُهُمْ وَيُؤَيِّدُهُمْ وَتُؤَيِّدُهُمْ وَتُؤَيِّدُهُمْ وَتُؤَيِّدُهُمْ وَأَمَّا أَنْ الرَسُولُ هُوَ الَّذِي يُسَبِّحُ بَكْرَةً وَأَصِيلاً.

ومنهم من يقول: إن الرسول ﷺ يعلم مفاتيح الغيب الخمس التي قال ﷺ فيها: «خمس لا يعلمهن إلا الله: إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت»<sup>(١)</sup> وقال إنه عَمِمَها بعد أن أخبر أنه لا يعلمها إلا الله.

ومنهم من يقول: أَسْبَقْتُ الربوبية وقل في الرسول ما شئت.

ومهم من يقول: نحن نعبد الله ورسوله.

(١) أخرجه البخاري (٤٦٢٧) من حديث أبي هريرة، ومسلم (٩) من حديث ابن عمر.

ومنهم من يأتي قبر الميت فيقول: اغفر لي وارحمني ولا توقعني على رلة.  
إلى أمثال هذه الأمور التي يتخذ فيها المخلوق إلهاً.

أقول: وهذه سنة مأثورة، وطريقة مسلوكة، والله غير مهجورة، وضلالة واضحة مشهورة، وبدعة مشهودة غير منكورة، وأعلامها مرفوعة مشهورة، وآياتها منصورة غير مكسورة، وبراهينها غير محدودة ولا محصورة، ودلائلها في كثير من المصنفات والمنظّمات مذكورة، كما قال في البردة، وبين في ذلك قصّده:

دع ما ادّعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم  
فلان من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم  
ولو نطيل بنقل هذه الأخبار، لحبّرنا منه أسفار، فلنكف عنان القلم اليراع في  
هذا الميدان، فالحكم والله لا يخفى على ذي عين، بل أجلى من ضياء الشمس  
في البيان، فلما استقر هذا في نفوس عامتهم، تجد أحدهم إذا سئل عمن  
ينهاهم: ما يقول هذا؟ فيقول: فلان عنده ما نثم إلا الله. لما استقر في نفوسهم  
أن يجعلوا مع الله إلها آخر، وهذا كله وأمثاله وقع ونحن بمصر.

وهؤلاء الضالون مُسْتَحْفُوتُونَ بتوحيد الله، ويعظمون دعاء غير الله من  
الأموات، فإذا أُمِرُوا بالتوحيد ونُهِوا عن الشرك اسْتَحْفُوتُوا بِمَنْ أَمَرَهُم بتوحيد  
الله، كما أخبر الله تعالى عن المشركين، يقول: ﴿وَذَا رَأْفَةٍ بِذُنُوبِ الْكَافِرِينَ لَا يَلْزَمُهُمْ سَبُّ مَنْ كَفَرَ بِهِمْ وَقَوْلُ الْقَافِرِينَ تِلْكَ آيَاتُ الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ مُبِينٌ﴾ وقال تعالى عن  
المشركين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَخِرُوا مِنْهُ لَعَنَ اللَّهُ الْكُفْرَ وَالْعِصْيَانَ إِنَّهُم مُّجْرِمُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَعَبَّوْا أَلْسِنَهُمْ مِمَّا رَفَعُوا فِي كُفْرِهِمْ هَذِهِ آيَاتُ الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ مُّبِينٌ﴾ وما زال المشركون  
يسفّهون الأنبياء، ويصفونهم بالجنون والضلال والسفاهة، كما قال قوم نوح

لنوح، وعِدِّ لِهَوْدٍ ﷺ، قالوا: ﴿اجْتَنَبْ لِنَعْتِدَ اللَّهَ وَحَدُّهُ﴾ فَأَعْطَمَ مَا سَقَّهوه لأحده وأنكروه هو الوحيد، وهكذا نجد مَنْ فِيهِ شَبَهٌ مِنْ هَؤُلَاءِ مِنْ بَعْضِ الوجوه، إِذَا رَأَى مَنْ يَدْعُو إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَإِخْلَاصِ الدِّينِ لَهُ، وَأَلَّا يَعْبُدَ الْإِنْسَانُ إِلَّا اللَّهَ، وَلَا يَتَوَكَّلَ إِلَّا عَلَيْهِ، اسْتَهَنَ بِذَلِكَ؛ لِمَا عِنْدَهُ مِنَ الشَّرْكِ.

وكثير من هَؤُلَاءِ يَخْرُبُونَ الْمَسَاجِدَ وَيَعْمُرُونَ الْمَشَاهِدَ، فَتَجِدُ الْمَسْجِدَ الَّذِي بُنِيَ لِلصَّلَاةِ الْخَمْسِ مَعْظَلًا مَخْرَبًا، لَيْسَ لَهُ كُسُوةٌ إِلَّا مِنَ النَّاسِ، وَكَأَنَّهُ خَانَ مِنَ الْخَذَاتِ، وَالْمَشْهَدَ الَّذِي بُنِيَ عَلَى الْمَيِّتِ فَعْبِيهِ السُّتُورَ وَزِينَةَ الذَّهَبِ وَالْفُضَّةِ وَالرَّخَامِ، وَالنُّذُورَ تَغْدُو وَتَرُوحُ إِلَيْهِ، فَهَلْ هَذَا إِلَّا مِنْ اسْتِخْفَافِهِمْ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ، وَتَعْظِيمِهِمْ الشَّرْكَ، فَإِنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ دَعَاءَهُمْ لِلْمَيِّتِ الَّذِي بُنِيَ لَهُ الْمَشْهَدُ، وَالِاسْتِغَاثَةُ بِهِ أَنْفَعُ لَهُمْ مِنْ دَعَاءِ اللَّهِ وَالِاسْتِغَاثَةُ بِهِ فِي الْبَيْتِ الَّذِي بُنِيَ لِلَّهِ ﷻ. فَفَضَّلُوا الْبَيْتَ الَّذِي بُنِيَ لِدَعَاءِ الْمَخْلُوقِ عَلَى الْبَيْتِ الَّذِي بُنِيَ لِدَعَاءِ الْخَالِقِ.

وَإِذَا كَانَ لِهَذَا وَقْفٌ وَلِهَذَا وَقْفٌ، كَانَ وَقْفُ الشَّرْكِ أَعْظَمَ عِنْدَهُمْ، مِثْلَ مِثْلِهِمْ لِمَشْرُكِ الْعَرَبِ الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّهُ حَالَهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِثْلَ دَرَجَاتٍ مِنَ الْحَرِّ وَالْأَنْكَمِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَكَذَا اللَّهُ بِرَعْمِهِمْ﴾ الْآيَةُ، كَانُوا يَجْعَلُونَ لِلَّهِ زَرْعًا وَمَاشِيَةً، وَلَأَهْلَهُمْ زَرْعًا وَمَاشِيَةً، فَإِذَا أَصِيبَ نَصِيبُ آلِهِمْ أَخَذُوا مِنْ نَصِيبِ اللَّهِ فَوَضَعُوهُ فِيهِ، وَقَالُوا: اللَّهُ غَنِيٌّ وَآلَهُتُنَا فَقِيرَةٌ! فَيَفْضُلُونَ مَا تَجْعَلُونَ لغيرِ اللَّهِ عَلَى مَا يُجْعَلُ لِلَّهِ، وَهَكَذَا حَالُ هَؤُلَاءِ، الْوُقُوفُ وَالنُّذُورُ الَّتِي تُبْذَلُ عِنْدَهُمْ لِلْمَشَاهِدِ أَعْظَمَ مِمَّا يُبْذَلُ عِنْدَهُمْ لِمَسَاجِدَ، وَلِعُمَارِ الْمَسَاجِدِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وهَؤُلَاءِ إِذَا قَصَّدَ أَحَدُهُم الْقَبْرَ الَّذِي يَعِظُمُهُ، بَكَى عِنْدَهُ وَخَضَعَ، وَيَدْعُو وَيَتَضَرَّعُ، وَيَجْعَلُ لَهُ مِنَ الرِّقَّةِ وَالتَّوَاضُّعِ وَالْعِبُودِيَّةِ وَحُضُورِ الْقَلْبِ مَا لَا يَحْصُلُ



له مشه في الصلوات الخمس والجمعة وقيام الليل وقراءة القرآن، فهل هذا الأمر إلا من حال المشركين المبتدعين، لا الموحدين المخلصين المُنْبِيعِينَ لكتاب الله وسنة رسوله!

ومثل هذا إذا سمع أحدهم الآيات، يحصل له من الحضور والخشوع والبهاء ما لا يحصل له مثله عند سماع آيات الله، فَيَخْشَعُ عند سماع المُنْبِيعِينَ المشركين، ولا يخشع عند سماع المُنْقِيبِينَ المَخْبِصِينَ، بل إذا سمعوا آيات الله استقلوها وكرهوها، واستهزأوا بها وَمَنْ يقرأ بها، فيحصل له أعظم نصيب من قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيْلَهُ وَعَائِنَهُ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ وإذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية، وألسن لاغية، كأنهم صم عمي، وإذا سمعوا الآيات حضرت قلوبهم، وسكنت ألسنتهم. وسكنت حركاتهم، حتى لا يشرب العطشان منهم.

ومن هؤلاء مَنْ إذا كانوا في سماعهم، فأذُن المؤذُن، قالوا: نحن في شيء أفضل مما دعان إليه.

ومنهم من يقول: كذ في الحضرة، فإذا قمنا إلى الصلاة صرنا إلى الباب. وقد سألني بعضهم عَمَّنْ قال ذلك من هؤلاء الشيوخ الضلال، فقلت: كَذَبٌ، كن في حضرة الشيطان، فصار عني باب الله، فإن البدع والضلال فيها من حضور الشيطان ما قد فُضِّلَ في غير هذا الموضع.

والدين جمعوا دعاء الموتى: من الأنبياء والأئمة والشيوخ، أفضل من دعاء الله، أنواع متعددة، منهم من تقدم، ومنهم من يحكى أنواعاً من الحكايات أن بعض المريدين استغاث بالله فلم يغيثه. واستغاث بشيخه فأعاثه، وحكية أن بعض المأسورين في بند العدو دع الله فلم يخرجهم، ودع بعض المشايخ

الموتى فأخرجه إلى بلاد الإسلام، وحكاه أن بعض المشايخ قول لمريده: إذا كنت لك إلى الله حاجة فتعال إلى قبري. وآخر قال: فتَوَسَّلْ إلى الله بى. وآخر قال: قبر فلان هو لترياق المجرب. فهؤلاء وأشباههم يرجحون هذه الأدعية على أدعية المخلصين لله، مضاهاةً لسائر المشركين، وهؤلاء يتمثل لكثير منهم صورةً شيخه الذي يدعو، فيظنه إياه، أو ملكًا على صورته، وإنما هو شيطان أغواه.

ومن هؤلاء من إذا نزلت به شدة لا يدعو إلا شيخه، ولا يذكر إلا اسمه، قد لَهَجَ به كما يَلْهَجُ الصبي بذكر أمه، فيتعس أحدهم فيقول: يا فلان. وقد قال الله للمؤمنين: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مَسْكِكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾. ومن هؤلاء من يحلف بالله ويكذب، ويحلف بشيخه وإمامه فيصدق، فيكون شيخه عنده وفي صدره أعظم من الله، فإذا كان دعاء الموتى؛ مثل الأنبياء والصالحين. يتضمن هذا الاستهزاء بالله وآياته ورسوله؛ فأى الفريقين أحق بالاستهزاء بالله وآياته ورسوله؟ من كن يأمر بدعاء الموتى والاستغاثة بهم، مع ما يترتب على ذلك من الاستهزاء بالله وآياته ورسوله، أو من كان يأمر بدعاء الله وحده لا شريك له كما أَمَرَتْ رُسُلُهُ. ويوجب طاعة الرسول ومتابعته في كل ما جاء به؟!

وأيضًا: فإن هؤلاء الموحدين من أعظم الناس رعايةً لجانب الرسول، ونصديقًا له فيما أخبر، وطاعةً له فيما أَمَرَ، واعتناءً بمعرفة ما بُعِثَ به، والتمييز بين ما رُوِيَ عنه من الصحيح والضعيف، والصدق والكذب، واتّباع ذلك دون مخالفة، عملاً بقوله تعالى: ﴿تَسْبِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَسْعَوْا مِن دُونِهِ. أُولَئِكَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

وأما أولئك الضَّلال، أشباه المشركين والنصارى. فَعُمَّتْهُمْ إمَّ أحاديث

ضعيفة، أو موضوعات، أو مقولات عمّن لا يُحتجّ بقوله، إما أن تكون كذباً عليه، وإما أن يكون غلطاً منه، إذ هي نقل غير مصدق، عن قائل غير معصوم، وإن اعتصموا بشيء مما ثبت عن الرسول حرفوا الكتم عن مواضعه، وتمسكوا بمتشابهه، وتركوا مُحْكَمَه، كما فعله النصاري، وهذا ما علمته يُنْقَلُ عن أحد من العلماء، لكنه موجود في كلام بعض الناس، مثل الشيخ يحيى الصرصري، ففي شعره قطعة منه، والشيخ محمد بن النعمان، وكتب «المستغِيثين بالنبي ﷺ في اليقظة والمنم» وهؤلاء لهم صلاح ودين، لكن ليسوا من أهل العلم العالمين بمدارك الأحكام، الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الإسلام، ومعرفة الحلال والحرام. وليس لهم دليل شرعي، ولا نقل عن عالم مرضي، بل عادة جُري عليها، كما جرت عادة كثير من الناس بأنه يستغيث بشيخه في الشدائد ويدعوه، وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم، ولهم صلاح وعلم وزهد، إذا نزل به أمر خَطَا إلى جهة الشيخ عبد القادر خطوات معدودة واستغاث به، وهذا يفعله كثير من الناس، ولهذا لم نُبَيِّنْ مَنْ نُبَيِّنْ مِنْ فضلائهم تنبهوا وعلموا أن ما كنوا عليه ليس من دين الإسلام، بل هو مشابهة لِعِبَادِ الْأَصْنَمِ.

ونحن نعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي ﷺ لم يَشْرَعْ لأمته أن يدعو أحداً من الأموات، لا الأنبياء ولا غيرهم، ولا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا إلى ميت، ونحو ذلك، بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور، وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، لكن لغلبة الجهل، وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين، لم يُمكنْ تكفيرهم بذلك حتى يُبينَ لهم<sup>(١)</sup> ما جاء به الرسول مما يخالفه، ولهذا ما بينتُ هذه

(١) حَرَفَ بعض لماوئين بدعوة للسعيه هذه اللفظة إلى «حتى يتين» لمقصود يظال =

المسألة قط لمن يعرف دين الإسلام إلا تعطن لها وقال: هذا أصل دين الإسلام وكان بعض أكابر الشيوخ العرفين من أصحابنا يقول: هذه أعظم ما بيّنته لنا. لعلمه بأن هذا أصل الدين، وكان هذا وأمثاله في ناحية أخرى يدعون الأموات ويسألونهم، ويستجيرون بهم ويتضرعون إليهم، وربما كان ما يفعلونه بالأموات أعظم؛ لأنهم إنما يقصدون الميت في ضرورة نزلت بهم، فيدعون دعاء المضطر، راجين قضاء حاجتهم بدعائه، أو الدعاء به، أو الدعاء عند قبره، بخلاف عبادتهم للذي دعاهم إليه، فإنهم يفعلون في كثير من الأوقات على وجه العادة والتكلف، حتى أن العدو الخارج عن شريعة الإسلام لما قدم دمشق، خرجوا يستغيثون بالموتى عند القبور التي يرجون عندها كشف ضرهم، قال بعض الشعراء:

يا خائفين من التتر لودوا بقبر أبي عمر  
أو قال:

عوذوا بقبر أبي عمر ينجيكم من الضر  
فقلت لهم: هؤلاء الذين تستغيثون بهم، لو كانوا معكم في القتل لانهمزوا كما انهزم جماعة من المسلمين يوم أحد، فإنه كان قضى أن العسكر ينكسر لأسباب اقتضت ذلك، والحكمة كانت لله في ذلك، ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والمكاشفة لم يقاتوا في تلك المرة؛ لعدم القتال الشرعي الذي أمر الله به ورسوله، فلما كانت بعد ذلك جعلنا نأمر الناس بإخلاص الدين لله،

= قيام الحاجة على مرتكبي شرك؛ لأن كل واحد منهم سيرعهم أنه م «يسين» له الأمر! انظر لرد على تحريفهم كلام شيخ الإسلام في «مصباح الطلام»؛ لشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن (ص ٤٩٧ - ٥٠٤)، و«الأسنة الحداد»؛ لشيخ ابن سحمان (ص ١٥٧ - ١٥٨).

والاستغاثه به، وأنهم لا يستغيثون إلا إياه، ولا يستغيثون بملكٍ مُقَرَّبٍ ولا بغيرِ مُرْسَلٍ، فلما أصلح الناس أمورهم، وصدقوا في الاستغاثه بربهم، نصرهم على عدوهم نصرًا عزيزًا لم يتقدم نظيره، ولم تُهزم التتار مثل هذه الهزيمة أصلاً، ثمَّ صحَّ من توحيد الله وطاعة رسوله ما لم يكن قبل ذلك، فإن الله ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، كما قل تعالى في يوم بدر: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾.

وروي أن النبي ﷺ كن يقول يوم بدر: «يا حي يا قيوم، لا إله إلا أنت، برحمتك أستغيث»<sup>(١)</sup> وفي لفظ: «أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفه عين، ولا إلى أحد من خلقك»<sup>(٢)</sup> وهؤلاء يدعون الميت أو الغائب، فيقول أحدهم: بكت أستجير، أغثنا، أجزنا. ويقول: أنت تعلم ذنوبي، ومنهم من يقول للميت: اغفر لي وارحمني وتب عليّ. ونحو ذلك، ومن لم يقل هذا من عقلائهم فإنه يقول: أشكو إليك ذنوبي، وأشكو إليك عدوي، وأشكو إليك جورَ الولاة وظهور البدع، أو جذب الزمان. وغير ذلك، فيشكون إليه ما حصل من ضرر في الدين أو الدنيا، ومقصوده بالشكوى أن يُشْكِيَهُ فَيُزِيلَ ذلك الضرر. وقد يقول مع ذلك للميت: أنت تعلم ما نزل بنا من الضرر، وأنت تعلم ما فعلته من

(١) أخرج ابنسائي في السنن الكبرى (١٥٦ / ٦) من حديث علي رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر قتلت شيك من قتال، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ أنظر ما صنع، فبحث فإذا هو ساجد يقول: «يا حي يا قيوم، يا حي يا قيوم» ثم رجعت إلى القتال، ثم جئت فإذا هو ساجد لا يزيد على ذلك، ثم ذهبت إلى القتال، ثم جئت فإذا هو ساجد يقول ذلك، ففتح الله عليه.

(٢) أخرج أبو بكر الشيباني في الأحاد والمثاني (٢٩٢٥) عن رجل من بني زريق عن أبيه عن جده قال: أكثر دعاء لبي ﷺ يوم أحد: «يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث، اكفني كل شيء، ولا تكلني إلى نفسي طرفه عين»

الذنوب. فيجعل الميت أو الحي الغائب علمًا بذنوب العبد وجراياتهم. التي يمتنع أن يعلمها بشر، حي أو ميت.

وعقلاؤهم يقولون: مقصودنا أن نسأل الله لنا وَيَشْفَعَ لنا. ويظنون أنهم إذا سألوه بعد موته أن يسأل الله لهم، فإنه يُسأل وَيَشْفَعُ كما كان يُسأل وَيَشْفَعُ لما سألته الصحابة الاستسقاء وغيره، وكان يَشْفَعُ يوم القيامة إذا سئل الشفاعة. ولا يعلمون أن سؤال الميت أو الغائب غير مشروع البتة، ولم يفعله أحد من الصحابة، بل عدلوا عن سؤاله وطلب الدعاء منه. وأن الرسول ﷺ وسائر الأنبياء والصالحين وغيرهم لا يُطْلَب من أحدهم بعد موته من الأمور ما كان يُطْلَب منه في حياته. انتهى كلام الشيخ رحمه الله، ملخصًا.

فانظر، رحمك الله، إلى ما ذكره هذا الإمام من أنواع الشرك الأكبر، الذي قد وقع في زمانه ممن يدعي المعرفة والدين، ينتصب للفتيا والقضاء، لكن نبههم الشيخ رحمه الله، على ذلك وبين لهم أن هذا من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، فَتَنَّبَهُ مَنْ تَنَّبَهُ مِنْهُمْ، وتب إلى الله، وعرف أن ما كان عليه شرك وضلال، وانقاد للحق، وهذا ما يبين لك غربة الإسلام في ذلك الوقت عند كثير من الأنم، وأن هذا مصداق ما تواترت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ...» الحديث، وقوله: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ».

وبهذا ينكشف لك، وينضح عندك، بطلان ما عليه كثير من أهل هذا الزمان، من أنواع الشرك والبدع والحدَثان. فلا تغتر بما هم عليه. وهذه هي الببهة العظيمة، والخصصة القبيحة الذميمة، وهي الاغترار بالآباء والأجداد. وما استمر عليه عمل كثير من أهل البلاد، وتلك هي الحجة التي انتحلها أهل الشرك والكفر والعند، كما حكى الله تعالى ذلك عنهم في محكم التنزيل، من غير شك ولا تأويل. حث قال تعالى، وهو أصدق القائلين، حكاية عن فرعون

اللعير، أنه قال لموسى وأخيه هارون المكرمير: ﴿مَا بَأْسَ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾، فأجابه عليه بقوله: ﴿عَلَمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَصِرُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾.

فمن امتطى كاهل الصق والوفاء، وسلم من التعصب والعناد والحفاء، ونوسط في لاجب المَحَجَّة، وقَبِعَ في قبول الحق بالحجة، وكان ذلك طريقه ونهجه، وأشرق في صدره مصباح القبول، وأوقد فيه بزيت المعرفة لمولاه والوصول. وكان من ضوء التوحيد على وصول، عرف صدق ما انتهجه شيخ الإسلام، وما أوضحه من سبل السلام، وما رفعه لكافة الأنام، من رفيع الأعلام، وما نشره من مطوي نافع العلوم، وما كشفه من صحيح المنطوق والمفهوم، ولكن لما أمارت عن مُحَيَّا الحق كثيف النقاب، فأشرف لَمُنُورِ القلب ضوء الصواب، لم تَرَضْ له أفهام أولي الألباب، ولم تَرَضْ في الدليل بقواطع السنة والكتاب. بل لَجَّ أهل الزيغ في الضلال والارتباب، ودخلوا في التعصب لما كانوا عليه من كل باب، حين قام بدعوة رب الأرباب، الشيخ الإمام القدوة محمد بن عبد الوهاب، وأتوا في مصادمته بِحُجَجٍ واهية النسيج، بعيدة عن الحق والنهج، يقضي بفسادها، وبيان عنادها، وغلوها في مرادها، كل من لم يتورك سَدَمَ الاعتساف، ولم يقعد على منصة العصبية والإجفاف، ولم يَدْرُعْ بقميص السرف والإسراف، وراقب في ذلك مولاه وخاف، وما داهن في ذلك ولا حاف<sup>(١)</sup>. ولكن هذا القدوة، كلما أعلن بهذه الدعوة، لم يبال بما رُئِث له من النيل، وما حُدد له من النصال، وما أُوقع في عرضه من القيل والقال، ولله در المتنبي حيث قال:

لا يسلم الشرف من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

الفائدة الثالثة: قال ابن القيم رحمته في «الإغاثة»: قال عليه السلام «لا تتخذوا قبوري عيداً»<sup>(١)</sup>، وقال: «اللهم لا تجعل قبوري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»<sup>(٢)</sup> وفي اتخاذها عيداً من المفاسد ما يعضب لأجله من في قببه وقار لله وعيرة على التوحيد، ولكن ما يُجرح بمسئلة إبلام: منها الصلاة إليها، ولطواف بها واستلامها، وتعفير الخدود على ترابها، وعبادة أصحابها، وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الديون وتفريج الكربات، التي كان عباد الأوثان يسألونها أوذنهم، وكل من شم أدنى رائحة من العلم يعلم أن من أهم الأمور سد الذريعة إلى ذلك، وأنه عليه السلام أعلم بعاقبة ما نهى عنه وما يؤول إليه، وإذا لعن من اتخذ القبور مساجد يعبد الله فيها، فكيف بملازمتها واعتياد قصده وعبادتها! ومن جمع بين سنة رسول الله عليه السلام في القبور وما أمر به ونهى عنه وما عليه أصحابه، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم، رأى أحدهما مضاداً للآخر؛ فنهى عن اتخاذها مساجد وهؤلاء يبنون عليها لمساجد، ونهى عن تسريحها<sup>(٣)</sup> وهؤلاء يوقفون عليها الوقوف على إيقاد القناديل عليها، ونهى عن أن يتخذ عيداً وهؤلاء يتخذونها أعياداً، ونهى عن تشريفها وأمر بتسويتها، كما في «صحيح مسلم» عن علي عليه السلام<sup>(٤)</sup>، وهؤلاء يرفعونها ويجعون عليها

(١) أخرجه أبو داود (٢٠٤٤) والإمام أحمد (٣٦٧ / ٢) وصححه الشيخ لأبني (أحكام نجد ١ / ٢١٩) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله عليه السلام: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قُبُورِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُ»

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٤٦ / ٢) وصححه الشيخ لأبني (أحكام لحاضر ١ / ٢١٧)

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٣٦) والترمذي (٣٢٠) والنسائي (٢٠٤٣) والإمام أحمد (١ / ٣٣٧)

عن ابن عباس قال: لعن رسول الله عليه السلام زائرات القبور والمتخذس عليها

لمسجد والسرور وصعفه الشح لأبني (صعيف الجامع ٤٦٩١).

(٤) صحيح مسلم (٩٦٩) عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب ألا أبعثك

علي ما معني عليه رسول الله عليه السلام ألا تدع تمثلاً إلا ضمسه ولا قر مشرفاً إلا سوسه.



القباب، ونهى عن تجصيص القبر والبناء عليه، كما في «صحيح مسلم» عن جابر<sup>(١)</sup> ونهى عن انكتانة عصبها، كما رواه أبو داود عن جابر<sup>(٢)</sup> وهؤلاء يتخذون عليها الألواح ويكتبون عليها القرآن. ويزيدون على ترابها بالحصص والآجر والأحجار<sup>(٣)</sup>.

وقال: آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجاً ووضعوا لها مناسك. حتى صنف بعضهم في ذلك كتاباً سمه «مدسك حج المشهد» ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام، ودخول في دين عباد الأصنام. فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه الرسول ﷺ لأمته وبين ما شرعه هؤلاء. والنبي ﷺ أمر بزيارة القبور لأنها تذكرة الآخرة، وأمر الزائر أن يدعو لأهل القبور، ونهه أن يقول هُجْراً، فهذه الزيارة التي أذن فيها لأمته وعلمهم إياها، هل تجد فيها شيئاً مما يعتمده أهل الشرك والبدع، أم تجده مضادة لما هم عليه من كل وجه!

وما أحسن ما قال الإمام مالك رحمه الله: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها. ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم عوّضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك، ولقد جرد السنف الصالح التوحيد وحمّوا جانبه، حتى كن أحدهم إذا سلم على النبي ﷺ ثم أراد الدعاء جعل ظهره إلى جدار

(١) صحيح مسلم (٩٧٠) عن عن جابر قال: نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه

(٢) أخرجه الترمذي (١٠٥٢) ولسناني (٢٠٢٧) وابن ماجة (١٥٦٣) عن جابر قال: نهى النبي ﷺ أن تجصص القبور، وأن يكتب عصبها، وأن ينسج عليها، وأن توطأ. وصححه الشيخ الألباني (صحيح الترمذي).

(٣) إعانة للفقهاء (١/ ١٨٨ - ١٩٦).

القبر ثم دعا. وقد نص على ذلك الأئمة الأربعة: أن يستقبل القلة للدعاء حتى لا يدعوا عند القبر. فإن الدعاء عبادة. وبالجملة فإن الميت قد انقطع عمله. فهو محتاج إلى من يدعوه له. ولهذا شُرِعَ في الصلاة عليه من الدعاء ما لم يُشَرع مثله لسحي، ومقصود الصلاة على الميت الاستغفر له والدعاء له. وكذلك الزيارة مقصودها الدعاء للميت والإحسان إليه وتذكير الآخرة، فبذل أهل البدع والشرك قولاً غير الذي قيل لهم. فبدلوا الدعاء له بدعائه نفسه. والشفاعة له بالاستشفاع به. والزيارة التي شُرِعت إحساناً إلى الميت وإلى الزائر بسؤال الميت والإقسام به على الله. وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذي هو محض العبادة، وحضور القلب عنده، وخشوعه أعظم منه في المساجد<sup>(١)</sup>.

ثم ذكر حديث ذات أنواط ثم قال: فإذا كان اتخاذ الشجرة لتعيق الأسلحة والعكوف حولها اتخاذاً له مع الله، وهم لا يعبدونها ولا يسألونها. فما الظن بالعكوف حول القبر ودعائه والدعاء عنده والدعاء به! وأي نسبة للفتنة بشجرة إلى الفتنة بالقبر، لو كان أهل الشرك والبدع يعلمون! ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله، وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم، في هذا الباب وغيره. علم أن بين السلف وبينهم أبعد مما بين المشرق والمغرب. والأمر والله أعظم مما ذكرنا<sup>(٢)</sup>.

وعَمَّى الصحابة قبر دانيال بأمر عمر رضي الله عنه.

ولما بعثه أن الناس ينادون الشجرة التي بويع رسول الله ﷺ تحتها أرسل إليها وقطعها، قال عيسى بن يونس: هو عبدنا من حديث ابن عون عن دفع.

(١) غنة نهقان (١/ ١٩٧ - ٢٠٢)

(٢) غنة للهقان (١/ ٢٠٥).

فإذا كان هذا فعله في لشجرة التي ذكرها الله في القرآن، وبيع تحتها الصحابة عليهم السلام، رسول الله ﷺ فماذا حكمه فيم عداها؟

وأبغ من ذلك أن رسول الله ﷺ هدم مسجد الضرار، ففيه دليل على هدم المساجد التي هي أعظم فساداً منه، كالمبىة على القبور، وكذلك قبابها، فتجب المبادرة إلى هدم ما لعن رسول الله ﷺ فاعله، والله يقيم لدينه من ينصره ويذب عنه<sup>(١)</sup>.

وكان بدمشق كثير من هذه الأنصاب، فيسر الله سبحانه كسرها على يد شيخ الإسلام وحزب الله الموحدين، وكانوا يقولون العامة للشيء منها إنه يقبل النذر، أي يقبل العبد من دون الله، فإن النذر عبدة يتقرب بها الناذر إلى المنذور.

ولقد أنكر السلف التمسح بحجر المقام الذي أمر الله أن يتخذ منه مصلًى، قال قتادة في الآية: إنما أمروا أن يصلوا عنده، ولم يؤمروا بمسحه، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئاً ما تكلفته الأمم قبلها، ذكر لنا من رأى أثر أصبعه، فما زالت هذه الأمة تمسحه حتى اخلولق<sup>(٢)</sup>.

وأعظم الفتنة بهذه الأنصب فتنة أصحاب القبور، وهي أصل فتنة عباد الأصنام، كم ذكر الله في سورة نوح في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا نَدْرَأُ، إِلَهَتَكُمُ وَلَا نَدْرَأُ وَدَاً وَلَا سَوْعَاً﴾ الآية، ذكر السلف في تفسيره أن هؤلاء أسماء رجال صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم<sup>(٣)</sup>.

(١) إعانة اللهقان (١/ ٢٠٩ - ٢١٠).

(٢) أحرجه الطبري في تفسيره (٢/ ٣٥).

(٣) إعانة اللهقان (١/ ٢١٢) وم ذكره الإمام ابن القيم عن سلف أحرجه البخاري =

وتعظيم الصالحين إنما هو باتباع ما دُعُوا إليه دون اتخاذ قبورهم أعيادا وأوثانًا، فأعرضوا عن المشروع واشغلو بالبدع، وَمَنْ أَصْغَى إِلَى كَلَامِ اللَّهِ وَفَهِمَهُ أَغْنَاهُ عَنِ الْبِدْعِ وَالْآرَاءِ، وَمَنْ بَعْدَ عَنْهُ فَلَا يَدُ أَنْ يَتَعَوَّضَ بِمَا لَا يَنْفَعُهُ، كَمَا أَنَّ مَنْ عَمَّرَ قَلْبُهُ بِمَحَبَةِ اللَّهِ وَخَشْيَتِهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ أَغْنَاهُ عَنِ مَحَبَةِ غَيْرِهِ وَخَشْيَتِهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، فَلَمُعْرِضٌ عَنِ التَّوْحِيدِ مُشْرِكٌ، شَاءَ أَمْ أَبَى، وَالْمُعْرِضُ عَنِ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ مُبْتَدِعٌ، شَاءَ أَمْ أَبَى، وَالْمُعْرِضُ عَنِ مَحَبَةِ اللَّهِ عَبْدُ الصُّوَرِ، شَاءَ أَمْ أَبَى<sup>(١)</sup>.

وهذه الأمور المبتدعة عند القبور أنواع:

أبعدها عن الشرع: أن يسأل الميت حاجته، كما يفعله كثير، وهؤلاء من جنس عبّاد الأصنام. ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت كما يتمثل لعباد الأصنام، وكذلك السجود للقبر وتقبيله والتمسح به.

النوع الثاني: أن يسأل الله به، وهذا يفعله كثير من المتأخرين، وهو بدعة إجماعاً.

النوع الثالث: أن يَظُنَّ أن الدعاء عنده مستجاب، وأنه أفضل من الدعاء في المسجد، فيقصد القبر لذلك، فهذا أيضًا من المنكرات إجماعًا، وما علمت فيه

(٤٩٢٠) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه . قَالَ صَارَتِ الْأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ عِدَّةً . أَمَّا «وَدٌ» فَكَانَتْ كَتَبَ بِسُومَةِ اخْتَدَلْ ، وَأَمَّا «سُوعٌ» فَكَانَتْ هَذِلْ . وَأَمَّا «يَعُوثُ» فَكَانَتْ لِمُرَادٍ . ثُمَّ صَارَتْ لِيْنِي عَطِيفٌ بِحَرْفٍ عِنْدَ سَبَأَ . وَأَمَّا «يَعُوقُ» فَكَانَتْ هَمْدَانُ . وَأَمَّا «سَمُرٌ» فَلِحَمِيرٍ ، لِأَلِ دِي الْكَلَاخِ . وَكَتَبَ سَمَاءُ رَحَلٍ صَاحِبِ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ . فَنَمَّ هَلَكُوا أَوْ حَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَوْ نَصُّوْا بِحُجَّتِهِمْ لِي كَمَا يَحْلُسُونَ فِيهِ نَصَابًا وَنَمَّوْهَا بِأَسْمَائِهِمْ . وَفَعَلُوا ، فَتَمَّ تَعْدُّ ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أَوَّلُكَ سَمَّحَ انْعَدَمَ عِدَّتُ

نزاعاً بين أئمة الدين، وإن كان كثير من المتأخرين يفعله<sup>(١)</sup>.

وبلجمله؛ فأكثر أهل الأرض معتنون بعبادة الأصنام، ولم يتخلص منه إلا الحنفاء أناس ملة إبراهيم، وعبادتها في الأرض من قبل نوح، وهياكنها ووقوفها، وسدنتها وحجابها، والكتب المصنفة في عبادتها طبق الأرض، قال إمام الحنفاء عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ \* رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلَّنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ وكفى في معرفة أنهم أكثر أهل الأرض بما صح عن النبي ﷺ أن بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون<sup>(٢)</sup> وقد قال تعالى: ﴿فَقَلَّ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كَثُورًا﴾ وقال: ﴿وَلَنْ تَقْطَعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ولو لم تكن الفتنة بعبادة الأصنام عظيمة لما أقدم عبادة على بذل نفوسهم وأموالهم وأبنائهم دونها، وهم يشاهدون مصارع إخوانهم وما حل بهم، ولا يزيدهم ذلك إلا حُبًّا لها وتعظيمًا، ويوصي بعضهم بعضًا بالصبر عليها<sup>(٣)</sup>.

انتهى كلام الشيخ، رحمه الله تعالى، ملخص، وسيأتي بقية لكلام الشيخ ابن القيم في رسائل الشيخ الآتية، إن شاء الله، في مواضع من رسائله رحمه الله، متفرقة، كما ذكره في الرسالة التي كتبها حين ارتدوا أهل حُرَيْمَلَا، وكذلك ذكره في رسالته لعبد الله بن سحيم في الرد على عدو الله سليمان بن سحيم، مطوع الرياض.

وقال العماد ابن كثير في «تاريخه»<sup>(٤)</sup>: وفي سنة من السنين كان للناس شجرة

(١) إغاثه الهمدان (١/ ٢١٧ - ٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٧٠).

(٣) إغاثه الهمدان (٢، ٢٢٥).

(٤) سيرة ولهذه (١٤، ٣٤).

يعظمونها. وخرجون إليها ويربطون عليها الخرق، ويخرجون إليها في يوم من السنة. قال: ثم يشعر الناس إلا والشيخ تقي الدين ابن تيمية تحرم وأخذ هو وجماعته الفؤوس، وخرج إليها فقطعها. قال: فوقع الإنكار من العامة عليه بسبب ذلك، فرحمه الله ورضي عنه على ما صنع؛ فإن ذلك ربما يفضي إلى الشرك، وطائفة من الكفار يعبدون الشجر، وقد ذكر ابن هشام في «السيرة» وغيره أن أهل نجران قبل مبعث النبي ﷺ كانوا يعبدون نخلة طويلة، لها عيد في السنة، إذا كان يوم ذلك العيد خرجوا إليها، وألبسوها الحلي وغيره، ويعكفون عليها. وأخبرني بعض أصحابنا أن بلاد الهند طائفة يعبدون الشجر، يعكفون عليها ويصلحونها ويلبسونها. انتهى كلامه رحمه الله.



### الفصل الثالث

في سرد بعض رسائل أرسلها إلى بعض البلدان.  
وإلى بعض خواص الإخوان يدعوهم بالقول  
السديد إلى تجريد التوحيد

فمنها الرسالة التي أرسلها إلى أهل الأحساء، حين كتبوا الرسائل إلى أهل نجد بالإنكار عليه والتشنيع. ومنها رسالة أرسلها إلى مطاوعة أهل سدير والوشم والقصيم، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، خصوصاً محمد بن عبيد وعبد القادر العديلي<sup>(١)</sup> وابنه وعبد الله بن سحيم<sup>(٢)</sup> وعبد الله بن عضيبي<sup>(٣)</sup> وحמידان بن تركي<sup>(٤)</sup> وعلي بن زامل ومحمد أبا الخيل<sup>(٥)</sup> وصالح بن عبد الله<sup>(٦)</sup>، أما بعد:

فإن الله تبارك وتعالى أرسل محمداً ﷺ إلينا على حين فترة من الرسل، فهدى الله به إلى الدين الكامل والشرع التام، وأعظم ذلك وأكبره وزيدته هو إخلاص

- (١) انظر ترجمته في: «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٣/ ٥٣٧ - ٥٣٨).
- (٢) انظر ترجمته في: المرجع السابق (٤/ ٣٨ - ٤٠)، ومجلة الدرعية (س ٣ ع ١١ و ١٢) مقال للأستاذ عبد الله بن حمد العسكر.
- (٣) انظر ترجمته في: «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٤/ ٤١ - ٥٢).
- (٤) انظر ترجمته في: المرجع السابق (٢/ ١٤٦ - ١٥٠).
- (٥) انظر ترجمته في: المرجع السابق (٥/ ٤٦٥ - ٤٦٨).
- (٦) نعله صالح بن عبدالله أبو الخيل، قضى عسيرة، (ت ١١٨٤هـ). انظر ترجمته في: مرجع السابق (٢/ ٥١٣ - ٥١٦).

الدين لله، بعبادته وحده لا شريك له، وإنه ي عن الشرك، وهو ألا يُدعى أحد من دونه من الملائكة والنبين، فضلاً عن غيرهم. فمن ذلك أنه لا يُسجد إلا لله، ولا يُركع إلا له، ولا يُدعى لكشف الضر إلا هو. ولا لحلب الحبر إلا هو، ولا يُنذر إلا له، ولا يُخلف إلا به، ولا يُدبج إلا له، وجميع العبادة لا تصلح إلا له وحده لا شريك له، وهذا معنى قول «لا إله إلا الله»، فإن المألوه هو المقصود المعتمد عليه، وهذا أمر هي عنده من لا يعرفه. كبير عظيم عند من عرفه.

فمن عرف هذه المسألة عرف أن أكثر الخلق قد لعب بهم الشيطان، وزين لهم الشرك بالله، وأخرجه في قلب حب الصالحين وتعظيمهم، والكلام في هذا ينبي على قاعدتين عظيمتين:

الأولى: أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يعرفون الله ويعظمونه، ويحجون ويعتصمون، ويزعمون أنهم على دين إبراهيم الحليل. وأنهم يشهدون أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر إلا الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية.

فإذا عرفت أن الكفار يشهدون بهذا كله، فاعرف القاعدة الثانية، وهي أنهم يدعون الصالحين؛ مثل الملائكة وعيسى وعزير وغيرهم، وكل من ينتسب إلى شيء من هؤلاء سمه إلهًا ولا يعني بذلك أنه يخلق أو يرزق. بل يدعون الملائكة وعيسى ويقولون: ﴿هَؤُلَاءِ شُعَتُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ويقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُوا إِلَى اللَّهِ رُلًى﴾ والإله في لغتهم هو الذي يسمى هي لغتها (الذي فيه سر) والدين يسمونه الفقراء شيخهم. بعون ذلك أنه يدعى وينفع ويضر. وإلا إنهم مفرقون لله بالتفرد بالخلق والرزق، وليس ذلك معنى الإله. بل الإله المقصود المدعو المرجو. لكن المشركون في زماننا أضل من الكفار الذين في زمن رسول الله ﷺ من وجهين:

أحدهما: أن الكفار إنما يدعون الأنبياء والملائكة في الرحاء، وأم في



الشهداء فيخلصون لله الدين، كما قال تعالى: ﴿وَرَدَّ مَسَّكُمْ لَصْرِ فِي الْآخِرِ صَرْ مَن تَدْعُونَ إِلَّا بِيَادِ﴾.

والثاني: أن مشركي زماننا يدعون أناساً لا يوازنون عيسى والملائكة.

إذا عرفتم هذا فلا يخفى عليكم ما ملأ الأرض من الشرك الأكبر عبادة الأصنام؛ هذا يأتي إلى قبر نبي، وهذا إلى قبر صحابي، كالزبير وطلحة، وهذا إلى قبر رجل صالح، وهذا يدعوه في الضراء وفي غيبته، وهذا يندُر له، وهذا يذبح للجن، وهذا يدخل عليه من مضرة الدنيا والآخرة، وهذا يسأله خير الدنيا والآخرة! فإن كنتم تعرفون أن هذا من الشرك، عبادة الأصنام، الذي يُخرج الرجل من الإسلام، وقد ملأ البر والبحر، وشاع وذاع، حتى أن كثير ممن يفعله يقوم الليل ويصوم النهار، وينتسب إلى الصلاح والعبادة، فمد بالكم لم تُفُشوه في الناس وتبينوا لهم أن هذا كفر بالله مخرج عن الإسلام! أرايتم لو أن بعض الناس أو أهل بلده تزوجوا أخواتهم أو عماتهم، جهلاً منهم، أَفَيَجِلُّ لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتركه، لا يُعَلِّمُهُم أن الله حَرَّمَ الأخوات والعمات؟ فإن كنتم تعتذرون أن نكاحهم أعظم مما يفعله الناس اليوم عند قبور الأولياء والصحابة وفي غيبته عنها، فاعلموا أنكم لم تعرفوا دين الإسلام، ولا شهادة أن لا إله إلا الله، ودليل هذا مما تقدم من الآيات التي بينها الله في كتابه.

وإن عرفتم ذلك، فكيف يحل لكم كتمان ذلك والإعراض عنه، وقد أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ فإن كان الاستدلال بالقرآن عندكم هُزُؤاً وجهلاً، كما هي عادتكم ولا تقبلونه، فانظروا في «الإقناع» في باب حكم المرتد، وما ذكر فيه من الأمور الهائلة التي ذكر أن الإنسان إذا فعلها فقد ارتد وحل دمه، مثل الاعتقاد في الأنبياء والصلحين، وجعلهم وسائطه وبينه وبين الله، ومثل الطبران في الهوى، والمشى في الماء، فإذا كن من فعل هذه الأمور منكم؛ مثل السائح الأعرج وسحوه، تعتقدون صلاحه وولايته، وقد صرح في

«الإقناع» بكفره، واعلموا أنكم لم تعرفوا معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

فإن بن لكم في كلامي هذا شيء من الغلو؛ من أن هذه الأفاعيل لو كانت حرامًا فلا تُحْرِجُ من الإسلام، وأن فعل أهل زماننا في الشدائد في البر والبحر، وعند قبور الأنبياء والصالحين، ليست من هذه - يئنون لنا، لصواب وأرشدونا إليه. وإن تبين لكم أن هذا هو الحق الذي لا ريب فيه، وأن الواجب إشاعته في الناس، وتعليمه النساء والرجال، فرحم الله من أدَّى الواجب عليه، وتب إلى الله، وأقر على نفسه، فإن التائب عن الذنب كمن لا ذنب له، وعسى الله أن يهدينا وإياكم وإخواننا لما يحب ويرضى، والسلام.

ومنها رسالة أرسلها إلى عبد الله بن سحيم، مطوع المجموعة، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن سحيم، حفظه الله تعالى. سلام عيكم ورحمة الله وبركته، أما بعد:

فقد وصل كتابك تطلب شيئًا من معنى كتاب المويس الذي أرسل لأهل الوشم، وأنا أجيبك عن الكتاب جملة، فإن كان الصواب فيه فنهني وأرجع إلى الحق، وإن كان الأمر كما ذكرت لك من غير مجازفة، بل أنا مقتصر، فالواجب على المؤمن أن يدور مع الحق حيث دار، وذلك أن كتابه مشتمل على الكلام في ثلاثة أنواع من العلوم:

الأول: علم الأسماء والصفات، الذي يسمى «علم أصول الدين» ويسمى أيضًا «العقائد»، والثاني: الكلام على التوحيد والشرك، والثالث: الافتداء بأهل العدم واتباع الأدلة وترك ذلك.

أما الأول: فإنه أنكر على أهل الوشم إكراههم على من قال: ليس بجوهر، ولا جسم، ولا عرض، وهذا الإنكار جمع فيه بين اثنتين:

إحدهما: أنه لم يفهم كلام ابن عيدان وصادحه.

الثانية: أنه لم يفهم صورة المسألة، وذلك أن مذهب الإمام أحمد وغيره من السلف أنهم لا يتكلمون في هذا النوع إلا بما تكلم الله به ورسوله، فم أثبه الله لنفسه أو أثته رسوله أثبتوه. مثل الفوقية والاستواء والكلام والمجيء وغير ذلك. وم نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله نفوه. مثل المثل والنَّد والسَّمي وغير ذلك. وأما ما لا يوجد عن الله ورسوله إثباته ونفيه، مثل الجوهر والجسم والعرض والجهة وغير ذلك، فلا يثبتونه، فمن نفاه. مثل صاحب الخطبة التي أنكرها ابن عيدان وصاحبه، فهو عند أحمد ولسف مبتدع، ومن أثبته، مثل هشام بن الحكم وغيرهم، فهو عندهم مبتدع، والواجب عندهم السكوت عن هذا النوع. قتداء بالنبي ﷺ وأصحابه، هذا معنى كلام الإمام أحمد الذي في رسالة المويس، أنه قال: لا أرى الكلام إلا ما ورد عن النبي ﷺ! فمن العجب استدلاله بكلام الإمام أحمد عى ضده!

ومثاله في ذلك كمثل حنفي يقول: الماء الكثير، ولو بلغ قلتين، ينجس بمجرد الملاقاة من غير تغير. فإذا سئل عن الدليل قل: قوله ﷺ: «الماء طهور لا ينجسه شيء»<sup>(١)</sup> فيستدل بدليل خصمه! فهل يقول هذا من يفهم ما يقول! وأن أذكر لك كلام الحنابلة في هذه المسألة:

قال الشيخ تقي الدين، بعد كلام له على من قل إنه ليس بجوهر ولا عرض، ككلام صاحب الخطبة، قال ﷺ:

فهذه الألفاظ لا يُطلق إثباتها ولا نفيها. كلفظ الجوهر والجسم والتحيز والجهة، وبحو ذلك من الألفاظ. ولهذا لما سئل ابن سريج عن التوحيد، فذكر

(١) أخرجه أبو داود (٦٦) والرمسى (٦٦) والنسائي (٣٢٥) وإمام أحمد (٣/ ٣١) وصححه الشيخ لألسي (صحيح الجامع ١٩٢٥).

توحيد المسلمين قال: وأما توحيد أهل الباطل فهو الخوض في الجواهر والأعراض. وإنما بُعِثَ النبي ﷺ بإنكار ذلك. وكلام السلف والأئمة في ذم الكلام وأهله مبسوط في غير هذا الموضع. والمقصود أن الأئمة، كأحمد وغيره، لما ذكّر لهم أهل البدع الألفاظ المجملّة، كلفظ الجسم والجوهر والحيز، لم يوافقوهم لا على إطلاق الإثبات ولا على إطلاق النفي<sup>(١)</sup>. انتهى كلام الشيخ تقي الدين.

إذا تدبرنا هذا عرفت أن إنكار ابن عيدان وصاحبه على الخطيب الكلام في هذا هو عين الصواب، وقد اتبعا في ذلك إمامهما أحمد بن حنبل وغيره في إنكارهم ذلك على المبتدعة، ففهم صاحبكم أنهما يريدان إثبات ضد ذلك، وأن الله جسم وكذا وكذا، تعالى الله عن ذلك، وظن أيضًا أن عقيدة أهل السنة هي نفي أنه لا جسم ولا جوهر ولا كذا ولا كذا، وقد تبين لكم الصواب أن عقيدة أهل السنة هي السكوت، مَنْ أثبت بدعوه، وَمَنْ نفى بدعوه، فالذي يقول: ليس بجسم، ولا، ولا. هم الجهمية والمعتزلة، والذين يشبّون ذلك هو هشام وأصحابه، والسلف بريئون من الجميع، مَنْ أثبت بدعوه، وَمَنْ نفى بدعوه.

فلمويس لم يفهم كلام الأحياء ولا كلام الأموات، وجعل النفي الذي هو مذهب الجهمية والمعتزلة مذهب السلف، وظن أن مَنْ أنكر النفي أنه يريد الإثبات، كهشام وأتباعه.

ولكن أعجب من ذلك استدلاله على ما فهم بكلام أحمد المتقدم، ومن كلام أبي الوفاء ابن عقيل، قال: أن أقطع أن أب بكر وعمر ماتا وما عرّف الجواهر والغرض، فإد رأيت أن طريقة أبي علي الجبائي وأبي هشام خير لك من طريقة

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ٢٠٤ - ٢٠٧).

أبي بكر وعمر فبئسما رأيت<sup>(١)</sup>. انتهى.

وصاحبكم يدعي أن الرجل لا يكون من أهل السنة حتى يبيع أبا علي وأبا هاشم بنفي الجواهر والعرض، فإن أنكر الكلام فهما، مثل أبي بكر وعمر، فهو عنده على مذهب هشام الرافضي، فظهر بما قرناه أن الخطيب الذي يتكلم بنفي العرض والجواهر أخذ من مذهب الجهمية والمعتزلة، وابن عيدان وصاحبه أنكروا ذلك مثلما أنكروه أحمد والعلماء كلهم على أهل البدع.

وقوله في الكتاب: ومذهب أهل السنة إثبات من غير تعطيل ولا تجسيم. ولا كيف، ولا أين... إلى آخره، وهذا من أبيين الأدلة على أنه لم يفهم عقيدة الحنبلة، ولم يميز بينها وبين عقيدة المبتدعة؛ وذلك أن إنكار «الأيين» من عقائد أهل الباطن، وأهل السنة يشتون أتباعاً لرسول الله ﷺ كما في الصحيح أنه قال لتجارية: «أين الله؟»<sup>(٢)</sup> فزعم هذا الرجل أن إثباتها مذهب المبتدعة، وأن إنكارها مذهب أهل السنة، كما قيل، وعكسه بعكسه. وأم الجسم فتقدم الكلام أن أهل الحق لا يشتون ولا ينفون، فغلط عليهم في إثباته. وأم التعطيل وكيف فصدق في ذلك، فجمع لكم أربعة ألفاظ، نصفها حق من عقيدة الحق، ونصفها باطل من عقيدة الباطل، وساقها مساقاً واحداً، وزعم أنه مذهب أهل السنة! فجهل وتناقض.

وقوله أيضاً: ويشتون ما أثبتته الرسول ﷺ من السمع والبصر والحياة والقدرة والإرادة والعلم والكلام... إلى آخره، وهذا أيضاً من أعجب جهله؛ وذلك أن هذا مذهب طائفة من المبتدعة، يشتون الصفات السبع وينفون ما عداها، ولو

(١) نسس إلس لاس سجوري (٨٥) ودرء تعارض العقل والعقل (٨ / ٤٨).

(٢) أخرجه مسلم (٧).

كان في كتاب الله، ويؤوّلونه. وأما أهل السنة فكل ما جاء عن الله ورسوله أثبتوه، وذلك صفات كثيرة، لكن أظنه نقل هذا من كلام المبتدعة، وهو لا يميز بين كلام أهل الحق من كلام أهل الباطل.

إذا تقرر هذا فقد ثبت خطؤه من وجوه:

الأول: أنه لم يفهم الرسالة التي بُعثت إليه.

الثاني: أنه بهت أهلها بيثبات الجسم وغيره.

الثالث: أنه نسبهم إلى الرافضة، ومعلوم أن الرافضة من أبعد الناس عن هذا المذهب وأهله.

الرابع: أنه نسب من أنكر هذه الألفاظ إلى الرفض والتجسيم، وقد تبين أن الإمام أحمد وجميع السلف ينكرونه، فلازم كلامه أن مذهب الإمام أحمد وجميع السلف مجسمة على مذهب الرفض.

الخامس: أنه نسب كلامهم إلى الفرية الجسمية، فجعل عقيدة إمامه وأهل السنة فرية جسمية.

السادس: أنه زعم أن البدع اشتعلت في عصر الإمام أحمد ثم ماتت، حتى أحياء أهل الوشم، فمفهوم كلامه، بل صريحه، أن عصر الإمام أحمد وأمثاله عصر البدع والضلال، وعصر ابن إسماعيل عصر السنة والحق.

السابع: أنه نسبهم إلى التعطيل، والتعطيل إنما هو جحد الصفات.

الثامن: بهتتهما أيهما نسب من قلّهم من العلماء إلى التعطيل، لكونهما أنكرّا على خطيب من المبتدعة، وهذا من لبهتان الطاهر.

التاسع: أنه نسبهما إلى وراثة هشام الرافي

العاشر: أن المسلم أخو المسلم، فإذا أخطأ أخوه نصحه سرًا وبين له الصواب، فإذا عاند أمكنه المجاهره بالعدوة، وهذا لما رسله صنف عليهما ما علمت، وأرسله إلى البلدان: اعرفوني اعرفوني، تراهي جاي من الشام!

وأما التناقض وكون كلامه يكذب بعضه بعضًا فمن وجوه:

منها: أنه نسبهم تارة إلى التجسيم، وتارة إلى التعطيل. ومعلوم أن التعطيل ضد التجسيم، وأهل هذا أعداء لأهل هذا، والحق وسط بينهما.

ومنها: أنه نسبهما إلى الجهمية وإلى المجسمة، والجهمية والمجسمة بينهما من التناقض والتباعد كما بين السواد والبياض، وأهل السنة وسط بينهما.

ومنها: أنه يقول: مذهب أهل الحق إثبات الصفات. ثم يقول: ولا أين، ولا، ولا. وهذا تناقض.

ومنها: أنه يقول: ما أثبتته الله ورسوله أثبت. ثم يخص ذلك بالصفات السبع، فهذا عين التناقض. فعقيدته التي نسب لأهل السنة جمعها من نحو أربع فرق من المبتدعة. يناقض بعضهم بعضًا، ويسب بعضهم بعضًا، ولو فهمت حقيقة هذه لعقيدة لجعلتها ضحكة.

ومنها: أنه يذكر عن أحمد أن الكلام في هذه الأشياء مذموم، إلا ما نقل عن رسول الله ﷺ وأصحابه وتابعيه، ثم ينقل لكم إثبات كلام المبتدعة ونفيهم، ويتكلم بهذه العقيدة المعكوسة، ويزعم أنها عقيدة أهل الحق.

هذا ما تيسر كتابته عَجَلًا على السراج في الليل، والمأمول فيك أنك تنظر فيها بعين البصيرة. وتتأمل هذا الأمر، واغرض هذا عليه. واطلب منه الجواب عن كل كلمة من هذا، فإن أجابك بشيء فكتبه، وإن عرّفته باطلاً، ولا هراجهي فيه أيّنه لك. ولا تستحفر هذا الأمر، فإن حرصت عليه جدًا عرّفك

عقيدة الإمام أحمد وأهل السنة وعقيدة المبتدعة، وصارت هذه الواقعة أنفع لك من القراءة في عمم العقائد شهرين أو ثلاثة بسبب الخطأ والاختلاف. مما يوضح الحق ويبين لخبائه.

وأما النوع الثاني: فهو الكلام في الشرك والتوحيد، وهو المصيبة العظمى، والداهية الصماء، والكلام على هذا النوع والرّد على هذا الجاهل يحتمل مجلّدًا، وكلامه فيه كما قال ابن القيم: إذا قرأه المؤمن ترة يبكي وتارة يضحك. ولكن أنبهك منه على كلمتين:

الأولى: قوله إنهما نَسَبَ مَنْ قَبْلَهُمَا إِلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْإِسْلَامِ وَالشَّرْكَ الْأَكْبَرِ، أَيْظُنُّ أَنْ قَوْمَ مُوسَى لَمَّا قَالُوا: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ خَرَجُوا مِنَ الْإِسْلَامِ؟ أَيْظُنُّ أَنْ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا قَالُوا: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ» فَحَلَفَ لَهُمْ أَنْ هَذَا مِثْلُ قَوْلِ مُوسَى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ أَنَّهُمْ خَرَجُوا مِنَ الْإِسْلَامِ؟ أَيْظُنُّ أَنْ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا سَمِعَهُمْ يَحْلِفُونَ بِآبَائِهِمْ فَتَهَاوَمَ وَقَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»<sup>(١)</sup> أَنَّهُمْ خَرَجُوا مِنَ الْإِسْلَامِ! إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَدْلَةِ الَّتِي لَا تُحْصَرُ، فَلَمْ يَفَرِّقْ بَيْنَ الشَّرْكِ الْمُخْرِجِ عَنِ الْمِلَّةِ مِنْ غَيْرِهِ، وَلَمْ يَفَرِّقْ بَيْنَ الْجَاهِلِ وَالْمُعَانِدِ.

والكلمة الثانية قوله إن المشرك لا يقول «لا إله إلا الله» فيا عجبًا من رجل يدعي العلم. وجاي من الشام بِحُمْلٍ كَتَبَ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ إِذَا أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ الْإِسْلَامَ مِنَ الْكُفْرِ. وَلَا يَعْرِفُ الصَّرْقَ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَمُسْلِمَةِ الْكَذَابِ! أَمَّا عِلْمُ أَنْ مُسْلِمَةَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيَصِلِي وَيَصُومُ! أَمَّا عِلْمُ أَنْ غُلَاهُ الرَّاغِضَةُ الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَلَيَّ يَفُولُونَهَا! وَكَذَلِكَ الَّذِينَ يَقْدَفُونَ عَائِشَةَ

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٥١) والترمذي (١٥٣٥) وصححه الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ (صَحَّحَ لِحَمَّامٍ ٦٢٠٤)



ويكذبون القرآن! وكذلك الذين يرفعون أن جبريل غلط! وغير هؤلاء ممن أجمع أهل العلم على كفرهم، منهم من ينتسب إلى الإسلام، ومنهم من لا ينتسب إليه، كاليهود، وكلهم يقولون: «لا إله إلا الله» وهذا بين عند من له أهل معرفة بالإسلام من أن يحتاج إلى تبيان.

وإذا كان المشركون لا يقولونها فما معنى باب «حكم المرتد» الذي ذكره الفقهاء من كل مذهب! هل الذين ذكرهم لفقهاء وجعوههم مرتدين لا يقولونها؟ هذا الذي ذكر أهل العلم أنهم أكفر من اليهود والنصارى، وقال بعضهم: من شك في كفر أتباعه فهو كافر. وذكرهم في «الإقناع» في باب حكم المرتد، وإمامهم ابن عربي، أيظنهم لا يقولون «لا إله إلا الله»؟ لكن هو آت من الشام، وهم يعبدون ابن عربي جاعلين على قبره صنماً يعبدونه! ولست أعني أهل الشام كلهم، حاش وكلاً، بل لا تزال طائفة على الحق وإن قلت واغتربت! لكن العجب العجيب استدلاله أن رسول الله ﷺ دعا الناس إلى قول «لا إله إلا الله» ولم يطالبهم بمعناها، وكذلك أصحاب رسول الله ﷺ فتحوا بلاد الأعاجم وقبضوا منها بنفطها... إلى آخر كلامه، فهل يقول هذا الكلام من يتصور ما يقول؟ فنقول:

أولاً: هو الذي نقض كلامه وكذبه بقوله: دعاهم إلى ترك عبادة الأوثان. فإذا كن لم يقنع منهم إلا بترك عبادة الأوثان، تبين أن النطق بها لا ينفع إلا بالعمل بمقتضاه، وهو ترك الشرك. هذا هو المطبوب. ونحن إذا نهيت عن الأوثان المجعولة على قبر الزبير وطلحة وغيرهم، في الشام أو في غيره.

فإن قلتم: ليس هذا من الأوثان، وإن دعاء أهل القصور والاستغاثة بهم في الشدائد ليس من الشرك، مع كون المشركين الذين في عهد رسول الله ﷺ يخلصون لله في الشدائد ولا يدعون أوثانهم. فهذا كفر، وبيننا وبينكم كلام

العمماء، من الأولين والآخرين، الحنابلة وغيرهم.

وإن أقررتم أن ذلك كفر وشرك، وتبين أن قول «لا إله إلا الله» لا ينفع إلا مع ترك الشرك، وهذا هو المطلوب، وهو الذي نقول، وهو الذي أكثرتم النكير فيه، وزعمتم أنه لا يَخْرُجُ إلا من خراسان، وهذا القول كما في أمثال العمة «لا وجه سميح ولا بنت رجال» لا أقول صواباً، إلا خطأ ظاهراً وسباً لدين الله، ولا هو أيضاً قول باطل يصدق بعضه بعضاً، بل مع كونه خطأ فهو متناقض يكذب بعضه بعضاً، لا يصدر إلا ممن هو أجهل الناس.

وأما دعواه أن الصحابة لم يطلبوا من الأعاجم إلا مجرد هذه الكلمة، ولم يعرفوهم بمعناها، فهذا قول من لا يفرق بين دين المرسلين ودين المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار، فإن المؤمنين يقولونها، والمنافقين يقولونها، لكن المؤمنين يقولونها مع معرفة قلوبهم بمعناها، وعمل جوارحهم بمقتضاها، والمنافقون يقولونها من غير فهم لمعناها، ولا عمل بمقتضاها، فمن أعظم المصائب وأكبر الجهل من لا يعرف الفرق بين الصحابة والمنافقين! لكن هذا لا يعرف النفاق، ولا يظنه في أهل زماننا، بل يظنه في زمان رسول الله ﷺ وأصحابه، وأما زمانه فصلح بعد ذلك! وإذا كان زمانه وبلدانه يُنَزَّهُون عن البدع، ومخرجها من خراسان، فكيف بالشرك والنفاق!

ويا ويح هذا القائل! ما أجرأه على الله! وما أجهله بقدر الصحابة وعلمهم حيث ظن أنهم لا يعنئون الناس «لا إله إلا الله»! أما علم هذا الجاهل أنهم يستدلون بها على مسائل الفقه فضلاً عن مسائل الشرك، ففي الصحيحين أن عمر رضي الله عنه، لما أشكل عليه قتل مانعي الزكاة، لأحل قوله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا

بحقها» قال أبو بكر: فإن لزكاة من حقها<sup>(١)</sup>. فإذا كان مَنْعُ الزكاة مِنْ مَنْعِ حَقِّ «لا إله إلا الله» فكيف بعبده القبور. والذبح للجن، ودعاء الأولياء وغيرهم مما هو دين المشركين!

وصرح الشيخ تقي الدين في «اقتضاء الصراط المستقيم»<sup>(٢)</sup> بأن مَنْ ذَبَحَ للجن فالذبيحة حرام من جهتين: من جهة أنها مما أُهِلَّ به لغير الله، ومن جهة أنها ذبيحة مرتدة، فهي كخزير مات من غير ذكاة، ويقول: ولو سَمَّى الله عند ذبحها، إذا كانت نيته ذَبَحَهَا للجن. ورد على مَنْ قال إنه إن ذَكَرَ اسمَ الله حَلَّ الأكل منها مع التحريم. وأما ما سألت عنه من قوله: اللهم صل على محمد... إلى آخره، فهذه المحامل التي ذَكَرَ غير بعيدة، لو كان الإنكار على الرجل الميت الذي صنفها، ولإنكار إنما هو على الخطباء والعامة الذين يسمعون، فإن كان يزعم أن عامة أهل هذه القرى كل رجل منهم يفهم هذا التأويل، فهذا مكابرة، وإن كان يعرف أنهم ما قصدوا إلا المعاني التي لا تصلح إلا لله، لم يُمنع من الإنكار عليهم، وتبين أنه شركٌ كونه الذي قالها أولاً قصد معنى صحيحاً.

كما لو أن رجلاً من أهل العلم كتب إلى عامة أن نكاح الأخوات حلال، ففهموا منه ظهره. وجعلوا يتزوجون أخواتهم، خاصَّتهم وعامَّتهم، لم يُمنع من الإنكار عليهم، وتبين أن الله حرم نكاح الأخوات، كون القائل أراد الأخوات في الدين، كما قال إبراهيم عليه السلام لسارة: «هي أحتي»<sup>(٣)</sup> وهذا واضح بحمد الله، ولكن من انفتح له تحريف الكلم عن مواضعه انفتح له باب طويل عريض

(١) أخرجه البخاري (٣٩٣) ومسلم (٢٠).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٥٨).

(٣) أخرجه لبحري (٣٣٥٨) ومسلم (٢٣٧١).

وأما النوع الثالث: وهو الكلام على التقليد والاستدلال، فكلامه فيه من أبطل الباطل، وأظهر الكذب، وهو أيضًا كلام جاهل ينقص بعضه بعضًا، ونحن ما أردنا المعنى الذي ذكروا، الكلام على هذا طويل، ولكن أما كنت له كلامًا في هذا مع رسالة طويلة، فاطلبه وراجعه وتأمله، وتكلم لله في سبيل الله، بما يرضي الله ورسوله، واحذر من فتنة ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ فمن نجا منها فقد نجا من شرك كثير. ولا تغفل عن قوله في خطبة «شرح الإقناع»: من عثر على شيء مما طغى به القلم... إلى آخره، وقوله في آخرها: اعلم، رحمك الله، أن الترجيح إذا اختلفت بين الأصحاب... إلى آخره.

وإن طمعت بالزيارة والمذاكرة من الرأس، لعلك أيضًا تحقق علم العقائد، وتميز بين حقه من باطله، وتعرف أيضًا علوم الإيمان بالله وحده والكفر بالظغوت، فتراني أشير وألزم، فإن رأيت أمر الله ورسوله فهو المطلوب، وإلا فقد وهبك الله من الفهم ما تميز به بين الحق والباطل، إن شاء الله تعالى.

وهذا الكتاب لا تكتمه عن صاحب الكتاب، بل اعرضه عليه، فإن تاب وأقر ورجع إلى الله فعسى، وإن زعم أن له حجة، ولو في كلمة واحدة، أو أن في كلامي مجازفة، فطلب الدليل. فون أشكل شيء عليك فراجعني فيه حتى تعرف كلامي وكلامه، نسأل الله أن يهدينا وإياك والمسلمين إلى ما يحبه ويرضاه، وأنت لا تدمني على هذا الكلام؛ تراني استدعيته أولاً بالملاطفة، وصبرت منه على أشياء عظيمة، والآن أشرفت منه على أمور ما ضئيتها لا هي عفله ولا في دينه: منها: أنه كاتب إلى أهل الحسا يعاونهم على سب دين الله ورسوله.

ومنها: رسالة كتبها إلى محمد بن عباد<sup>(١)</sup>، مطوع ثرمدا، وكان قد أرسل إليه

(١) انظر ترجمته في «علماء نجد خلال نمية فرو» (٥١٦ / ٥١٨)، وهو صاحب

كتاباً فيه كلام حسن، في تقرير التوحيد وغيره، وطلب من الشيخ رحمته، أن يبين له إن كان فيه شيء يخفاه، فكتب له رحمته:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى الأخ محمد بن عباد، وفقه الله لما يحبه ويرضاه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

وصننا أوراق في التوحيد، فيها كلام من أحسن الكلام، وفقك الله للصواب، وتذكر في أن **وَدَّكَ** نبين لك إن كان فيها شيء غارتك<sup>(١)</sup>، فعلم، أرشدك الله، أن فيها مسائل غلطاً:

الأولى: قولك: أول واجب على كل ذكر وأنثى النظر في الوجود، ثم معرفة العقيدة، ثم علم التوحيد.

وهذا خطأ، وهو من علم الكلام الذي أجمع السلف على دمه، وإنما الذي أتت به الرسل أول واجب هو التوحيد، ليس النظر في الوجود، ولا معرفة العقيدة كما ذكرته أنت في الأوراق، أن كل نبي يقول لقومه: **﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾**.

الثانية: قولك في الإيمان بالله وملائكته... إلى آخره: والإيمان هو التصديق الجازم بما أتى به الرسول.

فليس كذلك، وأبو ضلب عمه جازم بصدقه، والذين يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، والذين يقولون: الإيمان هو التصديق الجازم. هم الجهمية، وقد اشتد نكير السلف عليهم في هذه المسألة.

الثالثة: قولك: إذا قيل للعمى ونحوه: ما الدليل على أن الله ربك؟ ثم

ذَكَرْتُ مَا الدَّلِيلُ عَلَى اخْتِصَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ، وَذَكَرْتُ الدَّلِيلَ عَلَى تَوْحِيدِ  
الْأُلُوهِيَةِ.

فاعلم أن الربوبية والألوهية يجتمعان ويفترقان، كما في قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ  
النَّاسِ ۝ مَلِكٍ النَّاسِ ۝ إِلَهٍ النَّاسِ﴾ وكما يقال: رب العالمين وإله  
المرسلين. وعند الأفراد يجتمعان، كما في قول القائل: من ربك؟ مثاله: الفقير  
والمسكين نوعان في قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ ونوع واحد في  
قوله: «افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم»<sup>(١)</sup> إذا ثبت هذا  
فقول الْمَلَائِكَةِ لِلرَّجُلِ فِي الْقَبْرِ: «مَنْ رَبُّكَ؟»<sup>(٢)</sup> معناه: مَنْ إِلَهُكَ؟ لأن الربوبية  
التي أقر بها المشركون ما يُمْتَحَنُ أَحَدُهَا، وكذلك قوله: ﴿لَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ  
دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ وقوله: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ بَنِيَّ رَبًّا﴾ وقوله:  
﴿إِنَّ الَّذِي كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُسَمِّيهِمْ قُلُوبًا كَاذِبِينَ﴾ فالربوبية في هذا هي الألوهية، ليست  
قسمة لها، كما تكون قسمة لها عند الاقتران، فينبغي التفطن لهذه المسألة.  
الرابعة: قولك في الدليل على إثبات نبوة محمد ﷺ: ودليله الكتاب والسنة.  
ثم ذكر الآيات.

كلام مَنْ لم يفهم المسألة، لأن الْمُتَكَبِّرَ لِلنَّبُوءَةِ أو الشَّاكَّ فِيهَا إذا اسْتَدَلَّتْ عَلَيْهِ  
بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ يَقُولُ: كَيْفَ تَسْتَدِلُّ عَلَيَّ بِشَيْءٍ مَا أَتَى بِهِ إِلَّا هُوَ! وَالصَّوَابُ فِي  
الْمَسْأَلَةِ أَنْ تَسْتَدِلَّ عَلَيْهِ بِالنَّحْدِي بِأَقْصَرِ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، أو شهادة علماء أهل  
الكتب، كما في قوله: ﴿وَلَا يَكْفُرُ لَكُمْ عَنْ يَدِهِ أَنْ يَكْفُرَ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أو لكونهم  
يعرفونه قبل أن يخرج، كما في قوله تعالى: ﴿وَكُنُوزًا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ

(١) أحرجه السحري (١٣٩٥) ومسلم (١٩).

(٢) أحرجه مسلم (٢٨٧١).

كَفَرُوا ﴿١﴾ الآية، إلى غير ذلك من الآيات التي تفد الحصر وتقطع الخصم.  
الخامسة: قولك: اعلم يا أخي، لا عَلِمْتَ مكروهاً.

فاعلم أن هذه كلمة تضاد التوحيد؛ وذلك أن التوحيد لا يعرفه إلا مَنْ عرف الجاهلية، والجاهلية هي المكروه. فمن لم يعلم المكروه لم يعلم الحق، فمعنى هذه الكلمة: اعلم، لا علمت خيراً. وَمَنْ لم يعلم المكروه ليجتنبه لم يعلم المحبوب، وبالجمله فهي كلمة عامية جاهلية، ولا ينبغي لأهل العلم أن يقتدوا بالجهال.

السادسة: جزمك بأن النبي ﷺ قال: «اطلبوا العلم ولو من الصين»<sup>(١)</sup>.

فلا ينبغي أن يجزم الإنسان على رسول الله ﷺ بما لا يعلم صحته، وهو من القول بلا علم، فهو أنك قلت: ورُوي، أو ذَكَرَ فلان، أو ذُكِرَ في الكتاب الفلاني. لكان هذا مناسباً، وأما الجزم بالأحاديث التي لم تصح فلا يجوز، فتفتن لهذه المسألة، فما أكثر مَنْ يقع فيها.

السابعة: قولك في سؤال الملكين: والكعبة قبلتي، وكذا وكذا.

فالذي علمناه عن رسول الله ﷺ أنهما يسأَلَانِ عن ثلاث: عن التوحيد، وعن الدين، وعن محمد ﷺ فإن كان في هذا عندكم رابعة فأفيدونا، ولا يجوز الزيادة على ما قال الله ورسوله.

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٥٣) عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «اطلبوا العلم ولو بالصين فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم» قال البيهقي: هذا الحديث شبه مشهور، وسنده ضعيف، وقد روي من أوجه كلها ضعيفة. وقال الشَّحْ لَأَبِي. موضوع (ضعيف الجامع ٩٠٦) والشرط الثاني ثلث (صحح لجمع ٣٩١٣)

الثامنة: قولك في الإيمان بالفسر: إنه الإيمان بأن لا يكون صغير ولا كبير إلا بمشيئة الله وإرادته، وأن يفعل المأمورات، ويترك المنهيات.

وهذا غلط؛ لأن الله سبحانه له الخلق والأمر، والمشيئة والإرادة، وله الشرع والدين، إذا ثبت هذا ففعل المأمورات وترك المنهيات هو الإيمان بالأمر، وهو الإيمان بالشرع والدين، ولا يُذكر في حد الإيمان بالقدر.

التاسعة: قولك: الآيات التي في الاحتجاج بالقدر، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ الآية. ثم قلت: فإيك والاقتداء بالمشركين في الاحتجاج على الله، وحسبك من القدر الإيمان به. فالذي ذكرنا في تفسير هذه الآيات غير المعنى الذي أردت، فراجعته وتأمله بقبحك، فإن اتضح لك، وإلا فراجعني فيه؛ لأنه كلام طويل.

العاشرة: وأخبرناها لشدة الحاجة إليها: قولك: إن المشركين الذين قتلهم رسول الله ﷺ قد أقروا بتوحيد الربوبية. ثم أوردت الأدلة الواضحة على ذلك، وإنما قتلهم رسول الله ﷺ عن توحيد الألوهية، ولم يدخل الرجل في الإسلام بتوحيد الربوبية إلا إذا انضم إليه توحيد الألوهية.

فهذا كلام من أحسن الكلام وأبينه تفصيلاً، ولكن العمم لما وجهت إبراهيم، كتبوا له علماء سدير مكاتبة وبعثوا لنا، وهي عندنا الآن، ولم يذكروا فيها إلا توحيد الربوبية. فإذا كنت تعرف هذا فلا شيء ما أخبرت إبراهيم ونصحت أنه هؤلاء ما عرفوا التوحيد، وأنهم مُنكروا دين الإسلام! وكذلك أحمد بن يحيى راعي رغبة عدوته لتوحيد الألوهية والاستهراء بأهل العارض لما عرفوه، وإن كان يقر به أحياناً، عداوة ظهيرة لا يمكن أنها لا تلبعك، وكذلك ابن إسماعيل أنه نقض ما أبرمت في التوحيد، وتعرف أن عنده الكتاب الذي صنفه رجل من



أهل البصرة<sup>(١)</sup>، كله من أوله إلى آخره في إنكار توحيد الألوهية، وأتاكم به ولد محمد بن سليمان، راعي وثيقه، وقرأه عندكم وجادل به جماعتكم، وهذا الكتاب مشهور عند المومنين وأتباعه، مثل ابن سحيم وابن عبيد، يحتجون به علينا، ويدعون الناس إليه، ويقولون: هذا كلام العلماء. فإذا كنت تعرف أن النبي ﷺ ما قاتل الناس إلا عند توحيد الألوهية، وتعلم أن هؤلاء قاموا وقعدوا، ودخلوا وخرجوا، وجاهدوا ليلاً ونهاراً في صد الناس عن التوحيد، يقرؤون عليهم مصنفات أهل الشرك، لأي شيء لم تظهر عداوتهم وأنهم كفار مرتدون؟

فإن كان بائن لك أن أحداً من العلماء لا يكفر من أنكر التوحيد، أو أنه يشك في كفره، فذكره لنا وأفدنا، وإن كنت تزعم أن هؤلاء فرحوا بهذا الدين، وأحبوه ودعوا الناس إليه، ولما أتاهم تصنيف أهل البصرة في إنكار التوحيد كفروه وكفروا من عمل به، وكذلك لم أتاهم كتب ابن عفالق<sup>(٢)</sup>، الذي أرسنه المومنين لابن إسماعيل، وقدم به عليكم العام، وقرأه على جماعتكم، يزعم فيه أن التوحيد دين ابن تيمية، وأنه لم أفتى به كفره العلماء، وقامت عليه القيامة. إن كنت تقول: ما جرى من هذا شيء. فهذا مكابرة، وإن كنت تعرف أن هذا هو الكفر الصراح والردة الواضحة، ولكن تقول: أخشى الناس. فالله أحق أن تخشاه.

ولا تظن أن كلامي هذا معاتبة وكلام عليك، فوالله الذي لا إله إلا هو إنه

(١) هو: أحمد بن علي البصري، مشهور بالقباني، (كن حياً سنة ١١٥٧هـ)، ألف كتاباً عنوانه «فصل الخطاب في رد ضلالات ابن عبد الوهاب». انظر: «دعوى المذوئين» (ص ٤٤).

(٢) عنوان كتابه في الرد على شيخ محمد بن عبد الوهاب: «تهكم السفهين في مدعى تحديد الدين». انظر: «دعوى المذوئين» (ص ٤٢).

نصيحة: لأن كثيراً ممن واحشاه وقرأ علينا يتعلم هذا ويعرفه بلسانه، فإذا وقعت المسألة لم يعرفها، بل إذا قالوا له بعض المشركين: نحن نعرف أن رسول الله لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، وأن النفع الضار هو الله. يقول: جزاك الله خيرا! ويظن أن هذا هو التوحيد! ونحن نعلمه أكثر من سنة أن هذا هو توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون، فالله الله في التفطن لهذه المسألة، فإنها الفارقة بين الكفر والإسلام، ولو أن رجلاً قال: شروط الصلاة تسعة. ثم سردها كلها، فإذا رأى رجلاً يصلي عريانا بلا حاجة، أو على غير وضوء، أو لغير القبلة، لم يدر أن صلاته فسدة، لم يكن قد عرف الشروط، ولو سردها بلسانه. ولو قال: الأركان أربعة عشر. ثم سردها كلها، ثم رأى من لا يقرأ الفاتحة، ومن لا يركع، ومن لا يجلس للتشهد، ولم يفطن أن صلاته باطلة، لم يكن قد عرف الأركان، ولو سردها. فالله الله في التفطن لهذه المسألة، ولكن أشير عليك بعزيمة؛ أنك تاصلنا وتذاكر معك، وكذلك أيضا من جهة البدع، قيل لي إنك تقول فيها شيئا ما يقوله الذي عارف مسألة البدع. وصلى الله على محمد وآله وسلم.

ومنها: رسالة أرسلها إلى محمد بن عيد<sup>(١)</sup>، من مطاوعة ثرمدا، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى محمد بن عيد: وفقنا الله وإياه لم يحبه ويرضاه، وبعد.

وصل الكراس، وتذكرون أن الحق إن بان لكم اتعتم، وفيه كلام غير هذا سر الحاطر، من ضرفك خصة، بسبب أن لك عقلا، والثابة أن لك عرضا نبخ به، والثالثة أن الظن فبك إن بان لك الحق أنك ما تبعه بالزهايد.

(١) انظر ترجمته في: «علماء نجد خلال ثمانيه قرون» (٦، ٢٧٤) وسماه «ابن عبد»، وهو وهم

فأما تقريركم أول الكلام أن الإسلام خمس كأعضاء الوضوء، وأنكم تعرفون كلام الله وكلام رسوله. وإجماع لعلماء أن له نوافض كنواقض الوضوء الشمانية:

منها: اعتقاد القلب. وإن لم يعمل أو يتكلم، يعني إذا اعتقد خلاف ما علمه الرسول أمته بعدما تبين له.

ومنها: كلام باللسان. وإن لم يعمل ولم يعتقد.

ومنها: عمل بالجوارح، وإن لم يعتقد ويتكلم، ولكن من أظهر الإسلام، وظننا أنه أتى بدقّض، لا نكفره بالظن؛ لأن اليقين لا يرفعه الظن، وكذلك لا نكفر من لا نعرف منه الكفر بسبب ناقض ذكر عنه ونحن لم نتحققه.

وما قررتم هو الصواب الذي يجب على كل مسلم اعتقاده والتزامه، ولكن قبل الكلام اعلم أي عرفت بأربع مسائل:

الأولى: بيان التوحيد، مع أنه لم يطرق أذان أكثر الناس.

الثانية: بيان الشرك، ولو كان في كلام من ينتسب إلى العلم أو عبادة، من دعوة غير الله أو قصده بشيء من العبادة، ولو زعم أنهم يريدون أنهم شفعاء عند الله، مع أن أكثر الناس يظن أن هذا من أفضل القربات، كما ذكرتم عن العلماء أنهم يذكرون أنه قد وقع في زمانهم.

الثالثة: تكفير من بان له أن التوحيد هو دين الله ورسوله، ثم أبغضه ونفّر الناس عنه وجاهد من صدّق الرسول فيه، ومن عرف لشرك، وأن رسول الله ﷺ بُعِثَ بإنكاره، وأقرّ بذلك ليلاً ونهاراً، ثم مدحه وحسّه لنس. وزعم أن أهله لا يخطئون لأتهم السواد الأعظم. وأما ما ذكر الأعداء عني أنني أكفر بالظن والموالاتة، أو أكفر الحاهل الذي لم تقم عليه الحجة، فهذا بهتان عظيم يريدون

به تنفير الناس عن دين الله ورسوله .

الرابعة: الأمر بقتال هؤلاء خاصة ﴿حَقَّ لَا تَكُونُ فِتْنَةً وَيَكُونُ الَّذِينَ كَلِمَةُ اللَّهِ﴾ .

فلما اشتهر عني هؤلاء الأربع صدقني من يدعي أنه من العلماء، في جميع البلدان، في التوحيد وفي نفي الشرك، وردوا عليّ التكفير والقتال .

إذا تحققت ما ذكرت لك ابني الجواب على ما ذكرت في أول الأوراق، من إقراركم بمعرفة نواقض الإسلام بإجماع العلماء، بشرط أنكم لا تكفرون بالظن، ولا من لا تعرفون، فنقول:

من المعلوم عند الخاص والعام ما عليه البوادي أو أكثرهم، فإن كابر معاند لم يقدر على أن يقول إن عِزَّةَ وآلِ ظفير وأمثالهم كلهم، مشاهيرهم والأتباع، أنهم مُقَرَّرُونَ بالبعث ولا يَشْكُونَ فيه، ولا يقدر أن يقول إنهم يقولون إن كتاب الله عند الحضر، وإنهم عايفينه ومتبعون ما أحدث آباؤهم مما يسمونه الحق، ويفضلونه على شريعة الله، فإن كان للوضوء ثمنية نواقض، ففيهم من نواقض الإسلام أكثر من المائة ناقض، فلما بينت ما صرحت به آيات التنزيل، وعلمه الرسول أمته، وأجمع عليه العلماء: من أنكّر البعث، أو شك فيه، أو سبّ الشرع، أو سبّ الأذان إذا سمعه، أو فضّل فراضة الطاغوت على حكم الله، أو سبّ من رعم أن المرأة ترث، أو أن الإنسان لا يؤخذ في القتل بجريمة أبيه وابنه - أنه كافر مرتد .

قال علماؤكم: معلوم أن هذا حال البوادي لا ننكره، ولكن يقولون «لا إله إلا الله» وهي تحميمهم من الكفر، ولو فعلوا كل ذلك! ومعلوم أن هؤلاء أولى وأظهر من يدخل في تقريركم، فلما أظهرت تصديق الرسول فيما جاء به سبوني

عاية المسببة، وزعموا أبي أكفر أهل الإسلام وأستحل أموالهم، وصرحوا، أنه لا يوجد في جزيرت رحل واحد كافر، وأن ابوابي يفعنون من النواقض مع علمهم أن دين الرسول عند الحضر، وجحدوا كفرهم.

وأنتم تذكرون أن من رد شيئاً مما جاء به الرسول، بعد معرفته، أنه كافر، فإذا كان المويس وابن إسماعيل والعديلي وابن عباد وجميع أتباعهم كلهم على هذا، فقد صرحتم غية التصريح أنهم كفار مرتدون، وإن ادعى مدع أنهم يكفرونهم. أو ادعى أن جميع البدية لم نتحقق من أحد منهم من النواقض شيئاً، أو ادعى أنهم لا يعرفون أن دين الرسول خلاف ما هم عليه، فهذا كمن ادعى أن ابن سليمان وسويد وابن دواس وأمثالهم، عباد زهاد فقراء، ما شاخوا في بلد قط، ومن ادعى هذا فأسقط الكلام معه.

ونقول ثانياً: إذا كانوا أكثر من عشرين سنة يقرأون ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، أن التوحيد الذي أظهر هذا الرجل هو دين الله ورسوله، لكن الناس لا يطيعوننا. وأن الذي أنكره هو الشرك، وهو صادق في إنكاره، ولكن لو يسلم من التكفير والقتال كان على الحق، هذا كلامهم على رؤوس الأشهاد، ثم مع هذا يُعادون التوحيد ومن مال إليه العداوة التي تُعرف، ولو لم يُكفر ويُقاتل، وينصرون الشرك نصر الذي تُعرف، مع إقرارهم بأنه مشرك، مثل كون المويس وخواص أصحابه ركبوا وتركوا أهلهم وأموالهم إلى أهل قبة الكواز وقبة رجب، سنة يقولون به قد خرج من يكر قُببكم وما أتم عليه. وقد أحل دماءهم وأموالهم وكذلك ابن إسماعيل وابن ربيعة والمويس أيضاً بعدهم سنة رحلوا إلى أهل قبة أبي طئب، وأعرؤهم بمن صدق النبي ﷺ وأحلوا دماءنا وأموالنا، حتى جرى على الناس ما تعرف، مع أن كثيراً منهم لم يُكفر ولم يُقتل.

وقد رتبتم أن من خالف الرسول في عشر معشار هذا، ولو بكلمة، أو عقيدة

فلب أو فعل، فهو كافر، فكيف بمن جاهد بنفسه وماله وأهله ومن أطاعه في عداوة التوحيد وتقرير الشرك، مع إقراره بمعرفة ما جاء به الرسول؟ فإن لم تكفروا هؤلاء ومن ابغهم، ممن عرف أن التوحيد حق وأن ضده الشرك، فأنتم كمن أفتى بانتقاض وضوء من يزغ منه مثل رأس الإبرة من البور، وزعم أن من يتغوط ليلاً ونهاراً وأفتى للناس أن ذلك لا ينقض، وتبعوه على ذلك حتى يموت، أنه لا ينقض وضوؤه.

وتذكرون أنني أكفّرهم بالموالاة، وحاشا وكلا، ولكن أقطع أن كُفّرَ مَنْ عَبَدَ قبة أبي طالب لا يبلغ عُشْرَ كُفْرِ المويس وأمثله، كما قال تعالى: ﴿لَا يَتَهَكَّرُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِيلُواكُمْ فِي الْإِيمَانِ وَلَمْ يَمُوجُوا مِنْ دَبْرِكُمْ﴾ الآيتين، وأنا أمثل لك مثالا، لعل الله أن ينفعل به، لعلمي أن الفتنة كبيرة، وأنهم يحتجون بما تعرفون. منها ما ذكروا في الأوراق أنهم لم يقصدوا بحربكم رد التوحيد وإحياء الشرك. وبما قصدوا دفع الشر عن أنفسهم خوف البغي عليهم، فنقول:

لو نقدر أن السلطان ظلم أهل المغرب ظلماً عظيماً في أموالهم وبلادهم، ومع هذا خافوا استيلاءهم على بلادهم ظلماً وعدواناً، ورأوا أنهم لا يدفعونهم إلا باستنجاد الفرنج، وعلموا أن الفرنج لا يوافقونهم إلا أن يقولوا: نحن معكم على دينكم وديناكم، ودينكم هو الحق، ودين السلطان هو الباطل. وتظاهروا بذلك ليلاً ونهاراً، مع أنهم لم يدخلوا في دين الفرنج. ولم يتركوا الإسلام بالفعل، لكن لما تظاهروا بما ذكرنا. ومرادهم دفع الظلم عنهم. هل يشك أحد أنهم مرتدون في أكبر ما يكون من الكفر والردة، إذا صرحوا أن دين السلطان هو الباطل، مع علمهم أنه حق، وصرحوا أن دين الفرنج هو الصواب. وأنه لا يُنصّر أنهم لا يتيهون؛ لأنهم أكثر من المسمين، ولأن الله أعصاهم من الدنيا شيئاً كثيراً، ولأنهم أهل الزهد والرهبة؟

فتأمل هذا تأملاً جيداً، وتأمل ما صدرتم به الأوراق؛ من موافقتهم به الإسلام. ومعرفكم بالافص إذا تحققموه. وأنه يكون بكلمة ولو لم تُعْتَقَد، ويكون بفعل ولو لم يُتَكَّم، ويكون في القلب من الحب والبغض ولو لم يُتَكَلَّم ولم يَعْمَل. تبين لك الأمر، اللهم إلا إن كنتم داكرين في أول الأوراق وأنتم تعتقدون خلافه، فذاك أمر آخر.

وأما ما ذكرتم من كلام العلماء فعلى الرأس والعين، ولكن عنه جوابان: أحدهما: أنكم لو لم تنقلوا كلام ابن عقيل في «الفنون» وكلام الشيخ في «اقتضاء الصراط المستقيم» وكلام ابن القيم لقلت: لعلهم مخطئون، قائلون بمبلغ علمهم. هذا كله عندنا في هذه الكتب كما هو عندكم، وابن عقيل ذكر أنهم كفار بهذا الفعل - أعني دعوة صاحب التربة ودس الرقاع - وأنتم تعلمون ذلك.

وأصرح منه كلام الشيخ في قوله: ومن ذلك ما يفعله الجاهلون بمكة. يا سبحان الله، كيف تركتم صريحه في العبادة بعينها أن هذا من فعه كان مرتدًا، وأن المسلم إذا ذبح للزهرة والجن ولغير الله فهو مما أهل لغير الله به، وهي أيضًا ذبيحة مرتد، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان، فصرح أن هذا الرجل إذا ذبح للجن مرة واحدة صار كافرًا مرتدًا، وجميع ما يذبحه للأكل بعد ذلك لا يحل؛ لأنه ذبيحة مرتد، وصرح في مواضع من الكتب كثيرة بكفر من فعل شيئًا من الذبح والدعوة، حتى ذكر ثاث بن قرة وأبا معشر البلخي. وذكر أنهم كفار مرتدون وأمناءهم. مع كونهم من أهل التصانيف، وأصرح من الجميع كلام ابن القيم في كثير من كتبه. فلم نقلتم بعض العبارة وتركتم بعضها علمت أنه ليس بحالة، ولكن الشرهه عليك لو أنك فاعل كما فعل بعض أهل الحساء، لم صنف بعضهم كتابًا في الرد علينا. يريد أن يبعثه. تكلم رجل منهم وقال: أحب

ما إلى ابن عبد الوهب وصول هذا إليه، أنتم ما تستحون! فتركوا الرسالة.

الجواب الثاني: أنه على سبيل النزول أن الشرك لا يكفر من فحشه، وأنه شرك أصغر، أو أنه معصية غير الكفر، مع أن جميع ما ذكرتم لا يدل على ذلك. فإن أردت يثبت لك في غير هذه المرة معني هذه العبارات من الأدلة من كلام كل رجل، كما بينته لك من كلام الشيخ، لكن أنتم مسلمون أن رسول الله ﷺ قد أنكره ونهى عنه. فلو أن رجلاً أقرب بذلك، مع كونه لم يفعله، لكنه زينه للناس ورغبهم فيه، أليس هذا كافراً مرتدّاً؟

ولو قدرنا أن الأمر الذي كرهه وصد الناس عنه، ما أمر به الرسول إلا أمر استحباب، كركعتي الفجر، أو أن الذي نهى عنه ما نهى عنه إلا نهى تنزيه. كالأكل بلشمال، والنوم للجُنب من غير وضوء، ولو أن رجلاً عرف نهى الرسول، وزعم لأجل غرض من الأغراض أن الأكل بلشمال هو الأحب المرضي عند الله، وأن الأكل باليمين يضر عند الله، وأن الوضوء للجُنب إذا أراد النوم يضر عند الله، وأن النوم من غير وضوء أحب إلى الله، مع علمه بما قال الرسول ﷺ أليس هذا كلام كافر مرتد! فكيف بمن سب دين الله الذي بعث به جميع الأنبياء، مع إقراره ومعرفته به، ومدح دين المشركين الذي بعث الله الأنبياء بإنكاره، ودعا الناس إليه مع معرفته؟

ولكن أرى لك أن تقوم في السحر. وتدعو بقلب حاضر بالأدعية المأثورة، وتطرح نفسك بين يدي الله أن يهديك ندينه ودين نبيه ﷺ. وصلى الله على محمد وآله وسلم.

ومنها: رسالة أرسلها جواباً لعبد الله بن سحيم، مطوع من أهل المجمع، حين سألته عن الكتاب الذي أرسله عدو الله سليمان بن محمد بن سحيم. مطوع أهل الرياض، وكانت رسالة أرسلها إلى أهل البصرة والحسا، يشنع فيها على



الشيخ بالكذب والبهتان والزور والباطل الذي ما جرى وما كان، وقصده بذلك الاستنصار بكلامهم على إبطال ما أظهره الشيخ من بيان التوحيد وإخلاص الدعوة لله، وهدم أركان الشرك، وإبطال مناهج الضلال والإفك، ورام هذا أن يرتقي إلى ذلك بأسباب، ويستدعي من كل معاند مكابر جواب، وإلا قاله تعالى بفضلته قد أزال اللبس والحجاب، وكشف عن القلوب المظلمات الرئين والاحتجاب، ونص رسالة المجاب<sup>(١)</sup>:

من الفقير إلى الله تعالى سليمان بن محمد بن سحيم، إلى من يصل إليه من علماء المسلمين وخُدَّام شريعة سيد ولد آدم، من الأولين والآخرين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أم بعد:

فالذي يحيط به عدمكم أنه قد خرج في قُطْرنا رجلٌ مبتدعٌ، جاهلٌ، مُضِلٌّ ضالٌّ، من بضاعة العلم والتقوى عطل، جَرَتْ منه أمور فضيحة، وأحوال شنيعة، منها شيء شاع وذاع وملاً الأسماع، وشيء لم يَتَعَدَّ أماكنه بعد، فأحببنا نشر ذلك لعلماء المسلمين، وورثة سيد المرسلين، ليصيدوا هذا المبتدع صيد أحرار الصقور، لصغار بغث الطيور، ويردوا بدعه وضلالاته، وجهه وهفواته، والقصد في ذلك القيام لله ورسوله ونصرة الدين، جعلنا الله وإياكم من الذين يتعونون على البر والتقوى.

فمن بدعه وضلالته: أنه عمد إلى شهداء أصحاب رسول الله ﷺ الكائنين في الجيلة؛ زيد بن الخطب وأصحابه، وهدم قبورهم وعثرها. لأجل أنهم في حجارة، ولا يقدر أن يَحْفَرُوا لهم، فظفروا على أضرحتهم قدر ذراع ليمسحوا

(١) هذا من إصناف الشيخ ابن عبد الله؛ إذ يورد رسالة هذا المسوي للدعوة السليمة، وهي في علها مجرد فقرات لا تسحق الالتفات

الرائحة والسبع، والدافن لهم خالد وأصحاب رسول الله ﷺ.

وعمد أيضًا إلى مسجد في ذلك وهدمه. وليس داع شرعي في ذلك إلا اتباع الهوى.

ومنها: أنه أحرق «دلائل الخيرات»<sup>(١)</sup>؛ لأجل قول صاحبها: سيدنا ومولانا.

وأحرق أيضًا «روض الرياحين»<sup>(٢)</sup>، وقال: هذا روض الشياطين.

ومنها: أنه صحَّ عنه أنه يقول: لو أقدر على حجرة الرسول هدمتها، ولو أقدر على البيت الشريف أخذت ميزابه وجعلت بدله ميزاب خشب. أما سمع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ سَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُتُوبِ﴾!

ومنها: أنه ثبت أنه يقول: الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء. وتصديق ذلك أنه بعث إليّ كتابًا يقول فيه: أقرؤا أنكم قبلي جهال ضلال.

ومن أعظمها: أن من لم يوافقه في كل ما قال، ويشهد أن ذلك حق، يقطع بكفره. ومن وافقه وصدقه في كل ما قال قال: أنت موحد. ولو كان فاسقًا محضًا أو مكاسًا، وبهذا أظهر أنه يدعو إلى توحيد نفسه لا إلى توحيد الله.

ومنها: أنه بعث إلى بدراننا كتابًا مع بعض دعاته، بخط يده، وحلف فيه بالله

(١) لمحمد بن سليمان الجزولي (ت ٨٧٠ هـ)، فقيه صوفي من أهل سوسة بالمغرب، كتبه هذه عبارة عن «صلوات مستدعة على النبي ﷺ». انظر لبيان ما فيه من انحراف: رسالة: «تنبيهات على ما في دلائل الخيرات من شطحات»؛ لأحمد لسلمي. ضمن كتابه «ثلاث رسائل في الدفع عن العقيدة» (ص ٢٧٧ - ٣٣٤٥). وذكر العلماء الذين ردوا على كتبه.

(٢) «روض ريحان في حكايات الصالحين»؛ لصوفي ليمسي عدايه بن أسعد البغلي (ت ٧٦٨ هـ) حشا كده دسحرفات ولعو بطر: «كتب حذر منها العلماء»؛ لشيخ مشهور سمد (٢ - ١٩٨).

أن علّمه هذا لم يعرفه مشايخه الذين يتسبب إلى أخذ العلم منهم، في زعمه، وإلا فليس له مشايخ، ولا عرفه أبوه، ولا أهل العرض. فيا عجباً إذا لم يتعلمه من المشايخ، ولا عرفه أبوه، ولا أهل قطره، فمن أين علمه! وعمن أخذه! هل أوحى إليه، أو رآه مناماً، أو علمه به الشيطان! وحلفه هذا أشرف عليه جميع أهل العارض.

ومنها: أنه يقطع بتكفير ابن الفارض وابن عربي<sup>(١)</sup>.

ومنها: أنه قاطع بكفر سادة عندنا من آل الرسول؛ لأجل أنهم يأخذون النذر، ومن لم يشهد بكفرهم فهو كافر عنده.

ومنها: أنه ثبت عنه لما قيل له: اختلاف الأئمة رحمة. قال: اختلافهم نقمة.

ومنها: أنه يقطع بفساد الوقف، ويكذب المروي عن رسول الله ﷺ وأصحابه أنهم وقفوا.

ومنها: إبطال الجعالة على الحج.

ومنها: أنه ترك تمجيد السلطان في الخطبة، وقال: السلطان فاسق، لا يجوز تمجيده.

ومنها: أنه قال: الصلاة على رسول الله ﷺ يوم الجمعة وليلتها، وقد: هي بدعة وضلالة تهوي بصاحبها إلى النار.

ومنها: أنه يقول: الذي يأخذه القضاة قديماً وحديثاً، إذا قَضَوْا بالحق بين الخصمين، ولم يكن بيت مال لهم وفقه، أن ذلك رشوة. ومن هذا القول، بخلاف المنصوص عن جميع الأمة، أن الرشوة مأخوذ لإبطال حق أو لإحقاق باطل، وأن للفاضي أن يقول للخصمين: لا أفضي بينكما إلا بجعل.

(١) سألني أحدث عهده: إن شاء الله ...

ومنها: أنه يقطع بكفر الذي يذبح لذبيحة ويسمي عليها ويجعلها لله تعالى .  
ويدخل مع ذلك دفع شر لجر، ويقول: ذلك كفر، واللحم حرام . فلذي ذكره  
العلماء في ذلك أنه منهي عنه فقط، وذكره في حاشية «المنتهى» .

فَيَبْنُوا، رحمكم الله، ذلك للعوام المساكين الذي لَبَسَ عليهم وأبطلَ عليهم  
الاعتقاد الصحيح، فإن رأيتُم أن ذلك صواب فَيَبْنُوا لَنَا، ونرجع إلى قوله، وإن  
رأيتُموه خطأ فاردِّعُوهُ وازْجُرُوهُ، وَيَبْنُوا للناس خطأه؛ فقد افْتَتَنَ بسببه ناس كثير  
من أهل قطرنا، فتداركوا رحمكم الله الأمر قبل أن يرسخ في النفوس، فإن  
الجواب متعينٌ على من وَقَفَ عنيه . ممن له معرفة بحكم الله ورسوله؛ لأن ذلك  
يُظْهِرُ للحق عند خفاؤه وإدحاض للباطل . انتهى ما ذكره صاحب الرسالة .

وقد يَسِّرُ الله للشيخ اتصالاً إليها، والوقوف عليها، وَاللَّهُمَّ الجواب عنها  
والتنصُّلَ عن كثير منها، فَيَبْنِ الحق الذي قاله، وَيَبْنِ الكذب والزور الذي رماه به  
أهل الجهالة، وهذا نص الرسالة . كتبها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن سحيم، وبعد:

لَقَدْ أَنَا مَكْتُوبُكَ، وم ذكرت فيه من ذكرك وم بغث، ولا يخفك أن المسائل  
التي ذَكَرْتَ أنها بلغتكم في كتاب من «العارض» جملتها أربع وعشرون مسألة،  
بعضها حق، وبعضها بهتان وكذب، وقبل الكلام فيها لا بد من تقديم أصل .  
ودلك أن أهل العلم إذا اختلفوا، والجهال إذا تزععوا، ومثلي ومثكم إذا  
اختلفنا في مسألة؛ هل الواجب اتِّبَاعُ أمر الله ورسوله وأهل العلم، أو الواجب  
اتِّبَاعُ عادة الزمان، الذي أدركنا الناس عليها ولو حالفَتْ ما ذكره العلماء في جميع  
كتبهم؟

وإما ذكرت هذا. وهو كان واضحاً، لأن بعض المسائل التي ذكرت أما قلناها. لكن هي موافقة لما ذكره العلماء في كتبهم. الحذيلة وغيرهم. ولكن هي مخالفة لعادة الناس التي شأوا عليها، فأنكره عبي من أنكره لأجل مخالفة العادة، وإلا فقد رأوا تلك في كتبهم عياناً. وأفروا به، وشهدوا أن كلامي هو الحق، لكن أصابهم ما أصاب الذين قال الله فيهم: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ الآية، وهذا هو ما نحن فيه بعينه، فإن الذي راسلكم هو عدو الله ابن سحيم، وقد بينت ذلك له فأقر به، وعندنا كتب يده في رسائل متعددة أن هذا هو الحق، وأقام على ذلك سنين، لكن أنكر آخر الأمر لأسباب، أعظمها البغي أن يُنزل الله من فضله على من يشاء من عباده، وذلك أن العامة قالوا له ولأمثاله: إذا كان هذا هو الحق فلا شيء لم تنهوننا عن عبادة شمسان وأمثاله؟ فتعذرُوا أنكم ما سألتمونا. قلوا: وإن لم نسألكم كيف نُشرك بالله عندكم ولا تنصحنونا! وظنوا أن يأتيهم في هذا غرضة، وأن فيه شرفاً لغيره. وأيضاً لما أنكرن عليهم أكل السحت والرشاء، إلى غير ذلك من الأمور، فقام يدخل عندكم وعند غيركم بالبهتان، والله ناصر دينه ولو كره المشركون.

وأنت لا تستهون مخالفة العادة على العلماء فضلاً عن العوام، وأنا أضرب لك مثلاً بمسألة واحدة، وهي مسألة الاستجمار ثلاثاً فصاعداً، من غير عضم ولا روث، وهو كاف مع وجود الماء عند الأئمة الأربعة وغيرهم، وهو إجماع لأمة لا خلاف في ذلك. ومع هذا لو يفعله أحد لصدر هذا عند الناس أمراً عظيماً. ونهوا عن الصلاة حنفة وبدعوه، مع إقرارهم بذلك. ولكن لأجل عادة.

إذا تبين هذا؛ فلمسائل التي شنع بها منها ما هو من الهتان الظاهر، وهي

قوله إني مطل كتب المذهب. وقوله إني أقول إن الناس من ستمئة سنة لسوا على شيء، وقوله إني أدعي الاجتهاد. وقوله إني خارج عن التقيد. وقوله إني أقول إن اختلاف العلماء نفمة. وقوله إني أكفر من توسل بالصلح. وقوله إني أكفر البوصيري لقوله «يا أكرم الخلق»، وقوله إني أقول: لو أقدر على هدم حجرة الرسول لهدمتها، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزاباً من خشب، وقوله إني أنكر زيارة قبر النبي ﷺ، وقوله إني أنكر زيارة قبر النبي ﷺ. وقوله إني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهم، وإني أكفر من يحنف بغير الله.

فهذه اثنتا عشرة مسألة، جوابي فيها أن أقول: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾. ولكن قبله من بهت النبي محمدًا ﷺ أنه يسب عيسى بن مريم ويسب الصالحين! تشبهت قلوبهم، وبهتوه بأنه يزعم أن الملائكة وعيسى وعزير في النار، فأنزل الله في ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْ الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهُ مُبْعَدُونَ﴾ الآية.

وأما المسائل الأخر وهي: أني أقول: لا يتم إسلام الإنسان حتى يعرف معنى «لا إله إلا الله» ومنها: أني أعرف من يأتي بمعناها، ومنها أني أقول: الإله هو الذي فيه السر، ومنها: تكفير الناذر إذا أراد به التقرب لغير الله وأخذ النذر كذلك، ومنها: أن لذبح للجن كفر، ولذبيحة حرام، ولو سئى الله عليها إذا ذبحها للجن.

فهذه خمس مسائل كلها حق. وأن قائلها، ونبدأ بالكلام عليها لأنها أم المسائل، وقبل ذلك ذكر معنى «لا إله إلا الله»، فنقول:

لتوحيد نوحان: توحيد الربوبية، وهو أن الله سبحانه متفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة ولأنبياء وغيرهم، وهذا حق لا بد منه، لكن لا يدخل الرجل في الإسلام لأن أكثر الناس مُفْرَوون به، قل الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا تَلْقَوْنَ﴾، وأن الذي يدخل

الرجل في الإسلام هو توحيد الألوهية، وهو ألا يُعبد إلا الله، لا ملئك مُقَرَّب ولا نبي مُرْسَل، وذلك أن النبي ﷺ بُعِثَ وأهل الجاهلية يعبدون أشياء مع الله؛ فمنهم من يدعو الأصنام، ومنهم من يدعو عيسى، ومنهم من يدعو الملائكة، فنهاهم عن هذا، وأحبرهم أن الله أرسنه لِيُوحِّدَ ولا يُدعى أحدٌ من دونه، لا الملائكة ولا الأنبياء، فمن تبعه ووَحَّدَ الله فهو الذي شهد أن لا إله إلا الله، ومن عصاه ودعا عيسى والملائكة، واستنصرهم والتجأ إليهم، فهو الذي جحد «لا إله إلا الله» مع إقراره أنه لا يَخُفُّ ولا يَرْزُقُ إلا الله.

وهذه جملة لها بسط طويل، لكن الحاصل أن هذا مجمع عليه بين العلماء، ولما جرى في هذه الأمة ما أخبر نبيها ﷺ حيث قال: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَدُّو الْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتموه»<sup>(١)</sup> وكان من قبلهم كما ذكر الله عنهم ﴿تَتَّخِذُوا أَجْرَهُمْ وَرُفْعَتَهُمْ أَرْكَانًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فصار ناس من الضالِّين يَدْعُونَ أَنَسًا من الصالحين في الشدة والرخاء، مثل عبد القدر الجيلاني وأحمد البدوي وعدي بن مسافر، وأمثالهم من أهل العبادة والصلاح، فأنكر عليهم أهل العلم غاية الإنكار، وزجروهم عن ذلك وحذروهم غاية التحذير والإنذار، من جميع المذاهب الأربعة في سائر الأقطار والأمصار، فلم يحصل منهم انزجار، بل استمروا على ذلك غاية الاستمرار، وأما الصالحون الذين يكرهون ذلك فحشاهم من ذلك، وبيّن أهل العلم أن أمثال هذا هو الشرك الأكبر.

وأت ذكرت في كتابك: ما تقول يا أخي ما لنا والله دليل إلا من كلام أهل العلم. وأن أقول كلام أهل العلم ﷺ، وأنا أنقله لك، وأنبهك عليه، فتصكر

(١) أحرجه لبخري (٣٤٥٦) ومسم (٢٦٦٩).

فيه، وقم لله ساعةً نظرًا ومناظرًا، مع نفسك ومع غيرك، فإن عَرَفْتَ أن الصواب معي، وأن دير الإسلام اليوم من أغرب الأشياء، أعني دير الإسلام المصْرَف، الذي لا يُمَرَّج بالشرك والبدع، وأما الإسلام الذي ضده الكفر، فلا شك أن أمة محمد ﷺ آخر الأمم، وعليها تقوم الساعة، فإن فَهِمْتَ أن كلامي هو الحق فاعمل لنفسك، واعلم أن الأمر عظيم، والخطب جسيم، فإن أشْكَلَ عليك شيء فسَفَرُكَ إلى المغرب في طلبه غير كثير.

واعتبر لنفسك، حيث كَتَبْتَ لي فيما مضى أن هذا هو الحق الذي لا شك فيه، لكن لا نقدر على تغيير، وتكلمت بكلام حسن، فلما غربلك الله بولد المويس، ولَبَسَ عليك، وكتب لأهل الوشم يستهزئ بالتوحيد، ويزعم أنه بدعة، وأنه خرج من خراسان، ويسب دين الله ورسوله، لم تظن لجهله وعظم ذنبه، وظننت أن كلامي فيه من باب الانتصار للنفس، وكلامي هذا لا يغيرك، فإن مرادي تفهم أن الخطب جسيم، وأن أكابر أهل العلم يتعلمون هذا ويغبطون فيه، فضلًا عنا وعن أمثَلنا، فلعله إن أشْكَلَ عليك تواجِهني. هذا إن عَرَفْتَ أنه حق. وإن كنتُ إذا نقلتُ لك عبارات العلماء عَرَفْتُ أنني لم أفهم معناها، وأن الذي نقلتُ لك كلامهم أخطأوا، وأنهم خالفهم أحد من أهل العلم، فنبِّهني على الحق، وأرجع إليه إن شاء الله تعالى، فنقول:

قل الشيخ تقي الدين: وقد غَلِطَ في مسمى التوحيد طوائف من أهل النظر ومن أهل العبادة حتى قلبوا حقيقته؛ فضائفة ظنت أن التوحيد هو نفي الصفات، وضائفة ظنوا أنه الإقرار بتوحيد الربوبية، ومنهم من أطال في تقرير هذا الموضع، وظن أنه بذلك قرر الوحدانية، وأن لألوهية هي القدرة على الاختراع ونحو ذلك، ولم يعلم أن مشركي العرب كانوا مُقَرِّين بهذا التوحيد، قال الله تعالى: ﴿قَدْ لِمَ لِّلْأَرْضِ وَمَرِّ فِيهَا بِكُنتُمْ عَاقِلُونَ﴾ الآيات، وهذا حق،



لكن لا يَحْلُصُ به عن الإشراك بالله الذي لا يعفره الله، بل لابد أن يُخْلَصَ  
لدين لله، فلا يَعْبُدُ إلا الله. فيكون دينه لله، والإله هو المألُوه لدى تَأْلِهَةِ  
القلوب<sup>(١)</sup>. وأطال الكلام بِحَسْبِ الكلام.

وقال أَيْصَبُ في «الرسالة السنية» التي أرسبها إلى طائفة من أهل العبادة ينتسبون  
إلى بعض الصالحين وَيُعْتَنُونَ فيه، فذكر حديث الخوارج ثم قال:

فإذا كان في زمن النبي ﷺ وخلفائه الراشدين، ممن ينتسب إلى الإسلام، مَنْ  
مَرَّقَ مع عبادته العظيمة، فَلْيُعْلَمْ أن المنتسب إلى الإسلام قد يَمَرِّقُ من الدين،  
وذلك بأمور:

منها الغلو الذي ذمه الله، مثل الغلو في عدي بن مسافر أو غيره، بل الغلو في  
علي بن أبي طالب، بل الغلو في المسيح ونحوه، فكل مَنْ عَلا في نبي أو  
صحابي أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من الإلهية، مثل أن يقول: يا سيدي  
فلان أغثنِي. أو: أنا في حسبك. ونحو هذا، فهذا كافر يستتاب، فإن تاب وإلا  
قتل، فإن الله سبحانه إنم أرسل الرسل وأنزل الكتب لِيُعْبَدَ ولا يُدْعَى معه إله  
آخر، والذين يدعون مع الله آلهة أخرى، مثل الشمس والقمر والصالحين  
والتماثيل المصورة على صورهم، لم يكونوا يعتقدون أنها تُنْزِلُ المطر أو تُنْبِتُ  
النبات، وإنما كانوا يعبدون الملائكة والصالحين ويقولون: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ  
أَلْوَهٍ﴾ فبعث الله الرسل وأنزل الكتب تَنْهَى أن يُدْعَى أحدٌ من دونه، لا دعاء عبادة  
ولا دعاء استعانة<sup>(٢)</sup>. وأطال الكلام بِحَسْبِ، فتأمل كلامه في أهل عصره من أهل  
النظر الذين يدعون العلم، ومن أهل العبادة الذين يدعون الصلاح.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٤١ - ٤٣).

(٢) مجموع فتاوى (٣/ ٣٨٣ - ٣٩٦).

وقال في «إفناع» في باب حكم المرتد، في أوله:

فمن أشرك بالله أو جحد ربوبيته أو وحدانيته... إلى أن قال: أو استهزا بالله أو رسله. قال الشيخ: أو كان مبغضاً لرسوله، أو لمَ جاء به انشقاق، أو جعل بينه وبين الله وسائط يدعوههم ويتوكل عليهم ويسألهم - كَفَرَ إجماعاً... إلى أن قال: أو أنكَرَ الشهادتين أو إحداهما<sup>(١)</sup>.

فتأمل هذا الكلام بِشَرَايِرِ قُبُحٍ، وتأمل؛ هل قالوا هذا في أشياء وَجِدَتْ في زمانهم واشتد نكيرهم على أهلها، أو قالوها ولم تقع؟ وتأمل الفرق بين جحد الربوبية والوحدانية والبغض لما جاء به الرسول.

وقال أيضًا في أثناء الباب: ومن اعتقد أنَّ لأحد طريقًا إلى الله غير متابعة محمد ﷺ أو لا يجب عليه اتباعه، أو أن لغيره خروج عن اتباعه، أو قال: أنا محتج إليه في علم الظاهر دون علم الباطن. أو: في علم الشريعة دون علم الحقيقة. أو قال: إن من العدماء مَنْ يَسْعُهُ الخروج عن شريعته كما وسع الخَصِرَ الخروج عن شريعة موسى. كفر في هذا كله<sup>(٢)</sup>.

ولو تعرف من قال هذا الكلام فيه وجزم بكفرهم، وَعَلِمَتْ ما هم عليه من الزهد والعبادة، وأنهم عند أكثر أهل زمان من أعظم الأولياء، لقضيت العجب. وقال أيضًا في الباب:

ومن سبَّ الصحابة، واقتَرَنَ بِسَبِّهِ دعوى أن عليًّا إله أو نبي، أو أن جبريل غَلِظَ، فلا شك في كفر هذا. بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره<sup>(٣)</sup>.

(١) إفناع (٤ / ٢٩٧)

(٢) مجموع الصوى (١١ / ٣٦٣، ٢٧ / ٥٩)

(٣) إفناع (٤ / ٢٩٩)

فتأمل هذا، إذا كان كلامه هذا في عليٍّ، فكيف بمَن ادَّعى أن ابن عربي أو عبد القدر إله! ونأمل كلام الشيخ في معنى الإله الذي تَلَّهُهُ القلوب

واعلم أن المشركين في زماننا قد زادوا على الكفر في زمن النبي ﷺ بأنهم يَدْعُونَ الْأَوْيَاءَ وَالصَّالِحِينَ فِي الرِّحَاءِ وَالشَّدَةِ، وَيَطْلُبُونَ مِنْهُمْ تَفْرِيجَ الْكَرْبَاتِ وَقَضَاءَ الْحَاجَاتِ، مَعَ كَوْنِهِمْ يَدْعُونَ الْمَلَائِكَةَ وَالصَّالِحِينَ، وَيُرِيدُونَ شَفَاعَتَهُمْ وَالتَّقَرُّبَ لَهُمْ، وَإِلَّا فَهُمْ مُقَرَّبُونَ بِأَنْ أَمَرَ اللَّهُ، فَهُمْ لَا يَدْعُونَهُمْ إِلَّا فِي الرِّحَاءِ، فإِذَا جَاءَتْهُمْ الشَّدَائِدُ أَخْلَصُوا لِلَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿رَبِّذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَرْ مَن تَدْعُونَ إِلَّا يَأْتِيَهُمْ فَمَا يَجْنِكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ الآية.

وقد أيضًا في «الإقناع» في الباب:

ويحرم تعلم السحر وتعليمه وفِعْلُهُ، وَهُوَ عُقْدُ وَرُقَى وَكَلَامٍ يَتَكَلَّمُ بِهِ أَوْ يَكْتُبُهُ، أَوْ يَعْمَلُ شَيْئًا يُوْثِرُ فِي بَدَنِ الْمَسْحُورِ أَوْ قَلْبِهِ أَوْ عَقْلِهِ، وَمِنْهُ مَا يَقْتُلُ، وَمِنْهُ مَا يُمَرِّضُ، وَمِنْهُ مَا يَأْخُذُ الرَّجُلَ عَنْ أَمْرَاتِهِ فَيَمْنَعُهُ وَطَأْهُ، وَمِنْهُ مَا يَبْغِضُ أَحَدَهُمَا لِأَخْرَ، وَيَحْبُبُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، وَيَكْفُرُ بِتَعْلُمِهِ وَفِعْلِهِ، سِوَاءِ اعْتَقَدَ تَحْرِيمَهُ أَوْ إِبَاحَتَهُ<sup>(١)</sup>.

فتأمل هذا الكلام، ثم تأمل ما جرى في الناس، خصوصًا الصرف والعطف، تعرف أن الكفر ليس ببعيد، وعليك بتأمل هذا الباب في «الإقناع» وشرحه تأملًا جيدًا، وقِفْ عند المواضع المشككة، وذاكر فيها كما تفعل في باب الوقف والإحارة؛ يتبين لك إن شاء الله أمر عظيم.

وأم الحنفية؛ فقال الشيخ قاسم في «شرح درر البحار»:

لنذر الذي يقع من أكثر العوام، وهو أن يأتي إلى قبر بعض الصالحاء قائلًا:

(١) الإقناع (٤، ٣٠٧)

ي سبدي فلان إن رُدَّ غائبِي، أو عوفي مريضِي، أو فُضِيَتْ حاجتي فلك كذا وكذا. باطل إجماعاً؛ لوجوه؛ منها أن النذر للمخلوق لا يجوز، ومنها ظن أن الميت يتصرف في الأمر. واعتقاد هذا كفر<sup>(١)</sup>. إلى أن قال: إذا عُرِفَ هذا، فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت ونحوها، ويُثَقَّل إلى ضرائح الأولياء، فحرام بجماع المسلمين، وقد ابتلي الناس، لاسيما في مولد أحمد البدوي<sup>(٢)</sup>.

فتأمل قول صاحب «النهر» مع أنه بمصر ومقر العلماء، كيف شاع بين أهل مصر ما لا قدرة للعلماء على دفعه! فتأمل قوله: «من أكثر العوام» أتظن أن الزمان صلح بعده!

وأما المالكية؛ فقل الطرطوشي في كتاب «الحوادث والبدع»:

روى البخاري<sup>(٣)</sup> عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين، ونحن حديثو عهد بكفر، وللمشركين سدرة بعكفون حولها، ويَنُوطُونَ بها أسلحتهم، يقال لها «ذات أنواط» فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال: «الله أكبر، هذا كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»<sup>(٤)</sup> فانظروا، رحمكم الله، أينما وجدتم سدرة يقصدها الناس وينوطون بها الجِرَقَ فهي ذات أنواط، فاقطعوها.

وقال ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء؛ الذين

(١) البحر الرائق (٢/ ٣٢٠ - ٣٢١).

(٢) حاشية ابن عسدين (٢/ ٣٣٩ - ٤٤٠).

(٣) لم يروه البخاري، وهي في (مختصر الحوادث ولبدع ص ١٨) (روى أحمد).

(٤) أخرجه لترمذي (٢١٨٠) وإمام أحمد (٥، ٢١٨) وصححه الشيخ الألباني (طلال

يُضِلُّحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ»<sup>(١)</sup> ومعنى هذا أن الله لما جاء بالإسلام، فكان الرجل إذا أسلم في قبلته غريباً مستخفياً بإسلامه قد جفاه العشيرة، فهو بينهم دليل خائف، ثم يعود غريباً لكثرة الأهواء المضنة والمذاهب المختلفة، حتى يبقى أهل الحق غرباء في الناس لقلتهم وخوفهم على أنفسهم.

وروى البخاري عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء قل: والله، ما أعرف فيهم من أمر محمد إلا أنهم يُضِلُّونَ جميعاً<sup>(٢)</sup>. وذلك أنه أنكر أكثر أفعال أهل عصره.

وقال الزهري: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ فقال: ما أعرف فيهم شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيّعت<sup>(٣)</sup>. انتهى كلام الطرطوشي<sup>(٤)</sup>.

فليتأمل السيب هذه الأحاديث، وفي أي زمان قيلت وفي أي مكان، وهل أنكرها أحد من أهل العلم!

والفوائد فيها كثيرة، ولكن مرادي منها ما وقع من لصحابة، وقول الصادق المصدوق أنه مثل كلام الذين اختارهم الله على العالمين لنبههم: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ يا عجب! إذا جرى هذا من أولئك السادة، كيف يُنكر علينا أن رجلاً من لمتأخرين غلط في قوله «يا أكرم الخلق»! كيف تعجبون من كلامي فيه وتظنونني خيراً وأعلم منهم!

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٣٠) وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الجامع ١٤٤١).

(٢) صحيح لبخاري (٦٥٠).

(٣) صحيح لبخاري (٥٣٠).

(٤) مختصر الحوادث والدع (ص ١٨ - ١٩).

ولكن هذه الأمور لا علم لكم بها، وتظنون أن من وصف شركاً أو كفراً أنه الكفر الأكبر المخرج عن الملة. ولكن أين كلامك هذا من كتابك الذي أرسلت إليّ، قبل أن يغربست إليه بصاحب الشام، وتذكر وتشهد أن هذا هو الحق، وتعتذر أنك لا تقدر على الإنكار! ومرادي أبين لك كلام الطرطوشي ما وقع في زمانه من الشرك بالشجر، مع كونه في زمن القاضي أبي يعلى، أظن الزمان صالح بعده؟

وأما كلام الشافعية؛ فقل الإمام محدث الشام أبو شامة في كتاب «المباعت على إنكار البدع والحوادث» وهو في زمن الشارح وابن حمدان:

وقد وقع من جماعة من النابذيين لشرعة الإسلام، الممتمين إلى الفقر، الذي حقيقته الافتقار من الإيمان، من اعتقادهم في مشايخ لهم ضالّين مُضِلّين؛ فهم داخلون تحت قوله: ﴿أَهْلَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ وبهذه الطرق وأمثالها كان مبدئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيره.

ومن هذا القسم ما قد عمّ الابتلاء من تزوين الشيطان للعمّة تخليقَ الحيطانِ والعُمَمِ، وسرّج مواضع في كل بلد يحكي لهم حاله أنه رأى في منامه أحداً ممن شهِرَ بالصلاح، فيفعلون ذلك، ويظنون أنهم يتقربون إلى الله، ثم يجاوزون ذلك إلى أن يَعْظُمَ وَقَعُ تلك الأماكن في قلوبهم، ويرجون الشفاء لمرضهم، وقضاء حوائجهم بالنذر لهم، وهي بين عيون وشجر وحائط وحجر. وفي دمشق، صنها أنه من ذلك، موضع متعددة، كعوية الحُمى والشجرة المعونة حرح باب النصر. سهل الله قطعها، فما أشبهها بذات أنواط<sup>(١)</sup>. ثم ذكر كلاماً طويلاً، إلى أن قال: أسأل الله الكريم معافاته من كل ما يخلف رضىه. ولا

(١) اسعدت على إنكار بدع والحوادث (١، ٢٥ - ٢٦)

يجعلنا ممن أضله فاتحد إليه هو<sup>(١)</sup>.

فتأمل ذكره في هذا النوع أنه نبذ لشريعة الإسلام، وأنه خروج عن الإيمان، ثم ذكر أنه عمّ الانتلاء به في الشام، فانت قل لصاحبكم: هؤلاء العلماء من الأئمة الأربعة ذكروا أن الشرك عم الانتلاء به وغيره، وصحوا بأهله من أقطار الأرض، وذكروا أن الدين عاد غريباً، فهو بين اثنتين: إما أن يقول: كل هؤلاء العنماء جاهلون ضالون مُضِلُّون خارجون. وإما أن يدعي أن زمانه وزمان مشايخه صلح بعد ذلك.

ولا يخفك أني عثرت على أوراق عند ابن عزاز، فيها إجازات له من عند مشايخه، وشيخ مشايخه رجلٌ يقال له «عبد الغني»<sup>(٢)</sup> ويُنون عليه في أوراقهم ويسمونه «العارف بالله»، وهذا اشتهر عنه أنه على دين ابن عربي، الذي ذكر العلماء أنه أكفر من فرعون، حتى قال ابن المُقَرِّي الشافعي: من شك في كفر طائفة ابن عربي فهو كافر. فإذا كن إمام دين ابن عربي والداعي إليه هو شيخهم، ويُنون عليه أنه العارف بالله، فكيف يكون الأمر! ولكن أعظم من هذا كله ما تقدم عن أبي الدرداء وأنس، وهما بلشيم، ذلك الكلام فيه العظيم، واحتج به أهل العلم على أن زمانهم أعظم، فكيف بزماننا!

وقد ابن القيم رحمه الله، في «الهدى النبوي» في الكلام على حديث وفد الطائف، لما أسلموا وسألوا النبي ﷺ أن يترك لهم اللات؛ لا يهدمها سنة، ولما تكلم ابن القيم على المسائل المأخوذة من لقصة قل:

(١) لباعث على إنكار لبدع والحوادث (٢٨ / ١)

(٢) هو الصوفي القشبندي الشهير: عبد الغني الدبلسي (ت ١١٤٣هـ). انظر الرد على

انحرافاته في 'تقدس الأسخاص في الفكر الصوفي'؛ الدكتور محمد أحمد سوح (١)

ومنها: أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت، بعد القدرة على هدمها وإبطالها، يوماً واحداً، فابها شعتر الشرك والكفر، وهي أعظم المنكرات، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة. وهكذا حكم المشهد التي بُنيت على القبور التي اتَّخَذَتْ أَوْثَاناً تُعْبَدُ من دون الله، والأحجار التي تُقَصَّدُ للتبرك والنذر والتقبيل، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة، الثلاثة الأخرى، بل أعظم شركاً عنده وبها، والله المستعان، ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تَخْلُقُ وتَرْزُقُ، وإنما كانوا يفعلون عنده وبها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم، فاتبع هؤلاء سَنَنَ مَنْ قَبْلَهُمْ، وسلكوا سبيلهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، وسلكوا سبيلهم حَذْوَ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ، وغلب الشرك على أكثر النفوس؛ لغلبة الجهل وخفاء العلم، وصار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والسنّة بدعة، والبدعة سنة، ونشأ في ذلك الصغير، وهَرِمَ عليه الكبير، وَطَمَسَتْ الأعلام، واشتدت غربة الإسلام، وقلَّ العلماء، وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر، واشتد البأس، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس<sup>(١)</sup>. انتهى كلامه.

وقال أيضاً في الكلام على هذه القصة، لما ذَكَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَ مَالَ اللَّاتِ وَصَرَفَهُ فِي الْمَصْلَحِ:

ومنها: حوَّاز صرف الإمام الأموال التي تصير إلى هذه الطواغيت في الجهاد ومصلح المسلمين، فيحب عليه أن يأخذ أموال هذه لطواغيت النبي ﷺ سَدَقَ إِلَيْهَا ويصرفها على الحُدِّ والمقاتلة ومصلح الإسلام، كما أخذ النبي ﷺ أموال اللات، وكذا الحكم في وقفها، والوقف عيها باطل، وهو مال ضائع، فيصرف

(١) رد الموعود (٣/ ٤٤٣).



في مصالح المسممين؛ فإن الوقف لا يصح إلا في قرينة وطاعة لله ولرسوله، فلا يصح على مشهود. ولا قر يُسْرَج عليه، ويُعْظَم. ويُذَر له، ويُعَد من دون الله، وهذا مما لا يُخَالِف فيه أحدٌ من أئمة الدين ومن اتبع سبيلهم<sup>(١)</sup>. انتهى كلامه.

فتأمل كلام هذا الرجل، الذي هو من أهل العلم، وهو أيضًا من أهل الشام. كيف صرّح أنه ظهر في زمانه، فيمن يدعي الإسلام في الشام وغيره، عبادة القبور والمشاهد والأشجار والأحجار، التي هي أعظم من عبادة اللات والعزى أو مثله، وأن ذلك ظهر ظهورًا عظيمًا، حتى غلب الشرك على أكثر النفوس، وحتى صدر الإسلام غريبًا، بل اشتدت غربته! أين هذا من قول صاحبكم لأهل الوشم في كتابه، لما ذكروا له أن في بلدانكم شيئًا من الشرك: يأبى الله أن يكون ذلك في المسلمين! وكلام هؤلاء الأئمة من أهل المذاهب الأربعة أعظم وأعظم وأظلم مما قال ابن عيدان وصاحبه في أهل زمانهم. أفترى هؤلاء العلماء أتوا فريئة عظيمة ومقالة جسيمة!

فهذا ما يسر الله نقله من كلام أهل العلم على سبيل العجالة، فأنت تأمله تأملًا جيدًا، واجعل تأملك لله، مستعينًا بالله من اتباع الهوى، ولا تفعل فِعْلَكَ أولًا.

ولما ذكرت لك أنك تأمل كلامي وكلامه. فإن كان كلامي صحيحًا لا مجازفة فيه، وأن شاميكم لا يعرف معنى «لا إله إلا الله»، ولا يعرف عقيدة الإمام أحمد وعقيدة الذين ضربوه. فاعرف قدره، فهو بغيره أجهل، واعرف أن الأمر أمرٌ جليلٌ. فإن كان كلامي باطلًا، ونَسْتُ رجلاً من أهل العلم إلى هذه الأمور العظيمة بالكذب والبهتان، فالأمر أيضًا عظيم. فأعرضت عن ذلك كله، وكَتَبْتُ لي كتابًا في شيء آخر.

فإن كان مرادك اتباع الهوى. أعاذنا الله منه، وأنتك مع ولد المويس كيف كان. فترك الحواب؛ فإن بعض الناس يذكرون عنك أنك صائر معه لأجل شيء من أمور الدين. وإن كنت مع الحق فلا أعذرك من تأمل كلامي هذا وكلامي الأول. وتعرضهما على كلام أهل العلم، وتحررهما تحريراً جيداً، ثم تتكلم بالحق.

إذا تقرر هذا؛ فحُسم المسائل التي قدّمت جوابها في كلام العلماء، وأضيف إليها مسألة سادسة، وهي إفتائي بكفر شمسان وأولاده ومن شابههم. وسميتهم «طواغيت»؛ ذلك أنهم يدعون الناس إلى عبادتهم من دون الله عبادة أعظم من عبادة اللات والعزى بأضعاف، وليس في كلامي مجازفة، بل هو الحق؛ لأن عبادة اللات والعزى يعبدونها في الرخاء ويخلصون لله في الشدة، وعبادة هؤلاء أعظم من عبادتهم إياهم في شدائد البر والبحر، فإن كان الله أوقع في قلبك معرفة الحق والانقياد له، والكفر بالطاغوت والتبري ممن خالف هذه الأصول، ولو كن أباك أو أخاك، فاكتب لي وبشرني؛ لأن هذا ليس مثل الخطأ في الفروع، بل ليس الجهل بهذا، فضلاً عن إنكاره، مثل الزنا والسرقة، بن والله، ثم والله، ثم والله، إن الأمر أعظم. وإن وقع في قلبك إشكال فاضرع إلى مُقَلِّبِ القلوب أن يهديك لدينه ودين نبيه.

وأما بقية المسائل فالحواب عنها ممكن إذا خلصت من شهادة أن لا إله إلا الله. وبيننا وبينكم كلام أهل العلم، لكن العجب من قولك: أبا هادم قبور الصحابة. وعبرة «الإففاع» في الحنائر: يجب هدم القباب التي على القبور؛ لأنها أُسِّسَتْ على معصية الرسول<sup>(١)</sup>. والنبي ﷺ صحَّ عنه أنه بعث علياً لهدم القبور.

(١) الإففاع (١، ٢٣٣) نقل عن ابن القيم.

ومثل صاحب كتابكم لو كتب لكم أد ابن عبد الوهاب ابتدع؛ لأنه أنكر على رجل تزوج أخته! فلعجب كيف راج عليكم كلامه فيه!

وأما قلبي: إن الإله الذي فيه السر. فمعلوم أن اللغات تختلف؛ فالمعبود عند العرب، والإله الذي يسمونه عوامنا «السيد، والشيخ، والذي فيه السر» والعرب الأولون يسمون الألوهية ما يسميه عوامنا «السر» لأن السر عندهم هو القدرة على النفع والضرر، وكونه يصلح أن يُدعى ويُرجى ويُخاف ويُتوكل عليه، فإذا قال رسول الله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»<sup>(١)</sup> وسئل بعض العامة: ما فاتحة الكتاب؟ ما فسرت له إلا بدعة بدده؛ فتارة تقول: هي فاتحة الكتاب. وتارة تقول: هي أم القرآن. وتارة تقول: هي الحمد. وأشباه هذه العبارات التي معناها واحد، ولكن إن كان السر في لغة عوامنا ليس هذا، وأن هذا ليس هو الإله في كلام أهل العلم، فهذا وجه الإنكار، فيئنون له.

وأما قول ابن سحيم في أول الرسالة: إنه عمّد إلى شهداء أصحاب رسول الله ﷺ الكائنين في الجيلة؛ زيد بن الخطاب وأصحابه، وهدم قبورهم وبعثرها. لأجل أنهم في حجارة، ولا يقدر أن يحفرُوا لهم، فطَوُوا على أضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع، والدافن لهم خالد بن الوليد وأصحاب رسول الله ﷺ. وعمّد أيضًا إلى مسجد في ذلك وهدمه، إلى آخره. فهذا الكلام دكّر فيه ما هو حق وصدق، ودكّر فيه ما هو كذب وزور وبهتان، فالذي حدث من الشيخ رحمه الله، وأتباعه، أنه هدم البناء الذي على القبور، والمسجد المحمول في المقبرة على القصر الذي يزعمون أنه قبر زيد بن الخطاب رحمه الله، وذلك كذب ظهري؛ فإن قبر زيد رحمه الله، ومن معه من الشهداء لا

(١) أخرجه البخاري (٧٥٦) ومسلم (٣٩٤)

يُعَرَفُ أَنْ مَوْضِعَهُ، بَلِ الْمَعْرُوفُ أَنَّ الشَّهَدَاءَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُتِلُوا فِي أَيْدِمْ مُسْلِمَةٍ فِي هَذَا الْوَادِي، وَلَا يُعَرَفُ أَيْنَ مَوْضِعُ قُبُورِهِمْ مِنْ قُبُورِ غَيْرِهِمْ، وَلَا يُعَرَفُ قَبْرُ زَيْدٍ مِنْ قَبْرِ غَيْرِهِ، وَإِنَّمَا كَذَبَ ذَلِكَ بَعْضُ الشَّيَاطِينِ وَقَالَ لِلنَّاسِ: هَذَا قَبْرُ زَيْدٍ، فَفُتِّتُوا بِهِ، وَصَارُوا يَأْتُونَ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الْبِلَادِ بِالزِّيَارَةِ، وَيَجْتَمِعُ عِنْدَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ، وَيَسْأَلُونَهُ قَضَاءَ الْحَاجَاتِ وَتَفْرِيجَ الْكَرْبَاتِ؛ فَلَأَجَلَ ذَلِكَ هَذَا الشَّيْخُ ذَلِكَ الْبِنَاءَ الَّذِي عَلَى قَبْرِهِ، وَذَلِكَ الْمَسْجِدَ الْمَبْنِيَّ عَلَى الْمَقْبَرَةِ، اتِّبَاعًا لِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ مِنْ تَسْوِيَةِ الْقُبُورِ، وَالنَّهْيِ الْغَلِيظِ الشَّدِيدِ فِي بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ عَلَيْهَا، كَمَا يَعْرِفُ ذَلِكَ مَنْ لَهُ أَدْنَى مَلَكَهَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ.

وَقَوْلُهُ: وَبَعَثَهُمْ لِأَجْلِ أَنَّهُمْ فِي حَجَارَةٍ، وَلَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَخْفِرُوا لَهُمْ، فَطَوُّوا عَلَى أَضْرَحَتِهِمْ قَدْرَ ذِرَاعٍ لِيَمْنَعُوا الرَّائِحَةَ وَالسَّبْعَ. فَكُلُّ هَذَا كَذِبٌ وَزُورٌ، وَتَشْنِيعٌ عَلَى الشَّيْخِ عِنْدَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَالْفُجُورِ، وَكَلَامُهُ هَذَا تَكْذِيبٌ لِمَشَاهِدَةٍ؛ فَإِنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي فِيهِ تِلْكَ الْقُبُورُ مَوْضِعٌ سَهْلٌ لِينٍ لِلْحَفْرِ، وَأَهْلُ الْعُيُتَةِ وَالْجُبَيْتَةِ، وَغَيْرُهُمَا مِنْ بَنَدَانِ الْعَارِضِ، يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ فِي تِلْكَ الْمَقْبَرَةِ، وَهِيَ أَرْضٌ سَهْلَةٌ، لَا حَجَارَةَ فِيهَا، وَالْحَجَارَةُ وَالْوَعْرُ عَنْ تِلْكَ الْمَقْبَرَةِ شِمَالًا وَجَنُوبًا، وَلَكِنْ هَذَا الْعَدُوُّ وَأَشْبَاهُهُ يَرْمُونَ هَذَا الشَّيْخَ بِالْأُمُورِ الْفُظِيْعَةِ، وَالْأَهْوَالِ الْهَائِلَةِ الشَّنِيعَةِ، لِكَيْ يَنْفِرَ السَّامِعُونَ لِذَلِكَ عَنِ الدَّخُولِ فِي دِينِ اللَّهِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِبِدْعٍ مِنَ الشَّيْطَانِ وَحِزْبِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. آخِرُ الرِّسَالَةِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وَقَدْ أَجَابَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ عَمَّا رَمَاهُ بِهِ عَدُوُّ اللَّهِ سَلِيمَانُ بْنُ سَحِيمٍ؛ مِنَ الزُّورِ وَالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ، وَمَا هُوَ قَائِلٌ بِهِ، وَذَكَرَ دَلِيلَهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَقْوَالِ أُمَّةِ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضِ الْمَسَائِلِ لَمْ يَجِبْ عَنْهَا فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ، وَقَدْ أَجَابَ عَنْهَا فِي غَيْرِهَا، فَأَحْسَنَ وَأَجَادَ، وَكَسَفَ حُجُبَ الصَّلَالِ عَنِ الْعِبَادِ.

فمن ذلك قوله: إنه أبطل الوقف، ويكذب بالمروى عن رسول الله ﷺ وأصحابه أنهم وقفوا، وقد كذب واقتري فيما رمى به شيخ الوري.

وصورة الوقف التي أنكرها الشيخ رحمه الله، وأبطله هو ما كن مخالفا لما ثبت في الأحاديث عن رسول الله ﷺ وأصحابه؛ وذلك أن كثيرا من الجهال والعامه إذا أراد أن يغير فرائض الله، ويحرم بعض أولاده من الإناث ما قسم الله له، أو يحرم أولاد الإناث ويخصه بالذكور وأولادهم، وقف ماله وأشهد عليه، وشرط فيه هذه الشروط المخالفة لما روي عن رسول الله ﷺ وأصحابه من صفة وقفهم، فلما أنكر ذلك الشيخ رحمه الله، استعظم ذلك جهال القضاة؛ لأنه مخالف لعادتهم التي جروا عليها، ومخالف لما ذكره بعض المتأخرين في كتبهم، فشتعوا بذلك على الشيخ، واقتروا عليه الكذب العظيم، مثل قولهم: وكذب المروى عن رسول الله ﷺ وأصحابه أنهم وقفوا. وحاشاه من ذلك، بل ما صح عن رسول الله ﷺ وأصحابه فهو عنده المعمول به، المفتى به، المحمول على الرأس والعين.

وهذا نص جوابه عن شبهتهم التي شبهوا بها في ذلك، قال رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه كلمات جواب عن الشبهة التي احتج بها من أجاز وقف الجنف والإثم، ونحن نذكر قبل ذلك صورة المسألة، ثم نتكلم على الأدلة.

وذلك أن السلف احتلوا في الوقف الذي يراد به وجه الله، على غير من يرثه، مثل الوقف على الأيتام وضوأم رمضان أو المساكين أو أثناء السبيل.

فقال شرح القدسي وأهل الكوفة: لا يصح ذلك الوقف. حكاه عنهم الإمام أحمد.

وقال جمهور أهل العلم: هذا وقف صحيح. واحتجوا بِحُجَجٍ صحيحة صريحة ترد قول أهل الكوفة، فهذه الحُجَجُ التي ذكرها أهل العلم يَحْتَجُّونَ بها على علماء أهل الكوفة، مثل قوله: "صدقة جارية" ومش وقف عمر، وأوقاف أهل المقدرة من الصحابة على جهات البر التي أمر الله بها ورسوله، ليس فيها تغيير لحدود الله.

وأما مسألتنا فهي إذا أراد الإنسان أن يَقْسِمَ ماله على هواه، وفَرَّ من قسمة الله وتمرد عن دين الله، مثل أن يريد أن امرأته لا ترث من هذا النخل، ولا تأكل منه إلا حبة عينها، أو يريد أن يَزِيدَ بعض أولاده على بعض فراراً من وصية الله بالعدل، أو يريد أن يَحْرِمَ نَسْلَ البنات، أو يريد أن يُحْرِمَ على ورثته بيع هذا العقار لثلاثا يفتقروا بعده، ويُفْتِي له بعض المفتين أن هذه البدعة الملعونة صَدَقَةُ بِرٍ تُقَرَّبُ إلى الله، ويوقِفُ على هذا الوجه قصداً وجه الله. فهذه مسألتنا.

فتأمل هذا بشرائيرِ قببك، ثم تأمل ما نذكره من الأدلة، فنقول:

من أعظم المنكرات وأكبر الكبائر تغيير شرع الله ودينه، والتحيز على ذلك بالتقرب إليه، وذلك مثل أوقافنا هذه؛ إذا أراد أن يَحْرِمَ مَنْ أعطاه الله، من امرأة، أو امرأة ابن، أو نسل بنت، أو غير ذلك، أو يُعْطِيَ مَنْ حَرَّمَهُ الله، أو يَزِيدَ أَحَدًا عما فَرَضَ الله، أو يُنْقِصَهُ من ذلك، ويريد التقرب إلى الله بذلك، مع كونه مُبْعِدًا عن الله، فالأدلة على بطلان هذا الوقف، وعَوْدِهِ ظَنًّا، وَقَسْمِهِ على قَسَمِ الله ورسوله أكثر من أن تُحْصَرَ.

ولكن من أوضحها دليلٌ واحدٌ، وهو أن يقال لِمُدَّعِي الصَّحَةِ: إذا كنت تدَّعي أن هذا مما يحب الله ورسوله، وفِعْلُهُ أَفْضَلُ مِنْ تَرْكِهِ، وهو داخل فيما حض عليه النبي ﷺ من الصدقة الجارية، وغير ذلك، فمعلوم أن الإنسان مجبول على حبه لولده، وإيثاره على غيره، حتى أصحاب رسول الله ﷺ، قال الله تعالى:

﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ فإذا شرع الله لهم أن يُوقِفُوا أموالهم على أولادهم، ويزيدوا من شاء، أو يَحْرِثُوا النساء والعَصَةَ ونَسْلَ النِّسَاءِ. فلا شيء لم يفعل ذلك أصحاب رسول الله ﷺ! ولا شيء لم يفعله التابعون! ولا شيء لم يفعله الأئمة الأربعة وغيرهم! أتراهم رَغِبُوا عن الأعمال الصالحة ولم يَحْبُوا أولادهم، وآثروا البعيد عليهم وعلى العمل الصالح، ورغب في ذلك أهل القرن الثاني عشر! أم تَرَاهُمْ خفي عليهم حكم هذه المسألة ولم يعلموها حتى ظهر هؤلاء فعلموها! سبحان الله! ما أعظم شأنه وأعز سلطانه!

فإن ادعى أحد أن الصحابة فعلوا هذا الوقف، فهذا عين الكذب والبهتان. والدليل على هذا أن هذا الذي تَتَّبَعُ الكتب، وحرص على الأدلة، لم يجد إلا ما ذكره. ونحن نتكلم على ما ذكره.

فأما حديث أبي هريرة الذي فيه: «صدقة جارية»<sup>(١)</sup> فهذا حق، وأهل العلم استدلوا به على من أنكر الوقف على اليتيم وابن السبيل والمساجد، ونحن أنكرنا على من غير حدود الله، وتقرَّب بما لم يَشْرَعْهُ، ولو فهم الصحابة وأهل العلم هذا الوقف من هذا الحديث لبادروا إليه.

وأما حديث عمر أنه تصدق بالأرض على الفقراء والرقاب والضيف وذوي القربى وأبناء السبيل<sup>(٢)</sup> فهذا بعينه من أبين الأدلة على مسألتنا؛ وذلك أن من

(١) يعني حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من

ثلاثة، صدقة جارية. وعلم يتفع به، أو ولد صالح يدعو له» أخرجه مسلم (١٦٣١)

(٢) أخرجه البحاري (٢٧٦٤) عن ابن عمر. رضى الله عنهما. أن عمر تصدَّقَ بمالٍ له على عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ يُقَالُ لَهُ (تَمَعٌ) وَكَانَ نَحْلًا. فَقَالَ عُمَرُ. يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي اسْتَفْذْتُ مَالًا. وَهُوَ عِنْدِي بَقِيَّةٌ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَصَدَّقْ بِأَصْلِهِ. لَا يُبَاعُ وَلَا يُوهَبُ وَلَا يُورَثُ. وَلَكِنْ يُنْفَقُ ثَمَرُهُ» فَتَصَدَّقَ بِهِ عُمَرُ. فَصَدَّقَهُ =

احتج على الوقف على الأولاد ليس له حجة إلا هذا الحديث؛ لأن عمر قال: «لا جناح على من وليه أن يأكل بالمعروف» وأن حفصة وليته، ثم وليه عبد الله بن عمر. فاحتجوا بأكل حفصة وأخيه دون بقية الورثة، وهذه الحجة من أبطال الحجج، وقد بينه الشيخ الموفق رحمته، والشارح، وذكر أن أكل الولي ليس زيادة على غيره، وإنما ذلك أجرة عمله، كما كان في زماننا هذا يقول صاحب الضحية: «لِوَلِيِّهَا الْجِدْلُ وَالْأَكْرَعُ» ففي هذا دليل من جهتين:

الأول: أن من وقف من الصحابة، مثل عمر وغيره، لم يوقفوا على ورثتهم. ولو كان خيراً لبادروا إليه. وهذا المصحح لم يصحح بقوله: «ثم أدناك أدناك»<sup>(١)</sup> فإذا كان وقف عمر على أولاده أفضل من الفقراء وأبناء السبيل، فما به لم يوقف عليهم! أتظنه اختار المفضول وترك الفضل! أم تظن أنه هو ورسول الله ﷺ الذي أمره لم يفهما حكم الله!

الثاني: أن من احتج على صحة الوقف على الأولاد وتفضيل البعض لم يحتج إلا بقوله: «تَلِيَهُ حَفْصَةُ ثُمَّ ذُوو الرَّأْيِ»، وأنه يأكل بالمعروف» وقد بينا معنى ذلك، وأنه لم ير أحد. وإنما جعل ذلك للولي عن تعب في ذلك، فإذا كان المستدل لم يجد عن الصحابة إلا هذا تبين لك أن قولهم: تصدق أبو بكر بداره على ولده، وتصدق فلان وفلان، وأن الزبير خص بعض بناته. ليس معناه كما

- ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَفِي الرِّفَافِ وَالْمَسَاكِينِ وَالضُّعْفِ وَالْأَسِيرِ وَبِئْسَ الْقُرْبَى، وَلَا حُجَّاحَ عَنِ مَنْ وَلِيَهُ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ، أَوْ يُؤْكَلَ صَدَقَتُهُ غَيْرَ مَتَمُولٍ بِهِ.

(١) أخرجه الطيالسي (١٢٥٧) والنسائي في الكبرى (٧٠٣٨ / ٤) ومن أبي شعبة (٤٢٧ / ٢)

والبيهقي (٣٤٥ / ٨) من حديث ثعلبة بن رهم. وأخرجه الإمام أحمد (٢ / ٢٢٦) من

حديث أبي رزمة وصححه شيخ الأئمة (صحيح الجامع ٨٠٧٦)



فهموا. وإيم معناه أنهم تصدقوا بما ذكر صدقة عمه على المحتاجين، فكان أولاده إذا قدموا البلد نزلوا، تلك الدار؛ لأنهم من أبناء السبيل، كما يوقف الإنسان مسقاة وتوضاً منها وينتفع بها هو وأولاده مع الدس، وكما يوقف مسجداً ويصلي فيه.

وعبارة البخاري في صحيحه: وتصدق أنس بدر فكن إذا قدم نزلها، وتصدق الزبير بدوره واشترط للمردودة من بناته أن تسكن<sup>(١)</sup>. فتأمل عبارة البخاري يتبين لك أن ما ذكر عن الصحابة، مثل من وقف نخلاً على المُفْطِرِّين من الفقراء في هذا المسجد، ويقول: إن افتقر أحد من ذريتي فليُفْطِرْ معهم. فأين هذا من وقف الجَنَفِ والإثم!

على أن هذه العبارة كلام الحميدي، والحميدي في زمن القاضي أبي يعلى، وأجمع أهل العم على أن مراسيل المتأخرين لا يجوز الاحتجاج بها. فمن احتج بها فقد خالف الإجماع، هذا لو فرضت أنه يدل على ذلك، فكيف وقد بينا معناه، والله الحمد!

إذا تبين لك أن من أجاز الوقف على الأولاد والتفضيل لم يجد إلا حديث عمر، وقوله: ليس على من وليه جدح. وأن الموقِّق وغيره ردوا على من احتج به - تبين لك أن حديث عمر من أبين الأدلة على بطلان الوقف الجنف والإثم. وأما قوله: لم يكن من أصحاب رسول الله ﷺ ذو مقدرة إلا وقف. فهل هذا

(١) فتح الباري (٥ / ٤٠٦) باب: إذا وقف أرض أو بيتاً واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين ولعنه: وأوقف نس داراً، فكان إذا قدمها نزلها وتصدق الزبير بدوره. وقال سمرذودة من ناته أن تسكن غير مضرّة ولا مضر بها، فإن استعنت بروح فليس لها حق. وجعل ابن عمر نصه من دار عمر سكنى لذوي الحاجة من آل عند الله

يدل على صحة وقف الجنف والإثم! وما مثله إلا كمن رأى رجلاً يصلي في أوقات النهي، فأنكر عليه، فقال: ﴿رَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَنِ الصَّلَاةِ﴾ <sup>(١)</sup> عَدُوٌّ صَوِيٌّ وَيَقُولُ: إِنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَصَلُّونَ. أو يذكر فضل الصلاة! وكذلك مسألنا إذا قلنا: ﴿يُؤْصِيكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِي مِثْلُ حَوَظِ الْأُنثَى﴾ <sup>(٢)</sup> وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ وغير ذلك، أو قلنا: «إِنَّ اللَّهَ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَلَا وَصِيَّةَ لَوَارِثٍ» <sup>(٣)</sup> أو قلنا: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَلَّظَ الْقَوْلَ فِيمَنْ تَصَدَّقَ بِمَالِهِ كَنَهُ. أو قلنا: اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ. وَادْعُوا عَلَيْنَا أَنْ الصَّحَابَةَ وَقَفُوا، هَلْ أَنْكَرْنَا الْوَقْفَ كَأَهْلِ الْكُوفَةِ حَتَّى يَحْتَجَّ عَلَيْنَا بِذَلِكَ!

وأما قول أحمد: مَنْ رَدَّ الْوَقْفَ فَكَأَنَّمَا رَدَّ السَّنَةَ. فهذا حق، ومراده وقف رسول الله ﷺ وأصحابه، كما ذكره أحمد في كلامه، وأما وقف الإثم والجنف فَمَنْ رَدَّهُ فَقَدْ عَمِلَ بِالسَّنَةِ، وَرَدَّ الْبِدْعَةَ وَاتَّبَعَ الْقُرْآنَ.

وأما قوله: إِنَّ فِي صَدَقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَأْكُلَ بِالْمَعْرُوفِ، وَإِنْ زَيْدًا وَعَمْرًا سَكَنَّا دَارَ بَيْتِهِمَ الَّتِي وَقَفَا. فَيَا سُبْحَانَ اللَّهِ، مَنْ أَنْكَرَ هَذَا! وَهَذَا كَمَنْ وَقَفَ مَسْجِدًا وَصَلَّى فِيهِ وَذَرِيَّتَهُ، أَوْ وَقَفَ مِسْقَاةً وَاسْتَسْقَى مِنْهَا وَذَرِيَّتَهُ.

وقول الخرقى: وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ عَنْ شَرْطٍ، فَكَذَلِكَ. وَهَذَا شَرْطٌ صَحِيحٌ، وَعَمَلٌ صَحِيحٌ، كَمَنْ وَقَفَ دَارَهُ عَلَى الْمَسْجِدِ أَوْ أَبْنَاءَ السَّبِيلِ. أَوْ اسْتَشْنَى سَكْنَهَا مَدَّةَ حَبْتِهِ. وَكُلُّ هَذَا يَرُدُّونَ بِهِ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ وَفَفِ الْجَنْفِ وَالْإِثْمِ.

(١) أخرجه إسماعيل (٢١٢١) والنسائي (٣٦٤١) من حديث عمرو بن خارجه، وثرمذى (٢١٢٠) ولساني (٢١٢٠) وابن ماجة (٢٧١٣) من حديث أبي أمة (٢٧١٣) وصححه الشيخ الأندلسي (صحيح الجمع ١٧٢٠، ١٧٨٩).

وأما قوله: «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول»<sup>(١)</sup> وقول: «صدقتك على رحمك صدقة وصلة»<sup>(٢)</sup> وقوله: «ثم أدناك أدناك»<sup>(٣)</sup> وأشبه ذلك، فكل هذا صحيح لا اشكال فيه، لكن لا يدل على تغيير حدود الله، فإذا قال: ﴿يُؤْصِيكَ اللَّهُ فِي أَنْفُسِكُمْ لِيَذَرَ مَثَلُ الْآسِفِينَ﴾ وَقَفَّ الْإِنْسَانُ عَلَى أَوْلَادِهِ، ثم أخرج نسل الإناث محتجاً بقوله: «ثم أدناك أدناك» أو صلة الرحم، فمثله كمثل رجل أراد أن يتزوج خالة أو عمّة فقيرة، فتزوجها يريد الصلة، واحتج بتلك الأحاديث، فإن قال: إن الله حرم نكاح الخالات والعمات. قلنا: وحرم تعدي حدود الله التي حدّ في سورة النساء، قال: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾ فإذا قال: الوقف ليس من هذا. قلنا: هذا مثل قوله: من تزوج خالته إذا تزوجها لفقرها ليس من هذا، فإذا كان عندكم بين المسألتين فرق فبينوه.

وأما قول عمر: إن حدث بي حدث أن تمّعت صدقة. هذا يستدلون به على تعليق الوقف بالشرط، وبعض العمداء يبطله، فاستدلوا به على صحته.

(١) أخرجه مسلم (٩٩٧) بلفظ: «ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلاهلك. فإن فضل عن أهلك شيء فلذبي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا» يقول فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك.

وأخرجه البخاري (١٤٢٧) ومسلم (١٠٣٤) بلفظ: «أفضل الصدقة أو خير الصدقة عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول».

(٢) أخرجه ترمذي (٦٥٨) والنسائي (٢٥٨٢) من حديث سلمان بن عمر. وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٣٨٥٨).

(٣) أخرجه الطيالسي (١٢٥٧) والنسائي في الكبرى (٧٠٣٨ / ٤) وسأى شيبة (٤٢٧ / ٢) والبيهقي (٣٤٥ / ٨) من حديث ثعلبة بن زهيم. وأخرجه الإمام أحمد (٢ / ٢٢٦) من حديث أبي رزمة. وصححه الشيخ لأبي (صحيح الجامع ٨٠٧٦)

وأما القول بأن عمر وقفه على الورثة، فإيا سبحان الله، كف يكبرون النصوص. ووقف عمر وشرطه ومصارفه في ثَمَغ وغيرها معروفة مشهورة! وأما قول عمر: إلا سهمي الذي بخير، أردت أن أتصدق بها<sup>(١)</sup>. فهذا دليل على أن أهل الكوفة كما قدمناه، فأين في هذا دليل على صحة هذا الوقف الملعون، الذي بطلانه أظهر من بطلان أصحابه بكثير.

وأما وقف حفصة الحلبي على آل الخطاب، فإيا سبحان الله، هل وقفت على ورثتها أو حرمت أحدا أعطاه الله، أو أعطت أحدا حرمة الله، أو استنت غلبة مدة حياتها! فإذا وقف محمد بن سعود نخلا على الضعيف من آل مقرون، أو مثل ذلك، هل أنكرنا هذا! وهذا وقف حفصة، فأين هذا مما نحن فيه!

وأما قولهم إن عمر وقف على ورثته، فإن كان المراد ولاية الوقف فهو صحيح، وليس مما نحن فيه. فإن كان مراد القتل أنه ظن أنه وقف يدل على صحة ما نحن فيه. فهذا كذب ظاهر ترده النقول الصحيحة في صفة وقف عمر. وأما كون حفصة وقفت على أخ لها يهودي<sup>(٢)</sup> فهو لا يرثها، ولا ننكر ذلك. وأما كلام الحميدي فتقدم الكلام عنه.

وسر المسألة: أنك تفهم أن أهل الكوفة يبطلون الوقف على المساجد، وعلى

(١) أخرجه السنائي (٣٦٠٣) وابن ماجه (٢٣٩٧) من حديث ابن عمر قال: قال عمرُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا أَمَنَةَ سَهْمٍ الَّتِي لِي بِحَنْتَرٍ لَمْ أَصِبْ مَا لَا فَطْرَ أَعْجَبَ إِلَيَّ مِنْهَا، قَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَحْسِنُ أَصْلَهَا وَسَبِّلْ ثَمَرَتَهَا» وصححه الشيخ لألنابي.

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٦ / ٣٣) عن ابن عمر أن صفة بنت حبي أوصت لابن أخ لها يهودي

الفقراء أو القراءات الذين لا يرثونهم، وردّ عليهم أهل العلم بذلك الأدلة الصحيحة، ومسألتنا هي إبطال هذا الوقف الذي يغيّر حدود الله، وإيتاء حكم لجاهلية، وكل هذا ظهّر لا خفاء فيه، ولكن إذا كن الذي كتب يفهم معناه، وأراد به التيسير على الجاهل كما فعل غيره، فالتيسير يضمنحل، وإن كن هذا قدر فهمه، وأنه ما فهم هذا الذي تعرفه العوام، فالخلف والخليفة على الله. وأما ختمه الكلام بقوله: ﴿وَمَا إِلَيْكُمْ الرَّسُولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ في لها من كلمة، ما أجمعها! ووالله إن مسألتنا هذه من إنكارها، وقد أتانا رسول الله ﷺ بزوم حدود الله والعدل بين الأولاد، ونهنا عن تغيير حدود الله والتحيل على محارم الله، وإذا قدرنا أن مراد صاحب هذا الوقف وجه الله لأجل من أفتاه بذلك، فقد نهانا رسول الله ﷺ عن البدع في دين الله ولو صحت نية فاعلها، فقل: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»<sup>(١)</sup> وفي لفظ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»<sup>(٢)</sup> هذا نص الذي قال الله فيه: ﴿وَمَا إِلَيْكُمْ الرَّسُولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ وقال: ﴿وَلَنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ وقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ فمن قبل ما أتاه الرسول، وانتهى عما نهى، وأطاعه ليهتدي، واتبعه ليكون محبوباً عند الله، فليوقف كما أوقف رسول الله ﷺ وكما وقف عمر رضي الله عنه، وكما وقفت حفصة وغيرهم من الصحابة وأهل العلم.

وأما هذا الوقف المحدث الملعون المعير لحدود الله، فهذا الذي قال الله فيه بعدما حدّ الموارث والحقوق للأولاد والزوجات وغيرهم: ﴿تِلْكَ حُدُودُ

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٧١٨).

أَسَءَ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٦﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٧﴾ وقد علمتم ما قال الرسول فيمن أعتق سيئة من العبيد وما ردَّ وأبطل من ذلك، فهو شبيه بمن أوقف ماله كله خالصاً لوجه الله على مسجد أو صوَّام أو غير ذلك، فكيف بما هو أعظم وأظم من هذه الأوقاف!

وأما قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فوالله الذي لا إله إلا الله هو، إنَّ فعل الخير اتباع ما شرع الله، وتبطل من غير حدود الله، والإنكار على من ابتدع في دين الله، هذا هو فعل الخير المعلق به الفلاح، خصوصاً مع قوله ﷺ: «ولياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة»<sup>(١)</sup> وقوله: «لا تركبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل»<sup>(٢)</sup> وقوله: «لعن الله اليهود؛ حرمت عليهم الشحوم، فجملوا فباعوها وأكلوا ثمنها»<sup>(٣)</sup>.

فليتأمل اللبيب الخالي عن التعصب والهوى، الذي يعرف أن وراءه جنة ونارا، الذي يعلم أن الله يطلع على خفيات الضمير - هذه النصوص ويفهمها فهماً جيداً، ثم يُنزِّلُها على مسألة وقف الجَنَفِ والإثم، ثم يتبين له الحق، إن شاء الله. وصلى الله على محمد وآله وسلم.

هذا آخر ما ذكره الشيخ رحمه الله، في الرد على من أجاز الوقف الجنف، وبيان

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٦) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٢٥٤٩)

(٢) أخرجه ابن بطال الحنبلي (١/ ٤٧) وحسنه الشيخ الألباني في صفة الفتوى

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٦٠) ومسلم (١٥٨٢)

الوقف الصحيح الموافق لما فعله أصحاب رسول الله ﷺ.

وأما قول عدو الله ابن سحيم في تشييعه على الشيخ رحمه الله، إنه أحرق «دلائل الخيرات» لأجل قوله: اللهم صلّ على سيدنا ومولانا. فهذا من الكذب والزور، وقد أجاب الشيخ رحمه الله، عن هذا في بعض رسائله بقوله:

وأما «دلائل الخيرات»؛ فلذلك سبب، وذلك أنني أشرت على مَنْ قَبِلَ نصيحتي من إخواني ألا يصير في قلبه أجلُّ من كتاب الله، ويظن أن القراءة فيه أنفع من قراءة القرآن.

وأما إحراقه والنهي عن الصلاة على النبي ﷺ بأي لفظ كان؛ فهذا من البهتان.

وأما قوله: وأحرق أيضًا «روض الرياحين» وسماه «روض الشياطين»؛ فهذا من الكذب والزور المبين.

وأما إنكار الشيخ رحمه الله، فيه ما خالف الكتب والسنة، وأنكره غيره من علماء المسلمين من تُرّهات الصوفية وشطحاتهم التي تخالف السنة المحمدية، وتُمجّه الطباع التي سلّمت من العصبية، وتنفّر عنه الأسماع التي هي عن وقر الباطل خلية، فأين الغارة لله تعالى والغضبية؟ وأين النصرة لسنة نبيه والحمية، عند سماع مثل بعض الحكايات الرديّة؟ كما ذكر في بيع الجنة وغرفها العلوية، عند الحكاية السادسة والستين والأربعمئة. وفي غيرها، مثل كون الولي يجبر على مركب في الهوى من الذهب، مثل قول بعضهم إن البرّ في بميه والبحر في شماله، فهذا مقام الربوبية بلا خفاء ولا إشكال، وليس وراءه ضلال، ودعوى بعضهم العروج إلى السماء بالأرواح كل حين، وعمهم بما سيقع من الغيب في العالمين، وأمثال هذه الحكايات، وأشكال هذه التزاوير والخرافات، الصادرة

ممن لم يكن له إلى منهاج السنة التفات، ولم يبال بما وقع فيه من الهلكات، وما صدر منه على منصب الشرع من الجنايات. وما أنى به من البهتان والزور. مما تضيق عند سماعه القلوب والصدور ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ ولو لم يكن فيه إلا ما ذكره في خاتمة ذلك الكتاب، من ذلك الكلام الذي هو هتك للشريعة من غير ارتياب، وسلوك للغي من كل باب، مثل ما ذكر عن بعضهم من ترك الصلاة وكشف العورات بحضرة الدس، وكون هذا في العذر له وجه التماس، كما جرى لموسى مع الخضر، حسبما في القرآن قد ذكر، فقد ذكر كافة العلماء أن من ادعى أنه يَسْعُهُ الخروج عن الشريعة الغراء فقد أتى ضلالاً وكفرًا. وأن تلك الدعوى تُصَيِّرُهُ مرتدًا، فقيم عليه أهل الحق حدًا، حتى يرجع عما خرق به الدين وتَعَدَّى.

وأما قوله: ومن أعظمها أن من لم يوافقه في كل ما قال، ويشهد أن ذلك حق، يقطع بكفره. ومن وافقه وصدق في كل ما قال قال: أنت مؤخذ، ولو كان فاسقًا محضًا أو مكاسًا، وبهذا ظهر أنه يدعو إلى توحيد نفسه لا إلى توحيد الله.

فمراده بذلك أن من وافق الشيخ على توحيد الله وتبرأ من عبادة الأوثان؛ تاج وشمسان وإدريس وقريوه والمغربي، وتبرأ من الشرك وأهله. سمَّاه مُؤَخِّدًا، ومن لم يوافقه على توحيد الله وإخلاص العبادة له بجميع أنواعها، واستمر على عبادة المخلوقين مع الله. وسب دين الله الذي يدعو إليه هذا الشيخ، يقطع بكفره. وهذا الخبيث وأشباهه لا يعرفون الشرك في العبادة، ويظنون أن المشرك إذا جعل الإنسان مخلوقًا مع الله في التدبير والملك والإحياء والإماتة والنفع والضرر. وأما كونه يجعل المخلوقين وسائط بينه وبين الله، يدعوهم ويتوكل عليهم. ويسألهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات. وقصده بذلك التقرب بهم



إلى الله، وطلب شفاعتهم، فهذا عند هؤلاء لمشركين من أعظم القربات، وأفضل الطاعات. ومن أكر هذا كَفَرُوهُ وَبَدَعُوهُ وَحَرَّحُوهُ، ونسبوه إلى السعة والضلال. كما فعل إخوانهم من المشركين، حيث حكى الله عنهم أنهم قالوا لنوح عليه السلام، حين أمرهم بالتوحيد وإخلاص الدعوة لله: ﴿إِنَّا لَنَرُّكَ فِي صَلِّيرٍ مُّشِينٍ﴾ وقال قوم هود لهود عليه السلام: ﴿إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ إلى قوله: ﴿أَجِثْنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحَدُّمُ وَنَذَرُ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَإِنَّا بِمَا نَعْبُدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

وأما قوله: من وافقه في كل ما قال قال: أنت مؤحد. ولو كان فاسقاً أو مكأساً.

فمراده بذلك أن من وافقه على إخلاص العبادة والدعوة لله، وتاب وأنب إلى الله مما كان يفعله من الشرك بالله، ودعوة الصالحين وغيرهم من الأحياء والأموات، وعرف معنى قوله «لا إله إلا الله» وأنها نفي وإثبات. فشطرها الأول نفي الإلهية مطلقاً، والثاني إثباتها لله دون ما سواه من أهل السموات والأرض، ومن الأحياء والأموات - سماه مؤمناً مؤحداً، ولو كان فاسقاً أو مكأساً، وهو صادق في ذلك.

وذلك أن الإنسان إذا عَرَفَ التوحيد، وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، صدقاً من قلبه، والتزم مضمون هاتين الشهادتين، فهو عند الشيخ رحمته، مؤمن مؤحد، ولو كان فاسقاً أو مكأساً، وكذلك عند سائر العلماء من أهل السنة والجماعة، وذلك أن الإنسان إذا دخل في الإسلام وحكمه بسلامه، لا يُخْرِجُهُ من الإسلام ما يَفْعَلُهُ من الكبائر، كالسرقة والزنا وشرب المسكر وأخذ الأموال ظلماً وعدواناً، وإنما يُخْرِجُهُ من الإسلام إلى الكفر هو الشرك بالله، وإنكار ما جاء به الرسول من الدين بعد معرفته بذلك وإقامه الحجة

عبيه. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فثبت بهذه الآية المُحْكَمَةُ أَنَّ جميع الذنوب، ما خلا الشرك بالله، معلقة بالمشيئة؛ قد يغفرها لمن يشاء من عباده، وأن الشرك بالله لا يغفره إلا بالتوبة، ومن مات عليه فهو من أهل النار المخلد فيها، ولو كان من أعبد الناس وأزهدهم، ولا ينفع مع الشرك بالله عمل البتة. ولكن هذا الرجل وأشباهه لا يعرفون إلا ظلم الأموال والمعاصي.

وأما ظلم الشرك الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ وقال فيه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه لما سئل: أي الذنب أعظم؟: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»<sup>(١)(٢)</sup>.

وأم قوله: ومنها: يبطله الجعالة على الحج.

فهذه مسألة فيها اختلاف بين العلماء، والذي يبطله الشيخ رحمه الله، من ذلك ما أبطله غيره من علماء المسلمين؛ وهو أنه لا يحج إلا لأن يُعطى أجره أو جُعلاً على ذلك، فهذا عمله باطل، ولا ثواب له في الآخرة؛ لأنه قصد بعمله الدنيا،

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٧) ومسلم (٨٦)

(٢) ستأتي رسالة الشيخ محمد إلى أهل الرياض ومنفوحة. وفيها: «... أما في هذا ما يدل على جهلهم وصلاتهم، إذا رأوا من يُعبد الشيوخ، وصيبيهم أو سدو، شهادة أن لا إله إلا الله، قالوا: لو قالوا نه يتركون لحرم؛ وهذا من أعظم جهلهم، فإنهم لا يعرفون إلا ظلم الأموال، وأما ظلم الشرك فلا يعرفونه، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾. وأين لظلم الذي إذا تكلم الإنسان بكلمة منه، أو منح الصواعيق، أو جادل عنهم، خرج من الإسلام، ولو كان صائماً قائماً؟ من الظلم الذي لا يُخرج من الإسلام؟ بل: إما أن يؤدي إلى صاحبه بالقصاص، وإما أن يغفره الله. فير الموصعين فرق عظيم» وانظره أيضاً في: «لدرر السنية» (١٠ / ٥٥ - ٥٦)

ومن قصد بعمله الذي يُتَعَمَّى به وجه الله الدنيا وليس له في الآخرة من نصيب .  
وصح في «الشرح الكبير» و«المعني» أنه لا يجوز الاستئجار بلحج، قالا :  
وهو مذهب أبي حنيفة وإسحاق ؛ لأنها عبادة بَخْتَصُّ فاعلها أن يكون من أهل  
القربة ، فلم يجوز أخذ الأجرة عليها كالصلاة<sup>(١)</sup> .

قال الشيخ تقي الدين ، رَحِمَهُ اللهُ : والمستحب أن يأخذ الحاج من غيره لِيُحَجَّ ، لا  
أن يَحَجَّ لِيَأْخُذَ ، ومثله كرزق أُخِذَ على عمل صالح يفرق بين من قصد الدين ،  
والدنيا وسيلة ، والأشبه أن عكسه ليس له في الآخرة من نصيب ، والأعمال التي  
يختص فاعلها أن يكون من أهل القربة ، هل يجوز إيقاعها على غير وجه القربة ؟  
فمن قال : لا يجوز ذلك . لم يُجِزْ الإجارة عليها ؛ لأنها بالعَوَضِ تقع غير قربة .  
وإنما الأعمال بالنيات ، والله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أُريدَ به وجهه .  
ومن جَوَّزَ الإجارة جَوَّزَ إيقاعها على غير وجه القربة وقال : تجوز الإجارة  
عليها ؛ لما فيها من نفع المستأجر . انتهى ، ذكره عنه في «الاختيارات»<sup>(٢)</sup> فهذه  
الذي ذكره الشيخ رَحِمَهُ اللهُ ، لمن استفتاه في الجعالة على الحج .

وأما قوله : إنه ترك تمجيد السلطان في الخطبة ، فهو صادق في ذلك ، وإنما  
تركه الشيخ رَحِمَهُ اللهُ ، لأنه من البدع المُنْكَرَةُ ، وقد كره جمع من المالكية وغيرهم  
ذلك ، وقالوا إنه من البدع المنكرة ، ولم يستحب ذلك أحد من أئمة الدين .

وأما قوله : وأبطل الصلاة على رسول الله ﷺ في يوم الجمعة وليلتها .

فهذا الكلام مع بتساعة لفظه فيه إيهم وإيهام . وتشنيع بظاهره عند العوام .  
وتنصير لهم عن توحيد الملك العلام ؛ فإن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ ، لم ينه عن ذلك ولم

(١) المعني (٣/ ٩٣) والشرح الكبير (٦/ ٦٣)

(٢) الاختيارات اعقبيه (١/ ٤٩٢) .

يُبطِّلُهُ، إلا الفعل الذي يُفعل في كثير من البلدان، وقد أبطله جماعة قبله من الأعيان<sup>(١)</sup>، وأنكره جمع من نقاد هذا الشأن، وقالوا: لا يُتَقَرَّب به إلى الله تعالى ولا يُدان؛ لأنه بدعة محضة أظهرها في مقام العبادة الشيطان، وأشرب حُبَّهَا مَنْ هو في الحماقة والتعصب كالولدان، فخير الهدي هدي الرسول. وما ورد عن خلفائه مقبول، وما حدث بعد القرن السابع وكان بعده متواليًا متتابعًا، حتى صير واتخذ دينًا ومنهجًا جاء به الشرع، وكان للنفوس إليه أعظم دافع ووازع، فلا يسوغ لذوي العقول، من حملة الشرع وممارسي المنقول، أن يسكتوا عنه فلا ينتهروا صاحبه ولا يزجروه، ولا يزيلوه فورًا ويغيروه. ولا يعترضوه وينكروه، فضلًا عن كونهم يرتضون فعله، ويُقرُّون أربابه وأهله.

وليت من دان الله تعالى به، عَرَفَ دِينَ مَنْ أَصَّلَهُ وَوَضَعَهُ، حتى يعترض على من أنكره ومنعه، فقد ذكر السيوطي في كتاب «الوسائل إلى معرفة الأوائل»<sup>(٢)</sup> أن أول ما حدث التذكير يوم الجمعة ليتهاؤ الناس لصلاتها، بعد السبعمئة، في زمن الناصر بن قلاوون، ولا شك أن ما كان من الدين إذ ذاك متخذًا مجعول، ومؤسسًا شرعه منحول، ليس مأخوذًا به ولا معمول. أما يخاف مُعْتَرٍّ مِنْ شَوْم ذنبه وسخطه، لمولاه وربّه في توسله وتوصله إليه وقربه، بعملٍ لم يشرعه سبحانه

(١) قال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في رسالته التي كتبها عند دخولهم مكة مع الإمام سعود، عام ١٢١٨هـ: «فمن البدع المذمومة التي نهي عنها: رفع الصوت في مواضع الأذان بغير الأذان، سواء كان آيات، أو صلاة على النبي ﷺ، أو ذكر غير ذلك بعد أذان، أو في ليلة الجمعة، أو رمضان، أو لعبد، فكل ذلك بدعة مدمومة. وقد أظن ما كان مألوفًا بمكة، من التذكير، والترجيم، ونحوه، وعرف عظماء المذهب أنه بدعة» «الدرر السنية» (١ / ٢٣٧).

ولم يأذ به؟ فويل لمن يحرف الكلم عن مواضعه، وينتهحل في الدين ما ليس  
واضعه، ويحسن ذلك في موافقه، ويصلل من قام حسبة له في تهينة موافقه؟ ما  
جوابه إذا قام بين سي مولاه. فيما أسداه من الدين وأداه، وزاد على ما جاء به  
الرسول وأتاه؟ أظن أن تأسيس دينه ناقص فكمله؟ ومُحيّاه قبيح فحسّنه وجملّه؟  
نعوذ بالله مما تقول الغلاة، ونسأله أن يجنبنا طريق الغواة، ولا حول ولا قوة  
إلا بالله.

وليعلم القارئ لهذا الكتاب، والواقف على هذا الخطب، أن خلاصة البيان  
عن ذلك في الجواب، أن الذي أنكره من غير شك ولا ارتياب، هو ما يُفعل في  
غالب الأمصار، ويُعمل في كثير من الأقطار، لا سيم الحرمين، كما صح  
بالمشاهدة والأخبار، وذلك أن يصعد ثلاثة أو أكثر على رؤوس المنبر،  
ويقرأون آيات من القرآن، ويصلون على النبي بأرفع صوت وإعلان، ويأتون  
بقبيح الألحان، وأصوات تحاكي غناء القيان، ويمططون آيات الله الكريمة،  
ويغيرون حرمة أسمائه العظيمة، وينقلونها من معناها إلى معنى، وكفى بهذا إثمًا  
ووهنًا، وتغييرًا لما أراد الله بأسمائه وصفته، لقد خسر الله من ضلّ سعيه وهو  
يحسب أنه يحسن صنعًا.

وأما قوله: ومنها أنه يقول إن الذي يأخذه القضاة، قديمًا وحديثًا، إذا قضاوا  
بالحق بين الخصمين. ولم يكن بيت مال لهم ولا نفقة، أن ذلك رشوة، وهذا  
قول يخالف المنصوص عن جميع الأمة أن الرشوة مَأْخُذٌ لِإِبْطَالِ حَقِّ أَوْ  
لِإِحْقَاقِ بَاطِلٍ، وأن للقاضي أن يقول: لا أحكم بينكم إلا بجعل.

فقد تقدم جواب الشيخ، رحمه الله تعالى، عن ذلك في فصل ذكر المسائل،  
في المسألة السادسة، حين سئل عن ذلك، فأجاب وأجاد، وأصوب في ذلك  
مهج السداد، فليراجع في محله.

وقول هذا الجاهل العبي: إن الرشوة ما أخذ لإبطال حق... إلى آخره، وفوله: إن هذا هو نص جميع الأمة، فهذا لا يشك عاقل، فصلاً عن عارف فاضل، أنها دعوى مردودة قبيحة، وحجة واهية فضيحة. لا نصير ممن له في أدنى العلوم ممارسة، ومذاكرة ومدارسة، فالكتب من المذاهب الأربعة مصرحة، بضد ما اختلقه ووضع، والخلاف فيها عنهم مُسَطَّر، والنزاع مُحرَّر فيها ومُقرَّر، ومحل الخلاف المسطور، والنزاع لمقرر المشهور، فيما إذا أخذ من كِلَا الخصمين، وكانا في المأخوذ منهما مستويين، لا يزيد منهما أحد على أحد، فيما دَفَعَ إليه ونَقَد، ولم يكن القضاء متعيناً عليه، وإلا فلا شك في حرمة ما دفع إليه، وأن يكون فقيراً محتاجاً، وإلا فلا يسك لذلك فجاءاً، وألا يضر ذلك بالخصوم، وإلا فالاتفاق على كونه رشوة من المعلوم، وأن يأذن له في الأخذ السلطان، وأن يمنعه القضاء عن التكبس في ذلك الزمان، وأن يكون ذلك بقدر الحاجة، كما وضح المجيز لذلك منهاجه، وألا يزيد على أجرة العمل، كما اشترطه من أباحه ونقل، وألا يوجد متطوع بالقضا، وأن يكون لكل من الخصمين بما دَفَعَ رِضاً؛ إذ لا يحل مال امرئ بغير طيب نفس، وإن لم يكن فلا ريب أنه نجس.

هذه المسألة هي محل النزاع، وما سوى ذلك فهو محرم بالإجماع، وقد سد، ولله الحمد، أصحاب ملث، جميع تلك المناهج والمسالك، ولم يجزوا للقاضي أخذ شيء أصلاً، ولم يأذنوا أن يتتهج لذلك سبلاً، وعباراتهم في الكتب المحررة الصحيحة، وافية بالمراد صريحة.

وبص «التصرة» لابن فرحون الإمام، تُبين منهج الأحكام: ويرم القاضي أمور، منها أنه لا يقبل الهدية ولو كفاً عليها أضعافها، إلا من خواص لمرته، كالولد والوالد والعمة والخالة وبنت الأخ؛ لأن الهدية تورث إدلال المهدي

وإغصاء المُهْدَى إليه، وفي ذلك ضرر القاضي ودخول الفساد عليه، وقيل إن الهدية تطفئ نور الحكمة.

وقال ربيعة: يياك والهدية؛ فإنها ذريعة الرشوة.

وأجاز أشهب قبولها من غير الخصمين، إذا كان صديقاً، وكافأه عليها، أو كان قريباً.

وقال سُحُنُون: لا يقبلها إلا من ذي رحم.

ولابن سحنون عن مالك: لا ينبغي لأمر ولا لِعَامِلٍ صدقة أن ينزل على أحد من أهل عمله، ولا يقبل له هدية ولا منفعة.

قال ابن حبيب: لم تختلف العماء في كراهة الهدية للسلطان الأكبر، وإلى القضاة والعمال وجبّة المال، وهذا قول مالك ومن قبله من أهل العلم والسنة، وكان النبي ﷺ يقبل الهدية، وهذا من خواصه، والنبي ﷺ معصوم مما يُتَقَى على غيره منها.

ولم ردّ عمر بن عبد العزيز الهدية، قيل له: كان النبي ﷺ يقبلها! فقال: كانت له هدية، ولنا رشوة.

وقال ﷺ: «يأتي على الناس زمان يُستحل فيه السُّحت بالهدية»<sup>(١)</sup>.

وقد ابن عبد الغفور: وما أهدي إلى الفقيه، رجاء العون على خصمه. أو في مسألة تُعَرَضُ عنده رجاء قضاء حاجته، على خلاف المعمول به. فلا يحل له قبولها. وهي رشوة يأخذها. وكذلك إذا تنازع عنده خصمان، فأهديا إليه

(١) ذكره العراقي في الإحياء (٢/ ١٥٦) ولا أصل له. ويطر الحديث التي في الإحياء ولم يجد لها السبكي أصلاً (طبقات الشافعية ٦، ٣١٤).

جميعاً، أو أحدهما، يرجو كل واحد منهما أن يعينه في حجته، أو عند حاكم إذا كان ممن يسمع، فلا يحل له الأخذ منهما ولا من أحدهما.

قل ابن فرحون: وأرزاق الأعوان، الذين بوجههم الإمام في مصالح الناس. ورفع المدعي عليه، وغير ذلك. تكون من بيت المال، كالحكم في أرزاق القضاة. ولا ينبغي للقاضي أن يجعل لهم شيئاً في أموال المسلمين، وإذا كان لهم رزق من بيت المال فلا يجوز لهم أخذ شيء على القضايا التي يُعْتَوَّن فيها، كما لا يجوز للقضاة أخذ شيء، فإن لم يُصَرَفْ لهم شيء من بيت المال دفع القاضي للطالب طبعاً يَرْفَع به الخصم إلى مجلس الحكم، فإن لم يرتفع واضطر إلى الأعوان، فليجعل القاضي لهم شيئاً من رزقه، إذا أمكنه وقوي عليه؛ إذ دفع المطلوب مما يلزمه، فإن عجز عن ذلك فأحسن الوجوه أن يكون الطالب هو المستأجر على النهوض في إحضار المطلوب ودفعه، فيتفق مع العَوين على ذلك بما يراه، إلا أن يتبين لرد الجواب بالطلب، وأنه امتنع من الحضور بعد أن دعاه، فإن أجرة العَوين الذي يحضره على المطلوب. انتهى المقصود منه. ونحو هذا عبارة متأخري مذهبهم، مثل خذيل وشراحه، فإنها صريحة في ذلك. فانظر، رحمك الله، إلى كلام هؤلاء الأئمة، وتغليظهم في هذا الأمر هذا التغليظ، وسددهم الباب على القاضي أن يأخذ شيئاً من الخصمين، أو أحدهما، سواء كان له في بيت المال رزق أو لم يكن، وسواء كان غنياً أو فقيراً.

وقد حرم ذلك مطلقاً أيضاً من أصحاب الشافعي: الزركشي صاحب «المنهاج»، كالسبكي، وشريح الروياني.

واشترط لماوردي من أصحاب الشافعي لجواز الأخذ من الخصمين عشرة شروط:



أحدهما : أن يكون فقيراً .

ثانيها : أن يقطعه النظر عن كسبه .

ثالثها : أن يكون أحره على الخصمين معاً بالسوية بينهما ؛ لأنه لو أخذه أو الأكثر من أحدهما تطرقت إليه التهمة والريبة .

رابعها : أن يأذن له السلطان في الأخذ ، فإن لم يأذن امتنع عليه .

خامسها : ألا يوجد متطوع بالقضاء ، فإن وجد امتنع الأخذ ؛ لأنه لا ضرورة إليه .

سادسها : أن يعجز الإمام عن القيام برزقه من بيت المال ، فمتى أمكن الإمام القيام به من بيت المال لم يجز له أن يأخذ شيئاً منهما .

سابعها : أن يكون ما يأخذه غير مُضِرٍّ بالخصمين . فمتى أضرَّ بهما المأخوذ لم يجز له أن يأخذ شيئاً منهما .

ثامنها : أن يكون المأخوذ بقدر حاجته ، أي الناجزة حل الحكومة فيما يظهر . وقال غير الماوردي : ألا يزيد على أجره عمله . قال بعضهم : والظاهر أن كل منهما شرط . انتهى .

تاسعها : أن يُعْلَمَ الخصمين قبل التحاكم إليه أن من عدته الأخذ من الخصوم ، فإن لم يعلم ذلك إلا بعد الحكم لم يجز له أن يأخذ شيئاً منهما ولا من أحدهما شيئاً .

عاشرها : أن يكون قدر المأخوذ معلوماً يتساوى فيه الخصوم . وإن تفاضلوا في المطلب ، فإن فاضل بينهم لم يجز ، إلا أن يتفاضلوا في الزمان<sup>(١)</sup> .

(١) الحوي الكبير (١٦ / ٢٩٣ - ٢٩٤)

ثم قال بعد كلام: فمن أراد السلامة لدينه، والخلاص من ورطة هذا الخلاف، وهذه التشديدات العظيمة، فليترك القضاء، أو يتطوع به. والله سبحانه يبرقه من حيث لا يحتسب، كما قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَنَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ وأما من يتولى القضاء ليتأثر به لأموال عسى اختلاف أنواعها، فهو الذي أخبر عنه ﷺ أنه في النار، وبأنه ذبيح بغير سكين، وبغير ذلك من المصائب التي تلحقه في الدنيا والآخرة ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخْلِِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ نُصِيبَهُمْ فِتْنَةً أَوْ نُصِيبَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾. انتهى ما ذكره الماوردي رحمه الله. نقله ابن حجر في فتاويه<sup>(١)</sup>.

وقال في «الإنصاف» للحاذية: إذا لم يكن له ما يكفيه ففي جواز أخذه من الخصمين وجهان. وأطبقهما في «الفروع» و«الرعاية الكبرى» و«الحاوي الصغير»: أحدهما يجوز. والثاني لا يجوز. اختاره في «الرعايتين» و«النظم». قلت: وهو الصواب أيضًا في باب أدب القاضي: الرشوة ما يعطى بعد طلبه، والهدية الدفع إليه ابتداءً، قاله في «الترغيب» ذكره عنه في «الفروع» في باب حكم الأرضين المغنومة.

قل أحمد رحمه الله، فيمن ولي شيئًا من أمر السلطان: لا أجز له أن يقبل شيئًا - يرى هدايا الأمراء غلولًا، والحاكم خاصة - لا أجز له إلا ممن كان له به خلطة ووصة ومكافأة قبل أن يلي<sup>(٢)</sup>. انتهى.

وروى ابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: مَنْ شَفَعَ لرجل ليدفع عنه مظلمة، ويرد عليه حقًا، فأهدي له هدية، فقبها، فذلك السحت.

(١) الفتاوى لفقهية الكبرى (٤ / ٣٢١).

(٢) مطلب أولي النهى (٦ / ٤٨١).

فقلت: يا أبا عبد الرحمن، إنا كنا نَعُدُّ السحت الرشوة في الحكم! فقال عبد الله: ﴿وَمَنْ نَمَّ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وروى أيضاً في تفسيره بإسناده عن مسروق قال: لقاضي إذا أكل الهدية فقد أكل السحت، وإذا قبل الرشوة بلغت به الكفر<sup>(٢)</sup>.

وروى أبو حيان في تفسيره أن أبا حنيفة قال: إذا ارتشى الحاكم يُعزَل<sup>(٣)</sup>. قال أبو حيان: ومن أعظم السحت الرِّشَا في الحكم، وهي المشار إليها في قوله: ﴿كَلُونَا لِلْشَّحْتِ﴾ قال الحسن: كان الحاكم في بني إسرائيل إذا أتاه أحدهم برشوة، جعلها في كفه، فأراه إياها، فتكلم بحاجته، فيسمع منه، ولا ينظر إلى خصمه، فيأكل الرشوة ويسمع الكذب<sup>(٤)</sup>. انتهى.

وأما قوله: ومنها أنه يقطع بكفر الذي يذبح الذبيحة ويسمي عليها ويجعلها لله تعالى، ويدخل مع ذلك دفع شر العجن، ويقول: ذلك كفر، واللحم حرام. والذي ذكره العلماء في ذلك أنه يُنهي عنه فقط. ذكره في «حاشية المنتهى».

والذي ذكره الشيخ رحمه الله، في الذبح للجن، أو غيرهم، أنه كفرٌ يكفر به المسلم إذا ذبحه تعظيماً له وتقرباً إليه، وإرادة أن يدفع عنه السوء والمكروه الذي جعل به. وقد نصَّ العلماء، رحمهم الله، على أن ذلك كفر وردّة.

قال النووي رحمه الله في «شرح مسلم» في باب تحريم الذبح لغير الله: قوله ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله»<sup>(٥)</sup> أم الذبح لغير الله تعالى فالمراد به أن يذبح باسم

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٣٤).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٣٥).

(٣) البحر المحيط (٣/ ٥٠١).

(٤) البحر المحيط (٣/ ٥٠١).

(٥) شرحه مسلم (١٩٧٨).

غير الله تعالى، كمن ذبح للصليب، أو للصنم، أو لموسى أو عيسى، صلى الله عيهما وسلم، أو للكعبة، ونحو ذلك؛ فكل هذا حرام، ولا تحل هذه الذبيحة، سواء كان الذابح مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً، بصر عليه الشفعي، واتفق عليه أصحابه، فإن قصد بذلك تعظيم المذبح له غير الله والعبادة له كان ذلك كفراً، فإن كان الذابح مسلماً قبل ذلك صار بالذبح مرتدًا<sup>(١)</sup>. انتهى.

وقد قال الشيخ تقي الدين في «اقتضاء الصراط المستقيم» في الكلام على قوله تعالى ﴿وَمَا أُهْدَ بِهِ يَغْيِرَ اللَّهُ﴾: ظاهره أن ما ذبح لغير الله تعالى، سواء لفظ به أو لم يلفظ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه للحم وقال فيه: باسم المسيح. ونحوه، كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله كان أزكى مما ذبحه للحم وقلنا عليه: باسم الله. فإن عبادة الله تعالى له بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور، والعبادة لغير الله أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله، فلو ذبح لغير الله متقرباً إليه لحرم، وإن قال فيه: باسم الله. كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة، وإن كان هؤلاء مرتدّين، لا تباح ذبيحتهم، لكن يجتمع في الذبيحة منعان، ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها من الذبح للجن<sup>(٢)</sup>. انتهى كلامه.

فانظر، رحمك الله، كيف صرح هذا الإمام بأن الذبح للجن كفر وردة عن الإسلام، وأن الذبيحة تحرم ولو سئى الله عليها؛ لأنها تصير ذبيحة مرتد وكذلك نصريح الإمام ليووي رحمه الله، بأن الذابح إذا قصد تعظيم المذبح له والعبادة له كان ذلك كفراً، وإن كان مسلماً قبل ذلك صار بالذبح مرتدًا. ولا

(١) المهاح شرح صحيح مسلم (٦ - ٤٧٥).

(٢) اقتضاء لصرط المستقيم (١ / ٦٤ - ٦٥).

يحالف في ذلك أحد من أئمة لإسلام، بل كلهم مجتمعون على ذلك، وهذا هو الذي يقول الشيخ رحمه الله، أنه كفر وردة؛ إذا دبح لجن تقريباً إليهم، وقصدته بذلك أن يُبرئ مريضه من شكواه.

ومن العجب أن ذلك يُفعل في بلدان العارض وغيره، لا ينكره أحد من علمائهم على من فعله، بل منهم من يفتي الجاهل بذلك ويقول: اذهبوا على هذا الصبي، أو هذا المريض، ذبيحة سوداء للجن، ولا تسموا عليها. وقصدته بذلك أن الجن يُزيلون ذلك المرض إذا ذُبِحَتْ لهم تلك الذبيحة، فلما أظهر الله هذا الشيخ، ونهى عن ذلك، وبلغ الناس كلام الله وكلام رسوله وكلام أهل العلم؛ أن ذلك كفر وردة، ينكر ذلك عليه من يزعم أنه من العلماء، فهل يشك أحد من العلماء أن ذلك كفر وشرك وعبادة للجن؟ نعوذ بالله من الطبع على القلب! وأما من ذبح مخلصاً لله في ذلك النية، وقصدته بذلك أن يبرئ الله مريضه، فهذا عمل خالص لله، لا ينكره مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر، فضلاً عن أن يجعله كفراً وردة، ولكن هذا الخبيث يفترى الكذب الظاهر على الشيخ رحمه الله، عداوة منه لدين الله ورسوله، وحنق وحسد لهذا الشيخ وأتباعه؛ أن خصهم الله بهذه الفضيلة وهذه النعمة والمنحة الجسيمة، ومراده بذلك إطفاء هذا النور بالكذب والزور والفجور ﴿وَيَا أَيُّهَا اللَّهُ لَا أَنْ يُسَمَّرَ ثَوْرُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

فصل: ومنها رسالة كتبها الشيخ رحمه الله، إلى سليمان بن سحيم، صاحب تلك الرسالة التي شتت بها على الشيخ. المتقدمة قبل ذلك وجوابها، وكان الشيخ رحمه الله، قد راسله وتلطف له قبل ذلك، فلما تبين للشيخ أنه معاند للحق والإيمان، ومن أعوان أهل الشرك والطغيان، كتب له هذه الرسالة، وهذا نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الذي يعظم به سليمان بن سحيم أنك أروعجت قرطاسة فيها عجائب، فإن كان

هذا قدر فهمك فهد من أفسد الأفهام. وإن كنت تبس به على الجهال فلا أنت برايح. وقبل الجواب نذكر لك أنك أنت وأباك مصرحون بالكفر والشرك والنفاق. ولكن صدر لكم عند خمامة في معكال قصاصيب وأشباههم يعتقدون أنكم علماء. ونداريكم ودنا أن الله يهديكم ويهديهم، وأنت إلى الآن. أنت وأبوك لا تفهمون شهادة أن لا إله إلا الله، أنا أشهد بهذا. شهادة يسألني الله عنها يوم القيامة، أنك لا تعرفها إلى الآن ولا أبوك، ونكشف لك هذا كشفًا بينًا لعلك تتوب إلى الله وتدخر في دين الإسلام، إن هداك الله، وإلا تبين لكل من يؤمن بالله واليوم الآخر حالكماء، والصلاة وراءكماء. وقبور شهدتكم، وخطؤكم، ووجوب عداوتكماء، كما قال تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِآلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ آلَهُ وَرَسُولُهُ﴾ وأكشف ذلك بوجه:

الأول: أنكم تقرون أن الذي يأتيكم من عند هو الحق، وأنت تشهد به ليلاً ونهاراً، وإن جحدت هذا شهد عليك الرجل والنساء، ثم مع هذه الشهادة أن هذا دين الله، أنت وأبوك مجتهدان في عداوة هذا الدين ليلاً ونهاراً، ومن أطعكماء وتبهنئون، وترمؤون المؤمنين بالبهتان العظيم، وتصورون على الناس الأكاذيب الكبار، فكيف تشهد أن هذا دين الله ثم تبين في عداوة من تبعه؟

الوجه الثاني: أنت تقول إنني أعرف التوحيد، وبقر أن من جعل الصالحين وسائط فهو كافر، والناس يشهدون عليك أنك تروح للمولد. وتقرأ لهم، وتحضرهم وهم ينخون، ويندبون مشايخهم، ويصلبون منهم اغوث والممدد، وتأكل اللقم من انطعم المعد ذلك. فإذا كنت تعرف أن هذا كفر فكيف تروح لهم وتعاونهم عليه ونحصر كفرهم؟

الوجه الثالث: أن تعليفهم التمايم من لشرك ببص رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup> وقد ذكر تعليف التمايم صاحب «الإقناع» في أول الجذز<sup>(٢)</sup> وأنت تكتب الحُجُب، وتأخذ عليها شرطًا، حتى أنك كتبت لامرأة حجبًا لعنها تحب. وشرطت لك أحمرين<sup>(٣)</sup>. وضابقتها تريد الأحمرين، فكيف تقول إني أعرف التوحيد وأنت تفعل هذه الأفاعيل؟ وإن أنكرت فلناس يشهدون عيث بهذا.

الوجه الرابع: أنك تكتب في حجبك طلاس، وقد ذكر في «الإقناع» أنها من السحر<sup>(٤)</sup> والسحر يكفر صاحبه، فكيف تفهم التوحيد وأنت تكتب الطلاس! وإن جحدت فهذا خط يدك موجود.

الوجه الخامس: أن الناس فيما مضى عبدوا الطواغيت عبادة ملأت الأرض بهذا الذي تقرأ أنه من الشرك، ينخونهم ويندبونهم ويجمعونها وسائط، وأنت وأبوك تقولان: نعرف هذا، لكن ما سألون؟ فإذا كنتم تعرفونه كيف يحل لكم أن تترك الناس يكفرون، ما تنصحانهم ولو ما سألوكم؟

الوجه السادس: أنا لما أنكرنا عبادة غير الله بالْعُثْم في عداوة هذا الأمر وإنكره، وزعمتم أنه مذهب خامس، وأنه باطل، وإن أنكرتما فلناس يشهدون عيكم بذلك، وأنتم مجاهرون به، فكيف تقولون: هذا كفر ولكن ما سألونا عنه؟ فإذا قام من يبين للناس التوحيد قلتم إنه معيّر الدين وآت بمذهب خامس؟ فإذا كنت تعرف التوحيد وتقرأ أن كلامي هذا حق؟ فكيف تجعله تغييرًا لدين الله

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٥٦) من حديث عقبة بن عامر لجهنبي أن رسول الله ﷺ

قال «من علق نسيمة فقد أشرك» وصححه الشيخ لألدي (صحيح، مجمع ٦٣٩٤)

(٢) الإقناع (١/ ٢١٠).

(٣) فقد يُعامل به في رمنهم.

(٤) الإقناع (٤/ ٣٠٨).

وتشكونا عند أهل الحرمين؟

والأمور التي تدل على أنك أنت وأباك لا تعرفون شهادة أن لا إله إلا الله لا تُحصَر، لكن ذكرنا الأمور التي لا تقدر تنكرها، ولبتك تعمل فعل المفاقيين الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾؛ لأنهم يخفون نفاقهم، وأنت وأبوك تظهرون للخاص والعام.

وأما الدليل على أنك رجل معاند ضال، على علم، مختار لكفر على الإسلام، فمن وجوه:

الأول: أني كتبت ورقة لابن صالح من سنين فيها تكفير الطواغيت شمساً وأمثاله، وذكرت فيها كلام الله ورسوله، وبينت الأدلة، فلم جاءتك نسختها بيدك لموسى بن سليم، ثم سَجَلْتَ عليها وقلت: ما ينكر هذا إلا أعمى القلب. وقرأه موسى في البلدان، وفي منفوحة، وفي الدرعية، وعندنا، ثم راح بها للقبلة، فإذا كنت من أول موافق لنا على كفرهم، وتقول: ما ينكر هذا إلا من أعمى الله بصيرته. فالعلم الذي جاءك بعد هذا يبين لك أنهم ليسوا بكفار بيته لنا.

الوجه الثاني: أني أرسلت لك رسالة الشيخ تقي الدين، التي يذكر فيها أن من دعا نبياً أو صحابياً أو ولياً، مثل أن يقول: ب سيدي فلان، نصرني وأغثني. أنه كفر بالإجماع، فلم أتنك استحسنها وشهدت أنها حق، وأنت تشهد به لأن، فما الموجب لهذه العداوة؟

الوجه الثالث: أنه إذا أنك أحد من أهل المعرفة أقررت أن هذا دين الله، وأنه الحق، وقلته على رؤوس الأشهاد، وإذا خنوت مع شياطينك وقصاصيتك فلت كلام آخر.



الوجه الرابع: أن عبد الرحمن الشنقي، ومن معه، لما أتوك وذاكروك، أقررت بحضرة شيطينك أن هذا هو الحق، وشهدت أن الطواغيت كفار، وتبرأت من طالب الحمضي وعد الكريم وموسى بن نوح، فأي شيء بان لك بعد هذا أن هذا باطل وأن الذي تبرأت منهم وعديتهم أنهم على حق؟

الوجه الخامس: أنك لما خرجت من عند الشيوخ، وأتيت عند الشنقي، جحدت الكلام الذي قلت في المجلس، فإن كان الكلام حقاً فلاي شيء تجحده؟

وأنت وأبوك مُقرّان أنكم لا تعرفان كلام الله ورسوله، لكن تقولان: نعرف كلام صاحب «الإقناع» وأمثاله، وأن أذكر لك كلام صاحب «الإقناع» أنه مُكفّرٌ ومُكفّرٌ أباك في غير موضع من كتابه:

الأول: أنه ذكر في أول سطر من أحكام المرتد أن الهزل بالدين يكفر<sup>(١)</sup> وهذا مشهور عنك وعن ابن أحمد بن نوح؛ الاستهزاء بكلام الله ورسوله، وهذا كتابكم كُفّرَكم.

الثاني: أنه ذكر في أوله أن المُبغض لما جاء به الرسول كفر بالإجماع، ولو عمل به<sup>(٢)</sup> وأنت مُقرّ أن هذا الذي أقول في التوحيد أمر الله ورسوله، والنساء والرجال يشهدون عليكم أنكم مُبغضون لهذا الدين، مجتهدون في تنفير الناس عنه، والكذب والبهتان على أهله، فهذا كتابكم كُفّرَكم.

الثالث: أنه ذكر من أنواع الردة إسقاط حرمة القرآن<sup>(٣)</sup> وأنتم كذلك تستهزؤون

(١) الإقناع (٤/ ٢٩٧).

(٢) الإقناع (٤/ ٢٩٧).

(٣) الإجماع (٤/ ٢٩٧).

بمن يعمل به، وتزعمون أنهم جهل، وأنكم علماء.

الرابع: أنه ذكر أن من ادّعى في عليّ بن أبي طالب ألوهية أنه كافر. ومن شك في كفره فهو كافر<sup>(١)</sup> وهذه مسألتك لتي جاذلت بها في مجلس الشيوخ، وقد صرح في «الإقناع» أن من شك في كفرهم فهو كافر، فكيف بمن جادل عنهم وادّعى أنهم مسلمون وجعند كفارًا لما أنكرنا عليهم؟

الخامس: أنه ذكر أن السحر يكفر بتعلمه وتعليمه، والطلاسم من جملة السحر.

فهذه ستة مواضع في «الإقناع» في باب واحد. أن من فعلها فقد كفر. وهي دينك ودين أبيك؛ فإما أن تبرؤوا من دينكم هذا، وإلا أجبوا عن كلام صاحب «الإقناع».

وكلامنا هذا لغيرك الذين عليهم الشرهة مثل الشيوخ، أو من يصلي وراءك كود إن الله يهديهم<sup>(٢)</sup> ويعزلونك أنت وأبوك عن الصلاة بالناس؛ لئلا تُفسد عليهم دينهم، وإلا فأنا أظنك لا تقبل. ولا يزيدك هذا الكلام إلا جهالة وكفرًا. وأم الكلام الذي لُبِّسَتْ به على الناس، فأنا أبينه، إن شاء الله، كلمة كلمة؛ وذلك أن جملة المسائل التي ذكرت أربعًا:

الأولى: النذر لغير الله، تقول إنه حرام، ليس بشرك.

الثانية: أن من جعل بينه وبين الله وسائط كفر، أما الوسائط بأنفسهم فلا يكفرون.

(١) الإقناع (٤ / ٢٩٩).

(٢) أي: يعن الله يهديهم

الثالثة: عبارة العلماء أن المسلم لا يحوز تكفيره بالذنوب.

الرابعة: التذكير ليلة الجمعة لا ينبغي الأمر بتركه.

هذه المسائل التي ذُكرت.

فأما المسألة الأولى: فداينك قولهم إن النذر لغير الله حرام بالإجماع، فاستدللت بقولهم «حرام» على أنه ليس بشرك، فإن كان هذا قدر عقلك فكيف تدعي المعرفة! يا ويلك! ما تصنع بقول الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾، فهذا يدل على أن الشرك حرام ليس بكفر، يا هذا الجاهل المركب، ما تصنع بقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِإِلهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾؟ هل يدل هذا التحريم على أنه لا يكفر صاحبه! يا ويلك! في أي كتب وجدته إذا قيل لك: هذا حرام. أنه ليس بكفر؟ فقولك إن ظاهر كلامهم أنه ليس بكفر كذب وافتراء على أهل العلم، بل يقال: ذكر أنه حرام، وأما كونه كفر فيحتاج إلى دليل آخر. والدليل عليه أنه صرح في «الإقناع» أن النذر عبادة، ومعلوم أن «لا إله إلا الله» معناه: لا يُعبد إلا الله. فإذا كان النذر عبادة، وجعلتها لغيره، كيف لا يكون شركًا!

وأيضًا: مسألة الوسائط تدل على ذلك، والناس يشهدون أن هؤلاء النذرين يجعلونهم وسائط، وهم مُقَرَّبُونَ بذلك.

وأما استدلالك بقوله: من قال: «سُدُّوا لي». وأنه إذا رضي وسكت لا يكفر. فأبي دليل؟ غاية ما يقال إنه سكت عن الأخذ بالراضي، وعُيِّنَ من دليل آخر، والدليل الآخر أن الرضا بالكفر كفر، صرح به العلماء، وموالاته الكفار كفر، وغير ذلك، هذا إذا قُدِّرَ أنهم لا يقولونه، فكيف وأنت وغيرك تشهد عليهم أنهم

يقولون، ويبالغون فيه، ويقصّون على الناس الحكايات التي تُرسخ، لشرك في قلوبهم، وتُبغض إليهم التوحيد، ويكفّرون أهل العارض لما قالوا: لا يُعبد إلا الله.

وأما قولك: ما رأينا للترشح معنى في كلام العلماء.

فمن أنت حتى تعرف كلام العلماء!

وأما الثانية: وهي أن الذي يجعل الوسائط هو الكافر، وأما المجعول فلا يكفر.

فهذا كلام تلييس وجهلة، ومن قال إن عيسى وعُزَيْرًا، أو علي بن أبي طالب وزيد بن الخطاب، وغيرهم من الصالحين، يلحقهم نقص بجعل المشركين إياهم وسائط؟ حاشا وكلاً ﴿وَلَا لِرِزِّ وَارِزَّةٍ وَرِزِّ أُخْرَى﴾، وإن كفرنا هؤلاء الطواغيت، أهل الخرج وغيرهم، بالأمور التي يفعلونها هم:

منها: أنهم يجعلون آباءهم وأجدادهم وسائط.

ومنها: أنهم يدعون الناس إلى الكفر.

ومنها: أنهم يُبغضون عند الناس دين محمد ﷺ ويزعمون أن أهل العارض كفروا لما قالوا: لا يُعبد إلا الله.

وغبر ذلك من أنواع الكفر، وهذا أمر أوضح من الشمس لا يحتاج إلى تفرير، ولكن أنت رجل جاهل مشرك، مُبغض لدين الله، وتلبس على الجهال الذين يكرهون دين الإسلام ويحنون الشرك ودين آباءهم، وإلا فهؤلاء الجهال لو مرادهم اتباع الحق عرفوا أن كلامك من أفسد ما يكون.

وأما المسألة الثالثة، وهي من أكبر تلييس الذي تلبس به على العوام، أد

أهل العلم قالوا: لا يجوز تكفير المسلم بالذنب

وهذا حق. ولكن ليس هـ، ما نحن فيه؛ وذلك أن الخوارج يكفرون من زنا، أو من سرق، أو سفك الدم، بل كل كسرة إذا فعلها المسلم كفر. وأما أهل السنة فمذهبهم أن المسلم لا يكفر إلا بالشرك. ونحن ما كفرنا الطواغيت وأنباعهم إلا بالشرك، وأنت رجل من أجهل الناس؛ تضح أن من صلى وادّعى أنه مسلم لا يكفر، فإذا كنت تعتقد ذلك؛ فما تقول في المنافقين الذين يصلون ويصومون ويجاهدون؟ قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾.

وم تقول في الخوارج الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد، أينما لقيتموهم فاقتلوهم»<sup>(١)</sup> أنظنهم ليسوا من أهل القبلة!

ما تقول في الذين اعتقدوا في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مثل اعتقاد كثير من الناس في عبد القادر وغيره، فأضرم لهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه نارا فأحرقهم بها، وأجمعت الصحابة على قتلهم، لكن ابن عباس أنكر تحريقهم بالنار وقال: يُقتلون بالسيف<sup>(٢)</sup>. أنظن هؤلاء ليسوا من أهل القبلة أم أنت تفهم الشرع وأصحاب رسول الله ﷺ لا يفهمونه؟

أرأيت أصحاب رسول الله ﷺ لما قتلوا من منع الزكاة، فلما أرادوا التوبة قال أبو بكر: لا نقبل توبتكم حتى تشهدوا أن قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار<sup>(٣)</sup>. أنظن أن أبا بكر وأصحابه لا يفهمون وأنت وأبوك الذين تفهمون؟

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٦) ومسلم (١٠٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٢٤) عن عكرمة قال: أتى علي زيادة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقام: لو كنت أن لم أحرقهم؛ لنهي رسول الله عليه الصلاة والسلام: «لا تعذبوا بعذاب الله» ولقنتهم يقول رسول الله عليه الصلاة والسلام: «من بدل دية فاقتلوه».

(٣) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (١٦٩٨) وعبد الرزاق (٤٣٧ / ٦) من حديث عاصم بن ضمرة قال: ارند عقيقة من علاثة عن دينة بعد النبي ﷺ فقله مسموم. -

يا ويلك، أيها الجاهل المركب، إذا كنت تعتقد هذا؛ أن مَنْ أُمَّ القِبْلَةَ لا يكفر، فما معنى هذه المسائل العظيمة الكثيرة التي ذكرها العلماء في باب حكم المرتد، التي كثير منها هي أناس أهل زهد وعبادة عظيمة، ومنها طوائف ذكر العلماء أن مَنْ شك في كفرهم فهو كافر؟ ولو كان الأمر على زعمك بطل كلام العلماء في حكم المرتد، إلا مسألة واحدة، وهي: الذي يصرح بتكذيب الرسول وينتقل يهوديًا أو نصرانيًا أو مجوسيًا ونحوهم، هذا هو الكفر عندك! يا ويلك، ما تصنع بقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تُعْبَدَ فِتْنَامُ مِنْ أُمِّي الْأَوْثَانِ»<sup>(١)</sup>، وكيف نقول هذا وأنت تُقرُّ أن من جعل الوسائط كفرًا فإذا كان أهل العلم في زمانهم حكموا على كثير من أهل زمانهم بالكفر والشرك، أتظن أنكم صليحتهم بعدهم؟ يا ويلك!

وأما مسألة التذكير، فكلامك فيها من أعجب العجائب، أنت تقول: بدعة حسنة. والنبى ﷺ يقول: «كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»<sup>(٢)</sup>، ولم يَسْتَنْ شَيْئًا، تشير علينا نصدِّقك أنت وأبوك لأنكم علماء ونكذب رسول الله! والعجب من نُفْلِكَ الإجماع، فتجمع مع الجهالة المركبة الكذب الصريح والبهتان، فإذا كان في «الإقناع» في باب الأذان، قد ذكر كراهيته في مواضع

= قال: فأبى أن يجنح للسلم، فقال أبو بكر: لا يقبل منك إلا سلم مخزية أو حرب مجمية. قال: فقال: وما سلم مخزية؟ قال: تشهدون على قتلتنا أنهم في الجنة وأن قتلاكم في النار، وتُدُون قتلتنا ولا نُدِي قتلاكم. فاختاروا سلما مخزية.

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٥٢) وترمذي (٢٢١٩) وابن ماجه (٣٩٥٢) من حديث ثوبان. ولعله: «لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان» وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ١٧٧٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٢) والإمام أحمد (٤/ ١٢٦) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٢٥٤٩).

متعددة<sup>(١)</sup> أتظن أنك أعلم من صاحب «الإقناع» أم تظنه محالفاً للإجماع! وأيضاً لم جاءك عبد الرحمن الشنيفي أقررت لهم أن التذكير بدعة مكروهة، فمتى هذا العلم جاءك!

وأما قولك: أمر الله بالصلاة على نبيه على الإطلاق.

فأيضاً: أمر الله بالسجود على الإطلاق في قوله: ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾، فيدل هذا على السجود للأصنام أو يدل على الصلاة في أوقات النهي! فإن قلت: ذاك قد نهى عنه النبي ﷺ.

قلت: وكذلك نهى النبي ﷺ عن البدع، وذكر أن كل بدعة ضلالة.

ومعلوم أن هذا حادث من زمن طويل، وأنكره أهل العلم، منهم صاحب «الإقناع» وقد ذكر السيوطي في كتاب «الأوائل» أن أول ما حدث التذكير يوم الجمعة ليتهيأ الناس لصلاتها، بعد السبعمائة، في زمن الناصر بن قلاوون، فأرنا كلام واحد من العماء رخص فيه وجعله بدعة حسنة، فليس عندك إلا الجهل المركب والبهتان والكذب.

وأما استدلالك بالأحاديث التي فيها إجماع الأمة والسواد الأعظم، وقول: «من شذ شذ في النار»<sup>(٢)</sup> و«يد الله على الجماعة»<sup>(٣)</sup>. وأمثال هذا، فهذا أيضاً

(١) الإقناع (١ / ٧٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٦٧) من حديث عبد الله بن عمر، والحاكم (١ / ٢٠٢) من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «لا يجمع الله أمر أمتي على ضلالة أبداً. اتبعوا السواد الأعظم. يد الله على الجماعة، من شذ شذ في النار» وضعفه الشيخ لأليني (طلال الحنة ٨٠).

(٣) أخرجه النسائي (٤٠٢٠) من حديث عرفة بن شريح الأشجعي أن النبي ﷺ قال: «ستكون بعدى هات وهنات، فمن رأيتموه فارق الجماعة، أو يريد أن يفرق بين أمة =

من أعظم ما تَلَبَّسَ به عبي الجُهَّال، وليس هذا معنى الأحاديث بِحِمْامِ أهل العلم كلهم، فإن النبي ﷺ أخبر أن الإسلام سيعود غريباً، فكيف يأمرنا بِتَباعِ غلبِ الناس! وكذلك الأحاديث الكثيرة، منها قوله: «يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه»<sup>(١)</sup> وأحاديث عظيمة كثيرة يبين ﷺ أن الباطل يصير أكثر من الحق، وأن الدين يصير غريباً، ولو لم يكن في ذلك إلا قوله ﷺ: «ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة»<sup>(٢)</sup> هل بعد هذا البيان بيان!

ي ويدك! كيف تأمر بعد هذا بِاتباعِ أكثر الناس؟ ومعلوم أن أهل أرضنا وأرض الحجاز، الذي يُنْكِرُ البعث منهم أكثر ممن يُقِرُّ به، وأن الذي يعرف الدين أقل ممن لا يعرفه، والذي يضع الصلاة أكثر من الذي يحافظ عليها. والذي يمنع الزكاة أكثر ممن يؤديها<sup>(٣)</sup>؟ فإن كان الصواب عندك اتباع هؤلاء فَيَبِّنْ لنا، وإن كان عنزة وآل ظفير وأشباههم من البوادي هو السواد الأعظم، وَلَقِيتُ في علمك وعلم أبيت أن اتَّبَعَهُمْ حَسَنٌ فاذكروا لنا.

ونحن نذكر كلام أهل العلم في معنى تلك الأحاديث ليتبين للجُهَّال الذين مَوَّهَتْ عليهم.

= محمد، وأمرهم جميع، فاقتلوه كائناً من كان، فإن يد الله على الجماعة، وإن الشيطان مع من فارق الجماعة بركض» وصححه الشيخ الألباني (صحيح النسائي).

(١) أخرجه ليهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣١١) وضعفه الشيخ الألباني (الصعيقة ١٩٣٦)  
(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٣) والإمام أحمد (١٢٠ / ٣) من حديث أسس، وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٢٠٤٢) والإمام أحمد (٤ / ١٠٢) وأخرجه أبو داود (٤٥٩٧) من حديث معوية.

(٣) هد في زمن لسيح بخنة. أما الآن فقد تشتر بخير - ولله الحمد، ونسأله المزيد من



قال ابن القيم رحمه في «الإعلام الموفعين»:

واعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق، وإن كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض.

وقال عمرو بن ميمون: سمعت ابن مسعود يقول: عليكم بالجماعة؛ فإن يد الله على الجماعة. وسمعت يقول: سيلي عليكم ولا يؤخرون الصلاة عن وقتها، فصل الصلاة وحدك، وهي الفريضة، ثم صل معهم، فإنها لك نافلة. قلت: يا أصحاب محمد، ما أدري ما تحدثون! قال: وما ذاك؟ قلت: تأمرني بالجماعة ثم تقول: صل الصلاة وحدك! قال: يا عمرو بن ميمون، لقد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية، أتدري ما الجماعة؟ قلت: لا. قال: جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، والجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك<sup>(١)</sup>.

وقال نعيم بن حماد: إذا فسدت الجماعة، فعليك بما كان عليه الجماعة قبل أن تفسد الجماعة، وإن كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذ<sup>(٢)</sup>.

وقال بعض الأئمة، وقد ذكر له السواد الأعظم: أتدري ما السواد الأعظم؟ هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه<sup>(٣)</sup>.

فمسخ المختلفون الذين جعلوا السواد الأعظم والحجة هم الجمهور، فجعلوهم عياراً على السنة، وجعلوا السنة بدعة، وجعلوا المعروف منكراً؛ لقلّة أهله وتفردهم في الأعصر والأمصار، وقالوا: «من شذّ شذ في النار» وما عرف المختلفون أن الشاذ ما خالف الحق، وإن كان عليه الناس كلهم، إلا واحداً، فهم الشذوذ. وقد شذّ الناس كلهم في زمن أحمد بن حنبل، إلا نفرًا يسيراً.

(١) أخرجه ابن عساکر في تاريخ دمشق (٤٦ / ٤٠٩).

(٢) أخرجه ابن عساکر في تاريخ دمشق (٤٦ / ٤٠٩).

(٣) قاله إسحاق بن زهويه، أخرجه أبو نعيم في الحلية (٩ / ٢٣٨).

فكانوا هم الجماعة، وكانت القصاصة يومئذ والمفتون والخليفة وأتباعهم كهمهم الشاذون، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة، ولم لم ينحمل ذلك عقول الناس قلوا لدخيفة: يا أمير المؤمنين، أتكون أنت وقضاتك وولاتك والفقهاء والمفتون على الباطل، وأحمد وحده على الحق! فلم يتسع علمه لذلك، فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل، فلا إله إلا الله! ما أشبه الليلة بالبارحة<sup>(١)</sup>. انتهى كلام ابن القيم.

يسلامة ولد أم سلامة، هذا كلام الصحابة، في تفسير السواد الأعظم، وكلام التابعين وكلام السلف وكلام المتأخرين، حتى ابن مسعود ذكر في زمانه أن أكثر الناس فارقوا الجماعة، وأبلغ من هذه الأحاديث المذكورة عن رسول الله ﷺ من غربة الإسلام، وتفرق هذه الأمة أكثر من سبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة. فإني كنت وجدت في علمك وعلم أبيك ما يراد على رسول الله ﷺ والعلماء، وأن عنزة وآل ظفير والبهادي يجب علينا اتباعهم فأخبرونا. وكتبه محمد بن عبد الوهاب. وصلى الله على محمد وآله وسلم.

ومنها: رسالة أرسلها إلى أهل الرياض ومنفوحة، وهو إذ ذاك مقيم في بلد العيينة، وكتب إلى عبد الله بن عيسى<sup>(٢)</sup> قاضي الدرعية يسجل تحتها بما رآه من الكلام، ليكون ذلك سبباً لقبول الجهال والطغام<sup>(٣)</sup>، وهذا نص الرسالة:

(١) إعلام الموقعين (٣/ ٣٩٧ - ٣٩٨).

(٢) انظر ترجمته واسمه عبد الوهاب في: «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٥/ ٣٣٩ - ٣٤٠)، ومقل لأستاذ إبراهيم بن عيسى العيسى في جريدة الجزيرة (٢٦/ ٨/ ١٤٢١هـ)، وأحد أن وافته عام ١١٦٤هـ.

(٣) وهذا من حكمة الشيخ رحمه الله، لاسيما وقد قل في رسالته: «وشاهد هذا أن عبد الله بن عيسى ما عرف في علماء نجد، لا علماء العارض ولا غيره، أخل منه، وهذا كلامه واصل بيكم»

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين ، سلام  
عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فقد قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَنْهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ وذلك أن الله أرسل  
محمدًا ﷺ ليعين للناس الحق من البطل ، فبين ﷺ للناس جميع ما يحتاجون إليه  
في أمر دينهم بيانًا تامًا ، وما مات ﷺ حتى ترك الناس على المَحَجَّة البيضاء ،  
لئنها كنهارها .

فإذا عَرَفْتَ ذلك ، فهؤلاء الشياطين من مَرَدَّة الإنس ، الذين يُحَاجُّون في الله  
من بعد ما استُجِيب له ، إذا رأوا مَنْ يُعَلِّم الناس ما أمرهم به محمدٌ ﷺ من  
شهادة أن لا إله إلا الله ، وما نههم عنه : مثل الاعتقاد في المخلوقين الصالحين  
وغيرهم - قاموا يجدلون ويُلَبِّسُونَ على الناس ، ويقولون : كيف تكفرون  
المسلمين ؟ كيف تسبون الأموات آل فلان ، أهل ضيف آل فلان ، أهل كذا  
وكذا ؟ ومرادهم بهذا لئلا يَتَبَيَّن معنى «لا إله إلا الله» ويتبين أن الاعتقاد في  
الصالحين النَّفْع والضَّرَّ ودعاءهم كُفْرٌ يُنْقِل عن الملة ، فيقولون الناس لهم : إنكم  
قبل ذلك جُهَّال ، لأي شيء لم تأمرونا بهذا ؟

وأنا أخبركم عن نفسي ، والله الذي لا إله إلا هو ، لقد طبْتُ العلم ، واعتقدتُ  
مَنْ عَرَفَنِي أن لي معرفة ، وأن ذلك الوقت لا أعرف معنى «لا إله إلا الله» ولا  
أعرف دين الإسلام قبل هذا الحير الذي منَّ الله به . وكذلك متساخي ، ما منهم  
رجل عَرَف ذلك ، فَمَنْ زعم من عماء العارض أنه عرف معنى «لا إله إلا الله»  
أو عَرَف معنى الإسلام قبل هذا الوقت ، أو زعم من مشايخه أو أحدًا عَرَف ذلك  
فقد كَذَب وافترى ، ولَبَّس على الناس ، ومدح نفسه بما ليس فيه .

وشاهد هذا أن عبد الله بن عيسى ما نعرف في علماء نجد، لا علماء العارض ولا غيره، أجز منه، وهذا كلامه واصل إليكم، إن شاء الله، فاتقوا الله عدد الله، ولا تكبروا على ربكم ولا نبيكم، واحمدوه سبحانه الذي من عليكم، ويسر لكم من يعرفكم بدين نبيكم ﷺ ولا تكونوا من ﴿الَّذِينَ بَدَلُوا بَعْثَ اللَّهِ كُفْرًا وَحَلَّوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ \* جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا وَيَنَسُّ الْقَرَارُ﴾.

إذا عرفت ذلك، فاعلموا أن قول الرجل «لا إله إلا الله» نفي وإثبات، إثبات الألوهية كلها لله وحده، ونفيها عن الأنبياء والصالحين وغيرهم، وليس معنى الألوهية أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر ولا يحيي ولا يميت إلا الله، فإن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يُقرُّون بهذا، كما قال تعالى: ﴿قَدْ مَن يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ فتفكروا عباد الله فيما ذكر الله عن الكفار أنهم مقرُّون بهذا كنه الله وحده لا شريك له، وإنما كان شركتهم أنهم يدعون الأنبياء والصالحين، ويندبونهم، ويندرون لهم، ويتوكلون عليهم، يريدون منهم أنهم يقربونهم إلى الله، كما ذكر الله عنهم ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَكَبِّرُونَ﴾ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ.

إذا عرفت ذلك؛ فهؤلاء الطواغيت الذين يعتقد الناس فيهم، من أهل الخرج وغيرهم، مشهورون عند الخاص والعام بذلك، وأنهم يترشحون<sup>(١)</sup> له ويأمرون به الناس، كلهم كفار مرتدون عن الإسلام، ومن حاذل عنهم، أو أكر على من كفرهم، أو زعم أن فعنهم هذا لو كان باطلا فلا يُخْرِجُهُمْ إِلَى الْكُفْرِ، فأقل أحوال هذا لمجدل أنه فاسق، لا يُقْبَلُ حُطُّهُ وَلَا شَهَادَتُهُ، وَلَا يَصْلَى خَفْهُ، بل

(١) ترشح بشيء: التزم أو افتتح به، ودافع عنه بكلامه.

لا يصح دين الإسلام إلا بالبراءة من هؤلاء وتكفيرهم، كما قال تعالى: ﴿فَصَرِّحُوا بِإِذْنِ اللَّهِ بِطُغْيَانِكُمْ بِأَلْطَعُوتٍ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾.

ومصدق هذا أنكم إذا رأيتم من يخالف هذا الكلام وينكره. فلا يحلو إما أن يدعي أنه عارف، فقولوا له: هذا الأمر العظيم لا يُعقل عنه، فبين لنا ما يصدقك من كلام العلماء إذا لم تعرف كلام الله ورسوله. فإن زعم أن عنده دليلاً، فقولوا له يكتبه حتى نعرضه على أهل المعرفة، وتبين لنا أنك على الصواب وتبعك. فإن نبينا ﷺ قد بين لنا الحق من البطل. وإن كان المجادل يُقر بالجهل ولا يدعي المعرفة، فبما عباد الله، كيف ترضون بالأفعال والأقوال التي تُغضب الله ورسوله وتُخرِجُكم عن الإسلام اتِّباعاً لرجل يقول: إني عارف. فإذا طالبتموه بالدليل عرفتم أنه لا علم عنده. أو اتِّباعاً لرجل جاهل، وتعرضون عن طاعة ربكم، وما بينه وبينكم ﷺ وأهل العلم بعده، واذكروا ما قص الله عليكم في كتابه لعلكم تعتبرون، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَاحِبًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ وهؤلاء أهلكهم الله بالصيحة، وأنتم الآن إذا جاءكم من يُخبركم بأمر رسول الله ﷺ، إذا أنكم فريقان تخاصمون، أفلا تخافون أن يصيبكم من العذاب ما أصابهم؟

والحاصل أن مسائل التوحيد ليست من المسائل التي هي من المطاوعة خاصة. بل البحث عنها وتعلُّمها فرض لازم على العالم والجاهل، والمُحرِّم والمُحلِّ، والذكر والأنثى، وأنا لا أقول لكم: أطيعوني، ولكن الذي أقول لكم: إذا عرفتم أن الله أعم عليكم وتفضل عليكم بمحمد ﷺ والعلماء بعده، فلا بسعي لكم معاندة محمد ﷺ وقول: تكفرون المسلمين؟ كيف تفعلون كذا؟ كيف تفعلون كذا؟ فإننا لم نكفر المسلمين، بل ما كفرنا إلا المشركين.

وكذلك أيضاً من أعظم الناس ضللاً متصوفة في معكال وعيره. مثل ولد

موسى بن جوعن وسلامة بن مانع وغيرهما، يتَّبِعُونَ مذهب ابن عربي<sup>(١)</sup> وابن الفارض<sup>(٢)</sup>، وقد ذكر أهل العلم أن ابن عربي من أئمة أهل مذهب الاتحادية، وهم أغلظ كفرًا من اليهود والبصري، فكل من لم يدحل في دين محمد ﷺ ويتبرأ من دين الاتحادية فهو كافر بريء من الإسلام، ولا تصح الصلاة خلفه، ولا تُقبل شهادته.

والعَجَبُ العَجَبُ أن الذي يدَّعي المعرفة يزعم أنه لا يعرف كلام الله، ولا كلام رسوله، بل يدَّعي أنني أعرف كلام المتأخرين مثل «الإقناع» وغيره، وصاحب «الإقناع» قد ذكر أن مَنْ شَكَّ في كُفْرِ هؤلاء السادة والمشايخ فهو كافر! سبحن الله، كيف يفعلون أشياء في كتابهم أن مَنْ فعلها كفر. ومع هذا يقولون: نحن أهل المعرفة وأهل الصواب، وغيرنا صبيان جهل؟ والصبيان

(١) الصوفي الشهير (ت ٦٣٨هـ)، يُنصر لبيد حاله: «فتوى»؛ لشيخ الإسلام (المجلد الثاني)، و«الإلحادية: عقيدة ابن عربي لاتحادية»؛ للأستاذ مصطفى سلامة، و«كتاب ابن عربي الصوفي في ميزان البحث والتحقيق» لشيخ عبدالقادر لسندي، و«العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين»؛ لنفاسي؛ حيث ترجم لابن عربي وذكر فتوى العلماء فيه. وقد طبعت لترجمة مفردة بتحقيق الشيخ علي نحلي، و«رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي» جمع وتحقيق الشيخ موسى الدويش.

(٢) الصوفي الشهير (ت ٦٣٢هـ)، قال بن كثير رحمه الله: «ابن الفارض، نظم التبتة في سلوك عنى طريقة المتصوفة المنسوبين إلى لاتحاد، هو أبو حفص عمر بن أبي لحسن عبي بن لمرشد بن علي لحموي الأصل المصري المولد والدار والوفدة، تكلم فيه غير واحد من مشايخنا بسبب قصيدته المشار إليها وقد ذكره شيخنا أبو عبد الله الذهبي في ميزانه وحط عليه». (المدية ولهية: ١٣-١٤٣). قال الذهبي عن قصيدته التبتة: «فإن لم يكن في تلك القصيدة صريح لاتحاد الذي لا حية في وجوده، فما في العلم ردة ولا ضلال. اللهم أنهم النقي وأعد من الهوى فيا أئمة الدين ألا تعضون له؟ فلا حور ولا قوة، لا بالله». (سير أعلام لسلاء ٢٢ / ٣٦٨)

يقولون: أَظْهَرُوا لَنَا كِتَابَكُمْ. وَيُتَوَّنَّ عَنْ إِضْهَارِهِ، أَمَّا فِي هَذَا مَا يَدُلُّ عَلَى جَهَالَتِهِمْ وَضَلَالَتِهِمْ؟

وكذلك أَيْضًا مِنْ جَهْلِهِ هَؤُلَاءِ وَضَلَالَتِهِمْ. إِذَا رَأَوْا مَنْ يَعْلَمُ الشُّيُوخَ وَصِيَّائَهُمْ. أَوْ الْبُدُو. شَهَادَةَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» قَالُوا: قُولُوا لَهُمْ يَتْرَكُونَ الْحَرَامَ. وَهَذَا مِنْ عَظِيمِ جَهْلِهِمْ، فَزَيْنُهُمْ لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا ظَلَمَ الْأَمْوَالِ، وَأَمَّا ظَلَمَ الشُّرَكَ فَلَا يَعْرِفُونَ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ أَلْشِّرَكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ وَأَيْنَ الظُّلْمَ الَّذِي إِذَا تَكَلَّمَ الْإِنْسَانُ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ، أَوْ مَدَحَ الطَّوَاغِيتِ، أَوْ جَادَلَ عَنْهُمْ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَلَوْ كُنْ صَائِمًا قَائِمًا، مِنَ الظُّلْمِ الَّذِي لَا يُخْرِجُ مِنَ الْإِسْلَامِ، بَلْ إِمَّا أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَى صَاحِبِهِ بِالْقَصَصِ، وَإِمَّا أَنْ يَغْفِرَهُ اللَّهُ؟ فَيَبَيِّنُ الْمَوْضِعَيْنِ فَرَقَ عَظِيمٌ.

وَبِالْجُمْلَةِ، رَحِمَكُمُ اللَّهُ. إِذَا عَرَفْتُمْ مَا تَقْدُمُ أَنْ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ بَيَّنَّ الدِّينَ كُلَّهُ، فَاعْمَدُوا أَنْ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينُ قَدْ أَحَلُّوا كَثِيرًا مِنَ الْحَرَامِ فِي الرِّبَا وَالْبَيْعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَحَرَّمُوا عَلَيْكُمْ كَثِيرًا مِنَ الْحَلَالِ، وَضَيَّقُوا مَا وَسَّعَهُ اللَّهُ، فِإِذَا رَأَيْتُمْ الْإِخْتِلَافَ فَاسْأَلُوا عَمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ، وَلَا تَطِيعُونِي وَلَا غَيْرِي. وَسَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ عَلَيْنَا بِاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، وَبَعْدُ:

فَيَقُولُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عِيسَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ عَلَى كُلِّ ذَكَرٍ وَأُنْثَى مَعْرِفَةُ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الَّذِي أَرْسَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ كُلَّ رُسُلِهِ، وَأَنْزَلَ لِأَجْلِهَا جَمِيعَ كِتَابِهِ، وَجَعَلَهَا أَعْظَمَ حَقِّهِ عَلَى عِبَادِهِ. كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ لَنَا فِي كِتَابِهِ. وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، فِي

مواضع لا تحصى، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا تَرْسَسَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوْحِيْ  
 إِلَيْهِ أُنْمَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْ تَعْبُدُوْا﴾ وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوْحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ  
 يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْبِرُوا أَنْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَتَنْقُوبُ﴾ وقال: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ  
 وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ الآية. وقد أمر الله عباده بالاستجابة لهذه  
 الكلمة، فقال: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْفَكَ يَوْمَ لَا يُرَدُّ لَهُ مِنْ شَيْءٍ مَا لَكُمْ مِنْ  
 مَلَجٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ وتوعد سبحانه أفضل الخلق وأكرمهم، سيد  
 ولد آدم والنبيين قبله على مخالفتها، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ  
 نَبِيٌّ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَنْكَ وَلَتَكُوْنَنَّ مِنَ الْخَاسِرِيْنَ﴾ فكيف بغيرهم من سائر الخلق؟  
 وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَدًا وَقُودًا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا  
 مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

فَمَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ وَعِبَالَهُ، وأراد النجاة من النار، فليعرف شهادة أن لا  
 إله إلا الله، فإنها العروة الوثقى، وكلمة التقوى، لا يقبل الله من أحد عملاً إلا  
 بها، لا صلاة ولا صوماً ولا حجاً ولا صدقة ولا جميع الأعمال الصالحة إلا  
 بمعرفتها والعمل بها، هي كلمة التوحيد، وحق لله على العبيد، فَمَنْ أَشْرَكَ  
 مخلوقاً فيها؛ مِنْ مَنْبِ مُقَرَّبٍ، أو نبيٍّ مُرْسَلٍ، أو وليٍّ، أو صاحبٍ وغيره، أو  
 صاحب قبر، أو جنِّي، أو غيره، أو استغث به، أو استعانه فيما لا يُطْلَبُ إلا  
 من الله، أو نذر له، أو ذبح له، أو توكلَ عليه، أو رجاه، أو دعاه دعاء استغاثة  
 أو استعانة، أو جعله واسطة بينه وبين الله لقضاء حاجته ليجلب نفع أو كشف ضرر  
 - فقد كفر كفر عتاد الأصنام القائلين: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُواكَ إِلَى اللَّهِ رُقًى﴾  
 القائلين: ﴿هَؤُلَاءِ شَفَعُونَكَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ كما ذكر الله عنهم في كتابه، وهم مخلدون  
 في النار، وإن صاموا وضموا وعملوا بطاعة الله الليل والنهار، كما قال تعالى:  
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَشُرِكِيْهِ﴾ الآية. وغيرها من الآيات.



وكذلك مَنْ تَرَشَّحَ بشيء من ذلك، أو أَحَبَّ مَنْ تَرَشَّحَ له<sup>(١)</sup>، أو دَبَّ عنه، أو جادل عنه؛ فقد شَرِكَ سَرَكًا لَا يُعْفَرُ، وَلَا تُقْبَلُ وَلَا تَصِحُّ منه الأعمال الصالحة؛ الصوم والحج وغيرها، فإن الله لَا يعفر أن يُشْرِكَ به، وَلَا يَقْبَلُ عمل المشركين. وقد نهى الله نبيه وعباده عن المجادلة عَمَّنْ فَعَلَ ما دُونَ الشُّرْكِ مِنَ الذُّنُوبِ بقوله: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ الآية، فكيف بمن جادل عن المشركين، وصد عن دين رب العالمين؟

فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ، لَا تَغْتَرُوا بِمَنْ لَا يَعْرِفُ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَتَلَطَّحْ بِالشُّرْكِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، فَقَدْ مَضَى أَكْثَرُ حَيَاتِي وَلَمْ أَعْرِفْ مِنْ أَنْوَاعِهِ مَا أَعْرِفُهُ الْيَوْمَ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى مَا عَلَّمَنَا مِنْ دِينِهِ. وَلَا يَهْوُلُنْكُمْ الْيَوْمَ أَنْ هَذَا غَرِيبٌ؛ فَإِنْ نَبِيَكُمْ ﷺ قَالَ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ» وَاعْتَبَرُوا بِدَعَاءِ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِقَوْلِهِ فِي دَعَائِهِ: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ \* رَبِّ إِنَّهُمْ أَصْلَحَنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ وَلَوْ لَا ضَيْقُ هَذِهِ الْكَرَاسَةِ، وَأَنْ الشَّيْخَ مُحَمَّدًا أَجَادَ وَأَفَادَ بِمَا أَسْلَفَهُ مِنَ الْكَلَامِ فِيهَا لَأُطْلَلْنَا الْكَلَامَ.

وَأَمَّا الْإِتِّحَادِيُّ ابْنُ عَرَبِي صَاحِبُ «الْفُصُوصِ» الْمَخَالِفُ لِلنُّصُوصِ، وَابْنُ الْفَارُضِ الَّذِي لَدَيْنَ اللَّهِ مُحَارِبٌ، وَبِالْبَاطِلِ لِلْحَقِّ مُعَارِضٌ، فَمَنْ تَمَذَّهَبَ بِمَذْهَبِهِمَا فَقَدْ اتَّخَذَ مَعَ غَيْرِ الرُّسُولِ سَبِيلًا، وَانْتَحَلَ طَرِيقَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمُ وَالضَّالِّينَ، الْمَخَالِفِينَ لَشَرِيعَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ؛ فَإِنَّ ابْنَ عَرَبِي وَابْنَ الْفَارُضِ سَنَحْلَانُ سَحْلًا تَكْفُرُهُمَا، وَقَدْ كَفَرَهُمْ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ، فَهَوْلَاءُ يَقُولُونَ كَلَامًا أَخْشَى الْمَقْتِ مِنَ اللَّهِ فِي ذِكْرِهِ، فَضْلًا عَمَّنْ انتحلَه، فَإِنْ لَمْ يَنْبَ إِلَى اللَّهِ مَنْ انتحل مَذْهَبَهُمْ وَجَبَ هَجْرُهُ، وَعَزْلُهُ عَنِ الْوَلَايَةِ إِنْ كَانَ دَا وَلَايَةً؛ مِنْ إِمَامَةٍ

(١) ترشح للشيء: ائزم أو افتنع به، ودافع عنه بكلامه.

أو غيرها، فإن صلاته غير صحيحة، لا لنفسه ولا لغيره. فإن قال جاهل: أرى عبد الله تَوَهَّه بتكلم في هذا الأمر! <sup>(١)</sup> فيعلم أنه إنما تبين لي الآن وجوب الجهاد في ذلك، عليّ وعلى غيري. لقوله تعالى: ﴿وَحَنَّهُدُوا فِيَّ نَبُوَ حَوْ جِهَكَدُوْ﴾ إلى أن قال: ﴿مَلَّةَ أَيُّكُمْ إِنْزِهِمَّ﴾ وصلى الله على محمد وآله وسلم.

ومنها: الرسالة التي أرسلها إلى بعض البلدان قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

اعلموا رحمكم الله أن الله بعث محمدًا ﷺ إلى الناس بشيرًا ونذيرًا، مبشِّرًا لمن اتبعه بالجنة، ومُنذِرًا لمن لا يتبعه عن النار. وقد علمتم إقرار كل مَنْ له معرفة أن التوحيد الذي بَيَّنَّا للناس هو الذي أرسل الله به رسله، حتى كل مطوع معاند يشهد بذلك، وأن الذي عليه غلب الناس من الاعتقادات في الصالحين وفي غيرهم هو الشرك الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّكُمْ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾.

فإذا تحققت هذا، وعرفت أنهم يقولون: لو يتركون أهل العارض التكفير والقتل كانوا على دين الله ورسوله. ونحن ما جئناكم في التكفير والقتال، لكن ننصحكم بهذا الذي قطعتم أنه دين الله ورسوله، إن كنتم تعلمونه وتعمنون به، إن كنتم من أمة محمد باطنًا وظاهرًا، وأنا أبين لكم هذه بمسألة القلة.

(١) أي: لماذا تأخر إلى هذا الوقت؟ والشيخ عبد الله بن عيسى يعتذر لنفسه عن تأخره في نصرة الشيخ ومع هذا لتعيق التأييدي منه إلا أن منه صبره عن مناصرة الدعوة - كما سيأتي ان شاء الله -

إن النبي ﷺ وأُمته يُصلُّون، والنصارى يُصلُّون، لكن قبلته ﷺ وأُمته بيت الله، وقبله النصارى مطمع الشمس، فالكل منا يصلي، ولكن اختلفت في القبلة، ولو أن رجلاً من أمة محمد ﷺ يُقر بهذا، ولكن يكره من يستفب القبلة ويحب من يستقبل الشمس، أتظنون أن هذا مسلم؟ وهذا ما نحن فيه، فالنبي ﷺ بعثه الله بالتوحيد، والألَّ يُدعى مع الله أحد، لا نبي ولا غيره، والنصارى يدعون عيسى رسول الله، ويدعون الصالحين، يقولون: ليشفعوا لنا عند الله. فإذا كن كل مطوع مُقراً بالتوحيد، فاجعلوا التوحيد مثل القبلة، واجعلوا الشرك مثل استقبال المشرق، مع أن هذا أعظم من القبلة، وأنا أنصحكم لله وأنخاكم، لا تضعوا حظكم من الله، وتحبوا دين النصارى على دين نبيكم، فمظنكم بمن واجه الله وهو يعلم من قلبه أنه عرف أن التوحيد دينه ودين رسوله، وهو يُبغضه ويُبغض من اتبعه، ويعرف أن دعوة غيره هو الشرك، ويحبه ويحب من اتبعه، أتظنون أن الله يغفر لهذا؟ والنصيحة لمن خاف عذاب الآخرة، وأما القلب الخالي من ذلك فلا، والسلام.

ومنها: رسالة أرسلها إلى فاضل آل مزيد. رئيس بادية الشام. قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى الشيخ فاضل آل مزيد، زاده الله من الإيمان، وأعاده من نزغات الشيطان، أما بعد:

فالسبب في المكتبة أن راشد بن عربان ذكر لنا عنك كلاماً حسناً أسر الخاطر. وذكر عنك أنك ضالٌّ مني المكتبة؛ بسبب ما يحيثك من كلام العدوان من لكذب والبهتن، وهذا هو الواجب من مثلك، أنه لا يقل كلاماً إلا إذا تحققه، وأنا أذكر لك أسرين قبل أن أذكر لك صفة الدين:

الأمر الأول: أي اذكر لمن خالفني أن الواجب على الناس اتباع ما وصى به

النبي ﷺ آمنه، وأقول لهم: الكتب عنكم، انظروا فيها، ولا تأخذوا من كلامي شيئاً، لكن إذا عرفتم كلام رسول الله ﷺ، الذي في كتبكم فتبعوه، ولو حائله أكثر الناس.

والأمر الثاني: أن هذا الأمر الذي أنكروا عليّ، وأبغضوني وعادوني من أجله، إذا سألوا عنه كلّ عالم في الشام واليمن أو غيرهم يقول: هذا هو الحق، وهو دين الله ورسوله، ولكن ما أقدر أظهره في مكاني لأجل أن الدولة ما يَرْضُون، وابن عبد الوهب أظهره لأن الحاكم في بلده ما أنكره، بل لما عرف الحق اتبعه. هذا كلام العلماء، وأظنه وصلت كلامهم.

فأنت تَفَكَّرُ في الأمر الأول، وهو قلبي: لا تطيعوني، ولا تطيعوا، إلا أمر رسول الله ﷺ الذي في كتبكم. وتَفَكَّرُ في الأمر الثاني أن كل عقل مُقِرُّ به، لكن ما يقدر يظهره، فَقَدَّمْ لِنَفْسِكَ ما ينجيك عند الله، واعلم أن ما ينجيك إلا اتباع رسول الله ﷺ والدنيا زائلة، والجنة والنار ما ينبغي للعقل أن ينسهن.

وصورة الأمر الصحيح أني أقول: ما يُدْعَى إلا الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى في كتابه: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ وقل في حق النبي ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أُمِيتُكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ فهذا كلام الله، والذي ذكره لد رسول الله ووصانا به، ونهى الناس لا يدعونه، فلم ذكرت لهم أن هذه المقامات الني في الشام والحرمين وغيرهم أنها على خلاف أمر الله ورسوله، وأن دعوة الصالحين والتعلق عليهم هو الشرك بالله، الذي قال له فيه: ﴿إِنَّكُمْ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾، فما أظهرت هذا أنكروه وكبر عليهم وقالوا: أجعلتنا مشركين! وهذا ليس إشراك.

هذا كلامهم، وهذا كلامي أُسْنِدُهُ عن الله ورسوله، وهذا هو الذي يبني ويسكم، فإن ذَكَرَ شيء غير هذا فهو كذب وبهتان، والذي يصدق كلامي هذا أن

العالم ما يقدر يُظهره، حتى من علماء الشّام من يقول: هذا هو الحق، ولكن لا يُظهره إلا من يحارب الدولة! وأنت ونله الحمد ما تحاف إلا الله. نسأل الله أن يهدينا وإياكم إلى دين الله ورسوله. والله أعلم.

ومنها: رسالة أرسلها إلى ابن السويدي<sup>(١)</sup>، عالم من أهل العراق، وكان قد أرسل له كتاباً وسأله عما يقول الناس فيه، فأجابه بهذه الرسالة، وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الرحمن بن عبد الله، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فوصل كتابك، وسرّ الخاطر، جعلك الله من أئمة المتقين، ومن الدعاة إلى دين سيد المرسلين، وأخبرك أني ولله الحمد مُتَّبِعٌ ولست بمبتدع؛ عقيدتي وديني الذي أدين الله به مذهب أهل السنة والجماعة، الذي عليه أئمة المسلمين، مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيمة. لكنني بينت للناس إخلاص الدين لله، ونهيتهم عن دعوة الأحياء والأموات، من الصالحين وغيرهم، وعن إشراكهم فيما يُعْبَدُ الله به؛ من الذبح والنذر والتوكل والسجود، وغير ذلك مما هو حق الله الذي لا يُشْرِكُ فيه مَنْكُ مُقَرَّبٌ ولا نبيُّ مرسل، وهو الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة.

وبينت لهم أن أول من أدخل الشرك في هذه الأمة هم الرافضة الملعونة، الذين يدعون علناً وغيره، ويطلبون منهم قضاء الحاحات وتفريج الكربات، وأن صاحب منصب في قريتي، مسموع الكلمة، فأنكر هذا بعض الرؤساء؛ لأنه خالف عادة نشأوا عليها.

(١) عبد الرحمن السويدي، الموفى عام ١٢٠٠هـ. نظر ترجمته في «المسك لأدور»؛

للأوسى (ص ١٣١ - ١٣٥)

وأيضاً أُلزِمْتُ مَنْ تحت يدي بِإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فَرَائِصِ اللَّهِ. وَنَهَيْتَهُمْ عَنِ الْبُرْأِ وَشُرْبِ الْمُسْكِرِ. وَأَنْوَاعٍ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ، فَلَمْ يُمْكِنِ الرُّؤَسَاءُ الْقُدْحُ فِي هَذَا وَغَيْبِهِ؛ لَكُونِهِ مُسْتَحْسَنًا عِنْدَ الْعَوَامِ. فَجَعَلُوا قَدْحَهُمْ وَعَدَاوَتَهُمْ فِيمَا آمُرُ بِهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَأَنْهَى عَنْهُ مِنَ الشُّرْكِ، وَلَبَّسُوا عَلَى الْعَوَامِ أَنَّ هَذَا خِلَافٌ مَا عَلَيْهِ أَكْثَرُ النَّاسِ، وَكَبُرَتِ الْفِتْنَةُ جَدًّا، وَأَجْلَبُوا عَلَيْنَا بِخَيْلِ الشَّيْطَانِ وَرَجَلِهِ، مِنْهَا إِشَاعَةُ الْبُهْتَانِ بِمَا يَسْتَحْيِي الْعَاقِلُ أَنْ يَحْكِيَهُ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَفْتَرِيَهُ، مِنْهَا مَا ذَكَرْتُمْ أَنِّي أَكْفَرُ جَمِيعَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَنِي. وَأَزْعَمُ أَنْ أُنْكَحْتَهُمْ غَيْرَ صَحِيحَةٍ، وَيَا عَجَبًا! كَيْفَ يَدْخُلُ هَذَا فِي عَقْلِ عَاقِلٍ؟ هَلْ يَقُولُ هَذَا مُسَلِّمٌ أَوْ كَافِرٌ أَوْ عَارِفٌ أَوْ مُجَنُونٌ؟

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ إِنَّهُ يَقُولُ: لَوْ أَقْدَرَ أَهْدِمَ قُبَّةَ النَّبِيِّ ﷺ لَهْدِمْتُهَا.

وَأَمَّا «دَلَائِلُ الْخَيْرَاتِ» فَلَهُ سَبَبٌ، وَذَلِكَ أَنِّي أَشْرْتُ عَلَى مَنْ قَبْلَ نَصِيحَتِي مِنْ إِخْوَانِي أَلَّا يَصِيرَ فِي قَلْبِهِ أَجَلٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَيُظَنُّ أَنَّ الْقِرَاءَةَ فِيهِ أَجَلٌ مِنَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ.

وَأَمَّا إِحْرَاقُهُ وَالنَّهْيُ عَنِ الصَّلَاةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِأَيِّ لَفْظٍ كَانَ، فَهَذَا مِنَ الْبُهْتَانِ. وَالْحَاصِلُ: أَنَّ مَا ذَكَرْنَا عَنْهُ مِنَ الْأَسْبَابِ، غَيْرُ دَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى التَّوْحِيدِ وَالنَّهْيِ عَنِ الشُّرْكِ. فَكُلُّهُ مِنَ الْبُهْتَانِ. وَهَذَا لَوْ خَفِيَ عَلَيَّ عَيْرَكُمْ فَلَا يَخْفَى عَلَيَّ حَضْرَتَكُمْ. وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَلَدِكُمْ. وَلَوْ كَانَ أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَى النَّاسِ. قَامَ بَلَزْمُ النَّاسِ الْإِخْلَاصَ، وَيَمْنَعُهُمْ مِنْ دَعْوَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ، وَلَهُ أَعْدَاءُ وَحُسَادُ أَشَدُّ مِنْهُ رِيَاةً وَأَكْثَرُ أَتْبَاعًا، وَفَمَا يَرْمُونَهُ بِمَا تَسْمَعُ، وَبِوَهْمِ النَّاسِ أَنَّ هَذَا تَنْقُصُ بِالْصَّالِحِينَ، وَأَنَّ دَعْوَتَهُمْ مِنْ إِجْلَالِهِمْ وَاحْتِرَامِهِمْ، تَعْمُونَ كَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ، وَمَعَ هَذَا وَأَضْعَفُهُ فَلَا يَدُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ وَنَصْرُهُ. كَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ فَلَهُ وَأُمَمُهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا أَسْلَمْتُمْ

مِنْ صِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴿١﴾ فَمَا  
فَرَضَ اللَّهُ الْإِيمَانَ لَمْ يَجْزُ تَرْكُ ذَلِكَ، وَأَنَا أَرْجُو أَنَّ اللَّهَ يَكْرِمُكَ بِنَصْرِ دِينِهِ وَنَبِيِّهِ .  
وذلك بمقتضى الاستطاعة، ولو بالقلب والدعاء. وقد قال ﷺ: «إِذَا أَمَرْتُكُمْ  
بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»<sup>(١)</sup> فإِنْ رَأَيْتَ غَرَضَ كَلَامِي عَلَى مَنْ ظَنَنْتَ أَنَّهُ يَقْبَلُ مِنْ  
إِخْوَانِنَا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا .

ومن أعجب ما جرى من الرؤساء المخلفين أني لما بينت لهم كلام الله وما  
ذكر أهل التفسير في قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ  
أَقْرَبُ﴾ وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾ وقوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُوا  
إِلَى اللَّهِ ذُلْفَى﴾ وما ذكر الله من إقرار الكفار في قوله: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ  
وَالْأَرْضِ﴾ الآية، وغير ذلك، قالوا: القرآن لا يجوز العمل به لنا ولأمثلنا، ولا  
بكلام الرسول، ولا بكلام المتقدمين، ولا نطيع إلا ما ذكره المتأخرون. قلت  
لهم: أنا أخصم الحنفي بكلام المتأخرين من الحنفية، والمالكي والشافعي  
والحنبلي، كلٌ أخاصمه بكتب المتأخرين من علمائهم الذين يعتمدون عليهم.  
فلما أبوا ذلك نقلتُ لهم كلام العلماء من كل مذهب، وذكرت ما قلوا بعدما  
حدّثت الدعوة عند القبور والنذر لها، فعرفو ذلك وتحققوه، ولم يزداهم إلا  
نفورًا.

وأم التكفير، فإذ أكفر من عرف دين الرسول، ثم بعدما عرفه سبّه ونهَى  
لباسه وعاذى من فعله، فهذا هو الذي أكفره، وأكثر الأمة ولله الحمد لبسوا  
كذلك<sup>(٢)</sup>.

(١) أحرجه البحارى (٧٢٨٨) ومسلم (١٣٣٧).

(٢) وهذا فيه أبلغ رد على من يتهم شيخ تكفير عموم المسمين!

وأما القتل فسم نقاتل أحداً إلى اليوم، إلا دون النفس والحُرمة، وهم الذين أتونا في ديارنا ولا أَبْقُوا مَمَكَّنًا، ولكن قد تقاتل بعضهم على سبيل المقابلة، وجزاء سيئة سيئة مثلها، وكذلك من جاهر بسب دين الرسول بعدما عرفه، والسلام.

ومنها: رسالة أرسلها إلى مطاوعة أهل الدرعية، وهو إذ ذاك في بلد العُيَيْنة، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب وعبد الله بن عبد الرحمن حفظهم الله تعالى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: ذكر لي أحمد أنه مُشْكِلٌ عليكم الفتيا بكفر هؤلاء الطواغيت، مثل أولاد شمسان وأولاد إدريس، والذين يعبدونهم مثل طالب وأمثاله، فيقال أولاً:

دين الله تعالى ليس لي دونكم، فإذا أفتيت أو عملت بشيء، وعلمتم أنني مخطئ وجب عليكم تبين الحق لأخيك المسلم، وإن لم تعلموا وكنت المسألة من الواجبات، مثل التوحيد، فالواجب عليكم أن تطلبوا وتحرصوا حتى تفهموا حكم الله ورسوله في تلك المسألة، وما ذكر أهل العلم قبلكم، فإذا تبين حكم الله ورسوله بياً كالشمس؛ فلا ينبغي لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يرده لكونه مخالفاً لهواه، أو لم عليه أهل وقته ومشايخه، فإن الكفر كما قل ابن القيم في نونيته:

فالكفر ليس سوى العناد ورْدٌ ما جاء الرسول به لقول فلان

فانظر لعلك هكذا دون التي قد قالها فتبوء بالخسران

ومتى لم تبين لكم المسألة لم يحل لكم الإنكار على من أفنى أو عمل، حتى يتبين لكم خطؤه. بل الواجب السكوت والتوقف، فإذا تحققتم الخطأ بستموه،



ولم تهدروا جميع المحاسن لأجل مسألة أو مائة أو مائتين أخطأت فيهن، وإنما لا تدعي العصمة، وأنتم تقرون أن الكلام الذي بينته في معنى «لا إله إلا الله» هو الحق الذي لا ريب فيه.

سبحان الله! إذا كنتم تقرون بهذا، فرجل بين الله به دين الإسلام، وأنتم ومشايخكم ومشايخهم لم يفهموه، ولم يميزوا بين دين محمد ﷺ ودين عمرو بن لُحَيٍّ الذي وضعه للعرب، بل دين عمرو عندهم دين صحيح، ويسمونه «رقة القلب»، والاعتقاد في الأولياء» ومن لم يفعل فهو متوقف، لا يدري ما هذا، ولا يفرق بينه وبين دين محمد ﷺ فالرجل الذي هداكم الله به لهذا، إن كنتم صادقين، لو يكون أحب إليكم من أموالكم وأولادكم لم يكن كثيرًا، فكيف يقال: أفتى في مسألة الموقف، أفتى في كذا، أفتى في كذا. كلها، ولله الحمد، على الحق، إلا أنها مخالفة لعادة الزمان ودين الآباء.

وأن إلى الآن أطبب الدليل من كل من خالفني، فإذا قيل له: استدل، أو اكتب، أو ذاكر. حادّ عن ذلك وتبين عجزه، لكن يجتهدون الليل والنهار في صد الجُهاَل عن سبيل الله ويبغونها عوجًا، اللهم إلا إن كنتم تعتقدون أن كلامي باطل وبدعة، مثلما قال غيركم، وأن الاعتقاد في الزاهد وشمسان والمطوية والاعتماد عليهم هو الدين الصحيح، وكل ما خلفه بدعة وضلالة، فتلك مسألة أخرى.

إذا ثبت هذا، فتكفبر هؤلاء المرندين، انظروا في كتاب الله من أوله إلى آخره، والمرجع في ذلك إلى ما قاله المفسرون والأئمة، فإن جادل متفق بكون الآية نزلت في الكفار، فقولوا له: هل قال أحد من أهل العلم أولهم وآخرهم إن هذه الآيات لا تعم من عبث بها من المسلمين؟ من قال هذا قبلك؟ وأنصأ فقولوا له: هذا رد على إجماع الأمة، فإن اسندالهم بالآيات النازلة في الكفر على من

عمل بها، ممن انتسب إلى الإسلام، أكثر من أن تُذكر.

وهذا أيضًا كلام رسول الله ﷺ فيمن فعل مثل هذه الأفعيل، مثل الخوارج العبيد الزهاد، الذين يحقر الإنسان الصحابة عندهم، وهم بالإجماع لم يفعلوا ما فعلوا إلا باجتهاد وتقرب إلى الله.

وهذه سيرة أصحاب رسول الله ﷺ فيمن خالف الدين، ممن له عبادة واجتهاد، مثل تحريق عبيد الله من اعتقد فيه بالنار، وأجمع الصحابة على قتلهم وتحريقهم، إلا ابن عباس رضي الله عنهما خالفهم في التحريق، فقال: يُقتلون بالسيف.

وهؤلاء الفقهاء من أولهم إلى آخرهم عقدوا باب «حكم المرتد» للمسلم إذا فعل كذا وكذا، ومصداق ذلك في هذه الكتب الذي يقول المخالف: جمعوا فيها الثمر، وهم أعلم منا، وهم وهم. انظروا في متن «الإقناع» في باب حكم المرتد، هل صرح أن من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم أنه كفر بإجماع الأمة، وذكر فيمن اعتقد في علي بن أبي طالب، دون ما يعتقد طالب في حسين وإدريس، أنه لا شك في كفره، بل لا يشك في كفر من شك في كفره؟

وأنا ألزم عليكم أنكم تحققون النظر في عبارات «الإقناع» وتقرؤونها قراءة تفهم، وتعرفون ما ذكر في هذا، وما ذكر في التشيع علي من الأصدقاء، عرفتم شيئاً من مذاهب الأبياء وفتنة الأهواء، وإذا تحققتم ذلك وطلعتكم الشروح والحواشي، فإذا إنني لم أفهمه وله معنى آخر، فأرشدوني، عسى الله أن يهدي وإياكم وإخواننا لما يحب ويرضى. ولا يدخل خواطركم غمظة هذا الكلام، فإنه سبحانه يعلم قصدي به، والسلام.

ومنها. رسالة أرسلها أيضًا إلى عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن عيسى وعبد الوهاب، سلام عليكم  
ورحمة الله وبركاته، وبعد:

ذُكِرَ لي أنكم زُغِلين عليَّ في هـ الأيام بعض الزُّعَل، ولا يخفك أني زُعلٌ  
زُعلاً كبيراً، وقد عليكم منقوداً أكبر من الزُّعل، ولكن وابطئاه! واطهره!  
ومعي في هـ الأيام بعض تنغص المعيشة والكدر مما يبلغني عنكم، والله سبحانه  
إذا أراد أمرٌ فلا رادَّ له، وإلَّا ما خطر على البال أنكم تَرْضُون لأنفسكم بهذا. ثم  
من العجب تكفّيكُم عن نفع المسلمين في المسائل لصحيحة، وتقولون: لا  
يتعين علينا الفتيا. ثم تبالغون في مثل هذه الأمور، مثل التذكير الذي صرَّحت  
الأدلة والإجماع وكلام «الإقذع» بإنكاره<sup>(١)</sup>.

ولا ودي إنكم بعدم أنزلكم الله هذه المنزلة، وأنعم عليكم بما تعلمون وما  
لا تعلمون، وجعلكم من أكبر أسباب قبول الناس لدين ربكم، وسُنة نبيكم،  
وجهدكم في ذلك، وصبركم على مخالفة دين الآباء، أنكم ترتدون على  
أعقابكم، وسبب هذا أنه ذُكِرَ لي عنكم أنكم ظننتم أني أعنيكم ببعض الكلام  
الذي أجبت به مَنْ اعتقد جلَّ الرشوة، وأنه مزْعُكم. في سبحانه الله! كيف  
أعنيكم به وأنا كتب لكم تسجلون عليه. وتكونون معي أنصاراً لدين الله؟

وقيل لي إنكم نقدون عليَّ بعض الغلظة فيه على ملفه<sup>(٢)</sup>، والأمر أغلظ مما  
ذكرنا. ولولا أن الناس إلى الآن ما عرفوا دين الرسول. وأنهم يستكرون الأمر  
الذي لم يألوه. لكن شدَّ آخر، بل والله الذي لا إله إلا هو لو يعرف الناس

(١) الإقذع (١ / ٧٧)

(٢) المملّى الوصول إلى مكان مطلوب.

الأمر على وجهه لأفتيت حل دم ابن سحيم وأمثله، ووجوب قتلهم، كما أجمع على ذلك أهل العلم كلهم. لا أجد في نفسي حرجاً من ذلك، ولكن إن أراد الله أن يتم هذا الأمر تبين أشياء لم تحظر لكم على بال، وإن كانت من المسائل التي إذا طلبتم الدليل بين أنها إجماع أهل العلم.

وبالحاضر؛ لا يخفاكم أن معي غيظاً عظيماً، ومضايقة من زعلكم، وأنتم تعلمون أن الله ألزم، والدين لا محابة فيه، وأنتم من قديم لا تشكون في، والآن غايتكم قريبة ودخلتكم الريبة، وأخاف أطول الكلام فيجري فيه شيء يزعلكم، وأنا في بعض الحدة، فأنا أشير عليكم وألزم أن عبد الوهاب يزورن سواء كن يومين وإلا ثلاثة وإن كان أكثر يصير قطعاً لهذه الفتنة، ويخاطبني وأخطبه من الرأس، وإن كن كبر عليه الأمر فيوصي لي وأعني له. فإن الأمر الذي يزيل زعلكم، ويؤلف الكلمة. ويهديكم الله بسببه؛ نحرص عليه، ولو هو أشق من هذا، اللهم إلا أن تكونوا شيفين شيئاً من أمر الله، فالواجب عليكم اتباعه، والواجب علينا طاعتكم والانقياد لكم. وإن أريدنا كان الله معكم وخيقه.

ولا يخفاكم أنه وصلني أمر رسالة في صفة مذاكرتكم في التذكير، ويطنبون مني جواباً عن أدلتكم، وأنتم ضحكتم على ابن فيروز، وتسافهتموه، وتساخفتم عقله في جوابه، وانحرفتم تعدلون عداله، لكن ما أنا بكتب لهم جواباً؛ لأن الأمر معروف أنه منكم، وأخاف أن أكتب لهم جواباً، فينشروه، فيزعلكم، وأشوف غايتكم قريبة، وتحملون الأمر على غير محمله. والسلام.

ومنها: رسالة كتبها إلى عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى. قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الوهاب بن عبد الله، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد:

وصل كذبك، وما ذكرتُ فيه من الظن والتجسس وقبول خير الماسق، ففكر  
 هذا حق. وأريد به باطل، والعجب منك إذا كنت من خمس سنين تجاهد جهاداً  
 كبيراً في رد دين الإسلام، فإذا جاءك مساعد أو ابن راجح وإلا صالح بن سليم،  
 وأشباه هؤلاء الذين بنقهم شهادة أن لا إله إلا الله، وأن عبادة المخلوقات  
 كفر، وأن الكفر بالطاغوت فرض، قمت تجاهد، وتبالغ في نقض ذلك،  
 والاستهزاء به، وليس الذي يذكر هذا عنك بعشرة ولا عشرين ولا ثلاثين، ولا  
 أنت بمتخف في ذلك، ثم تظن في خاطرك أن هذا يخفى عني، وأني أصدقت  
 إذا قلت ما قلت. ولو أن الذي جرى عشر أو عشرون أو ثلاثون مرة أمكن تعداد  
 ذلك، وأحسن ما ذكرت أنك تقول: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ وتُقرُّ بالذنب، وتجاهد  
 في إطفاء الشرك وإظهار الإسلام، كما جاهدت في ضده، ويصير ما تُقرُّ به كأن  
 لم يكن، فإن كنت تريد الرفعة في الدنيا والجاه حصل لك بذلك ما لا يحصل  
 بغيره من لأمر بأضعاف مضاعفة، وإن أردت به الله والدار الآخرة فهي  
 التجارة الربحية، وأنتك الدنيا تبعاً، وإن كنت تظن في خاطرك أنا نبغي نداهنتك  
 في دين الله، ولو كنت أجل عندنا مما كنت، فأنت مخالف، فإن كنت تتهمني  
 بشيء من أمور الدنيا فلك الشبهة، فإن كان أني أدعو لك في سجودي، وأنت  
 وأبوك أجل الناس إليّ، وأحبهم عندي، وأمرك هذا أشق عني من أمر أهل  
الحسب، خصوصاً بعدما ستركت أباك وخبرته، فعسى الله أن يهدينا وإياك لدينه  
 القيم. ويطرده عنا الشيطان، ويعيدنا من طريق المعصوب عليهم والضالين

ومنها: رسالة كتبها إلى أحمد بن محمد بن سويلم وثنيان بن سعود، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى الأخوين أحمد بن محمد وثنيان، سلام عليكم

ورحمة الله وبركاته، وبعد:

ذَكَرَ لِي عَنْكُمْ أَنَّ بَعْضَ الْإِخْوَانِ تَكَلَّمُوا فِي عَدِّ الْمُحْسِنِ الشَّرِيفِ يَقُولُ إِنَّ أَهْلَ الْحَسَا يَحْبُونَ عَنِّي بِذَلِكَ، وَإِنَّكَ لَا بَسَّ عِمَامَةِ خَضِرَاءَ، وَالْإِنْسَانُ لَا يَحُورُ لَهُ الْإِنْكَارُ إِلَّا بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ، فَأَوَّلُ دَرَجَاتِ الْإِنْكَارِ مَعْرِفَتُكَ أَنَّ هَذَا مُخَالَفٌ لِأَمْرِ اللَّهِ.

وَأَمَّا تَقْيِيلُ الْيَدِ فَلَا يَجُوزُ إِنْكَارُ مِثْلِهِ، وَهِيَ مَسْأَلَةٌ فِيهَا اخْتِلَافٌ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَقَدْ قَبَّلَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ابْنَ عَبَّاسٍ وَقَالَ: هَكَذَا أَمَرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا. وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَلَا يَجُوزُ لَهُمْ إِنْكَارُ كُلِّ مَسْأَلَةٍ لَا يَعْرِفُونَ حُكْمَ اللَّهِ فِيهَا. وَأَمَّا لِبَسُ الْأَخْضَرِ فَإِنَّهَا أُخْدِثَتْ قَدِيمًا تَمَيِّزًا لِأَهْلِ الْبَيْتِ؛ لِئَلَّا أَحَدٌ يَظْمَهُمْ، أَوْ يَقْصُرَ فِي حَقِّهِمْ مَنْ لَا يَعْرِفُهُمْ، وَقَدْ أُوجِبَ لِأَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى النَّاسِ حَقُّوْقٌ، فَلَا يَجُوزُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُسْقِطَ حَقَّهُمْ وَيَظُنَّ أَنَّهُ مِنَ التَّوْحِيدِ، بَلْ هُوَ مِنَ الْغُلُوِّ، وَنَحْنُ مَا أَنْكَرْنَا إِكْرَامَهُمْ إِلَّا لِأَجْلِ الْأُلُوْهِيَةِ، أَوْ إِكْرَامِ الْمَدْعِيِّ لِذَلِكَ، وَقِيلَ إِنَّهُ ذَكَرَ عَنْهُ أَنَّهُ مُعْتَذِرٌ عَنْ بَعْضِ الطَّوَاعِغِ.

وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ جَلِيلَةٌ يَنْبَغِي التَّفَطُّنَ لَهَا، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيكَ الْبَلَاءُ بِمُتَوَاتِرٍ أَوْ يَسْتَفْزِقُ فَاسْئَلْ نِبْيَانَهُ فَنَبَّئُوكَ﴾ فَالْوَاجِبُ عَلَيْهِمْ إِذَا ذَكَرَ لَهُمْ عَنْ أَحَدٍ مُنْكَرًا عَدَمَ الْعَجَلَةِ، فَإِذَا تَحَقَّقُوهُ أَتَوْا صَدِّقَهُ وَنَصَحُوهُ، فَإِنْ تَابَ وَرَجَعَ، وَإِلَّا أَنْكَرَ عَلَيْهِ وَتَكَلَّمَ فِيهِ.

فَعَلَى كُلِّ حَالٍ نَبِّهُوْهُمْ عَلَى مَسْأَلَتَيْنِ:

الأولى: عَدَمُ الْعَجَلَةِ، وَلَا يَتَكَبَّرُونَ إِلَّا مَعَ التَّحَقُّقِ، فَإِنَّ التَّزْوِيرَ كَثِيرٌ.

الثانية: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعْرِفُ الْمُنَافِقِينَ بِأَعْبَانِهِمْ، وَيَقْبَلُ عِلَانِيَتَهُمْ وَيَكْشُرُ سِرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَإِذَا طَهَّرَ مِنْهُمْ وَتَحَقَّقَ مَا يَوْجِبُ جِهَادَهُمْ حَاهَدَهُمْ.

وغير ذلك: عبد الرحمن بن عقیل رجع إلى الحق. ولله الحمد، ولكن وُدِّي

أقرأ عليه رسالة ابن شلهوب وغيرها. وأنت يا أحمد على كل حال أرسل المجموع مع أول مَنْ يُقبل وأرسلها فيه. خذه من سلمان. لا تغفل، تراك خالفت خلافاً كبيراً في ها المجموع. والسلام.

ومنها: رسالة أرسلها إلى عبد الله بن سويلم، حين غضب على ابن عمه أحمد في شدته على المنافقين، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى الأخ عبد الله بن عبد الرحمن. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

ذكر لي ابن زيدان أنك يا عبد الله زغل على أحمد بعض الزغل لما تكلم في بعض المنافقين، ولا يخفاك أن بعض الأمور كما قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ وذلك أني لا أعرف شيئاً يُتقرب به إلى الله أفضل من لزوم طريقة لله ﷺ في حال الغربة، فإن انضد إلى ذلك الجهاد عليها للكفار والمنافقين كان ذلك تمام الإيمان، فإذا أراد أحد من المؤمنين أن يجاهد، فأتاه بعض أخوانه فذكر له أن أمرك للدنيا، أخف أن يكون هذا من جنس ﴿الَّذِينَ يَمُرُّونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْغَزَاةِ﴾ فأنتم تأملوا تفسير الآية، ثم نزلوه على هذه الواقعة.

وأيضاً في «صحيح مسلم» أن أبا سفيان مر على بلال وسلمان، وأجناسهما، فقالوا: ما أخذ سيفك الله من عنق عدو الله مأخذها! فقال أبو بكر: تقولون هذا، لشخ قريش وسيدها! ثم أتى النبي ﷺ فذكر له ذلك، فقال: «يا أبا بكر، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك»<sup>(١)</sup> ومن فضل الجهاد جهاد المنافقين في

زمن الغربة، فإذا خف أحد منكم من بعض إخوانه قصداً مسبباً فليصحه برفق وإخلاص لدين الله، وترك الرياء والقصد الفاسد، ولا يقبل عزمه عن الجهاد، ولا يتكلم فيه بالظن السيئ وينسبه إلى ما لا يليق، ولا يدخل خاطرك شيء من النصيحة، فلو أدري أنه يدخل خاطرك ما ذكرته، وأنا أجد في نفسي أن وُدِّي من ينصحني كلما غلظت، والسلام.

ومنها رسالة كتبها إلى أحمد بن إبراهيم، مطوع مرات، من بلدان الوشم، وكان قد أرسل إليه رسالة، فأجابه الشيخ بهذه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى أحمد بن إبراهيم، هدايا الله وإياه. وبعد: ما ذُكِرَتْ من مسألة التكفير، وقولك: أبسط الكلام فيها. فلو بينت اختلاف أمكنني أن أبسط الكلام أو امتنع. وأما إذا اتفقنا على الحكم الشرعي. لا أنت بمنكر الكلام الذي كتبت إليك، ولا أنا بمنكر لعبارات التي كتبت إلي. وصار الخلاف في أناس مُعَيَّنِينَ أقروا أن التوحيد الذي ندعو إليه دين الله ورسوله. وأن الذي نُنَهَى عنه في الحرمين والبصرة والحسا هو الشرك بالله، ولكن هؤلاء الْمُعَيَّنُونَ هل تركوا التوحيد بعد معرفته وصدوا الناس عنه، أم فرحوا به وأحبوه ودانوا به وتبرؤوا من الشرك وأهله؟ فهذا ليس مرجعها إلى طلب العلم، مرجعها إلى علم الخاص والعام.

مثال ذلك: إذ صحَّ أن أهل الحب وابصروه يشهدون أن التوحيد الذي يقول دين الله ورسوله. وأن هذا المفعول عندهم في الأحياء والأموات هو الشرك بالله. ولكن أنكروا عنا التكفير والقتال خاصة، والمرجع في المسألة إلى الحضر والدو، والنساء والرجال، هل أهل قبة الزبير وقبة الكواريق تابوا من دينهم وتبعوا ما أقروا به من التوحيد، أم هم على دينهم؟ ولو يتكلم الإنسان بالتوحيد



فسلامته على أخذ ماله، فإن كنت تزعم أن الكواوزة وأهل الزبير تابوا من دينهم وعادوا من ثم نُبِّ. فتبعوا ما أقرؤوا به وعادوا من خالفه. هذا مكبرة، وإن أقررتهم أنهم بعد الإقرار أشد عداوة ومسبة للمؤمنين والمؤمنات، كما يعرفه الخاص والعام. وصدر الكلام في أتباع المويس وصالح بن عبد الله؛ هم مع أهل التوحيد أم هم مع أهل الأوثان، بل أهل الأوثان معهم، وهم حزبة العدو وحاملو الرية، فللكلام في هذا نحيله على الخاص والعام. فؤدِّي إنك تسرع بالنفور، فتتوجه إلى الله وتنظر نظر من يؤمن بالجنة والخلود فيها، ويؤمن بالنار والخلود فيها، وتسأله بقلب حاضر أن يهديك الصراط المستقيم.

هذا مع أنك تعلم ما جرى من ابن إسماعيل وولد ابن ربيعة سنة الحبس، لما شكونا عند أهل قبة أبي طالب يوم يكسيه صديه<sup>(١)</sup>. وجميع من معك من خاص وعام معهم إلى الآن، وتعرف روحة المويس وأتباعه لأهل قبة الكواز<sup>(٢)</sup>، وسية طالب يوم يكسيه صديه، ويقول لهم: طالع أناس ينكرون قبكم، وقد كفرروا وحل دمهم ومالهم.

وصائر هذا عندك، وعند أهل الوشم. وعند أهل سدير والقصيم، من فضائل المويس ومناقبه، وهم على دينه إلى الآن، مع أن المكاتيب التي أرسلها علماء الحرميين مع المزيودي سنة الحبس عندنا إلى الآن تتناك<sup>(٣)</sup>. وقد صرحوا فيها أن من أقر بالتوحيد كفر، وحل ماله ودمه، وقُتِلَ في الحل والحرم، ويذكرون دلائل

(١) الصايه: القماش لناعم.

(٢) مسجدة بمدينة البصرة. نسبه لشيخ محمد أمين لكوار. أحد شيوخ الطريقة الشاذلية نصوبه. (ت ٩٥٣هـ). ودُفن بالمسجدة! ونظر: «الكشاف لأثري في العراق»؛ للدكتور قحطد صالح (ص ٢٧٨).

(٣) نبي. تنظرك.

على دعاء الأولياء في قبورهم، منها قوله تعالى: ﴿فَمَنْ مَّ يَسْأُوكَ عَبْدَ رَبِّهِمْ﴾ فإن كانت ليست عندك. ولا صبرت إلى أن تحيى؟ فأرسل إلى ولد محمد بن سليمان في وشيقر، ولسيف العتيفي، يرسلونها إليك، ويجيئون عن قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْعُوثُ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ أنهم يدعون على أنهم المعطون المانعون بالأصالة، وأما دعوتهم على أنهم شفعاء فهو الدين الصحيح، ومن أنكره قُتِلَ في الحل والحرم.

وأيضاً جاء بعض المجلد الذي صَنَّفَ القباني<sup>(١)</sup>، واستكتبوه أهل الحسا وأهل نجد، وفيه نقل الإجماع على تحسين قبة الكواز وأمثالها، وعبادتها وعبادة سية طالب. ويقول في تصنيفه إنه لم يخالف في تصنيفه إلا ابن تيمية وابن القيم وعشرة أنا عاشرهم، الجميع اثنا عشر، فإذا كان يوم القيامة اعتزلوا وحدهم عن جميع الأمة! وأنتم إلى الآن على ما تعلم، مع شهادتكم أن التوحيد دين الله ورسوله، وأن الشرك باطل.

وأيضاً مكاتيب أهل الحسا موجودة، فأما ابن عبد اللطيف وابن عفالق وابن مطلق فحُشُو بالزليل، أعني سبابة التوحيد، واستحلال دم من صدق به أو أنكر الشرك، ولكن تعرف ابن فيروز أنه أَقْرَبُهُم إلى الإسلام، وهو رجل من الحنابلة، وينتحل كلام الشيخ وابن القيم خاصة، ومع هذا صَنَّفَ مصنفاً أرسله إلينا قرر فيه أن هذا الذي يُفَعَّلُ عند قبر يوسف وأمثاله هو الدين الصحيح، واستدل في تصنيفه بقول النابغة:

أيا قبر النبي وصاحبيه وواصيبتنا لو تعلمونا

(١) أحمد بن علي البصري، (كان حي سنة ١١٥٧هـ)، وعنوان كتابه «فصل الخطاب في رد صلاب ابن عبد الوهاب»، انظر: «دعوى الماويين لدعوة لشيخ محمد بن عبد الوهاب» (ص ٤٤)

وفي مصنف ابن مطلق الاستدلال بقول الشاعر:

وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة سواك بمغني عن سواد بن قارب  
ولكن الكلام الأول أبلغ من هذا كله، وهو شهادة البدو والحصر، والنساء  
والرجال أن هؤلاء الذين يقولون: اتوحيد دين الله ورسوله، ويُبغضونه أكثر من  
بُغض اليهود والنصارى، ويسبونه ويصدون الناس عنه، ويجاهدون في زوله،  
وتثيبت الشرك بالنفس والمال، خلاف ما عليه الرسل وأتباعهم، فإنهم يجاهدون  
﴿حَقٌّ لَا تَكُونُ فِتْنَةً وَيَكُونُ الَّذِينَ كُلُّهُمْ لِلَّهِ﴾.

وأما قولك: أبغى أشاور إبراهيم. فلا وُدِّي تصير ثالثاً لابن عباد وابن عبيد،  
أما ابن عباد فيقول: أي شيء أفعل بالعناقرا! ولأ فالحق واضح، ونصحهم  
ويثبت لهم. وابن عبيد أنت خابره، حاول إبراهيم في الدخول في الدين. وتعذر  
من الناس أن إبراهيم ممتنع! يا سبحان الله! إذا كان أهل لوشم وأهل سدير  
وغيرهم يقطعون أن كل مطوع في قرية لو ينقاد شيخها، ما منهم أحد يتوقف،  
كيف يكون قدر الدين عندكم؟ كيف قدر رضا الله والجنة؟ كيف قدر الدر  
وغضب الله؟

ولكن ودي تفكر فيما تعلم: لما اختلف الناس بعد مقتل عثمان، وياجماع  
أهل العلم أنهم لا يقال فيهم إلا الحسنى، مع أنهم عثوا في دمائهم، ومعلوم أن  
كلاً من الطائفتين؛ أهل العراق وأهل الشام، معتقده أنها على الحق والأخرى  
ظالمة، ونع من أصحاب عليٍّ من الشرك بعليٍّ، وإجماع الصحابة على كفرهم  
وردتهم وقتلهم. لكن حرَّقهم عليٌّ. وابن عباس يرى قتلهم بالسيف. أترى أهل  
الشم لو حملهم مخالفة عليٍّ على الاجتماع بهم والاعذار عنهم والمقاتلة  
معهم، لو امتنعوا، أترى أحداً من الصحابة يشك في كفر من التجأ إليهم، ولو  
أظهر البراءة من اعتقادهم. وإنما لتجأ إليهم وزين مذهبهم لأجل الاقتصار

من فتلة عثمان؟ فتفكر في هذه القضية، فإنها لا تبقى شهية، إلا على من أراد الله فتنه.

وغير ذلك، قولك: أريد أماناً على كذا وكذا. فأنت مخالف، والخاص والعم يفرحون بجيتك مثلما فرحوا بحجة ابن غنام والمنفور وابن عضيبي<sup>(١)</sup>. مع أن ابن عضيبي أكثر الناس سباً لهذا الدين إلى الآن، وراحوا مُوقِّرينَ مُحْشُومِينَ. كيف لو تجيء أنت؟ كيف تظن أن يجيئك ما تكره؟ فإن أردت تجديد الأمان على ما بغيت فاكتب لي، ولكن تعرف حرصي على الكتب، فإن عزمت على الرضاة<sup>(٢)</sup>، وعجلتها عليّ قبلك، فتراها عني بنو الخير، وإن ما جاز عندك كلها فبعضها، ولو مجموع ابن رجب، ترى ما جاءنا فهو عارية موداة، وإن لم تأت، قال ابن القيم في النونية:

يا فرقة جهلت نصوص نبيها وقصوده وحقائق الإيمان  
فَسَطَّوْا عَلَى أَتْبَاعِهِ وَجُنُودِهِ بِالْبَغْيِ وَالتَّكْفِيرِ وَالطُّغْيَانِ  
لَهُ حَقٌّ لَا يَكُونُ لغيرِهِ وَلِعَبْدِهِ حَقٌّ هَا حَقَّانِ  
لَا تَجْعَلُوا الْحَقَّيْنِ حَقًّا وَاحِدًا مِنْ غَيْرِ تَمْيِيزٍ وَلَا فَرْقَانِ

المراد تعريفك لم صدقتك أن لك نظراً في الحق، أن في ذلك الزمان من يكفر العمام إذا ذكروا التوحيد، ويظنونونه تنقيصاً للنبي ﷺ فما ظنك بزمانك هذا؟ وإذا كان المكفرون ممن يُعَدُّون من علمائهم، فما ظنك بولد الموبس

(١) قال ابن بشر في «عنوان المجد» (١ / ٣٥) في أحداث سنة ١١٧٠ هـ: «ثم إن عبد العزيز رحل من لبلد، وأناخ في سدير، وأرسل إلى قضائهم، وهم حمد بن غنام قاضي بس الروضة، ومحمد بن عضيبي قاضي بلد الداحلة، ويبراهيم بن حملة المنفور قاضي بلد الحوطة، وأمرهم يرحلون معه لموجهة الشيخ، فرحلوا معه».

(٢) الرضاة تأتي لعدم العجة.

وفاسد<sup>(١)</sup> وأمثالهما؟ يوضحه تسحيلهم على جواب علماء مكة ونشره وقراءته على جماعتهم ودعوتهم إليه.

ذكر ابن عبد الهادي في مناقب الشيخ، لما ذكر المحنة التي نالته بسبب الجواب في شد الرحل، فالجواب الذي كفّروه بسببه ذكر أن كلامه في هذا الكتاب أبلغ منه، فالعجب إذا كان هذا الكتاب عندك، وعلماء في زمن الشيخ كفّروه بكلام دونه، فكيف بالمويس وأمثاله لا يكفروننا بمحض التوحيد؟ وذكر ابن القيم في النونية ما يصدق هذا الكلام، لما قالوا له إنك مثل الخوارج، رد عليهم بقوله:

مَنْ لِي بِمِثْلِ خَوَارِجٍ قَدْ كَفَرُوا بِالذَّنْبِ تَأْوِيلًا بِلا إِحْسَانٍ  
ثم ذكر في البيت الثاني أن هؤلاء يكفروننا بمحض الإيمان، والخوارج يكفرون بالذنوب.

وكلامي هذا تنبيه أن إنكار التوحيد متقدم، وكذلك التكفير لمن اتبعه، وأنت لا تعتقد أن الزمان صلح بعدهم، ولا تعتقد أن المويس وأمثاله أجلّ وأورع من أولئك الذين كفّروا الشيخ وأتبعه.

وعند ابن عبد الهادي من كتبه كتاب «الإغاثة» مجلد، ولفانا من الشام مع مرید<sup>(٢)</sup>، وسببه أن رجلاً من فقهاء الشافعية يقال له ابن البكري عثر على جواب للشيخ في الاستغاثة بالموتى في الشدائد، فأنكر ذلك وصنّف مصنفاً في جواز

(١) صالح بن عبد الله، الذي ذكره في أول الرسالة، وما كان صالحاً!

(٢) مرید بن أحمد التميمي (ت ١١٧١هـ)، له ترجمة في «علماء نجد» (٦ / ٤١٦ - ٤٢٠). قرع عنه: «فاضي بلدة حريملاء»، إلا أنه صار من الأعداء للشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته، لصححه السلفية، وصار يُحذر منه، ويُشوه سمعة دعوته، والقائمون عليها، ثم ذكر أنه كان السب في التشوش على لصعابي في أمر دعوة الشيخ.

الاستعانة بالنبي ﷺ في كل ما تُسْتَعْت اللّهُ فيه، وصرح بتكفير الشيخ في ذلك الكتاب، وجعله مستنقضا للأنبياء، وأورد فيه آيات وأحاديث، فصّف الشيخ كتاب «الاستعانة» ردًّا على ابن البكري، وقرر فيه مذهب الرسل وأتباعهم. وذكر أن الكفر لم يبلغ شركهم هذا، بل ذكر الله عنهم أنهم إذا مسهم الضر أخلصوا ونُسُوا ما يُشركون.

والمقصود أن في زمن الشيخ، ممن يدعي العلم والتصنيف، من أنكر التوحيد وجعله سبًّا للأنبياء والأولياء، وكفّر من ذهب إليه، فكيف تزعم أن عبدة قبة الكواز وأمثالها ما أنكروه، بل تزعم أنهم قَبِلُوهُ ودنوا به، وبرأوا من الشرك، ولا أنكروا إلا تكفير من لا يكفر؟

وأعظم وأظم أنكم تعرفون أن البادية قد كفروا بالكتاب كنه، وتبرأوا من الدين كله، واستهزأوا بالحضر الذين يصدقون بالبعث، وفصلوا حكم الطاغوت على شريعة الله، واستهزأوا بها، مع إقرارهم بأن محمدًا رسول الله، وأن كتب الله عند الحضر، لكن كذبوا وكفّروا واستهزأوا عنادًا، ومع هذا تنكرون عينا كفرهم، وتصرحون بأن من قال «لا إله إلا الله» لا يكفر، ثم تذكر في كتابك أنك تشهد بكفر العالم العابد، الذي ينكر التوحيد ولا يكفر المشركين، ويقول: هؤلاء السواد الأعظم، ما يتيهون! فإن قلت: إن الأولين، وإن كانوا علماء، فلم يقصدوا مخالفة الرسول، بل جهلوا. وأنتم وأمثالكم تشهدون ليلاً ونهاراً أن هذا الذي أخرجت للناس، من التوحيد وإنكار الشرك، أنه دين الله ورسوله. وأن الحلاف منا التكفير والقتل، ولو قدر أن غيركم تُعذر بالجهل فأنتم مصرحون بالعلم، والله أعلم.

ومنها: رسالة أرسلها إلى عبد الرحمن بن ربيعة<sup>(١)</sup>، مطوع أهل نادق، وهي هذه:

(١) انصر ترجمته في «علماء سجد حلال تسمية قرون» (٣/ ١٧٢ - ١٧٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام على رسول الله ﷺ من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الرحمن بن ربيعة، سلمه الله تعالى، وبعد:

وصل كتابك تسأل عن مسائل كثيرة. وتذكر أن مرادك اتباع الحق. منها مسألة التوحيد. ولا يخفك أن النبي ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: «إن أول ما تدعوهم إليه إلى أن يوحدوا الله، فإنهم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات...» إلى آخره<sup>(١)</sup> فإذا كان الرجل لا يدعى إلى الصلوات الخمس إلا بعد ما يعرف التوحيد وينقاد له، فكيف بمسائل جزئية تختلف فيها العلماء؟

فاعلم أن التوحيد الذي دعت إليه الرسل، من أولهم إلى آخرهم، أفراد الله بالعبادة كلها، ليس فيها حق لملكٍ مُقَرَّبٍ ولا نبيٍّ مُرْسَلٍ، فضلًا عن غيرهم، فمن ذلك لا يدعى إلا إياه، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ فمن عبد الله ليلاً ونهارًا، ثم دعا نبيًا أو وليًا عند قبره. فقد اتخذ إلهين اثنين، ولم يشهد أن لا إله إلا الله؛ لأن الإله هو المدعو، كما يفعل المشركون اليوم عند قبر الزبير أو عبد القادر أو غيرهما، وكما يُفعل قبل هذا عند قبر زيد وغيره. ومن ذبح لله ألف أضحية، ثم ذبح لنبي أو غيره، فقد جعل إلهين اثنين، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الآية، والنُّسْكُ هو الذبح.

وعلى هذا فقس. فمن أخلص العبادة كلها، ولم يشرك فيها غيره، فهو الذي شهد أن لا إله إلا الله، ومن جعل فيها مع لله غيره فهو المشرك الحاحد لقوله

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥) ومسلم (١٩).

«لا إله إلا الله» وهذا الشرك لدى ذكره اليوم قد طُبّق مشارف الأرض ومغربها،  
إلا الغرباء المذكورين في الحديث ﴿وَقِيلَ مَا هُمْ﴾.

وهذه المسألة لا خلاف فيها بين أهل العلم من كل المذاهب، فإذا أردت هذا فتأمل باب «حكم المرتد» في كل كتاب وفي كل مذهب، وتأمل ما ذكروه في الأمور التي تجعل المسلم مرتدًا، يحل دمه وماله. منها: مَنْ جعل بينه وبين الله وسائط، كيف حكى الإجماع في «الإقناع» على رده<sup>(١)</sup> ثم تأمل ما ذكروه في سائر الكتب، فإن عرفت أن في المسألة خلافًا، ولو في بعض المذهب، فنَبِّهني.

وإن صح عندك الإجماع على تكفير مَنْ فعل هذا، أو رضىه، أو جادل فيه، فهذه خطوط المويس وابن إسماعيل وأحمد بن يحيى عندنا في إنكار هذا الدين، والبراءة منه ومن أهله، وهم الآن مجتهدون في صد الناس عنه، فإن استقامت على التوحيد وتبينت فيه، ودعوت الناس إليه بعداوة هؤلاء، خصوصًا ابن يحيى؛ لأنه مَنْ أنجسهم وأعظمهم كفرًا، وصبرت على الأذى في ذلك - فأنت أخونا وحبينا، وذلك محل المذاكرة في المسائل التي ذكرت، فإن بان الصواب معك وجب علينا الرجوع إليك، وإن لم تستقم على التوحيد علمًا وعملاً ومجاهدة فليس هذا محل المراجعة في المسائل، والله أعلم.

ومنها: رسالة أرسلها جوابًا لرجل من أهل الحسا يقال له «أحمد بن عبد الكريم». وكان قد عرف التوحيد وكفر المشركين، ثم إنه حصل له شبهة في ذلك، بسبب عبارات رآها في كلام الشيخ تقي الدين، ففهم منها غير مراد الشيخ، رحمه الله. قال فيها:

(١) الإقناع (٤ / ٢٩٧).



بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى أحمد بن عبد الكريم، سلام على المرسلين،  
والحمد لله رب العالمين، أما بعد:

وصل مکتوبک، تقرر المسألة التي ذكرت. وتذكر أن عليك إشكالاً تطلب  
إزالته. ثم ورد منك مراسلة تذكر أنك عثرت على كلام للشيخ أزال عنك  
الإشكال. فنسأل الله أن يهديك لدين الإسلام، وعلى أي شيء يدل كلامه،  
على أن من عبد الأوثان عبادة أكبر من عبادة اللات والعزى، وسبب دين الرسول  
بعدما شهد به مثل سب أبي جهل، أنه لا يكفر بعينه! بل العبارة صريحة واضحة  
في تكفير مثل ابن فيروز وصالح بن عبد الله وأمثالهما كفرًا طاهرًا ينقل عن  
المتة. فضلًا عن غيرهما. هذا صريح واضح في كلام ابن القيم الذي ذكرت،  
وفي كلام الشيخ الذي أزال عنك الإشكال في كفر من عبد الوثن الذي على قبر  
يوسف وأمثله، ودعاهم في الشدائد والرخاء، وسبب دين الرسل بعدما أقر به،  
ودان بعبادة الأوثان بعدما أقر به.

وليس في كلامي هذا مجازفة، بل أنت تشهد به عليهم، ولكن إذا أعمى الله  
القلب فلا حيلة فيه، وأنا أخاف عليك من قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ  
كَفَرُوا فَطُيْعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ والشبهة التي دخلت عليك هذه البُضِيعة  
التي في يدك، تخاف تغدي أنت وعيالك إذ تترك بلد المشركين. وشاك في  
رزق الله، وأيضًا فرء السوء أضلوك كما هي عادتهم، وأنت، والعياذ بالله.  
تنزل درجة درجة. أول مرة في الشك. وبلد الشرك، وموالاتهم، والصلاة  
خلفهم، وبراءتك من لمسلمين مدهانة لهم، ثم بعد ذلك طحت على ابن غنام  
وغیره، وتبرأت من مله إبراهيم، وأشهدتهم على نفسك باتباع المشركين من غير  
إكراه، لكن خوفًا ومدراءه، وغيب عنك قوله تعالى هي عمار بن ياسر وأشباهه:

﴿مَنْ كَفَرَ بِنَاءِهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مِنْ أَكْثَرِهِ وَقَسَمُ مُظْمِنٍ بِالْإِيمَانِ﴾ إلى قوله: ﴿ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ أَسَنَاجِدُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَلَى لَأَجَرِهِ﴾ فلم يستثن الله إلا مَنْ أَكْرَهَ وقلبه مطمئن بالإيمان، بشرط طمأنينة قلبه، والإكراه لا يكون على العقيدة، بل على القول والفعل، فقد صرح بأن مَنْ قال المُكْفَرُ أو فَعَلَهُ فقد كَفَرَ، إِلَّا الْمُكْرَهَ، بالشرط المذكور، وذلك أن ذلك بسبب إيشار الدنيا، لا بسبب العقيدة، فَتَفَكَّرْ في نفسك؛ هل أكرهوك وعَرَضُوكَ على السيف مثل عمار أم لا؟ وَتَفَكَّرْ؛ هل هذا بسبب أن عقيدته تغيرت أم بسبب إيشار الدنيا؟

ولم يبق عليك إِلَّا رتبة واحدة، وهي أنك تصرح، مثل ابن ربيع، تصريحاً بسبب دين الأنبياء، وترجع إلى عبادة العبدروس وأبي حديدة وأمثالهما، ولكن الأمر بيد مقلب القلوب، فأول ما أنصحك به أنك تفكر؛ هل هذا الشرك الذي عندكم هو الشرك الذي ظَهَرَ نبيك ﷺ يَنْهَى عنه أهل مكة، أم شرك أهل مكة نوع آخر أغلظ منه، أم هذا أغلظ؟ فإذا حَكَمْتَ المسألة وعَرَفْتَ أن غالب مَنْ عندكم سمع الآيات، وسمع كلام أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين، وأَقَرَّ به، وقال: أشهد أن هذا هو الحق، ونعرفه قبل ابن عبد الوهاب. ثم بعد ذلك يَصْرَحُ بِمَسَبَّةٍ ما شَهِدَ أنه الحق، ويَصْرَحُ بِحُسْنِ الشرك وأتباعه، وعدم البراءة من أهلها. فَتَفَكَّرْ؛ هل هذه مسألة، أو مسألة الرُّدَّة الصريحة التي ذكرها أهل العلم في الردة؟

ولكن العجب من دلائل التي ذكرت كأنها أتت ممن لا يسمع ولا يُبصر، أم اسدلالك بترك النبي ﷺ ومن بعده تكفير المنافقين وقتلهم، فقد صرح الخاص والعام ببديهة العقل أنهم لو يُظهرون كلمة واحدة، أو فعلاً واحداً من عبادة الأوثان، أو مَسَّة التوحيد لذي حياء به الرسول ﷺ أنهم يُقْتَلُونَ شَرَّ قِتْلَةٍ، فإن كنت تزعم أن الذنب عندكم أظهروا اتباع الدين الذي تشهد أنه دين الرسول ﷺ

وتبرأوا من الشرك بالقول والفعل، ولم يبق إلا أشياء خفية تظهر على صفحات الوجه، أو فلتة لسان في السر، وقد نابوا من ديبهم الأول. وقتلوا الطوغيت، وهدموا البيوت المعبودة، فقل لي.

وإن كنت تزعم أن الشرك الذي حرج عليه رسول الله ﷺ أكبر من هذا، فقل لي.

وإن كنت تزعم أن الإنسان إذا أظهر الإسلام لا يكفر إذا أظهر عبادة الأوثان، وزعم أنها الدين، وأظهر سب دين الأنبياء، وسماه دين أهل العرض، وأفتى بقتل من أخلص لله الدين وإحراقه وحل ماله. فهذه مسألتك. وقد قررتها وذكرت أن من زمن النبي ﷺ إلى يومنا هذا لم يقتلوا أحداً، ولم يكفروه من أهل الملة!

أما ذكرت قول الله تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُشْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ إلى قوله: ﴿مَعُونِينَ أَيْنَمَا تُفْعَلُوا أَخْذُوا وَقْتِكُمْ نَفِيلاً﴾ واذكر قوله: ﴿سَتَجِدُونَ أَخْرَيْنَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا﴾ إلى قوله: ﴿فَخَذُّوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ﴾ الآية، واذكر قوله في الاعتقاد في الأنبياء: ﴿أَيُّكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ واذكر ما صح عن رسول الله ﷺ أنه أشخص رجلاً معه الراية إلى من تزوج امرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله<sup>(١)</sup> فأَي هذين أعظم؛ تزوج امرأة الأب أو سب دين الأنبياء بعد معرفته؟

واذكر أنه قد هم بغزو بني المصطلق، لما قيل إنهم منعوا لركاة، حتى كذب الله من نقل ذلك.

واذكر قوله في أعد هذه الأمة وأشدهم اجتهاداً. «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل

(١) أحرجه البحاري (٢٣١٤) ومسنده (١٦٩٦)

عاد. أينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.  
واذكر قتال الصديق وأصحابه مانعي الزكاة، وسي ذراريهم وعنينة أموالهم<sup>(٢)</sup>.

واذكر إجماع الصحابة على قتل أهل مسجد الكوفة، وكفرهم وردتهم، لما قالوا كلمة في تقرير نبوة مسيئة، ولكن الصحابة اختلفوا في قبول توبتهم لم تبوا، والمسألة في «صحيح البخاري» وشرحه في «الكفالة».

واذكر إجماع الصحابة لما استفتاهم عمر على أن من زعم أن الخمر تحل للخواص، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾<sup>(٣)</sup> مع كونه من أهل بدر.

وأجمع الصحابة على كفر من اعتقد في عليٍّ مثل اعتقاد هؤلاء في عبد القدر وردتهم وقتلهم، فأحرقهم علي بن أبي طالب عليه السلام، وهم أحياء، فخالفه ابن عباس في الإحراق، وقال: يُقْتَلُونَ بالسيف<sup>(٤)</sup>. مع كونهم من أهل القرن الأول، أخذوا العلم عن الصحابة.

واذكر إجماع أهل العلم، من التابعين وغيرهم، على قتل الجعد بن درهم وأمثاله. قال ابن القيم:

شكر الضحية كل صاحب سنة لله درك من أخي قربان

(١) أخرجه البخاري (٣٩٣) ومسلم (٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٥) ومسلم (١٩).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٩ / ٢٤٠).

(٤) أخرج سحاري (٦٥٢٤) عن عكرمة قال: أتى علي بن ربيعة فحرقهم. فنع ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم؛ لنهي رسول الله عليه الصلاة والسلام: «لا تعذبوا عذاب الله» ولقنتهم بقول رسول الله عليه الصلاة والسلام «من بدل دينه فاقتلوه».

ولو ذهبنا نعدد من كفره العلماء، مع ادّعاءه الإسلام، وأفنوا برّدته وقتلّه لطلال الكلام، لكن من آخر ما حرى قصة بني عُبيد موك مصر وطائفهم، وهم يدّعون أنهم من أهل البت، ويصلون الجمعة والجمعة، ونصبو القضية والمقبن، وأجمع اعلماء على كفرهم ورِدّتهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب، يجب قتلهم، ولو كانوا مُكرهين مُبغضين لهم.

واذكر كلامه في «الإقناع» وشرحه في الردة، كيف ذكروا أنواع كثيرة موجودة عندهم، ثم قل منصور: وقد عمّت البلوى بهذه الفرق، وأفسدوا كثيراً من عقائد أهل التوحيد، نسأل الله العفو والعافية<sup>(١)</sup>. هذا لفظه بحروفه، ثم ذكر قتل الواحد منهم وحكم ماله، هل قال واحد من هؤلاء من الصحابة إلى زمن منصور إن هؤلاء يكفر أنواعهم لا أعيانهم؟

وأما عبارة الشيخ التي لبسوا بها عليك، فهي أغلظ من هذا كله، ولو نقول بها لكفر كثيراً من المشهير بأعيانهم، فإنه صرح فيها بأن المُعَيَّن لا يكفر إلا إذا قامت عليه الحجة، فإن كان المُعَيَّن لا يكفر إلا إذا قامت عليه الحجة، فمن المعلوم أن قيامها ليس معناه أن يفهم كلام الله ورسوله مثل فهم أبي بكر رضي الله عنه، بل إذا بلغه كلام الله ورسوله، وخلا من شيء يُعذر به فهو كفر، كما كان الكفار كهم تقوم عليهم الحجة بالقرآن، مع قول الله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِي لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وإذا كان كلام الشيخ ليس في الشرك والردة، بل في المسائل الحزبية، سواء كانت من الأصول أو الفروع، ومعلوم أنهم يدكرون في كتبهم؛ في مسائل الصفات، أو مسألة القرآن، ومسألة الاستواء، أو غير ذلك، مذهب السلف،

(١) كشف القناع (٦/ ١٧١).

ويذكرون أنه الذي أمر الله به ورسوله، والذي درج عليه هو وأصحابه، ثم يذكرون مذهب الأشعري أو غيره، ويرجحونه ويسبون من خالفه، فلو قدرنا أنها لم تقم الحجة على غابهم، قدمت على هذا المَعْنَى الذي يحكي المذهبيين؛ مذهب رسول الله ﷺ ومن معه، ثم يحكي مذهب الأشعري ومن معه، فكلام الشيخ في هذا النوع، يقول إن السلف كفروا النوع، وأما المَعْنَى؛ فإن عرف الحق وخالف كفر بعينه، وإلا لم يكفر.

وأن أذكر لك من كلامه ما يُصدق هذا لعلك تنتفع، إن هداك الله، وتقوم عليك الحجة قيامًا بعد قيام، وإلا فقد قامت عنك وعلى غيرك قبل هذا.

قال رحمه الله في «اقتضاء الصراط المستقيم» في الكلام على قوله ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ﴾ لِيُغَيِّرَ اللَّهُ: ظاهره أن ما ذُبح لغير الله حرم، سواء لفظ به أو لم يلفظ، وهذا أظهر من تحريم ما ذُبح لِلْحَمِ وقال فيه: باسم المسيح، ونحوه، فإن عبادة الله والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور، فكذلك الشرك بالنسك لغيره أعظم من الاستعانة باسمه، وعلى هذا لو ذبح لغير الله متقربًا إليه، وإن قل فيه: بسم الله. كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة، وإن كان هؤلاء مرتدّين. لا تباح ذبيحتهم بحال، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان، ومن هذا الباب ما قد يفعله الجاهلون بمكة وغيرها من الذبح للجن<sup>(١)</sup>. انتهى كلامه بحروفه.

فانظر كلامه لمن ذبح لغير الله، وسمى الله عليه عند الذبح، أنه مرتد تحرم ذبيحته، ولو ذبحها للأكل، لكن هذه الذبيحة تحرم من جهتين: من جهة أنها مما أُهل به لغير الله، ونحرم أيضًا لأنها ذبيحة مرتد. بوضع ذلك ما ذكرته أن

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٥٩).

المنافقين إذا أظهروا نفاقهم صاروا مرتدين، فأبن هذا من نسبتك عنه أنه لا يكفر أحداً بعينه؟

وقال أيضاً في أثناء كلامه على المتكلمين ومن شكهم، لم ذكر عن أئمتهم شيئاً من أنواع الردة والكفر، قل بالحق:

وهذا إذا كان في المقالات الخفية، فقد يقال إنه فيها مخطئ ضال، لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها. لكن ذلك يقع في طوائف منهم في الأمور الظاهرة، التي يعلم المشركون واليهود والنصارى أن محمداً صلى الله عليه وسلم بعث بها وكفر من خالفها؛ مثل أمره بعبادة الله وحده لا شريك له، ونهيه عن عبادة أحد سواه من النبيين والملائكة وغيرهم، فإن هذا أظهر شرائع الإسلام، ثم تجد كثيراً من رؤوسهم وقعوا في هذه الأنواع، فكانوا مرتدين. وكثير منهم تارة يرتد عن الإسلام ردة صريحة، وتارة يعود إليه مع مرض في قلبه ونفاق، والحكاية عنهم في ذلك مشهورة، وقد ذكر ابن قتيبة من ذلك طرفاً في أول «مختلف الحديث» وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف في الردة، كما صنف الرازي في عبدة الكواكب، وهذه ردة عن الإسلام باتفاق المسمين<sup>(١)</sup>. هذا لفظه بحروفه.

فانظر كلامه في التفرقة بين المقالات الخفية وبين ما نحن فيه في كفر المعين، وتأمل تكفيره رؤوسهم فلائاً وفلائاً بأعيانهم، وردتهم ردة صريحة، وتأمل تصريحه بحكاية الإجماع على ردة الفخر الرازي عن الإسلام، مع كونه عند علمائكم من الأئمة الأربعة، هل يناسب هذا لما فهمت من كلامه أن المعين لا يكفر، ولو دعا عبد القادر في الرخاء والشدة، ولو أحب عبد الله بن عون وزعم أن دمه حسن، مع عاداته أبي حديدة، ولو أبغضت واستنجست، مع أنك أقرب

(١) مجموع الفتاوى (٤ / ٥٤ - ٥٥).

الناس إليه، لما رآك ملتفتًا بعض الالتفات إلى التوحيد، مع كونك توافقهم على شيء من شركهم وكفرهم؟

وقال الشيخ أيضًا في رده على بعض المتكلمين وأشباههم:

والقوم، وإن كان لهم ذكاء وفطنة، وفيهم زهد وأخلاق، فهذا لا يوجب السعادة إلا بالإيمان بالله وحده، وإنما قوة الذكاء بمنزلة قوة البدن، وأهل الرأي والعلم بمنزلة الملك والإمارة، فكل منهم لا ينفعه ذلك إلا أن يعبد الله وحده لا شريك له، ويتخذ إلهًا دون ما سواه، وهو معنى قول «لا إله إلا الله» وهذا ليس في حكمتهم، ليس فيها الأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن عبادة المخلوقات، بل كل شرك في العالم إنما حدث بزي جنسهم، فهم الآمرون بالشرك، الفاعلون له، ومن لم يأمر منهم بالشرك فلم ينه عنه، بل يُقَرُّ هؤلاء وهؤلاء، وإن رجح الموحدين ترجيحًا ما، فقد يرجح غيره المشركين، وقد يُعْرِضُ عن الأمرين جميعًا، فتدبر هذا فإنه نافع جدًا، وكذلك الذين كانوا في ملة الإسلام لا ينهاون عن الشرك ويوجبون التوحيد، بل يسوِّغون الشرك ويأمرون به، وهم إذا ادَّعوا التوحيد فإنما توحيدهم بالقول لا بالعبادة والعمل، والتوحيد التي جاءت به الرسل لا بد فيه من التوحيد بإخلاص الدين كله لله، وعبادته وحده لا شريك له، وهذا شيء لا يعرفونه، والتوحيد الذي يدَّعون أنه هو تعطيل حقائق الأسماء والصفات، فهو كانوا موحدين بالكلام؛ وهو أن يصفوا الله بما وصفته به رسله، لكان معهم التوحيد دون العمل، وذلك لا يكفي في النحة، بل لا بد أن يعبد الله وحده، ويتخذ إلهًا دون ما سواه، وهو معنى قوله «لا إله إلا الله» فكيف وهم في الهول معطلون جاحدون، لا موحِّدون ولا مخلصون<sup>(١)</sup>. انتهى.



هأمل كلامه، وأعرضه على ما غرّك به الشيطان من لفهم الفاسد، الذي كذّبت به الله ورسوله وإجماع الأمة، وتحيرت به إلى عبدة الطواغيت، فإن فهمت هذا، ولا أشير عليك أنك تكثّر من التضرع والدعاء إلى من الهداية بيده، فإن الخطر عظيم، فإن الخلود في النار جزاء الردّة الصريحة ما يسوّى بضیعة تبيع توماً أو نصف تومان، وعندنا ناس يجون بعيالهم بلا مال، ولا جاعوا ولا شحذوا، وقد قل الله في هذه المسألة: ﴿يَعْبُدُونَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةً فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ﴾ ﴿وَكَايَ مَنْ دَخَلَ لَا تَحِيدُ رِزْقُهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا إِيَّاهُ وَلَهُ لَسِيعٌ لَّعِيمٌ﴾. والله أعلم.

ومنها: رسالة أرسلها إلى إخوانه من أهل سدير، بسبب أمر جرى بين أهل الحوطة من بلدان سدير، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه هذا الكتاب من الإخوان، سلام عليكم ورحمة الله وبركته، وبعد:

يجري عندكم أمور تجري عندنا من سبق، وننصح إخواننا إذا جرى منها شيء حتى فهموها، وسببها أن بعض أهل الدين ينكر منكراً، وهو مصيب، لكن يخطئ في تغليظ الأمر إلى شيء يوجب الفرقة بين الإخوان، وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا الآية، وقال ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولّاه الله أمركم»<sup>(١)</sup>.

وأهل العلم يقولون: الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحتاج إلى

(١) أخرجه مسلم (١٧١٥)

ثلاث: أن يعرف ما يأمر به وينهى عنه، ويكون رفيقاً فيما يأمر به وينهى عنه، صابراً على ما جاءه من الأذى. وأنتم محناحون نلحصر على فهم هذا والعمل به، فإن الخلل إنما يدخل على صاحب الدين من قلة العمل بهذا، أو قلة فهمه. وأيضاً يذكرون العلماء أن إنكار المنكر إذا صار يحصل بسببه افتراق لم يجز إنكاره، فلله الله في العمل بما ذكرتم لكم والتفقه فيه، فإنكم إن لم تفعلوا صدر إنكاركم مضرّة على الدين، والمسئم ما يسعى إلا في صلاح دينه ودنياه.

وسبب هذه المقالة التي وقعت بين أهل الحوطة، أن صار أهل الدين واجباً عليهم إنكار المنكر، فيما غلطوا الكلام صار فيه اختلاف بين أهل الدين، فصار فيه مضرة على الدين والدنيا، وهذا الكلام وإن كان قصيراً فمعناه طويل، فلازم تأمّنه وتفقهوا فيه واعملوا به، فإن عملتم به صار نصراً للدين واستقام الأمر، إن شاء الله. والجامع لهذا كله أنه إذا صدر المنكر من أمير أو غيره، أن يُنصح برفق خفية ما يشترط أحد<sup>(١)</sup>، فإن وافق وإلا استلحق عليه رجلاً يقبل منه بخفية، فإن لم يفعل فيمكن الإنكار ظهراً، إلا إن كان على أمير ونصحه ولا وافق، و استلحق عليه ولا وافق، فيرفع الأمر يمنا خفية.

وهذا الكتاب كل أهل بلد ينسخون منه نسخة ويجعلونها عندهم، ثم يرسلونه لحرمة والمجموعة، ثم للغط والزلفى. والله أعلم.

ومنها: رسالة أرسلها إلى أحمد بن يحيى<sup>(٢)</sup>، مطوع من أهل رغبة، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى أحمد بن يحيى، سلام عليكم ورحمة الله

وبركته، وبعد:

(١) أي: لا يعرف به أحد

(٢) 'نظر ترجمته في «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (١/ ٥٥٣ - ٥٥٤)

ما ذكرت من طرف مراسلة سليمان فلا ينبغي أنها ترعلك: الأولى: أنه لو حلف فمثلك يحلم، ولا يأتي بغايته هذا ولا أكثر منه، وثاني: أنك إذا عرفت أن كلامه ما له فيه قصد إلا الحهر في الدين، ولو صدر مخطئاً بالأعمال بالنيات، والذي هذه مقصده يُغتفر له، ولو جهل عليك، وسجن ملزمون عليك لزمة جيدة، وربك ونبيك ودينك لزمتهم لزمة تتلاشى فيها كل لزمة.

وهذه الفتنة الواقعة ليست في مسائل الفروع التي ما زال أهل العلم يختلفون فيها من غير تكبر، ولكن هذه في شهادة أن لا إله إلا الله، والكفر بالطاغوت، ولا يخفاك أن الذي عدانا في هذا الأمر هم الخاصة، ليسوا بالعمّة، هذا ابن إسماعيل والمويس وابن عبيد، جند خطوطهم في إنكار دين الإسلام الذي حكه في «الإقناع» في باب حكم المرتد الإجماع من كل المذاهب: أن من لم يدن به فهو كافر، وكاتبهم، ونقلنا لهم العبارات، وخاطبناهم بالتي هي أحسن، وما زادهم ذلك إلا نفوراً، وزعموا أن أهل العارض ارتدوا لما عرفوا شيئاً من التوحيد! وأنت تفهم أن هذا لا يسعك التكفي عنه، فالواجب عليك نصر أخيك ضالماً أو مظلوماً، وإن تفضل الله عليك بفهم ومعرفة، فلا تُعذر لا عند الله ولا عند خلقه من الدخول في هذا الأمر، فإن كان الصواب معك فلواجب عليك الدعوة إلى الله، وعداوة من صرح بسب دين الله ورسوله، وإن كان الصواب معهم، أو معنا شيء من الحق وشيء من البطل، أو معنا غلو في بعض الأمور، فلواجب منك مذاكرتنا ونصيحتنا، وتوريت عبارات أهل العلم، لعل الله أن يردنا بك إلى الحق.

وإن كان إذا حررت المسألة إذا أنها من مسائل الاختلاف، وأن فيها خلافاً عند الحنفية أو السافعية أو المالكية، فتلك مسألة أخرى. وبالجمة فالأمر عظيم، ولا نعذر من تأمل كلامك وكلامهم، ثم تعرضه على أهل العلم.

ثم تبين في الدعوة إلى الحق، وعداوة من حادّ الله ورسوله، من أو من غيرنا.  
والسلام.

ومنها: رسالة أرسلها إلى عبد الله بن عيسى، مطوع الدرعية، قال فيها:  
بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن عيسى، سلام عليكم ورحمة الله  
وبركاته، أما بعد:

فقال ابن القيم في «إعلام الموقعين»: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ يَتَّبِعُونَ  
أَهْوَاءَهُمْ﴾ فقسم الأمر إلى أمرين لا ثالث لهما: إمّا الاستجابة للرسول، وإمّا  
اتباع الهوى<sup>(١)</sup>.

وذكر كلامًا في تقرير ذلك، إلى أن قال:

ثم أخبر سبحانه أن من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول فقد حَكَمَ  
الطاغوت وتحاكم إليه. يعني الآيات في النساء: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ  
أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ  
أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ قال: والطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده؛ من معبود أو  
متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحكمون إليه غير الله ورسوله، أو يتبعونه  
على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله، فهذه طواغيت  
العالم، إذا تأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم ممن أعرض عن  
طاعة الله واتبعة رسوله إلى طاعة الطاغوت واتباعه، وهؤلاء لم يسلوكوا طريق  
الناجين من هذه الأمة، وهم الصحابة ومن تبعهم، وقال الله: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ  
بَيْنَهُمْ رِبًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فُرِحُوا﴾ ولزبر: الكذب. أي كل فرقة صنفوا كتبًا

أخذوا بها وعملوا به دون كتب الآخرين، كما هو الواقع سواء، وقال: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ قال ابن عباس: تَبْيَضُّ وجوه أهل السنة والاختلاف، وَتَسْوَدُّ وجوه أهل الفرقة والاختلاف<sup>(١)</sup>. هذا كنه كلام ابن القيم.

وقال الشيخ تقي الدين في كتاب «الإيمان»:

قال الله تعالى: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَكُمْ وَرَهْبَكُمُ أَزْكَىٰ مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الآية، وفي حديث عدي بن حاتم أنه قال للنبي ﷺ: إنا لست نعبدهم! قال: «اليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟» قلت: بلى. قال: «فتلك عبادتهم» روى الإمام أحمد والترمذي وغيره<sup>(٢)</sup>. وقال أبو العلية: إنهم وجدوا في كتب الله ما أمروا به وما نُهوا عنه، فقالوا: لن نَسْبِقَ أَحِبَارَنَا بشيء، فما أمرونا به اتَّعَمْنَا وما نهونا عنه انتهينا! لقوله: ﴿فَبَدَّوْهُ وَرَأَىٰ ظُهُورَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup> انتهى كلام ابن تيمية.

فتأمل هذا الكلام بشرائش قلبك، ثم نزلهُ على أحوال الناس وحالك، وتفكر في نفسك، وحاسبها؛ بأي شيء تدفع هذا الكلام؟ وبأي حجة تحتاج يوم القيمة على ما أنت عليه؟ فإن كان عندك شبهة فاذكرها، فأنا أبينها، إن شاء الله تعالى، والمسألة مثل الشمس، ولكن مَنْ يهد الله فلا مضل له، وَمَنْ يُضِل فلا هادي له، وإن لم يتسع عقلك لهذا فتضرع إلى الله بقلب حاضر، خصوصاً في الأسحار، أن يهديك للحق، ويريك الباطل باطلاً، وفرِّ بدينك. فإن الجنة والنار قد امتك، والله المستعان، ولا تستهجن هذا الكلام، فوالله ما أردتُ به إلا الخير. وصلى الله على محمد وآله وسلم.

(١) إعلام الموقعين (١/ ٢٥٩) وتفسير ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ١٢٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥) وحسنه الشَّحْ لَالباني (غاية المرام ٦).

(٣) الإيمان (٢/ ٨٠)

ومنها : رسالة أرسلها إلى عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى ، قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد أن تفضلتم بالسؤال ، فنحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو بخير وعافية ، جعلكم الله كذلك ، وأحسن من ذلك ، وأبلغوا لنا الوالد السلام ، وسلمه الله من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، وغير ذلك : في نفسي عليه بعض الشيء ، من جهة هالمكاتيب لما حبسها عنا هجسنا فيه الظن الجميل ، ثم بعد ذلك سمعت بعض الناس يذكر أنه معطيها بعض السفهاء يقرؤونها على الناس ، وأن أعتقد فيه المحبة ، وأعتقد أيضًا أن له غيبة وعقلاً ، وهو صاحب إحسان علينا وعسى أهلكنا ، فلا وُدِّي يعقبه بالأذى ويكدر هذه المحبة بلا منفعة في العاجل والآجل . وأن إلى الآن ما تحققت ذلك ، وأهوجس فيه بالهاجوس الجيد .

وذكر أيضًا عنه بعضُ الناس بعضَ الكلام الذي يشوش خاطر ، فإن كان يرى أن هذا ديانة ويعتقده من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فأنا ولله الحمد لم آت الذي أتيت بجهالة ، وأشهد الله وملائكته إن أتاني منه أو ممن دونه في هذا الأمر كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين ، وأترك قول كل إمام اقتديت به ، حاش رسول الله ﷺ فيه لا يفارق الحق . فإن كانت مكاتيب أولياء الشيطان وزخرفة كلامهم ، الذي أوحى إليهم ليحادل في دين الله لم رأى أن الله يريد أن يُظهر دينه ، عَرَّتْهُ . وَأَصْغَتْ إِلَيْهَا أَفْئِدَتَكُمْ ، فادكروا لي حجة مما فيها ، أو كلها . أو في غيرها من الكتب ، مما تقدرون عليه أنتم ومَن وافقكم ، فإن لم أجابه عنها بحوب فاصل بيّر ، يعلم كل من هذه الله أنه الحق ، وأن تلك هي الباطل ، فَأَنْكِرُوا عَلَيَّ . وكذلك عدي من الحجج الكثيرة الواضحة ما

لا تقدرون أنتم ولا هم أن تجيبوا عن حجة واحدة منها، وكيف لكم بملافة جند الله ورسوله؟

وإن كنتم تزعمون أن أهل العلم على خلاف ما أن عليه، فهذه كتبهم موجودة، ومن أشهرهم وأغلطهم كلام الإمام أحمد، كلهم على هذا الأمر. لم يَشِدُّ منهم رجل واحد، ولله الحمد، ولم يأت عنهم كلمة واحدة أنهم أرخصوا لمن لم يعرف الكتب والسنة في أمرهم هذا، فضلاً عن أن يوجبوه.

وإن زعمت أن المتأخرين معكم، فهؤلاء سادات المتأخرين وقادتهم؛ ابن تيمية وابن القيم، وابن رجب عندنا له مصنف مستقل في هذا، ومن الشافعية الذهبي وابن كثير وغيرهم، وكلامهم في إنكار هذا أكثر من أن يُحصَر، وبعض كلام الإمام أحمد ذكره ابن القيم في «الطرق الحكيمة» فراجع، ومن أدلة شيخ الإسلام ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الآية، فقد فسره رسول الله ﷺ والأئمة بعده بهذا الذي تسمونه «الفقه» وهو الذي سماه الله شركاً واتخذهم أرباباً، لا أعلم بين المفسرين في ذلك اختلافاً.

والحاصل؛ أن من رزقه الله العلم يعرف أن هذه المكاتيب التي أتاكم، وفرحتم بها وقرأتموها على العامة، من عند هؤلاء الذين تظنون أنهم عماء، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانٍ لَئِنْ يَدْعُوا إِلَيْهِمْ وَآلِهِمْ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ إلى قوله: ﴿وَلِنَصْنَعَنَّ آلَ فِرْعَوْنَ آفَةً لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ لكن هذه الآيات ونحوها عندكم من العلوم المهجورة، بل أعجب من هذا أنكم لا تفهمون شهادة أن لا إله إلا الله، ولا تُكرونها هذه الآيات التي تُعَدُّ في الخرج وغيره، التي هي الشرك الأكبر بإجماع أهل العلم، وأنا لا أقول هذا وحدي.

### الفصل الرابع

في المسائل التي سئل عنها فأجاب، وترك  
كثيراً منها لنألا يطول الكتاب

سُئِلَ ﷺ، عن معنى «لا إله إلا الله»؛ فأجاب بقوله:

اعلم، رحمك الله، أن هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام، وهي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، وهي التي جعلها إبراهيم كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون، وليس المراد بقولها باللسان مع الجهل بمعناها؛ فإن المنافقين يقولونها. وهم تحت الكفار، في الدرك الأسفل من النار، مع كونهم يُصلون ويتصدقون. ولكن المراد بقولها مع معرفتها بالقلب، ومحبتها ومحبة أهلها، وبغض ما خالفها ومعداته، كما قال النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا»<sup>(١)</sup> وفي رواية «خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»<sup>(٢)</sup> وفي رواية «صَدَقًا مِنْ قَلْبِهِ»<sup>(٣)</sup> وفي حديث آخر: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وكفر بما يعبد من دون الله»<sup>(٤)</sup> إلى غير ذلك من الآيات الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة.

فاعلم أن هذه الكلمة نفي وإثبات، نفي الألوهية عما سوى الله تعالى من المخلوقات، حتى محمد ﷺ حتى جبريل، فضلاً عن غيرهما من الأولياء و الصالحين. إذ عهت ذلك فتأمل هذه الألوهية التي أثبتّها لله ونفيّها عن محمد

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥ / ٢٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (٩٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٨).

(٤) أخرجه مسلم (٢٣).



وجبريل وغيرهما أن يكون لهم منها مثقل حبة خردل، فاعلم أن هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا «السر والولاية» والإله معناه: الولي الذي فيه السر. وهو الذي يسمونه الفقراء «الشيخ» ويسمونه العامة «السيد» وأشياء هذا، وذلك أنهم يظنون أن الله جعل لحواص الخلق منزلة، يرضى أن الإنسان يلتجئ إليهم، ويرجوهم، ويستغيث بهم، ويجعلهم واسطة بينه وبين الله، فالذي يزعم أهل الشرك في زماننا أنهم وسائط، هم الذين يسمونهم الأولون «الآلهة» والواسطة هو الإله، فقول الرجل «لا إله إلا الله» إبطال للوسائط.

وإذا أردت أن تعرف هذا معرفة تامة فذلك بأمرين:

الأول: أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ وقتلهم، ونهب أموالهم، واستحل نساءهم كانوا مُقرِّين لله سبحانه بتوحيد الربوبية، وهو أنه لا يَخْلُق ولا يَرْزُق، ولا يحيي ولا يميت، ولا يدبر الأمر إلا الله. كما قال تعالى: ﴿قَدْ مَنَ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ وهذه مسألة عظيمة مهمة، وهي أن تعرف أن الكفار شاهدون بهذا كله، ومُقرِّون به، ومع هذا لم يُدْخِلْهُمْ ذلك في الإسلام، ولم يُحَرِّمْ دماءهم وأموالهم، وكانوا أيضًا يتصدقون ويحجون ويعتصرون ويتعبدون، ويتركون أشياء من المحرمات خوفاً من الله ﷻ.

ولكن الأمر الثاني هو الذي كفرهم وأحلّ دماءهم وأموالهم، وهو أنهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية، وهو أنه لا يُدْعَى ولا يُرْحَى إلا الله وحده لا شريك له. ولا يُسْتَغَاثَ بغيره، ولا يُدْبَحَ لغيره، ولا يُنْذَرُ لغيره. لا مَلَكٌ مُّقْرَّبٌ. ولا نبي مرسل. فمن استغاث بغيره فقد كفر. ومن دبح لغيره فقد كفر. ومن نذر لغيره فقد كفر. وشبه ذلك. وتمام هذا أن تعرف أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا يُدْعَوْنَ الصالحين، مثل الملائكة وعيسى وعزير، وغيرهم من الأولياء، فكفروا بهذا. مع إقرارهم بأن الله هو الخالق الرازق المدبر.

إِذَا عَرَفْتَ هَذَا عَرَفْتَ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وَعَرَفْتَ أَنَّ مَنْ نَحَا نَبِيًّا أَوْ مَدَكَ، أَوْ نَدَهَ وَاسْتَغَاثَ بِهِ، فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَهَذَا هُوَ الْكُفْرُ الَّذِي قَاتَهُمُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فَإِنْ قُلْ قَاتِلْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ: نَحْنُ نَعْرِفُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ، لَكِنْ هَؤُلَاءِ الصَّالِحُونَ مُقَرَّبُونَ، وَنَحْنُ نَدْعُوهُمْ، وَنُنْذِرُ لَهُ، وَنَدْخُلُ عَلَيْهِمْ، وَنَسْتَعِثُ بِهِمْ. نَرِيدُ بِذَلِكَ الْوَجَاهَةَ وَالشَّفَاعَةَ، وَإِلَّا نَحْنُ نَفْهَمُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُدَبِّرُ.

فَقُلْ: كَلَامُكَ هَذَا مَذْهَبُ أَبِي جَهْلٍ وَأَمثَالِهِ؛ فَإِنَّهُمْ يَدْعُونَ عِيسَى وَعُزَيْرًا وَالْمَلَائِكَةَ وَالْأَوْلِيَاءَ، يَرِيدُونَ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾.

فَإِذَا تَأَمَّلْتَ هَذَا تَأَمُّلاً جَيِّداً عَرَفْتَ أَنَّ الْكَافِرَ يَشْهَدُونَ لِلَّهِ بِتَوْحِيدِ الرَّبُّوبِيَّةِ، وَهُوَ الْتَفَرُّدُ بِالْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالتَّدْبِيرِ. فَهَمَّ يَنْحَوْنَ عِيسَى وَالْمَلَائِكَةَ وَالْأَوْلِيَاءَ، يَقْصِدُونَهُمْ أَنَّهُمْ يَقْرِبُونَهُمْ إِلَى اللَّهِ وَيَشْفَعُونَ لَهُمْ عِنْدَهُ، وَعَرَفْتَ أَنَّ مِنَ الْكَافِرِ، خُصُوصَ النَّصْرِيِّ، مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَيَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا، وَيَتَصَدَّقُ بِمَا دَخَلَ عَلَيْهِ مِنْهَا، مُعْتَزِلٌ فِي صَوْمَعَةٍ عَنِ النَّاسِ، وَمَعَ هَذَا هُوَ كَافِرٌ عَدُوٌّ لِلَّهِ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ؛ بِسَبَبِ اعْتِقَادِهِ فِي عِيسَى أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ. يَدْعُوهُ وَيَذْبَحُ لَهُ وَيُنْذِرُ لَهُ - تَبَيَّنَ لَكَ كَيْفَ صِفَةُ الْإِسْلَامِ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ نَبِيُّكَ ﷺ وَتَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ لَدُنْ عَنْهُ بِمَعْزِلٍ، وَتَبَيَّنَ لَكَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ».

فَاللَّهُ اللَّهُ يَا إِخْوَانِي. تَمَسَّكُوا بِأَصْلِ دِينِكُمْ. وَأَوَّلُهُ وَآخِرُهُ وَأُسُسُهُ وَرَأْسُهُ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاعْرِفُوا مَعْنَاهُ. وَأَحْبِبُوهُ وَأَحْبِبُوا أَهْلَهُ. وَاجْعَلُوهُ

إخوانكم لو كانوا عبيدين، واكمروا بالطواغيت وعادوهم، وأبعضوهم وأنقضوا من أحثم، أو جادل عنهم، أولم يكفرهم، وقال: ما عليّ منهم. أو قال: ما كلني الله بهم. فقد كذب هذا على الله وافتري، فقد كلفه الله بهم، وفرض عليه الكفر بهم وإبراء منهم، ولو كانوا إخوانهم وأولادهم. قاله الله. تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئاً. اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين.

ولنختم الكلام بآية ذكرها الله في كتابه، تبين لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم كفراً من الذين قاتلهم رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ صَدَّ سَوْءُ الدَّعْوَى إِلَّا إِيَّاهُ فَمَا تَجْعَلُونَ لَهُ آلِيًّا أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ فقد سمعتم أن الله سبحانه ذكر عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر تركوا السادة والمشايخ، فلم يدعو أحداً منهم، ولم يستغيثوا به، بل أخلصوا لله وحده لا شريك له، واستغاثوا به وحده، فإذا جاء الرخاء أشركوا. وأنت ترى المشركين من أهل زماننا، ولعل بعضهم يدعي أنه من أهل العلم، وفيه زهد واجتهاد وعبادة، إذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله، مثل معروف أو عبد القادر الجيلاني، وأجل من هؤلاء مثل زيد بن الخطاب، وأجل من هؤلاء مثل رسول الله ﷺ قاله المستعان، وأعظم من ذلك وأظلم أنهم يستغيثون بالطواغيت والكفرة والمردة، مثل شمسان وإدريس ويوسف وأمثالهم. والله سبحانه أعلم.

### المسألة الثانية:

سئل رحمه الله عن قوله تعالى في سورة هود: ﴿مَنْ كَانَ رُبُّهُ لَحْيَوَةً أَلَدِيَ وَرِسْبٍ تَوْفَ إِلَهُهِمْ أَعْمَلُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُحْشَوْنَ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا أَسَارٌ وَحَبِطَ مَا صَبَّغُوا فِيهَا وَنَطَلُّ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فأجاب بقوله:

ذُكر عن السلف من أهل العلم فيها أنواع ما يفعله الناس اليوم ولا يعرفون معناه:

فمن ذلك العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله؛ من صدقة وصلة وإحسان إلى الناس، ونحو ذلك، وكذلك ترك ظلم، أو كلام في عرض، مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصاً له، لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة، إنما يريد أن يجازى به بحفظ ماله وتنميته، أو حفظ أهله وعياله، أو إدامة النعم عليهم، ونحو ذلك، ولا همة لهم في طلب الجنة والهرب من النار، فهذا يُعطى ثواب عمله في الدنيا، وليس له في الآخرة من نصيب. وهذا النوع ذكره ابن عباس<sup>(١)</sup>.

وقد غلط فيه بعض مشايخنا بسبب عبارة ذكرها في «الإقناع» في أول باب النية. لما قسم الإخلاص مراتب وذكر هذا، ظن أنه يسمى إخلاصاً مدحاً له، وليس كذلك، وإنما أراد أنه لا يُسمى رياءً، وإلا فهو عمل حابط في الآخرة. النوع الثاني، وهو أكبر من الأول وأخوف، وهو الذي ذكر مجاهد في الآية أن الآية نزلت فيه<sup>(٢)</sup> وهو أن يعمل أعمالاً صالحة، ونيته رياء الناس لا طلب ثواب الآخرة، وكما ذكر لمعاوية حديث أبي هريرة في الثلاثة الذين أول من تُسَعَّرُ بهم النار، وهم الذي تعلم العلم ليقال عالم، وتصدق ليقال جواد، وجاهد ليقال شجاع - بكى معاوية بكاءً شديداً، ثم قرأ هذه الآية<sup>(٣)</sup>.

النوع الثالث: أن يعمل الأعمال الصالحة ويقصد بها مالاً. مثل الحج لمال

(١) تفسير أسى حاتم (٨ / ١٣٦)

(٢) تفسير الطبري (١٥ / ٢٦).

(٣) أخرجه ترمذي (٢٣٨٢) وصححه الشح لألبني (التعبيق أربع / ١ / ٢٩ - ٣٠)

بأخذه لا لله، أو يهاجر لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، أو يجاهد لأجل المغمم، فقد ذكر أيضًا هذا النوع في تفسير هذه الآية، كما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «تعسر عبد الدينار...» إلى آخره<sup>(١)</sup>.

وكما يتعلم الرجل لأجل مدارس أهله أو مكسبهم أو ريسهم، أو يتعلم القرآن، أو يواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد، كما هو واقع كثيرًا، وهؤلاء أعقل من الذين قبلهم؛ عملوا لمصلحة يحصلونها، والذين قبلهم عملوا لأجل المدح والجلالة في أعين الناس، ولا يحصل لهم طائل.

والنوع الأول أعقل من هؤلاء كلهم؛ لأنهم عملوا لله وحده لا شريك له، لكن لم يظبوا الخير الكثير العظيم الدائم، وهو الجنة، ولم يرهبوا من الشر العظيم، وهو النار.

النوع الرابع: أن يعمل الإنسان بطاعة الله مخلصًا في ذلك لله وحده لا شريك له، لكنه على عمل يكفره كفرًا يُخرجه عن الإسلام، مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله، أو تصدقوا، أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم شرك، أو كفر أكبر يخرجهم من الإسلام بالكلية، إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة؛ لأنهم على أعمال تُخرجهم من الإسلام تمنع قبول أعمالهم. فهذا النوع أيضًا قد ذكر في الآية عن أنس بن مالك وغيره، وكان السلف يخافون منها. قال بعضهم: لو أعلم أن الله يقبل مني سحرة واحدة لتمنيت لموت؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

فهذا قصد وجه الله ودار الآخرة، لكن فيه من حب الدنيا والرياسة والمكث

(١) حُرِّجَ السَّحَارَى (٢٨٨٣)

والمال ما حمّله على ترك كثير من أمر الله ورسوله أو أكثر، فصارت الدنيا أكبر قصده، ولذلك قل قصد الدنيا. وذلك القليل كأنه لم يكن، كقوله ﷺ: «فإنك لم تصل»<sup>(١)</sup>.

والأول أطاع الله ابتغاء وجه الله، لكن أراد الثواب في الدنيا، وخاف على الحظ والعيال، مثلما يقول الفسقة، فصيح أن يقال: قصد الدنيا. والثاني والثالث واضح.

لكن بقي أن يقل: إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله، طلبًا ثوب الآخرة، ثم بعد ذلك عمل أعمالًا كثيرة أو قليلة قصدًا به الدنيا، مثل أن يحج بعده لأجل الدنيا، كما هو واقع، فهو لم غلب عليه منهما.

وقد قال بعضهم: القرآن كثير، ما يذكر أهل الجنة الخُلص وأهل النار الخُلص، ويسكت عن صاحب الشئبتين. وهو هذا وأمثاله، ولهذا خاف السلف من حبوط الأعمال.

وأما الفرق بين الحبوط والبطلان؛ فلا أعدم بينهما فرقًا. والله أعلم.

### المسألة الثالثة:

قل بحسب: سألني الشريف عما نُقاتل عليه وعمدُ نُكفر به لرجل، فأجبتُه وبَيّنتُ له أيضًا الكذب الذي بهت به الأعداء، فسأني أن أكذب له، فأقول: أركان الإسلام الخمسة؛ أولها الشهادتان، ثم لأركان الأربعة، فالأربعة إذا أقرَّ به وتركها نهاوتنا، ونحن وإن قاتلناه على فعلها فلا نُكفره بتركها، والعلماء اختلفوا

(١) أحرجه البحري (٧٥٧) ومسلم (٣٩٧).

في كفر التارك لها كسلاً من غير جحود. ولا نقاتل إلا ما أجمع عليه العلماء كلهم، وهو الشهادتان، وأيضاً بكفره بعد التعريف إذا عرف وأنكر. فنقول: أعداؤنا على أنواع:

**النوع الأول:** مَنْ عرف أن التوحيد دين الله ورسوله الذي أظهرناه للناس، وأقرّ أيضاً أن هذه الاعتقادات في الحجر والشجر والبشر، الذي هو دين غالب الناس، هي الشرك بالله الذي بعث الله رسوله ينهى عنه ويقتل أهله؛ ليكون الدين كله لله، ومع ذلك لم يلتفت إلى التوحيد، ولا تعلمه، ولا دخل فيه، ولا ترك الشرك. فهذا كفر، نقاتله بكفره؛ لأنه عرف دين الرسول فم يتبعه، وعرف دين الشرك فلم يتركه، مع أنه لا يُبغض دين الرسول ولا مَنْ دخل فيه، ولا يمدح الشرك ولا يزينه للناس.

**النوع الثاني:** مَنْ عرف ذلك كله ولكنه تبين في سبب دين الرسول مع أعدائه أنه عمل به، وتبين في مدح مَنْ عبَدَ يوسف والأشعري، ومَنْ عبَدَ أبا علي والخضر من أهل الكويت، وفضلهم على مَنْ وحد الله وترك الشرك. فهذا أعظم من الأول، وفيه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وهو ممن قال الله فيه: ﴿وَأَن لَّكُنَّ أَتَيْنَهُمْ مِن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَلِيلًا مِّنَ الْكَافِرِ بِهِمْ لَا آمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾.

**النوع الثالث:** مَنْ عرف التوحيد وأحبه وأتبعه. وعرف الشرك وتركه، ولكن يكره مَنْ دخل في التوحيد، ويحب من بقى على الشرك. فهذا أيضاً كافر. وهو ممن ورد فيه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَرْسَلَ اللَّهُ فَحَسَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.

**النوع الرابع:** مَنْ سبَّ من هذا كله، ولكن أهل بيده مُصرحون بعداوة التوحيد واتباع الشرك وساعون في قتلهم، ويتعدرو عليهم تركه. وطنه يشق عبه، ويقتل

أهل التوحيد من أهل بلده، ويجاهد بماله ونفسه، فهذا أيضًا كفر؛ فإنهم لو يأمرؤن بترك صوم رمضان، ولا يمكنه الصيام إلا بفراقهم فعل، ولو يأمرؤنه بترويح امرأة أبيه، ولا يمكنه ذلك إلا بمخلفتهم فعل، وموافقتهم على الجهد معهم بنفسه وماله. مع أنهم يريدون بذلك قطع دين الله ورسوله أكثر مما ذكرنا بكثير، وهذا أيضًا كفر، وهو ممن قال الله فيه: ﴿سَتَجِدُونَ ءَآخِرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمُرُوكُمْ وَيَأْمُرُوا قَوْمَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿سُطِنَا مُبِينًا﴾ فهذا الذي نقول.

وأما الكذب والبهتان، فمثل قولهم: إننا نكفر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وإننا نكفر من لم يكفر ولم يقاتل. ومثل هذا وأضعاف أضعافه، فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يعتدون به الناس عن دين الله ورسوله، وإذا كن لا نكفر من عبَد الصنم الذي على قبر عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما؛ لأجل جهلهم وعدم من يفهمهم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يكفر ويقاتل؟ ﴿سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾! بل نكفر تلك الأنواع الأربعة لأجل محادتهم لله ورسوله. فرحم الله امرأً نظر لنفسه، وعرف أنه ملاقي الله الذي عنده الجنة والنار، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

### المسألة الرابعة:

سأل ثنين بن سعود عن قوله تبارك وتعالى: ﴿قَعَمَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْكَ﴾ وعن الحديث المذكور في مسند أحمد أن نوحًا عليه السلام هبى منه عن الشرك وأمرهم بـ(لا إله إلا الله)<sup>(١)</sup> فأجاب بقوله:

(١) المسند (٢/ ٢٤٠) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الترغيب ١٥٣٢)



من محمد بن عبد الوهب إلى ثيان بن سعود، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد سألتكم عن معنى قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ اللَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا أَنَّهُ﴾ وكونها نزلت بعد الهجرة، فهذا مصداق كلامي لكم مرارًا عديدة، أن الفهم الذي يقع في القلب غير فهم اللسان، وذلك أن هذه المسألة من أكثر ما يكون تكرارًا عليكم، وهي التي يؤب لها الباب الثاني في كتاب التوحيد، وذلك أن العالم لا يُسمى عالمًا إلا إذا أثمر فيه العلم، فإذا لم يُثمر فهو جاهل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ وقال عن يعقوب: ﴿وَيَنْتَهِ لَدُو عَيْنٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ والكلام في تقرير هذا يطول.

إذا ثبت أن العلم هو الذي يستلزم العمل، فمعلوم أن تفاضل الناس في الأعمال تفاضل لا ينضبط، وكل ذلك بسبب تفاضلهم في العلم، وكيفيت في هذا استدلال الصديق على عمر في قصة أبي جندل، مع كونها من أشكال المسائل التي وقعت في الأولين والآخرين، شهادة أن محمدًا رسول الله.

وسر المسألة أن العلم بـ(لا إله إلا الله) ليس أمرًا واحدًا لا يتفاضل، بل تفاضلُ الناس في هذه المسألة لا يعنمه إلا الله، وشبه هذا قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فإن العلم بهذه الأصول الكبر يتفاضل فيه الأنبياء فضلًا عن غيرهم.

وأما نهى نوح ﷺ بنيه عن الشرك وأمرهم بـ(لا إله إلا الله) فليس هذا تكرارًا، بل هذان أصلان مستقلان كبيران، وإن كانا متلازمين. فالنهى عن الشرك يستلزم الكفر بالطاغوت، و(لا إله إلا الله) والإيمان بالله. وهذا وإن كان متلازمًا فتوضحه لكم. والواقع أن كثيرًا من الناس يقول: لا أعبد إلا الله، وأنا أشهد بكذا، وأقر بكذا. ويكثر الكلام، فإذا قيل له: ما تقول في فلان وفلان إذا عبد وعُبد من دون الله؟ قال: ما عليّ من الناس، الله أعلم بحالهم!

ويظن باطنه أن ذلك لا سبب عليه، فمن أحسن الافتتان أن الله قرن بين الإيمان بالله والكفر بالطغوت والبدعة بالكفر به على الإيمان بالله، وفرن أيضاً بين الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، مع أن الوصية بـ(لا إله إلا الله) ملازمة للذكر بهذه اللفظة والإكثار منها، وتبين عظمة قدرها، كما بين النبي ﷺ فضل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ على غيرها من السور، وذكر أنها تعدل ثلث القرآن مع قصدها، وكذلك حديث موسى ﷺ، فإن في ذلك ما يقتضي كثرة الذكر بهذه الكلمة؛ كما في الحديث: «أفضل الذكر (لا إله إلا الله)»<sup>(١)</sup> ثم أنتم في أمان الله وحفظه، والسلام.

#### المسألة الخامسة:

سأله الشيخ عيسى بن قاسم وأحمد بن سويلم، في أول إسلامهما، عن قول الشيخ تقي الدين: مَنْ جحد ما جاء به الرسول وقامت به الحجة فهو كافر. فأجاب بقوله:

إلى الأخوين عيسى بن قاسم وأحمد بن سويلم، سلام عليكم ورحمة الله، وبعد:

فما ذكرتموه من قول الشيخ: مَنْ جحد كذا وكذا، وأنكم شاككون فيه؛ هؤلاء الطواغيت وأتباعهم هل قامت عليهم الحجة أم لا؟ فهذا من لعجب العجائب، كيف تشكون في هذا وقد وضحته لكم مراراً؟ فإن الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي حديث عهد بالإسلام، والذي نشأ ببدية بعيدة، أو يكون ذلك في مسألة

(١) أحرجه الترمذي (٣٣٨٣) ونسائي في الكبرى (٦/ ٢٠٨) وابن ماجه (٣٨٠٠) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الترغيب ١٥٢٦)

خفية، مثل الصرف والعطف، فلا يكفر حتى يعرف.

وأما أصول الدين التي أوضحها الله وأحكمها في كتابه، فإن حجة الله هي القرآن، فمن بلغه فقد بلغته الحجة، ولكن أصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيم الحجة وبين فهم الحجة، فإن أكثر الكفار والمنافقين لم يفهموا حجة الله، مع قيامها عليهم، كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ وقيام الحجة وبلوغها نوع، وفهمهم إياها نوع آخر، وكفرهم ببلوغها إياهم وإن لم يفهموها نوع آخر.

فإن أشكل عليكم ذلك فانظروا قوله ﷺ في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم»<sup>(١)</sup> وقوله: «شر قتلى تحت أديم السماء»<sup>(٢)</sup> مع كونهم في عصر الصحابة، ويحقر الإنسان عمل الصحابة معهم، ومع الإجماع أن الذي أخرجهم من الدين هو التشدد والاجتهاد، وهم يظنون أنهم مطيعون لله، وقد بلغتهم الحجة، ولكن لم يفهموها.

وكذلك قتل عليّ عليه السلام، الذين اعتقدوا فيه، وتحريقهم بالنار، مع كونهم تلاميذ الصحابة، ومع عبادتهم وصلاحهم وصيامهم، وهم أيضاً يظنون أنهم على حق.

وكذلك إجماع السلف على تكفير ناس من غلاة القدرية، وغيرهم، مع كثرة علمهم وشدة عبادتهم، مع كونهم يظنون أنهم يحسنون صنعا، ولم يتوقف أحد من السلف في تكفيرهم لأجل أنهم لم يفهموا، فإن هولاء كلهم لم يفهموا.

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٠٠) والإمام أحمد (٥ / ٢٥٠) وصححه الشيخ الأنباري (صحيح الترمذي).

إذا علمتم ذلك؛ فهذا الذي أنتم فيه، وهو الشك في أنس يعبدون الطواغيت، ويعادون دين الإسلام، ويزعمون أنه ردة؛ لأجل أنهم ما فهموا، كل هذا أظهر وأبين مما تقدم، إلا الذين حرقهم عليٌّ فإنه بشابه هذا. وأما إرسال كلام الشفعية أو غيرهم فلا يتصور أن يأتيكم أوضح مما أتكم، فإن كان عليكم بعض الإشكال فارغبوا إلى الله أن يزيله عنكم. وأيضًا ذكر لي محمد بن سيمان أنه جرى عندكم مسألتان:

الأولى: صورة المقاصة؛ يريد بعض الدس أن يحتل على المنهي عنه، من بيع الطعام قبل قبضه، ويقول للخشير<sup>(١)</sup> إذا جاء بدراهم التمر: بعها عليّ بتمر، قدر الذي في ذمته. ثم يتسقطن، ويجعل هذه من المقاصة المباحة.

وكذلك ذكروا: إذا اشترى منه سلعة، وشرط عليه أن يوفيه بها، صح العقد وفسد الشرط، أن بعض الدس يريد أن يجعل هذه حيلة إلى قلب الدّين الذي في ذمته دَيْنًا آخر، وينسب الصحة إلى «الإقناع» و«المنتهي» وهما من أشد الدس كلامًا وتحريمًا لمثل هذا، حتى أنهما يحرمان صورًا، مع كون المتعاقدان لم يقصدا الحيلة، لئلا يُتخذ ذريعة، مثل العينة وغيرها.

وأنا ذكرت لكم مرارًا: إذا ادعى أحد في هذا وأمثاله الجواز، فاسألوا عن الحيل المحرمة التي هي مخادعة لله؛ ما معناها وما صورتها؟

مثال ذلك: أنك لو سألتني عن رجل اشترى منك سعة بعشرين مشخصًا<sup>(٢)</sup>، وهي تساوي العشرين ثيابًا أو طعامًا أو غيرها، قلت لك: هذا صحيح بالإجماع. فإذا سألتني عن إبرائه من العشرين مشخصًا، بعدما ثبتت في ذمته،

(١) 'ي' الشريك

(٢) عملة ذهبية كس متداولة عندهم.

قلت: هذا من الإحسان بالإجماع. فإذا قلت: إنه لم يشتر مني، ولم أبرئه إلا لأنه يريد أن يقرضني مائتي مشخص بريح عشرين، وقل لي: هذا ربا لا يصح، ولكن بعني سلعة تساوي عشرين، ثم بعد ذلك أبرئني منها. قلت لك: هذا صريح الربا والمخادعة لله بلا شك، وكذلك أشباه هذه الصورة، فالذي يجعل التحيل على بيع الطعام قبل قبضه من المقاصة، أو يجعل بيع السلعة ليوفيه به حيلة إلى حل كون رأس السلم ديناً، مع تصريحهم بتحريمه، بلا هذه الحيلة<sup>(١)</sup>، أسألوه: ما الفرق بين هذه الصورة وبين تلك؟ فإنه لا يجد فرقاً إلا بالمكبرة.

وهنا فائدة ينبغي التنبيه لها، وهي أن الحيل على الربا قد نشأت عندهم أنتم ومشبهكم، ويسمونهم (التصحيح)، والأمور التي نشأ الإنسان عليها صعب عنده مفارقتها بالكلية، والاستجابة لله والرسول وترك مذهب الآباء وما عليه المشايخ، إنه عظيم، لا يوافق عنده أكثر الخلق، فأمر الحيل ومساائله مثل أمر الشرك، فكما أنكم لم تفهموا الشرك أول مرة ولا ثانية ولا ثالثة، ولم تفهموه كله إلى الآن، كذلك الحيل، لأجل نشأتكم عليها، وتسميتها (التصحيح) تحتاج منكم إلى نظر وفطنة. فأكثروا التدبر لها والمطالعة، والتمثيل في «إغاثة اللهفان»<sup>(٢)</sup> وغيرها، والله أعلم.

### المسألة السادسة:

سأله محمد بن صالح عن رشوة الحاكم الذي ورد عنه عليه السلام أنه لعن الراشي

(١) أي: بدون هذه الحيلة.

(٢) (١ / ٣٣٨ وما بعده): «فصل: ومن مكايده التي كاد بها لإسلام وأهله: الحيل والمكر والحداع، الذي ينضمّن تحييل ما حرم الله، وإسقاط ما فرضه، ومضادته في أمره وبهيه. وهي من الرعي أسطل الذي اتفق السيف على ذمه.»

والمرتشي<sup>(١)</sup> وذلك أنه وقع بينه وبين سيمان بن سحيم<sup>(٢)</sup> محادله في ذلك.  
فقال الشيخ رحمه الله في الجواب:

سألتم، رحمكم الله، عن رشوة الحاكم الذي ورد عن رسول الله ﷺ أنه لعن  
الراشي والمرتشي، وذكر له أن بعض الناس حملها على ما إذا حكم الحاكم  
بغير الحق، وأما إذا أخذ رشوة من صاحب الحق وحكم له به فهي حلال،  
مستدلاً بقوله ﷺ: «أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله»<sup>(٣)</sup> وأنكم استدلتم  
بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْرَوْا بِمَا بَيْنَ يَدَيْكُمْ قَلِيلًا﴾ وأجبتكم بأنها نزلت في كعب بن  
الأشرف، وبأن الناس فرضوا لأبي بكر لما تولى الأمر درهمين كل يوم، وكذلك  
قول من قل: لا أحكم بينكما إلا بجعل.

فأقول: أما صورة المسألة فهي أشهر من أن تذكر، بل هي تُعَنَّم بلا اضطرار،  
فإن حكم زماننا لما أخذوا الرشوة أنكرت عليهم العقول والفطر بما جبلها الله،  
من غير أن يعلموا أن الشرع نهى عنها، ولكن إذا جادل المنافق بالباطل فربما  
يروج على المؤمن، فيحتاج إلى كشف الشبهة، فنقدم قبل الجواب مقدمة،  
وهي:

أن لله سبحانه لما أظهر شيئاً من نور النبوة في هذا الزمان، وعرف العمة  
شيئاً من دين الإسلام، وافق أنه قد ترأس على الناس رجل من أجهل العالمين،

(١) أخرجه أبو دود (٣٥٨٠) وإسمرمذي (١٣٣٧) وابن ماجه (٢٣١٣) والإمام أحمد (٢)  
(١٦٤) من حديث عبد الله بن عمرو. وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٥١١٤).

(٢) وهذا مما يدس على أن عداوته للشيخ لأجل أنه حال بينه وبين رغبته لدنوية. ولهذا  
قل الشيخ في الفنا - كم سأتى - : «إن هذا الدين يريد أن يحول بينهم وبين ماكنهم  
الباطلة المحرمة الملعونة»

(٣) أخرجه المحاري (٥٤٠٥)

وأبعدهم عن معرفة ما جاء به محمد ﷺ وقد صاروا في الرياسة بالباطل وفي أكل أموال الناس، ويدعون أنهم يعملون بالشرع، ولا يعرفون شيئاً من الدين، إلا شيئاً من كلام بعض الفقهاء في البيع والإجارة والوقف والموارث، وكذلك في المياه والصلاة، ولا يميزون حقه من باطله، ولا يعرفون مستند قائله، وأما العلم الذي بعث الله به محمداً ﷺ فلم يعرفوا منه خبراً، ولم يقفوا منه على عين ولا أثر، فقد تراحمت بهم الظنون ﴿مَقْطُوعُوا أَمْرُهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلٌّ حِزْبٌ بِمَا لَزِمَتْهُمْ فِرْعَوْنٌ﴾ ومصداق هذا كله أن الداعي لم أمرهم بتوحيد الله، ونهاهم عن عبادة المخلوقين، أنكروا ذلك وأعظموه، وزعموا أنه جهالة وضلالة، مع كون هذه المسألة أبين في دين محمد ﷺ من كون العصر أربعاً والمغرب ثلاثاً، بل اليهود والنصارى والمشركون يعلمون أن محمداً ﷺ دعا الناس إلى ذلك وجادل عليه وقتل عليه، فهؤلاء الذين يزعمون أنهم علماء اشتد إنكارهم علينا لما تكلمنا بذلك، وزعموا أنه دين ومذهب خمس، وأنهم لم يسمعه من مشائخهم ومن قبلهم.

وبالجملة فهذا الحق قد خالف أهواءهم من جهات متعددة:

الأولى: أنهم لا يعرفونه، مع كونهم يظنون أنهم من العمداء.

الثانية: أنه فيه مآلف عادة نشأوا عليها، ومخالفة العادات شديدة.

الثالثة: أنه مخالف لعلمهم الذي بأيديهم، وقد أُشْرِبُوا حبه، كما أُشْرِبَتْ بنو إسرائيل حب العجل.

الرابعة: أن هذا الدين يريد أن يحول بينهم وبين مآكلهم الباطلة المحرمة الملعونة.

إلى غير ذلك من الأمور التي يبتغي الله بها العباد، فلما ظهر هذا الأمر احنهدوا في عداوته وإطفائه بما أمكنهم، وجاهدوا في ذلك بأيديهم وألستهم.

فلما غلظ الأمر وبهرهم نور النبوة، ولم يجيء على عداتهم الفاسدة، ففترقوا، فيه كما تفرق إخوانهم الأولون، فبعضهم قال: مذهب ابن تيمية! كما لمزوا رسول الله ﷺ بابن أبي كبشة، وبعضهم قال: كتب بطلية. كقوله: ﴿أَسْطِرُّ الْأَوَّلِينَ أَكْتَبْتَهُمَا﴾ وبعضهم قال: هذا يريد الرئيسة، كما قالوا: ﴿أَجْنَنَّا لِنُلْفِنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِرْبَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾ وتارة يرمون المؤمنين بالمعاصي، كما قالوا لنوح، فأجابهم بقوله: ﴿وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَمْشُونَ﴾ وتارة يرمونه بالسفاهة ونقص العقل، كما قالوا: ﴿أَتَأْمُنُ كَمَا ءَمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ فأجابهم الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ الآية، وتارة يضحكون من المؤمنين ويستهزئون بأفعالهم التي خالفت العادات، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ وتارة يكذبون عليهم الأكاذيب العظيمة، كقوله: ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ وتارة يذمون دين الإسلام بما يوجد من بعض المنتسبين إليه، من رثالة الفهم والمسكنة، كما قالوا: ﴿وَمَا زِلْنَاكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ كَفُرُوا﴾ وتارة تقطع قلوبهم من الحسرة والغيط إذا رأوا الله رفع بهذا الدين أقوامًا ووضع به آخرين، كقولهم: ﴿أَهْؤُلَاءَ مَنِ أَنَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيْنِنًا﴾ إلى غير ذلك من الأمور التي يطول ذكرها.

وبالجملة، فمن شرح الله صدره للإسلام، ورزقه نورًا يمشي به في الناس، تيسنت له هذه الأمور التي وقعت في وقتنا هذا كثيرًا من معاني القرآن، وتبين له شيء من حكمة الله في ترداد هذا في كذبه لشدة الحاجة إليه، فيقل لهؤلاء المردة أكلي أموال الناس بالباطل، ومذهبي أديانهم مع أموالهم، ما قال عمر بن عبد العزيز: رويدًا يا ابن نبتة، فلو التقت حلفت البطان ورُد النفيء إلى أهله لأتفرغن لك ولأهل بيتك. حتى أدعهم على المحجة البيضاء، فطلما تركتم الحق وأوصعتم في البطل.



وأما المسألة والجواب عنها فنقول:

قد عُلِّمَ بالكتب والسنة والفطر و لعقول نحريم الرشوة وقبحها ، والرشوة هو ما يأخذه الرجل على إبطال حق وإعطاء باطل . وهذه يسلمها لك منازعتك ، وهي أيضًا ما يؤخذ على إيصال حق إلى مستحقه ، بل يسكت ولا يدخل فيه حتى يعطيه رشوة ، فهذه حرام منهي عنها بالإجماع ، ملعون من أخذها ، فمن ادعى حلها فقد خالف الإجماع .

وقوله : بأي شريعة حكمت بتحريم هذا؟

فنقول : حكمت به شريعة رسول الله ﷺ وأجمع على ذلك عمام أمته ، وأخل ذلك المرتشون الملعونون .

ومن أنواع الرشوة : الهدايا التي تُدفع إلى الحاكم بسبب الحكم ، ولو لم يكن لصاحبها غرض حاضر ، لا أعلم أحدًا من العلماء رخص في مثل هذا ، والعجب إذا كان في كتابكم الذي تحكمون فيه : يجب العدل بين الخصمين في لحظه ولفظه ومجلسه وكلامه والدخول عليه . فأين هذا من أكل عشرة حمران على أحد الخصمين ، وإن لم يعطه أخذ بدلها من صاحبه وحكم له ! سبحان الله ، أي شريعة حكمت بحلّ هذا؟ أم أي عقل أجازه؟ ما أجهل من يجادل في مثل هذا وأقل حيؤه وأقوى وجهه!

وأما أدلته التي استدلل بها : فلا تنس قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ الآية ، ولما جادل البصاري رسول الله ﷺ في ألوهية عيسى ، واحتجوا عليه بشيء من القرآن ، وكذلك الخوارج يستدلون على باطلهم بمنشابه القرآن ، وكذلك الذين صرخوا الإمام أحمد يستدلون عنه بشيء من تشابه القرآن ، وما أنزل الله : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ إلا لما يعلم الله في حاجة عبده إليه .

وأمم استدلال هذا الجاهل الظالم بقوله: «أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله» فجوابه من وجوه:

الأول: أن المؤمنين إذا فسروا شيئاً من القرآن بكلام رسول الله ﷺ وآله وأصحابه، وكلام المفسرين، ليس لهم فيه إلا النقل، اشتد نكيرهم عليهم، ويقول القرآن: لا يحل لكم تفسيره ولا يعرفه إلا المجتهدون. وتارة تفتري الكذب وتقول: إن ابن عباس إذا أراد أن يفسره خرج إلى البرية خوفاً من العذاب. وأمثال هذه الأباطيل والخرافات، ومرادهم بذلك سد الباب، فلا يفتح لهم طريق إلى هذا الخير، فيكون نقلنا لكلام المفسرين منكراً، وتفسيرك كتب الله على هواك وتحريفك الكلم عن مواضعه حسناً! هذا من أعجب العجائب.

الوجه الثاني: أن هذا لو كان على ما أولنه فهو في الأخذ على كتاب الله، وأنتم متبرئون من معرفة كتب الله والحكم به، وشاهدون على أنفسكم بذلك.

الوجه الثالث: أن هذا لو كان فيما ذهبت إليه لكان مخصوصاً بتحريم الرشوة التي أجمع الصحابة على تحريمها.

الوجه الرابع: أن حمل الحديث على هذا من القرية الظاهرة والكذب البحت على رسول الله ﷺ، فإن معنى ذلك في الإنسان الذي يداوي المريض بالقرآن، فيأخذ على الطب والدواء، لا على الحكم وبإصال الحق إلى مستحقه، ويدل عليه اللفظ الآخر: «كل فتى أكل برقية باطل فقد كمل برقية حق» والقصة شاهدة بذلك يوضحه.

الوجه الخامس: وهو أن يقال لهذا الجاهل الجهل المركب: من استدل قبلت بهذا الحديث على أن الحاكم إذا أراد أن يوصل الحق إلى مستحقه يجوز

له أن يشترط لنفسه شرطين، فإِنْ حصل له وإلا لم يفعل؟ فَإِنْ وحده في كتاب  
 فليس مآخذ، وما طه بأهل العلم الأولين والآخرين الذين أجمعوا على ذلك؟  
 لا يجوز أن يظن أن إجماعهم باطل، وأنهم لم يفهموا كلام نبيهم حتى فهمه هو!  
 وأما استدلاله بأن الناس فرضوا لأبي بكر رضي الله عنه، لما وُلِّيَ عليهم كل يوم  
 درهمين، فهذا من جهله، ومثل هذا مثل مَنْ يدعي حل الرِّثَا الذي لا شبهة فيه،  
 ويستدل على ذلك بأن الصحابة يطؤون زوجاتهم! وهذا الاستدلال مثل هذا  
 سواء بسواء، وذلك أن استدلاله بقصة أبي بكر رضي الله عنه، تدل على شدة جهله بحال  
 السلف الصالح، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعطي العمال من بيت المال، وكان الخلفاء  
 الراشدون يأكلون من بيت المال ويفرضون لعمالهم، ولا أعلم عاملاً في زمن  
 الخلفاء الراشدين يأكل من ذلك، بل الزكاة التي هي للفقراء جعل الله فيها نصيباً  
 للعمال الأغنياء، ولكن أبا بكر رضي الله عنه، لما وُلِّيَ واشتغل بالخلافة في الحرفة،  
 وضع رأس ماله في بيت المال، واحترف للمسلمين فيه، فأكل بسبب وضع ماله  
 في بيت المال وبسبب الحرفة، فأين هذا من أكل الرشوة التي حرمها الله  
 ورسوله؟ وأين هذا من الحاكم الذي إذا وقعت الخصومة كان أكثرهم باطلاً؟  
 ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾.

فإن قالوا: لما عُدِم بيت المال أكلنا من هذا.

قنا: هذا مثل مَنْ يقول: أن أزنّي لأنّي أعزب لا زوجة لي! فهو هذا من غير  
 مجازفة.

وقولهم: نفعل هذا لأجل مصلحة الناس.

فنقول: ما على الناس أضر من إبليس ومكّم، أذهبتم دنياهم وآخرتهم.  
 والناس يشهدون عديكم بذلك، هؤلاء أهل شقّة شرطوا لابن إسماعيل ثلاثة

وثلاثين أحمر، ويسكت عن الناس، ويريحهم من أذاه، ولا يحكم بين اثنين ولا يفتي، فلم يفعل، واختار حرفته الأولى.

وأما جوابه لمن استدل عليه ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمًّا قَلِيلًا﴾ بقوله: نزلت في كعب بن الأشرف. فهذا ترس قد أعده الجهل الضلال لرد كلام الله إذا قال لهم أحد: قال الله كذا. قالوا: نزلت في اليهود، ونزلت في النصارى، نزلت في فلان.

وجواب هذه الشبهة الجاهلة الظالمة الفاسدة من وجوه:

الأول: أن يقال: معلوم أن القرآن نزل بأسباب، فإن كان لا يُستدل به إلا في تلك الأسباب بطل استدلاله بالقرآن، وهذا خروج من الدين.

الثاني: أنك تقول: لا يجوز لنا تفسير القرآن. فكيف فسرت هذه الآية بأنها خاصة بابن الأشرف؟

الثالث: من نقلت عنه من العلماء أن الآية إذا نزلت في رجل كفر أنها لا تعم من عمل بها من المسلمين؟ من قال بهذا القول قبلك؟ وعمن نقلته؟

الرابع: أن هذا خروج من الإجماع، فما زال العلماء من عصر الصحابة فمن بعدهم يستدلون بالآيات التي نزلت في اليهود وغيرهم على من يعمل بها، ولكن هؤلاء الجاهلون الظالمون ﴿وَالَّذِينَ يُحْجِثُونَ فِي اللَّهِ مِنْ عَدَا مَا سَخَّيْبَ لَهُمْ جَحَنَّهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَصَبَتْهُمْ عَصَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

فأما الكلام في الطواغيت مثل إدريس وآل شمسان فالكلام على هذا ضوئ، ولكن هؤلاء الذين يخاصمونك لا يعاونون بكلام الله ولا كلام رسوله شيئاً، ولا عندكم ما في كتابهم، فقل: إذا كان كتبكم قد صرح بتصريحاً لا مزيد عليه، ونقل الإجماع على أن من فعل عشر معشار فعل هؤلاء الطواغيت أنه كافر حلال الدم

والمال، وقد صرح بأن مَنْ شك في كفرهم فهو كافر، فكيف إذا مدحهم وأثنى عليهم؟ فكيف إذا ضم إلى دلت مدح طريقتهم، مثل ما يفعله ناس من الطالبيين في الرياض، يمدحون طريقتهم ويمدحونهم، ويذمون دين الإسلام ويسبونوا وأهله، ويسمونهم السبابة؟

ومنهم مَنْ ينصر مذهب ابن عربي وابن الفارض ويدعون إليه، وهؤلاء عند المجادل الذي يدعي أنه يعرف «الإقناع» ويعمل به من الخواص، ولو يقال: لا يُصَلَّى خلفهم ولا تُقَبَّلُ شهادتهم، وأنهم فسقة؛ لأنكر علينا هذا الذي يدعي أنه فقيه، بل هم أحبابه وأصحابه وأنصاره، فكيف لو يقال: إنهم كفار مرتدون يجب قتلهم إن لم يتوبوا؟ فخاصمه بكتابه؛ فإن بين من العبادات غير ما فهمنا فيذكره بدليله، وإن زعم أن كتابه باطل؛ فيذكر الدليل على بطلانه، وإن ذكر جواباً آخر يريد أن يجمع بين كتابه وبين عدم تكفير هؤلاء، فهو كمن يريد أن يجمع بين المجوسية والإسلام، فإن قل: ما رأيهم فعلوا، قلنا: وأنت أيضاً ما رأيت فرعون ولا هامان كفروا، ولا رأيت أبا جهل وأبا لهب، ولا رأيت ظم الحجاج، ولا رأيت الذين ضربوا الإمام أحمد، وأنت تشهد بهذا كله. فإن قل: هذا متواتر. قلنا: وكفر هؤلاء وادعائهم الربوبية متواتر عند الخاص والعام والرجال والنساء، وهم الآن يُعبدون ويدعون الناس إلى ذلك، ومع هذا كله: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَحْدَ لَهُ وَلَيْتَ مُرْشِدًا﴾. ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَسَ تَمْلِكْ لَهُ مِنْ أَمْرِ شَيْءٍ﴾، ولكن إذا أمر الله بجهاد الكفار والمنافقين فلا بد من ذلك، والله أعلم.

### المسألة السابعة:

سئل جماعة عن هذه المسائل المفضدة:

الأولى: إذا رأيت حديثاً في بعض الكتب، مثل «الآداب» أو «شرح الأربعين» لأن حجر لهيتمي أو «لمنزل» أو «المشارك»<sup>(١)</sup> أو «الإفناع» أو «المنهى» وسببه صاحبه إلى الصحيحين أو بعض المساند، هل يسوغ الأخذ به والعمل به ولو لم نقف على الأصل؟

الثانية: إذا وجدنا روايتين عن الإمام أحمد مختلفتين، أو أقوالاً للأصحاب مختلفة، وكُنْ يُدلي بدليل، هل يجوز العمل بكل منهما؟ وإذا حكى بعض العلماء مثل صاحب «الفروع» أو غيره كلاماً للإمام أحمد، أو للأصحاب وأمثالهم في مسألة، ولم يذكر استدلالهم على ذلك بشيء، أو ذكر أن فلاناً قال كذا، وفلاناً قال كذا. بضد القول الأول، ما الحكم في ذلك؟ وإذا قل: الصحيح أو المذهب كذا. هل يعمل به؟

الثالثة: إذا فسر بعض الأصحاب معنى حديث واستدل به على حكم، وفسره آخر بضده واستدل به على حكم يقابل الأول، أو نقل عن الإمام تفسير حديث، أو نقل آخر عنه ضده، مثل حديث الإغلاق، قال ابن القيم عن الإمام أحمد: فُسر بالإكراه.

الرابعة: قولهم: لا إنكار في مسائل الاجتهاد، وعلى مَنْ اجتهد أو قلّد مجتهداً حياً أو ميتاً. وإذا ورد حديثان متضادان في الحكم، مثل حديث الفلتين<sup>(٢)</sup> وبئر بُصاعة<sup>(٣)</sup> ذكر بعض العلماء أن حديث بئر بُصاعة مطلق وحديث

(١) لعله: «مشارك الأنوار على صحاح الآثار»: للقاضي عياض.

(٢) أخرجه أبو داود (٦٣) والترمذي (٦٧) والنسائي (٥٢) وابن ماجه (٥١٧) وصححه الشيخ الألباني (صحيح جمع ٤١٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٦٦) والترمذي (٦٦) والنسائي (٣٢٦) وصححه الشيخ الألباني (الإرواء ٢٥).

القلتين مقيد، فيحمل المطلق على المقيد، وذكر غيره أن هذا - أي حديث لقلتين - استدلوا على صحته، وأن غيره يُحمل عليه. بأنه ﷺ سئل عن إناء ولغ فيه كلب فأمر بإراقته، ولم يسأل: هل تغير أم لا؟

الخامسة: الثلاث طلقات المجموعة، ذكر الشيخ منصور في «شرح الإقناع» وقوعها يروى عن ابن عباس وعن عمر وعلي وابن مسعود وابن عمر. قال: وعن مالك بن الحارث قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: إن عمي طلق امرأته ثلاثاً. فقال: إن عمك عصى الله وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجاً<sup>(١)</sup>. وروى النسائي<sup>(٢)</sup> بإسناده عن محمود بن لبيد قال: أخبر رسول الله ﷺ أن رجلاً طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً، فغضب وقال: «أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم!» حتى قام رجل فقال: يا رسول الله أفلا أقتله<sup>(٣)</sup> انتهى.

وأما ما روى طاووس عن ابن عباس قال: كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وخلافة أبي بكر وصدرًا من خلافة عمر؛ الثلاث واحدة... إلى آخره، فقال الأثرم: سألت أب عبد الله عن حديث ابن عباس: بأي شيء أدفعه؟ قال: أدفعه برواية الناس عن ابن عباس بوجوه خلافه. ثم ذكر عن ابن عباس خلافه من وجوه أنها ثلاث<sup>(٤)</sup>. انتهى.

السادسة: قول أهل العلم: إن اتفق الأئمة حجة واختلافهم رحمة، فما معنى كون اختلافهم رحمة؟ واحتج بهذه من اتبع المجتهدين.

(١) أخرجه عبد الرزاق (٦/ ٢٦٦) وأبو بكر ابن أبي شيبة (٥/ ١١)

(٢) أخرجه النسائي (٣٤٠١) وصححه الشيخ لألبني (غاية المرام ٢٦١).

(٣) كشف القناع (٥/ ٢٤٠ - ٢٤١).

(٤) كساف القناع (٥/ ٢٤١)

السابعة: الحلف بالطلاق، ذكر الشيخ مصور في «شرح الإقناع» نقلاً عن اختيارات أبي العباس: قال أبو العباس: تأملت نصوص أحمد فرأيت أنه يأمر باعتزال الرجل امرأته في كل يمين حلف الرجل عليها<sup>(١)</sup> انتهى. فهذا من أبي العباس يدل على أن مذهب الإمام أحمد يدل على صحة الحلف بالطلاق.

الثامنة: مسألة الوقف على الأولاد، ذكر مصنف «المنتهى» في شرحه عن مسند الحميدي أن أب بكر وسعداً وعمرو بن العاص وحكيم بن حزام تصدقوا على أولادهم بدور المدينة.

التاسعة: قوله تبارك وتعالى: ﴿يَطْئُونَ بِاللَّهِ عَيْرَ الْحَقِّ ظَنًّا بِجَهَنَّمَ﴾ وقوله: ﴿الظَّالِمُ بِاللَّهِ ظَنًّا أَلَسَّوْهُ﴾ وقوله: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَأَيْتُمُ مَا﴾ معنى سوء الظن بالله؟ وقوله: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ ما معناه؟ وما معنى إدخال البخاري إياه في كتاب الطب؟<sup>(٢)</sup>

وكذلك الحديث الذي أورده «ما من مسلم يصيبه أذى...»<sup>(٣)</sup> فإن فسرتم الأذى بجميع المكروهات، كما هو المشهور من معنى اللفظ الأخير «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى...»<sup>(٤)</sup> فعطف الأذى على ما تقدم، والعطف يقتضي المغايرة، هل المراد الذي لم يصدر منه شرك بالكية أم لا؟

وما معنى قولهم: من الشرك التصنع للمخلوق المسلم، وخوفه ورجاؤه؟

(١) اختيارات لفقهة (١/ ٥٧١) وكشف لئاع (٥/ ٢٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤٠) ومسلم (٢٥٧٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٤٧) ومسلم (٢٥٧١).

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٤١).



وهل المراد به الشرك الأكبر أو الأصغر؟

وقوله: «أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن بي خيرًا فله، وإن ظن بي شرًا فله»<sup>(١)</sup>  
وما معناه؟

والحديث الذي فيه النهي عن قيل وقال، وعن كثرة السؤال، وإصاعة المال؟<sup>(٢)</sup>

وقوله ﷺ: «الشوم في ثلاثة: في المرأة والولد والفرس»<sup>(٣)</sup> ما معناه؟  
وترك الخارص الثلث أو الرابع، هل هو صحيح أم لا؟ فإن قلت: لا. فما معنى  
الحديث الذي استدل به من جوزه، وهو قوله للعباس: «هي علي ومثلها معها»؟<sup>(٤)</sup>  
وقوله: «الماهر في القرآن مع السفارة الكرام البررة، والذي يقرؤه وهو عليه  
شاق له أجرا»<sup>(٥)</sup> هل المراد حفظ حروفه ويحصل الفضل بذلك، أم لا،  
والحفظ مع فهم المعاني؟ وما معنى المشقة والتعهد؟  
وما معنى قوله: «طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الثلاثة»<sup>(٦)</sup>  
أفتونا مأجورين؟

فأجاب رحمه الله:

اعلم، أرشدك الله، أن الله ﷻ بعث محمدًا ﷺ بالهدى الذي هو العلم

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٣٩١) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٤٣١٥)

(٢) أخرجه البخاري (١٤٧٧) ومسلم (٥٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٠٦).

(٤) أخرجه البخاري (١٤٨٦) ومسلم (٩٨٣).

(٥) أخرجه لبحري (٤٩٣٧) ومسنده (٧٩٨).

(٦) أخرجه مسلم (٢٠٥٩)

النافع. ودين الحق الذي هو العمل الصالح، إذا كان من ينسب إلى الدين منهم من يتعاني بالعلم والفقه ويصول به كالفقهاء، ومنهم من يتعاني العبادة وطلب الآخرة كالصوفية، فبعث الله نبيه بهذا الدين الجامع للنوعين. ومن أعظم ما امتن الله به عليه وعلى أمته أن أعطاه جو مع الكلم، فيذكر الله تعالى في كتبه كلمة واحدة، تكون قاعدة جامعة، يدخل تحتها من المسائل ما لا يحصى، وكذلك يتكلم رسول الله ﷺ بالكلمة الجامعة. ومن فهم هذه المسألة فهما جيدا فهم قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وهذه الكلمة أيضا من جوامع الكلم؛ إذ الكامل لا يحتاج إلى زيادة، فعلم منه بطلان كل محدث بعد رسول الله ﷺ وأصحابه، كما أوصانا بقوله: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعصوا عليها بالنواجز، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»<sup>(١)</sup> فهم معنى قوله: ﴿فَإِنْ لَنُزَعْنَهُمْ فِي شَيْءٍ قَرَدُوهُ إِلَى نُصْوِ الرَّسُولِ﴾ فإذا كان الله سبحانه قد أوجب علينا أن نرد ما تنازعنا فيه إلى الله، أي في كتابه، وإلى الرسول، أي إلى سنته، علمنا قطعاً أن من ردّ إلى الكتب والسنة ما تنازع فيه الناس وجد فيه ما يفصل النزاع، وهذه كلمات يسيرة تحتاج إلى بسط طويل. وتشير إلى حظ جليل. وإنما قدمتها لأن من عرفها انجلى عنه إشكالات كثيرة في مسائل لا تحصر، منها بعض هذه المسائل والمسئول عنها، من ذلك جواب:

المسألة الثانية: إذا اختلف كلام أحمد وكلام أصحابه، فنقول: في محل النزاع التّراؤ إلى الله والرسول. لا إلى كلام أحمد، ولا إلى كلام أصحابه، ولا

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجة (٤٢) والإمام أحمد (٤)،

(١٢٦) وصححه الشَّح الأسدي (صحيح الجمع ٢٥٤٩)

إلى الراجح المرجح من الروايتين والقولين خطأ قطعاً، وقد يكون صواباً.

وقولك: إذا استدل كل منهما بدليل. فالدلائل الصحيحة لا تتناقض، بل يصدق بعضها بعضاً. نكر قد يكون أحدهما أخطأ في الدليل، إما مستدلاً بحديث لا يصح، وإما فهم من كلمة صحيحة مفهوماً مخطئاً.

وبالجملة؛ فمهما رأيت الاختلاف فردّه إلى الله والرسول. فإذا تبين لك الحق فاتبعه، فإن لم يتبين واحتجت إلى العمل فقلّد مَنْ تثق بعمله ودينه.

وهل يتخير الرجل عند ذلك، أو يتحرى، أو يقلّد الأعم أو الأورع؟ فيه كلام ليس هذا موضعه، فتبين بهذا جواب المسألة الثانية والثالثة والرابعة.

وأما المسألة الأولى: فإن كان صاحب الدلائل ثقة مأموناً ونسبه إلى الصحيحين وغيرهما جاز العمل بقوله، ولا أحد منع ذلك.

وأما المسألة الخامسة: وهي قول مَنْ قال: لا إنكر في مسائل الاجتهاد. فجوابها يُعلم من القاعدة المتقدمة. فإِنْ أَرَادَ الْقَائِلُ مَسَائِلَ الْخِلَافِ كُلِّهَا، فَهَذَا بَاطِلٌ يَخَالِفُهُ إِجْمَاعُ الْأُمَّةِ، فَمَا زَالَ لَصْحَابُهُ وَمَنْ بَعْدَهُمْ يَنْكُرُونَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَوْ أَخْطَأَ كَاتِبًا مَنْ كَانَ، وَلَوْ كَانَ أَعْلَمَ النَّاسَ وَأَتْقَاهُمْ، وَإِذَا كَانَ اللَّهُ قَدْ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْهُدَى وَدِينَ الْحَقِّ، وَأَمَرَنَا بِالتَّبَعِ وَتَرْكِ مَا خَالَفَهُ، فَمَنْ تَمَامَ ذَلِكَ أَنْ مَنْ خَالَفَ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَخْطِئًا فِيهِ عَلَى خَطْئِهِ وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ.

وإن أريد مسائل الاجتهاد. مسائل الخلاف التي لم يتبين فيها لصواب، فهذا كلام صحيح، لا يجوز للإنسان أن يُنكر الشيء لكونه مخالفًا لمذهبه، أو لعادة الناس. فكيف لا يجوز للإنسان أن يأمر إلا بعلم. لا يجوز أن يُنكر إلا بعلم، وهذا كله داخل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ نَكَ بِهِ عِمْ﴾.

وأما المسألة السادسة: وهي قولك إذ. ورد حديثان متضدان، مثل حديث

القلنين وحديث بشر بُضاعة... الخ، وهذه عبارة لا ينبغي، إلى أن قل: وحاشا كلام الله وكلام رسوله من التضاد، بل كنه حق، يُصدق بعضه بعضاً، والواجب على المؤمن في مثل هذا أن يُحسن الظن بكلام الله وكلام رسوله، ويقول كما أمر الله به: ﴿أَمَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ فإذا تبين له الحق فليقل به ويعمل به، وإلا فليُمسك وليقل: الله ورسوله أعلم. فإن الله تعالى ابتلى الناس بالمشابهة، كما ابتلاهم بالمحكم، ليعلم مَنْ يقف حيث وقفه الله، ممن يقول على الله بلا علم.

نعم، قد يرد حديثان متضادان، ولكن أحدهما ليس بصحيح، وقد يكون أحدهما ناسخاً، لكنه قليل جداً، ومع ذلك لا يرد المنسوخ إلا وقد يرد ما يثبت به.

وأم قولك: ما يسوغ لمثلنا؟ فالذي يسوغ، بل يجب، ما وصفت لك، وهو طلب عدم ما أنزل الله على رسوله وردّ ما تنازع فيه المسلمون، فإن علّمه الله شيئاً فيقل به، وإلا فليُمسك ويقول: الله أعلم. ويجعله من العلم الذي لا يعرفه، فهو بلغ الإنسان في العلم ما بلغ؛ لكان ما عدمه قليلاً بالنسبة إلى ما لم يعلمه، وقد قل تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

وأما المسألة السابعة: فكونها مروية عن الصحابة فمُسمّم، ويكفي في ذلك ما ورد عن المُحدّث المُتَّهم الذي أمرنا باتّباع سنده، ثاني الخلفاء، عمر بن الخطاب، ولكن ليس في هذا ما يرد القول الآخر.

وأم الحديث: «أُلْعِبَ بكتاب الله وأنا بين أظهركم؟» فهذا يدل على أن جمع الثلاث لا يجوز.

وأما كونه ألزم بها، فلم يُذكر في الحديث، والذي يقول إنها واحدة لا يقول إن التنفّظ بها يجوز، بل يقول هو منكر من القول ورور، كما في الحديث.

وأم رد الإمام أحمد رحمه الله، ذلك بمخالفة رواية له، فهذه منية على مسألة

أصولية، وهي أن الصحابي إذا أفتى بخلاف ما روى هل بقدرح فيه؟ والصحيح أنه لا بقدرح فيه، فإن الحجة في روايته لا في رأيه، وبالجمله فالمسألة مسألة ضويلة لعل المذاكرة تقع فيها شفاهاً.

وأما المسألة الثامنة: وهي قول من قال: اتفاق العلماء حجة واختلافهم رحمة. فليس المراد به الأئمة الأربعة، بل إجماع الأمة كلهم، وهم علماء الأمة.

وأما قولهم: اختلافهم رحمة. فهذا باطل، بل الرحمة في الجماعة، والفرقة عذاب، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ تُخْفِفُونَ﴾ \* لَا مَن رَّجِمَ رَبُّكَ ﴿ فلما سمع عمر أن ابن مسعود وأبياً اختلفا في صلاة الرجل في الثوب الواحد، صعد المنبر وقال: اثنان من أصحاب رسول الله ﷺ فعن أي فتيةكم يصدر المسلمون؟ لا أجد اثنين اختلفا بعد قيامي هذا إلا فعلت وفعلت<sup>(١)</sup>.

لكن قد روي عن بعض التابعين أنه قال: ما أحسب اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ إلا رحمة للناس، لأنهم لو لم يختلفوا لم يكن رخصة، ومراده شيء آخر غير ما نحن فيه، ومع هذا فهو قول مستدرك؛ لأن الصحابة بأنفسهم ذكروا أن اختلافهم عقوبة وفتنة.

وأما المسألة التاسعة: وهي مسألة الحلف بالطلاق، فغاية ما ذكره أنه مذهب أحمد، ومذهب غيره يخالفه، ومن كانت الحجة معه فهو المصيب.

وأما مسألة الوقف بالكلام فيها طويل يحتاج إلى مذاكرة. وبالجمله؛ فلا نذكر إلا ما خالف أمر الله ورسوله، وصريفة الصحابة

(١) أخرجه اس أبي شيه (١/ ٢٧٧) والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢٣٨)

وأتباعهم، وأما ما فعله الصحابة فعلى الرأس والعين.

وأما قوله تعالى: ﴿تَطُوتُ نَارَهُ عَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَنَّةِ﴾ وقوله: ﴿الطَّائِبَ بِأَنَّهُ طَرِبَ السَّوْءَ﴾ فقد بسط الكلام عليها في «الهدى»<sup>(١)</sup> على وقعة أحد، وقد فسرهُ بأشياء كثيرة نقولها ونعتقدُها، ولا نَظن إلا أنها عقل وصواب، فتأمل كلامه تأملًا جيدًا.

وأما قوله: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ وإدخال البخاري لها في كتاب الطب، فمراد البخاري أن هذه الأمراض التي يكرها، لعبد هي مما يُكفر الله بها عن المؤمن سيئته ويُطهره بها؛ لأن قوله: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ عدم في جزاء لَدُنِي والآخرة. وأما إدخاله هذا في كتاب الطب فواضح، وأهل العنم يذكرون في الباب ما هو أبعد من هذا تعلقًا واستطرادًا.

وأما قوله: «ما من مسلم يصيبه أذى...» فهو عدم، وأما عطف الأذى على الوصب ولنصب والهَم، فمن عطف العدم على الخاص، وهو كثير جدًا في كلام العرب وفي كلامنا.

وأما سؤالكم: هل هذا في المسلم الذي لم يصدر منه شرك بالكلية؟ أم الشرك الذي يصدر من المؤمن، وهو لا يدري، مع كونه مجتهدًا في اتباع أمر الله ورسوله، فأرجو ألا يُخرجه هذا من الوعد، وقد صدر من لصحابة أشياء من هذا الباب. كحلفهم بأبائهم وحلفهم بالله، وقولهم: ما شاء الله وشاء محمد. وقولهم: جعل لنا ذنوبًا. ولكن إذا كان لهم لحق انعوه، ولم يجادلوا فيه حمية الجاهلية لمذهب الأبناء والعادات.

وأما الذي يدعي الإسلام، وهو يفعل من الشرك الأمور العظام، فإذا تليت

عليه آيت الله استكبر عنها، فليس هذا بالمسلم. وأم الإنسان الذي يفعلها بجهالة. ولم يتيسر له من ينصحه. ولم يطب العلم الذي أنزله الله على رسوله. فقد أخلد إلى الأرض واتبع هواه، ولا أدري ما حاله.

وأما قول من قال: من الشرك التصنع للمخلوق. فلعل مراده التصنع بطاعة الله الذي يسمى الرياء، وهو كثير جدًا، فهذا صحيح في أمور لا يفتن لها صاحبها.

وأما خوف المخلوق، فالمراد به الخوف الذي يحملك أن تترك ما فرض الله عليك، وتفعل ما حرّم الله عليك. خوفًا من ذلك المخوق.

وأما الرجاء، فلعل المراد الذي يُخرج العبد عن التوكل على الله والثقة بوعدده، وكل هذه الأمور كثيرة جدًا.

وأما قوله: «الشؤم في ثلاث...» الخ، فهذا أشكل على من قبلنا، حتى إن عائشة كذّبت وقالت: هذا كلام أهل الجاهلية<sup>(١)</sup>. ولكنه صح، وقد تكلموا في تفسيره، ولم يتبين لي معناه، والله أعلم بمراد رسوله.

وأما ترك الخارص الثث، فقد سمع الجماعة فيها ما تيسر؛ وبالجملّة فأرجح الأقوال فيها عندي قول أكثر أهل العلم أنه غير مطرد، بل يترك قدر ما يأكله ويخرجه رطبًا باجتهاد الخارص، وعلى هذا تجتمع الأدلة، ويصدق بعضها بعضًا.

وأما ما ورد من الفضل في حفظ القرآن: هل المراد حفظه مع حفظ المعاني؟ فلا يحضرني جواب يفصل المسألة. ولكن حفظه مع عدم الفهم لا يوجد، فهذا

(١) أخرجه الطبري في تهذيب لأثره، مسند عبي (٣٧).

من النبي ﷺ والخلفاء لا أعلمه. وأظنه لو وجد في زمانهم لكان مشهوراً، كشهرة الرجل الذي يُسمى عندنا «حمر الفروع»! لما ذكر أنه يحفظ الفروع ولا يفهمه. وقد قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُمِنُوا النَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ لُجَمَارٍ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ وذكر ابن القيم<sup>(١)</sup> أن هذه لو نزلت في التوراة فالقرآن كذلك لا فرق بينهما، ولذلك ذم الذين يقرأون بلا فهم، كقوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانًا﴾ أي: تلاوة بلا فهم. والمراد من إنزال القرآن فهم معانيه والعمل به، لا مجرد تلاوته.

وأما قوله: «طعام الواحد يكفي الاثنين...» الخ، فلا أعلم له معنى غير ظاهره. وأما إغلاق الباب وقت الجذاذ، فلا أتجسر على الجزم بتحريمه، ولكن أظنه لا يجوز في هذا المعنى من الكتاب والسنة وكلام أهل العلم، من ذلك ما ذكره الله في سورة ﴿ت﴾ عن أصحاب الجنة ﴿إِذْ اقْبَسُوا يَقْرِئُهَا مُضِيغِينَ﴾ وهم لم يغلقوا الباب، بل تحيلوا بالصرام في وقت يأتي فيه المساكين.

وأما تأخير الزكاة فلا يجوز، ومن استدل بحديث: «هي علي ومثلها معها» فقد أخطأ خطأ واضحاً، الأول: أن ظني أن الحديث لا يدل على المسألة المستول عنها، فإن المسألة المستول عنها أن صاحب المال هل يحل له تأخير الزكاة عن وقتها لحاجة أو غيرها؟ والمسألة التي قل بعض أهل العلم: الحديث يدل عليها. ليست هذه. بل إذا رأى الإمام أو الساعي أن يؤخر الزكاة لمصلحة، وهذه مسألة غير الأولى. والدليل أن أحمد سئل عن تأخير الزكاة فمنعه وتندد فيه، وسئل عن الساعي إذا أراد تأخيرها في سنة مجدبة فرخص له، واستدل بفعل عمر.



مثال ذلك: أن ولي اليتيم إذا قيل له إنه يجوز له بيع عقاره لمصلحة، هل يحل لأحد أن يستدل بهذه المسألة، إذا كان عندهم ليتيم دار أو عقار لا يعلم بها وليه، فأراد أن يعطي الولي أو اليتيم عنها لمصلحة المعطى، هل يقول أحد إن هذا جاز؟ ولو استدل أحد على جوازه، يبيع وليه عقاره لمصلحة لعدّه لناس ضحكة.

فينبغي لطالب العلم أن يتفطن لصورة المسألة في الدليل الذي يدل عليها، أو يحيل نظره في ذلك، فإن كثيراً من الأغاليط وقعت في مسألة واضحة جداً، ويستدل بشيء من القرآن أو السنة، وهو لا يدل على ذلك، كما فعله الرافضة والقدرية والجهمية وغيرهم، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ الآية. فنسأل الله تعالى أن يهدينا لما يحبه ويرضاه.

### المسألة الثامنة:

سئل الشيخ رحمه الله، عن توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الصفات، فأجاب:

توحيد الربوبية هو الذي أقرّ به الكفار، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ وأما توحيد الألوهية فهو إخلاص العبادة لله وحده من جميع لخلق؛ لأن الإله في كلام العرب هو الذي يُقصد للعبادة، وكانوا يقولون: إن الله سبحانه هو إله الآلهة، لكن يجعلون مع إله الآلهة أخرى، مثل الصالحين والملائكة وغيرهم، يقولون: إن الله يرضى هذا، ويشفعون لنا عنده.

فإذا عرفت هذا معرفة جادة؛ تبين لك غرّة الدين، وقد استدل عليه سبحانه

بإقرارهم بتوحيد الربوبية على طلاق مذهبهم، لأنه إذا كان هو المدرس وحده، وجميع من سواه لا يملكون مثقال ذرة، فكيف بدعوه؟ أيدعون غيره معه مع إقرارهم بهذا؟

وأما توحيد الصفات فلا يستقيم توحيد الربوبية ولا توحيد الألوهية إلا بالإقرار بالصفات، لكن الكفار أعقل ممن أنكر الصفات، والله أعلم.

### المسألة التاسعة:

سُئِلَ ﷺ: ما قول الشيخ ﷺ، في تسمية المعبودات أرباباً، إذ الرب يُطلق على المالك، والمعبود على الإله، وكل اسم من أسمائه، جل وعلا، له معنى يخصه بالتخصيص دون التداخل بالتعميم.

والجواب: الرب والإله في صفة الله، تبارك وتعالى، متلازمة غير مترادفة. فالرب من الملك والتربية بالنعيم. والإله من التأله، وهو القصد لجلب النفع ودفع المضرة بالعبد. ولذلك صارت العرب تُطلق الرب على الإله، فسموا معبوداتهم أرباباً من دون الله لأجل ذلك، أي لكونهم يسمون الله رباً بمعنى إلهًا.

### المسألة العاشرة:

سُئِلَ ﷺ، عن مسائل:

الأولى: أحاديث لوعده والوعيد، وقول وهب بن منه: «مفتاح الجنة: لا إله إلا الله...» الخ<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري تعليقاً في كتاب الحديث، باب: في الحائز، ومن كان آخر كلامه (لا إله إلا الله) انظر: فتح الباري (٣/ ١٠٩) وقال لوصيري: رواه إسحاق بن راهويه بإسناد حسن (إنحرف لحررة ٨/ ٢٣٠)

الثانية: حديث أنس: «مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا...» الخ<sup>(١)</sup>.

الثالثة والرابعة: شيء من أحاديث الوعد والوعيد.

الخامسة: الحديث الذي فيه «يُخْرِجُ مِنْ ثَقِيفٍ كَذَاب...» الخ<sup>(٢)</sup>.

السادسة والسابعة: قوله: «أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ...» الخ<sup>(٣)</sup>.

فأجاب: الحمد لله، الذي يجب العلم به أن كل ما قال الرسول حق يجب الإيمان به، ولو لم يعرف الإنسان معناه، وفي القرآن آيات في الوعد والوعيد كذلك، وأشكل الكل على كثير من الناس، من السلف ومن بعدهم، ومن أحسن ما قيل في ذلك: اقرأوها كما جاءت. معناه: لا تتعرضوا لتفسير لا علم لكم به. وبعض الناس تكنم فيها ردًا لكلام الخوارج والمعتزلة الذين يكفرون بالذنوب، ويخلدون أصحابها في النار، أنه ينفي الإيمان عن بعض الناس لكونه لم يتمه، كقوله للأعرابي: «صَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تَصَلِّ».

والجواب الأول أصوب وأهون وأوسع، وهو الموافق لقوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ۚ مَتَّأ بِهٖ كُلُّ مَنۢ عِنْدَ رَبِّنَا﴾ الآية.

إذا فهت ذلك فالمسألة الأولى واضحة، ومراده الرد على مَنْ ظن دخول الجنة بالتوحيد وحده بدون الأعمال، وأما إذا أتى به وبالأعمال، وأتى بسيئات

(١) أخرجه البخاري (٣٩١).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٢٢٠، ٣٩٤٤) وصححه شيخ لأُسْنِي (صحيح الجامع ٤٢٥٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) ونُطْطَه. «وأهل الجنة ثلاثة» دو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال» دل «وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له، الذين هم فيكم تبعًا، لا يبتغون أهلًا ولا مالا، والخائن الذي لا يخفى له صمغ وإن دق إلا خانته، ورجل لا يصح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلِكَ ومالك» وذكر الحسن أو الكذب والشنصير الفحاش

ترجح على حساته، أو نُحِطَ عمه، فلم تتعرض وهب لذلك بقي ولا إثنت، لأن السائل لم يُردّه.

وأما الثانية: وهي قوله: «مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا...» فهو على ظاهره، معناه: لو عُرِفَ منه النفاق، فما أظهره نفاق وعليه وباله، وإلا فمعلوم أن مَنْ صَدَّقَ مسليمة، أو أنكر البعث، أو أنكر شيئاً من القرآن، أو غير ذلك من أنواع الردة، أنه لم يدخل في الحديث.

وأما الثالثة والرابعة: التي فيها أحاديث الوعد والوعيد؛ فسبق الجواب عنهما.

وأما قوله: أما الكذاب فقد عرفناه<sup>(١)</sup>. هو رجل من ثقيف، خرج يطلب بدم الحسين وأهل البيت، وانتصر، وقتل مَنْ قَتَلَهُمْ، ثم ملك العراق، وغلط مرة فسُيِّرَ إليه ابن الزبير عسكرياً، فقتلوه وفتحوا العراق، لأنه أظهر الزندقة وادعى النبوة. وأما المبير، وهو الذي يفني الناس بالقتل، فهو الحجاج المعروف. وأما السادسة: فلا عدت أن الحديث صحيح.

وأما السابعة: فقوله: «كل ضعيف» فهو ضد القوي. والمتضعف قيل إنه المتواضع، و«العتل» قيل هو الغبيظ الجافي، و«الزيم» المعروف بالشر، والمتكبر معروف، والذي لا زَبَرَ له فسره بقوله: «لا يبتغون أهلاً ولا مالاً» و«الشنظير» فسره بلغاش، وباقي الأوصاف في الخير ولشر معروفة.

### المسألة الحادية عشرة:

سُئِلَ بَحْثُهُ، عن الوعيد فيمن حفظ القرآن ثم نسيه، هل هو صحيح أم غير

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (٢٢٣٣).

ذلك؟ أيضًا: نهني عبد الوهاب في خطه للموصلي أنك ما رضيت قوله: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في مشيئته وإرادته، حتى إني أفكر فيها، ولا بان لي فيه شيء أيضًا سوى المذكور عند النووي. «اللهم إني أسلمت نفسي إليك...» إلخ<sup>(١)</sup>. بين لي معناه جزاك الله خيرًا.

الجواب: الوعيد فيمن حفظ القرآن ثم نسيه ثابت عند أهل الحديث، فإن كنت قد حفظت القرآن أو شيئًا منه ثم نسيته فودي أن تعود إليه.

وأما قوله في الخطبة: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في مشيئته وإرادته، فعجب، كيف يخفى عليك هذا؟ والشهادة للألوهية، والمذكور في الخطبة توحيد الربوبية الذي أقر به الكفار.

وأما قوله: «اللهم إني أسلمت نفسي إليك» فترجع إلى الإخلاص والتوكل، ولو كان بينهما فروق لطيفة، والله أعلم.

### المسألة الثانية عشرة:

قال السائل: عفا لله عنك، خطبتُ ووقفْتُ على: (يوم يبعث من في القبور، ويحصل ما في الصدور)، ثم قلت: جعلنا الله وإياك من الأمنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، برك الله لي ولكم... إلخ، ولا فطنت إلا بعدما انقضت الصلاة. وُردت أن أمر المؤذن يؤذن ونعبد الخطبة والصلاة، ثم تأملت: (يوم يبعث ما في القبور ويحصل ما في الصدور)، وإذا كأنها آية تقوم بالمعنى وتجزئ، ثم كثر عليّ الهم ولتردد.

(١) أخرجه البخاري (٦٣١١) ومسلم (٢٧١٠).

وأيضاً، عفا الله عنك، عندي دببش ولي عييل<sup>(١)</sup>، وحابر، تطمع نفسي لمزلة الفقراء، ولو لم يكن إلا سبقهم إلى الجنة بما ذكر. ويعارض ذلك: أي الفقير الصابر أو الغني الشاكر أفضل. وقوله ﷺ: «إن تذر ورثتك...» الح<sup>(٢)</sup> بين لي حد الشكر وحد الصبر.

أيضاً قوله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله. صادقاً...» الحديث، واللفظ الآخر «مخلصاً، دخل الجنة» ما معنى الصدق والإخلاص؟ والفرق بينهما. أيضاً: حديث البطاقة<sup>(٣)</sup> وما معه من سجلات الذنوب حتى وضعت في كفة، والبطاقة في كفة، فرجحت بتلك السجلات لما تضمنت من الإخلاص.

وما تقول فيمن خالف شيئاً من واجبات الشريعة ماذا يقع عليه؟

وما معنى: «كل ذنب عصي الله به شرك»؟

وهل يقع في جزء من الكفر؟ والمراد به الكفر بالله أو بالإله مع صغره؟

(١) الدببش: تصغير الدبش، وهو الحيوان الذي يُقتنى؛ كالإبل والبقر والغنم. والعييل: جمع: العيال.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩٥) ومسلم (١٦٢٨).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩) وابن ماجه (٤٣٠٠) وصححه الشيخ الأناني (صحيح لجمع ١٧٧٦)، ونصه: قل ﷺ: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعين سحلاً، لكل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتُنكر من هذا شيء؟ أظلمك كتبي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: ألك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول الله تعالى: بلى إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم. فُخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: فإنك لا تُظلم، فتوضع السجلات في كفه، والبطاقة في كفه، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، لا ينقل مع اسم الله شيء»

وما معنى قول من قال: كفر دون كفر؟ وقول من قال: نعمة أي نعمة؟

أيضا: وماذا ترى في الرؤيا التي ذكرت لك؟

أيضا: تفكرت في الإيمان قوته وضعفه، وأن محبه القلب، وأن التقوى ثمرته مركبة عليه، فبقوته تقوى ويضعفه تضعف، وهذا فهمي، ولكن ورد علي شبهة: أعرف ممن خالف دين الإسلام وصد عنه تقوى من بعض التعدييات، ولاسيم أموال الناس. وإلا العبادة البدنية والمالية مثل الصلاة والزكاة تكون عادة وفطرة، أي شيء ترى في ذلك منه؟ وما ذكرت لك في أول السؤال صحيح أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق:

أما مسألة الخطبة في الجمعة فلا علمت فيها خلاف، وأرجو أن تكون تامة. وأما مسألة الغنى والفقر، فلصابر والشاكر، كل منهم من أفضل المؤمنين، وأفضلهما أتقاهما، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ وأما حد الصبر وحد الشكر فلا عندي علم، إلا المشهور بين العلماء أن الصبر عدم الجزع، والشكر أن تطيع الله بنعمته التي أعطاك.

وأما قوله: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ صَادِقًا» والحديث الآخر: «مُخْلِصًا» فمسألة الصدق والإخلاص كبيرة، ولما ذكر الإمام أحمد الصدق والإخلاص قال: بهم ارتفع القوم. ولكن يقربها إلى الفهم التفكير في بعض أفراد العبادة؛ مثل الصلاة والإخلاص؛ فالإخلاص فيها يرجع إلى إفراده عما يخالف كثيرا من الرياء والطبع والعبادة وغير ذلك، والصدق يرجع إلى إيقاعها على المشروع، ولو أبغضه الناس في ذلك.

وحديث البطاقة ذكر الشيخ أنه رُزِقَ عند الخاتمة قولها على ذلك الوجه، والأعمال بلخواتيم، مع أن على بقیته إشكالا، والله أعلم.

وَمَا مَعْنَى: «كُل ذَنْبٌ عَصَى اللَّهَ بِهِ شَرْكَ أَوْ كُفْرٌ» فالشرك والكفر نوع. والكبائر نوع آخر. والصغائر نوع آخر. ومن أصرح ما فيه حديث أبي ذر فيمن لقي الله بالتوحيد قوله: «وإن زنى وإن سرق»<sup>(١)</sup> مع أن الأدلة كثيرة. وإذا قيل: مَنْ فعل كذا فقد أشرك أو كفر. فهو فوق الكبائر، وما رأيت مني ما يخالف ما ذكرت لك فهو بمعنى الذي هو أخفى من ديب النمل. وقول القائل: كفر نعمة، خطأ رَدَّه الإمام أحمد وغيره. ومعنى أنه ليس يخرج من الملة مع كبره.

والرؤيب أرجو أنها من البشرى، ولكن الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره.

وقولك: إن الإيمان محله القلب؛ فالإيمان أجمع السلف على أن محله القلب والجوارح جميعاً، كما ذكره الله تعالى في سورة الأنفال وغيرها. وأما كون الذي في القلب والذي في الجوارح يزيد وينقص فذاك شيء معلوم؛ فليسف يخافون على الإنسان إذا كان ضعيف الإيمان سَلِبَ الإيمان كله.

وأما الشبهة التي وردت عني؛ إذا كان الرجل مخالفاً دين الإسلام ويصد عنه، ولكن فيه ورع عن بعض المحرمات، فأنت خابر أن الإنسان يكفر بكلمة واحدة، فكيف الصد عن سبيل الله؟ واذكر قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنزِلَ اللَّهُ فَاحْطَ أَقْمَالَهُمْ﴾ فإذا كنت الكراهة تحبط الورع الذي تذكر، كيف الصد مع الكراهة؟ واليهود والنصارى فيهم أهل زهد أعظم من الورع، والله أعلم.

### المسألة الثالثة عشرة:

سُئِلَ يَحْيَى: ما يقول الشيخ. شرح الله صدره ويسر أمره. في مسائل أشكت عليّ، فيما يحب علينا من معرفه الله إذا كان موحب الإلهية الربوبية، وأشوفك

(١) أخرجه البخاري (١٢٣٧) ومسنده (٩٤).



قيل التعرّيج عليها عند تقرير التوحيد للألوهية، ويشكل عليّ أبضاً كون مشركي العرب أقروا به، يكون من غير معرفة لوضوحه، أم توغلوا في التقليد ولم يلتفتوا للحقيقة الموجبة للعبادة، أم رعمتم أن هذا شيء يرضاه الرب، أم كيف الحال؟ وأيضا كلمة التوحيد كونها محتوية على جميع الدين، من إنزال الكتب وإرسال الرسل، أنها نافية جميع المقصودات المسماة بالآلهة الباطلة، إذا حدها القصد، فتسمى بذلك من غير استحقاق؛ لأنها مخلوقة مربوبة مقهورة، والواحد في القصد هو الواحد في الخلق، أرى بعض الناس تكلم في معناها وعلمها، وأن لفظها مجردة من غير معرفة لا يفيد شيئا، لكن نظرت في حديث الشفاعة الكبرى عند قوله: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ وإخراجه العصاة من أمته بؤذن ربه، حتى قال: «إذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله»<sup>(١)</sup> هذا مشكل عليّ جدّا، وفهمي قاصر عن معرفته، إذا كان كلمة التوحيد هي الغاية وتقييدها بالمعرفة مع العمل، وإخراجه ﷺ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَىٰ مِثْقَلِ ذَرَّةٍ خِرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ، فأنت جزاك الله خيرا بيّن لي معنى هذه الكلمة، لا أَضِلُّ ولا أَضِلُّ. وأخبرك يوم أنا غافل عن الفهم في الربوبية، ما فهمي جيد في الألوهية، فلما بان لي شيء من معرفتها، وتضح لي بعض المعرفة في الألوهية بضرب المثل: أن فيصل ما استعبد لعريعر إلا لأجل كبر ملك عريعر، مع أنه قبيل له<sup>(٢)</sup>، وأظن غالب الناس كذلك، وفيهم مَنْ لا يرى الربوبية ولا يعتبرها، أو يتهاون بها، وهذا نسمعه من بعضهم، فجزاك الله خيرا، صرّح لي بالجواب.

فأجاب: إلى الأخ حسن، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٠) ومسلم (١٩٣).

(٢) عريعر بن دجين، حاكم الأحساء (ت ١١٨٨هـ). وفصل، لعمه فيصل بن سويط، شيخ قبيلة الطمير (ت ١١٨٩هـ) وقبيل له: أي مثيل له وفي مكنه

سرني ما ذكرت من الإشكال، وانصرفك إلى الفكر في توحيد الربوبية، ولا يخفك أن التفصيل يحتاج إلى طول، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله.

فأما توحيد الربوبية فهو الأصل، ولا يغلب في الإلهية إلا من لم يعطه حقه، كما قال تعالى فيمن أقر بمسألة منه: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَقَّهٖ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ ومما يوضح لك الأمر أن التوكل من نتيجته، والتوكل من أعلى مقامات الدين ودرجات المؤمنين. وقد تصدر الإنابة والتوكل من عابد الوثن بسبب معرفته بالربوبية، كما قال تعالى: ﴿وَوَدَّاعَسَ الْإِنسَانُ ضُرَّ دَعَا رَبِّهٖ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ الآية، وأما عبادته ﷺ بالإخلاص دائماً في الرخاء والشدة فلا يعرفونها، وهي نتيجة الإلهية، وكذلك الإيمان بالله واليوم الآخر والإيمان بالكتب والرسول وغير ذلك، وأما الصبر والرضا والتسليم والتوكل والإنابة والتفويض والمحبة والخوف والرجاء فمن نتائج توحيد الربوبية، وكذلك توحيد الألوهية هو أشهر نتائج توحيد الربوبية، وهذا وأمثاله لا يعرف إلا بالتفكير لا بالمطالعة وفهم العبارة. وأما الفرق بينهما؛ فإن أفرد أحدهما مثل قوله: ﴿إِنَّ إِلَٰهَ يَك قَالُوا رَبُّنَّ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ فهو توحيد الإلهية، مثل قوله: ﴿فَاعْبُدْهُنَّ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ وأمثلة ذلك، فإذا قرن بينهما فُسرَت كل لفظة بأشهر معانيها؛ كالفقير والمسكين.

وأما ما ذكرت من أهل الجاهلية، كيف لم يعرفوا الإلهية إذا أقروا بالربوبية، فهل هو كذا وكذا، فهو بمجموع ما ذكرت وغيره، وأعجب من ذلك ما رأيت وما سمعت. ممن يدعي أنه أعلم الناس ويفسر القرآن ويشرح الحديث بمجلدات، ثم يشرح البردة<sup>(١)</sup> ويستحسنها، ويذكر في تفسيره وشرحه للحديث

(١) القصيدة المشهورة في مدح النبي ﷺ؛ لموصري (ت ٦٩٦هـ). وهي محتوية بالعلو والشركية. انظر فقه في رسالة «اعوادح لعقيدية في فصيحة البصري الردية» للشح أحمد اسمي، ضمن كتابه «ثلاث رسائل في لدفع عن لعقيدة» (ص ٥ - ٢٧٦)

أنه أشرك، ويموت ما عرف ما خرج من رأسه، هذا هو العجب العجيب، أعجب بكثير من أناس لا كتب لهم، ولا يعرفون جنة ولا ناراً، ولا رسولاً ولا إلهاً.

وَأَمَّا كَوْنُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) تَجْمَعُ الدِّينَ كُلَّهُ، وَإِخْرَاجُ مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّارِ إِذَا كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ، فَلَا إِشْكَالَ فِي ذَلِكَ، وَسِرُّ الْمَسْأَلَةِ أَنَّ الْإِيمَانَ يَتَجَزَّأُ، وَلَا يَنْزِمُ مِنْ ذَهَابِ بَعْضِهِ ذَهَابُ كُلِّهِ، بَلْ هَذَا مَذْهَبُ الْخَوَارِجِ، فَالَّذِي يَقُولُ الْأَعْمَالُ كُلُّهَا مِنْ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فَقَوْلُهُ الْحَقُّ، وَالَّذِي يَقُولُ: يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ يَقُولُهَا وَفِي قَلْبِهِ مِنَ الْإِيمَانِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ؛ فَقَوْلُهُ الْحَقُّ، وَالسَّبَبُ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنَ التَّجَزُّؤِ، وَبِسَبَبِ الْغَفْلَةِ عَنِ التَّجَزُّؤِ غَلَطَ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ فِي زَعْمِهِمْ أَنَّ الْأَعْمَالَ لَيْسَتْ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ.

#### المسألة الرابعة عشرة:

سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عَنْ مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَدِيثٍ مَعَاذُ: «حَقَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا...» الخ، إِلَى أَنْ قَالَ: أَفَلَا أَبْشِرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تَبْشِرُهُمْ فَيَتَكَلَّوْا»<sup>(١)</sup> وَمَعْنَى: «لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ»<sup>(٢)</sup>.

أَيْضًا: مَا مَعْنَى عَقْدِ اللَّحْيَةِ وَالضَّرْبِ بِالْأَرْضِ، هُوَ الَّذِي نَعْرِفُ أَنَّ بَعْضَهُمْ يَخْطُ خَطَوَطًا ثُمَّ يَعْدهَا: إِنْ ظَهَرَتْ شَفَعَتْ فَكَذَا، وَإِنْ ظَهَرَتْ وَتَرَا فَكَذَا، أَمْ غَيْرَ ذَلِكَ؟

وتفسر الحسن العجبت برنة الشيطان، ما رنة الشيطان؟

(١) أخرجه البخاري (١٢٨) ومسلم (٣٠)

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٧٣) ومسلم (٢٨١٦).

وحديث: «وَمَنْ رَدَّتْهُ الطَّيْرَةُ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَكَفَّارَةُ ذَلِكَ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ لَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ...» الخ<sup>(١)</sup> أم كيف يزول ذلك الشرك؟ فهذا اللفظ مع أن الطيرة مخمرة باطنة، واللفظ وحده لا يفيد، أو فائدة قليلة؟

وما معنى الفخر والطمع؟

وما معنى مكر الله بالعبد؟

وما الفرق بين الروح والرحمة؟

وما معنى: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ»<sup>(٢)</sup>، ذات أورثتها المتابعة ومعرفة الدين، أو إثارة معرفة متابعة الأمر والنهي عند ورود الشهوات.

وأيضًا: كسوة المرأة إذا كنت كسوة عرس، هل للمرأة أن تطلب من الزوج كسوة بدن، أم هي كسوة بدن حتى يحول عليها الحول؟ وأيضًا: قيد الكسوة بالحول صواب؟ وأيضًا: إذا كان صوابًا فهل هو بكل أحد للعالي والمتوسط والداني أم فيها تفصيل؟ وأيضًا: إذا عريت قبل مضي الحول يجب على الزوج أن يكسوها أم لا؟ وأيضًا: إن مضى بعض الحول.

الجواب:

أما حديث معاذ فلمعنى عند السلف: الحلال ظاهر، وهو من الأمور التي يقولون: أمرؤهم كما جاء. أعني نصر لوعده والوعيد، لا يتعرضون للمشكل منه.

(١) أخرجه الإمام أحمد عن ابن عمر (٢/ ٢٢٠) وصححه الشيخ الأساني في إصلاح المساحد

(٢) أخرجه نحاري (١٣) ومسنم (٤٥)

وأما قوله: «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله» فتلك مسألة أخرى على ظهري، وهو أن الله لو يستوفي حقه كما يستوفي السيد حقه من عبده لم يدخل أحد الجنة، ولكن كما قال الله تعالى: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ الآية.

وعقد اللحية لا أعلمه، ولكن ذكر في الآداب ما يقتضي أنه شيء يفعله بعض الناس في الحرب على وجه التكبر.

وأما الصرف فهو مشهور جدًا، حتى إن بعض الناس يخط، فمن وافق خطه فذاك، والذي يبدو للذهن أنه عام في كل أنواع الخط، وخط ذلك النبي عدم، لا يوجد من يعرفه.

ورنه الشيطان، لا أعرف مقصود الحسن<sup>(١)</sup>، بل عادة السلف يفسرون اللفظ العام ببعض أفرادها، وقد يكون السامع يعتقد أن ذلك ليس من أفرادها، وهذا كثير في كلامهم جدًا، ينبغي التفطن له.

(١) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في «فتح المجيد» (٢/٤٧٩-٤٨٠): «قوله: قال الحسن: رنة الشيطان. قلت: ذكر إبراهيم بن محمد بن مفلح: أن في تفسير بقي من مخد: أن إبليس رن أربع رنات: رنة حين لعن، ورنة حين أهبط، ورنة حين وُلد رسول الله ﷺ، ورنة حين نزلت فاتحة الكتاب. قال سعيد بن جبيرة: لما لعن الله إبليس، تغيرت صورته عن صورة الملائكة، ورن رنة، فكل رنة منها في لذي يوم القيمة، روه ابن أبي حاتم. وعن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة، رن إبليس رنة اجتمعت إليه جنوده. رواه لحافظ الضياء في المختارة. الرنين: الصوت، وقد رن يرن رنينًا. وبهذا يظهر معنى قول الحسن رحمه الله تعالى: «قلت: الذي في المسند (٥/٦٠): «ولحبت، قال الحسن: إنه لشيطان». ونقله عنه س كسر في تفسير قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْحَبِثِ وَالطَّعُونِ﴾. فعنه الصواب، وأن «رنة الشيطان» محرفة من «رنة الشيطان».

وفوله في الطيرة: «وكفارة ذلك أن تقول... الخ»، فالطيرة تعم أنواعًا، منها ما لا إثم فيه، كما قال عبد الله: وما من إلا، ولكن الله يُذهبه بالنوكل<sup>(١)</sup>. فإذا وقع في القلب شيء، وكرهه ولم يعمل به، بل خالفه وقال لم بصره. فإن قال من الحسنات شيئًا فهو أبلغ وأتم في الكفارة، فلو قدرنا أن تلك الطيرة من الشرك الخفي، أو الظاهر، ثم تاب وقال هذا الكلام على طريق التوبة فكذلك. وأما الفخر بالأحساب، فالأحساب الذي يُذكر عن مناقب الآباء السالفين التي نسميها المراجع، إذا تقرر هذا؛ ففخر الإنسان بعمله منهي عنه، فكيف افتخاره بعمل غيره؟

وأما الطعن في الأنساب فُفسر بالموجود في زماننا، يتسبب إنسان إلى قبيلة، ويقول بعض الناس: ليس منهم، من غير بينة، بل الظاهر أنه منهم. وأما مكر الله؛ فهو أنه إذا عصاه وأغضبه أنعم عليه بأشياء يظن أنها من رضاه عليه. وأما الفرق بين الروح والرحمة فلا أعرفه، ولعله فرق لطيف؛ لأن الروح فُسر بالرحمة في مواضع.

وأما قوله: «لا يؤمن أحدكم... الخ»، فُفسر بأن المراد اعتقد ذلك بالقلب، والعمل بذلك الاعتقاد، فإذا كان في القلب ضده وكرهه وصار الكلام والعمل بمقتضى الأمر الممدوح فهو ذلك.

وأما كسوة العرس، وتقيد الكسوة بالحوال مطبقًا ومقيّدًا، فلذي بُقْتى به أن هذه الأمور نرجع إلى عُرف الناس. وهو مذهب الشيخ وابن القيم، وأظه المتقول عن السلف، فأما في العدة فعليه الكسوة والنفقة، والله أعلم.

(١) أخرجه إسماعيل بن علقم (١٦١٤) وس ماجه (٣٥٢٨) وإمام أحمد (١ / ٤٣٨) مرفوعًا، وصححه الشيخ الألباني (الصحيحة ٤٢٩)

## المسألة الخامسة عشرة:

وسش، عفا الله عنه، عن كون الأذان أوله التكبير وختمه بالتكبير.  
 كذلك قول الله ﷻ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ إلى قوله  
 سبحانه: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ما معنى هذا التكرار؟ هل هو تأكيد أم  
 غير ذلك؟

وعن الإيمان والإسلام، هل هما نوع واحد أم نوعان؟  
 وعن حديث القرض الذي يقل إنه بثمانية عشر ضعفاً<sup>(١)</sup> صحيح أم لا؟

## الجواب:

ذكروا أن التكبير مناسب في الأذان؛ لأنه مشروع على الأمكنة العالية،  
 كقوله: «كنا إذا هبطنا سبحنا، وإذا علونا كبرنا»<sup>(٢)</sup>.

وأما قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ إلى آخره، فذكروا في تفسيرها أن الكلمة الأولى  
 إعلام بأنه سبحانه شهد بهذا، كذلك كل عالم يشهد به، وليس هذا ثناء على  
 نفسه مجرداً، بل هو قيام بالقسط. وأما الكلمة الثانية فهي تعليم وإرشاد.

وأما الإسلام والإيمان هل هما نوع واحد؟ فذكر العلماء أن الإسلام إذا ذكر  
 وحده دخل فيه الإيمان، كقوله: ﴿إِن أَسْتَمُوا فَقَرِ أَهْتَدَوْا﴾ وكذلك الإيمان إذا

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٤٢٢) من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت  
 ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوباً: الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر.  
 فقلت: يا جبريل، ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأن السائل يسأل وعنده،  
 والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة» وضعفه الشيخ لألبني (ضعيف ابن ماجه ٥٢٨)

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٩٣)

أفرد، كقوله في الحنة: ﴿أَعَدَّتْ لِدَارِكَ مَتَوًّا بِأَنَّهُ وَرُسُلِهِ﴾ فيدخل فيه الإسلام، وإذا ذكرا معاً كقوله: ﴿إِنَّ كُتُبِيْمِ وَالْمُسِيْمِ وَالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنِ﴾ فلا إسلام الأعمال الظاهرة، والإيمان الأعمال الباطنة، كما في الحديث: «الإسلام علانية والإيمان في القلب»<sup>(١)</sup> وقوله سبحانه في الحديث: «أخرجوا من النار من في قلبه مثقال ذرة...» إلى آخره<sup>(٢)</sup> يوافق ما ذكرناه، فإن الإيمان أعلى من الإسلام، ويخرج الإنسان من الإيمان إلى الإسلام، ولا يُخرجه من الإسلام إلا الكفر، فيخرج الإنسان من الإيمان إلى الإسلام الذي ينفعه، وإن كان ناقصاً، كما في آية الحجرات ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَنفَكُمْ عَنْ أَعْيُنِكُمْ شَيْءٌ﴾ وحقيقة الأمر أن الإيمان يستلزم الإسلام قطعاً، وأما الإسلام فقد يستلزمه وقد لا يستلزمه. وحديث القرض لا يصححه الحفاظ، والله أعلم.

### المسألة السادسة عشرة:

سُئِلَ رحمه الله تعالى عن مسائل:

الأولى: قوله في باب حكم المرتد: أو استهزأ بالله وكتبه أو رسله كفر. وما وصف هذا الاستهزاء المكفر.

الثانية: قول الشيخ: وكان مبغضاً لما جاء به الرسول اتفاقاً. فما معنى هذا؟ وقوله: أو جعل بينه وبين الله وسائط، بدعواهم ويتوكل عليهم ما وصف هذه الوسائط والتوكل والدعاء والسؤال؟

الثالثة: قولهم: أو أتى بقول أو فعل صريح في الاستهزاء بالرسول. كفر. فما

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ١٣٥) وضعفه الشيخ لألنبي (تخريج لطحاوي ٣٩٠)

(٢) أخرجه الحارثي (٧٥١٠) ومسلم (١٨٣).



وصف هذا الدين والقول المكفر؟

الرابعة قوله: أو نطق بكلمة كُفِّرَ، ولم يعلم معناه، فلا يكفر بذنك. هل المعنى: نطق بها ولم يعرف شرحها. أو: نطق بها ولم يعلم أنها تكفره؟  
الخامسة: قولهم: ومن أطلق الشارع كفره، كدعواه إلى غير الله... إلى آخره، فللعلماء فيه أقوال أيها أقرب إلى الصواب.

السادسة: الذبح للجن؛ قال الشيخ: وأما ما يذبحه الآدمي خوفاً من الجن فمنهي عنه، ونحن لم نفهم إلا هذا من النهي، فإذا قلنا يكفر من ذبح للجن فما دليلك على المخالف؟

السابعة: قولهم: إذا دعاه إمام أو نائبه. وقولهم: ولا يكفر ولا يقاتل قبل الدعاية. هل المتغلب على بلد حكمه حكم الإمام في الدعاية وإقامة الحدود أم لا؟ وهل يلزمه ذلك شرعاً أم لا؟ فإذا تركه وهو يقدر عليه فما حكمه؟

الثامنة: المسائل الفروعية؛ من الطهارات والصلاة والزكاة والحج والمعاملات والأنكحة والدعوى، وغيرها عندنا، أتعلّمها وتعليمها، بعد معرفة الله وتوحيده وإفراد العبادة له، أنه هو الفقه المتفق على فضله، وهو العلم النافع، وهو الأفضل بعد الجهاد؟ وهل الفتوى من كتب الترجيح المسماة عند أهل العلم أفردوا فيها الراجح عندهم وأورد القول المقابل المقوى عندهم في بعض المسائل، أم الفتوى من المطولات، فربما أطلقوا الأقوال؟ فلم ندر ما نفتي به أو نعمل به من الأقوال إلا من كتب للمتأخرين وكتب أهل الترجيح، ونحن فرضنا التقليد، فما نفتي به منه؟

التاسعة: بعض الناس يحتج علينا أن المرتد لا يُقتل إلا بعد الاستتابة وقلها ثبوت لردة، هم الجواب؟

العاشرة: قولهم في الاستسقاء: لا بأس بالتوسل بالشيوخ والعلماء المتقين. وقولهم: يحوز أن يستشفع إلى الله برجل صالح. وقيل: يستحب. قال أحمد إنه يتوسل بالنبي ﷺ في دعائه، وقال أحمد وغيره في قوله ﷺ: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»<sup>(١)</sup>، الاستعاذة لا تكون بمخلوق. فما معنى هذا الكلام؟ وما العمل عليه منهما أم عني قوله فما المعنى؟ وقولهم في الشرح: قل إبراهيم الحربي: الدعاء عند قبر معروف الترياق المجرب. فما معنى هذا الكلام؟ قال في «الفروع»<sup>(٢)</sup>: قل شيخنا: قصده الدعاء عند رجاء الإجابة بدعة لا قرينة باتفاق الأئمة. فما معنى هذا الكلام؟

الحادية عشرة: قل في «الإقناع» في آخر الجنائز: ولا بأس بلمسه - أي القبر - باليد، وأما التمسح به والصلاة عنده، أو قصده لأجل الدعاء عنده، معتقداً أن الدعاء هناك أفضل من الدعاء في غيره، أو النذر له ونحو ذلك<sup>(٣)</sup>. قال الشيخ: وليس هذا من دين المسلمين، بل هو مما أحدث من البدع القبيحة التي هي من شعب الشرك<sup>(٤)</sup>. هل هذا شرك أصغر أم أكبر؟ مع قوله هناك في باب النذر: قال الشيخ: النذر للقبور وأهل القبور، كالنذر لإبراهيم ﷺ أو الشيخ فلاذ، نذر معصية لا يجوز الوفاء به<sup>(٥)</sup>. مع قوله في الجنائز قبله: قال في الشرح: يكره البناء على القبور. إلى أن قال ابن القيم: يجب هدم القبب<sup>(٦)</sup>. إلى أن قال:

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٨).

(٢) الفروع (٢/ ١٢٧).

(٣) الإقناع (١/ ٢٣٧).

(٤) الإقناع (١/ ٢٣٧).

(٥) مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٤٦).

(٦) إبعثه للهدم (١/ ٢١٠).

ويكره المبيت عنده وتحصيله وتزويقه... إلى آخره<sup>(١)</sup> إلى أن قال: فالظاهر من هذا الكراهة أو التحريم. فهل يترتب على هذا غير الكراهة أو التحريم؟ أفدنا جزاك الله خيراً.

فأجاب رحمه الله تعالى بعد السلام: فسرني ما ذكرت، ألهمك الله التوفيق. ولا تعتذر من السؤال، فإن هذا هو الواجب عليك وعلى غيرك، كما قلوا: مفتاح العلم السؤال. ولكن اعلم أن المسائل والعلوم المهجورة لا يفهمها الإنسان إلا بعد المراجعة والمذاكرة، ولو كانت واضحة، وهذه المسائل من العلوم المهجورة، كما ذكرت، فعل الطلبة في باب حكم المرتد مع أن معرفة الله ومعرفة حقه أجل العلوم وأشرفها، لا تستح من المراجعة وكثرة السؤال، ما بقي عليك شيء من الإشكال، وقولك إن أهل العلم لم يشرحوها فكثير من الكتب لم يوجد عندهم. وإلا جميع ما ذكرت قد شرحوه.

فالمسألة الأولى: قد استدل العلماء عليها بقوله تعالى في حق بعض المسلمين المهاجرين في غزوة تبوك: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ الآية، وذكر السلف والخلف أن معناه عام إلى يوم القيامة، فيمن استهزأ بالله أو القرآن أو الرسول، وصفة كلامهم أنهم قالوا: ما رأينا مثل قرائد هؤلاء أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء<sup>(٢)</sup>. يعنون بذلك رسول الله والعلماء في الصحابة، فلما نقل الكلام عوف بن مالك، أتى لقائل يعتذر أنه قاله على وجه اللعب، كما يفعل المسافرون، فنزل الوحي أن هذا كفر بعد الإيمان، ولو كان على وجه المزح، والذي يعتذر يظن أن الكفر إذا قاله جاداً أو لاعباً.

(١) كشف القناع (٢/ ١٤٠)

(٢) أخرجه لطبري في تفسيره (١٠/ ١٧٢) وسنن أبي حاتم (٦/ ١٨٢٩)

إذا فهمت أن هذا هو الاستهزاء، فكثير من الناس يتكلم في الله ﷻ، بالكلام الفاحش عند وقوع المصائب، على وجه الجحد، وأنه لا يستحق هذا، وأنه ليس بأكبر الناس ذنبًا، وكذلك من يدعي العلم والفقه إذا استدلب عليه بآيات الله أظهر الاستهزاء. وهذه المسألة لعندك لا تحررها تحريراً تاماً إلا من الرأس إذا أوقفناك على نصوص أهل العلم ذكروا أشياء لعل كثيراً من الناس لا ينكرها لو سمعها.

الثانية: قوله: أو كان مبغضاً لما جاء به الرسول، ولم يشرك بالله، لكن أبغض السؤال عنه ودعوة الناس إليه، فما هو حال من يدعي العلم، ويقرر أنه دين الله ورسوله، ويبغضونه أكثر من دين اليهود والنصارى، بل يعادون من التفت إليه، ويحلون دمه وماله، ويرمونهم عند الحكم؟ وكذلك الرسول أتى بالإنذار عن الشرك، بل هو أول ما أنذر عنه، وأعظم ما أنذر عنه، ويقولون بهذا، ويقولون خلق الله ما ينهون وينصرون بالقنب واللسان واليد والتكفير بالاتفاق فيمن أبغض النهي عنه، وأبغض الأمر بمعاداة أهله، ولو لم يتكلم ولم ينصر، فكيف إذا فعل ما فعل؟

وكذلك من جعل بينه وبين الله وسائط، يدعوههم ويسألهم ويتوكل عليهم، إجماعاً. وذكروا أن هذا بعينه هو الذي يفعله أهل زمانهم عند القبور، فكيف بزماننا؟ يبينه لك قول الشارح لما ذكر هذا، وذكر بعده أنواعاً من الكفر المخرج عن الله. قال: لقد عمّت البلوى بهذه الفرق، وأفسدوا كثيراً من عوائد أهل التوحيد، نسأل الله العفو والعافية<sup>(١)</sup>. انتهى كلامه في شرح «الإقناع» فإذا كان هذا في زمانه، لم يذكره عن عشرة أو مائة، بل عمّت البلوى في مصر والشام في

(١) كشف لفتع (٦ / ١٧١)

زمن الشارح، فأظنك تفتح أن أهل الفصيم ليسوا بخبر من أهل مصر والشام في زمن الشرح، فتفتحن لهذه المعاني وتدبرها تدبراً جيداً.

واعلم أن هذه المسألة أمّ المسائل، أو لها ما بعدها، فمن عرفها معرفة تامة تبين له الأمر، خصوصاً إذا عرف ما فعل المويس وأمثاله مع قبة الكواز وأهلها، وما فعله هو وابن إسماعيل وابن ربيعة وعلماء نجد، في مكة سنة الحبس، مع أهل قبة أبي طالب، وإفناءهم بقتل مَنْ أنكر ذلك، وأن قتلهم وأخذ أموالهم قربة إلى الله، وأن الحرم الذي يحرم اليهودي والنصراني لا يحرمهم، ثم تفكر في الأحياء الذين صالوا معهم، هل تابوا من فعلهم ذلك، وأسلموا، وعلموا أن عشر معشار ما فعلوا ردة عن الإسلام بإجماع المذاهب كلها، أم هم اليوم على ما كانوا عليه بالأمس؟ والمويس وابن إسماعيل وأحزابهم إلى اليوم علماء يعظّمون ويترخّم عليهم، ومَنْ دعا النّس إلى التوحيد وترك الشرك هم الخوارج الذين خرجوا من الدين! فالله الله، استعن بالله في فهم هذه المسألة، واحرص على ذلك لعلك أن تخلص من هذه الشبكة، فلو سافر المسلم إلى أقصى المشرق أو المغرب في تحرير هذه المسألة لم يكن كثيراً والفكرة فيها في أمرين: أحدهما: في صورة المسألة وما قاله الله ورسوله وقال العلماء.

الفكرة الثانية: إذا عرفت التوحيد الذي دعت إليه الرسل، أولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد عليه السلام وأقرّ به من أقرّ، كيف فعلوا وكيف أحيّوه؟ دخلوا فيه أم عدّوه وصدوا النّس عنه؟ وكذلك لم عرفت ما جاء به من إنكار الشرك والوسائط، وعرفوا قول العلماء إنه الذي عمت به الببوى في زمانهم، هل فرحوا بالسلامة منه وبهوا النّس عنه، أم زيّتوه للنّس وزعموا أن أهله السواد الأعظم، ونثتوه بم قدرو عليه من الأقوال والأعمال، وجاهدوا في تشيته كجهاد الصحابة

فى زواله؟ قاله الله. بدر ثم بدر ثم بدر. فقد قال النبي ﷺ: «بدأ الإسلام غربياً وسيعود غربياً كما بدأ» فأنت تعرف بدءه يوم قيل للنبي ﷺ: «من معك على هذا؟ قال: «حر وعبد» ومعه يومئذ أبو بكر وبلا».

وقد قال الفضيل بن عياض وهو فى زمانه، وهو قبل الإمام أحمد: لا تترك طريق الحق لقلّة السالكين، ولا يغرك الباطل لكثرة الهالكين.

ومع هذا وأمثاله من اليبس أضعاف أضعاف ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ وَلِيَّ مُرْشِدًا﴾ وما أشكر عبيث من هذا فراجع فيه، فإن كلام العلماء فى أنه الشرك الأكبر، وأنه اشتهر عند كثير من زمانهم أكثر من أن يحصر.

وأما الثالثة: فالقول الصريح فى الاستهزاء بالدين مثل ما قدمت لك، وأما الفعل فمثل مد الشفة. وإخراج أدر من العين، مما يفعله كثير من الناس عندما يؤمر بالصلاة والزكاة، فكيف بالتوحيد؟

الرابعة: إذا نطق بكلمة الكفر ولم يعلم معناها صريحاً واضحاً أنه يكون نطق بما لا يعرف معناه. وأم كونه أنه لا يعرف أنها لا تكفره فيكفى فيه قوله: ﴿لَا تَعْدِرُوا فَمَا كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ ثم يعتدرون للنبي ﷺ ظانين أنها لا تكفرهم، والعجب ممن يحملها على هذا وهو يسمع قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُعَاً﴾ ﴿إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿وَلَكِنْ لِيُضِلُّوهُمْ غَيِّ لَسِيلٍ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ أيطن أن هؤلاء ليسوا كفاراً؟ ولكن لا تستنكر الجهل الواضح لهذه المسائل لأجل غرورها. ومن أحسن ما يكشف لك الإشكال ما قدمت لك بإجماع العلماء أن هذا كثر فى زمانهم. وأيضا علماء بلدانهم أكثر من علماء بلدانكم.

الخامسة: أن من أطلق الشارع كفر بالذنوب، فأنراجع فيها قولان:

أحدهما: ما عليه الجمهور أنه لا يُخرج من الملة.

والثاني: الوقف، كما قال لإمام أحمد: أَمَرُوهَا كَمَا جَاءَتْ. يعي لا يقال يخرج ولا ما يخرج، وما سوى هذين القولين غير صحيح.

السادسة: قوله: الذبح للجن منهي عنه، فاعرف قاعدة أهملها أهل زمانك، وهي أن لفظ التحريم والكراهة، وقوله (لا ينبغي) ألفاظ عامة تُستعمل في المكفّرات والمحرمات التي هي دون الكفر، وفي كراهة التنزيه التي هي دون الحرام، مثل استعمالها في المكفّرات قولهم: لا إله إلا الله، لا تنبغي العبادة إلا له. وقوله: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ ولفظ التحريم مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ لَكُمْ مَقْرُوحَاتُ آلِهَتِكُمْ إِنَّكُمْ لَعُنَائِي﴾ وكلام العلماء لا ينحصر في قولهم (يحرم كذا) لما صرحوا في مواضع أخر أنه كفر، وقوله (يكره) كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبِّيَ أَلَّا تُعْبَدُوا إِلَّا إِنِّي إِلَٰهٌ﴾ إلى قوله: ﴿كُلُّ ذَلِكْ كَانَ سَعْيُكُمْ عِندَ رَبِّي مَكْرُوهًا﴾ وأما كلام الإمام أحمد في قوله (أكره كذا) فهو عند أصحابه على التحريم.

إذا فهمت هذا؛ فهم صرحوا أن الذبح للجن ردة تُخرج، وقالوا: الذبيحة حرام، ولو سمي عليها. قلوا: لأنها يجتمع فيها مانعان:

الأول: أنها ممّا أهلّ به بغير الله. والثاني: أنها ذبيحة مرتد، والمرتد لا تحل ذبيحته، وإن دبحها للأكل وسمى عليها. وما أشكل عليك في هذا فراجعني، وأذكر لك لفظهم بعينه.

السابعة: إذا ادعاه إمام أو نائيه، فالأئمة مُجمعون في كل مذهب أن من تغلب على بلد أو بلدان له حكم الإمام في جميع الأشياء، ولولا هذا ما استقامت

الدنيا، لأن الناس في زمن طويل، قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا، ما اجتمعوا على إمام واحد، ولا يُعرف أن أحداً من العلماء ذكر أن شيئاً من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم.

وقولك: هل يجب عيبك؟ فنعم يجب على من قدر عليه، وإن لم يفعل أثم، ولكن أعداء الله يجعلون هذه الشبهة حجة في رد ما لا يقدرُونَ على جرده، كما أنني لما أمرت برجم الزنية قالوا: لا بد من إذن الإمام. فإن صح كلامهم لم يصح ولايتهم القضاء ولا الإمامة ولا غيرها.

الثامنة: مسائل: الحلال والحرام والبيوع والأنكحة وغيرها من أهم أمور الدين وأفضل الأعمال، ولكن تفصيل ما ذكرت من الراجح يحتاج إلى تطويل لا تحتمله الأوراق، ولعله بالمذاكرة إذا التقينا إن شاء الله.

التاسعة: لا يُقتل المرتد إلا بعد الاستتابة، فهذا صحيح، ولم أفعل ذلك مع أحد قاتلته إلا بعد التتيا والتي من الاستتابة.

العاشرة: قولهم في الاستسقاء: لا بأس بالتوسل بالصلحين. وقول أحمد بالتوسل بالنبي ﷺ خاصة، مع قولهم إنه لا يستغث بمخلوق، فالفرق ظاهر جداً، وليس الكلام مما نحن فيه، فكون بعض يرخص بالتوسل بالصلحين، وبعضهم يخصه بالنبي ﷺ وأكثر العلماء ينهي عن ذلك ويكرهه، فهذه المسألة من مسائل الفقه، ولو كان الصواب عند قول الجمهور أنه مكروه، فلا تُنكر على من فعنه، ولا إنكار في مسائل الاجتهاد، لكن إنكاراً على من دعا المخلوق أعظم مما يدعو الله تعالى، ويقصد الفبر، ويتضرع عند ضريح الشيخ عبد القادر، أو غيره. يطلب فيه تفريج الكربات وإعانة الهمم وإعطاء الرغبات، فحين هذا ممن يدعو الله مخلصاً له الدين لا يدعو مع الله أحداً، ولكن يقول في دعائه: أسألك بنيك أو المرسلين أو بعبادك الصالحين. أو



يقصد قبر معروف أو غيره. يدعو عنده، لكن لا يدعو إلا الله مخلصاً له الدين، فأين هذا مما نحن فيه؟

الحادية عشرة: في لمس القبر أو قصده للدعاء عنده، فليس هذا من دين المسلمين. وهذا هو الصواب بلا ريب، وكون الشارح ذكر كلام الحربي أن قبر معروف تريقاً مجرب<sup>(١)</sup> فهذا لا يُنكر، لأن العلماء يذكرون في المسألة القولين أو أكثر. ويرجحون الراجح، أو يتوقف بعضهم، ولكن كلام الشيخ بضد كلام الحربي، مخالفٌ له منكرٌ له، ولكن ليكن منث على بل ما أخرج الصحيحان أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات...»<sup>(٢)</sup> فتدبر هذا، وأرعه سمعت، وأحضِرْ قلبك: إذا كان الرسول ﷺ ما أمره أن يدعوهم إلى الصلوات الخمس، إلا إن استجبوا للتوحيد، فكيف بمن لا يهتم في دينه إلا بعض مسائل الاجتهاد، مع ما يراه من سب الناس للتوحيد، واستحلالهم دم من دان به وماله، ودعوتهم إلى الشرك الأكبر، ودعواهم أن أهله السواد الأعظم، ثم مع هذا إذا أخذهم السيف كرهاً قالوا: ما خالفنا، والناس يكذبون علينا، وعرفنا الكذب، وإلا جميع ما جرى منهم لم يُقروا به ولم يتوبوا منه، والرسول ﷺ هذه وصيته لمعاذ، فائق الله في تدبر هذا الحديث، وتدبر ما عليه أعداء الله من العداوة للتوحيد.

وأما المسائل التي ذكر في الجنائز: من لمس لقبر والصلاة عنده وقصده لأجل الدعاء، أو كذا وكذا، فهذا أنواع:

(١) كشف النقاع (٢/ ٦٩).

(٢) أخرجه لبحري (١٣٩٥) ومسنده (١٩).

أما بناء القباب عليها؛ فيجب هدمها، ولا علمت أنه يصل إلى الشرك الأكبر، وكذلك لصلاة عنده، وقصده لأجل الدعاء، فكذلك لا أعلمه يصل إلى ذلك. ولكن هذه الأمور من أسباب حدوث الشرك، فيشدد تكبير العلماء لذلك، كما صح عنه عليه السلام أنه قال: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»<sup>(١)</sup> وذكر العلماء أنه يجب التغليظ في هذه الأمور لأنه يفتح باب الشرك، كما أنه أول ما حدث في الأرض بسبب ودّ وسوّاع ويغوث ويعوق ونسّر، لما عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم يتذكرون بها الآخرة، ثم بعد ذلك بقرون عُبدوا، فكذلك في هذه الأمة كما قال عليه السلام: «لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» فأول ما حدث الصلاة عند القبور والبناء عليها، من غير شرك، ثم بعد ذلك بقرون وقع الشرك، وأول ما جرى من هذا أن بني أمية لما بنوا مسجد الرسول عليه السلام وسعّوه واشتروا بيوتاً حوله، ولم يمكنهم إدخال بيت النبي عليه السلام الذي فيه قبره وقبر صاحبيه، ولكن أدخلوا البيت في المسجد لأجل توسيع المسجد، ولم يقصدوا تعظيم الحجرة لذلك، لكن قصدوا تعظيم المسجد، ومع هذا أنكره علماء المدينة، حتى قُتل خبيب بن عبد الله بن الزبير بسبب إنكاره ذلك، فانظر إلى سد العلماء الذرائع.

وأما النذر له ودعاؤه والخضوع له فهو من الشرك الأكبر، فتأمل ما ذكره البعوي في تفسير سورة نوح، في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا نَدْرَأُ الْهَتَكَ وَلَا نَدْرَأُ الْبَعْوِي﴾ وما ذكر أيضاً في سورة النجم في قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ أن اللات قبر رحل صالح، فتأمل الأصنام التي نُعشت الرسل بتغييرها، كيف تجد فيها قبور

(١) أحرجه المحاري (٤٣٥) ومستم (٥٢٩).

الصالحين؟ والحمد لله رب العالمين، وهذا آخر ما وُجد في ذلك، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

### المسألة السابعة عشرة:

سُئِلَ ﷺ، عن الجد هل يكون بمنزلة الأب في الميراث؟ وما حجة مَنْ قال بذلك؟ وعن قسم المال جزافاً، وما معنى الاحتساب في نفقة الأهل؟ وعن قول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ وقوله في كلام البقر والذئب: «أمنت به أنا وأبو بكر وعمر...» إلى آخره<sup>(١)</sup>.

فأجاب ﷺ: أم كون الجد أباً فُرجِح بأمور:

أحدها: العموم، واستدل ابن عباس على ذلك بقوله ﴿يَتَّبِعْ آدَمَ﴾.

الثاني: محض القياس، كما قال ابن عباس: ألا يتقي الله زيدٌ يجعل ابن الابن ابناً، ولا يجعل أب الأب أباً!

الثالث: أنه مذهب أبي بكر الصديق.

الرابع: أن الذين ورّثوا الإخوة معه اختلفوا في كيفية ذلك، كما قال البخاري لما ذكر قول الصديق: ويذكر عن علي وابن مسعود وزيد أقاويل مختلفة.

الخامس: أن الذين ورّثوهم لم يجزموها، بل معهم شك، وأقروا أنهم لم يجدوه في النص، لا بعموم ولا غيره.

السادس: وهو أيّسها كلها، أن هذا التوريث وكيفيته لو كن من الله لم يُتصور أن يهمله النبي ﷺ مع صعوبة الاختلاف فيه بالكلية. وأما حجه

(١) أخرجه البحارى (٢٣٢٤).

المخلف منهم مُقَرَّون أنه محض رأي لا حجة فيه إلا قياساً، فيما زعموا.

وأما قسم المال جزافاً فأرجو أنه لا بأس به؛ كما في ثمرة النخل.

وأما المساقاة كما أردتم فلا أدري، وأنا أكرهه.

وأما معنى الاحتساب في نفقة الأهل فمُشْكِلٌ عليّ.

وأما قوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّمُ الْمَوْتُ﴾ فمن أعظم الأدلة على تفاوت الإيمان ومراتبه، حتى الأنبياء، فهذا طلب الطمأنينة مع كونه مؤمناً، فإذا كن محتاجاً إلى الأدلة التي توجب له الطمأنينة فكيف بغيره؟ ولذلك قال ﷺ في الصحيح: «نحن أحق بالشك من إبراهيم»<sup>(١)</sup>.

وأما قوله في كلام البقرة والذئب: «آمنت به أنا وأبو بكر وعمر» وليسّا في ذلك المكان، فكن هذا من الإيمان بالغيب المخلف للمشاهدة، وذلك أن الناس يشاهدون البهائم لا تتكلم، فلما أخبر ﷺ أن هذا جرى فيما مضى، تعجبوا من ذلك مع إيمانهم، فقال: «آمنت به أنا وأبو بكر وعمر» فلما ذكرهما لهذا المقام العظيم، الذي طلب إبراهيم في مثله العيان ليطمئن قلبه، مع كونهما ليسا في المجس محل ذلك، دل على أن إيمانهما أعلى من إيمان غيرهما، خصوصاً لم قرنهما بإيمانه ﷺ ومع هذا فأمور الإيمان من الأمور الميتة، لكن لعلكم تفهمون منها شيئاً إذا قرأتم في كتاب الإيمان، والله أعلم، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

### المسألة الثامنة عشرة:

سُئِلَ ﷺ، عن قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَضَرْتَنِي عَمَى وَقَدْ كُنْتُ نَصِيحًا﴾ الآية.

(١) أخرجه البخاري (٤٥٣٧) ومسلم (١٥١).

فأجاب بحقّه: اعلم، رحمك الله، أن الله سبحانه عالم بكل شيء، يعلم ما يقع على خلقه، وما يقعون فيه، وما يرد عليه من الواردات إلى يوم القيامة، وأنزل هذا الكتاب المبارك، الذي جعله تبياناً لكل شيء. وجعله هدى لأهل القرن الثاني عشر ومن بعدهم، كما جعله هدى لأهل القرن الأول ومن بعدهم، ومن أعظم اليقين الذي فيه بيان الحجج الصحيحة، والجواب عما يعارضها، وبيان بطلان الحجج الفاسدة ونفيها. فلا إله إلا الله، ماذا حُرِّمَ الْمُعْرِضُونَ عن كتاب الله من الهدى والعلم؟ ولكن لا معطي لما منع الله.

هذه التي سألت عنها فيها بيان بطلان شبه يحتج بها بعض أهل النفاق والريب، في زماننا هذا، في قضيتنا هذه، وبيان ذلك: أن هذه في آخر قضية آدم وإبليس، وفيها من العبر والفوائد العظيمة لذريتهما ما يجعل عن الوصف؛ فمن ذلك أن الله أمر إبليس بالسجود لآدم، ولو فعل لكان فيه طاعة لربه. وشرفاً له، ولكن سولت له نفسه أن ذلك نقص في حقه، إذا خضع لواحد دونه في السن ودونه في الأصل، على زعمه، فلم يطق الأمر، واحتج على فضله بحجة. وهي أن الله خلقه من أصل خير من أصل آدم، ولا ينبغي أن الشريف يخضع لمن دونه. بل العكس، فعرض النص الصريح بفعل الله، الذي هو الخلق. فكان في هذا عبرة عظيمة لمن رد شيئاً من أمر الله ورسوله، واحتج بما لا يجدي، فلم يفعل لم يعذره الله بهذا التأويل، بل طرده، ورفع آدم وأسكنه الجنة، فكان مع عدو لله من الحفظ والفظنة ودقة المعرفة ما يجعل عن الوصف، فتحيل على آدم حتى ترك شيئاً من أمر الله، وذلك بالأكل من الشجرة. واحتج لآدم بحجج. فلما أكل لم يعذره الله بتك الحجج. بل أهبطه إلى الأرض وأجلاه من وطنه. ثم قال: ﴿هَبْ مِنْكَ جَمْعًا نَعَصُكُمْ لِعِصْيَانٍ عَدُوٍّ قِيمًا بِأَيْسَكُمْ مَنِ هَدَى﴾ يقول تعالى: لأجبتكم عن وطنكم. فبد بعد هذا الكلام وهو أي أرسل إليكم هدى

من عندي. لا أكلكم إلى رأيكم، ولا رأي علمائكم. بل أنزل عليكم العلم الواضح الذي يبين الحق من الباطل، والصحيح من الفاسد، والنفع من الضر ﴿لَيْسَ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ ومعلوم أن الهدى هو هذا القرآن، فمن زعم أن القرآن لا يقدر على الهدى منه، إلا من بلغ رتبة الاجتهاد، فقد كذب الله بخبره أنه هدى، فإنه على هذا القول الباطل لا يكون هدى إلا في حق الواحد من الآلاف المؤلفة، وأم أكثر الناس فليس هذا في حقهم، بل الهدى في حقهم أن كل فرقة تتبع ما وجدت عليه الآباء! فما أبطل هذا من قول؟ وكيف يصح لمن يدعي الإسلام أن يظن بالله وكتابه هذا الظن؟

ولما عرف سبحانه أن هذه الأمة سيجري عليها ما جرى على من قبلها، من اختلافهم على أكثر من سبعين فرقة، وأن الفرق كلها تترك هدى الله إلا فرقة واحدة، وأن كل الفرق يقرون أن كتاب الله هو الحق، لكن يعتذرون بالعجز، وأنهم لو يتعلمون كتب الله ويعملون به لم يفهموا الغموض، قال: ﴿فَمَنْ أَتَّبَعْ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ وهذا تكذيب هؤلاء الذين ظنوا في القرآن ظن السوء. قال ابن عباس: تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة<sup>(١)</sup>. وبيان هذا أن هؤلاء الذين يزعمون أنهم لو تركوا طريقة الآباء واقتصروا على الوحي لم يهتدوا بسبب أنهم لا يفهمون، كما قالوا: ﴿قُلُوبُنَا غُفٌّ﴾ فرد الله عليهم بقوله: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ وضمّن لمن اتبع القرآن أنه لا يضل كما صل من اتبع الرأي، فتجدهم في المسألة الواحدة يحكون سعة أقوال أو سنة، ليس منها قول صحيح. والذي ذكره الله في كتابه في تلك المسألة بعينها لا يعرفونه.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨ / ٣٨٩).

والحاصل، أنهم يقولون: لا نترك القرآن إلا خوفاً من الخطأ، ولم تُقبل على ما نحن فيه إلا للعصمة. فعكس الله كلامهم، وبيّن أن العصمة في اتباع القرآن إلى يوم القيمة.

وأما قوله: ﴿وَلَا يَشْقَى﴾ فهم يزعمون أن الله يرصي بفعلهم ويشبههم عليه في الآخرة، ولو تركوه واتبعوا القرآن لغلطوا وعوقبوا، فقد ذكر الله أن من اتبع القرآن أمن من المحذور، الذي هو الخطأ عن الطريق، وهو الضلال، وأمن من عاقبته، وهو الشقاء في الآخرة، ثم ذكر الفريق الآخر الذي أعرض عن القرآن فقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ وذكر الله هو القرآن الذي بيّن الله لخلقه فيه ما يحب ويكره، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُرْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقْضِ لَهُمْ سَعَتُهُمْ فَهُمْ لَمْ يَرْيَنُوا﴾ الآيتين، فذكر الله لمن أعرض عن القرآن وأرد الفقه من غيره عقوبتين:

إحدهما: المعيشة الضنك. ففسرها السلف بنوعين:

أحدهما: ضنك الدنيا، وهو أنه إن كن غنياً سلط عليه خوف الفقر، وتعب القلب والبدن في جميع الدنيا، حتى يأتيه الموت ولم يتهن بعيش.

الثاني: الضنك في البرزخ، وهو عذاب البرزخ. وفسر الضنك في الدنيا أيضاً بالجهل، فإن الشك والحيرة لهما من القلق وضيق الصدر لهما، فصار في هذا مصداق قوله في الحديث عن القرآن: «من ابتغى الهدى من غيره أضله الله»<sup>(١)</sup> فبارك لك أن الله عاقبهم بضد قصدهم، فإنهم قصدوا معرفة الفقه، فحاراهم بأن أضلهم وكدر عليهم معيشتهم بعذاب قلوبهم. اخوف الفقر، وقله غناء أنفسهم. وعذاب أبدانهم. بأن سلط عليهم الطمة والفقر. وأغرى بينهم

(١) أخرجه ترمذي (٢٩٠٦) وصححه الشيخ الألباني (صعيف الجامع ٢٠٨١).

العدوة والبعضاء، فإن أعظم الناس نعادياً هؤلاء الذين يتسبون إلى المعرفة.  
ثم قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ والعمى نوعان: عمى القلب،  
وعمى البصرة، فهذا المعرض عن القرآن لما عميت بصيرته في الدين عن  
القرآن، جزاه الله أن حشره يوم القيامة أعمى.

قال بعض السلف: أعمى عن الحجة، لا يقدر على المجادلة بالبطل كما  
كان يصنع في الدنيا. ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ فذكر الله أنه  
يقال له: هذا بسبب إعراضك عن القرآن في الدنيا وطلبك العلم من غيره.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup> في الآية ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾: أي خالف أمري وما  
أنزلته على رسولي، أعرض عنه وتناساه، وأخذ من غيره هداه ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً  
ضَنْكًا﴾ أي في الدنيا، فلا طمأنينة له ولا انشراح ولا تنعم، وظاهره أن قومًا  
أعرضوا عن الحق، وكانوا في سعة من الدنيا، فكانت معيشتهم ضنكًا، وذلك  
أنهم كانوا يرون أن الله ليس مُخْلَقًا لهم معيشتهم، من سوء ظنهم بالله. ثم ذكر  
كلامًا طويلًا، وذكر ما ذكرته من أنواع الضنك، والله تعالى أعلم.

### المسألة التاسعة عشرة:

سُئِلَ عليه السلام، عن رجل خاشع خشوع<sup>(٢)</sup>، وطلبوا ضمان أخيه، وقال له أخوه:  
لا أضمن عليك إلا أن ترهنني رهنة، وأرهنته نصف نخعة في هذا الدين الذي  
ضمن، والنصف الآخر مرهون عند غيره، وعليه دين غير هذا كثير، وذكر لك  
عنك أن الرهن لا يصح، وأن دينيه مشتركون فيما عنده، وهذه كثيرة الوقوع،

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٢٢).

(٢) أي: سرك شركاء.



وغالب مَنْ يدينونه الدينون فقير، فإن لم يصح له رهن ولا وفاء، إلا من الجميع، ولم يحجر عليه، فاذا ذكر لنا صورة المسألة، وأنا طعتها، ولا رأيت الاختلاف إلا في التبرعات المالية، كالعتق والصدقة، وذكروا أن مذهب الإمام أحمد وغيره يفوذ تصرفه ولو استغرق ماله، وخالف لشيخ ابن تيمية في ذلك وقال: لا ينفذ؛ لأن عليه واجباً. وأما غير التبرعات فلا وجدنا شيئاً، فأنت اذكر لنا مأخذ المسألة، والذي ظهر لنا في هذا أن هذه المسألة إن قيل بها م احتيج لحجر الحاكم، أو من أن يستغرق الدين ماله، لم ينفذ تصرفه، ويلزم على هذا لوازم كثيرة، فأنت اذكر لنا شيئاً نعتمد عليه، فإن الخطب كبير. أفنت مأجوراً؟

أجاب رحمه الله:

صورة المسألة أن الراجح الذي عليه كثير من العلماء، أو أكثرهم، أن الرهن لا يلزم إلا بالقبض، وقبض كل شيء هو المتعارف، وقبض الدار والعقد هو تسليم المرتهن له، ورفع يد الراهن عنه، هذا هو القبض بالإجماع، ومن زعم أن قوله مقبوض يصير مقبوضاً، خارج الإجماع، مع كونه زوراً مخالفاً للحس. إذا ثبت هذا، فيجوز ما أفنت بلزوم هذا الرهن، إلا لضرورة وحاجة، فإذا أراد صاحبها أن يأكل أموال الناس، ويخون في أمانته لمسألة مختلف فيها، فالرجوع إلى الفتوى بقول الجمهور في هذه المسألة، فإن رجعت إلى كتاب الله وسنة رسوله في إيجاب العدل وتحريم الخيانة، فهذا هو الأقرب قطعاً، وإن رجعت إلى غالب كلام العلماء فهم لا يلزمون ذلك، إلا برفع يد الراهن، وكونه في يد المرتهن.

وأما قولت: لم أحد الخلاف إلا في الصدقة والهبة، فهذا هو العجب،

أُتْرَاهُمْ يُبْطَلُونَ لِعَتَقَ الَّذِي هُوَ مِنْ أَحَبِّ الْأَشْيَاءِ إِلَى اللَّهِ، وَيَسْرِي فِي مَدَنٍ الْغَيْرِ، وَيَرُدُّونَ الصَّدَقَةَ بَعْدَ مَا أَخَذَهَا الْفَقِيرَ لِأَجْلِ الْعَدْلِ وَوَفَاءِ الدِّينِ، وَيَمْنَعُونَهُ فِي الرِّهْنِ وَلَوْ كَانَ صَحِيحًا؟

وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنْ صَحَّ هَذَا لَمْ يَحْتَاجْ إِلَى الْحَجَرِ. فَيَقَالُ: إِنْ الْحَجَرُ يَمْنَعُ تَصْرِفَهُ مُطْلَقًا، وَلَوْ كَانَ فِيهِ إِصْلَاحٌ لِنَفْسِهِ أَوْ لِلْغُرَمَاءِ، وَأَمَّا هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ فَتَصْرِفُهُ صَحِيحٌ كُلُّهُ، إِلَّا مَا عَصَى اللَّهُ فِيهِ وَرَسُولُهُ، وَخَانَ أَمَانَتَهُ، وَظَلَمَ النَّاسَ، فَهَذَا هُوَ الْمُنَاطَبِقُ لِلْعَقْلِ وَالنَّقْلِ، وَلَكِنْ هَذَا أَوْحَشَتْهُ الْغُرْبَةُ، كَمَا اسْتَوْحَشَ مِنْ أَنْكَارِ الشَّرِكِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

### المسألة العشرون:

سُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَهِيَ قَلْبُ الدَّيْنِ فِي ذِمَّةِ الْمَدِينِ بِتَمَرٍ أَوْ غَيْرِهِ. فَأَجَابَ بِقَوْلِهِ: مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. وَبَعْدُ:

فَقَدْ وَصَلَ كِتَابُكَ تَسْأَلُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ الَّتِي يَفْعَلُهَا كَثِيرٌ، إِذَا وَرَدَ لَهُ عَلَى رَجُلٍ دِرَاهِمٌ، وَأَرَادَ أَنْ يَقْلِبَهَا بَزَادًا، وَأَخْرَجَ مِنْ بَيْتِهِ دِرَاهِمًا، وَصَحَّحَ بِهَا وَأَوْفَاهُ بِهَا. وَأَنَا قَدْ ذَكَرْتُ لَكَ أَنَّهَا مِنَ الْحِيلِ الْبَاطِلَةِ الَّتِي يُنْكِرُهَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأُئِمَّةِ، وَأَغْضَطُوا لِقَوْلِ فِي أَهْلِهَا، وَذَلِكَ أَنَّ عِنْدَهُمْ لَا مَدَنَ مِنْ كَوْنِ رَأْسِ مَالٍ السَّلَمِ مَقْبُوضًا فِي مُحْسَرِ الْعَهْدِ. وَعِنْدَهُمْ أَنْ كَوْنَهُ دَنًا - أَعْنَى رَأْسَ مَالِ السَّلَمِ رَبًّا. وَهَذِهِ بَعَيْنُهَا مَسْأَلُكُمْ، إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا اعْتَرَفَ بِكَوْنِهِ رَبًّا، أَحْضَرَ مِنْ بَيْتِهِ عِدَّةَ الدَّيْنِ الْمُقْلُوبِ وَعَهْدَ بِهَا، وَالْعَارِفُ وَاسْتَهْوَدَ وَمَنْ حَضَرَهُمْ يَعْمُونَ أَنَّ الْمَكْتُوبَ هُوَ الدَّيْنُ الْحَالُّ، وَالتَّاجِرُ يَهْوُلُ لَهُ: أَوْفَنِي أَوْ اكْتَبَهَا. وَالْمَشْتَرِي يَقُولُ: وَرَدَّ لَهُ دِرَاهِمٌ وَكَتَبْتُهَا مِنْهُ. وَيَفْهَمُونَ أَنَّ الدِّرَاهِمَ الْحَاضِرَةَ غَيْرَ مَقْصُودَةٍ، وَيَسْمُونَ هَذَا،

العقد الصحيح، وهذا لا يُنكره إلا مكابر معاند، وحينئذ فعباراتهم والحيل التي تحل حراماً أو تُحرم حلالاً لا تجوز في شيء من الدين، وهي أن يُظهرا عقداً صحيحاً، ومرادهما التوصل به إلى عقد غير صحيح، هذا معنى عبارة «الإقناع» وشرحه، فإن جادلتم أحد في أن هذه الصورة غير داخلية في ذلك؛ فقل له: مثل صورة الحيل المحرمة، فإنه لا يذكر شيئاً من الصور إلا ومسألتكم مثلها أو أشد بطلاً.

وأعجب من هذا أن ابن القيم ذكر في «إعلام الموقعين» في صورة أحسن من هذه وأقرب إلى الحل ما صورته: لو أراد أن يجعل رأس مال السلم ديناً، يوفيه إياه في وقت آخر، بأن يكون معه نصف دينار، ويريد أن يُسلم إليه ديناراً غير معين في كُر حنطة<sup>(١)</sup>، فالحيلة أن يُسلم إليه ديناراً غير معين، ثم يوفيه نصف الدينار، ثم يعود فيستقرضه منه، ثم يوفيه إياه، فيفترقان وقد بقي له في ذمته نصف دينار، وهذه الحيلة من أقبح الحيل، فإنهم لا يخرجون بها عن تأخير رأس مال السلم، ولكن توصلوا إلى ذلك بالقرض الذي جعلاً صورته مبيحة لصريح الربا، ولتأخير رأس مال السلم، وهذا غير القرض الذي جاءت به الشريعة، وإنما اتخذته المتعاقدان تلاعباً بحدود الله<sup>(٢)</sup>. انتهى كلامه.

فانظر، فهذا كان كلامه فيمن أراد أن يُسلم إلى رجل مائة محمدية من بيته، بطنناً وظاهراً. ولكن لم يُحضر في المجلس إلا خمسين، وكتبها عليه، ثم استقرضها وكتبها أخرى، إلى أن يخرج بالخمسين في آخر النهار أو غد، فكيف بكلامه في التحيل على قنب الدين وجعله رأس مال السلم؟ وإذا كان هذا كلامه

(١) الكر - بضم الكاف - : كبر معروف - لعراق

(٢) إعلام الموقعين (٣/ ٣٠٨ - ٣٠٩)

في «إعلام الموقعين» وهو الذي ينسبون عنه إذا أراد أن يشري دابة بخمسين . وجاء رجل ورتحه في الخمسين حمسًا ، أو أكثر أو أقل . وقال : أنا موكلت ، نشترها ثم تبيعها على نفسك . وهذه الحيلة الملعونة التي هي أغلظ من الربا . واستباح بها إلى الآن أكثر المطاوعة الربا الصريح ، وينسبونها إلى «إعلام الموقعين» . وحاشاه منها ، بل هذا صفة كلامه في رأس مال السلم الحاضر إذا تأخر قبض بعضه إلى آخر النهار ، فضلًا عن هذه وأمثالها ، ومع هذا فالله سبحانه لا مرد لحكمه ، ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ حَادَّوْهُمْ كُلُّ الْيَوْمِ﴾ ، والسلام .

### المسألة الحادية والعشرون:

قال رحمه الله : سألني رجل عن وقف نخل تعطل ، ويبيع نصفه لإصلاح النصف الآخر بمائة أحمر ، واستأجروا بمائة الأحمر من يسقي النصف الآخر عشر سنين ، فمدت الذي استأجره لمد مضى بعض من المدة ، وهي سنتان ، وأراد ورثته أن يتموا باقي مدته ، وأراد المؤجر الفسخ .

فأجبت : أن الإجارة صحيحة ثابتة ، لا تنفسخ بموت المستأجر ، فإذا تمم الورثة ما على ميثهم استحقوا ما استحقه ، وليس للمؤجر الفسخ ، ودليل هذا أن القول بانفساخ الإجارة ، أو المساقاة ، قول ضعيف رده أهل العلم بالنصر الثالث ، من ذلك أن النبي ﷺ لما ساقى أهل حبير لم يجدد الحلفاء بعده عقدًا . فإذا ثبت هذا فقد أمر الله بالوفاء بالعقود بقوله : ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ﴾ وهذا اللفظ عام من جوامع لكلم ، فمن ادعى في صورة من العقود أنه لا يجوز ، ولا يجوز الوفاء به لأجل موت أو غيره ، فعليه الدليل ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي لِسَانَهُ﴾ .

## المسألة الثانية والعشرون:

قال رحمه الله تعالى: الذي يعلم به ويقف على هذا من الإخوان المتبعين محمداً ﷺ أن ابن صباح<sup>(١)</sup> سألي عما يُسبب إليّ فأجبتّه، فطلب مني أن أكتب له في ورقة، فكتبت له:

الحمد لله، أما بعد: فمذكره المشركون عني أنني أنهى عن الصلاة على النبي ﷺ أو أنني أقول أنني لي أمر هدمت قبة النبي ﷺ أو أنني أتكلم في الصالحين أو أنهى عن محبتهم، فكل هذا كذب وبهتان، افتراء عليّ الشياطين الذين يريدون أن يأكلوا أموال الناس بالباطل، مثل أولاد شمسان وأولاد إدريس، الذين يأمرون الناس أن يندروا لهم ويتخوهم ويندبوهم، كذلك فقراء لشياطين الذين ينتسبون إلى الشيخ عبد القادر ﷺ، وهو منهم بريء كبراءة علي بن أبي طالب من الرافضة، فلم رأوني آمر الناس بما أمرهم به نبيهم ﷺ ألا يعبدوا إلا الله، وأن من دعا عبد القادر فهو كافر، وعبد القادر منه بريء، وكذلك من انتخى الصالحين أو الأولياء، أو ندبهم، أو سجد لهم، أو نذر لهم، أو قصدهم بشيء من أنواع العبادة، التي هي حق الله على العبيد، وكل إنسان يعرف أمر الله ورسوله، لا يُنكر هذا الأمر، بل يقرُّ به ويعرفه.

وأما الذي ينكره، فهو بين أمرين؛ إن قال: إن دعوة الصالحين واستغاثتهم والتذلل لهم، وصيرورة الإنسان فقيراً لهم، أمر حسن، ولو ذكر الله ورسوله أنه كفر. فهذا مُصرح بتكذيب الله ورسوله، ولا خفاء في كفره، فليس معد له كلام.

(١) عبد الله بن صباح، حاكم الكويت في عصر شيخ (ت ١٢٢٩هـ). انظر: «النعلافت من الدولة السعودية والكويت»؛ نذكر عبد الله العثيمين (ص ٨١ - ٨٧)، و«أمر وعماء من الكويت على عقيدة سلف»؛ لشيخ دغش محمى (ص ٣٤ - ٣٥).

وأما كلامه مع رجل يؤمن بالله واليوم الآخر، ويُحب ما أحب الله ورسوله، ويُغض ما أبغض الله ورسوله، لكنه جاهل. قد لست عليه الشيطان دينه. ويظن أن الاعتقاد في الصالحين حق. ولو بدري أنه كافر يدخل صاحبه في النار. فنحن نبين لهذا ما يوضح الأمر فنقول:

الذي يجب على المسم أن يتبع أمر الله ورسوله ويسأل عنه، فالله سبحانه أنزل القرآن وذكر لنا فيه ما يحبه وما يبغضه، ويُن لنا فيه ديننا وأكملهُ، وكذلك محمد ﷺ أفضل الأنبياء، فليس على وجه الأرض أحد أحب من الصحابة له، فهم يحبونه أكثر من أنفسهم وأولادهم، ويعرفون قدره، ويعرفون أيضًا الشرك والإيمان، فإن كان أحد من المسلمين في زمان النبي ﷺ دعاه، أو نذر له، أو ندب له، أو أحد من أصحابه جاء عند قبره بعد موته يسأله، أو يندبه، أو يدخل عليه مستجئًا به عند القبر، فعرف أنه أمر صحيح حسن، ولا تُطغني ولا غيري. وإن كان إذا سألت وجدت أنه ﷺ تبرأ ممن اعتقد في الأنبياء والصالحين، وقتلهم، وسبهم وأولادهم، وأخذ أموالهم، وحكم بكفرهم، فاعرف أن النبي ﷺ لا يقول إلا الحق، ولا يأمر إلا بالحق. والواجب على كل مؤمن اتباعه فيما جاء به.

وبالجملة؛ فالذي أنكره الاعتقاد في غير الله فيما لا يجوز صرفه لغيره. فإن كنتُ قلته من عندي فدم به، أو من كتاب الله لقيته ليس عليه عمن فارم به كذلك، أو نقته عن أهر مدهي فدم به أيضًا. وإن كنتُ قلته عن أمر الله ورسوله، وعمد أجمع عليه العلماء في كل مذهب، فلا ينبغي لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُعرض عنه لأجل أهل زمانه، أو أهل بلده، أو أن أكثر الناس في زمانه أعرضوا عنه.

واعلم أن الأدلة على هذا من كلام الله وكلام رسوله كثيرة جدًا، لكن أُمس

لث بدليل واحد ينهك عني غيره، قال الله تعالى: ﴿قُلْ دَعُوا الَّذِينَ رَعِمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا مَلَكَوْتَ كُشْفٍ أَصَرَ عَصَاكُمْ وَلَا تَحْيُولًا ۖ أُولَٰئِكَ لَدَيْكُمْ يَدْعُوكَ يَسْعُوكَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهَا أَقْرَبُ﴾ ذكر المفسرون في تفسيرها أن جماعة كسوا يعتقدون في عيسى عليه السلام، وعزبر، فقال الله تعالى هؤلاء عبيدي كما أنتم عبيدي، يرجون رحمتي كما ترجون رحمتي، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي.

فيا عباد الله تفكروا في كلام ربكم تبارك وتعالى، إذا كان ذكر عن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أن دينهم الذين كفّروا هو الاعتقاد في الصالحين، وإلا فالكفار يخافون الله ويرجونهم ويتصدقون، ولكنهم كفروا بالاعتقاد في الصالحين، وهم يقولون: إنما اعتقدنا فيهم ﴿يَلْقُرُونَنَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ ويشفعون لنا، كما قال تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَحْذُومَاتٌ مِنْ دُونِهِ أُولَٰئِكَ مَا نَسْتَدْعُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ وقال تعالى: ﴿وَيَقْبِضُونَا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ فيا عباد الله إذا كان الله ذكر في كتابه أن دين الكفار هو الاعتقاد في الصالحين، وذكر أنهم اعتقدوا فيهم، ودعّوهم، وندبوهم لأجل أنهم يقربونهم إلى الله زلفى، هل بعد هذا البيان بيان؟

فإذا كان من اعتقد في عيسى ابن مريم، مع أنه نبي من الأنبياء، وندبه وانتخاه، فقد كفر، فكيف بمن يعتقد في الشياطين، كالكلب أبو حديدة، وعثمان الذي في الوادي، والكلاب الآخر في الخرج، وغيرهم في سائر البلدان، الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله؟

وأنت يا من هداه الله، لا تظن أن هؤلاء يحبون للصالحين، بل هؤلاء أعداء الصالحين، وأنت والله الذي تحب الصالحين، لأن من أحب قومًا أطاعهم، فمن أحب الصالحين وأطاعهم لم يعتد إلا في الله، وأما من عصاهم ودعاهم، يزعم أنه يحبهم، فهو مثل النصاري الذين يدعون عيسى وبرعمون محته، وهو

سريء منهم. ومثل الرافضة الذين يدعون علي بن أبي طالب وهو سريء منهم. ولنختم الكتاب بكلمة واحدة، وهي أني أقول: يا عباد الله، لا تطيعوني. ولكن تفكروا واسألوا أهل العلم من كل مذهب عما قال الله ورسوله، وأنا أنصحكم: لا تظنون أن الاعتقاد في الصالحين مثل الزنا والسرقه، بل هي عبادة الأصنام، من فعله كفر، وتبرأ من رسول الله ﷺ، يا عباد الله تفكروا وتذكروا، والسلام.

### الثالثة والعشرون:

قال رحمه الله: الذي يعلم به الأخ مقرر بن عبد الله، بعد إبلاغ السلام، أن ابن صالح سألني عن التذكير، فقلت: إنه بدعة، فذكر أن عندنا من لا يعرف الجمعة إلا به، وذكر له أن رسول الله ﷺ أعلم من بصالح أمته، وهو سن الأذان، ونهى عن الزيادة، فإذا فتح الله لكم باباً في اتباع نبيكم ﷺ فلا تثقلوا من قطع العادات في طاعة الله ورسوله، والسلام.

### الرابعة والعشرون:

قال رحمه الله: إلى الأخ سيمان، وبعد: مسألة الخمس، فاعلم أن الأمر أمران: أمر تأمر به، وأمر يفعله الغير وتحتج إلى الإنكار فيه، والثاني نتوسع فيه، إلا أن نرى منكراً صريحاً. إذا نت هذا، فمسألة الخمس لا أكره فعلهم، إذا أخذوه باسم الخمس. وأما سهم النبي ﷺ وذوي القربى فقه كلام طويل. وقد ذكر أن أبا بكر وعمر لم يعطيا نبي هاشم، فالذي أرى أن يجري في المصالح حتى يبين فيه حكم. وأما مصرف المصالح عندكم فهذا الذي نذكر أنهم يفعلونه، ما علمت فيه خلافاً.



لكن لا يُقتصر عليه، بل من المصالح ما هو أهم منه. وأما عقوبة مَنْ تحلف وعصى الأمر بأحد شيئاً من ماله، فقد ذكر ابن القيم أن بعض السلف أفتى به، وظهر كلامه أنه مقرر له، والسلام.

### الخامسة والعشرون:

قال رحمه الله: يعلم مَنْ يقف عليه أنني وقفت على أوراق بخط ولد ابن سحيم، يريد أن يصد به الناس عن دين الإسلام وشهادة أن لا إله إلا الله، فأردت أن أنبه على ما فيها من الكفر الصريح وسب دين الإسلام، وما فيها أيضاً من الجهالة التي يعرفها العامة.

فأما تناقض كلامه فمن وجوه:

الأول: أنه صنف الأوراق يسبنا، ويرد علينا في تكفير كل مَنْ قال (لا إله إلا الله) وهذا عمدة ما يشبه على الجهال. وعقد لها فصلاً في أوراقه يقول: أما مَنْ قال (لا إله إلا الله) لا يكفر، ومن أمّ القبله لا يكفر. فإذا ذكرنا لهم الآيات التي فيها كفره وكفر أبيه وكفر الطواغيت يقول: نزلت في اليهود، نزلت في النصاري، نزلت في فلان! ثم رجع في أوراقه يُكذب نفسه ويوافقنا ويقول: مَنْ قال إن النبي ﷺ قال: أَمَلَسَ الكُفْرَ كُفْرًا، وَمَنْ قال كُذّا كُفْرًا، وتارة يقول ما يوجد الكفر فينا، وتارة يقرر الكفر أعجب ليايته.

الثاني: أنه ذكر في أوراقه أنه لا يجوز الخروج عن كلام العلماء. وهو صادق في ذلك، ثم ذكر فيها كفر القدريّة، والعلماء لا يكفرونهم، فكفر أناس لم يكفروا، وأنكر علينا تكفير أهل الشرك!

الثالث: أنه ذكر معنى التوديك أنها تصرف جميع أنواع العبادات، من الأقوال والأفعال، لله وحده، ولا تجعل فيها شيئاً لملك مقرب ولا نبي مرسل،

وهذا حو. ثم يرجع يكذب نفسه ويقول إن دعاء شمسان وأمثاله في الشدائد، وينذر له ليبرؤوا المريض، ويفرّحوا عنه المكروه الذي لم يصل إليه عبدة الأوثان، بل يخلصون لله في الشدائد، ويجعل هذا ليس من الشرك، ويستدل على كفره الباطل بالحديث الذي فيه: «إن الشيطان يشئ أن يعبد في جزيرة العرب...»<sup>(١)</sup> إلى آخره.

الرابع: أنه قسّم التوحيد إلى نوعين: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، ويقول إن الشيخ بيّن ذلك، ثم يرجع يرد علينا في تكفير طالب الحضر وأمثاله، الذين يشركون بالله في توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، ويزعمون أن حسيناً وإدريس ينفعون ويضرون، وهذه الربوبية، ويزعم أنهم يُنتخون ويُندبون، وهذا توحيد الألوهية.

الخامس: أنه ذكر في ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أنها كفية في التوحيد، فوحد نفسه في الأفعال، فلا خالق إلا الله، وفي الألوهية فلا يُعبد إلا الله، وبالأمر والنهي فلا حكم إلا لله، فيقرر هذه الأنواع الثلاثة ثم يكفر بها كلها ويرد علينا، فإذا كفرنا مَنْ قال: إن عبد القادر والأولياء ينفعون ويضرون، قل: كفرت الإسلام، وإذا كفرنا مَنْ يدعو شمسان وتاجاً وخطاباً قال: كفرتم الإسلام. والعجب أنه يقول: إن من التوحيد توحيد الله بالأمر والنهي، فلا حكم إلا لله. ثم يرد علينا إذا عملنا بحكم الله ويقول: مَنْ عمل بالقرآن كمر، والقرآن ما يُصّر.

السادس: أنه بهى عن تفسير القرآن ويقول: ما يُعرف. ثم ينحرف يفسر ويقول: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فيها كفاية، فلما فسرهما كفر بها.

السابع: أنه ذكر أن التوحيد له تعلق بالصفات، وتعلق بالذات، وقبل ذلك قد كتب إلينا أن التوحيد في ثلاث كلمات: إن الله ليس على كل شيء، وليس في شيء، ولا من شيء. فتدبر يدرك أن التوحيد إثبات الصفات، وتارة يقول ذلك ويقول توحيد إنكار الصفات.

الثامن: أنه ذكر آيات وأحاديث في النهي عن الشرك وقال: المراد بهذه الآيات والأحاديث الشرك الخفي والشرك الجلي، كشرك عبادة الشمس، لا على العموم كما توهمه الجاهل، فصرح أن مراد الله ومراد النبي ﷺ لا يدخل فيه إلا عبادة الأوثان، وأن الشرك الأصغر لا يدخل فيه. وسمى الذين أدخلوه (الجهل) ثم في آخر الصحيفة يعينه، قوله: ويُطلق الشرك بعبارات أخر. وكل ذلك في قوله ﴿وَمَا آتَا مِنْ لِّمُشْرِكِينَ﴾ فرد علينا في الصحيفة، وكذب على الله ورسوله في أن معنى ذلك بعض الشرك، ثم رجع يقرر ما أنكره ويقول: إن الشرك الأكبر والأصغر داخل في قوله تعالى ﴿وَمَا آتَا مِنْ لِّمُشْرِكِينَ﴾.

التاسع: أنه ذكر أن الشرك أربعة أنواع: شرك الربوبية، وشرك الألوهية، وشرك العبادة. وشرك الملك، وهذا كلام من لا يفهم ما يقول، فإن شرك العبادة هو شرك الألوهية، وشرك الربوبية هو شرك الملك.

العاشر: أنه قال في مسألة الذبح والنذر: ومن قال إن الذبح والنذر عبادة؛ فهو منه دليل على الجهل؛ لأن العبادة ما أمر به شرعاً. من غير اضطرار عرفي، ولا اقتضاء عقلي، والبهيم لا يفهم معنى العبادة، فاستدل على النفي بدليل لإثبات.

الحادي عشر: أنه بعد أربعة أسطر أكذب نفسه في كلامه هذا، فقال: من ذبح لمحلوق، يقصد به التقرب، أو لرجاء نفع، أو لدفع ضرر، من دون الله، فهذا كفر. فتارة يرد علينا إذا قلنا أنه عبادة، وتارة يكفر من فعله

الثاني عشر: أنه قرر أن من ذبح لمخلوق لدفع ضرر أنه كفر. ثم إنه يقرر أن الذبح للحن ليس بكفر.

الثالث عشر: أنه رد علينا في الاستدلال بقوله: ﴿مَصِلَ لِرَبِّكَ وَأَحْرَقَ﴾ ثم رجع يقرر ما قلنا بكلام البغوي: كان ناس يذبحون لغير الله، فنزلت فيهم الآية. فإسبحان الله من عقول تفهم أن هذا الرجل من البقر الذي لا تميز بين التين والعنب.

### السادسة والعشرون:

سأله الشيخ أحمد بن مانع عن مسائل، فأجاب بقوله:  
من محمد بن عبد الوهاب إلى أخيه أحمد بن مانع، حفظه الله تعالى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فنحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو بخير وعدفية، أتمها الله علينا وعليكم في الدنيا والآخرة، وكل من تسأل عنه فهو طيب، والأمور على ما تحب، والإسلام يزداد ظهوراً، والشرك يزداد وهناً، نسأل الله تمام نعمته، وسر الخاطر ما ذكرت من جهة جماعتكم، عسى الله أن يهدينا وإياكم الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم؛ فإنه عليه سهل هين، مع كونه سفت عليه الرياح حتى وارتته، وصاحب الورقة الذي اسمه عثمان بن عقييل إن كنت تظن أنه صادق ماهو بمنافق؛ فلا يخلى بلا كشف الشبهة التي أوردتها.

وأما المسائل التي ذكرت، فاعلم أولاً أن الذي تضح لم يضره كثرة المخالف ولا قلة الموافق، وقد عرفت بعض غربة التوحيد الذي هو دين الإسلام. من الصلاة والصوم، ولم يضره ذلك، وإذا فهمت قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى

اللَّهُ وَالرَّسُولَ إِذْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» وتحققت أن هذا حتم على المؤمنين كلهم. فاعلم أن مسألة الأوقاف فيها التراع معروف في كتب المختصرات، ذكر في شرح «الإفناع»<sup>(١)</sup> حول الوقف أنهم اتفقوا على صحة وقف المساحد والقناطر، يعني نفعها لا الوقف عليهما، واتفقوا فيما سوى ذلك.

إذا تبين هذا، فأنت تعلم أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»<sup>(٢)</sup> وفي لفظ حديث صحيح «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»<sup>(٣)</sup> وتقطع أن الرسول ﷺ لم يأمر بهذا، ولو يكن الصحابة أسبق الناس إليه وأحرصهم عليه، وتقطع أيضًا أن الرسول ﷺ أتى إليه، وهو من أعظم الأشياء ذريعة إلى تغيير حدود الله، هذا على تقدير أن العالم المنسوب إليه هذا يصحح مثل أوقفنا، وأنى ذلك! وحشا وكلا! بل هم يُبطلون الوقف الذي يُقصد به وجه الله على أمر مباح! ويقولون: لا بد منه على أمر قربة.

وأما كونه جعل ماله بعد الورثة على بر لم يرد إلا بعد انقراضهم، وعدتنا نفتي ببطلان مثل هذا، ولا نلتفت إلى هذا المصرف الثاني، وذكر بطلان مش هذا في «الشرح الكبير» وغيره.

وأما المسألة الثانية: وهي وقف المرأة على ولدها، وليس لها زوج... الخ، فكذلك تعرف أن الوقف على الورثة ليس من دين الرسول ﷺ ولو شرعه لكان أصحابه أسرع الناس إليه، سواء شرط على قسم الله أم لا. وهذا في الحقيقة يريد أمرين: الأول: تحريم ما أحل الله لهم من بيعه وهبته والتصرف

(١) الإفناع (٢/ ٣٠٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٧١٨).

(٣) أخرجه مسلم (١٧١٨).

فيه، والثاني: يحرم زوجات الذكور وآزواج الإناث، فبشبهه مشبهة جيدة ما ذكر الله عن المشركين في سورة الأنعام، ولكن كون الرسول صلوات الله وسلامه عليه لم يأمر به كافٍ في فساد، صلحت نية صاحبه أم فسدت.

وأما المسألة الثالثة: إذا لم يعرف؛ هل هذا وقف على من يرث أم لا؟ ولكن الإفاضة على أنه ممن يرث، فأنا لا أدري عن هذه المسألة شيئاً، لكن أرى التوقف عنها، ولا يُنزع من يد من يأكله إلا بينة.

وأما المسألة الرابعة: وهي الوقف على المحتاج من ذريته، فهو صحيح، ذكره البخاري عن ابن عمر؛ أنه وقف نصيبه من دار عمر على المحتاج من آل عبد الله<sup>(١)</sup>.

وأما المسألة الخامسة: وهي مسألة الجمعة، فهي باطلة؛ لكونها وقفاً على الورثة، وأيضاً يحرم بعضهم، وأيضاً لم تُشرع.

وأما بيع الإنسان نصيبه من هذه الصبرة على صاحب العفار أو غيره؛ فلا يحوز، بل الصبرة باطلة من أصلها، فإن كان هذا الجواب أزال عنك الإشكال، وإلا فلو ذكرت لي طوّلت لك، وذكرت لك العبارات والأدلة، والسلام.



في ذكر كلامه على آيات متفرقة من القرآن،  
وما فُتِح عليه في ذلك من البيان<sup>(١)</sup>

ونذكر في هذا الفصل كلامه على الآيات المتفرقة من كل سورة، على ترتيب المصحف الكريم، ونذكر كلامه على سورة الفاتحة بكمالها، لأجل ما فيه من الفوائد العظيمة. وكان سبب تأليفه لسورة الفاتحة أن الأمير عبد العزيز، حفظه الله تعالى، كتب له، وهو إذ ذاك في بلد العيينة، يسأله أن يكتب له تفسير الفاتحة، فكتبها له، وهو إذ ذاك صغير السن، قد نهب الاحتلام، قال رحمه الله:

اعلم أن مقصود الصلاة وروحها ولبها هو إقبال العبد على الله فيها، والسهو عن حضور القلب، ويدل على ذلك الحديث الذي في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «تلك صلاة المنافق. تلك صلاة المنافق. تلك صلاة المنافق؛ يرقب الشمس، حتى إذا كانت بين قرني شيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر

(١) بُشِه هَذَا إِلَى أَنْ ابْنِ عَدْنَمٍ يَنْتَقِي مِنَ تَفْسِيرِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَلَمْ يَوْرَدْ جَمِيعُ كَلَامِهِ فِي التَّفْسِيرِ. وَيُنْظَرُ فِي: «مَحْمُوعَةُ مَوْلايَاتِ الشَّيْخِ»

الله فيها إلا قليلاً»<sup>(١)</sup> فوصفه بإضاعة الوقت بقوله «يرقب الشمس» وإضاعة الأركان بذكره لنقر، وإضاعة حضور القلب بقوله «لا يذكر الله فيها إلا قليلاً». إذا فهمت ذلك فافهم نوعاً واحداً من الصلاة، وهو قراءة الفاتحة، لعن الله أن يجعل صلاتك في الصلاة المقبولة المضاعفة المكفرة لذنوب، ومن أحسن ما يفتح لك الباب في فهم الفاتحة: حديث أبي هريرة الذي في صحيح مسلم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: حمدني عبدي. فإذا قال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ قال الله: أثنى عليّ عبدي. فإذا قال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال الله: محدني عبدي. فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال الله: هذا بيني وبين عبدي، ولعبي ما سأل، فإذا قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ» قال الله: هذا لعبي، ولعبي ما سأل» انتهى الحديث<sup>(٢)</sup> فإذا قال الإنسان هذا، وعلم أنها نصفان، نصف لله، وهو أولها إلى قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ونصف العبد دعاء يدعو به لنفسه، وتأمل أن الذي علمه هذا هو الله تعالى، وأمره أن يدعو به ويكرره في كل ركعة، وأنه سبحانه من فضله وكرمه ضمن إجابة هذا الدعاء بإخلاص وحضور، قلب؛ تبين له ماذا أضاع أكثر الناس:

قد هيثوك لأمر لو فطنت له فارباً بنفسك أن ترعى مع الحمل

فأنا أذكر لك معاني هذه السورة العظيمة لعلك تصلي بحضور قلب، ويعلم

قلبك ما نطق به لسانك، فإن ما نطق به اللسان ولم يعتقده القلب ليس بعمل

(١) أخرجه مسلم (٦٢٢)

(٢) أخرجه مسلم (٣٩٥).



صالح، كما قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ وأبدأ بمعنى البسملة، ثم الاستعاذة على طريق الاختصار والإيجاز.

فمعنى «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»: ألوذ وأعتصم بالله، وأستجير بجنبه من هذا العدو الذي يضرني في ديني أو دنيائي، أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه. لأنه أحرص ما يكون على العبد إذا أراد عمل الخير، من صلاة أو قراءة أو غير ذلك، وذلك أنه لا حيلة لك في دفعه إلا بالاستعاذة بالله، لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرْتَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فإذا طلبت من الله أن يعيذك منه، واعتصمت به، كان هذا سبباً لحضور القلب، فعرف معنى هذه الكلمة، ولا تقلها باللسان كما عليه أكثر الناس.

وأما البسملة، فمعناها: أدخل في هذا الأمر من قراءة أو دعاء أو غير ذلك «بسم الله» لا بحولي ولا قوتي، بل أفعل هذا الأمر مستعيناً بالله، متبركاً باسمه تبارك وتعالى، هذا في كل أمر، تسمى في أوله، من أمر الدين أو أمر الدنيا. فإذا أحضرت في قلبك أن دخولك في القراءة مستعيناً بالله، متبركاً من الحول والقوة، كان هذا أكبر الأسباب في حضور القلب وطرده الموانع من كل خير. ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾: اسمان مشتقان من الرحمة، أحدهما أبلغ من الآخر، مثل العلام والعليم، قال ابن عباس: هما اسمان رقيقان، أحدهما أرق من الآخر. أي أكثر من الآخر رحمة.

وأما لفاتحة؛ فهي سبع آيات، ثلاث ونصف لله. وثلاث ونصف للعد، فأولها ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فاعلم أن الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري، فأخرج نقوله (الثناء باللسان) الثناء بالفعل، الذي يسمى (لسان الحال) فذلك من نوع الشكر. وقوله (على الجميل الاختياري) الذي

بفعله الإنسان يبرادته. وأم الجميل الذي لا صنع لك فيه. مثل الجمال ونحوه، فالثناء به يُسمى مدحًا لا حمدًا.

والفرق بين الحمد والشكر. أن الحمد يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه، سواء كان إحسانًا إلى الحمد أو لم يكن. والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور، فمن هذا الوجه الحمد أعم من الشكر، لأنه لا يكون على المحاسن والإحسان، فإن الله يُحمدُ على ما له من الأسماء الحسنى. وما خلقه في الآخرة والأولى. ولهذا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ الآية، وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ وغير ذلك من الآيات.

وأما الشكر فإنه لا يكون إلا على الإنعام، فهو أخص من الحمد من هذا الوجه، لكنه يكون بالقلب واليد واللسان، ولهذا قال الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ والحمد إنما يكون بالقلب واللسان، فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة أنواعه، والحمد أعم من جهة أسبابه.

والألف واللام في قوله ﴿الْحَمْدُ﴾ للاستغراق، وجميع أنواع الحمد لله لا لغيره. فأما الذي لا صنع للمخلوق فيه، مثل خلق الإنسان، وخلق السمع والبصر. والسماء والأرض، والأرزاق وغير ذلك، فواضح. وأم ما يُحمد عليه المخلوق، مثل ما نشئ به على الصبأ بخير، والأنبياء والمرسلين، وعلى مَنْ فعل معروفًا، خصوصًا إن أسداه إليك، فهذا كله أيضًا بمعنى خلق ذلك الفاعل، وأعطاه ما فعل به ذلك، وحببه إليه. وقواه عليه. أو غير ذلك من أفضال الله الذي لو يخبل منها لم يحمد ذلك المحمود. فصار الحمد كله لله بهذا الاعتبار.

وأما قوله ﴿بِهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فالله علم على ربنا تبارك وتعالى، ومعنى الإله أى المعبود. لقوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ أي: المعبود في السماوات. والمعبود في الأرض، ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي

الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿١﴾ الآية. وأما (الرب) فمعناه المالك المتصرف. وأما (العالمين) فهم اسم لكل ما سوى الله تبارك وتعالى، فكل ما سواه؛ من ملك ونبي وإنس وجن وغير ذلك. محبوب مقهور، يتصرف فيه، فقير، محتاج إليه. كنهم صمدون إلى واحد لا شريك له في ذلك، وهو الغني الصمد.

وذكر بعد ذلك ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ وفي قراءة ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وذكر في أول هذه السورة التي هي أول المصحف الألوهية والربوبية والملك، كما ذكره في آخر سورة في المصحف ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ﴿١﴾ ﴿إِلَهُ النَّاسِ﴾ ﴿٢﴾ فهذه ثلاثة أوصاف لربنا تبارك وتعالى، ذكرها مجموعة في موضع واحد في أول القرآن، ثم ذكرها مجموعة في آخر ما يطرق سمعت من القرآن، فينبغي لمن نصح نفسه أن يعتني بهذا الموضع، ويبدل جهده في البحث عنه، ويعلم أن العليم الخبير لم يجمع بينهما في أول القرآن، ثم في آخر القرآن، إلا لما يعلم من شدة حاجة العباد إلى معرفتهما، ومعرفة الفرق بين هذه الصفات، فكل صفة لها معنى غير الصفة الأخرى.

فإذا عرفت أن معنى (الله) الإله، وعرفت أن الإله هو المعبود، ثم دعوت الله وذبحت له أو نذرت له، فقد عرفت أن هذا لله، وإن دعوت مخلوقاً، طيباً أو خبيثاً، أو ذبحت له أو نذرت له، فقد زعمت أنه هو الله، فمن عرف أنه جعل شمساً أو تاجاً برهة من عمره هو الله، عرف ما عرفت بنو إسرائيل لما عبدوا العجل، فلما تبين لهم ارتاعوا وقالوا لما ذكر الله عنهم: ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا فَلَوْ أَنَّهُمْ لَمْ يَرَحْمَنًا رَحِيمًا لَكَ سَكُونٌ مِنَ الْحَسِيرِينَ﴾.

وأما الرب فمعناه المالك المتصرف، فإله تعالى مالك كل شيء وهو المتصرف فيه، وهذا حق. ولكن أقرب به عباد الأصنام الذين فتلهم رسول الله ﷺ كما ذكر الله فيهم في القرآن في غير موضع، كقوله: ﴿قُلْ مَنْ

يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ إِلَى قَوْلِهِ ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ فمن دعا الله في تفرج كربته وفضاء حاجته، ثم دعا مخلوقاً في ذلك، خصوصاً إن قرأ بدعائه المخلوق، فنسبه نفسه إلى عبوديته، مثل قوله في دعائه: فلان عبدك. أو قول: عبد عليّ، أو عبد النبي، أو عبد الزبير. قد أنزل بالربوبية في دعائه عليّ أو الزبير بدعاء الله تبارك وتعالى، وأقر له بالعبودية ليأتي له بهذا من شرائع تسميته نفسه عبد الله، قد أقر له بالربوبية، ولم تر بأنه رب العالمين، بل جحد بعض ربوبيته.

فرحم الله عبداً نصح نفسه وتفتن لهذه المهمات، وسأل عن كلام أهل العلم، وهم أهل الصراط المستقيم، هل فسروا هذه السورة بهذا أم لا؟

وأما الملك فيأتي الكلام عليه، وذلك أن قوله مالك وفي القراءة الأخرى ﴿مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فمعناه عند جميع المفسرين كلهم ما فسر الله به بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ ٧ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ٩ فمن عرف تفسير هذه الآية، وعرف تخصيص الملك بذلك، مع أنه ﷻ مالك كل شيء، ذلك اليوم وغيره، عرف تخصيصه بهذه المسألة الكبيرة العظيمة، التي بسبب معرفتها دخل الجنة من دخلها، وبسبب الجهل بها دخل النار من دخلها، في لها من مسألة لو رحل الرجل فيها أكثر من عشرين سنة لم يوفها حقها، فإين هذا المعنى والإيمان بما جاء به القرآن مع قوله ﷺ: «يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنك من الله شيئاً»<sup>(١)</sup> من قول صاحب البردة:

ولن يضيق رسول الله جاهك بي إذا الكريم تحلى باسم منتقم

فإن لي ذمة منه بتسميتي محمداً وهو أوفى الخلق باليمين  
 إن لم يكن في معادي آخذاً بيدي فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم  
 فليأمل النصح لنفسه هذه الآيات ومعناها، ومن فتن بها من العباد، وممن  
 يدّعي أنه من العلماء اختاروا تلاوتها على تلاوة القرآن، هل يجمع في قلب عد  
 التصديق بهذه الآيات والتصديق بقوله: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ  
 يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ وقوله: «يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً» لا  
 والله، لا والله، كما لا يجتمع في قلبه أن موسى صادق، وأن فرعون صادق،  
 وأن محمداً صادق على الحق، وأن أب جهل صادق على الحق، والله ما  
 استويا، ولن يتلاقيا حتى تشيب مفروق الغربان.

فمن عرف هذه المسألة، وعرف البردة ومن فتن بها، عرف غربة الإسلام،  
 عرف أن العداوة لك واستحلال دمائك وأموالك ونسائك ليس عن التكفير والقتال،  
 بل هم الذين بدأون بالتكفير والقتال، بل عند قوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ وعند  
 قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ وقوله: ﴿لَهُ  
 دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ الآية.

فهذه بعض المعاني من قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ بإجماع المفسرين  
 كلهم. وقد فسر الله سبحانه في سورة ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ كما قدمت لك،  
 فاعلم أرشدك الله أن الحق لا يتبين إلا بالباطل كما قيل: وبضدها تتميز الأشياء  
 فتأمل ما ذكرت لك ساعة بعد ساعة، ويوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر، وسنة  
 بعد سنة. لعلك أن تعرف ملة إبراهيم ودين نيك محمد، فتحشر معهما، ولا  
 تُصَدَّ عن الحوض يوم الدين كما يُصَدَّ عنه مَنْ صَدَّ عن طريقهما، ولعلك أن نمر  
 على الصراط المستقيم يوم القيامة ولا ترل عنه كما زلَّ عنه مَنْ زلَّ عن صراطهما  
 المستقيم في الدنيا، فعليك بإدامة دعاء الله بدعاء الفاتحة مع حضور قلب  
 وحواف وتضرع.

وأما قوله: ﴿يَاكَ نَعْبُدُ وَيَاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فالعبادة كمال الخضوع، وكمال المحبة والخوف والدل، وقدم المفعول وهو ﴿يَاكَ﴾ وكرر للاهتمام والحرص، أي: لا نعبد إلا ياك، ولا نتوكل إلا عليك. وهذا هو كمال الطاعة، والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين، فالأول: التبري من الشرك، والثاني: التبري من الحول والقوة، فقوله: ﴿يَاكَ نَعْبُدُ﴾ ياك نوحده، ومعناه أنك تعاهد ربك ألا تشرك في عبادتك أحداً، لا ملكاً ولا نبياً ولا غيرهما، كما قال تعالى للصحابة: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاءَ أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِدْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ فتأمل هذه الآية، واعرف ما ذكرت لك في الربوبية أنها التي نسبت إلى تاج ومحمد بن شمسان، فإذا كان الصحابة لو فعلوها مع الرسل لكفروا بعد إسلامهم، فكيف بمن فعلها في تاج وأمثاله؟

وقوله: ﴿وَيَاكَ نَسْتَعِينُ﴾ هذا فيه أمران:

أحدهما: سؤال الله الإعانة، وهو التوكل والتبري من الحول والقوة، وأيضاً: طلب الإعانة من الله كما مرّ أنها من نصف العبد.

وأما قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فهذا هو الدعاء الصريح الذي هو حظ العبد من الله، وهو التضرع إليه، والإلحاح عليه أن يرزقه هذا المطيب العظيم، الذي لم يعط أحد في الدنيا والآخرة أفضل منه، كما من الله على رسوله ﷺ بعد الفتح بقوله: ﴿وَهَدَيْكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ والهداية هنا الإرشاد والنوفيق، وليتأمل العبد ضرورته إلى هذه المسألة التي تتضمن لعلم النافع والعمل الصالح على وجه الاستقامة بالكمال والثبات إلى أن يلقي الله.

والصراط: الطريق الواضح، المستقيم: الذي لا عوج فيه. والمراد بذلك الدين الذي أنزل على رسول الله ﷺ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وهم رسول الله ﷺ وأصحابه، فانت دائماً في كل ركعة تسأل الله أن يهديك إلى

طريقهم . وعليك من الفرائض أن تصدق الله في أنه هو المستقيم ، وكل ما خالفه من طريق أو علم أو عدة فلس بمستقيم . بل معوخ ، وهذا أول واجبات هذه الآية ، وهو اعتقادك ذلك بالقلب .

ولحذر المؤمن من حذع الشيطان ، وهو اعتقاد ذلك مجملًا وتركه مفصلاً ، فإن أكثر الناس من المرتدين يعتقدون أن رسول الله ﷺ على الحق . وأن من خالفه على الباطل ، فإذا جاء بما لا تهوى أنفسهم يكونون كما قال الله تعالى : ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ .

وأما قوله : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فالمغضوب عليهم هم العلماء الذين لم يعملوا بعمهم ، والضالون العاملون بلا علم . فالأول صفة اليهود ، والثاني صفة النصارى ، وكثير من الناس إذا رأى في التفسير أن اليهود مغضوب عليهم وأن النصارى ضالون<sup>(١)</sup> ظن الجاهل أن ذلك مخصوص بهم ، وهو يُقرُّ أن ربّه فارضه عليهم ، وأن يدعو بهذا الدعاء ويتعوذ من طريق أهل هذه الصفات ، فيا سبحان الله ، كيف يُعلمه الله ويختار له ، ويفرض عليه أن يدعو به دائماً ، مع أنه لا حذر عنيه منه ، ولا يتصور أن فعله هذا من ظن السوء بالله ! هذا آخر الفاتحة .

وأما قوله : ﴿آمِينَ﴾ فليست من الفاتحة ، ولكنها تأمين على الدعاء ، ومعناها : اللهم استجب . فلو اوجب تعليم الجاهل لثلا يظن أنها من كلام الله ، والله أعلم . تمت ولله الحمد .

وقال أيضاً ﷺ ، في مسائل ذكرها على سورة الفاتحة :

الأولى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فيها التوحيد .

(١) أخرجه أبو ذرر الضيالي (١٠٤٠) وصححه الشيخ الألباني (تحريج الصحاح ٥٩٤)

الثانية: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فيها المتابعة.

الثالثة: أركان الدين الحب والرحاء والخوف، فالحب في الأولى، وهي ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ والرجاء في الثانية، وهي ﴿رَحِمَ الرَّحِيمَ﴾ والخوف في الثالثة، وهي ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

الرابعة: هلاك الأكثر في الجهل بالآية الأولى، أعني استغراق الحمد لله، واستغراق ربوبية العالمين.

الخامسة: أول المنعم عليهم، وأول المغضوب عليهم والضالين.

السادسة: في ذكر لمنعم عليهم ظهور الكرم والحمد.

السابعة: ظهور القدرة والمجد في ذكر المغضوب عليهم والضالين.

الثامنة: دعاء الفاتحة مع قوله: «لا يستجيب دعاء من قلب غافل»<sup>(١)</sup>.

التاسعة: قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فيه حجية الإجماع.

العاشرة: ما في الجملة من هلاك الإنسان إذا وكل إلى نفسه.

الحادية عشرة: ما فيها من النص على التوكل إذا وكل الإنسان إلى نفسه.

الثانية عشرة: ما فيها من التنبيه على بطلان الشرك.

الثالثة عشرة: التنبيه على بطلان البدع.

الرابعة عشرة: آيات الفاتحة، كل آية لو يفهمها الإنسان كان فقيهاً، وكل آية

أفرد معناها بالتصنيف.

وقال الشيخ رحمه الله ورضي عنه: قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو كُتُبِي﴾

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٧٩) وحسنه لشيخ الألباني (صحيح الجامع ٢٤٥).



مَلِكٌ سَلِيمٌ وَمَا كَفَرَ سَلِيمٌ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴿١٠٠﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَيْسَ مَا سَكَرُوا بِهِ أَنْفُسُهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ فيه مسائل:

الأولى: كون أناس من أهل الكتاب إذا وقعت المسألة، وأرادوا إفهمة الدليل عليها، تركوا كتاب الله كأنهم لا يعلمون، واحتجوا بما في الكتب الباطلة.

الثانية: أن من العجب احتجاجهم بذلك على رسول من الرسل.

الثالثة: أن الكلام يدل على أنهم يعلمون، لقوله: ﴿كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

الرابعة: أن المسائل الباطلة قد تُنسب إلى الأنبياء كذباً عليهم.

الخامسة: أن الكتب قد تضاف إلى بعض الصديقين.

السادسة: أن ذلك مما تتلو الشياطين على زمان الأنبياء، كما وقع أشياء في زمن النبي ﷺ.

السابعة: أن الشياطين مزجت به الحق في زمن سليمان.

الثامنة: بيان ضلال من ضل ممن يدعي العلم في شأن سليمان، ممن نسب ذلك إليه واستحسنه، أو قدح في سليمان، كما ضل أناس كثير في علي لما قُتل عثمان.

التاسعة: أن من فعل السحر كفر ولو عرف أنه باطل.

العاشرة: أن الشياطين يُعلمونه الناس.

الحادية عشرة: أن العبد لو بلغ ما بلغ في العلم والعمل فلا يأمن مكر الله.

الثانية عشرة: لا ينبغي له التعرض للفتن وثوق نفسه، بل يسأل الله العافية.

الثالثة عشرة: سعة حسم الله ومغفرته ورحمته.

الرابعة عشرة: يجعل بعض نظره إلى القضاء والقدر

الخامسة عشرة: أن النساء من أكبر لفتن.

السادسة عشرة: أن طاعة الهوى جماع الشر، كما أن مخالفته الخير.

السابعة عشرة: أن الشرك الأكبر مما يخطر بالبال.

الثامنة عشرة: أن التلفظ بالشرك بكلمة واحدة لا يُشترط في كفر من تكلم بها عقيدة القلب ولا عدم الكراهة للشرك.

التاسعة عشرة: أن المتكلم لا يُعذر، ولو أراد أن يقضي به غرضًا مهمًا.

العشرون: أن قتل النفس أعظم من الزنا.

الحادية والعشرون: أن المعاصي يريد الكفر.

الثانية والعشرون: أن بعضها يجر إلى بعض.

الثالثة والعشرون: أن عقوبة المعصية قد تكون أكبر مما يظن العالم.

الرابعة والعشرون: أن قبول التوبة بلا عذاب لا يحصل لكر أحد بل هو فضل من الله.

الخامسة والعشرون: أن من النعيم تعذيب العبد بذنبه في الدنيا.

السادسة والعشرون: حسن الظن بالله.

السابعة والعشرون: القاعدة التي هي خاصية العقل، وهو ارتكاب أدنى الشرين لدفع أعلاهما، وتقويت أدنى الخيرين لتحصيل أعلاهما.

الثامنة والعشرون: أن السحر نوعان.

التاسعة والعشرون: أن له تأثيرًا، لقوله: ﴿يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْحِهِ﴾.

الثلاثون: الإرشاد إلى لتوكل بكونه لا يصير أحدًا إلا بإذن الله.

الحادية والثلاثون: أن في من يدعي العلم من اختار كتب السحر على كتاب الله.

- الثانية والثلاثون: أنهم يعرضون به كتاب الله.
- الثالثة والثلاثون: أن اتباع كتاب غير كتب الله ضلال.
- الرابعة والثلاثون: لا تأمن الكتب، ولا من ينتسب إلى العلم على دينك.
- الخامسة والثلاثون: أن فساد العلماء يُفسد الرعية.
- السادسة والثلاثون: أن السحر وقع في زمن خلافة النبوة، حتى إن عمر وغيره أمر بقتل الساحر ولم يستتبه كما استتاب المرتد.
- السابعة والثلاثون: أن الحسد سبب لرد كتاب الله.
- الثامنة والثلاثون: أن الحسد قد يُبغض الناصح ويسعى في قتله.
- التاسعة والثلاثون: أن الحسد يحمله على رد حظه من الله في الدنيا والآخرة.
- الأربعون: أنه من أخلاق اليهود.
- الحادية والأربعون: أن المحسود يرفعه الله عني الحاسد.
- الثانية والأربعون: أن بالطاعة خير الدنيا والآخرة، وبالمعصية العكس.
- الثالثة والأربعون: أن في مَنْ ينتسب إلى العلم مَنْ يختار الكفر على الإيمان، مع علمه أن مَنْ اختاره لا حظ له في الآخرة.
- الرابعة والأربعون: أن الإنسان يجتمع فيه الضدان: يعلم ولا يعلم.
- الخامسة والأربعون: بيد غبنهم والتسجيل على فرط جهلهم في هذا الشرط.
- السادسة والأربعون: أن السبب في هذا الشرط اشتراء شيء خسيس نافع من الدنيا.
- السابعة والأربعون: أنهم لمحنتهم ما هم عليه من الجاهلية وغرامهم ندوا كتب الله الذي عندهم وراء طهورهم كأنهم لا يعرفونه.

الثامنة والأربعون: أن الذي حملهم على هذه لعظائم أنهم أتهم أمر من الله موافق لدينهم، لكن مخالف لعاداتهم الجاهلية.

التاسعة والأربعون: الفرق بين المعجزات والكرامات وبين ما يفعله الشياطين تشبهاً بذلك وتشبيهاً.

الخمسون: التنبيه على قول الصحابي: «أَوْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالْشَّرِّ؟» وجوابه ﷺ<sup>(١)</sup>.

الحادية والخمسون: أنه لا ينبغي للإنسان أن ينكر ما لم يُحط به علمًا، فقد ضل بالكذب بهذه القصة فتأم من الناس؛ لظنهم أنها تخالف ما علموه من الحق، وتكلم بسببها ناس في نبي الله سليمان بن داود، ﷺ.

وقوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْلَوْا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَحِدُّهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. فيه مسائل:

الأولى: كون أناس ممن يتسبون إلى العلم والدين يجري منهم هذا عمداً جرأة على الله، وما أكثر من ينكر هذا.

الثانية: التنبيه على كثرة هذا الصنف.

الثالثة: كون المنتسب إلى العلم يتمنى إضلال غيره إذا عجز عنه.

الرابعة: أن سبب هذا الأمر الغريب هو الحسد، لا خوف مضرة ولا طلب

مصلحة

(١) أحرجه السحري (١٤٦٥) ومسم (١٠٥٢).

الخامسة: أن المنتسب إلى العقل والعلم قد يسعى فيما يعلم أنه مصلحة لدينه ليريله، وفيما يعلم أنه مضره لدينه ليأتي به، فإنهم يعدمون أن زوال المفسد وحصول المصالح في هذا الدين، وكانوا يستفتحون على من ظمهم. فلما جاء حملهم الحسد على ما ذكر.

السادسة: أن الحسد سبب للكفر، كما وقع لهؤلاء ولأبيس.

السابعة: ذكر العفو الذي هو من أسباب العز وقهر الخصم. كما ورد في الحديث.

الثامنة: الرفق في الأمر وفعله بالتدريج، كما فعل عمر بن عبد العزيز.

التاسعة: أنه سبحانه يُمهّل ولا يُهمّل.

العاشرة: الإشعار بالنسخ قبل وقوعه.

الحادية عشرة: تسليّة المظنوم المحسود.

الثانية عشرة: التنبيه على العلة.

الثالثة عشرة: أن الظالم الحاسد يذله الله، كما جرى لهؤلاء يوم القيامة، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

الرابعة عشرة: وهي الاستدلال بالصفات على الأفعال.

الخامسة عشرة: وهي الاستدلال بالقدرة على ما لا يُظن وقوعه.

السادسة عشرة: وهي الاستدلال بها على جعل العفو سبباً لعز العوفي ودلة المعفو عنه، عكس ما يظن الأكثر. وأما الاستدلال بها على ما كذب به الجاهل استبعاداً، مثل عذاب القبر وغيره، أو مثل الصراط والميزان وغيرهما، أو ما يحري في الدين من تبديل الأحوال من الغنى إلى الفقر وصدده، ومن الذل إلى

العز وضده - فأكثر من أن يُحصَر، ولكن من أحسن ما فيها .

المسألة السابعة عشرة: وهي تنبيه أعلم الناس على أشكال المسائل بقوله: ﴿بِكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ واللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً كما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافون .

ذكر ما في بعض قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ من بيان الحق وإبطال الباطل: الأول: إذا كانت المَحَاجَّة في الله سبحانه من أقرب ما يكون إليه من المختلفين في مسألة التوحيد، وبيان ذلك بمعرفة الله تعالى فيما اجتمعنا وإياكم عليه، ومعرفة حالنا وحالكم في مسألة، وذلك أن مُجْمَعُونَ على استوائنا وإياكم في العبودية، بخلاف ملوك الدنيا، فإن بعض الناس يكون أقرب إليهم من بعض بالقربة وغيرها، ومُجْمَعُونَ أيضاً أنه لا يظلم أحداً من عباده، بل كل نفس ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ بخلاف ملوك الدنيا؛ فإنهم يأخذون مال هذا، ويعطونه هذا، فإذا كان الأمر كذلك فكيف تَدْعُونَ أنكم أولى بالله مِنَّا ونحن له مخلصون وأنتم به مشركون؟ وكيف يُظَنُّ به أنه يساوي بين مَنْ قَصَدَهُ وحده لا شريك له، وَمَنْ قَصَدَ غيره وأعرض عنه؟ وهل يظن عاقل أو سفيه برجل من بني آدم، خصوصاً إذا كان كريماً، أن مَنْ قصده وضاف عنده يَكْرَهُهُ ولا يَضِيقُهُ، ويخص بالرضا والكرامة والضيافة مَنْ أعرض عنه وضاف عند غيره. مع استواء الجميع في القرب منه والبعد؟ هذا لا يُطَرِّفُ في الآدمي فكيف يظن برب العالمين؟ فتبيّن بقضية العقل أن ما جاءت به الرسل من الإخلاص هو الموافق للعقل، وما فعل المشركون هو العجاب المحالف للعقل. فإِذَا لها من حجة! ما أعظمها وأبينها. لكن لمن فهمها كم ينبغي

قال الشيخ رحمه الله: ذكر بعض ما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أُنْزِلَتْ بِهِمْ رُسُلُهُمْ يَكْفُرُونَ﴾

فَأَتَمَّهُمْ ﴿١﴾ إِلَى الْجِزءِ (١)، ففي الآية الأولى مسئلة:

الأولى: أنه تعالى حكيم، لا يضع الأشياء إلا في مواضعها، لأنه ما جعله إماماً إلا بعدما أتم ما ابتلاه به، وسئل بعضهم: أيما: الابتلاء أو التمكين؟ فقال: الابتلاء ثم التمكين.

الثانية: إذا كان يتلى الأنبياء، هل يفعلونه أم لا؟ فكيف بغيرهم؟

الثالثة: الثناء على إبراهيم بأنه أتم الكلمات التي ابتلاه بها، وقيل إن الله لم يَنْتِ أَحَدًا بهذا الدين فأتته إلا إبراهيم، ولهذا قال: ﴿وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾.

الرابعة: أنه سبحانه جازاه على ذلك بأمور: منها أنه جعله للناس إماماً، ولما عَلِمَ ﴿كَبَّرَ﴾ هذه العطية سألها للذرية، وهي الخامسة.

والسادسة: أن الله أجابه أن هذه المرتبة لا ينالها ظالم، ولو من ذرية الأنبياء.

السابعة: أن هذا يدل على أن الإمامة في الدين تحصل لغير الظالم، فليست بمختصة.

الثامنة: معرفة قدر هذه المرتبة التي أكرم بها، وهي الإمامة في الدين.

وأما الآية الثانية (٢) ففيها مسائل:

كونه سبحانه جعل البيت الذي بناه إبراهيم مثابة مع المشاق العظيمة، وذلك من الآيات.

(١) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَنَىٰ إِبْرَاهِيمُ رُفَّهُ بِكَبِيرٍ فَأَتَمَّهُمْ قَالَ إِيَّيَّي حَابِدُكَ لَيْسَ بِأَمٍّ قَالَ وَمِنْ دُرِّيَّ قَالَ لَا يَسْأَلُ عَهْدِي لَطَمِينَ﴾.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ حَمَلْنَا آدَمَ لَيْسَ وَأَنَا وَآبَتُهُ مِنْ مَقَامٍ إِبْرَاهِيمَ مُصًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلصَّالِحِينَ وَكَافِّرِينَ وَالْكَافِرِينَ الشُّعُودِ﴾.

الثانية: أنه جعله آمنً عند الكفار، وذلك من أعجب الآيات.

الثالثة: أمره أن يتخذ من مقام إبراهيم مصلى، وهذا من الخصائص، فينطقن المؤمن لشبهة المبتدعة؛ لأنه لا يجوز أن يتخذ من مقام غيره مصلى.

الرابعة: أن فيها الرد على أهل الكتاب الذين لا يعظمونه، مع ما فيه من الآيات، ومع ما عندهم من العلم بذلك.

وأما الآية الثالثة<sup>(١)</sup> ففيها مسائل:

الأولى: ذكره أنه عهد إلى إبراهيم وإسماعيل أن يطهرا له هذه الطائفة، ولذلك أنزل الله: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾.

الثانية: أن فيها الرد على أهل الكتاب والمشركين.

الثالثة: العجب العجيب معاكستهم هذا الأمر، فلا يردون عنه إلا الطائفة، للمأمر بتطهيرهم له.

الرابعة: أنه نعتهم بالطُوفاء والرُّكْع السُّجود والعُكُوف، فدل على أن نفس العكوف فيه عبادة.

الخامسة: أن التقدم عند الله بالأعمال الصالحة لا بالسبب، فأمر بتطهيرهم له وإن لم يكونوا من ذريته، وأمر بطرد ذريته عنه إذا لم يكونوا كذلك.

وأما الآية الرابعة<sup>(٢)</sup> ففيها مسائل:

الأولى: دعوة إبراهيم للبلد وأهله، ولا ينقض تحريمه يوم خلق الله السموات والأرض.

(١) الهمس لسابق.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾. ولا ينقض تحريمه يوم خلق الله السموات والأرض.



الثانية: دعوة إبراهيم لببده وأهله بالأمن والرزق.

الثالثة: الآية العظيمة في إجابة هذه الدعوة.

الرابعة: تخصيصه بها من آمن بالله واليوم الآخر.

الخامسة: قوله ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ فلما دعا بأمر الدين منع الله الظالم من ذريته، ولما خص بالأمر الآخر ﴿مَنْ ءَامَنَ بِآلِهَتِهِ﴾ قال الله ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ وذلك للفرق بين الدارين.

السادسة: أنه لم أخبر أن ذلك للمؤمن وغيره، فقد يتوهم منه كرامة الجميع، فأخبر أنه لو عم العاصي فيه بالأمن والرزق فإنه يضطره إلى عذاب النار.

السابعة: أن المجاورة عنده كم أنها تنفع المطيع فهي تضر العاصي، لقوله: ﴿ثُمَّ أَصْطَرَّهُ، إِلَّا عَذَابَ النَّارِ﴾ ولذلك انتقل ابن عباس منها إلى الطائف.

وأما الآية الخامسة<sup>(١)</sup> ففيها مسائل:

الأولى: التصريح بأن الاثنين بنبأه.

الثانية: جلال الله وعظمته في قلوب الذين يعرفونه لدعوتهما بالقبول، وكان بعض السلف إذا قرأها يبكي ويقول: خليل الله يرفع قواعد بيت الله، ويخاف ألا يقبئه!

الثالثة: توسلهم بالصفات.

الرابعة: طلبهما أن يرزقهما الله الإسلام، وهما هُما! والغفلة عن هذه الكلمة من العجائب.

(١) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ رَفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْ مُسَمَّنَكَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِكَ مُسَمَّنًا لَكَ وَارْزُقْنَا مِنْكَ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.

الخامسة: إشراكهما في الدعوة بعض الذرية، ففيها رغوب المؤمن وحرصه على صلاح ذريته.

السادسة: طلبهما أن يعلمهما المناسك، ففيها حرصهما على العمل بالنص مع عصمتها.

السابعة: طلبهما أن يتوب عليهما، وهُمَا هُمَا! ففيها خوفهما من الذنوب.

الثامنة: التوسل بالصفات.

التاسعة: التعليل بكونه التواب الرحيم، ولولا ذلك لاستحق العقوبة.

العاشرة: الرد على المشركين وأهل الكتاب.

الحادية عشرة: أن دعوتها بهذه النعمة، التي هي أعظم النعم، للذرية، جعلها الذرية من أعظم المصائب.

وأما الآية السادسة<sup>(١)</sup> ففيها مسائل:

الأولى: دعوتها للذرية ببعثة الرسول، فكانت عندهم أعظم البلاء، مع دعواهم أنهم على ملته.

الثانية: أنهما أرادا بذلك أن يعلمهم الكتاب والحكمة، ويتلو عليهم الآيات ويزكيهم. قبل إن استماع التلاوة والتزكي به فرض عين، وأما علم الكتاب والحكمة ففرض كفاية.

الثالثة: أن سبه الركة إلى السبب لا بأس به، مع أن المزكي في الحقيقة هو الله وحده.

(١) قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَنْفَعْ فِيهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ يَتُوبُوا عَلَيْهِمْ مَا نَسِكَ وَتَعْمَهُمُ الْكِتَابَ وَتُزَكِّيهِمْ بِكَ تَتَّالِفُ الْحَكِيمُ﴾

الرابعة: التوسل باصفات.

وأما الآية السابعة<sup>(١)</sup> فهي من جوامع الكلم وأظهر البراهين، فنذكر شيئاً من ذلك:

الأولى: أنه بين أن ملة إبراهيم هي الإسلام، ومنه تعظيمه وحججه، ومع إقرار عماء أهل الكتاب بذلك يرغبون عنه، وهذه مسألة مهمة، يدل عليها قوله: «ومن رغب عن سنتي فليس مني»<sup>(٢)</sup>.

الثانية: أن أكثر الناس رغبوا عن اسم الإسلام، وعندهم لا فضيلة فيه، ولا بد عندهم من نسبة دين خاص.

الثالثة: أعجب من ذلك أنهم لا يعرفون معنى الإسلام، بل هذا عندهم صورة لا معنى لها.

الرابعة: أعجب من الجميع أنهم إذا بُيِّنَ لهم معناه اشتد إنكارهم لذلك، مع قراءة هذه الآية وأمثله.

الخامسة: التي سيق الكلام لأجلها: أنك إذا عرفت ملته فالواجب الاتباع لا مجرد الإقرار مع الرغوب عنها.

السادسة: أن من فعل ذلك لم يضر إلا نفسه.

السابعة: أن ذلك في غاية الجهل والسفه الواضح، مع ادعائهم الكمال في العلم.

(١) قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ فَلْيَسْأَلْ سَعْيَهُ يَنْفَعْهُ وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَا فِي الْأَشْيَاءِ وَإِنَّهُ فِي آخِرِهِ لَمَنْ مَصْلُحٌ﴾

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١)

الثامنة: كيف يطلب أفضل من طريقه، والله سبحانه هو الذي صطفاه ووعدته في الآخرة ما وعده بسبب طريقه.

وأما الآية الثامنة<sup>(١)</sup> ففيها مسائل:

الأولى: أن مسألة الإسلام الذي هو سبب الكلام والخصومة أن الله سبحانه هو الذي أمره بذلك.

الثانية: أنه استجاب لله فيما أمره فقال ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

الثالثة: وصفه ربه سبحانه بما يوضح المسألة، وهو الربوبية للعلم كله، فانظر رحمك الله إلى هذا التقرير والثناء والتوضيح للإسلام، مع حقارته وإنكاره عند من يقرأ هذه الآيات وما بعدها.

وأما الآية التاسعة<sup>(٢)</sup> ففيها العجب العجيب:

الأولى: أن الله سبحانه ذكر أن إبراهيم وصى بالإسلام ابنه، وهما هما!

الثانية: أن يعقوب وصى بها بنه، وهما هما!

الثالثة: تحريضه الذرية على ذلك بأن الله الذي اختاره لهم، فلا ترغبوا عن اختيار الله.

الرابعة: أنه مع هذا التقرير الواضح عند من يدعي كمال العلم، ويدعي اتباع الملة، أحقر الطرائق، ولا مدح فيه، ولا يصير من المسكوت عنه إلا من رغب عنه إلى اسم غيره، وإلا من أقصر عليه اتخذوه هزواً، فاعتقدوا غلبة جهه، بل

(١) قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

(٢) قوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بِنِي وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِذْ أَنَّهُ أَصْطَفَى لَكُمْ آلَئِنْ فَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

أفتوا بكفره وقده. وأما قوله: ﴿فَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ فحرضوهم على لزوم ذلك إلى الممات، وعدم الريادة عليه، لم في طبع الإنسان من طلب الزبدة، خصوصاً مع طول الأمل.

وأما الآية العاشرة<sup>(١)</sup> ففيها مسائل:

الأولى: وصية يعقوب عند الموت، ولم يكتف بما تقدم.

الثانية: لبنيه وهُم هُم!

الثالثة: لشدة التحريض وكبر الأمر عنده أخرجه مخرج السؤال.

الرابعة: أنه قال ﴿مِنْ نَعْدِي﴾ لأن الغالب أن الأتباع بعد موت كبيرهم ينقصون.

الخامسة: جوابهم له ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ﴾ الآية، لأن في هذا معنى الحجة وظهور الأمر أن من اتبع الصالحين يسلك طريقهم، وأما كونه يترك طريقهم بزعمه أنه اتبع لهم؛ فهذا خلاف العقل.

السادسة: قولهم ﴿إِلَهًا وَجِدًا﴾ يعنون للخلائق كلهم، لكن مهتد وضال.

السابعة: إخباره لهم بلزومهم الإسلام بعد موته.

الثامنة: ذكرهم له أن ذلك الإسلام لله وحده لا شريك له، ليس لك ولا لأبائك منه شيء.

التاسعة: أن العم أب؛ لأن اسماعيل عمه، لكن مع التغيب.

العاشرة: ر ذلك من أوضح الحجاج على ذريتهم، مع إفراهم بذلك، ومع

(١) قوله معنى: ﴿إِنَّمَا كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ نَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ أَنْتَ مُسْلِمُونَ﴾

هذا يزعمون أنهم على ملتهم مع تركها وشدة العداوة لمن اتبعها.

الحادية عشرة: أن فيها ردًّا عليهم في المسألة الحاصة، وهي اتخاذ الأحرار والرهبان أربابًا.

وأما الآية الحادية عشرة<sup>(١)</sup> ففيها مسائل:

الأولى: المسألة التي ضل بها كثير، وهي ظنهم أن صلاح آبئهم ينفعهم.

الثانية: البيان أن الذي ينفع الإنسان عمله.

الثالثة: أن الذي يضره عمله، ولا يضره معصية أبيه وابنه.

وأما الآية الثانية عشرة<sup>(٢)</sup> ففيها مسائل وهي من جوامع الكلم أيضًا:

الأولى: أن مَنْ دعا إلى أي ملة كانت، وهي من الملل الممدوحة السالم أهلها، قيل له: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ لأنها إن كانت باطلة فواضح، وإن كانت صحيحة فملة إبراهيم أفضل، كما قال ﷺ: «أحب الأديان إلى الله الحنيفة السمحة»<sup>(٣)</sup>.

الثانية: وهي مما ينبغي التفطن له: أنه سبحانه وصفه بأن إبراهيم حنيف بريء من المشركين، وذلك لأن كلاً يدعيها، فمن صدق قوله بالفعل، وإلا فهو كاذب.

الثالثة: أن الحنيف معناه المائل من كل دين سوى الإسلام لله.

(١) قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنتَلُونَ عَنْ كُفُّوا بِمَلُونِ﴾

(٢) قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفٍ وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾

(٣) أخرجه المحرر في أدب المفرد (٢٨٧) وحسه الشيخ لألدي (صحيح لجامع ١٦٠).

الرابعة: أن من الناس من يدعي أنه لا يُشرك، وأنه محنصر، ولكن لا يقرأ من المشركين، وملة إبراهيم الجمع بين النوعين.

وأما الآية الثالثة عشرة<sup>(١)</sup> ففيها مسائل:

الأولى: أمر الله سبحانه أن نقول ما ذكر في الآية، وليس هذا من إظهار العمل الذي إخفاؤه أفضل.

الثانية: الإيمان بجميع المنزل.

الثالثة: عدم التفريق بينهم.

الرابعة: التصريح بالإسلام.

الخامسة: التصريح بإخلاصنا ذلك لله، وليس هذا من باب الثناء على النفس، بل من بيان الدين الذي أنت عليه، ولهذا قال بعض السلف: ينبغي لكل أحد أن يُعلم هذه الآية أهل بيته وخدمته.

وأما الآية الرابعة عشرة<sup>(٢)</sup> ففيها مسائل:

الأولى: قوله: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا﴾ وفيه التصريح أن الإيمان هو العمل.

الثانية: أن هذا الكلام في غاية إنصاف الخصم.

الثالثة: أن الذي لا ينقاد له ليس داؤه داء جهالة بل مُشاقة.

(١) قوله تعالى ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُرِلَ إِلَيْنَا مِنْهُ مِنْ شَيْءٍ وَإِنْ نَحْنُ إِلَّا كَافَّةٌ﴾ وَمَا أُرِيَتْ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ آبَاؤُكُمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ

(٢) قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي سَبِيلِ سَيِّئَةٍ﴾ أَنَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.

الرابعة: أنك إذا أنصفته وأصر فهو سبب الانتقام له منه.

الخامسة: الاستدلال بالصفات.

وأما الآية الخامسة عشرة<sup>(١)</sup> ففيها مسائل:

الأولى: قوله ﴿صَبَّغَهُ اللَّهُ﴾ أي دين الإسلام. فدل على أن ذلك هو العمل.

الثانية: الدلالة الواضحة، وهي أنه لا أحسن من الدين الذي تولى الله بيانه والأمر به.

الثالثة: أنكم، أيها الخصوم، افتخرتكم بإسلامكم للأنبياء والصلحين، فإسلامنا لله وحده، ومعنى ذلك لزوم هذا الدين الذي تولى الله بيانه.

وأما الآية السادسة عشرة<sup>(٢)</sup> ففيها مسائل:

الأولى: أمر الله لنا أن نَحَاجُّهُمْ بهذه الحجة القاطعة، فإذا كان الله رب الجميع، وأيضاً إنه بإقراركم عدل لا يظلم. بل كل عامل فعله له، وافترقنا في كوننا قاصدينه مخلصين له وأنتم قصدتم غيره، فكيف يساوي بينكم وبيننا. أو يخص بكرامته مَنْ أعرض عنه دون مَنْ قصده؟ هذا لا يدخل عقل عاقل.

الثانية: أن الخصوم مُحَاجَّتُهُمْ في الله لا في غيره، مع فعلهم هذا في الخصومة.

وأما الآية السابعة عشرة<sup>(٣)</sup> ففيها مسائل:

الأولى: إن كانت الخصومة في الصالحين، ودعواهم أنهم على طريقهم،

(١) قوله تعالى: ﴿صَبَّغَهُ اللَّهُ﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبَّغَةً وَنَحْنُ لَهُ عِيدُونَ

(٢) قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّكُمْ وَلِلَّهِ أَعْمَالُكُمْ أَعْلَانُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُحْصُونَ﴾

(٣) قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ يُرَاهِنَهُ وَإِن يَمُوتْ وَيُحْيَوْا كَانُوا هُودًا أَوْ صَبْرًا قُلْ أَعْتَبْتُمْ أَمْ لَكُمْ بِأَلْفٍ مِنْكُمْ أَعْلَانُكُمْ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِفَاعِلٍ عَمَّا يَقْعَلُونَ﴾



فهم لا يقدرّون أن يدّعوا أن رسول الله ﷺ وأصحابه على طريقتهم، فلا يقدرّون أنهم عسى غيرها، ولكن يعندون أنهم لا يقدرّون عليها، فكيف هذا التناقض؟ يدّعون أنهم تابعوهم مع تحريمهم اتباعهم ورعهم أن أحدا لا يقدر عليه!

الثانية: قوله: ﴿أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ فهذه لا يقدر أحد أن يعرضها. فإذا سلمها، وسلم لك أن العلم الذي أنزله الله ليس هو لعدم القدرة، فهذا الذي عليه غيره، وهذا إلزام لا محيد عنه.

الثالثة: أن منهم من يعرف الحق ويكتمه خوفاً من الناس، مع كونه لا ينكره، فلا أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله، فكيف بمن جمع مع الكتمان دفعها وسبها وتكفير من آمن بها؟

الرابعة: الوعيد بقوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ والله أعلم.

وقال ﷺ: قوله تبارك وتعالى: ﴿مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُؤَيِّتَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الآيتين<sup>(١)</sup>، إذا عرفت أن سبب نزولها قول أهل الكتاب: نحن مسلمون نعبد الله، إلا إن كنت تريد أن نعبدك! عرفت أنها من أوضح ما في القرآن من تقرير الإخلاص والبراءة من الشرك، ومن أعظم ما يبين لك طريق الأئمة المهديين من الأئمة المضلين، وذلك أن الله وصف أئمة الهدى بالنفي والإثبات، فنفى عنهم أن يأمرؤا أتباعهم بالشرك بهم، أو بالشرك بالملائكة والأبياء، وهم أصلح المخلوقات، وأثبت

(١) قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُؤَيِّتَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِيمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ إِنَّكُمْ بِنُكُورِكُمْ يَتُكَفَّرُونَ عَنْ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.

أنهم يأمرون أتباعهم أن بصيروا ربائين. فإذا كان من أنزل الله بهذه المنزلة لا تصور أن تأمر أتباعه بالشرك به. ولا بغيره من الأنبياء والملائكة. فعبههم أظهر وأظهر. وإذا كان الأمر الذي يأمرهم به كونهم ربانيين، تبيّن طريقة الأنبياء وأتباعهم من طريقة أئمة الضلال وأتباعهم.

ومعرفة الإخلاص والشرك، ومعرفة أئمة الهدى وأئمة لضلّال، أفضل ما حصّل المؤمن، لكن فيه من البيان قول اليهود: إلا إن كنت تريد أن نعبدك كما عبّدت النصارى عيسى. وقول النصارى: تريد ذلك إلا إن كنت تريد أن نعبدك كما عبّدت اليهود عُزيرًا. إن عبادة غير الله من أنكر المنكرات ببديهة العقل، ولكن الهوى يُعمي ويُصم.

وفيه: معرفة الإنسان بعيب عدوه. ولا يعرف ما فيه من ذلك العيب بعينه، ولو كان فيه منه أضعاف مضاعفة.

وفيه: ما على من قرأ القرآن من الحق؛ من تعلّم معانيه.

وفيه: أن عليه أن يعمل به.

وفيه: أن يكون ربانيًا.

وفيه: أن سبب ذلك درس لكتاب وعلمه وتعليمه.

وفيه: أن المسلم إذا أشرك بالأنبياء والصالحين كفر بعد إسلامه.

وفيه: معرفة أعداء رسول الله ﷺ بما هو عليه من العدل والتواضع. كيف

يتفوهون له بهذا الكلام وهم تحت يده محتجون له؟

وفيه: أن من أشرك بشيء فقد نحذه ربا.

وفيه: أن قوله في القرآن ﴿مَنْ ذُوِ اللَّهِ﴾ ليس كما يقول الجاهلون، لأن أهل

الكتاب لا يتركون عبادة الله.

وقوله ﷺ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾<sup>(١)</sup>.

فيه: ما هو من أبين الآيات للخاص والعام، وكونه ﷺ مذكوراً مُبَشِّراً به في كتب الأنبياء.

وفيه: حجة على أن دعوته عامة في الظاهر والباطن.

وفيه: أن الإيمان به لا يكفي عن نصرته، بل لا بد من هذا وهذا.

وفيه: أخذه تعالى الميثاق على الأنبياء بذلك، دليل على شدته إلا على مَنْ يسره الله عليه.

وفيه: أن مَنْ آتاه الله الكتب والحكمة أحق بالانقياد للحق إذا جاء به من بعده. بخلاف ما عُرف من حال الأكثر من ظنهم أنه لو اتبعه غيرهم فهو نقص في حقهم.

وفيه: مزيد التأكيد بقوله: ﴿ءَاقَرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾.

وفيه: إشهدهم مع شهادته سبحانه.

وفيه: أن مَنْ تولى بعد ذلك فجُرمه أكبر.

وفيه: أن الآخر مصدق لم معهم لا مخالف له، فإذا كان هذا في أهل الملل فكيف بأهل الملة الواحدة، إذا ضلوا ثم جاءهم من يرشدهم إلى دينهم الذي أنزل الله عليهم. وهو الذي ينحلونه، فإن تولوا بعد معرفته فوَلَتْهُمْ

(١) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَاَقَرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقَرَرْنَا قُلْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٨﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

الفاسفون. فإن جمعوا مع التولي تكذيبه، فإن جمعوا مع استكذب لاستهزاء، فإن جمعوا مع ذلك عداونه الشديدة، فإن أضفوا إلى ذلك تكفير من صدق كتابهم ونبيهم واستحلال دمه وماله، فإن أضفوا إلى ذلك كله اتباع دين المشركين أعداء نبيهم، ونصره بما قدروا عليه، وبذل النفوس والأموال في نصرته وعبادة دين نبيهم، وإزالته من الأرض حتى لا يُذكر الله فيها، فالله المستعان. ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾.

ومن قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

الأولى: سبب النزول يدل على شدة الحاجة لها، فإذا احتجوا فكيف بغيرهم؟

الثانية: الخوف على مشيهم الردة بذلك، فكيف بمن دونهم.

(١) قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يُوَدُّكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾ ١٥٧ وَكَفَيْتَ كُفْرُورَ وَأَنْتُمْ تُنْفِقُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ١٥٨ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بَعْدَتَهُ أَوْحُونَ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِّنَ النَّارِ فَقَدَّمْنَا مَهَّجًا كَذِبَ يَسِيرٍ اللَّهُ لَكُمْ ءَابِتٌ فَمَلِكُ الْمُتَدُونِ ﴿وَلَنْتَكُنْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْظُلْمِ وَيَأْمُرُونَ بِمَعْرُوفٍ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ١٥٩ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ عَدُوُّ عَظِيمٌ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَادْعُوا لَعْنَتِ اللَّهِ لَعْنَتُكُمْ كُفْرُورَ﴾ ١٦٠ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَبِمَا رَحْمَةِ اللَّهِ هُمُ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تِلْكَ ءَايَتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾

الثالثة: أن فيمن أوبي الكتاب من يدعو إلى الردة، مثل ما أن فيهم من يدعو إلى الله.

الرابعة: التصريح بأن ذلك بعد الإيمان.

الخامسة: لطف الله تعالى بعبده بدعوتهم بهذا الوصف.

السادسة: استبعاد الكفر ممن تتلى عليه آيات الله وفيهم رسوله، فإذا مضت الثانية فالأولى باقية.

السابعة: أن آيات الله لا نظير لها في دفع الشر في سائر الكلام، كما أن رسوله لا نظير له في سائر الأشخاص في دفع ذلك.

الثامنة: الرد على أعداء الله الذين يزعمون أن القرآن لا يفهم معناه.

التاسعة: أن الاعتصام بحبل الله جامع.

العاشرة: أن الطرق فيها المعوج وفيها المستقيم.

الحادية عشرة: ذكر حق ثقته.

الثانية عشرة: لطافة الخطاب.

الثالثة عشرة: لزوم الإسلام إلى الممات.

الرابعة عشرة: فيه التنبيه على قوله: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»<sup>(١)</sup> لأن ذلك سبب النزول.

الخامسة عشرة: كون الإسلام طاعة الرسول ومعصية أولئك.

السادسة عشرة: خوفاً الردة وإن كنت من الصالحين.

(١) أخرجه البخاري (١٢١) ومسلم (٦٥)

السابعة عشرة: ذكر الاعتصام بحبل الله، وهو القرآن، ففيه دليل على أنه عصمة.

الثامنة عشرة: الأمر بالاجتماع على ذلك.

التاسعة عشرة: تأكيدهم تقدم بالنهي عن الافتراق.

العشرون: تذكيرهم بالنعمة العظمى، وهي إنقاذهم من النار بعد أن كنوا على شفا جرف منها.

الحادية والعشرون: ذكره هذا البيان الواضح في آياته.

الثانية والعشرون: أن الفائدة في تعليمهم العلم تذكر المتعلم واهتداؤه.

الثالثة والعشرون: ذكر الأمر بطائفة متجردة للدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الرابعة والعشرون: تخصيصها بالفلاح.

الخامسة والعشرون: نهيه عن مشابهة الذين تفرقوا واختلفوا من بعد مجيء الآيات.

السادسة والعشرون: فيه دليل على أن الله ذكر في دواء هذا الداء ما فيه الشفاء.

السابعة والعشرون: وعيد من ارتكب هذا المنهي عنه بالعذاب الأليم.

الثامنة والعشرون: بياض الوجوه وسواده.

التاسعة والعشرون: أن الدين اسودت وجوههم لدين كفروا بعد إيمانهم، ففيه أن الواقعه كفر بعد الإيمان أو نجر إليه.

الثلاثون: الوعد الجزيل لمن سم من ذلك.

الواحدة والثلاثون: أن هذه الصائح والمواعظ هي آيات الله.

الثانية والثلاثون: أنه سبحانه يتلوها على رسوله لأجنا.

الثالثة والثلاثون: تذكيرنا بأن تلك التلاوة بالحق.

الرابعة والثلاثون: الاعتقاد بأنه لا يريد ظم أحد من العالمين.

الخامسة والثلاثون: تذكيرنا بأن له ما في السماوات وما في الأرض.

السادسة والثلاثون: تذكيرنا بالرجوع إليه.

وأما قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَعْبَرُ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٠﴾ بَلْ إِلَٰهَهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾، وفيها من المسائل:

الأولى: أمره ﷺ بمحاجتهم بهذه الحجة الواضحة، للجهل والبليد، لكن بشرط التفكير والتأمل، في سبحانه الله! ما أقطعها من حجة! وكيف يخالف من أقر بها!

الثانية: إذا تحققت معنى هذا الكلام، مع ذكر الله تعالى له في مواضع من كتابه، عرفت الشرك الأكبر وعبادة الأوثان.

وقول بعض أئمة المشركين: إن الذي يُفَعَلُ في زماند شرك أصغر، في غاية الفساد، فهو نُقَدَر أن في هذا أصغر وأكبر لكان فعل أهل مكة مع العزى. وفعل أهل الطائف مع اللات. وفعل أهل المدينة مع مناة. هو الأصغر. وفعل هذا هو الأكبر، ولا يستريب في هذا عاقل، إلا أن طُبع على قلبه.

الثالثة. أن إجابة دعاء مثل هؤلاء وكشف الضر عنهم لا يدل على محبته لهم ولا أن ذلت كرامة، وأنت تفهم لو يحري شيء من هذا في زماننا على يدي بعض الناس ما يضر فيه أهل العلم، مع قراءتهم هذا ليلاً ونهاراً.

الرابعة: معرفة العدم النافع والعلم الذي لا ينفع، فمع معرفتهم أن ما يكشفه إلا الله، ومن معرفتهم بعجز معبوداتهم، ونسبهم إياه ذلك الوقت، يعادون الله هذه المعادة، ويوالون آلهتهم تلك الموالة، قال تعالى: ﴿أَفَبِالْطُّغْيَانِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>، ففيها مسائل:

الأولى: ذكر سنته سبحانه في خلقه.

الثانية: أن ذلك تسليطه البأساء وهو القحط والمجاعة، والضراء وهو الأمراض.

الثالثة: أنه سبحانه أخبرنا بمراده أنه سلط ذلك عليهم ليتوبوا فيحصلوا سعادة الدني والآخره، وليس مراده تعذيبهم على عظم جهلهم وعُتُوهم كيف لم يتضرعوا لما جاءهم ذلك، ليعرف أن هذا من أعظم الجهالة والعُتُو.

الرابعة: ذكر السبب الذي منعهم من ذلك، مع اقتضاء العقل والطبع له، وهو قسوة القلب، وكون عدوهم زين لهم ما أغضب الله عليهم، فلم يعرفوا قبحه بل استحسنوها.

الخامسة: أنهم لما فعلوا هذه الفعل العظيمة فتحت عليهم أبواب كل شيء،  
فيا لها من مسألة!

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَاسِ وَالضَّرَّةِ الْعَظِيمَةِ لَنَضْرِبَهُنَّ لَعْنَةُ اللَّهِ إِلَىٰ صَعَادَاتِ سَمَاءٍ ثُمَّ نَصَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُنَّ وَزَيَّنَّ لَهُنَّ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾  
فَلَمَّا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿١٨﴾ فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



السادسة: أنهم استبشروا بسبب عد بهم كما استبشر قوم لوط بسبب أضيافه .

السابعة: أنه لم يأخذهم حتى وقع الفرع .

الثامنة: أن ذلك الأخذ بغتة .

التاسعة: أنه بعد ذلك النعمة .

العاشرة: أنه سبحانه المحمود على إنعامه لأوليائه ونصرهم .

وأما قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدَ خَزَائِنِ اللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>، ففيها مسائل:

الأولى: أمر الله سبحانه رسوله أن يخبرهم بأنه بريء من ادعاء خزائن الله .

الثانية: إخبارهم بالبراءة من ادعاء عدم الغيب .

الثالثة: إخبارهم بالبراءة من دعوى أنه ملك، وأنت ترى من ينتسب إلى العلم كيف اعتقاده في هذه المسائل بالمعكسة .

الرابعة: الاقتصار على ما يوحى إليه، واليوم عند الناس هو هو!

الخامسة: أن الذي يقتصر على الوحي هو البصير، وضده الأعمى ومن يدعي

(١) قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدَ خَزَائِنِ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن تَبِعُوا إِلَّا مَا يَأْمُرُ إِلَيَّ فَلْيَسْتَوِ الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ ﴿١٠٠﴾ وَأَنْذِرْ يَوْمَ الَّذِينَ يَحْذَرُونَ أَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ لَا يُغْنَوْنَ ﴿١٠١﴾ وَلَا تَقْرَأُ الْيَوْمَ لَدُنْهُمْ بِسْمِ اللَّهِ رَبِّهِمْ بِالْعَدْوِ وَالْعَشَى يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ مَا عَشَبَتْ مِنْ جَحَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِصْنٍ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدُهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الْطَّالِبِينَ ﴿١٠٢﴾ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيُفْلِحُوا أُولَئِكَ مِنْ أَنْبَاءِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ نَبِيٍِّّ أَنْبَأَ اللَّهُ بِأَعْمَى بِالْشَّكْرِ ﴿١٠٣﴾ وَدَ جَاءَكَ الْيَوْمَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ فَقُلْ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ كُنْتُمْ رَكْعَةً عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةِ أَنْتُمْ مِنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءٌ يَجْهَلُونَ ثُمَّ تَابَ مِنْ تَعْدِهِ وَأَصْبَحَ فَاغْمُ عَفْوَ رَحِيمٌ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٠٥﴾

العلم، بالعكس في هذه والتي قبلها، ولست أعني العمل بل عقيدة القلب.  
 السادسة: حثه سبحانه على التفكير، الذي هو باب العلم، كما حث عليه  
 سبحانه في غير موضع.

السابعة: الإنذار الخاص لهذه الطائفة المنعوتة بهذين الوصفين.

الثامنة: أن مَنْ فقدهما لم تنفعه النذارة.

التاسعة: فائدة الإنذار وثمرته واحتياج هذه الطائفة له.

العاشرة: النهي عن طرد المتصفين بما ذكر.

الحادية عشرة: شأن صلاة العصر والصبح.

الثانية عشرة: عظمة الإخلاص.

والثالثة عشرة: كون الأمر اليسير كبيراً مع الإخلاص.

الرابعة عشرة: ذكر القاعدة الكلية المأخوذة منها هذه الجزئية، وهي: ﴿وَلَا  
 تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

الخامسة عشرة: أن طردهم يخاف أن يوصل الرجل الصالح إلى درجة  
 الظالمين، ففيه التحذير من إيذاء الصالحين.

السادسة عشرة: أن حسن النية في ذلك ليس عذراً.

السابعة عشرة: أن منعهم من الجلوس مع العظماء في مجلس العلم هو الطرد  
 المذكور.

الثامنة عشرة: ذكر فتنه سبحانه بعض خلقه ببعض.

التاسعة عشرة: ذكر بعض الحكمة في ذلك.

العشرون: أن من ذلك رفعة مَنْ لا يظن الناس فيه ذلك.

الحادية والعشرون: أن الدين إن صح فهو الامة العظيمة التي لا يساويها من الدين.

الثانية والعشرون: أن من لفتة حرمانه سبحانه من لا يظن الناس أنه يُحرّمها.

الثالثة والعشرون: المسألة العظيمة الكبيرة، وهي الاستدلال بصفات الله على ما أشكل عليك من القدرة، لأنه سبحانه رد عليهم ما وقع في أنفسهم من استبعاد كون الله حرّمهم، وخص هؤلاء بالكرامة.

الرابعة والعشرون: جلالة هذه المسألة، وهي مسألة علم الله، لأنه سبحانه رد بها على الملائكة لما قالوا: ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ الآية، كما ترى.

الخامسة والعشرون: أنه متقرر عند الكفار عبدة الأوثان منكري البعث أن الله سبحانه حكيم يضع الأشياء في مواضعها، والأشعرية يزعمون أنه لا يفعل شيئاً لشيء. والله أعلم.

وأما قوله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْقَبِيرُ﴾<sup>(١)</sup>، ففيه أربعة عشر جواباً لمن أثار عليك بموافقة السواد الأعظم على الباطل؛ لأجل ما فيه من مصالح الدنيا، والهرب من مضارها. ولكن ينبغي أن تعرف أولاً أن الكلام مأمور به مؤمن نفيه.

(١) قوله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَعَنْ أَهْقَابًا تَعَدُّ هَدًى اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ، أَصْحَابُ يَعْنُوهُ، إِلَى الْهُدَى آتَيْنَا قُلُوبًا فَذَرْهُمْ هُدًى أَنَّهُ هُوَ الْهُدَى وَأَمَّا لِسُلَيْمَةَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ وَنَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْنَا تُحْشَرُونَ ﴿١٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قُوَّةُ الْحَقِّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَرِيسٌ تَلْقَى وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْقَبِيرُ

فالأول: أن تجيبه بموله: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ﴾ وهذا نصوره كاف في فسده.

الثاني: ﴿وَنُرْدُ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ﴾ وهذا أيضًا كذلك.

الثالث: هذا المثل الذي هو أبلغ ما يُرغبك في الثبات، ويُبغض إليك موافقته.

الرابع: قولك، إذا زعم أن الهدى في موافقة فلان وفلان، بدليل الأكثر، فتجيبه ﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾.

الخامس: أن تجيبه بقوله ﴿وَأْمُرْنَا لِلْإِسْلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فإذا أمرتني بالإسلام لفلان وفلان، فالله أمرني بما لا أحسن منه.

السادس: أن تقول: وأمرن بإقامة الصلاة، وهذه خصلة مسلمة لا جدال فيها، ولا يقيمها إلا الذي أمرتني بتركه، والذين أمرتني بموافقتهم لا يقيمونها.

السابع: أنا مأمورون بتقوى الله، وأنت تأمرني بتقوى الناس.

الثامن: أن هذا الذي أمرتني بتركه أمره هو الذي إليه تحشرون، كما قال السحرة لفرعون لما دعاهم إلى ذلك ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّكَ مُتَقَبِّلُونَ﴾.

التاسع: أنه هو الذي خلق السماوات والأرض بالحق، وهذا مقتضى ما نهيتني عنه، والذي تأمرني به يقتضي أنه خلقها بطلاً.

العاشر: أن هذا الذي تأمرني بترك أمره حشر هذا الحلق العظيم ما دونه إلا قوله ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾.

الحادي عشر: أن هذا الذي أمرتني ترك أمره ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ وقد قال ما لا يخفى عليك، ووعد عيه بالخلود في النعيم، ونهى عما أمرتني به، وتوعد عليه بالخلود في الجحيم، وهو لا يقول إلا الحق، فكيف مع هذا أطيعك؟

الثاني عشر: أن له المُلْك يوم يُنْفَح في الصور، فإذا قُررت بذلك اليوم، وأن عذابه ونعيمه دائمان، فما ترحو في السماع كعب بطله ذلك اليوم، وقد بين تعالى معنى ملكه لذلك اليوم في آخر الانفطار.

الثالث عشر: أنه عالم الغيب والشهادة، فلا يمكن التليس عليه، بخلاف لمخوق، ولو أنه نبي.

الرابع عشر: أنه هو الحكيم الخبير، فلا يجعل من اتبع أمره، ولو خالف الناس، كمن ضيَّع أمره موافقة للناس، حاشاه من ذلك! ولهذا يقول الموحدون يوم القيامة إذا قيل لهم قد ذهب الدس: فارقناهم في الدنيا أحوج ما كن إليهم... إلى آخره، والله أعلم.

ومن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرِزْ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرِزْ أَتَنْجِدُ أَصْنَامًا إِلَهُةَ أَبِي أَرْثَكَ وَقَوْمَكَ فِي صَبَلٍ مُّبِينٍ ۖ﴾ وكذلك رُئِيَ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ ﴿٥٦﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَيْنُهُ أَكْبَرًا قَالَ هَذَا رَبِّيَ فَمَا أَفَرُّ قَالَ لَا أُجِبُكَ الْفَالِيتَ ﴿٥٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّيَ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ بِهِ بِي رَبِّيَ لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٥٨﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَارِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّيَ هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَتَتْ قَالَ يُفْقِرُونَ لِي بِرَبِّيَ إِذْ يَبْذُلُونَ مَالَهُمْ فِي سَبِيلِ رَبِّيَ وَجْهَتُ وَجْهِي بِلَدِي فَأَقْرَرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَيْفَ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٥٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ تَتَلَوْنِي فِي أَمْنِهِ وَقَدْ هَدَيْتُ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ۚ لَا بَأْسَ شَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ فَلَا تُدْرِكُونَ ﴿٦٠﴾ وَكَبِفَ حَافٍ مَّا تُشْرِكُكُمْ وَلَا تُخَفُونَ ۚ كُنتُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَهُ يَرْزُقُكُمْ مِمَّا يَشَاءُ سُلْطَانًا فَإِنَّهُ يَفْرِقُنِي أَخُو يَلَامِي ۚ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَلَيْسَ مَوْءُودٌ يَبْسُوُ بِمَنْهُمْ بَطْنُ أَوْثَيْدٍ لَهُمْ لَأَمْنٌ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٦٢﴾ وَبَيْنَ حُجَّتِ السَّابِقِ إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ رَفَعَ دَرَجَتٍ مِّنْ شَأْنِهِ ۚ إِنَّ رَنَّتْ حِكْمُهُ عَيْبٌ ﴿٦٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۚ وَمِن دَرَجَتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ

الأولى: قوله ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا إِلَهَةً﴾ السؤال عن معنى الآلهة، فإنها جمع إله، وهو أعلى الغايات عند المسلم والكافر، فكيف يتخذ جمادًا، وهذا أعجب وأبعد عن العقل من جعل الحمار قاضيًا، لأن الحيوان أكمل من الجماد، فإذا كان هذا من خشب أو حجر لم يعصر الله، فكيف بمن اتخذ فاسقًا إلهًا مثل نمرود وفرعون، فإن كان اتخذه بعد موته فأعجب وأعجب!

الثانية: القدح في حجتهم؛ لأن السواد الأعظم، ليس لهم حجة إلا هي، فيدل على الرسوخ في مخالفتهم بالأدلة اليقينية لقوله ﴿إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَقُومَكَ فِي صَنِيعٍ مُبِينٍ﴾. الثالثة: قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ تَرَىٰ إِتْرَافَهُمْ مَلَكُوتَ مَلَكَوتٍ وَلِلْأَرْضِ﴾ فإن ذلك من أعظم الأدلة على المسألة ببيهة العقل؛ لأن من رأى نخلاً كثيرًا لا يتخلجه شك أن المدبر له ليس نخلة واحدة منه، فكيف بملكوت السماوات والأرض؟ الرابعة: أن هذا النفي إنما نفي لأجل الإثبات.

الخامسة: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ فلم يكمل غيره حتى كمل.

السادسة: عظم مرتبة اليقين عند الله، لجعله التعليم علة لإيصاله إليه.

السابعة: براءته من شركهم، نفى أولاً كونها لا تُستحقَّق، وثانيًا عن نفسه

الالتفات إليها.

حَرَىٰ لِّلْحَسْبِ ۖ وَذَكَرْنَا وَنَحْنُ وَعِيسَىٰ وَرَبِّسَ كُلٌّ مِّنْ مُّصْلِحِينَ ﴿٥٦﴾ وَبَسْمِيعٍ وَنَحْنُ وَبُؤْسَ وَلُؤْمًا وَصَكْلًا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْ عَابِهِمْ وَذَرَيْنَاهُمْ وَجَوهَهُمْ وَحَسَمَ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٨﴾ ذِكْرُ هَذِهِ مِمَّا يَهْدِي بِهِ، مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَنَا أَسْرُكُو لِحَبَطِ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٩﴾ أُوْصِيكَ الْاَوَّلَىٰ، اَتَيْنَهُمْ مَّكَلًا وَنُصْرَةً فِي تَكْفُرِهِمْ هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ اُولَئِكَ نَبِيٍّ هَدَىٰ اللَّهُ فَهَدَاهُمْ فَتَدَةً قُلْ لَا اسْتَلْكُمْ عَلَيْهِ اَحَرُّ اِنَّ هُوَ اِلَّا يَذْكُرُ لِعَمِيكَ ﴿٦١﴾

الثامنة: نفي النقائص عن ربه.

التاسعة: ذكر توجهه الذي هو العمل.

العاشرة: ذكر الدليل الذي دله على النفي والإثبات.

الحادية عشرة: تحقيقه ذلك بكونه حنيفاً، وهذه المسألة التي قال الله في ضدها ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾.

الثانية عشرة: تصريحه لهم بما ذكر، ولم يُدارِ مع كثرتهم ووحدته.

الثالثة عشرة: تصريحه بلبراءة منهم بقوله: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

الرابعة عشرة: قوله: ﴿وَحَاجَّكُمْ قَوْمُكُمْ﴾ ولم يذكر حجتهم؛ لأن كلامه كاف عن كل ما يقولون.

الخامسة عشرة: أنهم لما حُصموا رجعوا إلى التخويف، كفعل أمثالهم، فذكر أنه لا يخاف إلا الله؛ لتفرد بالضر والنفع، بخلاف آلهتهم، فذكر النفي والإثبات.

السادسة عشرة: سعة العلم، وما قبله سعة القدرة، وهما اللتان خلق العالم العلوي والسفلي لأجل معرفتنا لهما.

السابعة عشرة: من ادعى معرفتهما وأشكل عليه التوحيد فعجب، ولذلك قال: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾.

الثامنة عشرة: قوله: ﴿وَكَيْفَ أَحَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ إلى آخره، يدل على أنه حجة عافية تعرفها عقولهم.

التاسعة عشرة: قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يدل على أن من أشكلت عليه هذه الحجة فليس له علم.

العشرون: البشارة العظيمة والخوف الكثير في فصل الله هذه الخصومة إذا عرف ما جرى للصحابه وما فسرهما لهم به النبي ﷺ.

الحادية والعشرون: تعظيمه سبحانه هذه الحجة بإضافتها إلى نفسه، وأنه الذي أعطاها إبراهيم عليه السلام.

الثانية والعشرون: أن العلم بدلائل التوحيد وبطلان الشبه فيه يرفع الله به المؤمن درجات.

الثالثة والعشرون: معرفة أن الرب تبارك وتعالى حكيم يضع الأشياء في مواضعها.

الرابعة والعشرون: كونه عليماً بمن هو أهل لها، كما قال تعالى: ﴿وَكَاُنُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾.

الخامسة والعشرون: ذكر نعمته على إبراهيم بالذرية التي أنعم عليهم بالهداية.

السادسة والعشرون: أن العلم والهداية أفضل النعم؛ لقوله: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾.

السابعة والعشرون: هدايتهم وأصولهم وفروعهم ومن في درجاتهم.

الثامنة والعشرون: ذكره الذين هداهم الله، وهو الصراط المستقيم، وهو المقصود من الفصة.

التاسعة والعشرون: التنبيه على استقامته.

الثلاثون: القاعدة الكلية أن هذا الطريق هو هدى الله، ليس للجنة طريق إلا هو.

الحادية والثلاثون: التنبيه على أن الهداية إليه بمشيئته، ل يظهر العجب وتُشكر المعمة.



الثانية والثلاثون: العظيمة التي لم يعرفها أكثر من يدعي الدين، وهو تكفير من أشرك وحبوط عمله، ولو كان من أزهد الناس وأعبدتهم.

الثالثة والثلاثون: أنه أعطاهم ثلاثة أشياء: الكتب والحكم والبوة. فلا يرغب عن طريقهم إلا من سفه نفسه.

الرابعة والثلاثون: ما في قوله: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ﴾ إلى آخره، من التحريض على الحرص على طلب العلم من طريقهم، وما فيه من التنفير من الجهل وتقييحه.

الخامسة والثلاثون: قوله: ﴿فَيُهْدِنُهُمْ آفَاقَهُ﴾ أن دينهم واحد، وأن شرعهم شرع لنا.

السادسة والثلاثون: النهي عن البدع، فإن في التحريض عليه نهياً عن ضده. السابعة والثلاثون: كون النذير البشير مع مقاساة الشدائد في ذلك لم يطب منا أجراً عليه.

الثامنة والثلاثون: كونه ذكرى، ففيه الرد على من يقرأ بلا تدبر.

التاسعة والثلاثون: قوله: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ فيه تكذيب من قال: لا يعرفه إلا المجتهد.

الأربعون: الحصر فيما ذكر. والله سبحانه أعلم.

ومن كلامه ﷺ، على آيات من سورة الأعراف:

الآية الأولى<sup>(١)</sup>: فيها: وصفه بأنه كتاب.

(١) قوله تعالى: ﴿كَتُبٌ مُّزِينَةٌ يُدْرِكُهَا الْمَعْلُومُ﴾ كَرُجْ بَنَّهُ لِيُذَكِّرَ. وَبَرَكِي بِتَوْفِيكَ

وهي الآية الثانية من السورة. فالشيخ بدأ بها، متجاوزاً الآية الأولى من السورة:

﴿لَنْصَرَّ﴾: لأنها من الحروف المقطعة. فليسه لهد في عد لايت التالية.

الثانية: كونه منزلاً إليه.

الثالثة: النهي عن الحرج.

الرابعة: التفريع.

الخامسة: ذكر الحكمة في ذلك، وهي الإنذار العام والذكرى الخاصة.

الآية الثانية<sup>(١)</sup>: فيها الأمر بتباعه.

الثانية: التحريض على ذلك بأنه منزل إلهي من ربك.

الثالثة: النهي عن اتباع ما سواه.

الرابعة: أنه لا بد من هذا وهذا.

الخامسة: ذكر أن لتذكر من قليل.

الآية الثالثة<sup>(٢)</sup>: ذكر عقوبات من لم يفعل.

الثانية: أن ذلك كثير.

الثالثة: أن البأس جاءهم وقت الغفلة.

الآية الرابعة<sup>(٣)</sup>: فيها: ذكر إقرارهم بالظلم عند نزوله.

الثانية: أن ذلك الإقرار ليس لهم دعوى غيره.

الآية الخامسة<sup>(٤)</sup>: فيها: لما ذكر عقوبات الدنيا توعدهم بالحساب.

الثانية: أن الحساب متوقف على الرسالة.

(١) قوله تعالى: ﴿اسْعَوْا مَا أُرْسِلَ بِكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَسْبِعُوا مِنْ دُونِهِ قَوْلًا فَيَلَا مَا تَذْكُرُونَ﴾

(٢) قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا شُعْشُوعٌ أَوْ هُمْ فِي نَجْدٍ﴾

(٣) قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ نَارُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾

(٤) قوله تعالى: ﴿فَسَتَنظَرُ أَعْيُنُكَ أَرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَنَسْتَغْلِقُ الْأَفْئِدَةَ﴾

الثالثة: أنه عام حتى المرسلين .

وفي الآية السادسة<sup>(١)</sup>: أنه يقص عليهم ما فعلوا .

الثانية: أنه شهيد على الجزئيات .

وفي الآية السابعة والثامنة<sup>(٢)</sup>: الوعيد بالميزان .

الثانية: أنه الحق لقطع الأضمار .

الثالثة: أن الفلاح بسبب ثقله .

الرابعة: أن الخسارة بسبب خفته .

الخامسة: ذكر سبب الخفة .

الآية التاسعة<sup>(٣)</sup>: ذكر نعمته بالتمكين في الأرض .

الثانية: ذكر نعمته بما فيها من المعيش .

الثالثة: ذكر قلة شكرهم<sup>(٤)</sup> .

وأما قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَفَقْنَاكَ ثُمَّ صَوَّرْنٰكَ﴾ إلى آخر القصة<sup>(٥)</sup>، قال ابن القيم<sup>(٦)</sup>:

(١) قوله تعالى: ﴿فَلَقَّصْنٰ عَلَيْهِمْ بِعِزِّ وَدَا كُنَّا عَابِدِينَ﴾ .

(٢) قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا يُومِيدًا لِّلْحَقِّ فَمَنْ تَقَتَّ مَوْرِسُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوْرِسُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَيْرًا لِّنَفْسِهِمْ إِنَّمَا كَانُوا بُعَاثَةً يَظْمَرُونَ﴾ .

(٣) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِشْرًا قَبْلَ مَا نَشْكُرُونَ﴾ .

(٤) يُنظر نكته كلامه على بقية الآيات في: «مجموعة مؤلفات الشيخ» (٤ / ٧١ - ٧٦)

(٥) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَفَقْنَاكَ ثُمَّ صَوَّرْنٰكَ﴾ إى قوله: ﴿يَا خَلْقَ السَّيِّئِينَ أُولَئِكَ بُدِّينَ لَا

يُؤْمِنُونَ﴾ سورة الأعراف ١١ - ٢٧ .

(٦) 'روح (١ / ١٧١)

قال ابن عباس: ﴿خَلَقَكُمْ﴾ يعني آدم، ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَكُمْ﴾ لذريته، ومثل هذا ما قال مجاهد: ﴿خَلَقَكُمْ﴾ يعني آدم ﴿صَوَّرْنَكُمْ﴾ يعني في طهر آدم<sup>(١)</sup>. وفي الحديث المعروف أنه أخرجهم من ظهر آدم في صورة الذر<sup>(٢)</sup> ونظيره ﴿وَبَنَّا خَلْقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ والله سبحانه يخاطب الموجودين، والمراد آباؤهم، كقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ وغير ذلك من الآيات، وقد يستطرد سبحانه من الشخص إلى النوع، كقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ إلى آخره، فالمخلوق من سلالة آدم، ومن نطفة ذريته. وقيل إن ﴿صَوَّرْنَكُمْ﴾ لآدم أيضا.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُمْ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُم سَجِدِينَ﴾ فأضاف النفخ إلى نفسه، وفي الصحيح في حديث الشفاعة: «فيقولون: أنت آدم، خلقت الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء»<sup>(٣)</sup> فذكروا له أربع خصائص، فلمنفوخ منه الروح المضافة إلى الله إضافة تخصيص وتشريف، والله هو الذي نفخ في طينته عن تلك الروح، هذا الذي دل عليه النص، وأما كون النفخة مبشرة منه سبحانه كما خلقه بيده، أو أنها بأمرة، كقوله في مريم ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ مع قوله ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ إلى آخره، فهذا يحتاج إلى دليل، فإنه أضاف النفخ في مريم لكونه بأمرة، وإلى الملك لكونه المباشر للنفخ.

(١) تفسير لطبري (١٢ / ٣٢٠).

(٢) أخرجه السدي في الكرى (٦ / ٣٤٨) والإمام أحمد (١ / ٢٧٢) وإسحاق (١ / ٨١) وصححه الشيخ، لأساني (صحح الجامع ١٧٠١).

(٣) أخرجه نحدي (٤٤٧٦).

وفي القصة فوائد عظيمة وعبر لمن اعتبر:

منها: أنه خلق آدم من تراب، من أبين الأدلة على المعاد، كما استدل عليه سبحانه في غير موضع، وعلى قدرته سبحانه وعظمته ورحمته وهيبته وإنعامه وكرمه، وغير ذلك من صفاته.

ومنها: أنها من أدلة الرس العامة، ومن أدلة محمد ﷺ خاصة.

ومنها: الدلالة على الملائكة وعلى بعض صفاتهم.

ومنها: الدلالة على القدر خيره وشره، فقد اشتملت على أصول الإيمان الست في حديث جبريل.

ومنها: وهو أعظمها، أنها تفيد الخوف العظيم الدائم في القلب، وأن المؤمن لا يأمن حتى تأتبه الملائكة عند الموت تبشره، وذلك من قصة إبليس، وما كان فيه أولاً من العبادة الطاعة، ففي ذلك شيء من تأويل قوله ﷺ: «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع...» إلى آخره<sup>(١)</sup>.

ومنها: ألا يأمن عاقبة العذاب، ولو كان قبله طاعات كثيرة، وهو ذنب واحد، فكيف إذا كانت الذنوب بعدد رمل عاليج؟ ومن هذا قول بعض السلف: نضحك ولعن الله اطلع على بعض أعمالنا فقال: اذهبوا فلا أقبل منكم عملاً! أو كلاماً هذا معناه، وأبلغ منه قوله ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه»، قال عنقمة: كم من كلام منعه حديث بلال<sup>(٢)</sup>. يعني هذا.

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨) ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٣٦٩) من حديث بلال بن نحرث وأخرجه الحارثي (٦٤٧٨) ومسلم (٢٩٨٧) من حديث أبي هريرة.

ومنها : أنها تخلع من القلب داء العُجب ، الذي هو أشد من كثير من الكسائر .  
ومنها : وهي من أعظمها ، أنها تعرف المؤمن شيئاً من كبرياء الله وعظمته  
وجبروته ، ولا يُدلى عليه ولو بلغ في الطاعة ما بلغ . وقد وقع في هذه الورطة  
كثير من العبد ، فمستقل ومستكثر .

ومنها : التحذير من معارضة القدر بالرأي ، لقوله : ﴿رَبِّكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ  
عَلَيْكَ﴾ وهذه بلية عظيمة ، لا يتخلص منها إلا مَنْ عصمه الله ، لكن مكثر ومقلل .  
ومنها ، وهو من أعظمها : تأدب المؤمن من معارضة أمر الله ورسوله بالرأي ،  
كما استدل بها السيف على هذا الأمر ، ولا يتخلص من هذا إلا مَنْ سبقت له من  
الله الحسنی .

ومنها : عدم الاحتجاج بالقدر عند المعصية ، لقوله : ﴿رَبِّ يَا أَغْوَيْنِي﴾ بل  
يقول كقول أبيه : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ الآية .

ومنها : معرفة قدر المتكبر عند الله ، خصوصاً مع قوله : ﴿فَأَقْصِرْ وَفَءَ مَا يَكُونُ  
لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ .

ومنها : الفخر بالأصل . وقد ورد عن النبي ﷺ التشديد في ذلك<sup>(١)</sup> والفخر  
منهي عنه مطلقاً ، ولو كان بحق ، فكيف إذا كان بباطل ؟

ومنها : الشهادة لما كان عليه السلف أن البدعة أكره من الكسائر ؛ لأن معصية  
اللعين كانت بسبب الشهوة ، ومعصية آدم بسبب الشهوة .

(١) أخرجه مسلم (٩٣٤) من حديث أبي مسك الأشعري حدثه أن لنبي ﷺ قال «أربع في  
أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونها» الفخر في الأحساب ، والظعن في الأساب ،  
والاستسقاء بالنجوم ، والباحة» .

ومنها : عدم الاغترار بالعلم ، فإن اللعين كان من اعلم الخلق ، فكان من أمره ما كن .

ومنها : عدم الاغترار بالرتبة والمنزلة ، فإنه كان له منزلة رفيعة ، وكذلك بلعام وغيره ممن له علم .

ومنها : معرفة العداوة التي بين آدم وذريته ، وبين إبليس وذريته . وأن هذا سببها لم طردَ عدوُّ الله ، ولكن بسبب آدم لما لم يخضع له . وهذه المعرفة مما يَغْرِسُ في القلب محبة الرب جل جلاله ، ويدعوه إلى طاعته ، وإلى شدة مخالفة الشيطان ؛ لأنه سبحانه ما طرد إبليس ولعنه ، وجعله بهذه المنزلة الوضيعة بعد تلك المنزلة الرفيعة ، إلا لأنه لم يخضع لنا ، فليس من الإنصاف والعدل موالاته وعصيان المُنْعِمِ ، جل جلاله ، كما ذكر هذه الفائدة بقوله : ﴿ أَفَنَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ۝ ﴾ .

ومنها : معرفة شدة عداوة عدو الله لنا ، وحرصه على إغوائنا بكل طريق ، فيعد المؤمن لهذا الحرب عدته ، ولا يعلم قوة عدوه وضعفه عن محاربته إلا بمعونة الله ، كما قل قددة : إن عدوًّا يرانا هو وقبيلُهُ من حيث لا نراهم إنه لشديد المؤنة ، إلا من عصم الله . وقد ذكر الله عداوته في القرآن في غير موضع ، وأمرنا بتخاذه عدوًّا .

ومنها : وهو من أعظمها . معرفة الطرق التي يأتينا منها عدو الله ، كما ذكر الله تعالى عنه في القصة أنه قل : ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ \* ثُمَّ لَأَنْتَهُنَّ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾ وإنما يعرف عظمة هذه الفائدة بمعرفة شيء من معاني هذا الكلام : قال جمهور المفسرين : انتصب « صراط » محذوف « عني » التقدير : لأقعدن لهم على صراطك .

قال ابن القيم<sup>(١)</sup>: والظاهر أن الفعل مضمر، فإن القاعد على الشيء ملارم له، فكأنه قال: لألزمته ولأرصدته. ونحو ذلك، قال ابن عباس<sup>(٢)</sup>: دينك لو اوضح ﴿يَنْ بَرِّ آبَائِهِمْ﴾ يعني الدنيا أو الآخرة، ﴿وَمِنْ حَنَفِهِمْ﴾ يعني الآخرة أو الدنيا ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ قال ابن عباس: أشبه عليهم أمر دينهم<sup>(٣)</sup>. وعنه أيضًا: من قبل الحسنة<sup>(٤)</sup>. وقوله ﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ الباطل، أرغبهم فيه. قال الحسن: السيئات، يحثهم عليها ويزينها في أعينهم<sup>(٥)</sup>. قال قتادة: أتاك الشيطان يا بن آدم من كل وجه، إلا أنه لم يأتك من فوقك، لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله<sup>(٦)</sup>.

وهذا يوافق قول من قال: ذكر هذه الأوجه للمبالغة في التوكيد. أي أتصرف لهم في الإضلال من جميع جهاتهم. ولا يناقض ما ذكر السلف، فإن ذلك على جهة التمثيل، فالسبل التي للإنسان أربعة فقط، فإنه تارة يأخذ على جهة شماله، وتارة على يمينه، وتارة أمامه، وتارة يرجع خفاه، فأى سبيل من هذه سلكها وجد الشيطان عليها راصدًا له، فإن سلكها في طاعة ثبطه، وإن سلكها بالمعصية حذاه.

وأنا أمثل لك مثالًا واحدًا لما ذكر السلف، وهو أن العدو، الذي من بني آدم، إذا أراد أن يمكر بك لم يستطع أن يمكر إلا في بعض الأشياء، وهي

(١) إغاثة الهمم (١/ ١٠٢ - ١٠٣).

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٣٣٩).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ٤٧٩).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ٤٨٠).

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ٤٨١).

(٦) تفسير الطبري (١٢/ ٣٣٩).



الأشياء الغمضة، والأشياء التي ليست بعالية، فلو أراد أن يمكر بك في أمر واضح بَيِّن. مثل التردى من حل أو نثر. وأنت ترى ذلك، لم بسطع، خصوصاً إذا عرفت أنه قد مكر بك مرات متعددة. ولو أراد ليمكر بك لتتزوج عجزاً شوهاء. وأنت تراها، لم يستطع ذلك. وأنت ترى البعين، أعاذ الله منه، يأتي الأدمي في أشياء واضحة بيّنة أنها من محارم الله، فيحمله عليها حتى يفعلها، ويزينها في عينه حتى يفرح بها، ويزعم أن فيها مصلحة، ويدم من خالفه، كما قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ الآية، وقوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُوا لِلْحَقِّ غَافِلِينَ﴾ وأنتم تعلمون. وقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾.

وهذا معنى قول من قال: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من قبل الدنيا<sup>(١)</sup>. فأنهم يعرفونها وعبوبها، ومجمعون على ذمها، ثم مع هذا لأجلها قطعوا أرحمهم، وسفكوا دماءهم، وفعلوا ما فعلوا. وهذا معنى قول مجاهد: ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ من حيث يبصرون<sup>(٢)</sup>. فهو لم يقنع بإتيانه من الجهة التي يجهلون أنها معصية، مثل ما فسر به مجاهد ﴿خَلْفَهُمْ﴾ قال: من حيث لا يبصرون<sup>(٣)</sup>. ولا من جهة الغيب، كما قال فيها بعضهم: الآخرة، أشككهم فيها<sup>(٤)</sup>. لم يقنع بذلك عدو الله حتى أتاهم في الأمور التي يعرفونها عينا أنها النفعة، وضدها الضرر، وفي الأمور التي يعرفون أنها سيئات، وضدها حسنات، ومع هذا أطاعوه في ذلك، إلا من شاء الله. كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٥ / ٤٧٨).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٥ / ٤٧٨).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٥ / ٤٧٩).

(٤) تفسير سني حاتم (٥ / ٤٧٩).

وقال تعالى حكاية عنه: ﴿وَقَالَ لَا تُجِدَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا \* وَلَا ضَنْهُمْ وَلَا مِئْتَهُمْ وَلَا مَرْتَهُمْ فَيَبْكَرُوا إِذًا أَلَا تَعْلَمُ وَلَا مَرَّتَهُمْ فَيَعِزُّكَ خَلْقَ اللَّهِ﴾ الآية، قال الضحاك: ﴿مَفْرُوضًا﴾ معلوماً<sup>(١)</sup>. وحقيقة الفرض، التفدير، والمعنى أن مَنْ اتبعه فهو من نصيبه المفروض، فالناس قسمان: نصيب الشيطان ومفروضه، وحزب الله وأولياؤه.

وقوله: ﴿وَلَا ضَنْهُمْ﴾ يعني عن الحق ﴿وَلَا مِئْتَهُمْ﴾ قال ابن عباس: تسويف التوبة وتأخيرها. وقال الزجاج: أجمع لهم مع الإضلال أن أوهمهم أنهم ينالون مع ذلك حظهم من الآخرة.

وقوله: ﴿وَلَا مَرَّتَهُمْ فَيَبْكَرُوا إِذًا أَلَا تَعْلَمُ﴾ البتة: القطع. وهو ها هنا قطع أذان البحيرة.

وقوله: ﴿وَلَا مَرَّتَهُمْ فَيَعِزُّكَ خَلْقَ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: دين الله<sup>(٢)</sup>. وقال ابن المسيب والحسن وإبراهيم وغيرهم<sup>(٣)</sup>: معنى ذلك أن الله فطر عباده على الفطرة، وهي الإسلام، كما قال تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الآية، وفي الصحيح: «ما من مولود يولد إلا على الفطرة، وأبواه يهودانه...» الحديث<sup>(٤)</sup> فجمع بين الأمرين؛ تفسير الفطرة بالتهويد وغيره، وتغيير الخلقة بالجدع، وهما اللذان أخبر إبليس أنه لا بد أن يغيرهما.

(١) تفسير لطري (٩ / ٢١٢).

(٢) تفسير لطري (٩ / ٢١٨).

(٣) تفسير نظري (٩ / ٢١٩ - ٢٢٠).

(٤) أخرجه البخاري (١٣٥٨) ومسلم (٢٦٥٨).

ثم قال تعالى: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُؤَيِّبُهُمْ﴾ فَوَعْدُهُ م يصل إلى قلب الإنسان، نحو: سيطول عمرك، وتنال من الدنيا وتعلو، والدنيا دُول، ستكون لك. ويطوّل أمله، ويعده الحسنی على شرکه ومعاصیه، ويمنيّه الأمانی الكاذبة على اختلاف وجوها، فالوعد في الخير، والتمني في الطيب والإرادة.

ومنها: أن معرفة هذه القصة تزرع في قلب المؤمن حب الله تعالى، الذي هو أعظم النعم على الإطلاق، وذلك من صنعه بالإنسان وتشريفه، وتفضيله على الملائكة، وفعله بإبليس ما فعل لما أبى أن يسجد له، وخلق له إياه بيده، ونفخه فيه من روحه، وإسكانه جنته.

وقد خاطب الله سبحانه بني إسرائيل الموجودين في زمن النبي ﷺ بما فعل مع آبائهم، وذكرهم بذلك واستدعاهم به، وذكر أنه فعل بهم، كقوله: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ وغير ذلك. وذكر النعم هي أصل الشكر، الذي هو الدين، لأن شكرها مبني على معرفتها وذكرها، فمعرفة النعم من الشكر، وهي أم الشكر، كما في الحديث: «من أُسْدِيَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ، فَإِنْ كَتَمَ فَقَدْ كَفَرَهُ»<sup>(١)</sup> هذا في الأشياء التي تصدر من بني آدم، فكيف بنعم المنعم على الحقيقة والكمال؟ واجتمع الصحابة يوماً في دار يتذكرون ما من الله عليهم به من بعثة محمد ﷺ وجلس الفضيل وابن أبي ليلى يتذكرون.

ومنها: أن التأويل الفاسد في رد النصوص ليس عذراً لصاحبه، كما أنه سبحانه لم يعذر إبليس في شبهته التي ألحاه، كما لم يعذر من خالف النصوص متأولاً مخطئاً، بل كان ذلك التأويل زيادة في كفره.

(١) أخرجه أبو داود (٤٨١٤) من حديث حابر أن سي ﷺ قال: «من أبلى بلاءً فذكره فقد شكره، وإن كتمه فقد كفره» وصححه الشيخ لأبى (صحيح الجامع ٥٩٣٣).

ومنها : أن مثل هذا التأويل ليس على أهل الحق أن يناظروا صاحبه ويبينوا له الحق. كما يفعلون مع لمخطي المتأول. بل يبدرون إلى عقوبته بالعقوبة التي يستحقها بقدر ذنبه، والإعراض عنه إن لم يقدر عليه. كما كان السلف الصالح يفعلون هذا وهذا، فإنه سبحانه لما أبدى له إبليس شبهته فعل به ما فعل. ولما عتب على الملائكة في قتلهم أبدى لهم شيئاً من حكمته وتدبوا.

وقد وقعت هذه الثلاث لرسول الله ﷺ في غزاته التي فتح الله فيها مكة، فإنه لما أعطى المؤلف قلوبهم وجدت عليه الأنصار، عاتبهم واعتذروا، وقيل عذرهم وبين لهم شيئاً من الحكمة<sup>(١)</sup>. ولما قل له الرجل العابد: اعدل. قل له كلاماً غليظاً، واستأذنه بعض الصحابة في قتله، ولم ينكر عليه، لكن ترك قتله لعذر ذكره<sup>(٢)</sup>. ولما فعل خالد بن الوليد ببني جذيمة ما فعل<sup>(٣)</sup> رد عليهم ما أخذ

(١) أخرجه البخاري (٤٣٣٢) ومسلم (١٠٥٩) من حديث أنس بن مالك قال: لما فتحت مكة قسم الغنائم في قریش فقلت الأنصار: إن هذا لهُو لعجب؛ إن سيوفنا تقطر من دمائهم، وإن غنائمنا ترد عليهم! فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجمعهم فقال: «ما الذي بلغني عنكم؟» قالوا: هو نذي بلغك. وكانوا لا يكذبون، قال: «أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا إلى بيوتهم، وترجعون برسول الله إلى بيوتكم! لو سلك الناس وادياً أو شعباً، وسلك الأنصار وادياً أو شعباً، لسلك وادي الأنصار أو شعب الأنصار».

(٢) أخرجه البخاري (٣١٣٨) ومسلم (١٠٦٣) من حديث جابر بن عبد الله قال: أتى رجل رسول الله ﷺ بسجعة، منصرفه من حنين، وفي ثوب بلال فضة، ورسول الله ﷺ يقبض منها يعطي الناس، فقال: يا محمد اعدل. قال: «ويلك! ومن يعدل إذا لم أكن أعديل! لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل» فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق! فقال: «معاذ الله أن يتحدث الناس أنني أقتل أصحابي إن هذا وأصحابه!».

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٨٤) من حديث ابن عمر قال: بعث النبي ﷺ حنيد بن الوليد إلى بني جذيمة، فدعاهم إلى الإسلام. فلم يحسوا أن يقولوا (أسلموا) فجعلوا يقولون

منهم ووداهم ولا نعلم أنه عاتب خالداً، ولا منعه ذلك من تأميره على الناس.  
ومنها: أن الشبهة إذا كنت واضحة البطلان لا عذر لصاحبها. فإن الحوض  
معه في إبطالها تضييع لزمان وإتعاث للحيوان. مع أن ذلك لا يردعه عن بدعته.  
وكن السلف لا يخوضون مع أهل الباطل في رد بطلهم. كما عليه المتأخرون،  
بل يعاقبونهم إن قدروا، وإلا أعرضوا عنهم، وقال أحمد لمن أراد أن يرد  
عليهم: اتق الله، ولا تنصب نفسك لهذا، فإن جاءك مسترشداً فأرشده.

وهو سبحانه لما قال اللعين: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ قال: ﴿فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾  
ولما قالت الملائكة ما قالت قال: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ثم بين لهم ما بين  
حتى أذعنوا.

ومنها: معرفة قدر الإخلاص عند الله، وحماية الله أهله، لقول اللعين:  
﴿لَا عِبَادَ لَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ فعرف عدو الله أنه لا سبيل له على أهل  
الإخلاص.

ومنها: أن كشف العورة مستقر قُبْحُهُ في الفطر والعقول، لقوله: ﴿فَوَسَّسَ لَكُمَا  
الشَّيْطَانُ لِيُبَيِّدَ لَكُمَا مَا وَدَّيْ عَنِّي مِنْ سَوَاءٍ تَهُمَا﴾ وقد سماه الله فاحشة.

ومنها: أنه لا ينبغي للمؤمن أن يغتر بالفجرة، بل يكون عى حذر منهم، ولو  
قلوا ما قلوا، خصوصاً أولياء الشيطان، الذين تسبق شهادة أحدهم يمينه،  
ويمينه شهادة، فإن اللعين حلف ﴿إِنِّي لَكُمَا لَيِّنٌ نَصِيبٌ﴾.

= (صبان، صباناً) فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره، حتى إذا  
كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل  
رجل من أصحابي أسيره! حتى قدمت على النبي ﷺ فذكره، فرفع النبي ﷺ يديه فقال:  
«للهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد» مرتين.

ومنها: "ن زحرفة القول قد تُخرج البطل في صورة الحق، كما في الحديث: «إن من البيان لسحراً»<sup>(١)</sup> فإن العين زحرف قوله بأنواع؛ منها تسمية الشجرة شجرة الخلد، ومنها تأكيد هوله ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْ أَصْحَابِ﴾ وغير ذلك ما ذكر في القصة، فينبغي للمؤمن أن يكون من زحرف القول على حذر، ولا يقنع بظهره حتى يَعْجُمَ العود.

ومنها: أن في القصة شاهداً لما ذكر في الحديث: «إن من العلم جهلاً»<sup>(٢)</sup> أي من بعض العلم ما العلم به جهلاً، والجهل به هو العلم، فإن اللعين من أعلم الخلق بالحيل التي لا يعرفها آدم، من أن الله علّمه الأسماء كلها، فكان ذلك العلم من إبليس هو الجهل، وفي الحديث: «إن الفاجر خبٌ لئيم، وأن المؤمن غرٌّ كريم»<sup>(٣)</sup> وأبلغ من ذلك وأعم منه قول الملائكة: ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ فقليل لهم ما قيل وعوتبوا، فكانت توبتهم أن قالوا: ﴿سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ فكان كمالهم ورجوعهم عن العتب وكمال علمهم أن أقروا على أنفسهم بالجهل، إلا ما علّمهم سبحانه، ففي هذه القصة شاهد للقاعدة الكبرى في الشريعة، المُنبّه عليها في مواضع، منها قوله ﷺ: «وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحِمَةُ لَكُمْ، غَيْرَ نَسْيَانٍ، فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا»<sup>(٤)</sup>.

ومنها: أنه لا ينبغي أن يغتر بخوارق العادة، إذا لم يكن مع صاحبه استقامة

(١) أخرجه مسلم (٨٦٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠١٢) وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الجامع ١٩٩١)

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٩٠) وترمذي (١٩٦٤) وحسنه الشيخ الألباني (صحيح

للمجمع ٦٦٥٣)

(٤) أخرجه الدارقطني (١٨٥ / ٤) ولحاكم (١٢٩ / ٤) وضعفه الشيخ لألدي (ضعيف

للمجمع ١٥٩٧).

على أمر الله، فإن اللعين أنظره الله تعالى، ولم يكن ذلك إلا إهانة له، وشقاء له، وحكمة بالغة يعلمها العليم الخبير، فينبغي للمؤمن أن يميز بين الكرامات وغيرها، ويعلم أن الكرامة هي لزوم الاستقامة.

ومنها: أن الأمور التي يحرصون عليها أهل الدنيا قد تكون عقوبة ومحنة، الجاهل يظنها نعمة، مثل المال والجاه وطول العمر، فإن الله أعطى الدعين من النِّظَرَةِ ما أعطاه.

ومنها: أن يعلم المؤمن أن الذنوب كثيرة، ولا نجاة له منها إلا بمعونة الله وعفوه، وأن كثيراً منها قد لا يعلمه من نفسه، فإن أكثر الكبائر القلبية؛ مثل الرياء والكبر والحسد وترك التوكل والإخلاص وغير ذلك، قد يتلطف بها الرجل وهو لا يشعر، ولعله يتورع عن بعض الصغائر الظاهرة، وهو في غفلة عن هذه العظائم.

ومنها: أن يعرف قدر معصية الحسد، وكيف آل باللعين حسده إلى أن فعل به ما فعل.

ومنها: وهو من أحسنها، أن يعرف صحة ما ذُكِرَ عن بعض السلف أن مَنْ لم يجاهد في سبيل الله ابتليّ بالجهاد في سبيل الشيطان، وَمَنْ بَخِلَ في إنفاقه المال في طاعة الله ابتليّ بإنفاقه في المعاصي وفيما لا ينفعه، وَمَنْ لم يَمْشِ في طاعة الله خطوات مَشَى في معصية الله أميالاً، وأشبه ذلك. والدليل من القصة شيء أبلغ من هذا بكثير، فإن الدعين أبى أن يسجد لزعمه أن ذلك نقصاً في حقه، ثم صر بعد ذلك يَكْدَحُ جَهْدَهُ في القيادة والديانة وأنواع الرذائل.

ومنها: أن في القصة معنى قوله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه...» إلى آخره<sup>(١)</sup> ومن ذلك قوله حكاية عن

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٨) ومسلم (٢٦٥٨)

إبليس . ﴿وَلَا مُرْسَلٌ عَلَيْهِمْ خَلْقٌ﴾ فإنهم ذكروا في معناه . أي : أمرهم بتغيير خلق الله . وهي فطرته التي فطر عباده عليها ، وهي الإسلام له وحده لا شريك له .

ومنها : أن فيها معنى القاعدة الكبرى في الشريعة المذكورة في مواضع ، منها قول النبي ﷺ : «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»<sup>(١)</sup> وهي من قوله : ﴿وَلَا مُرْسَلٌ عَلَيْهِمْ فَيَنْبَغُكَ أَنْ تَذَكَّرَ الْأَنْعَامَ﴾ فإنهم ذكروا أن معناه قطع آذان البهيمة تقرباً إلى الله على عادات الجاهلية .

ومنها : أن تفيد المعنى العظيم المذكور في قوله تعالى : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَبِيهِ﴾ وم في معناه من النصوص ، وذلك مستفاد من منع الدعين ، فإنه مع علمه بجبروت الله وأليم عذابه ، وأنه لا محيص له عنه ، ويعرف من الأمور ما لا يعرفه كثير من أهل العلم ، ومع ذلك لم يثب ولم يرجع . بن أصر وعاند ، وطلب النظرة لأجل المعصية ، مع علمه بعقابه ، وعدم مصلحة من فعله . وهذا باب عظيم من معرفة الرب وقدرته ، وتقليبه القلوب كيف يشاء ، وتيسيره كل عبد لم خلق له ، فيفعله باختياره .

ومنها : أن الله سبحانه قد يعاقب العبد ، إذا غضب عليه ، بعقوبات باطنة في دينه وقلبه ، لا يعرفها الدس ، مع إمداده إياه في الدين ، كما قال تعالى : ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُورِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ كما فعل إبليس . ومنها : أن فيها شهادة لما ذكر عن بعض السلف أن من عقوبة السيئة السيئة بعده .

ومنها : أن تفيد القاعدة المعروفة أن الجزاء من جنس العمل ، وذلك أن قصده

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨) .



الترفع، فقيل له: اخرج بك من الصاعرين. ففَصَدَّ العَرْ؛ فَذَلَّه الله بأنواع الذل. ومنها: الشهادة لصحة الكلام المذكور عن بعض السف في قوله: والله إن معالجة التقى التقوى أهون من معالجة غير التقى الناس. وقول من قل: مصنعة وجه واحد أهون من مصنعة ألف وجه. وبين ذلك أن اللعين لم تحيل أن عليه من أمر الله شيئاً من النقص، فلو قَدَّم طاعة الله وآثرها على هواه وسجد لآدم، فلو قَدَّر أن ما تخيله صحيح، وأن ذلك غرضة، لكان في جنب ما أتاه من الشر والهوان والصغار جزءاً يسيراً، والله المستعان، فكيف ولو فعل ذلك لكان فيه شرفه وسعدته، كم هو عادة الله في خلقه أن «مَنْ تواضع لله رفعه»<sup>(١)</sup>.

ومنها: أن الفاجر قد يعطيه الله سبحانه كثير من القوى والإدراكات في العلوم والأعمال، حتى في صحة الفراسة، كما ذُكِرَ عن اللعين، حيث تفرَّس فيهم أن يُغْوِيَهُمْ إِلَّا الْمُخْلِصِينَ، فصدَّق الله فراسته في قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فإن قيل: في الحديث: «اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله»<sup>(٢)</sup> ولا يناقض ما ذكرناه، بل يدل على أن المؤمن أتم في هذه الخصلة من غيره وأصدق، كما كان في العلم والإيمان والأعمال والحلم والصبر وغير ذلك، ولو كان للفجار شيء من هذا.

ومنها: الشهادة للقاعدة المعروفة في الشريعة؛ أن كل عمل لا يُفَصَّدُ به وجه الله فهو باطل، لاستثنائه المخلصين.

ومنها: الشهادة للقاعدة الثانية؛ وهي أن كل عمل على غير اتباع لرسول غير مقبول، لقوله في القصة: ﴿أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ الآية، فقسم

(١) أخرجه الطبرسي في المعجم الأوسط (٨٣٠٧) وحسنه الشيخ لأبي (لصحيحه ٢٣٢٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٣١٢٧) وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف لجمع ١٢٧).

الناس إلى قسمين؛ إلى أهل الجنة، وهم الذين آمنوا، أهدى المنزل من الله، وأهل الشقاق والضلال، وهم من أعرض عنه. فالتصمت هذه الفصاة لهاتين الآيتين العظيمتين، اللتين هما من أكبر قواعد الشريعة على الإطلاق؛

القاعدة الأولى: فيها حديث عمر: «إنما الأعمال بالنيات»<sup>(١)</sup>.

والقاعدة الثانية: فيها حديث عائشة: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منها فهو رد»<sup>(٢)</sup>.

الثامنة عشرة<sup>(٣)</sup>: فيها: تذكيره ما يورث السواتين.

الثانية: تذكيره بإنزال الريش.

الثالثة: تذكيره بإنزال لباس التقوى.

الرابعة: إخباره بخير اللبسين.

الخامسة: ذكره أن ذلك من آياته.

السادسة: ذكره الحكمة في ذلك.

التاسعة عشرة<sup>(٤)</sup>: إخباره وإنذاره عن فتنة الشيطان.

(١) أخرجه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٧١٨).

(٣) هكذا في المخطوط والطبعة الهندية. ويعني: قوله تعالى: ﴿يَسَىٰ ۚ ءَادَمَ ۖ مَا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ لُبَاسًا نُورِي سَوَءَ بَكُمُ وَزِينًا ۚ وَسَاسَ لُفْقَوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾. وهي آية (٢٦) من السورة. قال محققو مؤلفات الشيخ «٤ / ٧٦»: «في هذا الموضع من المخطوطة شيء من لخطأ في عدد الآيات». هل ينسب ما يأتي من الآيات.

(٤) قوله تعالى: ﴿يَسَىٰ ۚ ءَادَمَ ۖ لَا يَفْلَحُكُمْ الشَّيْطَانُ ۚ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنرِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَءَ هِمًّا ۚ إِنَّمَا يَرْكَبُكُمْ هُوَ وَفِيهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا تَأْمُرُهُمْ ۖ إِنَّا جَعَلْنَا شَيْطَانِينَ أُولِيَّ لُلْبِيبِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

الثانية: نمتله بما لا يستطيع أحد دفعه.

الثالثة: ما جرى في طاعته من التعب العاجل.

الرابعة: نزعه عنهما لباسهما.

الخامسة: مراده في ذلك.

السادسة: تنبيه هذا على المهم، وهو كونهم يروننا ولا نراهم.

السابعة: القاعدة الكلية، وهي من مسائل الصفات.

العشرون<sup>(١)</sup>: فيها: إنكاره عليهم هذه الفاحشة.

الثانية: الرد على من أنكر التحسين والتقبيح العقلي.

الثالثة: إنكار حجتهم الأولى والثانية.

الرابعة: أمره بالقول الذي فيه تنزيه الله عن ذلك.

الخامسة: اشتغال هذا الكلام على ما لم يُخص من المسائل.

السادسة: أن معرفة الله نفي ما لا يجوز عليه.

السابعة: إنكاره القول عليهم بلا علم.

الحادية والعشرون<sup>(٢)</sup>:

الأولى: أمره أن تقول هذا الإثبات.

(١) قوله تعالى: ﴿وَيَذَرُوا مَا كَانُوا عَلَىٰهَا ۚ إِنَّهُمْ بِآيَاتِنَا لَا يُصَدِّقُونَ﴾

بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ ﴿١﴾

(٢) قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ

الْبَيِّنَاتِ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٢٦﴾ فَرِيقٌ هَدَىٰ وَفَرِيقٌ حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ يَخِفُّونَ لَلشَّيْطَانِ أُولِيَاءِ

مِن دُونِ اللَّهِ وَلْيَحْسَبُوا أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢٧﴾

الثانية: الاستدلال بالصفات على الأفعال.

الثالثة: الاستدلال بالعموم.

الرابعة: ذكر أمره بالعدل.

الخامسة: إقامة الوجه عند كل مسجد.

السادسة: دعوته بالإخلاص.

السابعة: ذكر المعد.

الثامنة: الاستدلال عليه بالمبدأ.

التاسعة: ذكر الإيمان بالقدر، بذكر الهداية والإضلال.

العاشرة: الإشارة إلى الأمرين.

الحادية عشرة: ذكر الأمر العظيم، وهي اتخاذهم الشياطين أولياء.

الثانية عشرة: ذكر حسابانهم أنهم مهتدون.

الثالثة عشرة: أن ذلك ليس عذراً.

الثانية والعشرون<sup>(١)</sup>: ذكر الأمر بأخذ الزينة عند كل مسجد.

الثانية: ذكر الأكل والشرب.

الثالثة: ذكر النهي عن السرف.

الرابعة: ذكره أنه لا يحب المسرفين.

وقوله ﷺ: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا مَاءً آتَانَا وَنَسُوا أَمْرًا بِهِمَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا

(١) قوله تعالى: ﴿يَسَىٰ ءَاذَةُ هُوَ رِيبُكُمْ عَدَىٰ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُنُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا

يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾

يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ إلى قوله: ﴿وَنَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (١)، هذه الآيات ذكرها الله سبحانه بعدما رد على الكفار عدادات يتقربون بها إليه ولم يشرعها:

منها: أنهم إذا حجوا طافوا بالبيت عراة، يقولون: الثياب التي عصينا الله فيها لا نطوف فيها. فقال الله ردًا عليهم: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ والفحشة في هذا الموضع إخراج العورة للعبادة، مثلما يفعل كثير من الناس، يكشف عورته للاستنجاء، وغيره ينظره، يريد بالاستنجاء في هذه الحالة التقرب إلى الله، فلما رد عليهم الباطل، أخبرهم بالحق الذي شرعه، فقال: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ وهو العدل ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ وهو إقامة الصلاة بحقوقها ﴿وَادْعُوا تَخْلُصِينَ لَهُ إِلَيْنَ﴾ يقول: ادعوه بهذا الشرط، لا تدعوا مع الله أحدًا، يقول: الأمور التي تعبدوني بها ما أمرتكم بها، والأمور التي أمرتكم بها لا تفعلونها، فالظلم والبغي ضد القسط، وهو جاهكم وسمتكم الذي تبدلون فيه الأعمار والأموال، وإقامة الوجه عند كل مسجد لا تفعلونها، بل إن فعلتم صليتم صلاة لا تُجزى، والإخلاص ليس عندكم، ودينكم الذي ترجون عليه الثواب هو الشرك. إذا فهمت هذا فتأمل أحوال من تعرف، ونزل هذه الآية على أحوالهم ترى العجب!

ثم قال: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ أي لا بد أن يخلقكم للبعث كما بدأ خلقكم من نطفة. ثم قال: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ فهذا القدر، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فجمع في هذه الآية الإيمان بالله واليوم الآخر، والإيمان

بالشرع، والإيمان بانقدر، وذكر فيها تفصيل الشرع الذي أمر به، وذكر حال من عكس الأمر، فجعل المنكر معروفاً والمعروف منكراً.

ثم ختم الآية بهذه المسألة العظيمة، وهي: ﴿إِنَّهُمْ أَكْحَرُوا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُنْتَصِرُونَ﴾ فلا أجهل ممن هرب عن طاعة الله واختار طاعة الشيطان، ومع هذا يحسب أنه مهتد مع هذا الضلال الذي لا ضلال فوقه. والله أعلم.

الثالثة والعشرون: ذكر الأمر بأخذ الزينة عند كل مسجد.

الثانية: إضافتها إلى الله.

الثالثة: تنبيهه على العلة بقوله ﴿مِنْ الزَّيْنِ﴾.

الرابعة: أمره أن نقول هذا القول.

الخامسة: ذكر تفصيل الآيات.

السادسة: ذكر أهل هذا التفصيل.

الرابعة والعشرون: أمر أن نقول هذا القول.

الثانية: حصر المحرمات فيما ذكر.

الثالثة: تحريم الفواحش.

الرابعة: تحريم الإثم والبغي بغير الحق.

الخامسة: تحريم الشرك.

السادسة: ذكر هذا الفيد العظيم.

السابعة: تحريم القول على الله بلا علم.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ الآية<sup>(١)</sup>، فيه مسائل:

الأولى: تفصيل شيء من قوله: ﴿وَلَقَدْ نَعَنَّا فِي كُرِّ مَتِّهِ رَسُولًا﴾.

الثانية: معنى قوله: «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، ويُعَثُّ إلى الناس عامة»<sup>(٢)</sup>.

الثالثة: الملاطفة في الدعوة إلى الله لقوله: ﴿يَقَوْمِ﴾ أضافهم إلى نفسه.

الرابعة: التي أرسلت الرسل وخلقت الخلق لأجلها.

الخامسة: تفسير الإله.

السادسة: دعاؤهم بالرجبة.

السابعة: دعاؤهم بالتخويف.

الثامنة: جواب المأل لهذا الكلام بهذه الجهالة.

التاسعة: كون أهل الباطل ينسبون أهل الحق إلى الجهالة، بل إلى السفاهة، بل إلى السحر، بل إلى الجنون.

العاشرة: حسن جوابه لهم ومقابله الإساءة بالتي هي أحسن.

الحادية عشرة: تعريفهم بأنهم إنما ردوا وعَصَوْا رب العالمين.

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوُّوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ في أخاثة عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٨١﴾ قَالَ أَلَمْ أَتَاكُمْ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّ لَكُمْ فِي صَلَاتِي مُبِينًا ﴿٨٢﴾ قَالَ يَتَقَوُّوا لَيْسَ بِي صَلَاةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٣﴾ أَتَيْتُكُمْ بِرِسَالَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعِظُكُمْ مِنْ أَنْتُمْ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ أَوْ عَجِزْتُ أَنْ هَاجَكُمْ دِكْرُ مَنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ بَعْضِ مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَلَقَدْ كُذِّبَتْكُمْ فَأَنْجَيْنَهُ الْفُلْكَ وَأَعْرِفْتُمْ لَكُمْ كَذِبًا بَيْنًا بِهِمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٨٥﴾

(٢) أخرجه إسماعيل (٣٣٥) ومسلم (٥٢١).

الثانية عشرة: تعريفهم بما فيه من الخصال التي لا غناء لهم عنها.

الثالثة عشرة: تعريفهم أن تلك الخصال لا تقتضي الحسد، بل تقتضي المحبة والانقياد.

الرابعة عشرة: لما عرّفهم أن الرسالة التي أتتهم منه وعظّمهم بأنه رب العالمين.

الخامسة عشرة: تعريفهم أن هذا الذي استغربوا، ونسبوا مَنْ قاله إلى الجهالة والجنون، هو الواجب في العقل، وهو أيضًا حظهم ونصيبهم من الله، ففي هذا الكلام من أوله إلى آخره؛ من تحقيق الحق وذكّر أدلته العقلية، وبطلان الباطل وذكّر الأدلة العقبية على بطلانه، ما لا يخفى على مَنْ له بصيرة.

السادسة عشرة: ذكر أنهم كذبوه مع هذا البيان. ففصل الله الخصومة بما ذكر أنه فعل بالفريقين.

السابعة عشرة: ذكر أن ذلك بسبب التكذيب بآياته، فدل على أنه أتاهاهم بآيات الله.

الثامنة عشرة: أن السبب في ذلك التكذيب هو العمى والجهالة، فهي وصفهم لا وصف خصومهم.

وأما قصة عاد<sup>(١)</sup> فنذكر ما فيها من الفوائد خاصة:

الأولى: التبيين أن أعظم التقوى اتقاء الشرك.

الثانية: وصفه الملأ منهم بالكفر.

الثالثة: وصفهم نبهم بالسفاهة التي هي أبلغ من الجهل.

(١) قوله تعالى ﴿وَأِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ سورة الأعراف ٦٥-٧٢



الرابعة: وصفهم إياه بالكذب.

الخامسة: استعطافه إياهم بأمانته.

السادسة: وعظه إياهم بتلك الآية الواضحة العظيمة.

السابعة: فيه ما يدل على أنهم يعلمون ذلك، لقوله: ﴿وَأَذْكُرُوا﴾.

الثامنة: وعظه إياهم بتذكيرهم نعمة الله باستخلافهم في الأرض بعد قوم نوح.

التاسعة: وعظه بزيادة النعمة على أهل زمانهم بزيادتهم في الخلق بسطة.

العاشرة: ذكر أن ذلك لا يدل على الكرامة، بل قد يكون السبب للإهانة.

الحادية عشرة: ذكر أن هذا الذي كرهوه هذه الكراهة هو سبب فلاحهم.

الثانية عشرة: ذكر ما أجابوا به عن هذا الكلام الذي هو في غاية الحسن.

الثالثة عشرة: ذكره أن هذا الخلاف بينه وبينهم في توحيد العبادة لا في أصل العبادة.

الرابعة عشرة: ذكر أن عمدتهم اتباع السواد الأعظم.

الخامسة عشرة: زيادة العقوبة لهم ﴿فَأَيْنَا يَمَّا تَعِدُّنَا﴾.

السادسة عشرة: ذكر أن الصدق ممدوح عندهم، وكذلك الكذب مذموم عندهم.

السابعة عشرة: ذكر المسألة المهمة، وهي إنكاره عليهم الاعتماد على ذلك الدليل، مع كونه لم ينزل فيه نص من الله.

الثامنة عشرة: كونه بين لهم كبر جهالتهم؛ كيف تجاسروا على الجدل بذلك.

التاسعة عشرة: معرفة الأشياء التي لا حقيقة لها من الحقائق.

العشرون: كون الشيء معمولاً به قرناً بعد قرن. من غير نكير، لا يدل على صحته.

الحادية والعشرون: أمره إياهم بانتظار الوعيد.

وأما قصة ثمود<sup>(١)</sup> فنذكر ما فيها من الزوائد على القصتين أيضاً:

الأولى: وعظه إياهم بالآية العظيمة.

الثانية: استعطافهم بذكر ربوبية مَنْ جاءت منه لهم.

الثالثة: ذكر إضافة الناقة إلى الله.

الرابعة: تفسير البيئة لهذا.

الخامسة: تخصيص الله إياهم بناقته.

السادسة: العجب العجيب من كراحتهم الأمر المطلوب منهم، وهو كف

الأذى عن ناقة الله التي فيها من نعم الدين والدين لِمَنْ قَبْلُهَا ما لا يظنه الظانون.

السابعة: أنه مع هذا توعدهم بالوعيد الشديد إن لم يكفوا عنه الأذى.

الثامنة: تذكيرهم بنعمة الله عليهم بالقصور في السهل.

التاسعة: نعمة الله عليهم في هذه القوة العظيمة، وهي قدرتهم على نحت

الجبال بيوتاً.

العاشرة: تذكيرهم بنعم الله، فدل على أنهم يعرفون ذلك.

الحادية عشرة: وعظه إياهم أن الذي ينهاهم عنه هو الفساد في الأرض، وهو

قبيح بإجماع العقلاء.

(١) قوله تعالى: ﴿وَأِلَى ثَمُودَ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ نَوَّاهُ﴾ سورة الأعراف ٧٣ - ٧٩.

الثانية عشرة: ذكر قبح جوابهم لهذه الموعظة البليغة التي جمعت لهم خير الدنيا والآخرة.

الثالثة عشرة: نعتهم المأ منهم بالكبر.

الرابعة عشرة: أن الذي استجابوا للحق هم الضعفاء، وأما المأ المستكبرون فهذا جوابهم وفعلهم.

الخامسة عشرة: جمعهم بين هذه الثلاث: عقر لئاقة، والعنوت عن أمر ربهم، وقولهم لرسولهم هذا.

السادسة عشرة: ذكر قولهم: ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ فلم يذكر إنكارهم الرسل من حيث الجملة.

السابعة عشرة: ذكر توليهم عنهم لما وقع عليهم من استعجلوه.

الثامنة عشرة: ذكره أنه لم يبق من الحرص على دنياهم وعلى آخرتهم ممكن.

التاسعة عشرة: ذكر أن العلة في عدم القبول عدم المحبة للناصح لا عدم البيان.

وأما قصة لوط<sup>(١)</sup> فسنذكر أيضًا ما فيها من الزيادة على القصص الثلاث:

الأولى: التصريح أن هذا الفعل لم يفعل قبلهم.

الثانية: موعظة نبهم إياهم بذلك، فدل على أنه متقرر عندهم أن أول من ابتدع القبيح ليس لغيره.

الثالثة: تعظيم هذه الفاحشة بمخاطبتهم بالاستفهام.

(١) قوله تعالى: ﴿وَلُوطٌ﴾ إلى قوله: ﴿الْمُحْرِمِينَ﴾ سورة الأعراف ٨٠ - ٨٤.

الرابعة: تغليطها بالآلف واللام، فدل على الفرق بينها وبين الزنا، لقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَنِجَةً﴾.

الخامسة: تنبيههم على مخالفة العقول والشهوة، لقوله: ﴿لَتَأْتُونَ الزَّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ الْيُسْكَاءِ﴾ فتركوا موضع الشهوة مع حسنه عقلاً ونقلاً، وتبدلون به غير المشتبه مع قبحه عقلاً ونقلاً.

السادسة: تنبيههم على العلة أنها ليست الشهوة بل السرف.

السابعة: هذا الجواب العجيب، تلك النصيحة والبيان بأدلة العقل والنقل.

الثامنة: إقرارهم أن آل لوط الطيبون، وأنهم الأخاب.

التاسعة: تصريحهم أن هذا هو الذي نقموه عليهم وجعلوه سبباً لإخراجهم من البلد.

العاشرة: ما في إهلاك امرأته من الدلالة على التوحيد، والدلالة على أن من أحب قومًا حَسِرَ معهم وإن لم يعمل عملهم.

الحادية عشرة: ذكر الأمر بالنظر في عاقبة المجرمين.

وقوله ﷺ: ﴿وَأَقْلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا﴾<sup>(١)</sup>، فيه مسائل:

الأولى: معرفة أن لا إله إلا الله؛ كما في قصة آدم وإبليس، ويعرف ذلك من عرف أسباب الشرك، وهو انعلو في الصالحين، والجهل بعظمة الله.

(١) قوله تعالى ﴿وَأَقْلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَاتَّعَهُ أَشَيطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَادِينَ﴾ وَلَوْ شَاءَ رَفَعَهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّعَ هَوَاهُ فَمَسْلَمٌ كَمَا لَكَبَّ إِدْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَاهُتْ أَوْ تَرْكُهُ يَاهُتْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِرْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿٧٧﴾.

الثانية: معرفة أن محمداً رسول الله، يعرفه مَنْ عرف عداوة علماء أهل الكتب له.

الثالثة: معرفة الدين الصحيح والدين الباطل، لأنها نزلت في إبطال دينهم الذي نصروا، وتأييد دينه الذي أنكروا.

الرابعة: معرفة عداوة الشيطان ومعرفة حبه.

الخامسة: أن مَنْ انسلخ من الآيات أدركه الشيطان، وَمَنْ لم ينسلخ منها حَمَتُهُ منه، ثم صار أكثر مَنْ انتسب إلى العلم يظن العكس.

السادسة: خوف الخاتمة، كما في حديث ابن مسعود.

السابعة: عدم الاغترار بغزارة العلم.

الثامنة: عدم الاغترار بصلاح العمل.

التاسعة: عدم الاغترار بالكرامات وإجابة الدعاء.

العاشرة: أن الانسلاخ لا يُشترط فيه الجهل بالحق أو بغضه.

الحادية عشرة: أن مَنْ أخذ إلى الأرض واتبع هواه، لو عرف الحق أحبه ولوعرف الباطل أبغضه.

الثانية عشرة: معرفة الفتنة، فإنه لا بد منها، فليتأهب ويسأل الله العافية، لقوله: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتَذَكَّرُوا أَنْ يَقُولُوا ءَمَسَا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ الآيتين<sup>(١)</sup>.

الثالثة عشرة: عدم أمن مكر الله.

(١) قوله تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتَذَكَّرُوا أَنْ يَقُولُوا ءَمَسَا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَتَعَلَّيْنَا أَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَتَعَلَّيْنَا أَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَتَعَلَّيْنَا أَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ

الرابعة عشرة: عقوبة العاصي في دينه ودنياه.

الخامسة عشرة: ذكر مشيئة الله، وذكر السبب من العبد.

السادسة عشرة: أن محبة الدنيا تكون سبباً لردة العالم عن الإسلام.

السابعة عشرة: تمثيل هذا العالم بالكلب في اللهث على كل حال.

الثامنة عشرة: أن هذا مثل لكل من كذب بآيات الله، فليس مختصاً.

التاسعة عشرة: كونه سبحانه أمر بقص القصص على عباده.

العشرون: ذكر الحكمة في الأمر به.

الحادية والعشرون: قوله: ﴿سَاءَ مَثَلًا﴾ كقوله: ﴿يُنْسِ مَثَلُ الْقَوْمِ﴾<sup>(١)</sup>.

قوله: ﴿يَأْتِيهِ النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّعُكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ \* وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَتَّبِعْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ فيه ثمان حالات:

الأولى: ترك عبادة غير الله مطلقاً، ولو حاوله أبوه وأمه بالطمع الجليل والإخافة الثقيلة، كما جرى لسعد مع أمه.

الحال الثانية: أن كثيراً من الناس إذا عرف الشرك وأبغضه وتركه، لا يَقْطَعُ لما يريد الله من قلبه؛ من إجلاله وإعظامه وهيبته، فذكر هذه الحال بقوله: ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّعُكُمْ﴾.

الحال الثالثة: إن قدرنا أنه ظن وجود الذكر والفعل منه، فلا بد من تصريحه

(١) قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي سَعْيِهِمْ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مَجْدًا يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُجْتَنِبُونَ كَثِيرًا مِمَّا يَسْتَحِبُّونَ فَتَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَسَخِرَ لَهُمْ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ الْعَذَابُ وَأَنَّهُمْ فِي شَكٍّ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَزَيَّلْنَا وَبَدَّلُوا آيَاتِنَا هُنَا وَأُخْرَىٰ وَأَنَّهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

بأنه من هذه الطائفة، ولو لم يَقْضِ هذا الفرض إلا بالهرب عن بلاد كثير من الطوائع الذين لا يبلغون الغاية في العداوة، حتى يُصرح بأنه من هذه الطائفة المحاربة لهم.

الحال الرابعة: إن قَدَرنا أنه ظن وجود هذه الثلاث، فقد لا يبلغ الجد في العمل بالدين والجد والصدق، وهو إقامة الوجه للدين.

الحال الخامسة: إن قَدَرنا أنه ظن وجود الحالات الأربع، فلا بد له من مذهب يتنسب إليه، فأَمِرَ أن يكون مذهب الحنيفية، وتَرَك كل مذهب سواها ولو كان صحيحاً، ففي الحنيفية عنه غنية.

الحال السادسة: أن إن قَدَرنا أنه ظن وجود الحالات الخمس، فلا بد أن يتبرأ من المشركين، فلا يُكْثِرُ سوادهم.

الحال السابعة: إننا إن قَدَرنا أنه ظن وجود الحالات الست، فقد يدعو من غير قلبه نبياً أو غيره لشيء من مقاصده، ولو كان ديناً يظن أنه إن نطق بذلك من غير قلبه لأجل كذا أو كذا خصوصاً عند الخوف أنه لا يدخل في هذا الحال.

الحال الثامنة: إن ظن سلامته من ذلك، لكن غيره من إخوانه فعده خوفاً، أو لغرض من الأغراض، هل يصدق الله أن هذا ولو كان أصح الناس قد صار من الظالمين، أو يقول: كيف أكفره وهو يحب الدين ويبغض الشرك؟ وما أَعَزَّ مَنْ تَخَلَّص من هذا! بل ما أَعَزَّ مَنْ يفهمه وإن لم يعمل! بل ما أَعَزَّ مَنْ لا يظنه جنوناً! والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم: ذكر ما في صدر سورة هود<sup>(١)</sup> من العلوم:

الأولى: ذكر معرفة الله.

(١) قوله تعالى: ﴿الرَّكُتُ﴾ أي قوله: ﴿وَأَخْرَجَ كَثِيرًا﴾ سورة هود ١ - ١١.

ذكر أنه حكيم .

الثانية : أنه خبير .

الثالثة : أنه قدير .

الرابعة : أنه ذكر شيئاً من تفصيل العلم في قوله : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُنَزِّلُ سُدُورَهُمْ﴾ الآية .

الخامسة : ذكر شيئاً من تفاصيل القدرة في قوله : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ الآية .

السادسة : خلق السموات والأرض في ستة أيام .

السابعة : كون عرشه على الماء .

الثامنة : ذكر شيئاً من تفصيل الحكمة في قوله : ﴿يَبْلُوكُمْ بِآيَاتِهِ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ .

التاسعة : كونه وكيلاً على كل شيء .

الثاني<sup>(١)</sup> : الإيمان باليوم الآخر .

ذكر : أنه إليه المرجع .

الثاني : ﴿وَلَيْبَ قُلْتُ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ﴾ .

الثالث : ذكر الجنة والنار .

الرابع : ذكر العرض عليه .

الخامس : كلام الأشهاد .

السادس : ضل عنهم افتراؤهم .

(١) يعني : العلم الثاني



السابع: كونهم هم الأخسرون في الآخرة.

الثالث<sup>(١)</sup>: تقرير الرسالة.

ذكر أولاً: المسألة الكبرى.

الثانية: أنه نذير من الله وبشير له.

الثالثة: تقرير صحة رسالته باعتراضهم بقولهم إنها ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ مع موافقتها للعقل.

الرابعة: تقريرها بقولهم: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ﴾.

الخامسة: تقريرها بمعرفة العلماء بها.

السادسة: تقريرها بالتحدي.

السابعة: تقريرها بأنها الحق من الله.

الرابع<sup>(٢)</sup>: ذكر الوعد والوعيد.

ذكر: المتاع الحسن لمن قبله.

الثاني: ذكر عذاب اليوم الكبير لمن أبى.

الثالث: ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾.

الرابع: وعيد مَنْ أراد الدنيا.

الخامس: وعيد مَنْ فترى عليه.

السادس: وعد المؤمنين المعجبين.

(١) يعنى لعنم الذلت.

(٢) يعنى: لعنم الرابع.

السابع: وعيد مَنْ كفر.

الثامن: ﴿أَوْثِقْ لَهُمْ مَعْبِرَةً وَبَرِّقْ كَرِيمٌ﴾ بالقرآن.

الخامس<sup>(١)</sup>: ذكر الأمر والنهي.

فذكر: النهي عن الشرك والأمر بالإخلاص.

الثانية: الأمر بالاستغفار والتوبة.

الثالثة: الأمر بالمضي على أمر الله، وإن اعترضوا بالشبهة الفسدة.

الرابعة: أمره بالتحدي.

الخامسة: نهيه عن الفرية فيه.

السادس<sup>(٢)</sup>: أمور مدحها لنفعلها.

منها: الصبر.

الثانية: عمل الصالحات.

الثالثة: مدح العلم الصادر عن اليقين.

الرابعة: مدح معرفة القرآن.

الخامسة: ذكر نتيجة الأمرين.

السادسة: الإيمان.

السابعة: الإخبارات إلى الله.

السابع<sup>(٣)</sup>: أمور كرهها، ذكرها ليُشْرَكَ.

(١) يعني: العلم الخامس.

(٢) يعني: العلم السادس.

(٣) يعني: علم السابع.

منها : التوَلَّى .

الثانية : ثني الصدر .

الثالثة : الاعتراض على الحق الصريح .

الرابعة : استبطاء وعيد الله .

الخامسة : كون الإنسان يثوسًا عند الضراء .

السادسة : كونه كفورًا عندها .

السابعة : كونه فرحًا عند النعماء .

الثامنة : فخورًا عندها ، ولو كانت بعد ضراء ، والتي قبلها ولو كانت بعد

سراء .

التاسعة : نتيجة معرفة الإيمان .

العاشرة : فائدة النتيجة .

الحادية عشرة : كونه يريد الدنيا .

الثانية عشرة : كونه يفتري على الله الكذب .

الثالثة عشرة : الصد عن سبيل الله .

الرابعة عشرة : بخي العوج لها .

الثامن<sup>(١)</sup> : المشثور .

ذكر : أن الأكثر لا يؤمنون .

الثانية : ذكر مثل المؤمنين .

(١) عي . العيم الثمن .

الثالثة: ذكر مثل الكافرين.

الرابعة: التنبيه على التذكير بالحالين.

الخامسة: كونهم ما يستطيعون السمع.

السادسة: الفرق بين العالم والجاهل.

السابعة: كون عرشه على الماء.

وقوله ﷺ، ولما ذكر قصة نوح: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَذَابَ لِلْمُتَّقِينَ﴾، إذا تأمل الإنسان حاله أولاً، وما تعلم من العلوم من أهله، ثم تفكر في هذه القصة، هل علم منها زيادة على ما عنده أولاً؟ عرف مسائل:

الأولى: عظمة الشرك، ولو قصد ما فيه صاحبه التقرب إلى الله، وذلك ما فعل الله بأهل الأرض لما عبدوا وذاً وسواً ويغوث ويَعُوقَ ونسراً.

الثانية: شدة بطشة الله وعقوبته، حيث أرسل الطوفان فأهلك الطيور والدواب وغير ذلك.

الثالثة: معرفة آيات رسول الله ﷺ حيثما قصه، مع كونهم يعلمون أنه لم يأخذ ممن يعلم ما عند أهل الكتاب، فلم يستطيعوا أن يردوا عليه مع شدة العداوة.

الرابعة: التحقيق بكون المخلوق ليس له من الأمر شيء، ولو كان نبياً مرسلًا، لسبب ما فيها من قصة ابن نوح.

الخامسة: تبيين الله سبحانه الحجاج الباطلة، والتحذير منها، مع أنها عندنا أولى، وعند أكثر الناس حجة صحيحة.

السادسة: تبرؤ الرسل من دعوى أن عندهم خرائن الله، أو علم الغيب، مع أن الطواغيت في زمننا ادَّعَوْا ذلك وصدَّقوا وعُبدوا لأجل ذلك.

السابعة: التحذير من استحقاق الفقراء والضعفاء، لقوله: ﴿وَلَا أَقُولُ لِدَرِيكَ تَزِدُّكَ عُيُوكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا إِنَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ وفي ذَا لَيْلٍ الطَّالِمِينَ، مع أنه سائغ ممن يدعي العلم ويستحسنه الناس منهم.

الثامنة: وهي من أعظم الفوائد، التحذير من الشبهة التي أَدْخَلَتْ أَكْثَرَ النَّاسِ النَّارَ، وهي السواد الأعظم، والنفرة من القليل، لقوله: ﴿وَمَا أَمَانٌ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

التاسعة: معرفة شيء من عظمة الله في تأديبه الرسل، لما قال لنوح: ﴿إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْخَالِدِينَ﴾.

العاشرة: وهي من أهمها، أن فيها شاهداً لقول الحسن: نضحك، ولعل الله، طلع على بعض أعمالك وقال: لا أغفر لكم. وذلك من قوله: ﴿أَنْتُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾ مع سخريتهم منه.

الحادية عشرة: التحذير من اتباع رؤساء الدنيا، وقبول حججهم، لقوله: ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ وهم الأشراف والرؤساء.

الثانية عشرة: بيان الله تعالى لتلك الحجج، فقوله: ﴿مَا مَرَّكَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلَكَ﴾ فيه القياس الفاسد، وقولهم: ﴿وَمَا مَرَّكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يَنْتَحُوا بِمَا لَيْسَ حُجَّةٌ﴾ وقولهم: ﴿وَمَا رَأَى لَكُمْ عَيْنًا مِنْ فَضِيلٍ﴾ احتجاج برؤيتهم، وهو من أفسد الحجج. وقولهم: ﴿نَلَّ طُغْيَانُكُمْ كَدِيدٌ﴾ احتجاج بالصل.

الثالثة عشرة: أنهم لم يصرحوا بأن هذا الذي عليه نوح وأتباعه أمر الله تم.

جاهروا بعصيانه، بل قالوا: ﴿يُطْغَىٰ كُفْرُكُمْ﴾ وقالوا: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّهُ لَأَمَلَ مَلَائِكَةٌ﴾ وغير ذلك، وأنت ترى الذي يكون من أهل العلم والعبادة، كيف يُقَرُّون ويجدلون بالكفر، ويحسبون أنهم مهتدون!

وقال ﷺ، في الكلام على قوله حكايةً عن يوسف: ﴿يَصْنَعِي السَّجِيءَ أَزْيَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ﴾:

دعهم يوسف ﷺ، إلى التوحيد بأنواع الأدلة:

أحدها: أنه ذكر أن هذا العلم الذي تميّز به عليهما، وعلى غيرهما، أنه من تعليم ربه إياه، فالذي يعطى ويمنع هو الذي يستحق العبادة.

الثاني: أنه حكيم، يضع الأشياء في مواضعها، فشرفني بسببين: ترك الشرك، وفعل التوحيد.

الثالث: أن ذلك الفعل والترك هو ملة الأنبياء.

الرابع: أن الشرك لم يُرخص فيه لأحد من الأنبياء كما قد يُرخص في غيره.

الخامس: أنه منفي عما سوى الله، فليس يصح منه شيء لغيره ولو علت درجته.

السادس: أن الهداية إلى ذلك مجرد منة الله على العبد، وهو أفضل النعم.

السابع: أن الله إذا يسر لك العلم لذلك فهو من فضله عليك.

الثامن: أن الإسلام واتباع ملة الأنبياء هو العلم بذلك والعمل به، لا مجرد العلم.

التاسع: أنه ذكر لهم ما يُحرضهم على القبول، وهو أن الداعي من أهل ذلك البيت.

العاشر: أن مع هذا البَيان الواضح فأكثر الناس لا يشكر.

ثم قرره بالأدلة العقلية، وذلك من وجوه:

الأول: أن الله خير من المخلوقين.

الثاني: أنه واحد، وأولئك أرباب متفرقون.

الثالث: أنه قهار، وهم عاجزون.

الرابع: العجب العجيب، إعراضكم عنه بإقبالكم على أسماء لا حقيقة لها.

الخامس: أن تلك الأسماء أنتم ابتدعتموها.

السادس: نفي الأدلة عنها، وهي إنزال الله الحجة بذلك.

السابع: تقرير القاعدة الكلية أن أمر التشريع من الله لا غيره.

الثامن: أن الذي له الْحُكْمُ حَكَمَ بهذا وألَزَمَ به، واختَصَرَ به عن جميع ما

سواه.

التاسع: أن هذا هو الدين الصحيح فقط.

العاشر: أن مع وضوحه بالنقل والعقل وإجماع الأئمة وغير ذلك لا يعلمه إلا

قليل.

### ومن قصة أول سورة الكهف<sup>(١)</sup>:

ذكر ابن عباس أن سبب نزولها أن قريشاً بعثت النضر بن الحارث وعفبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود فقالوا: سَلُّوهم عن محمد، وصعدوا لهم صفته، فإنهم أهل الكتاب الأول. ففعلوا، ففعلوا: سَلُّوه عن ثلاث، فإن أخرجكم بهنَّ فهو نبيٌّ

(١) قوله تعالى: ﴿لَمَّا سَأَلْنَا إِلَىٰ قَوْلِهِ. ﴿يَمِينًا عَمَّ﴾ سورة الكهف ١ - ٩ .

مرسل، وإلا فهو مُتَقَوِّل، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، فإن لهم حديثاً عجيباً، وسلوه عن صَوَاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وسلوه عن الروح. فأقبلوا فقالوا: جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد. فسألوه عن الثلاث فقال: «أخبركم» ولم يستثن، فمكث خمس عشرة ليلة لا يأتيه جبريل، فشق ذلك عليه، حتى جاء بالسورة، فيها المعاتبة على حزنه عندهم، وخبر مسائلهم<sup>(١)</sup>.

### ففي الآية مسائل:

الأولى: حمده نفسه على إنزاله الكتاب، الذي هو أكره شيء أتهم في أنفسهم، مع كونه أجل ما أعطاهم من النعم.

الثانية: أن الإنزال على عبده فيه إبطال مذهب النصارى والمشركين، وفيه نعمة عليهم حيث أنزل على رجل منهم.

الثالثة: أنزله معتدلاً لا عوج فيه، ففيه معنى قوله: ﴿وَلَوْ أَتَّبَعَ لْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾.

الرابعة: أن الأعداء والمشبهين لا يجدون فيه مغمراً، بل ليس فيه إلا ما يكسرهم.

وقوله: ﴿لِيُنذِرَ بَشَرًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ﴾ ذكر الفائدة في إنزاله، فذكر ثلاث:

الأولى: لينذر عذاب الله، فيصير سبباً لسلامة منه.

الثانية: بشارة من انقاد إليه بالحظ المذكور.

الثالثة: الإنذار عن الكلمة العظمى لتي تقوّة بها من تقوّة تقرّباً إليه بتعظيم

لصلحين.

(١) تفسير نصري (١٧، ٥٩٢ - ٥٩٣).



الرابعة: الدليل على أن كلامهم لم يصدر عن علم، لا منهم ولا ممن فلهم.  
الخامسة: تعظيم لكلمة، كما قال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْقَطِرْنَ مِنْهُ﴾.  
السادسة: أن الكذب يُسمى كذبًا، ويُسمى صاحبه كاذبًا، ولو ظن أنه صادق، ويصير من أكبر الكذابين المفترين.

وقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ﴾ أي: قاتلها أسفًا على هلكتهم.  
ففيه ما عيه رسول الله ﷺ من الشفقة عليهم، وتسلية الله سبحانه له.

وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ فيه مسائل:

الأولى: التسليّة للمؤمن عمن أدبر.

الثانية: أن حكمة الله التزيين ليبين الأحسن عملاً من غيره.

الثالثة: أن جميعها يصير صعيدًا جُرزًا، أي لا ينبت فيه.

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيِّ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ يعني أن قصتهم مع كونها عجيبة فيها مسائل جديلة، أعظمها الدلالة على التوحيد، وبطلان الشرك، والدلالة على نبوته ﷺ ومن قبله، والدلالة على اليوم الآخر، ففي الآيات المشاهدة من خلق السماوات والأرض وغير ذلك ما هو أعجب وأدل على المراد من قصتهم، مع إعراضهم عن ذلك.

وأما دلالتها على التوحيد وبطلان الشرك فواضح.

وأما دلالتها على النبوات فكذلك، كما جعلها أحبار يهود آية لنبوته.

وأما دلالتها على اليوم الآخر، فمن طول مكثهم لم يتغيروا، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَتَتْهُمْ لَعْنَتُهُمْ لِبَعْلَمَتِهِمْ أَنَّهُمْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَإِنَّ لَسَاعَةً لَا رَيْبَ فِيهَا﴾.

وقوله: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ الآية، فيه مسائل:

الأولى: كونهم فعلوا ذلك عند الفتنة، وهذا هو الصواب عند وقوع الفتن،  
الفرار منها.

الثانية: قولهم: ﴿رَبَّيَا إِنَّ مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ أي من عندك، لا نحصلها بأعمالنا  
ولا بحيلتنا.

الثالثة: قولهم: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ طلبوا من الله أن يجعل لهم من  
ذلك العمل رَشَدًا، مع كونه عملاً صالحاً، فما أَكْثَرَ ما يقصّر الإنسان فيه، أو  
يرجع على عقبه، أو يثمر له العُجب والكبر، وفي الحديث «وما قُضِيَتْ مِنْ قِضَاءٍ  
فاجعل عاقبته رَشَدًا»<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿تَحْنُ نَقْصٌ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ  
هُدًى﴾ إلى قوله: ﴿مِنْ أَمْرِهِمْ مَرْفَقًا﴾<sup>(٢)</sup>، ففيه مسائل:

الأولى: من آيات النبوة، وإليه الإشارة بقوله «الحق».

الثانية: أنهم فتية، وهم الشبان، وهم أقبل لحق من الشيوخ، عكس ما يظن  
الأكثر.

الثالثة: قوله إنهم ﴿ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ فلم يسبقوا إلا بالإيمان بالله.

الرابعة: ما في الإضافة إلى ربهم من تقرير التوحيد.

الخامسة: في قوله: ﴿وَزِدْنَهُمْ هُدًى﴾ أن من ثواب الحسنة الحسنة بعده،  
ومن عمل بمأورثه الله تعالى علم ما لا يعلم.

(١) أخرجه الحارثي في الأدب المفرد (٦٣٩) وصححه الشيخ الألباني (صحيح  
الجامع ٤٠٤٧)

(٢) قوله تعالى: ﴿تَحْنُ نَقْصٌ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى﴾ إلى قوله ﴿مِنْ أَمْرِهِمْ مَرْفَقًا﴾ سورة الكهف ١٣ ١٦

السادسة: أن المؤمن أحوج إلى أن يربط الله على قلبه، ولولا ذلك لربط  
افتتوا.

السابعة: قولهم: ﴿رَبُّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فهذه الربوبية هي الألوهية.

الثامنة: المسألة الكبرى. أن من ذبح لغير الله ودعا غيره فقد كذب بقول «لا  
إله إلا الله» وقد دعا إلهين اثنين واتخذ ربَّين.

التاسعة: المسألة العظيمة المشكلة على أكثر الناس، مع أنه إذا وافقهم  
بلسانه، مع كونه مؤمناً حقاً كارهاً لموافقته، فقد كذب في قوله «لا إله إلا الله»  
واتخذ إلهين اثنين. وما أكثر الجهل بهذه والتي قبلها.

العاشرة: أن ذلك لو بصدر منهم، أعني موافقة الحاكم فيم أراد من  
ظاهرهم، مع كراحتهم لذلك فهو قوله: ﴿شَطَطًا﴾. والشطط الكفر.

الحادية عشرة: قوله: ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ فهذه المسألة  
مفتاح العلم، وما أكبر فائدتها لمن فهمها.

الثانية عشرة: قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ففيه أن مثل هذا من  
افتري الكذب على الله، وأنه أعظم أنواع الظلم، ولو كان صاحبه لا يدري، بل  
قصد رضا الله.

الثالثة عشرة: قوله: ﴿وَإِذْ عَزَلْنَاهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ فيه اعتزال أهل  
الشرك، واعتزال معبوديهم. وأن ذلك لا يجرك إلى ترك ما معهم من الحق. كما  
قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْرِمَنَّكُمْ سَخَاؤُ قَوْمٍ عَلَىٰ إِلَّا تَعْدِلُوا﴾.

الرابعة عشرة: قوله: ﴿قَوْمٌ فِي الْكُهْفِ﴾ فيه سدة صلاتهم في دينهم. حيث  
عزموا على ترك الرياسة العظيمة، والنعمة العظيمة، واستدلوا بها كهما في رأس  
جبل.

الخامسة عشرة: حسرطنهم بالله، ومعرفتهم ثمرة الطاعة، ولو كان مباديها ذهب الدنب. حيث قال: ﴿يَسْتَرْ لَكُمْ رَبِّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهِئَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِهِ مَرْفَقٌ﴾

السادسة عشرة: الدليل على الكلام المشهور؛ أن التعب يُثمر الراحة، والراحة تُثمر التعب.

السابعة عشرة: عدم الاغترار بصورة العمل الصالح، فرب عمل صالح في الظاهر لا يُثمر خيراً، أو عمل صالح يهيئ لصاحبه مرفقاً.

العشرون: قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ فيه مسائل:  
الأولى: كما أمتهم سبحانه لحكمة بعثهم لحكمة.

الثانية: أن الصواب في المسائل المُشكلة عدم الجزم بشيء، بل قول «الله أعلم» فالجهل بها هو العلم.

### الثالثة : التورع في المأكـل .

الرابعة: كتمان السر.

الخامسة: المسألة العظيمة، وهي قولهم: ﴿إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكَ يَرْجُمُوكَ أَوْ يُعَذِّبُوكَ فِي مَنَاسِكِهِمْ وَلَنْ تُقْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾ عرفوا أنه لا بد من أمرين: إما الرجم وإما الإعادة في الملة، فإن وافقوا على الثانية لم يُقْلِحُوا أبدًا. ولو كان في قلوبهم محبة الدين وبغض الكفر.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ عَشَرًا عَلَيْهِ﴾<sup>(١)</sup>، فيه مسائل:

(۱) قومه تعزى: ﴿وَكُنْتَ عَلَيْهِمْ لَمُتَوًا﴾ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَنَاصِيحَةً لِّسَاعَةِ لَا رَيْبَ فِيهَا: دَسَّرَعُونَ سَبَّحَهُمْ قَرَّبَهُمْ فَقَالُوا تَوَّأْنَا عَلَيْهِمْ سَيِّئًا رَّهْمًا عَنَّمْهُمْ هَهُنَا وَالَّذِينَ سَعَوْا عَلَى أَمْرِهِمْ لَمُتُوا عَلَيْهِمْ مَسْحَدٌ ﴿سُورَةُ الْكَافِرِينَ ۲۱﴾

الأولى: أن الإعتار عليهم لحكمة.

الثانية: معرفة المؤمن إذا أُعْتِرَ عليه أن وعد الله حق، وأن الساعة لا ريب فيها، كما رد سبحانه موسى إلى أمه لتعلم أن وعد الله حق، فتأمل هذا العلم ما هو!

الثالثة: أن ﴿السَّاعَةُ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ لما وقع بينهم النزاع، وذلك أن بعض الناس يزعم أن البعث للأرواح خاصة، فأعْتِرَ عليهم ليكون دليلاً على بعث الأجساد.

الرابعة: أن الذين غلبوا على أمرهم قالوا: ﴿لَنَنَازِلُهُمْ عَلَيْهِمْ مَّسْجِدًا﴾ فإذا تأملت ما قالوا، وأن الذي حملهم عليه محبة الصالحين، ثم ذكرت قوله ﷺ: «أولئك إذا مات الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»<sup>(١)</sup> عرفت الأمر.

وقوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَذَّبُهُمْ﴾ الآية<sup>(٢)</sup>، فيه مسائل:

الأولى: إخبار بالغيب.

الثانية: بيان الجهل والباطل بالتناقض.

الثالثة: الإنكار على المتكلم بلا علم.

الرابعة: إسناد الأمر في هذه المسائل إلى علم الله سبحانه.

الخامسة: الرد على أهل لباطل بالإسناد إليه.

السادسة: أن من لعنهم من يعرف عدتهم، لكنه هليل

(١) أخرجه البخاري (٤٢٧) ومسلم (٥٢٨).

(٢) قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَذَّبُهُمْ وَقُولُوا خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَذَّبَهُمْ رَحْمَةً بَالِغِيٍّ وَقُولُوا سَعَةً وَنَامُوسَهُمْ كُلُّهُمْ فَرَّقَ نَمُ يَعْنِيهِمْ مَا تَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُخَارِ فِيهِمْ إِلَّا مَرَّةً طَهَرًا وَلَا تُسْقِطْ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ سورة كهف ٢٢

السابعة: النهي عن المراء في شأنهم.

الثامنة: الاستثناء.

التاسعة: النهي عن استفتائنا أحدًا من هؤلاء فيهم.

العاشرة: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ غَدًا ۖ﴾ (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۖ، فيه

مسائل:

الأولى: النهي عن مثل هذا الكلام.

الثانية: الرخصة مع الاستثناء.

الثالثة: الأمر بذكر الله عند النسيان.

الرابعة: الاستثناء يقع في مثل هذا.

الخامسة: هذا الدعاء عند النسيان، إن صح التفسير بذلك.

وقوله: ﴿وَلْيَسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ﴾ إلى آخر الكلام<sup>(١)</sup>، فيه مسائل:

الأولى: النص على مدة لبثهم.

الثانية: الرد على المخالف بقوله: ﴿أَنَّهُ أَضْمَ بِمَا لِسُوا﴾.

الثالثة: الرد عليه بقوله: ﴿لَمْ غَيَّبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

الرابعة: الرد عليه بقوله: ﴿أَبْصَرَ بِهِ وَأَسْمَعَ﴾.

الخامسة: قولهم: ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾.

السادسة: كونه لا يشرك في حكمه أحدًا.

السابعة: النهي عن إشراك مخلوق في حكم الله، على قراءة العجزم.

(١) قوله تعالى ﴿وَلْيَسُوا فِي كَهْفِهِمْ﴾ أي قوله ﴿وَسَاءَتْ مُرْتَقَا﴾ سورة كهف ٢٥ ٢٩

الثامنة: الحث على تلاوة الوحي، وإن عارضه شبهة أو شهوة.

التاسعة: تقريره ذلك بقوله: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِي﴾.

العاشرة: تقريره ذلك بقوله: ﴿وَلَنْ يَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾.

الحادية عشرة: الكبيرة، وهي أمره نبيه أن يصبر نفسه مع من ذكر.

الثانية عشرة: لا يضر المؤمن كراهة نفسه لذلك إذا جردها.

الثالثة عشرة: أن بلوغهم هذه الرتبة بسبب فعلهم ما ذكر.

الرابعة عشرة: أن صلاة البردين بإخلاص توصل إلى المراتب العالية.

الخامسة عشرة: فيه قوله: «رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طَمَرَيْنِ، لَا يُؤَيُّهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ»<sup>(١)</sup>.

السادسة عشرة: النهي عن طلوع العين عنهم إرادة لمجالسة الأجلاء.

السابعة عشرة: المسألة الكبرى، وهي اختلاف أمر الدنيا والآخرة عند الله.

الثامنة عشرة: أنه لما ذكر المحثوث على مجالستهم ذكر ضدهم.

التاسعة عشرة: نهيه عن طاعة الضد.

العشرون: سبب ذلك.

الحادية والعشرون: ذكر الخصال الثلاث: إغفال القلب عن ذكر الله، واتباع الهوى، وانفراط الأمر.

الثانية والعشرون: إثبات القدر، وهو الإغفال.

الثالثة والعشرون: لا يخرج من الذم أن قلبه يفهم غير ذلك فهما حيذاً.

(١) أحرجه الترمذی (٣٨٥٤) وصححه الشيخ الأسي (صحيح الجمع ٤٥٧٣)

الرابعة والعشرون: قوله: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ الآية.

وأما قصة موسى والخضر عليه السلام <sup>(١)</sup>، ففيها مسائل:

الأولى: ما يتعلق بجلال الله وعظمته. وفيه مسائل:

الأولى: سعة العلم بقوله: «ما نقص علمي وعلمك» <sup>(٢)</sup> وهذا من أعظم ما سمعنا من عظمة الله.

الثانية: الأدب مع الله لقوله: «فعتب الله عليه».

الثالثة: الأدب معه أيضًا في قوله: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَ﴾ وقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَ أَشُدَّهُمْ﴾.

الرابعة: معرفة أنواع سعة جود الله تعالى، ومن ذلك العلم اللدني.

الخامسة: الأدب معه تعالى بمعرفة أن له أسرارًا في خلقه تخفى على الأنبياء، فلا ينبغي الغفلة عن هذه المهمة.

السادسة: الأدب معه في تعليق الوعد بمشيئة الله مع العزم.

السابعة: معرفة شيء من عظيم قدرة الله من إحياء الموتى، وجعله سبيل الحوت في الماء طريقًا، وغير ذلك، ومعرفة هذا مع الأولى هما اللتان خُلِقَ العالم العلوي والسفلي لأجل معرفتنا بهما.

الثاني: ما يتعلق في أحوال الأنبياء. وفيه مسائل:

الأولى: أن النبي يجوز عليه الخطأ.

الثانية: أنه يجوز عليه النسيان.

(١) قوله تعالى: ﴿يُؤَيِّدُ بَالِكُ مُوسَى﴾ إلى قوله: ﴿فَنَسَطَ عَنْهُ صَخْرٌ﴾ سورة كهف ٦٠ - ٨٢.

(٢) هو حديث لحضر وموسى، الطويل المشهور، أخرجه البحاري (١٢٢) ومسلم (٢٣٨٠).



الثالثة: فضل نبي ﷺ بعموم الرسالة، لقونه: «موسى بنى إسرائيل».

الرابعة: ما جُبلَ عليه موسى ﷺ من الشدة في أمر الله.

الخامسة: أنه لا يُنكر إصابة الشيطان للأنبياء بما لا يقدح في النبوة. لقوله: ﴿لَيْسَ حُوتُهُمَا﴾ مع قوله: ﴿وَمَا أَسْنِيَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾.

السادسة: ما عليه الإنسان من البشرية، ولو كان نبياً، وذلك من أدلة التوحيد، وذلك من وجوه. منها قوله: ﴿أُسْطَعِمَا أَهْلَهَا﴾.

الثالث: مسائل الأصول. وفيه مسائل، أعظمها التوحيد، ولكن سبق آنفاً، فنقول:

الأولى: الدليل على اليوم الآخر؛ لأن من أعظم الدلالة إحياء الموتى في دار الدنيا.

الثانية: إثبات كرامات الأولياء، على القول بعدم نبوة الخضر.

الثالثة: أنه قد يكون عند غير النبي ﷺ ما ليس عند النبي.

الرابعة: إذا احتمل اللفظ معاني فأظهرها أولاهها، كما قال الشافعي.

الخامسة: إثبات الصفات كما هو مذهب السلف.

الرابعة: ما فيها من التفسير:

الأولى: أن المذكور هو الخضر، لا كما قال الحر بن قيس.

الثانية: موسى هو المشهور ﷺ، خلافاً لنوف<sup>(١)</sup>.

(١) نوف الكلى، أحد لتابعين. أخرج البخاري (٤٧٢٥) عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفاً كسبي يرعب أن موسى صاحب الحضر ليس هو موسى بنى إسرائيل بما هو موسى آخر، فقال: كذب عدو لله، حدث أبي بن كعب عن

الثالثة: أن النبي ﷺ فسر لهم ألفاظ القرآن كلها كما بلغها .

الرابعة: قوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ﴾ .

الخامسة: أن قوله: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبٌ﴾، المراد: سفينة سالمة من العيب .

السادسة: أن غداءهما هو الحوت .

السابعة: أن قوله: ﴿عَجَبًا﴾ أي لموسى وفتاه .

الثامنة: لا يجوز تفسير القرآن بما يؤخذ من الأسرثيليات، وإن وقع فيه من وقع .

= النبي ﷺ: «أن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فقال له: بى، لي عبدٌ بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال: أي رب، ومن لي به؟ قال: تأخذ حوتاً فتجعله في مكمل، حينما فقدت الحوت فهو ثم، وأخذ حوتاً فجعله في مكمل، ثم انطلق هو وفتاه يوشع بن نون، حتى أتيا الصخرة، وضعا رؤوسهما، فرقد موسى واضطرب الحوت، فخرج فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سرباً فأمسك الله عن الحوت جرية الماء، فصار مثل الطاق، فقال هكذا مثل الطاق، فانطلقا يمشيان بقية ليلتهما ويومهما، حتى إذا كان من الغد قال لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا، ولم يجد موسى النصب حتى جاوز حيث أمره الله، قال له فتاه: أرايت إذ أويتا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً، فكان للحوت سرباً ولهما عجباً، قال له موسى: ذلك ما كنا نبغي، فارتدا على آثارهما قصصاً، رحما يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رحل مسجى نتوب، فسلم موسى، فرد عليه، فقال: وأى بأرصك السلام؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم. أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً، قال: يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، قال: هل أتبعك؟ قال: إنك لست تستطيع معي صبراً، وكيف نصبر على ما لم نحط به خبراً...، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت بهما سفينة، كلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر: فحملوه بغير ريب... الحديث .»

التاسعة: أن السلف يشددون في ذلك تشديدًا عظيمًا، لقوله: «كذب عدو الله».

العاشرة: أن الوعد على العمل الصالح ليس مختصًا بآخرة، بل يدخل فيه أمور الدنيا، حتى في الذرية بعد موت العامل.

الخامس: أدب العالم مع المتعلم، ففيه مسائل:

الأولى: تسمية التلميذ الخادم فتى.

الثانية: أن تلك الخدمة مما يرفع الله بها كما رفع.

الثالثة: تعلم العالم ممن دونه.

الرابعة: اتخاذ ذلك نعمة يبادر إليها، لا نعمة يُبغضها.

الخامسة: التعلم بعد الرياسة.

السادسة: الرحلة في طلب العلم.

السابعة: رحلة الفاضل إلى المفضل.

الثامنة: ركوب البحر لطلب العلم.

التاسعة: اشتراط الشيخ على المتعلم الشروط.

العاشرة: التزام المتعلم لشروط.

الحادية عشرة: الاعتذار بالنسيان.

الثانية عشرة: قبول الاعتذار.

الثالثة عشرة: قبول المتعلم، لقوله: ﴿هَلْ أَتَعَاكَ﴾ إلى آخره.

الرابعة عشرة: قبول نصيحة الشيخ: لعلمه منك ما لا تعلمه من نفسك، وإن كنت أفضل منه.

الخامسة عشرة: أن من المسائل ما لا يجوز السؤال عنه.

السادسة عشرة: أن من المسائل ما لا ينبغي للمستول أن يجيب عنه.

السابعة عشرة: إعفاء المتعلم مما يكره.

الثامنة عشرة: مفارقة المتعلم إذا خلف الشرط.

التاسعة عشرة: احتمال المشاق في طلب العلم، لقوله: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبٌ﴾.

السادس: ما فيها من مسائل الفقه:

فالأولى: عمل الإنسان في مال الغير بغير إذنه إذا خاف عليه الهلاك.

الثانية: من شرط الجواز خوف الهلاك، بل قد يجوز للإصلاح. لقصة الجدار.

الثالثة: أنه ليس من شرط المسكين في الزكاة أنه لا مال له.

الرابعة: أنه استدل بها على أنه أحسن حالاً من الفقير.

الخامسة: أنه لا بأس بالسؤال في بعض الأحوال. لقوله: ﴿أَسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا﴾.

السادسة: أن مَنْ لَمْ يُعْطَ يَتَعَرَّ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ، وَكَمْ مِمَّنْ هَانَ عَلَى النَّاسِ وَهُوَ جَلِيلٌ عِنْدَ اللَّهِ، وَقَدْ قِيلَ:

فَإِنْ رُوِّدَتْ فَمَا فِي الرَّدِّ مُنْقِصَةٌ عَلَيْكَ قَدْ رَدَّ مُوسَى قَبْلُ وَالْخَضِرُ<sup>(١)</sup>

السابعة: أن الإجارة تحوز بغير بعض الشروط التي شرط بعض الفقهاء.

(١) الب لاس نورددي.

الثامنة: أنه يجوز أخذ الأجرة على العمل الذي لا يكلف، خلاف ما توهمه بعضهم.

التاسعة: الترحم على الأنبياء، وأنه لا يقصر من قدرهم، بل هو من السُّنة.

العاشرة: أن تمني العلم ليس من التمني المذموم.

الحادية عشرة: أن السلام ليس من خصائص هذه الأمة.

الثانية عشرة: كيف الجواب إذا سئل: أي الدس أعلم؟

الثالثة عشرة: خطأ مَنْ قال: تخو الأرض من مجتهد.

الرابعة عشرة: التعزي باختير الله، وحسن الظن فيما تكره النفوس.

الخامسة عشرة: الخوف من مكر الله عند النعم.

السادسة عشرة: قوله: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ لا يعد من الشكوى.

السابعة عشرة: الفرقُ من المسألة المأمور بها والمنهي عنها، وإن كان معذورًا بل مأجورًا.

الثامنة عشرة: سفر الاثنين من غير ثالث للحاجة.

التاسعة عشرة: أن الخضر معروف في ذلك الزمن، لقوله: «لما عرّفوه حَمَلُوهُ بِلا تَوَلٍّ».

العشرون: أن احتمال المنة في مثل هذا لا بأس به.

الحادية والعشرون: شكره نعمة الخلق.

السابع: المنشور الجامع:

الأول: القصة بحملتها من أعحب ما سُمِعَ، ولا يُعرَفُ في نوعها مثلها.

الثانية: عين الحياة، وما لله من الأسرار في بعض المخلوقات.

الثالثة: ما ابتلي به موسى عليه السلام، مما لا يحتمله، وعده الصبر وتعليقه بالمشيئة.

الرابعة: نسيان الفتى الحوت في ذلك اليوم، وتلك الليلة، ونصف اليوم الثاني، مع أنه لم يُكَلَّفْ إلا ذلك، ومع أن زادهما يُحْمَلُ على الظهر.

الخامسة: الأمر العظيم في الماء لما صار طاقاً<sup>(١)</sup>، حتى قيل إن هذا لم يقع إلا له منذ خلقت الدني.

السادسة: أن الشيطان يتسلط تسلطاً لا يُعْرَفُ، لكونه تسلط على يوشع بالنسيان العجيب.

السابعة: الفرق بين العبودية الخاصة والعبودية العامة.

الثامنة: الرد على منكري الأسباب، لأنه سبحانه قادر على إنجاء السفينة، وتثبيت أبوي الغلام، وإخراج الكنز له بدون ما جرى.

التاسعة: الرد على من قال إن موسى لا يجوز له السكوت عنه، لأنه اعتذر من النسيان، ولأنه لا يعد من نفسه ترك واجب.

العاشرة: الحكم بالظاهر، لقوله عليه السلام: «نَفَسًا رَكْبَةً».

الحادية عشرة: تسمية المدينة قرية.

الثانية عشرة: أد التأويل في كلام الله وكلام العرب غير ما يريد المتأخرون.

الثالثة عشرة: أن المال قد يكون رحمة، وإن كان مكنوزاً.

الرابعة عشرة: فائدة طلب العم للرشد.

(١) قل النووي في «نرح مسم» (١٥ / ١٣٨): «الطاق عقد الباء، وجمعه طيقان وأطواق، وهو الأرح، وما عُقد أعلاه من الباء، وبقي ما حته حاليًا»

الخامسة عشرة: بصحة العالم المتعسم إذا أُرِدَ السؤال عما لا يحتمله.

السادسة عشرة: أن ذلك الممنوع قد يكون أفضل ممن يعرف ذلك.

السابعة عشرة: أن الكلام يقتصر على المبيوع، لقوله: ﴿فَطَفَّ﴾ كما قيل: ﴿فَطُتُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾.

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ، فَيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾، فيها خمس مسائل:

الأولى: كون الله فرض على نبيه أن يخبرن عن نفسه الخبر، الذي تصديقه ﴿يَسِّرْ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْئًا﴾ بتوحيد الألوهية، وإلا فتوحيد الربوبية لم ينكره الكفار الذين كذبوه وقتلوه.

الثالثة: تعظيمه بقوله: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ كما تقول لمن خالفك: كلامي مع من يدعي أنه من أمة محمد.

الرابعة: أن من شروط الإيمان بالله وليوم الآخر ألا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا، ففيه التصريح بأن الشرك في عبادة ليس في الربوبية، وفيه إرد على من قال: أولئك يستشفعون بالأصنام، ونحن نستشفع بالصالحين. لأنه قال: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ فليس بعد هذا بين.

وافتح الآية بذكره برء النبي ﷺ الذي هو أقرب الخلق إلى الله وسببه، وختمه بقوله: ﴿وَاحْدًا﴾.

اعلم، رحمك الله، أنه لا يعرف هذه الآية المعرفة لتي تنفعه إلا من يميز بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية تمييزًا تامًا، وأيضًا يعرف ما عساه غلب الناس؛ إم طواعيت يذرعون لله في توحيد الربوبية الذي لم يصح شرك لمشركين إليه، ومم مصدق بهم دبع بهم، وإم رجل شاك لا يدري ما أنزل الله على رسوله،

وقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ مِمَّا فِي آيَاتِنَا﴾ الآية (١)، فيه مسائل:

الثانية: أو لرسول إذا أُمِرُوا بذلك فغيرهم أولى بالحاجة إلى ذلك، فأفد أن هذا يحتاج إليه علم الناس حاجة شديدة.

الرابعة: أن خطب لرسول عام للأمم، بدليل قوله: ﴿قَطَّعُوا أَمْرَهُمْ﴾.

السادسة: الأمر بالإصلاح والعمل مع الأكل من الضيقات، ففيه رد على ثلاث طوائف:

وثانيهم: مَنْ يعمل العمل غير الخالص، مش المرائي وقاصد الدنيا.

السابعة. لمسألة اعظيمه التي سو لكلام لأجها، وهي فرض الاجتماع في المذهب وتحريم لا فرق، فإذا فرضه على الأنبياء مع الخلاف الأزمنة

(۱) قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَءُوا حَتَّى يَذْكُرَ الْحَرْفَ مِنْكُمْ﴾



والأمكة، فكيف بأمة واحدة، ونبيها واحد، وكتابه واحد، ودينها واحد؟  
 الثامنة: ذُكِرَتْ سُبْحَانَهُ فِعْلُهُمُ الَّذِي صَدَّرَ مِنْهُمْ. بعدما عرفوا الوصية العظيمة  
 بالاجتماع والنهي عن الافتراق، وأنهم تقطعوا أمرهم بينهم زُبُرًا كل حزب بما  
 لديهم فرحون، فذكر أنهم قابلوا الوصية بعدما سمعوها بما يضادها غاية  
 المضادة، وهو أنهم تركوا الاجتماع وتفرقوا، ثم بعد ذلك كل فرقة صَنَّفَتْ لَهَا  
 كِتَابًا غير كتب الآخرين، ثم قال: كل فرقة فَرِحَتْ بما تَرَكَتْ من الهدى، وفَرِحَتْ  
 بما ابْتَدَعَتْهُ من الضلال. كما قيل:

حَلَفْتُ لَنَا أَلَّا نَخُونُ عَهْدَهَا فَكَأَنَّا حَلَفْتُ لَنَا أَلَّا تَفِي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طَسَرَ ۝ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ لَعَلَّكَ بَحِجٌ مُّقْتَصِدٌ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>،

فيه مسائل:

الأولى: التنبيه على جلالة القرآن وعظمته.

الثانية: التنبيه على وضوحه، وقوله ﴿بِالْحَقِّ﴾ فيه علامة النبوة.

الثالثة: أن العلم بَيِّن، يعرفه أهل القرآن والإيمان، وإن جهله غيرهم.

قوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ إلى آخره.

فيه: ذم العلو في الأرض.

الثانية: ذم جعل الرعية شِيَعًا.

الثالثة: التنبيه على كبر هذا الظلم.

(١) سيمسّر الشيخ لايت (ص ١ - ٤٢) من سورة لقصص، وهي قوله تعالى: ﴿طَسَرَ﴾

إلى قوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.

الرابعة: التسجيل عليه أنه من هذه الطائفة، فمن أراد من الرؤساء أن يكون منهم مثله فهذا فعُّهُ. ومن أراد أتباع الخلفاء الراشدين فقد بان فعلهم.

وقوله: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ﴾ إلى آخره.

هذه الإرادة القدرية، بخلاف قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ وأمثالها، فهي إرادة شرعية.

الثانية: أن ابتلاءهم بالاستضعاف سبب المنة عليهم، وكونهم أئمة، وكونهم الوارثين، والتمكين لهم في الأرض، وتعريف عدوهم بما يحذرهم، فهذه خمس فوائد نتيجة تلك البلوى.

الثالثة: تبين قدرته العظيمة لعباده.

الرابعة: أن الحذر لا يفك من القدر<sup>(١)</sup>.

وقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَرْسُلَ مُوسَى أَنْ أَتِضِعَّهُ﴾ إلى آخره.

هذا وحي إلهام، ففيه إثبات كرامات الأولياء.

الثانية: أنها أُمِرَتْ بِإِلْقَائِهِ فِي الْيَمِّ وَبُشِّرَتْ بِأَرْبَعِ.

وقوله: ﴿فَالْقَظْمُ هَآءِلُ فِرْعَوْنَ﴾.

فيه: حكمة هذا الالتقاط.

الثانية: أن اللام لام العاقبة.

الثالثة: أن الإنسان قد يختار ما يكون هلاكه فيه.

الرابعة: أن ذلك القدر بسبب خطايات سابقة.

وقوله: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ إلى آخره.

(١) أي: لا يرفع.

فيه أن المرأة الصالحة قد تزوجها رجل سوء

الثانية: قولها: ﴿قُرْتُ عَنِّي وَلَيْتَ﴾ فيه محنة العاقل

الثالثة: ذكر الترجي.

الرابعة: عدم لشعور.

وقوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ قُرَّةً﴾ الآية.

فيه: ما ابتدت به.

الثانية: لولا منة الله عليها بالربط.

الثالثة: لتكون من المؤمنين.

الرابعة: أن الإيمان يزيد وينقص.

وقوله: ﴿وَقَلْتُ لِأَخْتِيهِ قُصِيَّةً﴾ الآية.

فيه: أن الوكل واليقين لا يندفي السبب.

الثانية: تسبب الأخت أيضًا.

الثالثة: عدم شعورهم مع دكنهم وظهور العلامات.

وقوله: ﴿وَحَرَمْتَ صَبَوَ الْمَرَاضِعِ﴾ الآية.

هذا التحريم قدره. وأم قوله: ﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ وأمثالها.

فتحريم شرعي.

الثانية: أن هذه العلامة لظاهرة في كلامها، ولم يفهموه مع فصنتهم.

وقوله: ﴿فَرَدَّدَهُ إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ إلى آخره.

فيه: أن الرد لثلاث فوائد.

الثانية: تفوت مراتب لعلم لقوله: ﴿وَيَعْمَرُ﴾.

الثالثة: أن بعض المعرفة لا يسمى عمماً، يصح فيه من وجه وإثباته من وجه.

الرابعة: المسألة لعظمة لكبيرة، تسجيل لله تبارك وتعالى على الأكثر أنهم لا يعلمون أن وعده حق.

وقوله: ﴿وَلَمْ يَنْبَغِ أَشَدُّ وَاسْتَوَى﴾.

فيه: أن ذلك لا يتأتى إلا بعد نبوغ الأشد ولاستواء.

الثانية: الفرق بين العلم والحكم.

الثالثة: ذكره أنه يفعل ذلك بالمحسنين، كما فعل ضده مع الذين كانوا خاضعين.

الرابعة: ترغيب عباده في الإحسان.

الخامسة: أن من جزء الحسنة لحسنة بعده.

السادسة: فيه أسرار القدر.

وقوله: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾ إلى آخره.

فيه: أن الرجل لصالح قد يتسخر له الفجر ويُنشأ في حجره.

الثانية: قد ييسر لكمال العظيم بسبب أعظم المكروهات.

الثالثة: أن قتل الرجل صار ذنباً.

الرابعة: نسبة ذلك إلى عمل الشيطان.

الخامسة: قوله: ﴿يَهْدِي عَدُوُّ مُصِيبٍ﴾.

السادسة: ذكر توبه الله.

- السابعة: ذكر مغفرة الله له.
- الثامنة: ذكر سبب المعفرة.
- التاسعة: شكر نعمة الخلق.
- العاشرة: كون شكرها عدم مظاهره المجرمين.
- وقوله: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَيِّتَةِ﴾ إلى آخره.
- فيه: أن هذا الخوف غير المذموم في قوله: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾.
- الثانية: أن ذلك الترقب لا يُذَمُّ.
- الثالثة: ما جبل عليه ﷺ من الشدة.
- الرابعة: قوله لذلك الرجل: ﴿إِنَّكَ لَفَوْقَ مُبِينٍ﴾ أن مثل ذلك لا يُذَمُّ.
- الخامسة: العمل بالقرائن.
- السادسة: الفرق بين الصلاح بالقوة وبين إرادته الفساد في الأرض بالتجبر.
- وقوله: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾ إلى آخره.
- فيه: قوة ملكهم.
- الثانية: ما عليه الرجل من محبة الحق وأهله.
- الثالثة: تأكيد عليه بالأمر بالخروج، وذكره أنه له من الناصحين بعد النذارة.
- وقوله: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾
- فيه: أن ذلك الخوف والترقب لا يُذَمُّ.
- الثانية: استغاثته بالله مع فعله السبب.
- الثالثة: أن كراهة الموت لا تُذَمُّ.

الرابعة: أن الظلم يوصف بالظلم، وإن كان في تلك القضية غير ظالم.

وقوله: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾ إلى آخره.

فيه: أنه توجه من غير سبب.

الثانية: سؤاله الله أن يدخله الطُّرُقَ.

الثالثة: أن «عسى» في هذا الموضع سؤال.

وقوله: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ إلى آخره.

فيه: ما أعطي ﷺ من القوة.

الثانية: إحسانه إليهما في هذا الحال.

الثالثة: مخاطبة النساء لمثله.

الرابعة: ظهور النساء في خدمة أموالهن للحاجة.

الخامسة: تأديبهما في عدم مزاحمة الرجال.

السادسة: ذكرها له السبب.

السابع: أن المانع له عدم القوة لا الترتيب.

الثامنة: سؤاله ربه.

التاسعة: تأديبه في السؤال بذكر حاله للاستعطف، العاشرة أن الشكوى لا

تُذَمُّ.

وقوله: ﴿فَخَافَتْهُ إِحْدَاهُمَا﴾ إلى آخره.

فيه: التنبيه على الحياء.

الثانية: الثناء على المرأة

الثالثة: إرسائها إلى الرجل لمحهور للحاجة.

الرابعة: عدم إنكاره للأجرة على العمل الصالح.

الخامسة: قوله: ﴿لَا تَحَفَّ﴾ لأنهم ليس لهم سلطان عليهم.

السادسة: كونهم معروفين بلظلم عندهم.

وقوله: ﴿قَأْتِ حَدْبَهُمَا﴾ إلى آخره.

فيه: أن المرأة قد تصيب وجه الرأي.

الثانية: ما أُعْطِيَتْ من الذكاء.

الثالثة: أن طاعتها في مثل هذا لا تُذَمُّ.

الرابعة: لولاية لها ركنان: القوة والأمانة، فلأمانة ترجع إلى خشية الله، والقوة ترجع إلى تنفيذ الحق.

الخامسة: أن الاحتياط للمال لا يذم.

وقوله: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ﴾ إلى آخره.

فيه: أن هذه لإجارة صحيحة، بخلاف قول كثير من الفقهاء من منعه من الإجارة بالضعف ولكسوه للجهلة.

الثانية: أن المنفعة يصح جمعها مهرًا للمرأة، خلافًا لمن منع ذلك.

الثالثة: أن هذه المهنة لا نقص فيها، كيف وقد قال عليه السلام: ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم<sup>(١)</sup>.

الرابعة: أنها صفة كمال لا يكمل إلا بها.

(١) أخرجه نحري (٢٢٦٢)

الخامسة: أن ذكر مثل هذا في الإجارة، وهي قوله: ﴿أَنَا أَلَاخَلَرُ فَصَنْتُ﴾ لا يُطَلَّ الإجارة.

السادسة: المسألة الكبيرة لدقيقة، وهي قوله ﷺ: «قضى أطيب الأجلين. أن رسول الله إذا قال فعل»<sup>(١)</sup>.

السابعة: تأكيد العقد بقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾.

وقوله: ﴿فَتَدَّ قَصَى مُوسَى لَأَحَلَّ وَسَرَ بِأَهْيَةٍ﴾

فيه: أنه قام هذه المدة أجرته فيها طعام بطنه وعفة فرجه.

الثانية: تسمية ذلك النور نورا.

الثالث: هذا الفرج بعد الشدة الذي أفرد بالتصنيف، ولم يذكروا لهذه نظيرا ولا ما يقاربه.

الرابعة: أنهم مع هذه الشدة بلبرد ولا نار معهم.

الخامسة: أنهم صلوا الطريق.

السادسة: جواز مثل هذا السفر للحاجة.

السابع: ذكر الموضع الذي ناداه منه.

الثامنة: إثبات الصفات.

التاسعة: الرد الواضح على الجهمية في قولهم هذا عبارة.

العاشرة: تفريه نحيي، فذكر النداء والمنجدة لاختصاص موسى بهذه

المرتبة، ولذلك ذكرها إبراهيم عليه السلام إذ طُلبت منه الشهادة



- الثانية عشرة: كونه أُمِرَ بإلقاء العصا فصارت أیه.
- الثالثة عشرة: كونه أُمِرَ بإدخال اليد آیه أخرى.
- الرابعة عشرة: كونه وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ.
- الخامسة عشرة: قوله: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾.
- السادسة عشرة: تبشيره أنه من الآمنين.
- السابعة عشرة: كونه أُمِرَ بضم جناحه من الرهب.
- الثامنة عشرة: تسميتها برهانًا.
- التاسعة عشرة: كونه من ربك.
- العشرون: كونها إلى فرعون وملئه.
- الحادية والعشرون: التعليل بأنهم قوم ظالمون.
- الثانية والعشرون: هذه العطية العظيمة في تلك الشدة العظيمة.
- الثالثة والعشرون: اعتذاره بقتل النفس والخوف منهم.
- الرابعة والعشرون: اعتذاره برثالة لسانه.
- الخامسة والعشرون: طلبه الاعتضاد بأخيه.
- السادسة والعشرون: طلبه الرسالة.
- السابعة والعشرون: تعليله بخوف تكذيبهم.
- الثامنة والعشرون: إجابة الله إياه.
- التاسعة والعشرون: تبشيره أنه يجعل لهما سلطانًا فلا يَصْلُونَ إِيَّاهُ.
- الثلاثون: تبشيره بغلته وغلبة أتباعه.

وقوله: ﴿فَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ إلى آخره.

فيه: أنه أتهم بآيات منسوبة إلى الله، وأنها بينات.

الثانية: أنهم قبلوها بما ذكر.

الثالثة: أنهم احتجوا بقولهم فيها بعدم سماعهم لهذا في آبائهم.

الرابعة: جواب موسى ﷺ.

وقوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيَهَا الْمَلَأُ﴾ إلى آخره.

هذا الإنكار الذي هو غلبة الكفر.

الثانية: قوله لهامان: ﴿فَأُوقِدْ لِي﴾ كيف اجترأ على الله في قول العصيين.

الثالثة: استدل به الأئمة على الجهمية.

وقوله: ﴿وَسْتَكَبَرُوا وَجُنُودُهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾

وصفهم بأن فيهم المهلك، وأنهم عدموا المنجى، ولذلك أخذهم بما ذكر.

الثانية: أمر المؤمن بالنظر في عاقبتهم.

الثالثة: أنه أتى بلفظ الظالمين ليبين أن ذلك مختص بهم.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ﴾

هذا الجعلُ القدري، وأما قوله: ﴿مَا حَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَيِّنَةٍ﴾ وأمثاله، فهذا

الجعلُ الشرعي.

الثانية: أن معرفة هذا يوجب الحرص على المطر في الأئمة، إذا كان منهم من

جعله الله يدعو إلى النار، ومنهم من قال فيه: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِمَرْنٍ﴾.

الثالثة: ذكر مآلهم في القبلة.

الرابعة: ما أبهى على أنسنة لباس في الدنيا.

الخامسة: ما كهم في الآخرة.

وأما الزيادة التي في سورة طه<sup>(١)</sup>؛ فالأولى: استمهام التفرير الدال على عظمة لقصة والتحريض على أفهامها.

الثانية: ﴿أَوْ أَجِدْ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ دليل على أنه ضل الطريق.

الثالثة: أمر بخلع النعلين.

الرابعة: إخباره أنه بذلك الوادي.

الخامسة: الإخبار بأنه مطهر.

السادسة: تبشيره بأن الله اختاره.

السابعة: أمره بالاستماع.

الثامنة: أن أول ذلك لمسائل على الإطلاق التوحيد، وهو إفرده بالعبادة.

التاسعة: أمره بإقامة الصلاة.

العاشرة: تعليل ذلك.

الحادية عشرة: وقت لإقامة.

الثانية عشرة: قوله: ﴿إِنَّ الْمَسَاعَةَ يَبِئْسَ﴾ بئس آجره، ثم ذكر الإيمان بالله ذكر لإيمان باليوم الآخر.

الرابعة عشرة: أن علة الإيمان.

الخامسة عشرة: ما غنه سبحانه في إحسانها

(١) وهي قوله تعالى ﴿وَهَلْ نُنَبِّئُكَ﴾ إلى قوله ﴿تَرْجُو نَجْدًا﴾ سورة طه ٩ ٧٥

السادسة عشرة: لحكمة في إقامتها .

السابعة عشرة: تحذيره من صاحب السوء .

وقوله: ﴿وَمَا تَذَكَّرْكَ يَمِينِكَ بَنُوسَى﴾ إلى آخره .

فيه: سؤاله عنها، وهو أعم .

الثانية: جوابه ﴿...﴾ .

الثالثة: أمره بأخذه ولا يخف، فإنه سيعيده .

الرابعة: أن ذلك من آيات الكبرى .

الخامسة: تعليله الذهاب إلى فرعون بطغيانه .

السادسة: سؤاله ﴿...﴾ .

السابعة: أنه لم يسأل حرًا لسانه بل عقدة منه .

الثامنة: أن مراده ليفقهوا كلامه .

التاسعة: أنه علمه ما سأله لأجل يُسَبِّحُناهُ ويذكرانه كثيرًا .

العاشرة: تعنيه بقوله: ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِأَنْصَرٍ﴾ .

الحادية عشرة: إجابة سؤاله .

الثانية عشرة: ذكر مِيتِهِ عِيبِهِ مِنْ قَبْلِ ثَمَانِيَةِ أُمُورٍ .

الثالثة عشرة: نهيهما أَلَا يَنِيَا فِي ذِكْرِهِ .

الرابعة عشرة: رفقه سبحانه ومحبته للرفق .

الخامسة عشرة: شكواهم إِيَّاهُ إِلَهُ نَعَالِي لِرُفُو

السادسة عشرة: العرق بين التذكر والخشبة .

السابعة عشرة: شكواهما.

وقوله: ﴿فَتَيَّأَهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ إلى آخره، فيه من الرفق والتلطف أمور:

أحدها: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾، فإن أطعت ما أطعت إلا هو.

الثانية: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا نُعَذِّبَهُمْ﴾ فلمطلوب أن يرسل جيرانه ورعيته ولا يعذبهم.

الثالثة: ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكَ﴾، قد قطع عذرك.

الرابعة: إضافته إلى الله.

الخامسة: ﴿وَلَسَلَّمْ عَلَىٰ مَنْ أُنْتَعِ الْهُدَىٰ﴾، أي هذا هو الذي فيه السلامة، التي هي مطلوبة لكل أحد، خصوصاً الملوك.

السادسة: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ﴾، أي: كما دللناك على أمور السلامة دللناك على طريق الهلاك.

السابعة: لم يقلوا: إن العذاب لك إذا توليت. بل كلام عام.

الثامنة: ذكر سبب العذاب.

التاسعة: الفرق بين التكذيب والتولي.

وقوله: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبِّكُمَا يَمْوِسَىٰ﴾ إلى آخره.

هذا: جواب اللعين بهذا الكلام اللين.

الثانية: جواب موسى ﷺ الجواب الباهر.

الثالثة: التفكير في الخلق والهداية.

الرابعة: جواب اللعين عن هذه.

الخامسة: جواب موسى ﷺ عن شبهته، وهي أن العدم أجل العوائد عند المناظرة.

السادسة: ذكر العلم والكتاب.

السابعة: أن ذلك الكتاب ليس لخوف نسيان أو خطأ.

الثامنة: الاستدلال بالآيات الأرضية والسمائية.

التاسعة: ذكر إسباغ نعمته.

العاشرة: ذكر أن في ذلك لآيات لكن لهذه الطائفة.

الحادية عشرة: لما ذكر الأرض ذكر ما جرى لنا وما يجري لنا فيها.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾

فيه: الفرق بين التكذيب والتولي والإباء.

الثانية: ما أكثر الله له ولقومه من الآيات.

الثالثة: مكابرتة في تسمية ذلك سحرًا.

الرابعة: رميه موسى بنية طلب الملك.

الخامسة: معرضة آيات الله بالسحر.

السادسة: اهتمامه بذلك الموعد.

السابعة: دعاء الإنصاف بقوله: ﴿سُوَّى﴾.

الثامنة: إجابة موسى إياه.

التاسعة: ذكر جميع كيده قبل إتيانه.

العاشرة: وعظه إياهم.

الحادية عشرة: كونه يقول: ﴿لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾.

الثانية عشرة: قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ كلمة جامعة.

الثالثة عشرة: سرهم بينهم بما ظنوه في موسى وأخيه.

الرابعة عشرة: اغتارهم بطريقتهم.

الخامسة عشرة: ذكرهم الاجتماع والإتيان صفًا.

السادسة عشرة: قوله: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾.

السابعة عشرة: دعواهم الإنصاف في الخصومة.

الثامنة عشرة: احتضار إلقاءهم أولًا.

التاسعة عشرة: هذا السحر العظيم.

العشرون: إيجاس الخيفة في مثل هذا غير مذموم.

الحادية والعشرون: بشارة الله إياه.

الثانية والعشرون: أمره له بإلقاء العصا.

الثالثة والعشرون: ما فعلت العصا.

الرابعة والعشرون: القاعدة الكلية، ما فعلوا ﴿كَيْدُ سَحَرٍ وَلَا يُفْنِجُ السَّاحِرُ

حَيْثُ أَقْبَى﴾.

الخامسة والعشرون: ما فعلوا السحرة من سرعة انقيادهم لم عرفوه فعلهم

وقولهم.

السادسة والعشرون: كون الإيمان برب هرون وموسى.

السابعة والعشرون: قولهم وما ذكر أنه يفعل بهم.

الثامنة والعشرون. جوابهم لهذا الطغي العادر، وهي سبع جمل، كل جملة مستقلة.

وفي سورة الأعراف من الزيادة<sup>(١)</sup>: قوله ﴿قوله﴾: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾.

الثانية: استعظام الله سحرهم.

الثالثة: قوله: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾ الآيتين.

الرابعة: قوله لهم: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾ لهذا.

الخامسة: قولهم: ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾.

السادسة: قولهم: ﴿وَمَا نُنْقِصُ مِنَّا﴾ إلى آخره.

السابعة: سؤالهم الله هذه المسألة.

الثامنة: كلام الملأ له.

التاسعة: جوابه لهم.

العاشرة: نصيحة موسى لقومه فيها أمران وثلاثة أخبار.

الحادية عشرة: ردهم على موسى.

الثانية عشرة: جوابه لهم.

الثالثة عشرة: إخبار الله أنه أخذهم بالسنين ونقص من الثمرات.

الرابعة عشرة: ذكر الحكمة في ذلك.

الخامسة عشرة: أنهم لم يفهموا مراد الله بلحسة والسبغة التي تأتيهم، بل عكسوا الأمر.

(١) قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا كُنُوا يَعْرِشُونَ﴾ سورة الأعراف ١٠٤ ١٣٧



السادسة عشرة: قوله: ﴿لَا إِنَّمَا طَلَيْتُهَا بِعَدَائِهِ﴾.

السابعة عشرة: كون الأكثر لا يعمون هذه لمسألة.

الثامنة عشرة: شدة عنادهم.

التاسعة عشرة: ذكره إرسال الآيات عليهم.

العشرون: كونهم مع ذلك استكبروا.

الحادية والعشرون: قوله: ﴿وَكَاثُوا قَوْمًا تُجْرِمِينَ﴾.

الثانية والعشرون: كلامهم لموسى لما وقع عليهم الرجز.

الثالثة والعشرون: نكثهم ما قالوا.

الرابعة والعشرون: قوله: ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بالفاء.

الخامسة والعشرون: ذكره السبب.

السادسة والعشرون: ذكره فضله على الضعفاء.

السابعة والعشرون: أن ذلك سبب صبرهم.

الثامنة والعشرون: تدمير ما استعملوا وما كنوا يَعْرِشُونَ.

وأما في سورة الشعراء من الزيادة<sup>(١)</sup>: قوله: ﴿أَلَمْ تَرْكِبْنَا وَلِيدًا﴾.

الثانية: جواب موسى ﷺ.

الثالثة: قوله: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

الرابعة: جواب موسى ﷺ.

الخامسة: قوله: ﴿بَيْنَ حَوْلِهِ﴾.

(١) قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ تَرْكِبْ﴾ إلى قوله: ﴿الْعَرَبُ كَرَجِيَّةٌ﴾ سورة الشعراء ١٨ - ٦٨.

- السادسة: جواب موسى ﷺ .
- السابعة: قوله: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ﴾ إلي آخره .
- الثامنة: جواب موسى ﷺ .
- التاسعة: كونه فزع إلى القدرة لما بهرته الحجة .
- العاشر: جواب موسى ﷺ .
- الحادية عشرة: جوابه لموسى ﷺ .
- الثانية عشرة: عناده لما أتته الآيات .
- الثالثة عشرة: قوله: ﴿هَٰنَ نَتَمَجَّعُونَ﴾ .
- الرابعة عشرة: توسلهم بعزة فرعون .
- الخامسة عشرة: قولهم: ﴿لَا صَبْرَ﴾ .
- السادسة عشرة: كونه أمره أن يسري بهم .
- السابعة عشرة: كونه ذكر لهم أنهم متبعون .
- الثامنة عشرة: إرساله في المدائن حاشرين .
- التاسعة عشرة: ذكره لرعيته لما حشرهم .
- العشرون: ذكره المقدم والنعيم والكنوز والجنت التي سُبوا .
- الحادية والعشرون: كونه أورث الجميع بني إسرائيل .
- الثانية والعشرون: اتبعهم إياهم مشرقين .
- الثالثة والعشرون: قولهم: ﴿فَلَمَّا تَرَيْنَا آلَ حَمَانَ﴾ .

الرابعة والعشرون: جواب موسى ﷺ لهم.

الخامسة والعشرون: ذكره أنه أمره أن يضرب بعصاه، فكان ما كان.

السادسة والعشرون: ذكره صفة نجاة هؤلاء وهلاك هؤلاء.

السابعة والعشرون: تنبيه العباد علي فائدة القصة.

الثامنة والعشرون: هذا العجب العجيب؛ عدم إيمان الأكثر مع ذلك.

التاسعة والعشرون: ذكره: ﴿إِنَّهُمْ هُوَ لَعَزِيزُ الرَّحِيمِ﴾.

وأما ما في سورة النمل من الزيادة<sup>(١)</sup>؛ فقلوه: ﴿أَنْ بُرُوكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.

الثانية: تسييحه في هذا المقام.

الثالثة: قوله: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾.

الرابعة: الاستثناء.

الخامسة: ذكره أن اليد في جملة تسع آيات.

السادسة: جردهم الآيات مع اليقين.

السابعة: أن سببه الظلم والعلو.

وأما ما في سورة يونس من الزيادة<sup>(٢)</sup>؛ قول موسى: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ إلى آخره.

الثانية: قوله: ﴿لِتَفْنَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾.

(١) قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ نُودِي﴾ إلى قوله: ﴿عَنْقَبُهُ لَمُصْبِينَ﴾ النمل ٨ - ١٤ .

(٢) قوله تعالى: ﴿فَالْمُوسَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿فَالْمُوسَىٰ﴾ يونس ٧٧ - ٩٢ .

الثالثة: ﴿وَتَكُونُ لَكُمْ أَلْكَبَرِيَّةً فِي الْأَرْضِ﴾.

الرابعة: قوله: ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ﴾.

الخامسة: القاعدة الكلية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

السادسة: كونه يحق الحق بكلماته.

السابعة: ولو كره المجرمون.

الثامنة: ما آمن لموسى إلا من ذكر.

التاسعة: أنه على خوف من فرعون وملئه.

العاشرة: وصف فرعون بالعلو والإسراف.

الحادية عشرة: نصيحة موسى.

الثانية عشرة: التوكل من لوازم الإسلام والإيمان.

الثالثة عشرة: جوابهم وقبولهم النصيح.

الرابعة عشرة: دعاؤهم وما فيه من الفوائد.

السادسة عشرة: قوله: ﴿أَنْ تَبُوءَ الْقَوْمَ كَمَا﴾ إلى آخره.

السابعة عشرة: كون المؤمن داعيًا.

الثامنة عشرة: قوله في هذا المقام: ﴿فَأَسْتَقِيمَ﴾ إلى آخره.

التاسعة عشرة: كلام فرعون عند الغرق.

العشرون: ما أجيب به.

الحادية والعشرون: ذكر غفلة الجميع عن آياته.

وفي سورة هود<sup>(١)</sup>: قوله: ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾.

الثانية: كونه يوم القيامة يقدمهم ويوردهم النار.

وفي سورة الإسراء<sup>(٢)</sup>: ذكر أن لتسع كلها بينات.

الثانية: أمره نبيه ﷺ بسؤال بني إسرائيل.

الثالثة: قول فرعون له.

الرابعة: جوابه.

الخامسة: أنه عوقب بنقيض قصده.

السادسة: قوله: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ إلى آخره.

وفي سورة الحج<sup>(٣)</sup>: ﴿وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمْنَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ إلى آخره.

وفي سورة الصافات<sup>(٤)</sup>: كون فعل فرعون معهم كرب عظيم.

وفي سورة المؤمن<sup>(٥)</sup>: قوله: ﴿يَتَّيِنُنَا وَنُغْنِيَنَّهُمْ مِثِينَ﴾.

الثانية: إلى الثلاثة.

الثالثة: جوابهم له.

الرابعة: ما قالوه لما جاءهم الحق من عند الله.

الخامسة: أن ذلك الكيد في ضلال مبين.

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ إلى قوله: ﴿الْوَرْدَ لَمُؤْتِرُودٍ﴾ هود ٩٦ ٩٨

(٢) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى﴾ إلى قوله: ﴿يَكْفُرُ لِفَيْضٍ﴾ لاسراء ١٠١ ١٠٤

(٣) قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَكْذِبُونَكَ﴾ إلى قوله: ﴿كَانَ كَبِيرٍ﴾ الحج ٤٢ ٤٤

(٤) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ قَوْمَهُمْ﴾ من الكرب العظيم

اصافات ١١٤ - ١١٥

(٥) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ عافر ٢٣ - ٤٦

السادسة: قوله: ﴿دَرُويْ أَقْتَلْ مُوسَى﴾ الآية.

السابعة: قول موسى.

الثامنة: كلام المؤمن وما فيه من الفوائد.

التاسعة: جواب فرعون.

العاشرة: قول المؤمن الثاني، وما فيه من الأصول، ووصف القيامة، وتذكيرهم برسالة يوسف وما فعلوا.

الحادية عشرة: قول: ﴿لَعَلِّي أَتْلُعَ أَلْسِنَتَهُ﴾ إلى آخره.

الثانية عشرة: كون كيد في تبب.

الثالثة عشرة: قول المؤمن الثالث وما فيه من المعارف.

الرابعة عشرة: وقاية الله له مكرهم.

الخامسة عشرة: كونهم يُعَرَّضُونَ على النار.

السادسة عشرة: استدلال العلماء على عذاب القبر.

وفي سورة الزخرف<sup>(١)</sup>: مقابلتهم آيات الله بالضحك منها.

الثانية: قوله: ﴿وَمَا يُرِيدُ مِنْ آيَةٍ﴾ إلى آخره.

الثالثة: قوله: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

الرابعة: خطبة فرعون وما فيه من استدلاله على النفي والإثبات.

الخامسة: قوله: ﴿فَأَسْحَفَ قَوْمَهُ﴾ إلى آخره.

السادسة: قوله: ﴿فَحَمَسَهُمْ سَلَفًا﴾ إلى آخره.

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَرْسَلْنَا مُوسَى﴾ إلى قوله: ﴿وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ الرحمن ٤٦ ٥٦

وفي سورة الدخان<sup>(١)</sup>: ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾.

الثانية: وصفه نفسه بالأمانة.

الثالثة: نهيه إياهم عن العلو على الله.

الرابعة: قوله: ﴿وَلَمَّا عُدْتُ إِلَيَّ رَبِّي وَإِلَى آخِرِهِ.

الخامسة: قوله: ﴿وَأَتْرَكَ لِبَحْرٍ رَهْوًا﴾ .

السابعة: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾.

### الثامنة : عدم الإنظار .

التاسعة: أن فعله لهم عذاب مهين.

وفي سورة المؤمنين<sup>(٢)</sup>: كونهم كلهم قومًا عالين.

الثانية: حجته على عدم الإيمان لهما.

الثالثة: التنبيه على أنهم من جملة من أهلك ليس مختصاً بهم.

وفى سورة الذاريات<sup>(٣)</sup> : ﴿فَتَوَلَّىٰ بَرْكِيهٖ﴾ .

الثانية : قوله : ﴿سَحَرُوا أَوْ مَجْنُونٌ﴾ .

وفي سورة القمر<sup>(٤)</sup>: تكذيبهم بالآيات كلها.

الثانية: تكذيبهم بأنذير.

(١) قوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَتَنَّا﴾ إلى قوله: ﴿لَعَذَابُ الْمُهِينِ﴾ الدخان ١٧ ٣٠

(۲) قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَمَيْنَا﴾ إلى قوله: ﴿مِنَ الْمُتَكِبِينَ﴾ لمؤمور ۴۵ - ۴۸ .

(۳) قوله تعالى: ﴿وَرَىٰ مُوسَىٰ إِذْ أُتِيَٰهُ إِلَىٰ وَاعُونَ يَسُطَّيْ مُبِيرٌ﴾ ﴿٣٨﴾ وَقَالَ سَجَرٌ أَوْ مَحْجُورٌ ﴿٣٩﴾ الداريت ۳۸ - ۳۹ .

(٤) قوله تعالى: ﴿كَلِمَاتٍ ثَلَاثٍ كُلُّهَا فَاحْذَرُنَّ أَحَدَ عَرَبٍ مُقَدِّرٍ﴾ ﴿٤١﴾ أَكْفَارُكُمْ حَبِيرٌ مِّنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ سَرِيعَةٌ فِي الزَّيْرِ﴾ القمر ٤١ - ٤٣ .

الثالثة: ذكر العبرة لهذه الأمة فيهم.

وفي سورة المزمل<sup>(١)</sup>: المسألة الكبيرة لهذه الأمة.

وفي النازعات<sup>(٢)</sup>: قوله: ﴿إِنِّي أَنزَلْتُكَ إِلَى آخِرِهِ.

الثانية: قوله: ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ يَتَغَى ۖ فَحَسَّرَ مَا دَنَى﴾

الثالثة: الكلمة العظيمة.

الرابعة: الجمع بين الآخرة والأولى.

الخامسة: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۖ﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْطَبُنَّ عَمَلَكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ إلى قوله: ﴿سُبْحَنُكَ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، فيه مسائل:

الأولى: الجواب عن قول المشركين: هذا في الأصنام، وأما الصالحون فلا.

قوله: ﴿قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ﴾ عدم فيه ما سوى الله.

الثانية: أن المسمم إذا أطاع مَنْ أشار عليه في الظاهر كفر، ولو كان باطنه يعتقد الإيمان، فإنهم لم يريدوا من النبي ﷺ تغيير عقيدته، ففيه بيان لما يكثر وقوعه ممن ينتسب إلى الإسلام في إظهار الموافقة للمشركين خوفاً منهم، ويظهر أنه لا يكفر إذ كان قلبه كارهاً.

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا﴾ إلى قوله: ﴿أَوَلَدُنْ شَيْئًا﴾ المزمل ١٥ - ١٧ .

(٢) قوله تعالى: ﴿هَرَأَيْتَ أَتَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿لَمَّا تَخَيَّ﴾ النازعات ١٥ - ٢٦ .

(٣) قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الرمر ٦٤ - ٦٧ .



الثالثة: أن الجهل وسخافة العقل موافقتهم في الظاهر، وأد العقل والفهم ولذكاء هو التصريح بمخالفتهم. ولو ذهب مالك، خلافاً لما عليه أهل الجهل من اعتقاد أن بدل دينك لأحد مالك هو العقل، وذلك في آخر الآية ﴿أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾.

وأما الآية الثانية ففيها مسائل:

الأولى: شدة الحاجة إلى تعلم التوحيد، فإذا كان الأنبياء يحتاجون إلى ذلك ويحرصون عليه، فكيف بغيرهم، ففيها رد على الجهال الذين يعتقدون أنهم عرفوه فلا يحتاجون إلى تعلمه.

الثانية: المسألة الكبرى، وهي كشف الشبهة لعلماء المشركين الذين يقولون: هذا شرك. ولكن لا يكفر من فعله؛ لكونه يؤدي الأركان الخمسة. فإذا كان الأنبياء لو يفعلونه كفروا فكيف بغيرهم.

الثالثة: أن الذي يكفر المسلم ليس عقيدة القلب خاصة، فإن هذا الذي ذكرهم الله لم يريدوا منه تغيير العقيدة، كما تقدم، بل إذا أطاع المسلم من أشار عليه بموافقتهم، لأجل ماله أو بلده أو أهله، مع كونه يعرف كفرهم ويبغضهم، فهذا كافر، إلا من أكره.

وأما الآية الثالثة؛ ففي الصحيح أن رسول الله ﷺ قرأها على المنبر، وقال: «إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين، وتكون السماوات بيمينه» ثم ذكر تمجيد الرب تبارك وتعالى نفسه، وأنه يقول: «أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك العزيز. أنا الكريم» قال ابن عمر: فرجف برسول الله ﷺ حتى قلنا: لَبَجَرَنَّ بِهِ <sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه بهذا اللفظ لسانى في السس كبرى (٤/ ٤٠٢).

## وفيها ثلاث مسائل أيضًا:

الأولى: النسيه على سبب الشرك، وهو أن المشرك ناد له شيء من جلاله الأنبياء والصالحين، ولم يعرف الله ﷻ، وإلا لو عرفه لكفاه وشفاه من المخلوق، وهذا معنى قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الآية.

المسألة الثانية: ما ذكر الله تبارك وتعالى من عظمته وجلاله أنه يوم القيامة يفعل هذا، وهذا قدر ما تحتمله العقول، وإلا فعظمة الله وجلاله أجل من أن يحيط بها عقل، كما قل: «ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في كف أحدكم»<sup>(١)</sup> فمن هذا بعض عظمته وجلاله كيف يُجْعَلُ في رتبته مخلوق لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا! هذا هو أظلم الظلم وأقبح الجهل، كما قال العبد الصالح لابنه: ﴿يَبْقَى لَا شَرِيكَ بِاللَّهِ إِنَّكَ الشِّرْكَ لَظُنُّرٌ عَظِيمٌ﴾.

الثالثة: أن آخر الآية، وهو قوله: ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ينبهك على الحكمة في كونه سبحانه يغفر الكبائر، ولا يغفر الشرك، وتزرع بغض الشرك وأهله، ومعاداتهم في قلبك، وذلك أن أكبر مسببة بعض الصحابة، مثل أبي بكر وعمر، لو يُجعل في منزلته بعض ملوك زماننا، مثل سليمان أو غيره، مع كون الكل منهم آدمي، والكل ينتسب إلى دين محمد، والكل يأتي بالشهادتين، والكل يصوم رمضان ويصلي، فإذا كان من أقبح المسبة في زماننا لأبي بكر أن يسوى بينه وبين بعض الملوك في زماننا، فكيف يُجعل للمخلوق من الماء المهين ولو كان نبيًا بعض حقوق من هذا بعض عظمته وحلاله، من كونه يُدعى كما يُدعى، ويُخاف كما يُخاف، ويُعتمد عليه كما يُعتمد عليه؟ هذا أعظم الظلم

(١) أخرجه الطبري (٢١ / ٣٢٤) من قول ابن عباس

وأقبح المسبة لرب العالمين، وذلك معنى قوله في آخر الآية: ﴿سُبْحَنَهُ وَعَظَّمَ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ولكن رحم الله مَنْ تنبه للكلام. وهو المعنى الذي نزلت فيه هذه الآيات، من كون المسلم يوافقه في شيء من دينهم الطاهر، مع كون القلب بخلاف ذلك، فإن هذا هو الذي أرادوا من النبي ﷺ فافهمه فهمًا حسنًا، لعلك تعرف شيئًا من دين إبراهيم عليه السلام، الذي بادر أباه وقومه بالعداوة عنده، والله أعلم.

وهذه مسائل مستنبطة من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾

قال الشيخ رحمه الله: فيها عشر درجات:

الدرجة الأولى: تصديق القلب أن دعوة غيره باطلة، وقد خالف فيها مَنْ خالف. الثانية: أنها منكر يجب فيها البغض، وقد خالف فيها من خالف.

الثالثة: إنها من الكبائر والعظائم المستحقة للمقت والمفارقة، وقد خالف فيها من خالف.

الرابعة: إن هذا هو الشرك بالله الذي لا يغفره، وقد خالف فيها من خالف.

الخامسة: إن المسلم إذا اعتقده أو دان به كفر، وقد خالف فيها من خالف.

السادسة: أن المسلم الصادق إذا تكلم به هازلًا أو خائفًا أو طامعًا كفر بذلك، وأنى ينزل القلب هذه الدرجات ويصدق به؟

السابعة: أنك تعمل معه عملك مع الكفار؛ من عداوة الأب والإبن وغير ذلك.

الثامنة: أن هذا معنى لا إله إلا الله، والمألوه والإلهية عمل من الأعمال، وكونه منفيًا عن غير الله ترك من التروك.

التاسعة: القتل علي ذلك؛ حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

العاشرة: أن الفاعل للدعوة لغير الله لا تُقبل منه الجزية كما تُقبل من اليهود.

ولا تُنكح نساؤهم كما تُنكح نساء اليهود؛ لأنه أغضب من اليهود كفرًا. وكل درجة من هذه الدرجات إذا نزلتها تخلف عنك بعض من كد معك، والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه مسائل مستنبطة من سورة «اقرأ»:

الأولى: الأمر بالقراءة.

الثانية: الجمع بين التوكل والسبب، خلافًا لغلاة المتفقهة وغلاة المتصوفة.

الثالثة: السر الذي في الإضافة في قوله ﴿يَأْسِرَ رَيْثَ﴾ المقتضي للتوكل.

الرابعة: وصفه سبحانه بالخلق الذي هو أظهر آياته.

الخامسة: ذكر خلقه الإنسان خاصة.

السادسة: كونه من علق.

السابعة: تكرير الأمر بالقراءة.

الثامنة: الوصف بأنه الإكرام.

التاسعة: ذكر التعليم بالقلم الذي هو في المرتبة الرابعة.

العاشرة: تعليم الإنسان خاصة ما لم يعلم.

الحادية عشرة: أن الذكر بالقلب واللسان أفضل من الذكر بالقلب وحده.

الثانية عشرة: الحث على التواضع لقوله: ﴿مِنْ عَنِّي﴾.

الثالثة عشرة: معنى: اعرف نفسك تعرف ربك.

الرابعة عشرة: معنى أن العلم والإيمان مكنتهما، من ابتغاهما وجدهما إلى

يوم القيامة<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٠٤) من قول معاذ بن حل. وصححه الشيخ الألباني (صحيح ترمذي).



السابعة: تسليية المَطْغِيّ عليه بذلك.

الثامنة: كونه إلى رب محمد، ففيه الجزاء على الأعمال.

التاسعة: تقرير الشرع بالعقل، لقوله: ﴿أَزَّيَّتْ﴾.

العاشر: كون ذلك النهي عن آثار الطغيان.

الحادية عشرة: تقرير ذلك بتصوير الحادثة أنه نهى عبداً صلى لربه.

الثانية عشرة: التوقف عما لا يعلم، وإلا فلا يلوم إلا نفسه.

الثالثة عشرة: أن ذلك عام فيمن تنكر عليه، فيما يفعله، وفيما يأمر به غيره.

الرابعة عشرة: الاستدلال على الذهي واستجهاله بقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾.

الخامسة عشرة: الاستدلال بالقاعدة الكلية على المسائل الجزئية.

السادسة عشرة: أن العلم بذلك ليس هو الإقرار.

السابعة عشرة: أن العلم بالأسماء والصفات أجل العلوم.

الثامنة عشرة: الدلالة على التوحيد.

التاسعة عشرة: الدلالة على النبوة.

العشرون: أن السورة فيها ذكر الإيمان بالأصول الخمسة.

الحادية والعشرون: كون العقوبة قد تُعجل في الدنيا.

الثانية والعشرون: ما يُرجى للحق من نصر الله للضعفاء على الأقوياء.

الثالثة والعشرون: أن المال والقوة قد يكونان سبباً لشر الدين والآخرة.

الرابعة والعشرون: أن بعض أعداء الله قد يُكشَفُ له. فيرى عينه من الآيات

ما لا يراه المؤمن، كالسامري.

الخامسة والعشرون: الجمع بين قوله: ﴿كَذَبَتْ حَاطَّةٌ﴾ فوصفه بهساد القول والعمل.

السادسة والعشرون: أنه لو دعا نادية أو دنا من النبي ﷺ لعوجل، ولكن رُفِعَ عنه ذلك لكونه ترك ما في نفسه.

السابعة والعشرون: النهي عن طاعة مثل هذا.

الثامنة والعشرون: أنه ختمها بالسجود الذي هو أشرف أفعال الصلاة، وافتتحها بالقراءة التي هي أشرف أقوالها.

التاسعة والعشرون: الأمر بالاقتراب من الله، ففيه معنى «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»<sup>(١)</sup>.

الثلاثون: تسلية المُحِقِّ إذا سُلِّطَ عليه مثل هذا، وأمره بالصلاة.

وأما قوله: ﴿يَأْتِيَنَّ الْمَذْبُورُ﴾ الآيات، ففيه مسائل:

الأولى: الدعوة إلى الله، لا يقتصر على نفسه.

الثانية: خطابه بالمدثر.

الثالثة: أن الداعي يبدأ بنفسه فيصلح عيوبها.

الرابعة: تعظيم الله سبحانه علماً وعملاً.

الخامسة: هجران الرجز.

السادسة: قوله: ﴿وَلَا تَمَنَّ فَتَسْكِرُ﴾.

السابعة: قوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ فأمره بالطريق إلى القوة، على ما تقدم، فهو الصبر خالص.

ففيها آداب الداعي ؛ لأن الخس يدخل على رؤساء الدين من ترك هذه الوصايا أو بعضها :

فمنها : الحرص على الدين ، فنهى عنه بقوله : ﴿ وَلَا تَمْسُ نَسَكُكُمْ ﴾ .

ومنها : عدم الجد ، فنهى عليه بقوله : ﴿ بِأَيِّهَا الْمَذِثُّ ﴾ .

ومنها : رؤية الناس فيه العيوب المنفرة لهم عن الدين كما هو الواقع .

ومنها : التقصير في تعظيم العلم الذي هو من التقصير في تعظيم الله .

ومنها : عدم الصبر على مشاق الدعوة .

ومنها : عدم الإخلاص .

ومنها : عدم هجران الرجز والتقصير في ذلك ، وهو من أضرها على الإنسان ، وهو من تطهير الثياب ، لكن أفردت بالذكر كنظائره .

فأول «اقرأ» فيه الأمر بطلب العلم ، وأول «المدثر» فيه الأمر بالعمل به .

الثانية : أول «اقرأ» فيه معرفة الله ، وأول «المدثر» فيه الأدب مع الله .

الثالثة : أول «اقرأ» فيه الاستعانة ، وأول «المدثر» فيه الصبر .

الرابعة : أول «اقرأ» فيه الإخلاص ، والاستعانة وأول «المدثر» فيه إخلاص الصبر .

الخامسة : أول «اقرأ» فيه الاستعانة ، وأول «المدثر» فيه العبادات .

السادسة : أول «اقرأ» فيه فضله عليك ، وأول «المدثر» فيه حقه عليك .

السابعة : أول «اقرأ» فيه أدب المتعلم ، وأول «المدثر» فيه أدب العالم .

الثامنة : أول «اقرأ» فيه معرفة الله ومعرفة النفس ، وأول «المدثر» فيه الأمر

والنهى .



التاسعة: أول «اقرأ» فيه معرفتك نفسك وبربك. وأول «المدثر» فيه العمل المختص والمتعدي.

العاشرة: أول «اقرأ» فيه أصل الأسماء والصفات، وهم العلم والقدرة، وأول «المدثر» فيه أصل الأمر والنهي، وهو الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك. الحادية عشرة: في أول «اقرأ» ذكر العلم الذي لا يستقيم العمل إلا به، وأول «المدثر» فيه ذكر الصبر الذي لا يستقيم العمل إلا به.

الثانية عشرة: في أول «اقرأ» ذكر التوكل، وأنه يفتح المغلق، وأول «المدثر» فيه الصبر الذي يفتحه.

الثالثة عشرة: في أول «اقرأ» العمل المختص، وأول «المدثر» فيه العمل المتعدي.

الرابعة عشرة: في «اقرأ» ست مسائل من الخبر، وأول «المدثر» ست مسائل من الإنشاء.

الخامسة عشرة: في أول «اقرأ» ذكر بدء الخلق، وأول «المدثر» ذكر الحكمة فيه.

السادسة عشرة: في أول «اقرأ» ذكر أصل الإنسان، وأول «المدثر» فيه كماله.

السابعة عشرة: في أول «اقرأ» الربوبية العامة، وأول «المدثر» الربوبية الخاصة.

الثامنة عشرة: في أول «اقرأ» شاهد لقوله: «اعقها واتكل»، وفي أول المدثر الصبر الذي هو من الإيمان بمرة الرأس من الجسد.

التاسعة عشرة: في أول «اقرأ» ابتداء النبوة، وأول «المدثر» ابتداء الرسالة.

العشرون: في السورتين شاهد لقوله: العلم قبل القول والعمل.

ومن «اقرأ» إلى آخره<sup>(١)</sup>:

أن قريشاً صريح آل إبراهيم، وأيضاً ولاية البيت الحرام، وأيضاً خُصُّوا بنعم؛ مثل الرحلتين ودفع الفيل، وأما أهل الكتاب فأهل العلم، وذرية الأنبياء، وجرى من الكن على رسالة الله ما جرى.

الثانية: أن هذا من الرئيسين؛ أبي لهب وأبي جهل، ذكر عنهما ما ذكر.

الثالثة: أن أهل الكتاب لم يفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم.

الرابعة: أنهم لم يؤمروا إلا بما تعرفه العقول، وبما ينبغي للعاقل أن يلتزمه ولا ينبغي به بدلاً لحسنه وسهولته.

الخامسة: أن الذي استدلوا به من أشق الأشياء وأكثرها عذاباً، وينبغي للعاقل البعد عنه لقبحه وصعوبته.

السادسة: أن مع سهولة الذي تركوا وحسنه، وقبح الذي انتقلوا إليه ومشقته، أُشْرِبُوهُ في قلوبهم، فلم ينتقلوا عنه إلا بعد كذا وكذا.

السابعة: أنه سبحانه توعد بالذر الذين كفروا من أهل الكتاب، ومن العامة، وقدم أهل الكتاب في الذكر.

الثامنة: أن العامة أُشْرِبُوا حب دينهم، وصبروا على المشقة فيه، مع أنهم لا يعرفون جنة ولا ناراً، وهذا من العجائب.

التاسعة: التنبيه على كبر النعمة بإنزال الكتاب بذكر الليلة التي أنزل فيها.

العاشرة: أن له سبحانه خصائص من الأزمنة كما له من الأمكنة.

(١) أي السور القصيرة معه

الحادية عشرة: أن الأعمال تتضعف، وإن تساوت في الظاهر، بما يحل عنه الوصف.

الثانية عشرة: عطف الروح على الملائكة.

الثالثة عشرة: أن خشية الله جامعة للدين كله.

الرابعة عشرة: النص على العبادة بالإخلاص.

الخامسة عشرة: ذكر الحنفاء.

السادسة عشرة: عطف العبادتين على ذلك.

السابعة عشرة: نصه أنه دين القيمة.

الثامنة عشرة: بيان أن من ساء عمله شر من الجُعْلَان ولو علم.

التاسعة عشرة: كون الضد خير البرية.

العشرون: الآية الجامعة الفاذة.

الحادية والعشرون: ذكر شيء من تفاصيل القيمة؛ من شهادة الأرض وغير ذلك.

الثانية والعشرون: معاملة الإنسان ربه لقوله: ﴿لَكُنُودٌ﴾.

الثالثة والعشرون: كونه شاهدًا لذلك.

الرابعة والعشرون: نعته بشدة حب المال.

الخامسة والعشرون: ما فيها من ذكر الحساب والحوض والميزان، ورؤية النار، في الموقف.

السادسة والعشرون: إخلاص الصلاة.

السابعة والعشرون: إخلاص البحر.

الثامنة والعشرون: الأمر بختم العمل بالتسبح والاستغفار.

التاسعة والعشرون: الأمر بالتصريح للكفار بالبراءة من معبوديهم.

الثلاثون: التصريح لهم ببراءتهم من عبادة الله.

الحادية والثلاثون: التصريح لهم بالبراءة من معبوديهم.

الثانية والثلاثون: التصريح لهم بالرضا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا.

الثالثة والثلاثون: بيان العقيدة السلفية.

الرابعة والثلاثون: البراءة من عقيدة المتكلمين.

الخامسة والثلاثون: الأمر بالاستعاذة مما ذكر في سورة الفلق.

السادسة والثلاثون: الأمر بالاستعاذة من الشيطان.

الرابعة والثلاثون: التنبيه على شدة الحاجة إلى ذلك، لكونه أفرد له سورة

وختم بها المصحف.

التاسعة والثلاثون: النهي عن الهمز واللمز.

الأربعون: النهي عن الاغترار بالمال.

الحادية والأربعون: النهي عن دُعِّ اليتيم.

الثانية والأربعون: النهي عن عدم الحضر على طعام المسكين.

الثالثة والأربعون: النهي عن السهو عن الصلاة.

الرابعة والأربعون: النهي عن الرياء.

الخامسة والأربعون: النهي عن البخل.

السادسة والأربعون: النهي عن شأنه ﷺ.

السابعة والأربعون: الاعتبار بأبي لهب، في كون المال والولد وشرف البيت والسيادة يُعْطَاهُ مَنْ هو من أكفر الناس.

الثامنة والأربعون: النهي عن حمل الحطب.

التاسعة والأربعون: النهي عن النميمة.

الخمسون: النهي عن الحسد.

الحادية والخمسون: النهي عن النفث في العقد.

الثانية والخمسون: النهي عن الوسوسة في صدور الناس.

الثالثة والخمسون: الإخبار برؤية الجحيم ثم رؤيتها.

الرابعة والخمسون: السؤال عن النعيم.

الخامسة والخمسون: خسران الإنسان، إلا المستثنى.

وفيها: ذكر الدر ذات اللهب وصلِّيها، وأُطْلِعها على الأفئدة، وكونها مؤصدة.

وفيها: من الأعمال الممدوحة، الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، والحث على الشكر بذكر الرحلتين.

وفيها: أن النعم إذا كانت خاصة فلها شكر خاص، والحث على الاعتبار بأيام الله بقصة الفيل.

وفيها: من القصص قصة الفيل والرحلتين، وقصة أبي لهب، وقصة سحر اليهود.

وفيها: من الوعظ العجب العجيب.

وأما أدلة التوحيد ففي مواضع، وأما أدلة النبوة ففي مواضع.

وقال رحمه الله ورضي عنه: قصة سبب نزول ﴿بَبَّتْ﴾ إلى آخرها، ففيها مسائل:

الأولى: ما فيها من دلائل الإلهية.

الثانية: ما فيها من دلائل النبوة.

الثالثة: ما فيها من فضائل الرسول ﷺ وقوله الحق الذي لا يقدر غيره يقوله.

الرابعة: أن هذا هو العقل والصواب، أعني صعود الجبل والصيح في هذه المسألة<sup>(١)</sup> ولو عدّه أكثر الناس سفهًا، بن جنونًا.

الخامسة: شدة الخطر العظيم فيمن عدل من فعل ذلك.

السادسة: لعل الكلمة الذي لا يلقي لها بالًا يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه، ولعله يعتقدها نصيحة أو صلة رحم.

السابعة: مراقبة العواقب في إعطاء الله نعم الدنيا؛ من المال والولد والبيت الرفيع والرياسة.

الثامنة: تعظيم أمر النميمة.

التاسعة: أن الولد من الكسب، ففيه دليل على «إن أطيب ما أكلتم من

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٨) من حديث بن عباس قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ لَأَفْرَيْتُمْ﴾ خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف، «يا صباحاه!» فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد. فاجتمعوا إليه، فقال. «يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب» فاجتمعوا إليه، فقال «أرأيتمكم لو أخسرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟» قالوا: ما حربنا عليك كذنا. قال. «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» قال أبو هب: تبًا لك! أما جمعنا إلا لهذا! ثم قام، فنزلت هذه السورة ﴿تَنَزَّلُ بِذَىٰ لَهُبٍ﴾.

كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم»<sup>(١)</sup>.

العاشرة: أن الله سبحانه لم ينزل هذا إلا مصلحة للأمة إلى يوم القيامة.  
والله ﷻ أعلم. وصلى الله على محمد وآله وصحبه.

قال ﷻ في تفسير سورة «الإخلاص»:

عن عبد الله بن حبيب قال: خرجنا في ليلة مطر مظلمة، فطلبت النبي ﷺ ليصليَ لنا، فأدركناه، فقال: «قل» فلم أقل شيئاً. قال: قلت: يا رسول الله، ما أقول؟ قال: «قل هو الله أحد والمعوذتين، حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات، تكفيك من كل شيء»<sup>(٢)</sup> قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

والأحد: الذي لا نظير له. والصمد: الذي تصمدُ الخلائق كلها إليه في جميع الحاجات، وهو الكامل في صفات السؤدد. فقوله ﴿أَحَدٌ﴾ نفي للنظير والأمثال، وقوله ﴿الصَّمَدُ﴾ إثبات صفات الكمال، وقوله ﴿لَمْ يَكُنْ لَكَ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ نفي للصاحبة والعيال ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَكُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ نفي للشركاء لذي الجلال.

تفسير سورة الفلق:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ بِرَبِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾

(١) أخرجه الترمذي (١٣٥٨) وابن ماجة (٢٢٩٠) وصححه الشيخ الألباني (صحيح للحامع ١٥٦٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٨٢) والترمذي (٣٥٧٥) وصححه الشيخ الألباني (صحيح لترعيب ٦٤٩).

فمعنى أعود: أعتصم وألتجئ وأتحرز. وتضمنت هذه الكلمة مستعاضاً به ومستعاضاً منه ومستعيذاً به.

فأما المستعاض به، فهو الله وحده رب الفلق، الذي لا يستعاض إلا به، وقد أخبر الله عمن استعاض بخلقه أن استعاضته زادت رَهَقًا، وهو الطغيان، فقال: ﴿وَأَنْتُمْ كَانَكُمْ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْإِنِّ فَرَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.

والفلق هو بياض الصباح إذا انفلق من الليل، وهو من أعظم آيات الله الدالة على وحدانيته.

وأما المستعيذ فهو رسول الله ﷺ وكلُّ مَنْ اتبعه إلى يوم القيمة.

وأما المستعاض منه فهو أربعة أنواع:

الأول: قوله: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ وهذا يعم شرور الأولى والآخرة، وشرور الدين والدنيا.

والثاني: قوله: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ والغاسق: الليل، إذا وقب: أي أظلم ودخل في كل شيء، وهو محل تسلط الأرواح الخبيثة.

الثالث: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ وهذا من شر السحر، فإن النفاثات السواحر اللاتي يَعْقِدْنَ الخيوط وَيَنْفُثْنَ على كل عقدة حتى ينعقد ما يريد من السحر. والنفاثات مؤنث، أي الأرواح والأنفس، لأن تأثير السحر إنما هو من جهة الأنفس الخبيثة.

الرابع: شر الحاسد إذا حسد، وهذا بعم إبليس وذريته؛ لأنهم أعظم الحُساد لبني آدم.

أيضاً وقوله: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ لأن الحاسد إذا أخفى الحسد، ولم يعامل أخاه إلا بما يحبه الله، لم يضره ولم يضر المحسود.



## تفسير سورة الناس:

بسم الله الرحمن الرحيم

وأما قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ فقد تضمنت أيضًا ذكر ثلاثة:

الأولى: الاستعاذة، وقد تقدمت.

الثاني: المستعاذ به.

والثالث: المستعاذ منه.

فأما المستعاذ به؛ فهو الله وحده لا شريك له (رب الناس) الذي خلقهم ويرزقهم، ودبرهم، وأوصل إليهم مصالحهم، ومنع عنهم مضارهم ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ أي المتصرف فيهم، وهم عبيده ومماليكه، المُدَبِّرُ لهم كما يشاء، الذي له القدرة والسلطان عليهم، فليس لهم مَلِكٌ يهربون إليه إذا دهمهم أمر، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ، وَيَصِلُ وَيَقْطَعُ، ويعطي ويمنع ﴿إِلَهُ النَّاسِ﴾ أي معبودهم الذي لا معبود لهم غيره، فلا يُدْعَى ولا يُرْجَى ولا يَخْلُقُ إلَّا هو، فخلقهم وصورهم وأنعم عليهم. وحماهم مما يضرهم بربوبيته، وقهرهم، وأمرهم ونهاهم، وصرفهم كما يشاء بملكه، واستعبدهم بإلهيته الجامعة لصفات الكمال كلها.

وأما المستعاذ منه؛ فهو الوسواس، وهو الخفي الإلقاء في النفس، إمَّا بصوت خفي لا يسمعه إلَّا مَنْ ألقى إليه، وإمَّا بصوت، كما يوسوس الشيطان إلى العبد.

وأما الخناس؛ فهو الذي يَخْنَسُ ويتأخر ويحتجى. وأصل الخنوس الرجوع إلى وراء، وهذان وصفان لموصوف محذوف، وهو الشيطان، وذلك أن العبد إذا غفل جثم على قلبه وبئر فيه الوسوس، التي هي أصل الشر، فإذا ذكر العبد ربه واستعاذ به خنس.

[illegible]



# تَارِيحُ ابْنِ غَنَامٍ

الجزء الثاني

المقدمة

(كتاب الفزوات البيانية وافتوحات الربانية)

تأليف

حسن بن أبي بكر بن قسام

(١١٥٢ - ١٢٢٥ هـ)

الطبعة

بإشراف د. صالح الخراشي

تاریخ ابن غنام

# تاريخ ابن غنام

## الجزء الثاني

المسمى :

( كتاب الغزوات البيانية والفتوحات الربانية )

للعلامة الشيخ

حسين بن أبي بكر بن غنام

( ١١٥٢ - ١٢٢٥ هـ )

- رحمه الله -

اعتنى به

سليمان بن صالح الخراشي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## كتاب الغزوات البيانية والفتوحات الربانية وذكر السبب الذي حمل على ذلك

لم يزل الشيخ رحمه الله، مقيمًا في بلد العُينية على الحالة الموصوفة والطريقة المعروفة، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويعلم الناس دينهم، ويُميت ما قدر عليه من البدع، ويقيم الحدود، ويأمر الوالي بإقامتها.

وفي تلك الأيام جرت قضية استنكرتها قلوب أهل الزيف والجهل والرذى. الذين لم يستنشقوا من عَرَفِ الشريعة ريح الهدى، وهي أن امرأة من أهل العُينة زنت، فأقرت على نفسها بالزنا. وتكرر ذلك منها أربعًا، فأعرض الشيخ عنها، ثم أقرت، وعادت إلى الإقرار مرارًا، فسأل عن عقبتها فأخبرَ بتمامه وصحته، فأمرها أيما رجاء أن ترجع عن الإقرار إلى الإنكار، فلم تزل مستمرة على إقرارها بذلك، فكانت أقرت أربع مرات في أيام متواليات. فأمر الشيخ رحمه الله، الوالي برجمها؛ لكونها قد أحصنت، وبذلك الإقرار قد صرحت وأعلنت، فأمر الشيخ عند ذلك أن تُشَدَّ عليها ثيابها، وتُرَجَمَ بالحجارة على الوجه لمشروع، فخرج الوالي عثمان وجماعة من المسلمين فرجموها حتى ماتت، وكان أول من رجمها عثمان المذكور، فما ماتت أمر أن يعسّوه وأن تكفن ويصلّى عليها.

فلما جرت هذه القضية كثر الفصل ولفال من أهل السدع واصلار، وطارت قلوبهم خوفًا وفزعًا، وانخلعت ألبابهم رهبًا وحزعًا، وداخلهم من حصول تلك القضية السوية، والخصلة المرصية الشئية، والمنفعة المحموددة السئية، ما لم يعايوا قبله مثله حرّ، وهم يعرّج على أسماعهم في سابق الزمن، وذلك لما ألفوه من الضلال ولشرك، وما عاشوا فيه من لفواحش والإفك. كيف وقد



أتهم ما لم يحسبوا! وذمهم ما لم يرتقبوا! وطاف بهم ما لم يسعهم منه أن يهربوا، ومَجَّت الأسماع، وبفرت تبتك الطباع، ما لبس لهم به دفاع، مع كونه الحكم المشروع بالسنة والإجماع!

فبئله العجب! كيف تكرر القلوب ولعقول سنة الرسول، وتناولت السنة العلماء على مَنْ نَصَرَ الشريعة وحميت، ولكن الحب يُعمي ويُصمّ، لم يكن لهم عدول ولا إباء، عن سنة الأسلاف والآباء، وكذلك شأن النفوس، إلى الباطل تميل، ولا يجد وازعاً في نفسه إلى الحق إلا القليل، ونحمد الله المولى الجليل أن جعل الشيخ من هذا القبيل، وبصر السنة كفيل.

ثم إن الشيخ لم أعياهم ردّ ما قاله من تلك المسائل الجلينة، عدلوا إلى ردها بالمكر والحيلة، فشكّوه إلى شيخهم الظالم سليمان آل محمد رئيس بني خالد والحسا، وكان قبّحه الله مغرمًا بالزنا، مجاهرًا به غير مختفٍ بذلك، وحكاياته في ذلك مشهورة، وقصصه فيه غير محصورة، فأغروه به وصاحوا عنده، وقالوا إن هذا يريد أن يخرجكم من ملككم، ويسعى في قطع ما أنتم عليه من الأمور، ويحسم مادة الأمكاس والعشور! فلما خوّفوه بزوال محبوه ونفويت مطلوبه، كتب إلى عثمان المذكور يأمره بقتله، أو إجلائه عن وطنه، وألزم عليه في ذلك غية الإلزام، وشدد عليه في حصول لقصد والمرام. وصرح له في المكتوب بأنك إن لم تفعل المطلوب فما لك عندي مستباح، وليس علينا في ذلك من جناح. فأثّر الدنيا على الدين، وسلك منهج المُتطلّين، وأمر الشيخ بالخروج، ولم يكن إلى قتله سُنْمٌ ولا عُرُوح. وذلك لما اقتضته الحكمة الإلهية والعناية الصمدانية، من إحياء دارس السنة المحمدية والآثار السلفية.

فخرج الشيخ إلى بلد الدرعية والسدة المرعية المحروسة، إن شاء الله، عن كل بلية، فزل على عبد الله بن سويلم تلك الليلة، فأقام عنده ذلك اليوم، ثم

بعده انتقل إلى تلميذه الشيخ أحمد بن سويلم، فلما سمع بدلت الأمير محمد بن سعود، أسكنه الله در الخلود، قام من فورهِ مسرعاً إليه، ومعه إخوته ثنيان ومشاري، فأناه في بيت أحمد بن سويلم، فسلم عليه، وبادره بالقبول والتقبيل، وأبدى له غاية الإكرام والتبجيل، وأخبره أنه بمنعه بما يمنع به نساءه وأولاده من جميع مَنْ عداه وكأده، إلا أنه طيب من الشيخ ﷺ، العهد والميثاق ألا يرحل عن بلده إلى سائر الآفاق، وهذا من عذية الله تعالى بهذا الرجل وتوفيقه، وإهدائه إلى سبيل الخير وطريقه، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

وكان الأمير محمد بن سعود في جاهليته بحسن السيرة معروفًا، وبالوفاء وحسن المعاملة موصوفًا، مشهورًا بذلك، دون مَنْ هنالك، فعند ذلك أعطاه الشيخ عقد المرام ألا يخرج عنه إلى بلاد، وبعد ذلك قام يدعو الناس إلى ما خَلَقُوا لأجله، ويحث على ذلك بِحَيْلِهِ وَرَجَلِهِ، حسب الاستطاعة، لا يفتُر عن ذلك ساعة، وكذلك قام معه وزراؤه وأعوانه وأنصاره، من أهل الدرعية وإخوانه، ومن مشاهيرهم ثنيان بن سعود ومشاري بن سعود وفرحان بن سعود والشيخ أحمد بن سويلم والشيخ عيسى بن قاسم ومحمد الحزيمي وعبد الله بن دغيثر وسليمان الوشيقي وحمد بن حسين وأخوه محمد وغيرهم، فجردوا لندعوة أمضى سَنَان، وأَرْخَوْا في ذلك العذن، من غير تراخ ولا تَوَانٍ، وشَهِروا سيف العزم، وباتر الهمة والحزم، جزاهم الله خيرًا.

وكانت هذه الأمور المذكورة، والأفعال المقررة المسطورة، في حدود سنة سبع وخمسين بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية، فلم يستقر به المرام، في محروسة تلك الديار، وساعده على إعلان تلك الدعوة للملك القهار، مَنْ ذكرناه آنفً من الأخيار، حشرهم الله في زمرة الأبرار، فبقي - رحمة الله عليه وأحزول

ثوابه لديه، قريباً من سنتين، من عبر شك ولا مير، ياصح الناس ويكشف عن الحق حجب الالتباس، ويشيد السنة النبوية أقوى أساس.

وفي خلال هذه المدة أقبل إلى الدرعية للهجرة، من أحسن الله قصده، منهم: عبد الله بن محسن وإخوانه زيد، وسلطان المعامرة، وعبد الله بن غنم وأخوه موسى، وهاجر مع هؤلاء خلق كثير. وبعد أيام قليلة لم يجد عثمان عن القدوم على الشيخ وابن سعود من حيلة، لما رأى من جماعته وشهده، وعلم أن الله رفع للدين مصاعده، فأقبل إليهم وقدم عليهم، وحاول الشيخ في الرجوع إلى بلده، فأحال الأمر على محمد بن سعود، فأبى ولم يسعفه بالمقصود، فرجع على عقبه، ولم يفز بغاية طبه، فأضرر العداوة والشر، وجد في الغدر والمكر.

وفي أثناء تلك المدة أيضاً ناصح الشيخ والأمير محمد بن سعود دهاًم بن دواس، رئيس البلدة المعروفة بالرياض، فجهتوا في ذلك غاية الاجتهاد، فلم يكن له إلى قبول الحق ارتياض، بل أعرض عنه نهاية الإعراض، واعتض الدنيا عن الآخرة، وبس الاعتياض، وحمله على ذلك البغي والحسد، الذين قل أن يخلو منهما جسد، وينجو منهم أحد، وإلا فهو قد أقر بأن هذا هو الدين، وأن ما يدعو إليه هو الحق المبين، وقد صح النقل عنه، والنطق بذلك منه، ولكن حقت عليه كلمة العذاب، وسبق له ذلك في أم الكتب، فأبطن عداوة هذا الدين، وأظهر موالة المبطلين.

وكان هذا الدين قد فُش في بلده ودخل فيه كثير منهم، فإذا رأى من جماعته من يحب هذا الدين ويفشيه، أخذ يصدره ويؤذيه، وإذا رأى عدواً يُقرُّ به ويؤيه، فجعل يتراد في العداوة، ويظهر بقمع الحق لما كتب له من الشفاوة، ويعلى بالقدح الشيعة والفضائح الفظيعة، إذ كاست من أخلاقه القديمة وأفعاله القبيحة الذميمة

وكان أبوه رئيساً في بلد مفوحة متغيب عليها، فقتل أنساً من جماعته من المراربع ظلماً وعدواناً. فقي بعد ذلك زماناً ثم مات، وتولى بعده ابنه محمد، فقام عليه ابن عمه زامل بن فرس، هو وبعض أهل مفوحة فقتلوه، وأجلوا إخوانه، ومن جملتهم دهام وإخوته عبد الله وتركبي ومثلب وفهد، فاستوطنوا الريض، وكان وليها إذ ذاك زيد بن موسى أبا زرعة.

فلما قُتل زيد المذكور، عني غير سبب ماثور، وكان الذي قتله أحد بني عمه، وكان معتوه العقل، صعد عليه، وهو نائم في عليّة له<sup>(١)</sup>، فذبحه بسكين معه، فلما قتله جاءه عبد لزيد يقال له خميس، فقتله ورمه من رأس العلية، فتغلب العبد المذكور على بلد الرياض، وكان أولاد زيد إذ ذاك صغار، وزعم أنه قابض لهم حتى يتأهلوا لذلك، فأقام والياً عليها مدة يسيرة نحو ثلاث سنين، ثم هرب خميس من الرياض خوفاً من أهلها؛ لأمر جرت منه، فأقام في الحائر مدة، ثم أتى مفوحة، فأقام بها مدة، ثم عدا عليه رجل من أهلها، كان قتل أباه زمن رياسته على الريض، فقتله.

ثم بقيت لرياض مدة يسيرة بلا رئيس، وكان دهام بن دواس مدة تغلب خميس على الريض خادماً له، فلما بقيت الرياض بعد هروب خميس بلا رئيس، ترأس فيها دهم بن دواس، بشبهة أن ابن زيد أبا زرعة هو ابن أخت دهام. فزعم أنه يكون نائناً عنه في ذلك حتى يكبر ويعقل، ثم بعد ذلك يتخلى له عن الولاية وينصر، وههات الرجوع عن الأحلاق والطباع، وردع النفوس المجبولة على البغي والأطماع، فجرى مع ابن أخيه على عادته وسنته، وعمله بما رسخ فيه من خوره وسطوته، فأجلاه عن البلاد، وأخلقه ذلك الميعاد.

(١) العلية: سطح البيت

فبعد صدور هذه الفضية، واشتহারه بهذه الفعلة الردية، كرهه أهل الرياض، وسعوا في عرله، إذ لم يكن لهم حيلة إلى قتله، فاجتمعوا عليه، وأحاطوا بقصره وحصلوه فيه، وكانوا عامة وغوغاء. ليس لهم رئيس يرجعون إلى أمره، ولا مصدر يصدرن عن رأيه وفكرته، فأرسل أخاه مشلبًا راکبًا فرسًا إلى محمد بن سعود أمير الدرعية، يطلب منه النجدة والنصرة على تلك الرعية، وينضرع أن يعينه على دفع تلك البلية، فعند ذلك قام له محمد بالنصرة أتم قديم، وأرسل إليه من الجنود فتام، ورئيسهم مشاري بن سعود، فبلغ دهم بمجيئهم المرام والمقصود، فخرج من قصره مع تلك الجنود، وقتلوا من أهل الرياض ثلاثة أو أربعة رجال، ثم فروا بلا توائ ولا إمهال. فبعده قر ملكه فيها. وأقام رئيسها وواليتها، وأقام مشاري عنده شهور، ولم يتوقع ما صدر من الخبيث من الشرور، فاستفحل أمره وتعظم فُجْرُهُ ونُكْرُهُ، وتزايد على الرعية شرُّه، وتوالى عليهم ضرُّه، وتظاهر بأمور، وأعلن بفجور، تحاكي الأفعال النمرودية. والقضايا الفرعونية.

فمنها أنه غضب يومًا على امرأة، فأمر بقمها أن يخط، ويتكرر في شفيتها تردد المخاط.

ومنها أنه غضب يومًا على رجل، ففقط من فخذة قطعة، وقال: لا بد أن يُسَيِّغَهَا مُصْغَةً مُصْغَةً. فحاول الرجل المعذَّب، بعد أن لم يجد له مهرب، أن يأكلها بعد أن تشوى، فلم يسعفه بذلك، فأكلها. نعود باله من النوى

ومنها أنه غضب يومًا على رجل مسجون، ذُكِرَ له أنه قُلٌّ بأسنانه الحديد، فأمر بمقمة من حديد، فضربت به أسنانه، فتساقطت في مرة ملا ترديد.

ومنها أنه غضب على رجل آخر، فأمر بقطع لسانه، فقصعه بعض اعواه.

وله فضاي مثل هذه كثرة، ونظائر محققة شهيرة.

فلم يزل في تلك الحال، وأهل بلده يعانون منه التثكيل والوبال، ثم لما مرَّ الله تعالى بظهور هذا الدين، ولمعت شوراق الحق المبين، وبأدى مادي المولى الكريم ﴿إِنَّكَ لَمَلَكٌ هُدًى مُّسْتَقِيمٌ﴾. دُعِيَ دهام إلى هذا الحق الواضح، والبرهان الساطع اللائح، فأبى ونفر، وأعرض واستكبر، بل صد الخلق عن الدخول فيه وحذر، وأخذ يسعى لأهله بالمكائد، ويطرصد في عداوتهم المراصد، ويستليح<sup>(١)</sup> كل معاند وجاحد.

فأول ما تظاهر في هذا الدين بالعداوة والحراية، وجمع لذلك أعوانه وأحزابه، أخزاه الله تعالى وجعل النار مآبه، أنه خان بأهل منفوحة، وهم إذ ذاك قد دخلوا في هذا الدين، وللأمير محمد بن سعود من المتبعين، وهو إذ ذاك مُظهِرٌ لمحمد بن سعود الصداقة والاتفاق، ولم يتبين منه قبل هذه الخيانة شقاق. وحاصل ما جرى منه، وصفة ما صدر عنه، أنه عدا عليهم صباحاً، ومعه بعض البوادي، فرقان من آل ظفير. وأهل منفوحة على غرة وغفلة، لم يتبين من العداوة لهم شيء، فكمن لهم في أحد دور البلد ليلاً، وأمر البوادي والخيّل أن تُغيّر على بعض الزروع والنخيل، لكي يخرج أهل البلد، فيعقبهم الكمين على البيوت، فما أصبح الصباح، وغارت الخيل ولبادبة على النخيل، وفزع أهل البلد عليهم، ولم يبق في البلاد أحد من المقتلة، خرج الكمين ودهام معهم. فم يخطئوا قصر الإمارة، فصعدوه وقهروا البلد، وأقاموا في ذلك ساعة، فلم

(١) جاء في «اللسان العرب» (مادة: لوح): «أَلَاخَ بثوبه ولَوَّحَ به: أخذ طرفه بيده من مكان بعيد، ثم أداره ولمع به» لَرِيَهُ مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَرَهُ. فعل معها: يستميل، ويعور مع كل معاند وجاحد.

علم بذلك مَنْ خَرَجَ، رَحَعَ عَلَى عَقْبِهِ وَانْرَجَعَ، وَهَمُوا بِالرَّحِيلِ وَالسَّقْلَةِ، بَلَا تَنْبِيْطَ وَلَا مَهْلَةَ، حَتَّى أَنْ لَهُ أَعْقَبَهُمْ بِالنَّصْرِ وَالْفَرَجِ، فَانْشَرَحَ صَدْرُ كُلِّ مُوَحَّدٍ وَابْتَهَجَ.

وَسَبَبَ ذَلِكَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ مَزْرُوعٍ، وَطَائِفَةً مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ، ثَبَتَ اللَّهُ أَقْدَامَهُمْ. وَأَعَانَهُمْ وَأَعْظَمَ إِكْرَامَهُمْ، صَعَدُوا بَعْضُ الْبُيُوتِ الْمَشْرِفَةِ عَلَى قَصْرِ الْإِمَارَةِ، وَبَثُّوا يَرْمُونَهُمْ مِنْهُ حَتَّى قَتَلُوا مِنْهُمْ أَنْاسًا، فَلَمَّا أُعِيَتْهُمْ الْجَيْلَ وَضَاقَتَ عَلَيْهِمُ السَّبِيلُ، وَتَحَقَّقُوا أَنَّهُمْ إِنْ بَقُوا سَاعَةً هَلَكُوا، بَعْدَمَا جَزَمُوا أَنَّهُمْ وَلَوْ هُ وملكوا، رَمَوْا بِأَنْفُسِهِمْ مِنْ وَرَاءِ الْجُدَارِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَلَى مَعِينَةِ الْجَمَامِ اصْطَبْرَ، فَهَرَبُوا وَقَدْ لَبَسُوا ثِيَابَ الْخِزْيِ وَالْخَانَةِ وَالْعَارِ، وَتَرَدَّدُوا بِرَدَاءِ الرَّدَى وَالشُّنْدَرِ، وَصَارَ عَقْبِي مَنْ نَاوَاهُمْ وَأَخْفَاهُمْ عِنْدَهُ فِي تِلْكَ الدَّارِ، شَاعَةَ السَّمْعَةُ وَحُلُولُ الدَّمَارِ، وَقُتِلَ مِنْ أَشْرَارِهِمْ وَرُؤُسَائِهِمْ وَفُجِّرِهِمْ دَرَعُ الصَّمْعَرِ وَخَضِيرِ الصَّمْعَرِ وَزَهْمُولِ الْفُضْيِ، وَغَيْرِهِمْ نَحْوَ الْأَحَدِ عَشَرَ، وَأَصِيبَ دَهْمِ صَوَابِينَ، وَقُتِلَ حَصَانُهُ، وَقُطِعَتْ أَصَابِعُ رِجْلِهِ، وَهَرَبَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ، يَعِضُّ أَنْفُلَهُ مِنْ شَوْمِ فَعْمِهِ، وَيَتَجَرَّعُ حَرَارَةَ الْجَرَحِ وَالصَّفَفِ، وَيَتَحَسَّى مَرَارَةَ الدَّمِ وَالْأَسْفِ.

ثُمَّ لَمَّا تَظَاهَرَ بَعْدَاوَةُ الدِّينِ وَعَدَاوَةُ ابْنِ سَعُودٍ، وَتَمَزَّيَ بِذَلِكَ وَتَمَيَّزَ، وَسَوَّلَ لَهُ الشَّيْطَانُ أَنَّهُ لِلْسِّيَاسَةِ قَدْ أَحْرَزَ، حَارِبَهُ ابْنَ سَعُودٍ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ ذَلِكَ، حَمَدَهُ الشَّيْطَانُ مِنَ النَّيِّهِ وَالطَّغْيَانِ، عَلَى نَذْرِ جَزُورٍ لَتَجَ بَنُ شَمْسَانَ؛ إِنْ قَطَعَ ابْنُ سَعُودٍ عَلَى الْفَوَارَةِ<sup>(١)</sup> عَادِينَ عَمَى بِلَادِي، فَلَمَّا بَلَغَ ابْنُ سَعُودٍ وَإِخْوَانُهُ الْمُسْلِمِينَ ذَلِكَ، تَعَدَّدُوا عَلَى أَنْ أَوَّلَ عَدُوَّةٍ بَعْدُوبِهَا عَلَيْهِ تَكُونُ فِي قَصْرِهِ، فَوَقَّعُوا بَيْنَهُمُ الْوَعْدَ، وَبَذَلُوا لِتَحْقِيقِهِ الْجَهْدَ، فَأَتَوْا إِلَى بَابِ الْقَلْعَةِ الَّتِي فِيهَا قَصْرُهُ، فَشَدُّوا الْبَابَ

(١) عرب مدينة الرياض، أصبح الآن حياً من أحيائها

بالمشيرة، ودخلوا بيت ناصر بن معمر وتركى بن دواس، فعقروا فيهما إبلاً كثيرة، ورمّوه بالرصاص وهو في عليّته، ثم خرجوا سالمين، ولله الحمد.

ثم بعد ذلك بيسير عدا ابن دواس على العماريّة<sup>(١)</sup>، فقتل عبد الله بن علي وعقروا أبله، فلما بلغ ابن سعود ذلك جمع أهل الدرعية وأهل عرفة، فرأى أنه يرصدهم ويكمن لهم في فيضة لبن<sup>(٢)</sup>؛ لأنها طريقهم الذي يرجعون منها، وكان ابن دواس قد كمن فيها، ورصد هو وإخوانه خوفاً على عدوته أن يشد عليهم الطريق، ولم يشعر بذلك ابن سعود وجماعته، حتى توافى الفريقان في الفيضة، واقتتلوا ساعة، ثم انهزم دهام وجماعته، والمسلمون بأثرهم، حتى طلعت عليهم عدوة ابن دواس التي صدرت من العمارية، فلم يشعر المسلمون إلا وهم خلفهم، فانكسروا، ولم يقتل إلا رجلاً أو ثلاثة منهم، أكرمهم الله بالشهادة، ورجع كل منهم وقصد بلاده.

ثم بعدها بمدة يسيرة جرت واقعة مذكورة شهيرة تدعى وقعة الشياب؛ لأنه قد قُتل منها شياب من آل ابن شمس من أهل الرياض، وصفنها أن عثمان بن معمر مع جماعته من أهل العيينة، ومحمد بن سعود مع جماعته من أهل الدرعية، ساروا جميعاً إلى أهل الرياض، فلما قربوا من البلد، أغار بعضهم على نواحيها وكمن بعضهم، فخرج دهام مع أهل الرياض، فالتقوا بمكان يسمى الوشام<sup>(٣)</sup> خارج السور، فلما خرج الكمين عليهم نهزموا، ولم يأل أحد على أحد، بن كل منهم عربد وشرد، وقُتل منهم نحو العشرة من المشهورين، منهم أحمد بن علي بن ناصر وشديان من آل شمس.

(١) بلدة تقع شمال غرب الرياض بمحواي ٢٠ كم.

(٢) عرب الرياض

(٣) روضة معشنة تحتمع فيها السور أصبح الآن من حيء مدسة لرصد



ثم بعدها الوقعة المسماة بوقعة العبيد، وذلك أن ابن سعود خرج في أهل الدرعية، وفراها خاصة، وسر على أهل الرياض، وعبا كمينه في جرف يقل له حرف عبيد، ثم أغر على البلد، فخرج ابن دواس ومن معه من المفدلة خارج السور، فلما التقى الفريقان حرح الكمين، فرجع دهام ومن معه مكسوراً، وقُتل منهم نحو العشرة، غالبهم عبيد، ولهذا سميت بهم الوقعة بلا ترديد، وتسمى أيضاً وقعة غيبة؛ لأن القتلة بقوا فيها أياماً بلا دفن، وكفى بذلك مصيبة، وبقي دهم بعدها متحسراً، وفي أمره متندماً متحيراً، إلا أنه للحرب في تهيؤ واستعداد، وفي التأهب للملاقاة وجمع الأمداد، طلب للمقضاة والأخذ بالثأر ليشفي الفؤاد، فأجمع أمره، وصمم رأيه وفكره، أن يأتي إلى الدرعية ويغير، ويجعل الكمين فيما خفي من الحفير، فجمع الحاضرة والبادية، فأصبحت خيله على البلاد عدية، فخرجوا إليه سراعاً، ولم تألوا المقاتلة غير القتال دفاعاً، بل باعوا النفوس دفاعاً عن الحرم، حتى كشفه الله تعالى فانهزم، غير أن المسلمين لما ظهر عليهم الكمين، ولما غالبهم مذبذبين، وقُتل خمسة من المسلمين، ومن مشاهيرهم فيصل ابن الأمير محمد بن سعود، وأخوه سعود ابن الأمير محمد. وكان الأمير محمد، رحمة الله عليه، حين خرج ورأى أن الغارة لم تُفد، ولم تعرج على نقص أحد، أشار برأي مبارك ميمون، وهو أنهم إلى بلادهم يرجعون، ولا يناسبونهم القتال، خوفاً من الكمين بالرجل، ولكن كان ذلك في الكتاب مسطوراً، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

وبعد هذه شمر الأمير محمد للحرب ساعده، ولم تكن همته عن القتال قاعده، بل كانت إلى دُرَى المعالي صاعده، وفي هذه الواقعة من الفوائد النافعة والمصالح الجامعة، لمحمد والمسلمين، ما لا نحده ولا نَعُدُّه تحريراً ﴿فَعَسَىٰ أَنْ نَكْرَهُوا سَبْعًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ وكانت هذه الوقائع المسطرة، والأفعال المقررة، في حدود السنة التاسعة والخمسين بعد المائة والألف.

ثم دخلت سنة الستين بعد المائة والألف.

وفيها وقعة تسمى وقعة دلقة<sup>(١)</sup> وذلك أر أهل العُينة وأهل حُرْبَمَاء وأهل الدَّرْعِيَّة وقرَاه وأهل مَفُوحَة، خرجوا في ربيع الأول يريدون الرياض ومصدمة أهلها فيها، فانفلت رجل من أهل حريملاء يقال له أبو شيبه من آل داود، فأنذر دهام وجماعته، فلم يأتهم المسلمون إلا وهم مستعدون للقتال، فصباحهم المسلمون في جوف البلد، فلذا سميت وقعة دلقة فاقتتلوا فيها قتالاً شديداً، وحمي القتل عند باب القصر، والتقى دهم بن دواس مع حمد بن محمد بن منيس، وكان فاتكاً، وتقاتلا رَجُلَيْنِ، فضرب حمد بن محمد دهام ضربات بالسيف في جسده ورأسه، حتى أتى موسى بن عيسى الحريص إلى حمد بن محمد من خلفه، فقتله وصار سبياً لسلامة دهام، بعد أن أشرف على الحِمَام، ثم لم يكن جزاؤه له مع فعنه فيه الجميل إلا المعقبة والتنكيل؛ وذلك أن موسى بن عيسى بان له الإسلام وأراد الهجرة، فذكر ذلك لدهام، فأمر بقطع يده ورجله ففُطِعتَا، ونَفَّه إلى الدرعية، فلم يبرح إلا ثلاثة أيام فمات.

وقُتِلَ ذلك اليوم من أهل الرياض محمد بن سودا وسرحان البكاوي وابن مسيفر وثمانية غيرهم. وأما الجراحات فكثير، واستشهد من المسممين حمد بن محمد وحمود بن حسين بن داود وسليمان الزير وحسن الشميري وغيرهم. وكانت تلك الغزوة من غير رضا عثمان بن معمر ومشورته، لما يتهمونه من النفاق وموالاته لأهل الباطل خفية، إلا أن هذه الوقعة زادت رحباً إلى رحسه، وَحَبَّتْ بها دَعْلُ نفسه.

ثم لما رجع كل إلى بلده، وآب إلى مسكنه ومعنده، ومر أهل حريملاء على

(١) موضع في الرياض «معجم مدينة الرياض» (ص ٤٠).

العُيُنة، طلب عثمان بن معمر من أمير حريملاء محمد بن مبارك العهد والميثاق، على الإخاء والمصافة والائتفاق. وذلك لما أبطن من الشر. كما كان شأن ذوي النفاق، مع أن قننه قد مُلئ من الرعب والوجل. وحالطه الحوف والذل والحجل. ثم إن عثمان غشيه الندم. وجلَّله الغسل، حيث لم يكر مع الغزاة قد عزم. وخشي وقوع الإذلال والإهانة، وتصديق ما يُرمَى به من النفاق والخيانة، فأرسل إلى الشيخ وإلى الأمير محمد بن سعود، يستشفع إليه بكل صديق وودود. في قبول العذر والاعتذار، والصفح عن التخلف الذي صدر. فقبلاً منه جليّ عذره، رجاء منهما ألا يعود إلى مكروه. ثم إنه قدم إليهم ووفد عليهم، ومعه وجوه أهل حريملاء والعُينة، وعاهد الشيخ ومحمد بن سعود على الجهاد، والقيام بالنصرة والاستعداد. ولو إلى أية بلاد، فتوهموا فيه الصدق والوفاء. وغب عنهم ما كمن بقلبه واختفى، فعندها رأسوه وكبرّوه، ورفعوه على المسلمين وأمرّوه، وصار ابن سعود له منقاداً، ولأمره صائباً مرتدّاً، ولا يخالفه ولا يشاققه، بل يتبعه ويوافقه. في السفر والبلاد، والغزو والجهاد.

وكان من أعظم ما على عثمان به نُقم، وأوضح ما رُمي به واتُّهم، أنه أرسل إلى إبراهيم بن سليمان أمير ثرمداء، وأمره أن يركب إلى دهام مع جماعته، ويسوسه ويزين له الاتفاق مع عثمان والقُدوم عليه إلى العينة. ويتفوه في المجالس والمحافل، أنه لمنهج الإصلاح مائل. ولتكثر سواد المسلمين فاعل. والله أعلم أنه خائن خاتل، فحسّن له تلك لأفعال، وقدم إبراهيم مع دهام بلا إهمال. فاجتمعوا عند عثمان في ذلك المكان، وكان ذلك من غير مشورة للشيخ وابن سعود ولا غيرهم من الأعيان، فصار سبباً لما ناله من الذل والهوان، فحين علم بذلك أهل البند، ورأوا دهاماً إليه قصد. شق عليهم ذلك وعابوه، ولكنهم من الفتك به هبوه. وذلك أنهم عرفوا مراده وقصده، وتحققوا ما بدل فيه طاقته

وجهده، لما يشاهدونه منه، ويأثرون عنه، من موالاته أهل الضلال والمبطلين . وإبعاده عن حزب الموحدين . فاجتمع أهل البلد جميعاً، وساروا إليه سريعاً . فلما اجتمعوا عنده، ورأى ما أصابهم من الكآبة والشدة، مَوَّه عليهم مصلوبه وقصده، وقال لهم: ليس لي مراد، إلا الإرسال للشيخ من تلك البلاد، حتى يحضر عقد الصلح، ويتم بمجيئه المرام والصلح، ويدخل دهام في دائرة الإسلام . ويحكم عليه العهد غية الأحكام، فاطمأنت نفوس القوم، لأجل قوله ذلك اليوم .

ثم إنه أرسل إلى الشيخ تلك الليلة . وأعملوا في قدومه الحيلة، يحثه على المجيء والحضور . ويستدعيه إلى ما دبره من الأمور . وقد ألقى إليه في رَوْع الشيخ خيانه، وتحقق أنه لم يُوفِ أمانته . بل حُكِيَ أن الشيخ جاءه النذير، يحذره عن الحضور والمسير، وأبدى غية الامتناع . وتعذر عن الموافاة والاجتماع، فما أحبرهم الرسول . بعدم القدوم والمثول . عرف المسلمون من أهل البلد، ما أعمله عثمان من المكر واجتهد، فحاصروا ابن دواس في قصر عثمان . وهموا به إذا خرج بلا استئذان، فلما جنَّ الظلام خرج دهام هارباً، ولبلده طالباً، وللهوان والخزي كسباً، وكان صدور هذا الأمر منه، والتفوه بالمكر عنه . قبل أن يأتي إلى الشيخ والأمير محمد، ويأخذ منهما العهد المجدد، فلما تحقق عثمان من جماعته الغيظ والغضب . خاف من وقوع الشقاق وارتقب، وأخذ يصانعهم ويرضيهم بقوله . ويعتذر إليهم مما صدر عن فعله . لعلمهم إلى ما كانوا من محبته يرجعون ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ .

ثم لما أبطل الله تعالى كيدهم وما أرادوا، وعلموا أنهم تضمخوا بقدر الحياة وما أفادوا، ووصل إبراهيم بن سليمان إلى ثرمداء، تدرع لبس الحرارة وارتدى، ونصل عن الدين واعتدى . وفارق مهج الحق والهدى . ونادر المسلمبن بالحرب وانتد

ثم دخلت السنة الحادية والستون بعد المائة والألف.

وفيها جرب وقعه تسمى وقعة لنية<sup>(١)</sup> وذلك أن عثمان بن معمر لم أُعطي العهد وأمر، كما ذكرنا، سار بمن معه من أهل العيينة وأهل حُرَيْملاء ومحمد بن سعود وأهل الدرعية وقراه وأهل ضرم إلى الريص، فأتوها من شرفيها يمشون في وادي الوتر، حتى نزلوا بين لعود والبنية، فلم يجر ذلك اليوم قتال، إلا أن رجالاً من المسلمين تراموا مع أهل البلد من بعد، فقتل من أهل الرياض سليمان بن حبيب وأندس معه، وأصيب منهم كثير، ودخل قلوبهم من الرعب أمر كبير، واستشهد من لمسلمين عبد الله بن عبيكة وابن عقيل.

فلما كان آخر اليوم سار المسلمون إلى منفوحة، وأقاموا بها ثلاثة أيام، يتداولون الرأي ويبرمونه غاية الإبرام، حتى انتظم الرأي واتفق، واجتمع الفكر واتسق، عى المسير إلى الرياض والمكبرة، ومنازلتهم بالجد والمصبرة، فتعباً المسلمون لقتال، وافترقوا فرقتين للمحال، فعمدت فرقة إلى صباح<sup>(٢)</sup>، فدخلوه وقت الصباح، فاستولوا على ما فيه من الأموال، وذلك بعد شدة القتال، وقتل من مشاهيرهم موسى بن عبد لقادر. والفرقة الأخرى ساروا أهل حريملاء وأهل عرقة، فعمدوا إلى مقرن<sup>(٣)</sup>، فدخلوها حتى وصلوا إلى الظهيرة. وكان جملة أهل البلد قد اجتمعوا فيها عند قصر دهام بن دواس، فقتلوا ميّاً، ثم حرق من ذكر من المسلمين بعدما اجتمع أهل البلد منهزمين، وقتل من المسلمين خمسة وعشرون رجلاً، فخرجوا مسرعين.

(١) موضع في مدينة الرياض، عرب لبطحاء.

(٢) حي من أحياء الريص. كن قديم، هو ومعكل ومنفوحة بلدان مستقلة.

(٣) كانت بلدة عمرة نفع في قلب مدينة لريص. نظر تحديده في «معجم مدنه لريص»

ثم إن دهاماً وقومه لما فرغوا من قتال تلك الطائفة، أسرعوا في المسير إلى صياح. وكان من ولينها من المسلمين، إذ ذاك في البيوت والنخيل متفرقين. فدهمهم بها دهم. وأكرم الله بالشهادة من قرب له الجمام، وجاءهم بمن معه بغتة، وكان افتراقهم ذلك اليوم فلتة، فقتل منهم عشرون، وكان جملة من استشهد ذلك اليوم خمسة وأربعون. ثم لما ظهر المسلمون عن البلاد، اجتمعوا خارجها فهدموا جدران البنية، وهدموا تلك المربعة المبنية، فلهذا سميت بهذا الاسم، ووسمت بهذا الوسم، ثم رجع كل إلى بلاده، ووطن أهله وأولاده.

وفي السنة المسطورة جرت وقعة تسمى وقعة الخريزة، وسُميت بذلك لكون القتال في مكان يقال له الخريزة<sup>(١)</sup> وذلك أن عثمان بن معمر سار بأهل العيينة وحریملاء، وعبد العزيز بن محمد بأهل الدرعية وقراها وأهل ضرماء، فساروا جميعاً، وأميرهم عثمان بن معمر، حتى نزلوا بصياح، فلم يكن لأهله عن الخروج من براح، فخرجوا إليهم سراغاً، وراموا عن البلد دفاعاً، فقتلوا قتلاً شديداً، وقتل من أهل الرياض ستة تقريباً لا تحديداً، وقتل من أهل العيينة نحو عشرة رجال. ومن أهل الدرعية ومنفوحة ستة بلا إشكال، وقطعوا من الثمار المعلقة، أربعة من النخيل محققة، ثم رجعوا إلى بلدانهم، وساروا إلى أوطانهم.

وفي السنة المسطورة أيضاً جرت وقعة عظيمة تسمى وقعة البطين؛ لكون الواقعة والقتال صدر في مكان يقال له البطين<sup>(٢)</sup> وذلك أن عثمان بن معمر سار بأهل العيينة وحریملاء، وعبد العزيز، حرسه الله تعالى، بأهل الدرعية وقراها

(١) قال ابن بشر (١ / ٢١). "موضع في صياح"

(٢) قال ابن بشر (١ / ٢١). "موضع قريب من ترمدا"

وأهل ضرما، والأمير على الجميع عثمان، فساروا إلى ثرمدا، فملوا بها ليلاً حتى انفق الصبح وبدأ، وقد جعل المسلمون لهم خارج البدد كميناً، يكون لهم إذا نشب القتل مُعَدَّة. فلما أصبح الصباح، وانشق النور ولاح، خرج أهل البدد إليهم، وأقبلوا للقتال عليهم، وتشبثت أرجال، وضاق مجال القتل، خرج إذ ذاك عليهم الكمين، فوَلَّوْا الكفار مُدْبِرِينَ، ومنح الله تعالى المسلمين أكتافهم، وقتل أشرفهم، وكنت القتلَى نحو السبعين، على سبيل التحقيق لا التخمين.

ثم بعد ذلك التجأوا إلى قصر يسمى الحريص، فتحصنوا فيه وخلت البلاد من المقتلة، فأشار عبد العزيز وجمعه معه على عثمان بدخول البدد والمعالجة، فأبى عثمان من ذلك وكانت منه مكيدة ومخاتة، فعند ذلك استطال عليه عبد العزيز بالكلام، ووبخه ولأمه غاية الملام. ثم إن عبد العزيز حفظه الله تعالى، نهض مريداً دخول البلاد، من غير توقف ولا استرداد، وأمر بذلك جميع أتباعه، فبدروا لامثال أمره وأتباعه. ولكن كان لذي معه ذلك اليوم نَزْر يسير، ومع عثمان الجرم الغفير. ثم إن عثمان بن معمر بعد تلك المراجعة، وصدور تلك المنازعة، ارتحل راجعاً إلى بلاده، وبقي عبد العزيز متحيراً بين الدخول فيفوز بمراده، أو اللحق بعثمان فيوفقه في إتياده، حتى اختار الله تعالى له ما اختار، فجَدَّ في لحوقه فلم يأتِه إلا آخر النهار.

وأعظم ما صرَّف في رأي عبد العزيز عن دخول البلاد، قلة مَنْ بقي معه من الأجداد، فأشرفه وجوه مَنْ بقي معه، أن يلحق بعثمان فلحق به وتبعه، إلا أن الأحوال متعيرة، والقلوب بينهما منافرة. فلما أضاء صبح الليلة، وأسفر جمع عبد العزيز حرس الله تعالى جميع العيمة، وأحضَرَ وندى بأرحل في قومه وثور، وأخذ سائر، على صرق الخبرة، لم أجمع على المفارقة أمره، وقال: لا

من إحصارها عبد الشيخ ومن سعود، حتى يفسدها على المهج المحمود.  
فقدم بها عليهم، وأحضرها لديهم.

وفي تلك السنة أيضًا غزا المسلمون ثرمدا مرة ثانية. ولم تكن همتهم عن  
الجهاد وانية، والأمير عبيد عثمان، ولم يخرج من أهل البلد لقتال إنسان،  
فدمر المسلمون المزارع، إذ لم يَحُلْ دونها من مدافع، ثم انقلبوا مسرعين، وإلى  
بلدهم راجعين.

وفيهما أيضًا غزا المسلمون ثادق، فلم وصلوا إلى قرب تلك المرافق، وكان  
وصولهم ليلاً، وعبأوا الجيش واستعد الكمين، حتى يشب القتال ويستين.  
فلم خرج المقاتلة. ظهر الكمين بالمعاجلة، فأخذوا عند ذلك منهج الفرار.  
ولم يكن لهم على لقاء المسلمين من قرار، وقُتل منهم عند الانكسر محمد بن  
سلامة وستة معه، وأخذوا جميع الغنم المرتبة.

ثم دخلت السنة الثانية والستون بعد المائة والألف.

وفيهما وقعة تسمى الحبونية<sup>(١)</sup> سميت بذلك لأن القتال بها صار، وهُدم ما بها  
من جدار. وذلك أن المسلمين ساروا إلى الرياض، وأميرهم محمد بن سعود،  
رحمه الله تعالى، فلم يصلوا إليها إلا وضوء الصبح قد انتشر. وخرج أهل البلد  
إذ لم يأتهم ما يوجب الحذر، هذا وجيش المسلمين قد استعلى على تلك  
البروج. فلم يكن لأهل البلد إليها من عروج، وأخذوا يَتَرَامَوْنَ معهم  
بالرصاص. ولكن ليس إلى المقاربة من سبيل ولا مدصر، وقد قُتل منهم رجال  
في ذلك المجال، فُقُتل من المسلمين ثلاثة: عبد الله بن شوذب وعبد الله بن  
حمود وغنام بن دعبج. وقُتل من أهل الرياض سبعة، منهم عبد الله بن سبيت.

(١) حي كبير في حوب الرياض



فلما غربت الشمس ذلك اليوم سر المسلمون إلى منفوحة.

وقد وقعت في هذه السنة وقعت كنبرة، لكنها صغار، فلهذا لم يكن لنا إلى تعدادها اعتبار.

ثم دخلت السنة الثالثة والستون بعد المائة والألف.

وفيها مقتل عثمان بن معمر، جزاء لم أبطنه وأضمر، وذلك أنه لما تزيد شره على أهل التوحيد، وأخذ يعمل في إذلالهم بلا ترديد، وظهر للمسلمين بغضه، وبدا لهم منه هجرانه ورفضه، وتبين لهم موالاته لأهل الباطل، وما ربك عما أراد به بغفل، وتحقيق تقريبه للمنافقين واستتلافه، واشتهر شذوقه للمسلمين واختلافه، وكنت حاله بذلك شهيراً<sup>(١)</sup>، ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولِهِ مَا نَوَىٰ وَنُصْرَهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

فلما تحقق الشيخ عنه ما ذكر، وتيقن ما سطر، وجاءه أهل البلاد كافة، وشكوا إليه خشية الغدر والمخفة، وثبت في تسطير هذه الأنقال، وتحرير ما يُرمي به من سبب الأفعال، وتحقيق ما له أنمي وخشي، على المسمين وقوع ما به رمي، قال لمن قدم إليه ووفد عليه من أهل العينة: أريد منكم البيعة على دين الله ورسوله، وعلى موالة من والاه. ومعاداة من حاربه أو نواه، ولو أنه أميركم عثمان. فأعطوه على ذلك صفقة الإيمان، فتتابعوا على البيعة أفواجا، فملى قب عثمان من ذلك ربعاً وانزعجا، فعند ذلك زاد ما به من الغل

(١) قال ابن بسر (١ / ٢٣) «قيل إنه أده كتاب من محمد بن عفاق نحصره على معاداة المسمين، ونقص بيعتهم، وعدمهم». قلت: انصر مراسلاته مع ابن عفاق عدو الدعوة في بحث «موقف عثمان بن معمر من دعوة لشيخ محمد بن عبد الوهاب»؛ للدكتور عبد العزيز آل عبد المطلب ضمن كتبه «بحوث علمية محكمة» (ص ٢٩٣ - ٣٠٩)

والحقد، وزين له الشيطان أنه لا يفوز بالقصد. حتى يفتك بأهل الإيمان، ويُجْلِي من يُسلم لأقصى لبلدان. فنجلي ما بقلبه من الهم والأحرار. فأرسل لابن سويط<sup>(١)</sup> وإبراهيم بن سليمان<sup>(٢)</sup> بحثهم ويدعوهم إلى المجيء عنده والاجتماع، حتى يُفْذَم عزم عليه بالمسلمين من الإيقاع.

فلما تحقق أهل الإسلام، ما عزم عليه من ذلك المرام، وأبرز المسك، للعلام، لذوي الألباب من الأنام، مصداق قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو نِقَمٍ﴾، فتعطى الأيمان على قتله من أهل التوحيد أناس، أرادوا بذلك القربة وإراحة الناس، وإزاحة ما عزم عليه من إيقاع النقمة والبأس، ومن مشاهيرهم حمد بن راشد وإبراهيم بن زيد، فأبطل الله بهم ذلك المكر والكيد، فلما انقضت صلاة الجمعة، وخرج سَرَعَانُ الناس مُسْرِعَةً، قتلوه في مسجده ومصلاه، وأريح المسلمون من أذاه، فلم يَنْتَهِرْ لذلك سِنَان، بل لم تنتطح لمقتله عززان، بل أُغْمِدَتْ، والله المحمود، قواضب الفتنة، وأُخْمِدَتْ لواهب المحنة، واطمأن المسلمون. ﴿أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾، ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرًا وَمَهُم لَا يَشْعُرُونَ﴾.

فلما قُدِمَ إلى الدرعية بتحقيق هذه القضية، وأسرع بذلك إلى الشيخ والأمير محمد البشير، عَجَّلَ الشيخ إلى الغِيَّةِ المسير، وذلك لما خشيه من الاختلاف، وعدم الموافقة والاتلاف، وقدم عليهم ثالث يوم. فهدأت لمقدمه نفوس القوم، وتحذبوا عنان الراي والمشورة، والقضية في ذلك مشهورة. في الترييس والتأشير، وتفويض الرياسة والتدبير، والكل بما يوافق مراده مشير، إلا أن أهل

(١) رئيس الطفيير

(٢) رئيس ثرمد.

التوحيد والإيمان، لا سيما من باشر أو سعى في قتل عثمان، حولوا، ألا يؤمر من حمولة ابن معمر، ولا يولى عبيهم منهم إنسان، خشية أن ينالهم منه دل وهوان، فلم يوافقهم الشيخ في مرادهم، ولم يعرج على جهادهم، بل أبى وأعرض عن ذلك، وجنح إلى تمهيد المسلك، وإيصاح المحجة للمسلك، فرأس عليهم مشاري بن معمر، وكبره فيهم وأمر. وكان ذلك منتصف رجب، كما حققه من حسب.

وفي هذه السنة أيضًا وقعة تسمى وقعة البطحاء<sup>(١)</sup> وذلك أن المسلمين عدوا على الريض ليلاً، فدخلوا البلاد، واستحرق القتال والجلاد، عند باب المروة، بعدما دخلوها فجوة، فلما ترجع على المسلمين الإفزع، نهذ<sup>(٢)</sup> غلبهم إلى الخروج والإسراع، ودارت الحروب على سبعة، وحصلت لهم من الله إعدة ومنعة، منهم: علي بن عيسى المروعي وسليمان بن موسى البهلي ومحمد بن حسر الهلالي وعلي بن عثمان بن ريس وعبد الله بن سليمان الهلالي وإبراهيم الحر، فاقتتلوا أشد القتال، مع ضيق المعترك والمجل، فقتل تلك الساعة، من مشركة تلك الجماعة، ناصر بن معمر وجنيدل وخمسة آخر، ولم يقتل من المسلمين إلا عبد الله بن سيمان وسيمان بن جابر من الأولين.

وفيها أيضًا جرت وقعة تسمى وقعة الوطية<sup>(٣)</sup>، وكانت من أعظم قضية، وذلك أن المسلمين غزوا، وأميرهم عبد العزيز، حفظه الله، وساروا إلى ثرمدا سريعا، فجاءهم النذير، فاجتمعوا مع أهل وتبشيه ومرات جميعا، فلم يأتهم

(١) حي من أحياء الريض، يقع شرق دخنة.

(٢) يقال: نهذ ليقوم إلى عصم العصور؛ أي نجتمع واستعدو للحرب.

(٣) قال ابن بشر (١ / ٢٤): «موضع معروف هي سد ثرمدا».

الحيش والأحناد إلا وهم في أنهم الاستعداد وتأهب للجلاذ، وقد سرروا خارج البلاد، ولكن المسلمون قد أعدوا لهم كميناً، فلما استمر القتال ميّ، خرج عليهم ذلك الكمين، فانهزموا مدبرين، وقتل منهم خمسة وعشرون، منهم أمير وثيثة علي بن زامل، وسبيهان، وكثير من تلك الشجعان.

ثم دخلت السنة الرابعة والستون بعد المائة والألف.

وفيها عدا المسلمون على الرياض، فاقتتلوا داخل البلد حتى ذهب الصبر والجَلَد، وتلاحقت أهل البلاد على المسلمين، فخرجوا بعد القتال منهزمين، وقد قُتل أناس من المشركين، وقُتل نحو الثمانية من المسلمين، منهم علي بن عيسى الدروع، خذنه القضاء فلم يفر لَمَّا كثرت عليه الجموع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان من الفتاك والشجعان، المشهورين بالعلو على الأقران، والصبر عند الطعان، في ذلك الوقت والزمان.

وفيها ارتد إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن أمير ضرما، ورجع عن الإسلام وخان، وقُتل من أشراف جماعته وقومه، لشؤم فعله ولومه، عمر الفقيه ورشيد العيزار وابن عيسى، لكونهم من أهل الإسلام والدين، وفي الدين من أهل الثروة والتمكين، فأخذ مالهم بعد قتلهم أجمعين، فلم يَقم بعد هذه الفعلة، سوى أربعة شهور في المهلة، حتى قُتل هو وأولاده هبدان وسلطان، وأناس غيرهم من الأعوان، المشهورين بالتعدي والطغيان، وهرب من سلم إلى سائر البلدان.

وصفة ما صدر: أن آل سيف السبيرة صقر وإخوانه وإبراهيم بن سلطان آل ذبح، تعهدوا وتعاضوا الأيمان، على المنك به لم ارتد وخان، فأثوه مع جماعته وهم في المجلس فعود، فقتلوههم وفاروا بالمقصود، ثم بعد هذه القضية المسطورة، ولّى الأمير محمد بن سعود عبد الرحمن إمارة صرما المذكورة.

وفيها عز المسلمون الزلفي، وأميرهم إذ دأب عبد العزيز، فلما وصوا الحسي<sup>(١)</sup> حُمَّ عبد العزيز، حفظه الله، فأمَّر على الغزو عبد الله بن عبد الرحمن، وانقلب راجعاً، فأغار الغزو على الزلفي، وأخذ غنماً كبيرة ثم رجع. ثم دخلت السنة الخامسة والستون بعد المائة والألف.

وفيها جرت خيانة أهل رغبة لأهل سدير والوشم، وذلك أن أهل سدير والوشم وجرو معهم آل ظفير. وحزَّبوا على أهل رغبة، وهم إذ ذاك قد دخلوا في الإسلام، وجرت عليهم الأحكام. فحصرهم في البد أيام، ثم إن بعض أهل البلاد، جنحوا إلى طريق الفساد، وأدخِلوا تلك الأحزاب والأجناد، وحقن الله دماء أهل التوحيد من ذوي الإفساد، إلا أنهم أخذوا جمع أموال البلاد، وصب الله على أهلها سوط عذاب إن ربك لبالمرصد، فأصبحوا بعد حلول هذه المصائب عليهم ولئنقم، يعصُّون أذمل الأسف والندم، على ما حلَّ بهم وذهم. وفيها أيضاً حزَّب أهل الضلال؛ أهل الوشم وأهل سدير وأهل الجنوب وآل ظفير وجلوية ضرما، فساروا إلى ضرما. وحصروا أهلها أياماً، وعزموا أن يطيلوا بها مقاماً، وفي مدة هذه الإقامة، كنَّ شَدَّ للقتال ساعده وشدد سهامه، حتى أنهم في بعض أيام الحصار، نصبوا السلالم على رفيع ذلك الجدار، وأرخصوا في نيل مطلوبهم غالي الأعمار، طلباً للفوز بالمنى والأوطار، وأخذوا بأنفة الثأر، فصعد منهم السور، من قُرب أجله من الحضور، وكنوا نحو للاثن. فلم يرجع منهم أحد، وقُتل غيرهم خلق كثير يريدون على العشرين في العدد، وغالب القنلى من أهل الحرق. ومنهم حمد بن عثمان الهزاني على التحقيق، ثم رجعوا بعد ذلك خاسرين. ومن مرادهم خائنين.

(١) تعد عن الرصاص شمالاً حوسى ٩٠ كم

وفيها غزا المسلمون الخرج، وأميرهم في تلك الغزوة مشاري بن معمر، فأغار على الدلم، وأخذوا جميع سوائه العنم، ثم انقلبوا راجعين، ولبلدانهم طالبين، فقتل أهل الحرج أدرهم، بعد ما تحقق عدتهم وعرف أخبارهم، ف وقعت في عفة الحائر الموافاة، وحصلت المصادمة والملاقاة، فأناخ لهم المسلمون، وكلهم للموت مستوطنون، لأن عددهم على الأربعين لا يزيد، والفرع فوق المائة بالتوكيد، فوطنوا نفوسًا عن الفرار أبيّة، وأخلصوا عند ذلك النية لخالق البرية، وصبروا عند هذه البلية، فجرى القتال من بعيد، والكل يرمي بالبندق ويحيد، فلما رأى المسمون ذلك لا يجدي ولا يفيد، نهّدوا عليهم للاختلاط، وعاجلوهم لقصد الارتباط، فلما عاينوا من المسلمين الموت، عرفوا أن لا منجا سوى الهروب والفوت، فكلّ منهم امتطى راحلته ونار<sup>(١)</sup>، وآثر الهروب والفرار، ولم يكن لهم على ملاقات المسلمين اضطبر، وقُتل المسلمون منهم قريبًا من الثلاثين رجل، منهم شريقان قُرب له الأجل، وأخذوا كثيرًا من الركائب والسلاح، وبدأ للمسلمين في ذلك الطلب الفلاح، وكان خيرة لهم وصلاح، كما قيل:

الصبر كالصبر مُرٌّ في مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسل

وأعلى من ذلك وأرفع، وأعلى منه وأنفع، قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

وفيها غزا المسلمون، وأميرهم عبد العزيز، متع الله به المسلمين، وأغاروا على فريق سو يقال له (دهيمن) فأخذوهم أجمعين، وقُتل من المسلمين اثنان: علي بن عثمان بن ريس وابن جري عمران.

وفيها وقعت من أهل حريملاء لردة والافتاد، واجتمع على ذلك كل إنسان،

من أهل الفساد والعصيان، وتمالأوا على قتل مَنْ عندهم من أهل التوحيد والإيمان، وحملهم على ذلك الشيطان، ورين لهم ما كانوا عنه سابقاً من النغي والطغيان، وزخرف لهم سننهم القديمة في غبر النردن، وأظهر لهم أن شوارق الدين والإيمان تُغفبهم الذلة والهون، فصدر كل منهم إلى الفتنة ظمآن، وإلى لقاء الردة ولهان، فلهذا أوضحوا سبل الفتنة والردة، وأخذوا في تهينة أسبابها المُعدّة، وأقاموا جهراً أعوجهاً، وشادوا طريقها ونهجها، وتبينت لها منهم أسباب، وتوهم لمسلمون منهم قبل وقوعها فتح باب، وعرفوا أنهم على الدين ليسوا بماكثين، بل ناقضين للعهد نكثين.

واستشق الشيخ من أخيه سليمان، أنه لأسباب لردة معوان. وأنه يُلقني إلى الرؤسا، وخاصة من الجلّسا، شُبّه كثيرة، وإنما دعاه إلى هذا الحسد لأخيه والغيرة، فلاجل إلقائه عليهم الشُبّه، وترويجه عليهم بما خفي معني وشُبّه، كتبه لشيخ وناصحه، بل أنه وكفحه. وحذره شؤم العاقبة، وبين له أنه لا يُدرك مطالبه، فلم تُجديه النصائح والإنذار، ولم ينجح إلى منهج الاعتبار ومحجة الاستبصار، والطمأنينة والسكنى في تلك لدير، بن طب واختار ركوب كواهل الأخطار.

وكان سليمان قبل أن يُطير من الردة اللهب، حين عزله الشيخ وعتب، أرسل إلى لشيخ رسالة. حبر فيها كلامه ومقاله، وزخرف فيها أقواله، ولكنها للعهد قد تضمنت، ولعقد الإيمان قد حوت وأحكمت. أنه إن وقع من أهل حريملاء رداد، لا يقسم يوماً في تلك لبلاد، فلم يف بذلك لوعده، بل خلف الميثاق والعهد، وآثر السكنى والمقاء، أيام الفتنة والشقاء، كيف لا وهو أبو غدره. والدعت على تأسيس أمرها. والداعي إلى تأسيس فيحها وكرها.

وصفة ما جرى وصدرو. وظهر منهم وصدرو، أن كدار القرية. الدين بعاقدوا

على لقربة، عرلوا محمد بن عبد الله بن مبارك، وكان هو الأمير، وولي التنفيذ والتدبير، وأصابه منهم إسماعيل، يسمى بن حوشن، ثم أجلوه مع أولاده، عن مسكنه وبلاده، وفر غيره من أهل الدين، إلى بلدان المسلمين، منهم عدوان بن مبارك وابنه مبارك بن عدوان وعثمان بن عبد الله أخو الأمير وعلي بن حسن وناصر بن جديع وغيرهم، فأتوا إلى الشيخ وإلى الأمير محمد بن سعود، فأخبروهم بذلك الأمر المشهود، وشرحوا لهم تلك الأفعال، وبينوا لهم من نهد فيها من الرجال.

ثم بعد ذلك بأيام قلائل، أرسلوا حمولة الأمير وعصبته إليه الرسائل، وزينوا له المجيء والقُدوم، وحسنوا له الإقبال والهجوم، ووعدوه بعد الوصول، المساعدة على المأمول، والقيام معه والتبيين، ورده في منصبه والتمكين. فاستشر الشيخ في ذلك والأمير، ولم يكن أحد منهم بذلك مشير، وقالوا: إن كان لا بد أنت فاعل، فإني لمدد معك جاعل، يكون لك عونٌ على من هو خاتل. فأبى عن المراد، وأقبل بمن معه من العباد، حتى دخل تلك البلاد، وكان دخوله في غسق الدج، فلم يشعر به جماعته إلا حين توغل وفجأ، فم تلاًلاً من الفجر نوره، وولى من الظلام ديجوره، تبين عند أهل البلد مجيئه وحضوره، فم يكن لهم عليه بد من القيم. فأقبل عليه منهم فثام، وجَرَّعُوهُ كَأْسَ الْحَمَمِ، وَكَتَبَ لَهُ الشَّهَادَةَ وَمَنْ مَعَهُ الْمَلِكُ لِعَلَّامٍ، إلا مبارك بن عدوان فهرب، وأعحرهم في الضب، وكان جملة المقتولين ثمانية، كتب مدياهم دانة، ولم يحصل من ردفته النصرة له والنجدة، ولم يُنجحوا مراده وقصده، بل خذلوه وتركوه مع من جاء وحده، ولا ينفع الحذر إذا حُمَّ القدر ﴿وَسَ يُؤَخَّرُ أَلَلَّهُ نَقِصٌ يَدَ حَاءَ أَهْلَهَا﴾ بل ينقطع أمده وأمنها.

ثم بعد ذلك اجتهدوا في أسباب الحرية، وأعدوا للحرب عدته وأأسانه.



وانتفخ منهم السُّحْر<sup>(١)</sup> لم جرى وصدر، ولم يكن لهم عزم ولا همة، بعد إتيانهم تلك المدلهمة، إلا البقاء على لبلاد والسویر، محافة الخراب والتدیر، ثم أرسنوا إلى مشاري بن معمر، أن يدخل معهم في هذا الأمر المقرر، فأعرض عن ذلك وأنكر، ويقوا على ذلك الحصار، ومكابد لأضرار، بقية تلك السنة، لا تُخالط أجفانهم في الدجى سِنَّة، وكانت تلك القضية في شوال، من غير شبهة ولا إشكال.

ثم دخلت السنة السادسة والستون بعد المائة والألف.

عدا أهل حريملاء على أهل الدرعية، فسم يحصلوا من ذلك بالأمنية، ثم عدا المسلمون عليهم مرات، وكرو عليهم في بلادهم كرات.

وفي آخر تلك السنة ارتد أهل منفوحة عن الدين، ونبذوا عهد المسلمين، وطردها محمد بن صالح إمام المصلين، ﴿أَنَّهُ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْغَائِبِينَ﴾، فلم وقعت هذه الواقعة، خرج مهجرًا من نفسه إلى الحق وزعة، وإلي لدن نازعة، وللباطل وأهله رادعة، ولشيطان قامعة، وفي أسباب الخير طامعة، وكان من خرج منهم في يوم سبعين، ثم بعده تلاحق أناس منهم مسترسلين.

ثم دخلت السنة السابعة والستون بعد المائة والألف.

وفيها طلب دهم، من الأمير محمد بن سعود الدخول في الدمام، وأن تجرى عليه وعلى بلاده أحكام الإسلام، ويقوم بتلك لوظائف والأحكام، وقصده بذلك الخديعة وإحكام حلله أشد الأحكام، فطرب عليه خيل وسلاح، فلم ير بذك بأسًا ولا جناح، ورغب في منهاج الإصلاح، فبذل ما طلب، وجج لهداية ورغب، واستدعى من الشيخ رجلاً إمامًا، يطبل عنده مفاًمًا، وينشر في

ببده للرعية أحكامًا. فأرسل إليه عيسى بن قيس. فكان بشرائع الإسلام حاكم. وبتعليم التوحيد قائم. يقوم بذلك ويفعد، ويدل على الله تعالى ويرشد. ويحد حسب طاقته ويجمد. فتنفع به من أهل الرضا جماعة. حصلوا من التوحيد على بضعة، وصدرت لهم فيه قدم، ولهذا هاجروا لما نبذ دهام العهد وخرم، وسيأتي ذكرهم في محله، عند تحرير الارتداد ونقله.

وفيهما جمع الشيخ أهل الإسلام من جميع البلدان، وبين المواعظ في الكلام غاية البيان، لما تظاهر من تظاهر بالردة والخذلان، وأوضح ما يجري على أهل التوحيد. من فجار العبيد ﴿وَمَا نَقُوتُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ وكشف لهم معاني آيات القرآن، وما ذكر في محكم البيان، وكلهم لقوله ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾، ولما ينقيه من الحكم والمواعظ يسمعون. ويتلو عليهم ما به يتفعلون ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُلْزَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ وبشرهم بالنصر والظفر، وحصول المنى وقضاء الوطر، إن برحوا على الدين واستقموا، ولم يبرحوا عنه بل ثبتوا عليه وداموا. وأمرهم بالرجوع إلى الله والتوبة، وصدق النية والأوبة، وتصدقوا بصدقات كثيرة، وسألوا الله النصر وتيسيره.

وفيهما مقتل أولاد سيف السيايرة صقر وإخوانه. لما قاموا مع الباطل وأعاونه، وهمو بقتل الأمير، فأخبره بذلك النذير، فبدر إلى قتلهم، خشية فعلهم. فبدر بذلك وأسرع. وقتلهم بفروره أجمع. ولم يعاود على قتلهم أحد. بل جد في ساعته واجتهد.

وفيهما مقتل سليمان بن حويطر. وسب ذلك أنه قدم بلدة حرملا خفية. وهم إذ ذلك بلد حرب، فكتب معه سليمان بن عبد الوهاب إلى أهل العينة كتاب. وذكر فيه شئها مرخرة، وأقويل معبرة محرقة. وأحدث أوهى من نسخ لعنكوت، وأمره أن يقرأها في المحافل والبيوت. وألقى في فلوب أناس من

أهل العينة، شُهِبَها مُضِرَّةً شينة، عَيَّرَتْ قلوب من لم يتحقق بالإيمان، ولم يعرف مصدر الكلام بالإنقان، فكان يفعل ما به أمر، فلما تحقق حاله واحسر، أمر الشيخ به أن يُقتل فُقتل، وامْتِثِلَ أمره وقُبِلَ.

ثم إن سليمان على حالته لم يزل، يرسل الشُّبُه في الكتب لأهل العينة مع من خرج منهم ودخل، ويبذل في ذلك الجِد في العمل.

ثم إن الشيخ أرسل لأهل لعينة رسالة<sup>(١)</sup>، أبطل فيها ما مَوَّه به سليمان وما قاله، وعَظَّل فيها كلامه وأقواله، نَحَا فيها منهج الصدق، وبيَّن وضح الصواب والحق، فهي تجر زخر تياره وضمي، وسحب هَمَل ودقه وهمي، زين فلكها بنجوم الحق الزواهر، وأشحن فلكها بعلوم التوحيد الزواجر، تلين قلوب السامعين لقولها، ويصغي لها أهل الهدى بمسامع، دلائلها محروسة عن معارض، وآياتها محفوظة عن مدافع، وهذا فصلها بحروفها.

### فصل

قال الشيخ رحمه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

روى مسلم في صحيحه عن عمرو بن عبسة السلمي رحمه الله، قال: كنت، وأنا في الجاهلية، أظن أن الناس عسى ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان. قال: فسمعت برحاً في مكة يخبر أخباراً، فقعدت على راحلتي حتى قدمت عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستحفاً، خُراء عليه قومه، فلطقت حتى

(١) تُسمى: «مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد»، طُبعت مراراً. ومن آخر شروحها: «فتح العلي الحميد في شرح كتاب مفيد المستفيد»؛ لمدح ال فراح

دخبت عليه بمكة، فقلت: وما أنت؟ فقال: «أنا نبي» قلت: وم (نبي)؟ قال: أرسلني الله» فقلت: بأي شيء أرسلك؟ قال: «أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يُشرك به شيء». فقلت: ومن معك على هذا؟ قال: «حر وعبد» قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال. فقلت: إني مُتَّبِعُكَ. فقال: «إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس! ولكن ارجع إلى أهلِكَ، فإذا سمعتَ بي قد ظَهَرْتُ فَأَتِنِي» قال: فذهبت إلى أهلي، وقدم رسول الله ﷺ المدينة، وكنت في أهلي، فجعلت أتخبر الأخبار، وأسأل الناس حين قدم المدينة، حتى قدم نفر من أهل يثرب. من أهل المدينة، فقلت: ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة؟ فقالوا: الدس إليه سرعًا، وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك. فقدمت المدينة، فقلت: يا رسول الله، أنعرفني؟ قال: «أنت الذي لقيتني بمكة» قال: فقلت: يا نبي الله، أخبرني عما علَّمتُ الله وأجهَلُهُ، أخبرني عن الصلاة. قال: «صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس، وحتى ترتفع؛ فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وهي حينئذ يسجد لها الكفار. ثم صل؛ فإن الصلاة مشهودة محضورة، حتى يستقل الظل بالرمح. ثم أقصر عن الصلاة؛ فإنها حينئذ تُسجر جهنم، فإذا أقبل الفجر فإن الصلاة محضورة حتى تصلي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس؛ فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار... وذكر الحديث<sup>(١)</sup>.

قال أبو العباس رحمه الله: فقد نهى النبي ﷺ عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت الغروب؛ لأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان. وأنه حسد يسجد لها الكفار، ومعلوم أن المؤمن لا يقصد السجود إلا لله، وأكثر الناس قد لا يعلمون

أن طلوعها وغروبها بين قرني شيطان، ولا أن لكفار يسجدون لها، ثم إنه ﷺ نهى عن الصلاة في هذا الوقت حسماً لمادة المشبهة، ومن هذا الباب أنه كان إذا صلى إلى عود أو عمود جعله على حاجه الأيمن، ولم يصمد إليه صمداً، ولهذا نهى عن الصلاة إلى ما عُبد من دون الله في لجمدة، ولهذا يُنهى عن لسجود لله بين يدي الرجل؛ لما فيه من مشابهة لسجود لغير الله<sup>(١)</sup>. انتهى كلامه.

فليتأمل المؤمن الناصح لنفسه ما في هذا الحديث من العبر، فإن الله سبحانه يقص علينا أخبار الأنبياء وأتبعهم ليكون للمؤمنين من المستأخرين عبرة، فيقيس حاله بحالهم، وقص قصص الكفار والمنافقين ليُتَجَنَّبَ وَيُجْتَنَّبَ من تبس بها أيضاً.

فمما فيه من الاعتبار أن هذا الأعرابي الجاهل لما ذكر له أن رجلاً بمكة يتكلم بالدين بما يخالف الدرس، لم يصبر حتى ركب رحلته، فقدم عليه وعدم ما عنده، لما في قلبه من محبة الدين والخير، وهذا فُسِّرَ به قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ أي: حرص على تعلم الدين ﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾ أي: أفهمهم. فهذا يدل على أن عدم الفهم في أكثر الناس اليوم عدل منه سبحانه؛ لما يعلم ما في قلوبهم من عدم الحرص على الدين، فتبين أن من أعظم الأسباب الموجبة لكون الإنسان من شر الدواب، هو عدم الحرص على التعليم، وإذا كن هذا الجاهل يطلب هذا الطب، فما عذر من دعى تباع الأنبياء. وبلغه عنهم ما بلغه، وعنده من يُعرض عليه للتعليم، ولا يرفع بذلك رأساً، من حصر أو اسنمع فكما قال تعالى: ﴿مَا يَنْبِئُهُمْ مِنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ تَحَدُّثًا إِلَّا سَتَمِئُوهُ وَهُمْ يَلْعَنُونَ﴾ لَاهِيَةً قُتُوبُهُمْ.

(١) اقتضاء لصرط المستقيم (٤). ١٢٧ - ١٢٨

وفيه من انعبر أيضًا أنه لما قال: «أرسلني الله» قال: بأي شيء أرسلك؟ قال كذا وكذا، فتبين أن ردة الرسالة الإلهية والدعوة النبوية هي توحيد الله، عبادته وحده لا شريك له، وكسر الأوثان، ومعلوم أن كسرها لا يستقيم إلا بشدة العداوة وتجريد السيف، فتأمل زبدة الرسالة.

وفيه أيضًا أنه فهم المراد من التوحيد، وفهم أنه أمر كبير غريب، ولأجل هذا قال: من معث على هذا؟ قال: «حر وعبد» فأجابه أن جميع العلماء والملوك والعمّة مخالفون له، ولم يتبعه على ذلك إلا من ذكر، فهذا أوضح دليل على أن الحق قد يكون أقل القليل، وأن الباطل قد يملأ الأرض.

ولله دُرُّ الفضيل بن عياض رحمته الله، حيث يقول: لا تستوحش من الحق لقلة السالكين، ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين. وأحسن منه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْرَاهِيمُ ظَنَّهُمْ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وفي الصحيحين<sup>(١)</sup> أن بعث النار من كل ألف تسعة وتسعون وتسعمائة، وفي الجنة واحد من كل ألف، ولما بكوا من هذا لم سمعوه قال عليه السلام: «إنها لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية، فيؤخذ العدد من الجاهلية، فإن تمت وإلا أكملت من المنافقين»<sup>(٢)</sup> قال الترمذي: حسن صحيح.

فإذا تأمل الإنسان ما في هذا الحديث من صفة بدء الإسلام، ومن اتبع لرسول عليه السلام إذ ذاك، ثم ضم إليه الحديث الآخر الذي في صحيح مسلم أيضًا أنه قال عليه السلام: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ»<sup>(٣)</sup> نبي له الأمر بهداه الله

(١) أخرجه البخاري (٣١٧٠).

(٢) الجامع للترمذي (٣١٦٨) وضعه الشيخ الأساني (ضعيف الترمذي)

(٣) صحيح مسلم (١٤٥)

وانزاحت عنه الحجة المرعونية: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ والحجة القرشية: ﴿مَتَى تَجْعَلُ يَدَكَ فِي آلِمِنَةِ لَأَجْرَةٍ﴾.

وقال أبو لعاس يَزِيه، تعالى، في (اقتضاء الصراط المستقيم) في الكلام على قوله تعالى ﴿وَمَا أَهْلُ بِهِ لِيُغَيِّرَ اللَّهُ﴾: وأيضا: فإن قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلُ لِيُغَيِّرَ اللَّهُ بِهِ﴾ ظاهره أنه م ذبح لغير الله، سواء لفظ به أو لم يلفظ، حرام، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذُبح للحم وقل فيه: باسم المسيح. ونحوه، كما أن م ذبحناه متقربين به إلى الله كن أزكى مما ذبحناه للحم وقلنا عليه: باسم الله. فإن عبادة الله بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور، والعبادة لغير الله أعظم كفرا من الاستعانة بغير الله، فلو ذبح لغير الله متقربا إليه لحرم، وإن قال فيه: باسم الله. كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة، وإن كان هؤلاء مرتدين، لا تباح ذبائحهم بحال، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان، ومن هذا ما يُفَعِّل بمكة وغيرها من الذبح للجن<sup>(١)</sup>. انتهى كلام لشيخ، وهو الذي ينسب إليه بعض أعداء الدين أنه لا يكفر المعين، فنظر رحمك الله إلى تكفيره من ذبح لغير الله من هذه الأمة، وتصريحه أن المنافق صير مرتداً بذلك، وهذا في المعين؛ إذ لا يُتَصَوَّر أن تحرم إلا ذبيحة معين.

وقال أيضا في الكتاب المذكور: وكانت الطواغيت الكبار التي تشد إليها لرحل ثلاثة: للات ولعزى ومناة، وكل واحد منها لمصر من أمصار العرب، فكانت اللات لأهل الطائف، وذكروا أنه في الأصل رجلا صائحا يَلْتُ السويو للحج. فلم مدت عكفوا على قبره، وأم العزى فكانت لأهل مكة فريتا من عرفات، وكانت شجرة يذبحون عنده ويدعون، وأما مناة فكانت لأهل

المدينة، وكانت حذو قُديد من ناحية الساحل، ومن أراد أن يعلم كيف كانت أحوال لمشركين في عبادة أوثنهم، ويعرف حَقِيقَةَ الشُّرْكِ الَّذِي دَمَهُ اللهُ وَأَنْوَعَهُ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ تَأْوِيلُ الْقُرْآنِ، فَلْيَضُرَّ إِلَى سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَحْوَالِ الْعَرَبِ فِي زَمَانِهِ، وَمَا ذَكَرَهُ الْأَزْرَقِيُّ فِي (أَخْبَارِ مَكَّةَ) وَغَيْرِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ.

وَلَمَّا كَانَ لِأَهْلِ الشُّرْكِ شَجَرَةٌ يَلْقَوْنَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، وَيَسْمُونَهَا (ذَاتَ أَنْوَاطٍ) فَقَالَ بَعْضُ الدُّسَرِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ. فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السَّنَنُ. لَتَرْكِبَنَّ سَنَنٌ مَن كَانَ قَبْلَكُمْ»، فَأَنْكَرَ ﷺ مَجْرَدَ مُشَبِّهَتِهِمْ لِكُفَّارٍ فِي اتِّخَاذِ شَجَرَةٍ يَعْكِفُونَ عَلَيْهَا مَعْلَقِينَ عَلَيْهَا سِلَاحَهُمْ، فَكَيْفَ بِمَا هُوَ أَظْمُ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ الشُّرْكِ بَعِينُهُ؟<sup>(١)</sup>

إِلَى أَنْ قَالَ: فَمِنْ ذَلِكَ عِدَّةُ أَمْكَنَةٍ بِدَمَشَقَ، مِثْلُ مَسْجِدٍ يُقَالُ لَهُ (مَسْجِدُ الْكُفِّ) الَّذِي فِيهِ تَمَثَّلَ كُفٌّ يَقُولُ إِنَّهُ كُفُّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، حَتَّى هَدَمَ اللَّهُ ذَلِكَ الْوُثْنَ، وَهَذِهِ الْأَمْكَنَةُ كَثِيرَةٌ مَوْجُودَةٌ فِي أَكْثَرِ الْبِلَادِ، وَفِي الْحِجَازِ مِنْهَا مَوَاقِعُ<sup>(٢)</sup>.

ثُمَّ ذَكَرَ كَلَامًا فِي نَهْيِهِ ﷺ عَنِ الصَّلَاةِ عِنْدَ الْقُبُورِ، فَقَالَ: الْعِلَّةُ لِمَا يُفْضِي إِلَيْهِ ذَلِكَ مِنَ الشُّرْكِ، وَذَكَرَ ذَلِكَ الشَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُ، وَكَذَلِكَ الْأَثَمَةُ مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَدَ وَمَالِكٍ، كَأَبِي بَكْرٍ الْأَثَرَمِ، عَلِمُوا بِهَذِهِ الْعِلَّةِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۖ وَقَدْ صَبُّوا كَثِيرًا﴾ ذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ مِنَ السَّنَنِ أَنَّ هَذِهِ أَسْمَاءَ قَوْمٍ صَالِحِينَ كَانُوا فِي قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ وَصَوَّرُوا تَمَاثِلَهُمْ، ثُمَّ صَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَعَدَّوْهُمْ، ذَكَرَ هَذَا الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ<sup>(٣)</sup> وَأَهْلُ التَّفْسِيرِ كَابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُ.

(١) إفصاء لصراط المستقيم (١/ ٣١٣ - ٣١٤)

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣١٨)

(٣) صحيح البخاري (٤٩٢٠)



ومما يبين صحة هذه العنة أنه لعن من يتخذ قبور الأنبياء مساجد، ومعلوه ان قبور الأنبياء لا تكون ترابها نحسًا. وقل في نفسه: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد» فَعَلِمَ أن نهيه عن ذلك كنهه عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها. فَسَدَ لذريعة لثلا يُضَلِّي في هذه الساعة، وإن كان المصلي لا يصلي إلا لله ولا يدعو إلا إياه، لثلا يفضي ذلك إلى دعائها والصلاة عندها.

وكلا الأمرين قد وقع، فإن من الناس من يسجد للشمس وغيرها من الكواكب، ويدعوها بأنواع الأدعية، وهذا من أعظم أسباب الشرك الذي ضل به كثير من الأولين والآخرين، حتى شاع ذلك في كثير ممن ينتسب إلى الإسلام، وصنف فيه بعض المشركين كتابًا على مذهب المشركين، مثل أبي معشر البلخي وثب بن قرّة، وأمثالها ممن دخل في الشرك وآمن بلجبت والطاغوت، وهم يتسبون إلى الكتاب، كما قل تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾<sup>(١)</sup>. انتهى كلام الشيخ، رحمه الله تعالى.

فانظر، رحمك الله، إلى هذا الإمام الذي نَسَبَ عنه مَنْ أزاغ قلبه عدم تكفير المعين، كيف ذكر عن مش الفخر الرازي، وهو من أكابر أئمة الشافعية، ومثل أبي معشر، وهو من المشهورين المصنفين، وغيرهم أنهم كفروا وارتدوا عن الإسلام، والفخر هو الذي ذكره الشيخ في الرد على المتكلمين، لم ذكر تصنيفه الذي ذكره هنا، قال: وهذه ردة صريحة باتفاق المسلمين. وسيأتي كلامه إن شاء الله تعالى.

وتأمل ما ذكر أيضًا في اللات والعزى ومناة، وجعله بعيه هذا الذي يفعل

بدمشق وغيرها.

(١). اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٠٤ - ٤٠٥).

وتأمل قوله على حديث دات أنواط هذا، قوله في مجرد مشبهتهم في اتخاذ شجرة: فكيف بما هو أظم من ذلك من الشرك بعينه. فهل لرائع بعد هذا معلق بشيء من كلام هذا الإمام؟

وأنا أذكر لفظه الذي احتجوا به على زيفهم، قال رحمته: أنا من أعظم الناس نهياً عن أن يُنسب معين إلى تكفير أو تبديع أو تفسيق أو معصية، إلا إذا عُسم أنه قد قامت الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً أخرى<sup>(١)</sup>. انتهى كلامه.

وهذا صفة كلامه في المسألة، في كل موضع وقعنا عليه من كلامه، لا يذكر عدم تكفير المعين إلا ويصله بما يزيل الإشكال، أن المراد بالتوقيف عن تكفيره قبل أن تبلغه الحجة، وإذا بلغت حكم عليه بما تقتضيه تلك المسألة من تكفير أو تفسيق أو معصية.

وصرح رحمته، أيضاً أن كلامه أيضاً في غير المسائل الظاهرة، فقال في الرد على المتكلمين، لم ذكر أن بعض أئمتهم توجد منهم الردة عن الإسلام كثيراً، قال: وهذا إذا كان في المقالات الخفية، فقد يدل إن مخطئ ضالٌّ، لم تقم عليه الحجة التي يكفر تاركها، لكن يصير هذا منهم في أمور يعلم الخاصة والعامة من المسمين أن رسول الله ﷺ بُعث بها وكُفر من خلفها، مثل عبادة الله وحده لا شريك له، ونهيه عن عبادة أحد سواه من الملائكة والنبين وغيرهم. فإن هذا أظهر شعائر الإسلام، ومثل إيجاهه للصلوات الخمس وتعظم شأنها، ومثل تحريم الفواحش والزنا والخمر والميسر، ثم تجد كثيراً من رؤوسهم وقعوا فيها، فكانوا مرتدين، وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف في دين المشركين، كما

فعل أبو عبد الله الرازي. يعني الفجر الرازي، قل: وهذه ردة صريحة<sup>(١)</sup>. فتأمل هذا. وتأمل ما فيه من تفصيل الشبهة التي يذكرها أعداء الله، لكن من برد الله فتته فمن تملكت له من الله شيئاً. على أن لذي نعتقد، وبدين لله به، ونرجو أنه يثبتنا عليه، أنه لو يعبط أو أجل منه في هذه المسألة، وهي مسألة المسلم إذا أشرك بعد بلوغ الحجة، أو المسلم الذي يفضل هذا على الموحدين، أو يزعم أنه على حق، أو غير ذلك من الكفر الصريح الظاهر، الذي بينه الله ورسوله، وبينه علماء الأمة، أن نؤمن بما جاءنا عن الله وعن رسوله، ولو غلط من غلط، فكيف والحمد لله ونحن لا نعلم عن واحد من العمداء خلافاً في هذه المسألة. وإنما يلجأ من شقَّ فيها إلى حجة فرعون: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ وحجة قريش: ﴿مَا سَمِعْنَا بهذا فِي آلِهَتِنَا لِأَخَرَةٍ إِلَّا هَذَا إِلَّا اخْنَبْ﴾ ﴿٧﴾ أَمْرٌ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾.

وقال لشيخه رحمه الله، في الرسالة السنية، لما ذكر حديث الخوارج ومروقهم من الدين وأمره ﷺ بقتالهم، قال: فإذا كن عسى عهد النبي ﷺ وخلفائه ممن انتسب إلى الإسلام، من مرق منه، مع عبادته العظيمة، حتى أمر ﷺ بقتالهم، فيعلم أن المنتسب إلى الإسلام أو السنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضاً من لإسلام، وذلك بأسباب، منها الغلو الذي ذمه الله في كتبه، حيث قال: ﴿يَتَأَهَّلَ الْمُكْتَسِبُ لَا تَقْتُلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ الآية. وعلي بن أبي طالب عليه السلام، حرَّق الغالية من الرافضة، فأمر بأحاديدهم أخذت لهم عند باب كندة فقتلهم فيها، واتفق أصحابه على قتلهم، لكن بن عباس كان مذهبه أن يقتلوا بالسيف بلا تحريق. وهو قول أكثر الصحابة، وقصبتهم معروفة عند العلماء.

وكذلك لغو في بعض المشايخ، بل العلو في علي بن أبي طالب، بل العو في المسيح ونحوه، فكل من غلا في نبي أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من الإلهية، مثل أن يقول: سبدي فلان نصرني. أو: أعثنى. أو: ارزقني. أو: اجبرني. وأنا في حسبك. ونحو هذه الأقوال، فكل هذا شرك وضلال، يُستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قُتل، فإن الله إنما أرسَلَ الرسل وأنزل الكتب ليُعيد وحده. لا يجعل معه إله آخر، والذين يدعون مع الله آلهة أخرى، مثل المسيح والملائكة والأصنام، لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق. وتُنزل المطر، وتُنبت النبت، وإنما كانوا يعبدونهم، أو يعبدون قبورهم أو صورهم، ويقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ ويقولون: ﴿هَؤُلَاءِ شَفَعُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ فبعث الله رسوله ينهي أن يدعى أحد من دونه ﴿فَلَا يَمْلِكُ كُفْرُ أَنْصَرٍ عَنْكُمْ وَلَا نُحْيِيَا \* أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ الآية، قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون المسيح وعزيراً والملائكة<sup>(١)</sup>.

ثم ذكر ﷺ، آيات، ثم قال: عبادة الله وحده لا شريك له هي أصل الدين، وهي أصل التوحيد الذي بعث به الرسل وأنزل الكتب، قال تعالى: ﴿وَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ وكان ﷺ يحقق التوحيد ويُعلمه أمته، حتى قال له رجل: ما شاء الله وشئت. قال: «أجعلتني مع الله ندًا! بل: ما شاء الله وحده»<sup>(٢)</sup> ونهى عن الحلف بغير الله، وقال: «من حلف بغير الله فقد أشرك»<sup>(٣)</sup> وقال في مرض موته: «لعن الله اليهود والنصارى:

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٨٣ - ٣٩٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢١١٧) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٤٩٥).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٥١) والترمذي (١٥٣٥) وصححه الشيخ الألباني (صحيح

لجمع ٦٢٠٤).

اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما فعلوا<sup>(١)</sup>. وقال: «اللهم لا تجعل قري وثناً يُعبد»<sup>(٢)</sup> وقال: «لا تتخذوا قبوري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليّ حيثما كنتم؛ فإن صلاتكم تبلغني»<sup>(٣)</sup>.

ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يُشرع بناء المسجد على القبور، ولا الصلاة عندها؛ وذلك لأن من أكبر أسباب عبادة الأوثان كن تعظيم القبور. ولهذا اتفق العلماء على أنه من سلم على النبي ﷺ عند قبره أنه لا يتمسح بحجرته ولا يقبلها؛ لأنه إنما يكون لأركان بيت الله، فلا يُشبه بيت لمخوف ببيت الخلق، كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين، ورأسه الذي لا يقبل الله عملاً إلا به، ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِإِلَهِهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾. ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وقال ﷺ: «من كان آخر كلامه من الدنيا: لا إله إلا الله. دخل الجنة»<sup>(٤)</sup> وإله هو الذي يألوه القلب، عبادة له، واستغاثة له، ورجاء له، وخشية وإجلالاً<sup>(٥)</sup>. انتهى كلامه.

فتأمل أول الكلام وآخره، فيمن دعا نبياً أو ولياً، مثل أن يقول: يا سيدي فلان أغثني. ونحوه، أنه يُستتاب، فمن تاب وإلا قُتل. هل يكون هذا إلا في

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥) ومسلم (٥٢٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٤٦) وصححه الشيخ الألباني (أحكام الجنائز ١/ ٢١٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٠٤٤) وإمام أحمد (٢/ ٣٦٧) وصححه الشيخ الألباني (أحكام الجنائز ١/ ٢١٩).

(٤) أخرجه أبو داود (٣١١٦) وصححه الشيخ الألباني (صحيح نعيم ٦٤٧٩).

(٥) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٩٧ - ٤٠٠).

المعِين؟ والله المستعان. ونأمل كلامه في اللات والعزى ومناه، وما ذكر بعده،  
يتبين لك الأمر إن شاء الله تعالى.

وقال ابن القيم رحمه الله، في شرح (المنازل) في باب النوبة: وأم الشرك فهو  
نوعان: أكبر وأصغر، فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وهو أن يتخذ من  
دون الله نداً يحبه كما يحب الله، بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبتهم  
الله، ويغضبون لمتنقص معبودهم من المشايخ أعظم مما يغضبون إذا انتقص  
أحد رَّبِّ العالمين، وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا جهرة، وترى أحدهم قد اتخذ  
ذَكَرَ معبوده على لسانه، إن قام وإن قعد، وإن عثر وإن استوحش، لا ينكر ذلك،  
ويزعم أنه باب حاجته إلى الله، وشفيعه عنده، وهكذا كان عبَاد الأصنام سواء،  
وهذا القدر هو الذي قم بقلوبهم، وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم.  
فأولئك كانت آلهتهم من الحجر، وغيرهم اتخذوها من البشر، قال الله تعالى  
حَاكِيًا عن أسلاف هؤلاء: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا  
لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ  
هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ﴾ فهذا حال من اتخذ من دونه ولياً يزعم أنه يقربه إلى الله  
تعالى، وما أعزَّ من تَخَلَّص من هذا، بل ما أعزَّ من لا يُعادي من أنكره. والذي  
قم بقيوب هؤلاء المشركين وأسلافهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله، وهذا عين  
الشرك. وقد أنكر الله ذلك عليهم في كتابه وأبطله، وأخبر أن الشفاعة كلها  
له<sup>(١)</sup>. ثم ذكر الشيخ رحمه الله، فصلاً طويلاً في تقرير هذا الشرك الأكبر.

ولكن تأمل قوله: وما أعزَّ من تَخَلَّص من هذا، بل ما أعزَّ من لا يُعادي من  
أنكره. يبين لك بطلان الشبهة التي أدلى بها الملحدون، وزعم أن كلام الشيخ

في هذا الفصل - أعني الفصل الأول - في الشرك الأكبر، على الآية التي في سورة ساء: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَعِمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ وبكلمة عليها، ثم قل: والقرآن مملوء من أمثالها. ولكن أكثر الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته، ويظنه في قوم قد حنوا ولم يعقبوا وارثاً، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن. كما قال عمر بن الخطاب: إنما تُنْقَضُ عُرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية. وهذا لأنه إذا لم يعرف الشرك وما عده القرآن وما ذمه، وقع فيه وأقره، وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية، فتنتقض بذلك عُرى الإسلام. ويعود المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والبدعة سنة، والسنة بدعة. ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد والتوحيد، ويبعد بتجريد متبعة الرسول ومفارقة الأهواء ولبدع، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عياناً، والله المستعان<sup>(١)</sup>.

### فصل

وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء والحلف بغير الله، وقول: هذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، ما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا. وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب حال قائله وقصده.

ثم قل لشيخ بختة، بعدما ذكر الشرك الأكبر والأصغر: ومن أنواع الشرك سحود المريء لشيخ، ومن أنواعه التوبة لشيخ، فإنها شرك عظيم، ومن أنواعه

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٤١)

النذر لغير الله، وابتغاء الرزق من عند غيره، والتوكل على غير الله، والعمل لغير الله، والإنابة والخضوع والذل لغير الله، وإضافة نعمة لغيره، ومن أنواعه طلب الحوائج من عند الموتى، والاستعانة بهم، والتوجه إليهم.

وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً، فضلاً عما استغاث به أو سألته أنه يشفع إلى الله، وهذا من جهله بالشفع والشفوع عنده، فإن الله تعالى لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، والله لم يجعل سؤال غيره سبباً لإذنه، وإنما السبب لإذنه كمال التوحيد، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن، والميت محتج إلى من يدعو له، كما أوصانا النبي ﷺ إذا زرت قبور المسلمين أن ترحم عليهم، ونسأل الله لهم العافية والمغفرة، فعكس المشركون هذا، وزادوهم زيارة العباد، وجعلوا قبورهم أوثاناً تُعْبَدُ، فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه، ومعادة أهل التوحيد ونسبتهم إلى تنقص الأموات، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك، وأوليائه الموحدين بذمتهم ومعاداتهم. وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص؛ إذ ضلوا أنهم راضون منهم بهذا، وأنهم أمروهم به. وهؤلاء أعداء الرسل في كل زمان ومكان، وما أكثر المستجيبين لهم! ولله در خبيد إبراهيم حيث يقول:

﴿وَأَجْسِبْنِي نَبِيًّا أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۖ رَبِّ إِنِّي أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِّنْ أُنثَانٍ﴾ وما نج من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله، وعادى المشركين في الله، وتقرب بمقتهم إلى الله<sup>(١)</sup>. انتهى كلامه.

والمراد من هذا أن بعض الملحدين نسب إلى الشيخ أن هذا شرك أصغر، وشبهته أنه ذكره في الفصل الثاني الذي ذكر في أوله لأصغر، وأنت رحمت الله



نجد الكلام من أوله إلى آخره في الفصل الأول والثاني صريحاً لا يحتمل التأويل، من وجوه كثيرة. أن دعاء الموصى والنذر لهم ليشفعوا له عند الله هو لشرك الأكبر الذي بعث عليه النبي ﷺ فكفر من لم يتب منه، وقتله وعاده، وآخر ما صرح به قوله آنفاً: وما نجد من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من عادي المشركين... إلى آخره.

فتأمل، إن الإسلام لا يصح إلا بمعاودة أهل هذا الشرك، فإن لم يعادهم فهو منهم، وإن لم يفعله، وقد ذكر في (الإقناع) عن الشيخ تقي الدين أن من دعا علي بن أبي طالب فهو كافر، ومن شك في كفره فهو كافر<sup>(١)</sup> فإذا كان هذا حال من شك في كفره، مع عداوته له ومقتته له، فكيف بمن يعتقد أنه مسلم ولا يعاديه؟ فكيف بمن أحبه؟ فكيف بمن جادل عنه وعن طريقته وتعدّر: إن لا نقدر على التجارة وطلب الرزق إلا بذلك. وقد قال تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن نَّبِيعَ أَهْدَىٰ مَعَكَ تُنَخِّطُفَ مِن أَرْضِنَا﴾ فإذا كان هذا قول الله تعالى فيمن تعدّر عن التبیین في العمل ومعاودة المشركين، بالخوف على أهله وعياله، فكيف بمن اعتذر في ذلك بتحصيل التجارة؟ ولكن الأمر كما تقدم عن عمر: إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية. فلماذا لم يفهم به معنى القرآن، وأنه أشرف وأفسد من الذين قالوا: ﴿إِن نَّبِيعَ أَهْدَىٰ مَعَكَ تُنَخِّطُفَ مِن أَرْضِنَا﴾ ومع هذا فكلام هؤلاء الكفار نفوق، وإلا فهم يعتقدون أن أهل التوحيد ضالون مضلّون، وأن عبدة الأوثان أهل الحق والصواب، كما صرح به إمامهم في الرسالة التي أنتم قبل هذه، خطه بيده، ويقول: بني وبينكم أهل هذه الأقطار. وهم خير أمه أخرجت للدرس، وهم كذا وكذا. فإن كان يريد التحاكم إليهم، ويصفهم بأنهم خير أمة

أخرجت للناس، فكيف يصفهم أيضًا بالشرك ومخالضتهم للحاجة؟ وما أحسن قول أصدق القائلين: ﴿وَسَمَاءَ دَاتٍ تُحَدِّثُ﴾ ٦٠ ﴿إِنَّكَ لَبِىْ قَوْلٍ مُّخَلَّفٍ﴾ ٦١ يُؤْتِي عَنْهُ مَنَ أُولَئِكَ ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِآلِ الْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ فرحم الله امرأ نصر لنفسه، وتفكر فيم جاء به محمد ﷺ من عند الله بمعاداة من أشرك بالله، من قريب أو بعيد، وتكفيرهم، وقتالهم حتى يكون الدين كله لله، وعلم بما حكم محمد ﷺ فيمن أشرك بالله، مع ادعائه للإسلام، وما حكم به في ذلك الخلفاء الراشدون، كعلي بن أبي طالب وغيره لما حرقهم بالنار، مع أن غيرهم من أهل الأوثان الذين لم يدخلوا في الإسلام لا يُقْتَلُونَ بالتحريق، والله الموفق.

وقال أبو العباس بن تيمية في الرد على المتكلمين، لم ذكر أحوال بعض أئمتهم قال:

وكل شرك في العالم إنما حدث برأي جنسهم، فهم الأمرون بالشرك، والفاعلون له، ومن لم يأمر منهم بالشرك فلم يَنَ عنه، بل يُقَرُّ هؤلاء وهؤلاء، وإن رجح الموحدين ترجيحاً فقد يرجح غيره المشركين، وقد يعرض عن الأمرين جميعاً، فتدبر هذا فإنه نافع جداً، ولهذا كان رؤوسهم المتقدمون والمتأخرون يأمررون بالشرك، وكذلك الذين كانوا في ملة الإسلام لا ينهاون عن الشرك ويوجبون التوحيد، بل يسوّغون الشرك، أو يأمررون، أو لا يوجبون التوحيد، وقد رأيت من مصنفاتهم في عبادة الملائكة وعبادة الأنفس المفارقة أنفس الأنبياء وغيرهم ما هو أصل الشرك، وهم إذا ادّعوا التوحيد فإنهم توحيدهم بالقول لا بالعبادة والعمل، والتوحيد الذي جاءت به الرسل لا بد فيه من التوحيد بإخلاص الدين لله، وعبادته وحده لا شريك له، وهذا شيء لا يعرفونه، فلو كانوا موحدين بالقول والكلام لكان معهم التوحيد دون العمل، وذلك لا يكفي في السعادة والنجاة، بل لا بد أن يعبد الله ويتخذة إلهًا دون ما

سواه، وهو معنى قوله لا إله إلا الله<sup>(١)</sup>. انتهى كلام الشيخ

فتأمل، رحمك الله، هذا الكلام، فإنه مثلما قال الشيخ فيه نفع جدًا، ومن أكبر ما فيه من الفوائد أنه يبين لك حال من أقرّ بهذا الدين، وشهد أنه الحق، وأن الشرك هو الباطل، وقال بلسانه ما أريد منه، ولكنه لا يدين بذلك، إما بغضًا له أو عدم محبة، كما هو حال المنافقين الذين هم بين أظهرنا، وإما إثارة لدنيا، مثل تجارة وغيرها، فيدخلون في الإسلام ثم يخرجون منه. كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ الآية، وقال: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مِنْ أَكْثَرِ قُلُوبِهِ مُظْمِئٌ بِالْإِيمَانِ﴾ وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ فإذا قل هؤلاء بالسنتهم: نشهد أن هذا دين الله ورسوله، ونشهد أن المخائف له باطل، وأنه الشرك بالله. غرّ هذا الكلام ضعيف البصيرة.

وأعظم من هذا وأظلم أن أهل حريملاء ومن وراءهم يصرّحون بمسبة الدين، وأن الحق ما عليه أكثر الناس، ويستدلون بالكثرة على حسن ما هم عليه من الدين، ويفعلون ويقولون ما هو من أكبر الردة وأفحشه، فإذا قالوا: التوحيد حق والشرك باطل. وأيضًا لم يحدثوا في بلدنا، جادل الممدوح عنهم وقال: إنهم يقولون أن هذا شرك، وأن التوحيد هو الحق، ولا يضرهم عنده ما هم عليه من السب لدين الله، وبغي العوج له، ومدح الشرك، وذبحهم دونه بالمال واليد واللسان، والله المستعان.

وقل أبو العباس أيضًا في الكلام على كفر مانع الزكاة:

والصحابة لا يقولون: هل أنت مقرّ بوجوبها أو جاحد لها؟ هذا لم يُعهَد عن

الخلفاء والصحابة، بل قار الصديق لعمر رضي الله عنه: والله لو منعوني غنائاً كانوا يودونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلهم على منعها فجعل المنيح للقتال محرراً المنع لا حُحد الوجوب، وقد روي أن طوائف كانوا يقرون بالوجوب، لكن بحلولها بها، ومع هذا فسيرة الخلفاء فيهم جميعهم سيره واحدة، وهي قتل مقتلتهم، وسبي ذراريهم، وغنيمة أموالهم، والشهادة على قتلاهم بالنار، وسَمُّوْهُمْ جميعهم (أهل الردة) وكان من أعظم فضائل الصديق عندهم أن ثبته الله عند قتالهم، ولم يتوقف كما توقف غيره، فناظرهم حتى رجعوا إلى قوله. وأما قتال المُقِرِّين بنبوة مسيلمة فهؤلاء لم يقع بينهم نزاع في قتالهم. انتهى.

فتأمل كلامه في تكفير المعين والشهادة عليه إذا قُتل بالنار، وسبي حريمه وأولاده عند منع الزكاة، فهذا الذي ينسبون عنه أعداء الدين عدم تكفير المعين. قال رحمته الله بعد ذلك: وكفر هؤلاء وإدخالهم في أهل الردة قد ثبت باتفاق الصحابة المستند إلى نصوص الكتاب والسنة، انتهى كلامه.

ومن أعظم ما يجلو الإشكال في مسألة التكفير والقتل عند مَنْ قَصْدُهُ اتِّبَاعُ الحق، إجماع الصحابة على قتال مانع الزكاة، وإدخالهم في أهل الردة وسبي ذراريهم، وفعلهم فيهم ما صح عنهم. وهو أول قتال وقع في الإسلام على مَنْ ادَّعى أنه من المسلمين، فهذه أول واقعة وقعت في الإسلام على هذا النوع، أعني المدعين للإسلام. وهي أوضح الوقائع التي وقعت من العلماء عليهم من عصر الصحابة إلى وقتنا هذا.

وقال الإمام أبو الوفاء ابن عقيل: لما صعب التكليف على الجهال والظَّعَم عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وصعوا لأنفسهم، فسهلت عليهم؛ إذ لم يدخلوا بها نحت أمر غيرهم، وهم عندي كفار بهذه الأوضاع، مثل تعظيم القبور، وخطاب الموتى بالحوائج، وكتب الرقع فيها: يا مولاي افعل بي كذا

وكذا. وإلقاء الحرق على الشجر اقتداءً بمن عبد اللات والعزى<sup>(١)</sup>. انتهى كلامه.

والمراد منه قوله: وهم عندي كفار بهذه الأوضاع.

وقد أيضًا: لقد عظم الله الحيوان، لا سيما ابن آدم، حيث أباحه الشرك عند الإكراه، فمن قدم حرمة نفسك على حرمة، حتى أباحك أن تتوقى عن نفسك بذكره بما لا ينبغي له سبحانه، لتحقيق أن تُعظم شعثره وتوقر أوامره وزواجره، وعصم عرضك بزيجاب الحد بقذفك، وعصم مالك بقطع يد مسلم في سرقته، وأسقط شطر الصلاة لأجل مشقتك، وأقام مسح الخف مقام مسح الرجل إشفاقاً عليك في مشقة الخلع واللبس، وأباحك الميتة سدًا لرمقتك وحفظاً لصحتك، وزجرَكَ عن مَضَارِكُ بحدٍّ عاجل ووعيد آجل، وخرق العوايد لأجلك، وأنزل الكتب إليك - أيحسُن بك مع هذا الإكرام أن تُرى عني ما نهك منهمكًا، وعمّا أمركَ مرتكبًا. وعن داعيه معرضًا، ولداعي عدوك فيه مطيعًا، يعظمك، وهو هو، وتهمل أمره وأنت أنت! هو حظ رتب عباده لأجلك، وأهبط إلى الأرض من امتنع من سجدة يسجد لها لك، هل عاديت خادماً طالت خدمته لك لترك صلاة! هل نفيت من دارك للإخلال بفرض أو لارتكاب نهي! فإن لم تعترف اعتراف العبيد للموالي فلا أقل أن تقتضي نفسك إلى الحق سبحانه اقتضاء المكافئ المساوي، وما أوحش من تلاعب الشيطان بالإنسان بينا أن يكون بحضرة الحق وملائكة السماء ساجدًا له تترامى به الأحوال والجهالات، إلى أن يوجد ساجدًا لصورة في حجر، أو لشجرة من الشجر، أو لسمس أو لقمر، أو لصورة ثور خائر، أو لطائر صفر، ما أوحش زوال النعم، وبعبير الأحوال،

(١) نقله عنه الإمام ابن القيم (إعانة المفكر ١ / ١٩٥)

ولحور بعد لكور! لا يليق بهذا الحي الكريم لفاضل على جميع الحيوانات ألا يرى إلا عابداً لله في دار التكليف، أو مجازاً لله في دار الجزاء والتشريف، وما بين ذلك فهو واضح نفسه في غير موضعها. انتهى كلامه.

والمراد أنه جعل أقبح حال وأفحشها من أحوال الإنسان أن يشرك بالله، ومثله بأنواع، منها السجود لشمس أو لقمر، ومنها السجود لصورة، كما يسجد للصور التي في القباب على القبور، والسجود قد يكون بالجهة على الأرض، وقد يكون بالانحناء من غير وصول إلى الأرض، كما فُسر به قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ قال ابن عباس: أي رُكعاً.

وقال ابن القيم في (إغاثة اللهفان) في إنكار تعظيم القبور: وقد آل الأمر بهؤلاء المشركين إلى أن صنّف بعض غلاتهم في ذلك كتباً سماه (مدسك المشهد) ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام، ودخول في عبادة الأصنام<sup>(١)</sup>.

وهذا الذي ذكره ابن القيم رجل من المصنفين يقال له (ابن المفيد) فقد رأيت ما قال فيه بعينه، فكيف ينكر تكفير المعين؟

وأما كلام أتبع سائر الأئمة في التكفير فنذكر منه قليلاً من كثير.

أما كلام الحنفية: فكلامهم في هذا من أغلظ الكلام، حتى أنهم يكفّرون المعصّن إذا قال: مصيحف أو مسيحد. أو صلى صلاة بلا وضوء، وحو ذلك. وقال في (النهر الفائق): واعلم أن الشيخ قاسم قل في شرح (درر البحار) أن النذر الذي يقع من أكثر العوام. بأن يأتي إلى قبر بعض الصححاء قائلاً: يا سيدي

فلان، إن رُدَّ غنبي أو عوفي مريض فلث من الذهب والفضة أو الشمع أو الزيت كذا. باطل إجماعاً لوجوه... إلى أن قال: ومنها ظن أن الميت يتصرف في الأمر، واعتقاد هذا كفر... إلى أن قال: وقد ابتلى الناس ذلك، ولا سيما في مولد الشيخ أحمد البدوي<sup>(١)</sup>. انتهى كلامه.

فانظر إلى تصريحه أن هذا كفر، مع قوله أنه يقع من أكثر العوام، وأن أهل العلم قد ابتلوا به لا قدرة لهم على إزالته.

وقال القرطبي رحمه الله، لما ذكر سمع الفقراء وصورته، قال: هذا حرام بالإجماع، وقد رأيت فتوى شيخ الإسلام جمال الملة أن مستحل هذا كافر. ولما علم أن حرمة بالإجماع لزم أن يكفر مستحله.

فقد رأيت كلام القرطبي وكلام الشيخ الذي نقل عنه في كفر من استحل السماع، مع كونه دون ما نحن فيه بالإجماع بكثير كثير.

وقال أبو العباس رحمه الله: حدثني الحصري عن والده الشيخ الحصري، إمام الحنفية في زمانه، قال: كان فقهاء بخارى يقولون في ابن سينا: كن كافرًا ذكيًا<sup>(٢)</sup>.

فهذا إمام الحنفية في زمنه حكى عن فقهاء بخارى أنهم يقولون في ابن سينا، وهو رجل معين مصنف، يتظاهر بالإسلام.

وأما كلام المالكية في هذا فهو أكثر من أن يُحصَرَ. وقد اشتهر عن فقهاءهم سرعة الفتوى والقضاء بقتل الرجل عند الكلمة التي لا يَفْطِنُ لها أكثر الناس، وقد ذكر القصي عياض في آخر كتاب (الشفا) من ذلك طرفاً. ومم ذكروا أن

(١) حاشية س غاندي (٢/ ٣٣٩ - ٤٤٠).

(٢) مجموع فتاوى (٩/ ٤٠).

مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ عَلَى وَجْهِ التَّعْظِيمِ كَفَرَ.

وكل هذا دون ما نحن فيه بما لا نسبة بينه وبينه.

وأما التسافعية؛ فقال صاحب (الروص) رحمه الله: إن المسلم إذا ذبح للنبي ﷺ كفر. وقال أيضًا: مَنْ شَكَّ فِي كُفْرِ طَائِفَةِ ابْنِ عَرَبِيٍّ فَهُوَ كَافِرٌ.

وكل هذا دون ما نحن فيه.

وقد ابن حجر في (شرح الأربعين) في الكلام على حديث ابن عباس «إذا سألت فاسأل الله» ما معناه: أنه من دع غير الله فهو كافر، وصنّف في هذا النوع كتابًا مستقلًا سماه (الإعلام بقواطع الإسلام) ذكر فيه أنواعًا كثيرة من الأقوال والأعمال، كل واحد منها ذكر أنه يُخرج من الإسلام، ويكفر به المعين، وغالبها لا يساوي عشر معشر ما نحن فيه.

وتمام الكلام في هذا أن يقال: الكلام هذا في مسألتين:

الأولى: أن يقال: هذا الذي يفعله كثير من العوام عند قبور الصالحين، ومع كثير من الأحبار والأموات والجن؛ من التوجه إليهم ودعائهم لكشف الضر، والنذر لهم لأجل ذلك، هل هو الشرك الأكبر الذي فعله قوم نوح ومن بعدهم، إلى أن انتهى الأمر إلى قوم خاتم الرسل قريش وغيرهم، فبعث الله الرسل وأنزل الكتب ينكر عليهم ذلك، ويكفرهم ويأمر بقتالهم حتى يكون الدس كنه لله، أم هذا شرك أصغر وشرك المتقدمين نوع غير هذا؟

فاعلم أن الكلام في هذه المسألة سهرٌ على مَنْ يَسْرُه الله عليه، بسبب أن عماء المشركين اليوم يَقْرُون أنه الشرك الأكبر ولا ينكرونه، إلا ما كان من مسيلمة لكذاب وأصحبه. كابن إسماعيل وابن خالد، مع تناقضهم في ذلك واصطرابهم. فأكثر أحوالهم يَقْرُون أنه الشرك الأكبر، ولكن يعتدرون أن أهله لم



تبعهم الدعوة، وتارة يقولون: لا يكفر إلا من كن في زمن النبي ﷺ. وتارة يقولون إنه شرك أصغر، وينسبونه إلى بن القيم في (المدارج) كما تقدم، وتارة لا يذكرون شيئاً من ذلك. بل يُعظمون أهله وصرقتهم في الحمرة. وأنهم حبر أمة أخرجت للناس، وأنهم العلماء الذي يجب رد الأمر عند التنازع إليهم، وغير ذلك من الأقويل المضطربة.

وجواب هؤلاء كثير في الكتاب ولسنة والإجماع، ومن أصرح ما يُجابون به إقرارهم في غالب الأوقات أن هذا هو الشرك الأكبر، وأيضاً إقرار غيرهم من علماء الأقطار، مع أن أكثرهم قد دخل في الشرك وجاهد أهل التوحيد، لكن لم يجد بُدّاً من الإقرار به لوضوحه.

المسألة الثانية: الإقرار بأن هذا هو لشرك الأكبر، لكن لا يكفر به إلا من أنكر الإسلام جملة وكذب الرسول والقرآن، واتَّبَعَ يهودية أو نصرانية أو غيرهما. وهذا هو الذي يجادل به أهل الشرك والعناد في هذه الأوقات، وإلا المسألة الأولى قلَّ الجدل فيها. ولله الحمد، لِمَا وقع من إقرار علماء الشرك بها. فاعلم أن تصوّر هذه المسألة تصوّراً حسناً يكفي في إبطاله من غير دليل خاص لوجهين:

الأول: أن مقتضى قولهم: إن الشرك بالله وعبدة الأصنام لا تأثير له في التكفير؛ لأن الإنسان إن انتقل عن الملة إلى غيرها، وكذب لرسول والقرآن فهو كافر، وإن لم يعبد الأوثان، كاليهود، فإذا كان من اتَّسب إلى الإسلام لا يكفر إذ أشرك الشرك الأكبر؛ لأنه مسلم يقول: لا إله إلا الله. ويصلي ويفعل كذا وكذا. لم يكن لشرك وعبادة الأوثان تأثير، بل يكون ذلك كالسواد في الخلقة والعمى والعرج، وإن كن صاحبها يدعي الإسلام فهو مسلم، وإن ادعى ملة غيرها فهو كافر، وهذه فضيحة عظيمة كفية في رد هذا القول المظنّع.

الوجه الثاني: أن معصية الرسول ﷺ في الشرك وعبددة الأوثان بعد بلوغ العلم كفرٌ صريحٌ بالفطر والعقول والعلوم الضرورية، فلا يُتصور أنك تقول لرجل، ولو من أجهل الناس وأبلدهم: ما تقول فمن عصى الرسول ولم يُنْقِذْ له في ترك عبادة الأوثان والشرك، مع أنه يدعي أنه مسلم متبع؟ إلا ويبادر في الفطرة الضرورية إلى القول بأن هذا كافر، من غير نظر في الأدلة أو سؤال أحد من العلماء، ولكن لغلبة الجهل، وغرابة العلم، وكثرة من يتكلم بهذه المسألة من الملحدين، اشتبه الأمرُ فيها على بعض العوام من المسلمين الذين يحبون الحق، فلا تحقرها وأُمرِين النظر في الأدلة التفصيلية، لعل الله أن يمنَّ عليك بالإيمان الثابت، ويجعلك أيضًا من الذين يهدون بأمره.

ومن أحسن ما يُزيل الإشكال فيها ويزيد المؤمن يقينًا ما جرى من النبي ﷺ وأصحابه، والعلماء بعدهم، فيمن انتسب إلى الإسلام؛ كما ذكر أنه ﷺ بعث البراء معه الراية إلى رجل تزوج امرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله<sup>(١)</sup> ومثل هَمَّه بغزو بني المصطلق لما قيل إنهم منعوا الزكاة، ومثل قتل الصديق وأصحابه لمناعي الزكاة وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم وتسميتهم مرتدين<sup>(٢)</sup> ومثل إجماع الصحابة في زمن عمر على تكفير قدامة بن مظعون وأصحابه إن لم يتوبوا، لم فهمو من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ حلَّ الخمر لبعض الخواص<sup>(٣)</sup> ومثل إجماع الصحابة ﷺ في رمن عثمان رضي الله عنه على تكفير أهل المسجد الذين ذكروا كلمة في نبوة مسيئة، مع أنهم لم يتبعوه، وإنما احتلف الصحابة في قول نوبتهم، ومثل تحريق علي بن أبي طالب رضي الله عنه،

(١) أخرجه البخاري (٢٣١٤) ومسلم (١٦٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٥) ومسلم (١٩).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٩، ٢٤٠).

أصحابه لما عَنُوا فيه، ومثل إجماع التابعين مع بقية الصحابة على كفر المختار بن أبي عبيد وَمَنْ تَنَعه، مع أنه دُعِيَ أنه يطلب بدم الحسين وأهل البيت. ومثل إجماع التابعين وَمَنْ بعدهم على قتل الجعد بن درهم. وهو مشتهر بالعلم والدين. وهلم جراً مِنْ وقائع لا تُعَدّ ولا تُحصى.

ولم يقل أحد من الأولين والآخرين لأبي بكر لصديق وغيره: كيف تقتل بني حنيفة وهم يقولون: لا إله إلا الله. ويصلون ويذكرون! وكذلك لم يستشكل أحد تكفير قدامة وأصحابه لو لم يتوبوا. وهلم جراً إلى زمن بني عبيد الذين ملكوا المغرب ومصر والشام وغيرها، مع تظاهروهم بالإسلام وصلاة الجمعة والجمعة ونصب القضاة والمفتين، لَمَّا أظهروا من الأقوال والأفعال ما أظهروا. ولم يستشكل أحد من أهل العلم والدين قتالهم ولم يتوقف فيه، وهم في زمن ابن الجوزي، وصنّف ابن الجوزي كتاباً لما أُخِذَتْ مِنْهُمْ سماه (النصر على مصر) ولم يسمع أحد من الأولين والآخرين أن أحداً أنكر شيئاً من ذلك أو استشكله لأجل ادعائهم الملة، أو لأجل قول (لا إله إلا الله) أو لأجل إظهار شيء من أركان الإسلام، إِلَّا ما سمعنا من هؤلاء الملاحين في هذه الأزمان، من إقرارهم أن هذا هو الشرك، ولكن مَنْ فعله، أو حسَّنه، أو كان من أهله، أو ذم التوحيد، أو حارب أهله لأجبه، أو أبغضهم لأجله أنه لا يكفر؛ لأنه يقول (لا إله إلا الله) أو لأنه يؤدي أركان الإسلام الخمسة، ويستدلون بأن النبي ﷺ سمى الإسلام. هذا لم يُسَمَّ قط إِلَّا من هؤلاء الملحدين الجاهلين الظالمين، فإن ظفروا بحرف واحد من أهل العلم، أو أحد منهم، يستدلّون به على قولهم الفحش الأحمق فليذكروه، ولكن الأمر كما قال اليميني<sup>(١)</sup> في قصيدته:

أحاديث لا تُعزَى إلى عالم فلا تساوي فلساً إن رجعت إلى النقد

(١) الصنعى. في قصيدته في مدح النسيخ - كما سبق - .

ولاحتم لكلام في هذا النوع بما ذكره البخاري في صحيحه حيث قال: (باب تعبير الزمان حتى تعبد الأوثان) ثم ذكر بإساده قوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس حول ذي الخلصة»<sup>(١)</sup> وذو الخلصة صم لدوس يعبدونه. فقال ﷺ لجبرير بن عبد الله: «ألا تريحني من ذي الخلصة؟» فركب إليه بمن معه فأحرقه وهدمه، ثم أتى النبي ﷺ قال: فبرك على خيل أحمرس ورجلها خمسا<sup>(٢)</sup>. وعدة البخاري رحمه الله، إذا لم يكن الحديث على شرطه ذكره في الترجمة، ثم أتى بما يدل على معناه، مما هو على شرطه، ولفظ الترجمة، وهو قوله تغير الزمان حتى تعبد الأوثان لفظ حديث أخرجه غيره من الأئمة، والله أعلم.

ولنذكر من كلام الله ورسوله وكلام أئمة العلم جملا في جهاد القلب واللسان ومعداة أعداء الله وموالات أوليائه، وأن الدين لا يصح ولا يدخل الإنسان فيه إلا بذلك فنقول:

باب وجوب عدوة أعداء الله من الكفار والمرتدين والمنافقين:

وقوله الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيُسَهِّزُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ أَنْتُمْ مِنْهُمْ﴾ وقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُمْ مِنْهُمْ﴾ وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَجِدُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي قوله: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِرُوا بِاللهِ وَحَدُّهُ﴾ الآية، وقوله: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ باللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَدُّونَ مَنْ

(١) صحيح البخاري (٧١١٦)

(٢) صحيح البخاري (٣٠٢٠)

قال الإمام الحافظ محمد بن وضاح: أخبرنا غير واحد أن أسد بن موسى كتب إلى أسد بن الفرات: علم يا أخي أن ما حملني على الكتاب إليك ما ذكر أهل بلادك من صالح ما أعطك الله من إنصافك الناس وحسن حالك مما أظهرت من السُّنة. وعيبك لأهل البدعة، وكثرة ذكرك لهم وطعنك عليهم، فقمعهم الله بك، وشد بك ظهر أهل السُّنة، وقواك عليهم يظهرون عينهم والطعن عليهم، فأذلهم الله بك، وصاروا بيدعتهم مستترين، فأبشروا، أي أخي، بثواب ذلك، واعتد به من أفضل حسناتك من الصلاة والصيام والحج والجهاد. وأين تقع هذه الأعمال من إقامة كتاب الله وإحياء سُنَّة رسوله! وقد قال رسول الله ﷺ: «من أحيا شيئاً من سُنَّتي كنت أنا وهو كهاتين في الجنة وضم بين أصبعيه»<sup>(١)</sup> وقال: «أیما داع دعا إلى هدى فاتبع عليه، كان له مثل أجر من تبعه إلى يوم القيامة»<sup>(٢)</sup> فمتى يُدرك هذا أجر شيء من عمله، وذكر أيضاً: «إن لله عند كل بدعة كيد بها أهل الإسلام ولياً لله يذب عنها وينطق بعلامتها»<sup>(٣)</sup> فاغتنموا أخي هذا الفضل، وكن من أهلها، فإن النبي ﷺ قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن وأوصاه: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من كذا وكذا» وعظم القول فيه، فاغتنم ذلك وادع إلى السُّنة حتى يكون لك بذلك أُلُفَّة وجماعة يقومون مقدمك إن حدث بك حدث، فيكونون أمة بعدك، فيكون لك ثواب ذلك إلى يوم القيامة. كم جاء في الأثر. فاعمل على بصيرة ونية وحسبة، فيرد الله بك

(١) أخرج لترمذي (٢٦٧٨) من حديث أنس مرفوعاً: «من أحيا سُنَّتي فقد أحياني. ومن أحياني كان معي في الجنة» وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الجامع ٦٣٨٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٠٥) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٢٧١٢).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠ / ٤٠٠) وقال الشيخ الألباني: موصوع (ضعيف

المتدع المفتون الرائع الحائر، فتكون خفياً من نيك ﷺ فإنك لست تلقى الله بعمل شهية. وإياك أن يكون لك من أهل البدع أح أو جبر أو صاحب، فإنه جاء الأثر: «من جالس صاحب بدعة نُزعت منه العصمة، ووُكل إلى نفسه، ومن مشى إلى صاحب بدعة مشى في هدم الإسلام»<sup>(١)</sup> وجاء: «ما من إله يُعبد من دون الله أبغض إلى الله من صاحب هوى» وقد وقعت اللعنة من رسول الله ﷺ على أهل البدع، وأن الله لا يقبل منهم صرفاً ولا عدلاً، ولا فريضة ولا تطوعاً، وكلما ازدادوا اجتهاداً وصوماً وصلاة ازدادوا من الله بعداً، فارقوا مجالسهم وأذلهم وأبعدهم كما أبعدهم الله وأذلهم رسول الله ﷺ وأثمة الهدى من بعده<sup>(٢)</sup>. انتهى.

واعلم، رحمك الله، أن كلامه وما يأتي من كلام أمثاله من السلف، في معادة أهل البدع والضلال ضلالة لا تخرج من الملة، لكنهم شددوا في ذلك وحذروا منه لأمرين:

الأول: غنط البدعة في الدين في نفسها، فهي عندهم أجل من الكبائر، يعاملون أهلها كما يعاملون به أهل الكبائر، كما تجد قلوب الناس اليوم أن الروافض عندهم، ولو كن عالماً أو عابداً، أبغض وأشد من السني المجاهر بالكبائر.

الأمر الثاني: أن البدع تجر إلى الردة لصريحة، كما وجد من كثير من أهل البدع.

(١) أخرج الطبراني في المعجم الكبير (٢٠ / ٩٦) وأبو يعيم في العلوية (٦ / ٩٧) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مشى إلى صاحب بدعة ليوقره فقد أعان على هدم الإسلام»

(٢) نبدع ونحوه (١ / ٨)

فمثال البدعة التي شددوا فيها مثل تشديد النبي ﷺ على مَنْ عبد الله عند قبر رجل صالح، مما وقع من الشرك الصريح الذي يُصَيِّرُ المسلم مرتدًا، فمن فهم هذا فهم الفرق بين البدع وما نحن فيه من الكلام في الردة ومجاهدة أهلها، أو لفق الأكبر ومجاهدة أهله، وهذا هو الذي نزلت فيه الآيات المحكمات، مثل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ الآية، وقوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ﴾.

وقال ابن وضاح في كتاب (البدع والحوادث) بعد حديث ذكره: إنه سيقع في هذه الأمة فتنه الكفر وفتنة الضلالة، لا يحل فيها السبي والأموال، وهذا الذي نحن فيه فتنه ضلالة لا يحل فيها السبي ولا الأموال<sup>(١)</sup>. انتهى كلامه.

وقال رحمه الله أيضًا: أخبرنا رجل عن ابن المبارك قل: قال ابن مسعود: إن لله عند كل بدعة كيد بها أهل الإسلام وليًا من أوليائه، يدبُّ عنها وينطق بعلامتها، فاغتنموا حضور تلك المواطن وتوكلوا على الله. قال ابن المبارك: وكفى بالله وكيلاً<sup>(٢)</sup>.

ثم ذكر بإسناده عن بعض السلف قل: لأن أرد رجلاً عن رأي سيئ أحب إلي من اعتكاف شهر<sup>(٣)</sup>.

أخبرنا أسد عن أبي إسحاق الحذاء عن الأوزعي قل: كان بعض أهل لعم يقول: لا يقل الله من ذي بدعة صلاة ولا صيامًا ولا صدقة ولا جهادًا ولا حجة

(١) البدع والحوادث (١ / ٢٧٢).

(٢) أخرجه أبو نعم في الحبة (١٠ / ٤٠٠) وقال الشح لالباني: موضوع (ضعيف الجامع ١٩٥١).

(٣) البدع والحوادث (١ / ٦) مر قول عبد الكريم بن أبي أمية

ولا صرفاً ولا عدلاً، وكنت أسلافكم شدد عليهم السهم وتسمت منهم قلوبهم ويحذرون الناس بدعتهم. قل: ولو كانوا مستترين بيدعتهم دون الناس ما كان لأحد أن يهتك عنهم ستر، ولا يظهر منهم عورة، إله أولى بالأخذ بها أو بالتوبة عليها، وأما إذا جهروا فنشر العلم حياة، والبلاغ عن رسول الله ﷺ رحمة يعتصم به على مصر بلحاذه<sup>(١)</sup>.

ثم روى بإسناده قال: جاء رجل إلى حذيفة، وأبو موسى الأشعري قاعد، فقال: أرايت رجلاً قاعداً حتى ضرب بسيفه غضباً لله حتى قُتل، أفي الجنة هو أم في النار؟ قال أبو موسى: في الجنة. فقال حذيفة: استفهم الرجل وأفهمه ما تقول. حتى فعل ذلك ثلاث مرات، فيما كان في الثالثة قال: والله لا نستفهمه. فدعا به حذيفة فقال: رويدك، إن صاحبك لو ضرب بسيفه حتى ينقطع، فأصاب الحق حتى يُقتل عليه، فهو في الجنة، وإن لم يصب الحق ولم يوفقه الله فهو في النار. ثم قال: والذي نفسي بيده، ليدخلن النار مثل الذي سئلت عنه أكثر من كذا وكذا<sup>(٢)</sup>.

ثم ذكر بإسناده عن الحسن قال: لا تجالس صاحب بدعة؛ فإنه يُمرض قلبك<sup>(٣)</sup>.

ثم ذكر بإسناده عن سفين الثوري قال: من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث إما أن يكون فتنة لغيره، وإما أن يقع في قلبه شيء فيزول به فيدخله النار، وإما أن يقول: والله ما دلي ما تكلموه، وبني واثق بنفسي. فمن أمر الله

(١) البدع وسحو دت (٦ / ١)

(٢) البدع وسحو دت (٨٧ / ١)

(٣) البدع وسحو دت (١٢٤ / ١)



على دينه طرفة عين سلبه إليه<sup>(١)</sup>.

ثم ذكر ببساده عن بعض السلف قال: من أتى صاحب بدعة ليوفره فقد أعان على هدم الإسلام<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا أسد قال: أخبرنا حماد بن زيد عن أيوب قال: قال أبو قلابة: لا تجلسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم؛ فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما تعرفون. قال أيوب، وكان والله من الفقهاء ذوي الألباب<sup>(٣)</sup>.

أخبرنا زيد عن محمد بن طلحة قال: قال إبراهيم: لا تجلسوا أصحاب البدع ولا تكلموهم؛ فإني أخاف عليكم أن ترتد قلوبكم<sup>(٤)</sup>.

أخبرنا أسد بإسناد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»<sup>(٥)</sup>.

أخبرنا أسد أخبرنا مؤمل بن إسماعيل عن حماد بن زيد عن أيوب قال: دخل على محمد بن سيرين يوماً رجلاً، فقال: يا أبا بكر، أقرأ عبك آية من كتاب الله، لا أزيد على أن أقرأها ثم أخرج. فوضع أصبعه في أذنيه ثم قال: أخرج

(١) البدع والحوادث (١/ ١٢٥).

(٢) اسدع والحوادث (١/ ١٢٦) وأخرج الطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ٩٦) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٩٧) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مشى إلى صاحب بدعة ليوفره فقد أعان على هدم الإسلام».

(٣) البدع والحوادث (١/ ١٣٠).

(٤) اسدع والحوادث (١/ ١٣٣).

(٥) اسدع والحوادث (١/ ١٣٥) وأخرجه أبو داود (٤٨٣٣) والترمذي (٢٣٧٨) وحسنه الشيخ لألسي (صحيح الجامع ٣٥٤٥).

عبيد إن كنت مسلماً لما خَرَجْتَ من بيتي. قال: فقال: يا أب بكر، إني لا أزيد على أن أقرأ ثم أخرج! قال: فقال بإزاره يشده عليه وبهيئ للقيام، فأقلنا على امرجل فقلنا: قد خَرَجَ عليك إلا خَرَجْتَ. أفيَجُلُّ لك أن تُخَرِّجَ رجلاً من بيته! قال: فخرج، فقلنا: يا أب بكر، ما عليك لو قرأ آية ثم خرج! قال: إني والله لو ظننت أن قلبي يثبُت على ما هو عليه ما باليتُ أن يقرأ، ولكنني خفت أن يلقي في قلبي شيئاً أجهد أن أخرجه من قلبي فلا أستطيع<sup>(١)</sup>.

أخبرنا أسد قال: أخبرني ضمرة عن ابن شوذب قال: سمعت عبد الله بن القاسم وهو يقول: ما كن عبداً على هوئى فتركه إلا إلى ما هو أشر منه. قال: فذكرت هذا لبعض أصحابنا فقال: تصديقه في حديث عن النبي ﷺ: «يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، ثم لا يرجعون حتى يرجع السهم إلى قوقعه»<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا أسد قال: أخبرني موسى بن إسماعيل عن حماد بن زيد عن أيوب قال: كان رجل يرى رأياً فرجع عنه، فأتيت محمداً فرحاً بذلك أخبره، فقال: أشعرت أن فلاناً ترك رأيه الذي كان يرى! فقال: انظروا إلى ماذا يتحول! إن آخر الحديث أشد عليهم من أوله «يمرقون من الإسلام لا يعودون إليه»<sup>(٣)</sup>.

ثم روى بإسناده عن حذيفة أنه أخذ حصاة بيضاء، فوضعها في كفه ثم قال: إن الدين قد استضاء استضاءة هذه، ثم أخذ كفاً من تراب فجعل بذره على الحصاة حتى وارها. ثم قال: والذي نفسي بيده لتجيئن أقوام يدفعون هذا لسين

(١) البدع والحوادث (١/ ١٤٨).

(٢) الدع والحوادث (١/ ١٥٣) والحديث أخرجه البخاري (٧٥٦٢).

(٣) الدع والحوادث (١/ ١٥٤).

كما دَفَنْتُ هذه الحِصاة<sup>(١)</sup>.

أخبرنا محمد بن سعيد بإسناده عن أبي الدرداء قال: لو حرج رسول الله ﷺ إليكم ليوم ما عرف شيئاً مما كان عليه وهو وأصحابه إلا الصلاة. قال الأوزاعي: فكيف كان اليوم! قال عيسى، يعني الراوي عن الأوزاعي، فكيف لو أدرك الأوزاعي هذا الزمان!<sup>(٢)</sup>

أخبرنا محمد بن سيمان بإسناده عن علي قال: تعلموا العجم تُعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله؛ فإنه سيأتي بعدكم زمان ينكر الحق فيه تسعة أعشارهم<sup>(٣)</sup>.

أخبرنا يحيى بن يحيى بإسناده عن أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه قال: ما أعرف شيئاً مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة<sup>(٤)</sup>.

حدثني إبراهيم بن محمد بإسناده عن أنس قال: ما أعرف منكم شيئاً كنت أعهد على عهد رسول الله ﷺ ليس قولكم: لا إله إلا الله<sup>(٥)</sup>.

أخبرنا أسد بإسناده عن الحسن قال: لو أن رجلاً أدرك السلف الأول ثم بُعث اليوم ما عرف من الإسلام شيئاً. قال، ووضع يده على خده: إلا هذه الصلاة. ثم قال: أم والله لمن عايش في هذه النكراء<sup>(٦)</sup>، ولم يدرك هذا السلف لصالح، فرأى مبتدعاً يدعو إلى بدعته، ورأى صاحب دنيا يدعو إلى دنياء،

(١) البدع والحوادث (١ / ١٦٤).

(٢) البدع والحوادث (١ / ١٦٩).

(٣) البدع والحوادث (١ / ١٧٢).

(٤) البدع والحوادث (١ / ١٨٨).

(٥) البدع والحوادث (١ / ١٨٩).

(٦) أي: الأمور المُكْرَهة

فعصمه الله من ذلك، وجعل قلبه يحس إلى ذكر هذا السلف الصالح. يسأل عن سبيلهم، ويقتصر آثارهم، ويبع سبيلهم، ليعوض أجرًا عظيمًا، فكذاك فكونوا إن شاء الله<sup>(١)</sup>.

حدثني عبد الله بن محمد بإسناده عن ميمون بن مهران قال: لو أن رجلاً نُشر فيكم من السلف ما عرف فيكم غير هذه القبلة<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا محمد بن قدامة بإسناده عن أم الدرداء قالت: دخل عليّ أبو الدرداء مغضبًا فقلت له: ما أغضبك؟ فقال: والله ما أعرف فيهم من أمر محمد شيئًا إلا أنهم يصلون جميعًا<sup>(٣)</sup>.

وفي لفظ: لو أن رجلاً يعلم الإسلام وأهمه ثم تفقده ما عرف منه شيئًا<sup>(٤)</sup>.

حدثني إبراهيم بإسناده عن عبد الله بن عمرو قال: لو أن رجلين من أواخر هذه الأمة خَلَيَا بمصحفهما في بعض هذه الأودية، لَأَتَيَ الناس اليوم ولا يعرفان شيئًا مما كنا عنده<sup>(٥)</sup>.

قال مالك: وبلغني أن أبا هريرة تلا قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فقال: والذي نفسي بيده، إن الناس ليخرجون اليوم من دينهم أفواجًا كما دخلوا فيه أفواجًا<sup>(٦)</sup>.

(١) البدع والحوادث (١ / ١٩٠).

(٢) البدع والحوادث (١ / ١٩١).

(٣) البدع والحوادث (١ / ١٩٢).

(٤) البدع والحوادث (١ / ١٩٣).

(٥) البدع والحوادث (١ / ١٩٦).

(٦) البدع والحوادث (١ / ١٩٥).

قف وتأمل، رحمك الله، إذا كان هذا في زمن لتاعن، بحصرة أو أحر الصحبة، فكيف يغتر المسلم الكثرة أو تشكل عليه ولا يسدل بها على الباطل؟ ثم روى ابن واضح بإسناده عن أبي أمية قال: أتيت أبا تعلبة الخشني فقلت: يا أبا تعلبة، كيف تصنع في هذه الآية؟ قال: آية آية؟ قلت: قول الله تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قال: أما والله لقد سألت بها خبيراً؛ سألت عنها رسول الله ﷺ قال: «اتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك ودع أمر العوام؛ فإن من ورائكم أياماً، الصبر فيهن مثل قبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله» قيل: يا رسول الله، أجر خمسين منهم؟ قال: «أجر خمسين منكم»<sup>(١)</sup>.

ثم روى بإسناده عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: «طوبى للغرباء» ثلاثاً، قالوا: يا رسول الله، ومن الغرباء؟ قال: «أناس صالحون قليل، في ناس سوء كثير، من يبغضهم أكثر ممن يحبهم»<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا محمد بن سعيد بإسناده عن المعافري قال: قال رسول الله ﷺ قل: «طوبى للغرباء؛ الذين يُمسكون بكتاب الله حين يترك، ويعملون بالسنة حين تطفأ»<sup>(٣)</sup>.

أخبرنا أسد عن سالم بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «بدأ الإسلام

(١) البدع والحوادث (١/ ٢٣١) وأخرجه أبو داود (٤٣٤١) والترمذي (٣٠٥٨) وابن ماجة (٤٠١٤) وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الجامع ٢٣٤٤) وقال: لكن فقرة أيام الصبر شذوثة.

(٢) البدع والحوادث (١/ ١٨٠)

(٣) البدع والحوادث (١/ ١٨١)

غريبًا. ولا تقوم الساعة حتى يكون غريبًا؛ فطوبى للغرباء حين يفسد الناس، ثم طوبى للغرباء حين يفسد الناس»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا أسد بإسناده عن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء» ف قيل: وما الغرباء، يا رسول الله؟ قال: «الذين يصلحون عند فساد الناس»<sup>(٢)</sup>. هذا آخر ما نقلته من كتاب (الحوادث والبدع)<sup>(٣)</sup> للإمام الحافظ محمد بن وضاح، رحمه الله تعالى.

قل المؤلف: وتأمل، رحمك الله تعالى، أحاديث الغربة، وبعضها في الصحيح، مع كثرتها وشهرتها، وتأمل إجماع العلماء كلهم أن هذا قد وقع من زمن طوي، حتى قال ابن القيم: الإسلام في زمننا أغرب منه في أول ظهوره<sup>(٤)</sup>. فتأمل هذا تأملًا جيدًا، لعلك أن تسلم من الهوة الكبيرة التي هلك فيها أكثر الناس، وهي الاقتداء بالأكثر والسواد الأكبر، والنفرة من الأقل، فما أَقَلَّ مَنْ سَيَمَ منها! ما أَقَلَّ ما أَقَلَّه!

ولنختم ذلك بالحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي بعثه الله تعالى في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره»<sup>(٥)</sup> وفي رواية: «يهتدون بهديه، ويستنون بسنته، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن. ومن

(١) البدع والحوادث (١ / ١٨٣).

(٢) البدع والحوادث (١ / ١٨٢).

(٣) سدع والحوادث (١ / ٣ - ١٩٦).

(٤) مدرج انسكن (٣ / ١٩٨).

(٥) أخرجه مسلم (٥٠).

جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدتهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل<sup>(١)</sup> انتهى ما نقلته، والحمد لله رب العالمين.

وقد رأيت للشيخ تقي الدين رسالة كتبها وهو في السجن إلى بعض إخوانه، لم أرسلوا إليه شيرون عليه بالرفق بحصومه لينخلص من السجن، أحببت أن أنقل أولها لعظيم منفعتها، قال:

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا ﷺ تسليمًا، أما بعد:

فقد وصلت الورقة التي فيها رسالة الشيخين الجليلين العالمين الناسكين القدوتين، أيدهما الله وسائر الإخوان بروح منه، وكتب في قلوبهم الإيمان، وأدخلهم مَدْخَلَ صِدْقٍ، وأخرجهم مَخْرَجَ صِدْقٍ، وجعل لهم مِنْ لَدُنْهُ ما يَتِمُّ به من السلطان؛ سلطان العلم والحجة بالبيان ولبرهان، وسطان القدرة والنصرة بلسان والأعوان، وجعلهم من أوليائه المتقين، وحزبه الغالبين، لمن ناوَاهم من لأقران، ومن أئمة المتقين الذين جمعوا بين الصبر والإيقان، والله مُحَقِّق ذلك وَمُنْجِز وعده في السر وإعلان، ومنتقم من حزب الشيطان، لكن على ما تقتضت ومَضَتْ به سنته من الانسلاء والامتحان، الذي يميز الله به أهل الصِّدْق والإيمان من أهل النفاق ولهتان؛ إذ قد دلَّ على أن لا بد من الفسة لكل من ادَّعى الإيمان، والعقوبة لذوي السيئات والطغيان، فقل تعالى: ﴿الْعَمَلُ

حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ  
يَسْبِقُونَهُ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢٧﴾ فَانْكَرْ سُبْحَانَهُ عَلَى مَنْ يَظُنُّ أَنَّ أَهْلَ السَّيِّئَاتِ يَفُوقُونَ  
الطَّالِبَ الْغَلْبِ، أَوْ أَنْ مُدْعَى الْإِيمَانِ يُتْرَكُ بِلا فِتْنَةٍ تَمِيزُ بَيْنَ الصَّادِقِ وَالكَاذِبِ،  
وَأَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ أَنَّ الصَّدَقَ بِالْإِيمَانِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، فَقَالَ تَعَالَى:  
﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ  
الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ  
هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ بِخُسْرَانِ الْمُنْقَبِ عَلَى وَجْهِهِ عِنْدَ الْفِتْنَةِ، الَّذِي  
يَعْبُدُ اللَّهَ فِيهَا عَلَى حَرْفٍ، وَهُوَ الْجَنْبُ وَالطَّرْفُ الَّذِي لَا يَسْتَقِرُّ مِنْهُ عَمِيهِ، بَلْ  
لَا يَثْبُتُ عَلَى الْإِيمَانِ إِلَّا عِنْدَ وَجُودِ مَا يَهْوَاهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ  
الَّذِينَ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُمْ خَيْرٌ لَطَمَانًا بِهِ﴾ الْآيَةُ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ  
حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الْفَاسِقِينَ﴾ وَأَخْبَرَ  
سُبْحَانَهُ عِنْدَ وَجُودِ الْمُرْتَدِّينَ، فَلَا بَدَّ مِنْ وَجُودِ الْمُحِبِّينَ الْمُحِبِّينَ الْمُجَاهِدِينَ،  
فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ الْآيَةُ، وَهَؤُلَاءِ الشَّاكِرُونَ  
لِنِعْمَةِ الْإِيمَانِ لِصَابِرُونَ عَلَى الْامْتِحَانِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ  
خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَبَضْتُمْ عَنْ أَعْقَابِكُمْ﴾ فِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى  
الْإِنْسَانِ بِالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ كَانَ جَمِيعٌ مَا يَقْضِي لَهُ مِنَ الْقَضَاءِ خَيْرًا لَهُ، كَمَا قَالَ  
لِسَيِّدِنَا ﷺ: «لَا يَقْضِي اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ مِنْ قَضَاءٍ إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ  
فَشَكَرَ كَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ فَصَبَرَ كَانَ خَيْرًا لَهُ»<sup>(١)</sup> وَالنَّصَارُ الشُّكُورُ هُوَ  
الْمُؤْمِنُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ، وَمَنْ لَمْ يُنْعَمِ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالصَّبْرِ



واشكر فهو بِشْرٌ حالٍ، وكل واحد من السراء والضراء في حقه تفضي به إلى قبح المآل، فكيف إذا كان ذلك في الأمور العظيمة التي هي من محن الأنبياء والصديقين، وفيها تشت أصول الدس، وحفظ الإيمان والقرآن من كيد أهل النفاق والإلحاد والبهتان. فالحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لكریم وجهه وعز جلاله، والله المسئول أن يشبكم وسائر المؤمنين في الحياة الدنيا والآخرة، ويتم نعمته عليكم الباطنة والظاهرة، وينصر دينه وكتابه ورسوله وعباده المؤمنين على الكافرين ولما نفاقين، الذين أمرنا بجهدهم والإغلاظ عليهم في كتابه المبين<sup>(١)</sup>. انتهى كلام أبي العباس رحمته.

ومن جواب له رحمته، لما سئل عن الحشيشة؟ ما يجب على من يدعي أن أكلها جائز؟ فقال: أكل هذه لحشيشة حرام، وهي من أخبث الخبث المحرمة، سواء أكل منها كثيراً أو قليلاً، لكن الكثير منها المسكر حرام باتفاق المسلمين، ومن ستحل ذلك فهو كافر، يُستتاب، فإن تاب وإلا قُتلَ كفرًا مرتدًا، لا يُغسل ولا يُصنّى عليه ولا يُدفن بين المسلمين، وحكم المرتد شرٌّ من حكم اليهود والنصارى، سواء إن اعتقد أن ذلك يحل للعامة، أو لخاصة لذين يزعمون أنها لقمة الذكر والفكر، وأنها تحرك الساكن، وتنفع في الطريق. وكان بعض السلف ظن أن الخمر يباح للخاصة متأولاً لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ فاتفق عمر وعلي وغيرهما من عتماء الصحابة على أنهم إن أقرؤا بالتحريم جندوا. وإن أصرؤا على الاستحلال قُنبوا<sup>(٢)</sup>. انتهى من نقلته من كلام الشيخ.

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢١١ - ٢١٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٤/ ٢١٣ - ٢١٤).

فتأمل كلام هذا الذي يُنسبُ إليه عدمُ تكفير المعين إذا جاهر بسبّ دين الأنبياء، وصار مع أهل لشرك، ويزعم أنهم عى الحق، ويأمر بالمصير معهم، ويُنكر على من لا يسبّ التوحيد ويدخل مع المشركين لأجل انتسابه إلى الإسلام، انظر كيف كُفّر المعين، ولو كان عادداً، باستحلال الحشيشة، ولو زعم حلّها للخاصة التي تعينهم عى الفكرة، واستدل بجمع الصحابة على تكفير قدامة وأصحابه إن لم يتوبوا، وكلامه في المعين، وكلام الصحبة في المعين، فكيف بما نحن فيه مما لا يسوي استحلال الحشيشة جزءاً من ألف جزء منه! والحمد لله رب العالمين، انتهى.

وفي هذه السنة أيضاً جرت وقعة تسمى وقعة الغفيلي، وهو رجل في قصر من قصور ضرم، فعزم على الردة، وصمم عليها قصده، فأرسل إلى إبراهيم بن سليمان، يخبره بذلك الأمر والشأن، ويستنجد به بأن يرسل إليه أعوان، فأرسل إليه بعض الجيش، لكي تطمئن نفسه ويسكن ما به من الطيش، فعثر على ما نواه وأراد، واطلع على حاله أمير البلاد، فأرسل إلى الأمير محمد بن سعود، يخبره بالأمر المعقود، فجهاز الأمير جيشاً في ساعته، من أهل العينة وأهل الدرعية وغيرهما من جماعته، وبادروا إلى قصر ضرم بالمسير، ليعالجوا ذلك التدبير، وسار معهم محمد بن عبد الله أمير ضرم وغلب قومه، بعد التهيؤ في الحال والاستعداد في القتال، فلم قارب البلد، كمن في زرع الذرة وقعد، فلم مضى هزيع من الليل، سمعوا وقع حوافر الخيل، فبدروهم بالجمرة، وقتلهم فوراً من غير مهلة، ولم يسلث منهم فج الانهرام، إلا من نجا برأس طمرة ونجا<sup>(١)</sup>.

(١) الطمرة: نمرس. وأخذ من قول حسان بن ثابت - رَحِمَهُ اللهُ -:

إد كنت كاذبة الذي حدثني فنجوت منجى احارث بن هشام  
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طمرة ولجام

وَقُتِلَ مِنْ أَهْلِ ثَرَمَدَا، مِمَّنْ أَقْبَلَ مِنْهُمْ وَاعْتَدَى، عَلَى سَبِيلِ التَّحْقِيقِ لَا الْخَمِينِ، قَرِيبَ مَنْ نَحْوِ سَبْعِينَ، وَأُسِيرَ أَنْاسٌ مِنَ الْأَمَاطِ، مِنْهُمْ عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ زَامِلٍ. ثُمَّ دَخَلَتِ السَّنَةُ الثَّامِنَةُ وَالسِّتُونَ.

وَفِيهَا فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُسْلِمِينَ حَرِمَلًا، أَخَذُوهَا بِالسَّيْفِ عَوَّةً، وَبَغْتَوْا أَهْلَهَا بِهَا فَجْوَةً؛ وَذَلِكَ أَنَّ عَبْدَ الْعَزِيزِ، فَسَحَ اللَّهُ لَهُ فِي الْأَجْلِ، وَبَلَغَهُ غَايَةُ الْأَمْرِ، غَزَا بِالْمُسْلِمِينَ، وَكَانُوا نَحْوَ الثَّمَانِ مِنَ الْمِائَةِ، وَخِيَلَهُمْ لَا تَزِيدُ عَلَى عَشْرِينَ، فَأَدْخَلَ شَرْقِيَّ الْبِلَادِ، وَقَدْ اشْتَدَّ ظِلَامُ الدَّجَنَةِ فِي السَّوَادِ، وَقَدْ عَبَّ الْمُسْلِمُونَ، وَجَعَلَ ذَلِكَ الْكَمِينَ فِي مَوَاضِعِينَ، فَصَارَ الْأَمِيرُ عَبْدُ الْعَزِيزِ فِي شَعْبِ عَوْجَا<sup>(١)</sup>، وَمُبَارَكُ بْنُ عَدَوَانَ مَعَ مَائَتِي رَجُلٍ، وَأَقَامُوا بِالْجَزِيعِ<sup>(٢)</sup> فَوْجًا، فَلَمَّا بَدَأَ جَبِينَ النَّهَارِ، وَأَسْفَرَ وَجْهَهُ وَاسْتَنْدَرَ، وَأَخَذَ أَهْلَ الْفَلَاحَةِ فِي الْإِنْتِشَارِ، شَرَّ الشَّعْوَاءِ وَأَغَارَ، فَلَمْ يَكُنْ لِأَهْلِ الْبَدَدِ عَنِ الظُّهُورِ اصْطِبَارٌ، فَعِنْدَ ذَلِكَ نَشَبَ الْقِتَالُ، وَتَلَاَحَمَتِ الْأَبْطُلُ، وَظَهَرَ الْكَمِينَ الْأَوَّلُ، فَكَانَ كُلُّ مَنِ أَهْلَ الْبَدَدِ عَلَى الصَّبْرِ قَدْ عَوَّلَ، وَأَرْخَصُوا عِنْدَ ذَلِكَ الْمُتَهَجَّجَ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ لِمُنْهَجِ الْفِرَارِ قَدْ انْتَهَجَ. حَتَّى بَدَأَ نَهْمُ الْكَمِينَ الثَّانِي، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ عَلَى الْقِرَارِ ثَانِي، بَلْ جَدُّوا فِي الْفِرَارِ بَلَا تَوَانِي. وَمَلَكَ الْمُسْلِمُونَ أَعْقَابَهُمْ، وَحَقَّقُوا مَطَالِبَهُمْ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ مِائَةً، عَجَّلَ اللَّهُ ذَهَابَهُمْ، وَأَرَادَ اسْتِصْلَاحَهُمْ وَعَذَابَهُمْ، وَنَالَ الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ غَايَةَ الْأَمَالِ وَالْمَنَالِ، وَغَنِمُوا تَدَكَّ الذُّخَائِرِ وَالْأَمْوَالِ، وَطَافَ عَلَى أَهْلِ ذَلِكَ الْأَفْعَالِ طَائِفُ الْعَذَابِ وَالنُّوبَالِ. وَقُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَعَةُ رَجَالٍ. وَدَخَلَ الْمُسْلِمُونَ لِلدَّ، وَهُمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الشُّرْكِ إِلَّا شَرْدَ، وَأَعْطَى عَبْدُ الْعَزِيزِ بَقِيَّةَ

(١) بين بددي حرملا ومقرية

(٢) من أحياء حرملاء، يقع شرقها.

الناس الأمان، وكانت البلد فيئ من الله على سبيل الامتنان، وخرج هاربًا منها مخفيًا ابن عبد الوهاب سيمان، وأمر عبد العزيز مبارك بن عدوان، وبشس الأمير كان. لأنه أثر بعد ذلك سبيل الشيطان، كما يأتي بين رده، في شهره وسنته، وقد أعطاه عبد العزيز من الأموال، كل نفيس عزيز، وحيّره في البيوت والمنازل، وفي البساتين والأصائل، وأخذ ما شاء من تلك الدار، واختار ما طاب من العقار، ولما توقف في حكم أموال أهل هذه البلدة الناس. كشف الشيخ، رحمه الله تعالى، عن ذلك حُجَب الالتباس، وأماط عن وجه الحكم الأندلس، وبت الحكم بأنها على المسلمين من جملة الإلباس، نظير ما صدر وجرى، من فعل السلف الكبرى. وكان ما دُكر لثمان مضت من جمادى الأولى يوم الجمعة، وأقبل عبد العزيز بتلك الأموال والغنائم إلى الدرعية، ثم وقعت فيها المقاسم.

وفيها تظاهر على نُصرة الدين، ومحاربة أهل الضلال والمشركين، عامة أهل شقرا، فأدركوا، بذلك عزّ وفخرًا، وأحرزوا ثوابًا وأجرًا، فاجتمعوا على ذلك بعد الافتراق، واضمحل ما كن منهم قبل ذلك من الاختلاف والشقاق.

وفيها محاربة ابن دواس الثانية في شعبان، بدت الردة من دهام، واجتمع هو وابن فارس على محاربة المسممين والإسلام، فلا سبب من المسلمين لذلك داعث، بل على سبيل الاختيار، أصبح للعهد ناكث، فأول ما جرى منه عدا على أهل أبي الكدش، وانقلب راحعًا منحش<sup>(١)</sup>، ولما تظاهر دهم بذلك الاعتداء، وعدل عن سنن الاهتداء، وتبين ذلك منه وبداء، ضيق على أهل الدين والهدى. من أهل بلده السكنى عند أهل الردى، فأجمعوا على الهجرة، وكلّ حقق عليها

رأيه وأمره، فتركوا الأموال والوطن، وبعوها بأعلى وأعلى ثمن، على مولى المنن، فمن مشهيريهم: محمد بن صالح وسعيد بن عمران، أهل الهجرة الأولى من الرياص إلى منفوحة ابن ذهلاد عبد الرحمن وابن صالح وسعيد بن عمران وحمد أب الحويل ومحمد بن دختل وعياله أحمد وموسى وعبد الله وموسى بن محمد وقاسم ومانع وعيسى بن نوح وعلي بن نوح وسعد بن نوح وأخوه موسى وعبد الرحمن بن جندل وموسى بن زياد وابنه محمد وعبد الرحمن بن سويدان وسليمان بن سحيم وسليمان بن حمد بن صالح وراشد بن نفيسة وعلي بن نفيسة وإبراهيم بن نفيسة وسليمان بن نفيسة وموسى أب الحويل وعبد الرحمن أب الحويل، ثم هاجر جميع من ذكرنا من منفوحة إلى الدرعية لما ثبت أسباب الردة من ابن فارس.

ثم هاجر معهم من مشهيري أهل منفوحة: حسين بن عثمان وعثمان بن حسين وسليمان بن حسين ومحمد بن حمد بن حسين وسلطان بن عبد الله ومحمد ابنه وإبراهيم بن سلطان وسليمان بن حسين وأخوته نصر وسلامة وموسى والمخاضيب عبد الرحمن وعياله عبد الله وحمد وعيسى وعيال محمد علي يحيى وموسى وعلي بن مزروع وعبد الله وحسن والسحوم دهمش وعمر وحمد ومطلق ومن الزمامات يحيى وموسى وآل نديان ثلاثة محمد والمغليلث ورشد وعبي ومصور بن قاسم وسويد بن قراش وعثمان بن مجلي وعرييد وعثمان العبيوي ومحمد بن طمل ومارك بن مرجان وعيت بن سحيم وولده ومحمد بن هلال وأخوه حمد وثالثهم علي وراشد التخيفي وعثمان التخيفي وسليمان الشعبي وعبد الله بن نفيسة وعبد القادر وعيسى بن سرحان وعبد لله بن رشيدان ومفرج بن رشيدان ومفرج بن جلال وعيسى بن سعدون وولده محمد.

وفيهما اجتمع دهام وابن فرس وأهل الوشم وأهل سدير وأهل نادق وجلوية حريملا، فعروا حريملا وحربوا عليها، وساروا جميعاً، فوصوها وسلطان الليل وئثم، والكرى على الأجفان حاكم، وغالب الأحراس بانهم، فدخلوا في حلة تسمى الحشيان<sup>(١)</sup>، ولم يشعر بهم من البلد إنسان، حتى ملكوا تلك البسانين والحلة، واستعد كل منهم للقتل وملك محله، فأخبر بذلك الشأن مبارك بن عدوان، فنهض عليهم مع جماعة معه في الليل، فرجعوا ولم يخرجوهم من النخيل، فلما أصبح الصباح، اغتدى للحرب وراح، واجتمع مبارك مع قومه، والتقى معهم صبح يومه، وحمي بينهم القتال، وأخرجوا طائفة من تيك الجبال، وبقي طائفة من الرجل، وغالبهم من أهل حريملا من الجلوية محتصرين في البيوت خوف الاغتيال، ومكنوا نحو خمسة أيام، في أشر مقام، وفي مدة هذه الإقامة، كل يشد للرمي سهامه، وقتلوا من أهل البلد، نحو ثمانية عشر من العدد، ثم بعد ذلك تسوّر المسلمون عليهم الدور، وحاق عليهم المكر والفجور، وحن عليهم القضاء المحتّم المسطور، فقتلوا قتيلاً رجلاً واحداً، وكان دهام على مقتلهم واجداً، وأخذوا ما معهم من سلاح، وغدا دهام بالخزي وراح، وكان جملة المقتولين من الأحزاب ستين، وقد دعا مبارك أناساً من أهل حرمة محصورين، وأعطاهم ذمة المسلمين، فخرج منهم عى الأسر عشرة، فخان بهم وقتل منهم ستة قضى بهم وطره، ولم يشعر بذلك الشيخ وابن سعود، ولما جاءهم الخبر نقموا عليه بما صدر، كيف وفي الحديث "ثلاثة أنا خصمهم" وذكر رجلاً أعطى بي فغدر<sup>(٢)</sup> فأخذ منهما الغضب غاسته، وبلغ حده ونهايته.

(١) من أجباء حريملاء

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٢٧)

ثم دخلت السنة التاسعة والستون.

وفيهما تقشع عن أهل القويعة غمام الشرك ولشر ولأذى، وزال عن أنصار بصائرهم القذى، واستشفوا من عَرَفِ الحق شذاً، ودخل أفئدتهم من التوحيد شائبة، وهبت لهم من ذلك سائبة، فصارت قلوبهم للدخول فيه طلبة، والالتزام أحكام الإسلام راغبة، فأقبلوا على الشيخ والأمير محمد، حين أرادوا ذلك الطريق الأحمد، وقدم محروس الدرعية، كبار أهل القويعة، فبيعوا على الإسلام، والتزموا جميع الأحكام، ولقد صدقوا في تلك البيعة، ووفوا وأقاموا متجملين بجمال ذلك اللباس، فما خلعوه ولا نفوا، وكان أول من صار إلى التوفيق وداعيته، ودَعَتْهُ منه أذن واعيه، ناصر بن جمار العريفي وسعود بن حمد، فكل منهما سارع إلى ذلك الشأن ونهد، وبادر إلى الوفود فوفد، وهاجروا إلى ديار الإسلام، فنالوا الفوز والمرام.

وفيهما سار المسلمون، وأميرهم عبد العزيز، متع الله تعالى به المسلمين، في رفعة وتمكين، إلى منفوحة والرياض، فعَدَوْا على منفوحة، ودخلوا نخيل الصبيخة<sup>(١)</sup>، وأخذوا دواباً كثيرة، إبلاً وبقراً وحميراً، ثم خرج عليهم الأفراع، فهزمهم المسلمون بالقتل والدفاع، وقتل منهم علي أبا الماسح وغيره، ثم جاءهم بعد ذلك أهل الرياض بالمدد، واستحرّ بينهم وبين المسلمين القتال والمجد. وكلّ شمر لدجلاد واجتهد، حتى صاح بأحزاب لضلال، منادي الهوان والإذلال، فوَّتُوا مدبرين، ولبلدهم طالبين، ورجعوا بالخينة ولحسرة، وكم نهم منها من مرة، وكان دهم في تلك الأيام بادياً على أهل سدير والوشم، في تدبير الحرب والانتظام، والسياسة والمواعدة على المسلمين

(١) موضع مشهور يقع جنوب منفوحة

و لإسلام، وكان عند عبد العزيز بذلك خبر، قبل أن يرحل إلى منفوحة وبعد ما صدر، فلم رجع إلى الدرعة، وتحقق القضية، حرج مسرعاً يريد له الرصد، فكمن له قرب ضرما فإذا هو قد وفد، ولكنه شعر بالمسلمين، فولى مع من معه مدبرين، فطلبه المسلمون أشد الطلب، ولكنه جدّ في الفرار والهرب، ورمى عن الركاب كل ثقل، وترك من المضي كل ظهر لا يسرع في الغارة والزميل، وأخذ المسلمون ما طرحه وترك، ولحق ببلده عبد العزيز وانفرك<sup>(١)</sup>، ثم إن عبد العزيز، حرسه الله تعالى، استأذن الغزاه في إعطاء جميع الغنيمة للمهاجرين، فطابت بذلك نفوسهم أجمعين، فأذنوا له في ذلك.

ثم دخلت السنة السبعون بعد المائة والألف.

وفيها وقعة تسمى وقعة الرشا<sup>(٢)</sup>، عند من ترعرع في ذلك الوطن ونشأ، وكانت على أهل منفوحة، لأن المسلمين نقضوا البناء المعدّ لحجر السيل على النخيل المسمى عند أهل البلد بذلك، ودخل المسلمون عليهم البيوت والدور، ثم إن دهاماً أتاه الخبر المسطور، فنهض من ساعته، مع مقاتلة جماعته، بعدما قال لمن جاءه بذلك المقال: اثبتوا لهم ساعة؛ فإني أدهمهم مع الجماعة. فأقبل ابن دواس على المسلمين، وقد صاروا بهدم أسس الرش مشتغلين، فقاتل من المسلمين من عند ذلك الأساس، حتى هزمهم مقاتلة أهل الرياض مع ابن دواس، وتصادم دهام في ذلك الظلام، مع واحد من فرسانه وحفدته وأعوانه، وتصدفق الفرسان عند ذلك الطعان، وسقط كلُّ منهما على الأرض، وأخذ المسلمون على هيئة واجتماع، وخرج الذين دخلوا وسط الدور، بعد قتال

(١) مترك: صرف عر قصده

(٢) قال ابن بشر (١ / ٣٣) «وهو ححر للسيل عند سد مموحة»



مشهور، قُتِلَ فيه عبد الوهاب بن مشرف، وخرجوا عنها بعد ما قارب كل منهم الجحام وأسرف، وصادفوا بعد أن خرجوا من تلك البلاد، دهم بن دواس ومن معه من الأجناد، فلم يعرفوهم وظنوهم من أهل الدور أمداد، وقد عرف المسلمون دهمًا وقومه، وظن كل منهم أنه ملاق جمامه ويومه، فحقن الله تعالى دماهم، وأنجح سولهم ومنهم، إلا أنهم قتلوا ثلاثة رجال، من أهل الريض ذوي الضلال، قد عرفوهم بالرؤوس، فجرعوهم من الجحام مرّ الكؤوس، ورجع المسمون إلى بلادهم، وقد استشهد منهم عشرة في تعدادهم.

وفيها أيضًا حَزَبَ أهل الوشم وأهل سدير على شقراء وراموا بذلك من الهتك أمراء، فساروا وقد ملئت قلوبهم بالحق والصفين، فنزلوا بأجمعهم في قرية القرابين، وأقاموا بها من الأيام ثلاثة، وكل يوم يندشون أهل شقراء الحرب من غير توان ولا رثة، ويقع بينهم في قتال وطعان ومجال، حتى أراد الكبير المتعل الخذلان لأهل الضلال، فجاء محمد بن سعود لخبر، وتيقنه خبرًا فجرد صدم العزم للمسير، وأخبر بذلك أهل شقراء، وعين لهم الزمن المعلوم، وبيّن لهم يوم القوم، الذي أجرى الله فيه القضاء المحتوم، على من هو لاستئصال المسلمين يروم، فلما جاء ذلك اليوم، وحان النذل بالفوم، خرج إليهم أهل شقراء، ليشغلوهم بالحرب قسرًا، خشية أن ينهزموا إن نالوا من مجيء المسلمين خبرًا، فلما نشب القتال وحمي، طلع عليهم عبد العزيز الكمي<sup>(١)</sup>، فلم يجدوا غير الهزيمة ملاذًا، ولا سوى قرية القرابين معادًا، فولّوا إليها مدبرين، وبثّوا بها منحصرين، وولي المسلمون أكتافهم في الهزيمة، ولولا قرب المفرة لكنت المقتلة عظيمة، وقُتِلَ المسلمون منهم نحو خمسة عشر، وكان منهم من هو

(١) أي: الشجاع

مشتهر، منهم حمد المَعْنَى وسويد بن زايد وغيرهما، وأخذوا ركابًا وسلاحًا وفرسًا، ثم حصروهم في القرائ وأطالوا لهم مجسًا، وأقدموا قريبًا من عشرين يومًا في الحصار، في غاية الضنك والضيق حتى أيفنوا بالدمار، ولكن الله لما أراد لهم السلامة، أقبل ابن سويط وقومه ففهموا أخباره وأعلامه، فخرجوا ليلاً مختفين، ولدنجاة طالبين.

وفيها قتل غزو بن فايز<sup>(١)</sup> في مكان يقال له الحسي<sup>(٢)</sup>، وذلك أن المسلمين جاءهم عنه الخبر، فجرد له عبد العزيز ونفر، وكمن له في الحسي ورصد، حتى جاء إليه ووفد، فاستأصل المسلمون شأفته، وقتلوا جماعته، وأضحى ابن فايز في أيديهم أسيرًا، حتى بذل في فداء نفسه مالا كثيرًا، وكن جملة ما أعطى وأظهر، خمسمائة أحر<sup>(٣)</sup>.

وفيها أيضًا وقعة باب القبل، وذلك أن عبد العزيز، حرسه الله تعالى، شمر ساعده للحرب والانتهاض، وسار بالمسلمين حتى نزل الرياض، وأعد في الليل الكمى والكمين، قبل أن يفلق عمود الصبح ويستبين، فلم انجلي من الليل ظلامه، ونُشرت من الصبح أعلامه، وانتشر في الطريق الأنام، ظهرت غارة المسلمين والإسلام، فأسرع أهل الرياض إليهم، وشرعوا الأسنة عليهم، وأطلقوا الأعنة لديهم، فلم يكن غير لحظة أو ساعة، حتى كان الهروب طريق تلك الجماعة، وسبب ذلك حين عابنوا الموت في الكمين، وتيقنوا أن الله تعالى لهم معين، فعمدوا إلى الباب من الهرب، وكلُّ أراد الدحور فل الآخر

(١) قال ابن شهر (١ / ٣٤): «ابن فايز المسيحي السبيعي».

(٢) قال ابن شهر (١ / ٣٤): «قرت بند حريملا والصمرة».

(٣) قد نُعمِلَ به في رمهم.

وطلب، وتضيقوا عند الدب، وتكسرت في الدخول الحراب، وقُتِلَ منهم ثمانية رجال، دنت منيتهم بلا إمهال، منهم كنعن الفريد وصالح وابن نعران ورطببان وغيرهم، وقتل من المسلمين عبد الله بن نوح.

وفيها سر عبد العزيز، حرسه الله تعالى، إلى الرياض، ونزل البنية، وخرَّب جميع زروع الشمسية.

وفيها غز المسلمون الوشم، وأميرهم إذ ذاك محمد بن عبد الله أمير ضرما، فوافق المسلمين في طريقهم ذلك غزو لصمدة<sup>(١)</sup>، أكثر من المسلمين هنالك، ففر المسلمون منهم، وجدوا في الفرار عنهم، وأسروا منهم بعض الناس، ففدوا أنفسهم من الأحباس.

وفيها غزا المسلمون وشيقر، وأميرهم عبد العزيز، فلما وصلوا إلى تلك البلاد، وكمناو لهم في تلك الوهاد، وخرج المقاتلة للجلاد، وشتد الحرب، وكثر بينهم الطعن والضرب، طلع عليهم ذلك الدفين، وأقبلوا إلى المعركة مسرعين، فلم يثبت أهل البلاد، بعد شدة ذلك الجراد، أن ولّوا على أعقابهم مدبرين، وقُتِلَ منهم أربعة رجال محققين.

وفيها غزا المسلمون أهل ثادق، وأميرهم عبد العزيز، سلك الله تعالى به أحسن الطرائق، فلما وصلوا إلى حلتها، نزلوا قريب نخيها ومحلتيها، فناوش المسمين الحرب أهلها، وكان الحائل بينهم نخيها، فتراموا الرصاص بينهم من بعيد، وكان ذلك الرامي يصيب ويفيد. وقطع المسلمون عليهم نخلاً، وعرفوا أن هذا شأن المسلمين فعلاً، وقُتِلَ منهم ثمانية رجال، وأقاموا محتصرين يدبرون الفكرة والاحتيال، فلم يكن لهم سوى الإقبال على الإسلام من إمهال،

وطلبوا ذلك من عبد العرب فأعطاهم، وحقو لهم مطلوبهم ومنهم، ودموا مع الغزو إلى الشيخ في الدرعة، وأحبروه بحاصل القضية، وأمر عليهم دخيل بن سويلم، وأرسل معهم أحمد بن سويلم. يعلمهم التوحيد والأحكام، ويحكم لهم الشرائع غداة الأحكام، وقد قُتل من المسلمين ثمانية رجال، منهم محمد بن دغثير ومحمد بن مانع وغيرهما.

وفيها غزا المسلمون أهل جلاجل، وعبد العزيز، حرسه الله تعالى، أميرهم الذي يرجع إليه سياستهم وتديبرهم، فسار بالمسلمين ممن معه وساعده وتبعه، فنازل أهل جلاجل، وكان لإعداد الكمين فاعل، فلما خرج إليه منهم كل مقاتل، ونشب القتال وكان كل قرم لقرنه خاتل، هزم الله تعالى أهل جلاجل، فولوا مدبرين على الأعقاب، ودخلوا البلد وغنقوا دونهم الأبواب. ونهب المسلمون من بيوت البلد ما استطرف، ثم رجع عبد العزيز بمن معه وانكف، وأقبل معه من مطاوعة سدير: حمد بن غنم وإبراهيم المنقور وابن عضيبة، وذلك لما طبهم عبد العزيز، وقصده قدومهم على الشيخ وموافاتهم له وقراءتهم عليه وأخذهم عنه، وأقبل معه أيضًا ببن سعدون وابن حماد، مخافة أن يُرِيدَ لأهل العودة الارتداد، ولما قدم عبد العزيز الدرعية، ومن معه من تلك الجلولية، أتاه أمير العودة عبد الله بن سلطان، وطلب منه المنة والإحسان، على ابن حماد وابن سعدون، واختار حرسه الله تعالى طريق الموافقة والهون، وإلا فهو قد تفرس فيهما أن أسباب الردة منهما تكون، فأطلقهما لأجل وجاهته. ولم يدر ما يصدر عليه من جماعته، فلما وصلوا البلاد، أخذوا للردة في الاستعداد، فلما هبوا أسبابها على المراد، لم يحدوا ما تطيب به النفس، ويتم لهم به السرور والإنس، سوى قتل من عمرهم بذلك الجميل. ومفدبلته بالصنع الوصل، فقتلوا عبد الله بن سلطان، مقبلة لذلك الإحسان، وهذا شر من وضع

المعروف في غير محله. وصرفه إلى غير أهله، يجريه بقبيح فعنه، كما قالت العرب في أمثالها: سَمَّنْ كَنَكْ يَأْكُلْكَ. وقال الشاعر:

ومن يصنع المعروف في غير أهله يلاقي الذي لاقى مجير أم عامر  
وقال المتنبي:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم ثمردا  
فوضع النداء في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع النداء  
وفيها غزا المسلمون الرياض، وأميرهم عبد العزيز، وقصدهم يرصدون دهام  
إذا خرج إلى منفوحة يوم العيد، وكان عادته يوم العيد يخرج للسلام على ابن  
زامل، وأقاموا بين البلدين يرصدون، ولم يكونوا بما نوا يظفرون، إلا أنهم في  
تلك الإقامة، خرج زيد الصمعر فوافقه فجرعوه جَمَامَه، ثم رجع عبد العزيز  
ومن معه من المسلمين إلى بلادهم سالمين.

ثم دخلت السنة الحادية والسبعون.

وفيها غزا المسلمون ثرمدا، وأميرهم عبد العزيز، أعزه الله بالطاعة، ونصره  
وأتباعه، فساروا إلى ثرمدا، وجرت وقعة تسمى وقعة النقيب، وذلك أن  
المسلمين لم اشتد غسق الدياجي، لم يكن لهم دون دخول البلد من مفاجي،  
وقد جعلوا لهم خارج البلد كمينين للرصد، فلما زال سواد الظلام، وذهب ذلك  
الإظلام، وسمى العبد خارج البلاد، وقد أخبروا بالمسلمين، وما هم عليه  
مجتمعين، وعرفوا أن المسلمين دخلوا حائط نقوا لهم نقباً في جداره، وأقاموا  
فيه متوارين بن بخبه وأشجاره، ولكن الثاني خارج البلد، لم يشعر به أحد،  
فاجتمع أهل تلك البلاد والحلة، على من عرفوا في النخل مكانه ومحلّه. وبقوا  
ساعة بقره وحباله، ينتظرون من يخرج من ذلك النقب ورجله، فلم أراد من فيه

الخروج، لم يكر لهم عن ذلك النقب من عروح، فقاموا يخرجون منه واحداً واحداً، ولم يكن أحد منهم لغيره فاقداً، واستمروا على ذلك يخرجون منه أرسالاً، ولا يفهمون لمن يخرج منه حالاً، حتى اسود النقب وأظلم، وسد ضوءه بعد أن أعلم، فتيقنوا مصيب أصحابهم، وتحققوا مصارعهم في انقلابهم، فلم تبين للمسلمين ذلك، خرج جميع من هنالك، ووقعت معركة بينهم عظيمة، وحقق الله تعالى على تلك البلاد الهزيمة، وقُتِلَ منهم اثنا عشر، منهم عبد المحسن بن إبراهيم رئيس ثرمدا، ومنهم بشر بن بلاع، واستشهد من المسلمين في تلك الغزو قريب من عشرين، منهم عيسى بن ذهلان ومحمد بن عبد الرحمن بن موسى ومفرج بن جلال.

وفيها غزا مبارك بن عدوان بركب معه من أهل حريملا، فوافق عبد الله بن سليمان معه أسير، ثم بعد وصوله حريملا منّ عليه وأطلقه من غير قليل من المال ولا كثير، ولم يستشر في ذلك الشيخ ولا محمد بن سعود، فنقموا عليه بذلك الفعل غير المحمود.

وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز وساروا إلى سدير؛ فاستولوا على الحوطة والجنوبية، وذلك لأن أهل البلادين أرسنوا للأمير يريدون منه القدوم واليسير، ومرادهم الدخول في الإسلام، والاستمرار تحت الزمام، فأسفّعهم بالمقصد والمأمول، وأسرع إليهم المحيي والوصول، فلم دخبه عبد العزيز ومن معه فزع عليهم أهل سدير ولم يفوزوا بمرام، ثم رجع عبد العزيز بعد أن نصب لهم في كل بلدة أميراً وإمام.

وفيها خرب المسلمون زروع منفوحة.

وفيها غزا المسلمون جلاجل أيضاً. وأميرهم عبد العزيز. فأخذوا منها سوارح الغنم. ثم لحقهم الطيب، فاقتتل مع المسلمين ثم بعد ذلك ولى وانهزم،

وملئ المسلمون أعقابهم، ولم يكن سوى البيوت مآبهم، وقُتل منهم ستة رجال، في تلك الساعة والحال.

وفيها أتى المسلمين الخبر، أن عريعر<sup>(١)</sup> كبير الحبس يريد التخريب على الإسلام وأهله. وقد صرح بذلك في قوله لا فعله، وأخذ المسلمون للحرب في الاستعداد وتحصين البلاد.

وفيها في شهر رمضان سار المسلمون، وأميرهم عبد العزيز، إلى الرياض، وجرت وقعة عظيمة على أهل الرياض، تسمى وقعة أم العصفير<sup>(٢)</sup>، وذلك أن المسلمين قدموه ليلاً، وجعلوا لهم رجالاً وخيلاً، أعدوا لهم رجالاً في مكان يقل له القبة<sup>(٣)</sup> كميّة، فلما أصبح الصباح وخرج إليهم أهل البلاد كان الله للمسلمين معيناً، فاستمر بينهم القتال، وضاق في المعترك المجال، حتى كشف الله تعالى جميع أفزاع الضلال<sup>(٤)</sup>، وقُتل منهم تركي بن دواس وابن فريدن والجبري وحمود بن ماجد، ولم يُقتل من المسلمين غير واحد، ثم انقلب المسمون إلى بلادهم، بعد تحصيل مراهم.

وفيها سار المسلمون، وأميرهم عبد العزيز حرس الله مهجته، إلى الرياض، فنزلوا البنية وملكوها، وتلاحقت عليهم الأفزاع، من منفوحة والرياض فاقتتلوا

(١) عريعر بن دجين (ت ١١٨٨هـ). قال الأستاذ عبد الكريم الوهبي في كتابه «بنو خالد وعلاقتهم بنجد» (ص ٣٥٩): «بلغ شخصه حدّاً من شهرة حتى أطلق لقب آل عريعر على معظم زعماء آل حميد؛ سواء كانوا من حلفه أو من أسلافه».

(٢) مكان قديم يقع وسط مدينة الرياض.

(٣) مكان قديم يقع وسط مدينة لرياض. قال في «معجم مدينة الرياض» (ص ٦٥): «أحدثها

رحل متدع سمه ناح بن شمسان»

(٤) لأفراع: جماعة يهرعون للمصرة والمدد

في تنك الأراضي والبقاع، وكان القتال من بعيد بالنادق، والكل من الطائفتين عبر مقرب ولا موافق، وقُتِلَ بالرمي ذلك اليوم، ومن أولئك القوم، ثبات بن مبيريث عند الزرعات، وآخر يقال له الدفين، واستشهد من المسلمين راشد بن غانم وحميد بن قاسم وغيرهم نحو ثلاثة، ثم ثور الأمير عبد العزيز من تلك الأماكن، فأناخ بالغدوة<sup>(١)</sup> في ذلك الباطن، فأمر المسلمين جزاءه الله تعالى خيراً، وأعظم له أجراً، أن يبنوا في ذلك الباطن قصرًا، يكون للمسلمين حصناً وثغراً، فأقاموا سبعة أيام في ذلك البناء والإحكام، ثم بعد الفراغ منه والتمام، أرخص لمن أراد من الغزاة أهله والقدوم عليهم من المشاة على الأقدام، وبقي هو مع الجيش بعض أيام.

وفيها جرت ردة مبيريث<sup>(٢)</sup> بن عدوان، وأتباعه منهج الشيطان، وذلك أنه لم يرجع من غزو البنية، وبناء القصر إلى الدرعية، عزله الشيخ ومحمد بن سعود الأمير، عن الإمارة في حربملا والتنديير، وأمرًا حميد بن ناصر بن عدوان، وأرسل معه مفرج بن شعلان، وذلك لأنهم تخوفاً على المسلمين منه، لأمر صدرت نسبت عنه، فاسترخص مبيريث الشيخ ومحمد الأمير، أنه يريد العينة ثم يُسرع إليهما بالمسير، فأرخصا له في ذلك، فدما خرج موريًا بالسير إلى هنالك، اجتمع في ذلك الطريق مع أنس من أهل حريملا، فعاودهم على الردة، فلبى له منهم فريق، ثم سار يريد حريملا مع من وافقه من حماسته، فلم يصل إليها إلا بعد ما ملك حمد بن ناصر ومن معه قصر إمرته، فدعا مبيريث أهل البلد لنصره ومعاونته، فلم يُجبه أحد إلا بخذلانه ومهونتته، فحين تحقق الأمر وعديه، وعرف

(١) قال ابن شهر (١ / ٤٠) «موضع معروف عربي نواصر»

(٢) نصغفر: مدرك



من جماعته المعددة والمباينة، ولى على وجهه مديراً، وبقي على فعله نادماً متحسراً، وصارت منيخ<sup>(١)</sup> له وجهه، فولى حريماً دبره، ومنح تيك وجهه، وقتل ممر ساعده على الردة رجال، وفر الباكون باستعجال، ولما أتى الشيخ ومحمد الأمير، بما رآه مبيريك من التدبير، أرسلوا إلى عبد العزيز وأخبراه بذلك، فجمع من عنده من الغزاة هنالك، فأخبرهم بالواقع والحادث، وأن ابن عدوان للعهد ناكث، وطلب منهم تجديد العهد والمبيعة، على الموت والمتبعة، فلم صدقوا في النية، وأخذوا لله الطوية، وساروا يريدونه ودخلوا في طريقهم الدرعية، لقضاء بعض الحوائج والأغراض، فلم عزموا على النهوض والانتهاض، وراحوا سائرين إلى النعمة<sup>(٢)</sup>، فإذا البشير يفاجئهم بحصول الأمانة، فرجع عبد العزيز من فوره إلى الدرعية، ليبشر الشيخ ووالده بالقصة والقضية، فحمداً لله تعالى وشكراً، وسبحاً وكبراً، ثم سار بعد ذلك عبد العزيز إلى حريماً تركيماً للبلاد، وتطيباً لقلوب أولئك العباد.

وفيها حَزَب مبيريك بن عدوان وجمع من أهل سدير والوشم والمجمعة، من كل مريد شيطان، وقصده بذلك حريماً ليشفي منها الفؤاد، ويفوز منها بالظفر والمراد، فأتى الأمير محمد والشيخ الخبر، بما جرى وصدروا، فأرسلوا عبد العزيز والمسلمين إلى تلك البلاد، ليساعدوا أهلها ويحفظوها عن ذوي الفساد، فجاء الخبر مبيريك بن عدوان، فلم يقدر على وصول ذلك المكان، ولكنه سار مع أصحابه، وجملة أعوانه وأحزابه، فأناخ على البلدة، المسمدة رغبة، فقتلهم، ثم طلب من أناس من أهلها الخيانة له، فوافقه على ما أراد وطببه.

(١) حل في سمحة، بطق اسمه فديماً على: المجمعة وخرمه.

(٢) شمال الدرعية.

وأدخل بعض البيوت والدور، ثم أخرج منها بعد الحرب والقتال مكسور، إلا أن أمير رعية وانه راضي قُتل، وولى مبيريك من معه حاسراً لمأموله لم يلب، ثم قدم عبد العزيز رغبة ومن معه من المسلمين، وأجلى من وافق مبيريك أجمعين، وأمر بهدم السور، خشية وقوع مثل ذلك الأمر المحظور.

ثم دخلت السنة الثانية والسبعون بعد المائة والألف.

وفيها أتى الخبر الشيخ ومحمد الأمير، أن عريعر يريد الخروج على نجد والتسيير، فأمروا جميع بلدان المسلمين، بالبناء والاستعداد والحصين، وقام عبد العزيز، حرسه الله تعالى، بالجد والاجتهاد، وشمر ساعده في البناء والاستعداد، فبنى على الدرعية سورين منضودين بالبروج، خشية التسور والعروج، ثم خرج بعد ذلك عريعر مع أهل الحسا وكافة بني خالد وأهل سدير والوشم والرياض والخرج، وكل منكر للحق جاحد، وعلى الباطل معين مساعد، وللضلال مؤيد معاضد، فأناخ أهل سدير والوشم والمحمل، ورئيسهم مبيريك بن عدوان، على أهل حريملا، وأقدموا يقاتلونهم ثلاثة أيام، فلم يكن لهم سبيل على أهل الإيمان، بل قُتل منهم رجال في أيام ذلك القتال، ثم رحلوا عنها وثؤروا منها، وطبوا من عريعر المدد والإمداد، ومساعدتهم بالجيوش والأجناد، فأمدهم بآل عبيد الله من بني خالد، وفرقان من عنزة كبيرهم ابن هذال، فأناخ الجميع على تلك السدة، والكل منهم قد بذل جده وجهده، وأرهف سانه، ونخا أصحابه وأعوانه، فأحاطوا بالبلاد، ودخلها منهم ثلاث حذوب<sup>(١)</sup> للجلاد، فانتدب إليهم أهل تلك المحنة، وأخرجوهم مهزومين من النخيل والمحلة، وأركبوهم ولله الحمد غارب الهوان والنذلة، وكفى بذلك عاراً

(١) هكذا ولعله قاله، إما لتحفيرهم، أو لتكثيرهم بهم كالحراد

ومذلة، وقتلوا منهم رجالاً عشرة، والجرح أكثر من أن نعدّه ونحصّره، ثم حرج أهل البلاد بعد ذلك النصر والناموس، وصدور ذلك الفعل المانوس، وسروا جملة مسرعين، إلى منخ تلك الأحزاب المجتمعين، فحين عاينوا ذلك الإقبال، ووجوه الرجال، ولوا على أعقابهم مدبرين، ونهزموا راجعين، وأخذوا أهل البلاد كثيراً من الأمتعة والزاد، ثم اجتمع ما ذكرناه آنفاً، بمن هو للتوحيد محارباً مجانفاً، وحصل التوافق مع عريعر ومن معه، واتفق رأيهم مع من ساعده وتبعه، أنهم يُلقون عصا التسيار، بالجيلة محبة الصحب الأخيار، وينزلون تلك الفيافي والقفار، ويقتنون أهلها إذا أسفر النهار، فعند ذلك ساروا جميعاً إليهم، ونزلوا بأجمعهم عليها، وطبّخوا تلك الخيام، على ذلك المقام، وأثبتوا العمد والأطناب، على رفيع تلك الهضب، وراموا تغيير منهج الحق والصواب، بما جدّوا به من البطل والضلال والإعجاب، إن ربك لسريع العقاب، فأمدّهم المسلمون برجال، وبقوا أياماً في أشد الجلال والقتال، ثم إن أهل الباطل والضلال عدّوا على القلعة وحاولوا الدخول، فلم يكن لهم إليه سبيل ولا وصول، وجاءهم وهم في ذلك المكان، من ورائهم أناس من أهل الإيمان، فلم يَلُ منْهم أحد على أحد، بل كلٌّ منهم امتطى قدميه وشرّد، وقُتِلَ منهم في أيام القتال، ستون من الرجال، وقُتِلَ من المسلمين نحو العشرة، ثم ولت تلك الأحزاب منهزمة منكسرة.

وفيها طلب أهل المحمل<sup>(١)</sup> من الشيخ ومحمد بن سعود الدخول في

(١) المحمل: إقليم من أقاليم نجد، وهو مجموعة من لأودية الصغيرة المنحدرة على السفح الغربي لجبل صويق (عريض)، ما بين سدير والوشم إلى الشمال من شعيب حريملا، وأهم بلدانه: شاذق ورعة والبر وليرة والعويند. ومعظم ما كان يُعرف بالمحمل يقع حالياً ضمن حدود محافظة نُدو.

الإسلام، فأعطوا ذلك المرام، وطلب عليهم نصف الزرع وربع الثمرة؛ فالتزموا، بتلك الأمور المقدرة.

وفيها غزا عبد العزيز بالمسلمين، فساروا ونزل بالقصب، وحعل له كميناً خارج البلد، يشد أعقاب من بادر إلى ذوي الغارة وطلب، فلما تبين الفجر وانجلى، وارتفع ضيؤه وعلا، وتبينت لأهل البلاد حال المسلمين، خرجوا إلى القتال أجمعين، فلما استمر بينهم القتال، خرج عليهم الكمين باستعجال، فولّوا مدبرين، وبقوا ببلدهم منحصرين، وقُتلَ منهم سيف بن ثقبه، ثم بعد ذلك طلبوا من عبد العزيز الدخول في الإسلام، وأن تجري عليهم تلك الشرائع والأحكام، فوافقهم على ذلك المرام، وصالحهم على النخين بثلاثمائة أحرر. فقبلوا ذلك المقرر.

ثم دخلت السنة الثالثة والسبعون بعد المائة والألف.

وفيها غزا عبد العزيز، أعزه الله تعالى، على الأعداء وأعنى به منار الهدى، فسار بأهل التوحيد، وغلب العنق على التوحيد<sup>(١)</sup>، فلم تطب له راحة في ذلك المسير، حتى أصبح على المجمععة مغير، وعدا على تلك البلد، وقتل فيها من وجد، فقتل في ذلك اليوم عبي بن دخان وأربعة من أولئك القوم، وعقروا كثيراً من الدواب، ثم انصرف إلى بلاده بحسن مأب.

وفيها غزا عبد العزيز بلدان الخرج، فسار إلى الدلم ودخلها لبلاً، وهجم وقتل من أهلها ثمانية رجال، وأخذ من دكاكين كثير أموال، ثم خرج منها وانصرف عنها، وعدا على قرية نعجان، فطهر عليهم أهلها فكسروهم بلا توان، وقتلوا منهم عوده بن علي، ثم رحعوا سالمين.

(١) عنق: نسير بين لإبطء والإسراع، ولتوحيد. السير السريع

وفيها أيضًا سار المسلمون. وأميرهم عبد العزيز، إلى ترمدا، فذروها بعد أن استنار الصبح وبدأ، وكنوا لأهلها على العدة، طلبًا للإفادة، فلما خرج أهلها إليهم، وأسرعوا إلى الفرع عليهم. وجرى بينهم لقتل، انكسر أهلها بعد ظهور الكمين بلا مهال، فقتل المسلمون منهم نحو أربعة رجال. وأصيب مبارك بن مزروع من المسلمين في ذلك المجال، ثم بعد ذلك أرخص عبد العزيز لمن معه من الرجال، أن يعمدوا إلى أهلهم، وسار هو بالجيش إلى الخرج وأجمع رأيهم عليه وحاله، فشنَّ على أهل الدلم الغارة، وقد سبقه عليهم النذارة، فلما أغر عليهم خرجوا مسرعين، فقتلوا أشد القتال مع المسلمين، ثم شدَّ المسلمون عليهم، وعمدوا بالصدق إليهم، فأنكشفوا مسرعين إلى الديار، وتحصنوا بذلك الجدار، وقتل المسلمون منهم سبعة، وأخذوا إبلا مجتمعة. ثم بعدما صر من الدلم، جمع رأيهم وعزم، أن يغزو الوشم، فسار على وجهته، وتصمم عزمه وهمته، فأَنخ على وشيقر ليلاً وهياً الكمين، فشعر أهل البلاد بالمسلمين، فخرجوا جميعاً إليهم، وأقبلوا للقتال عليهم، والكل قد صدق الطعن، في ذلك الوقت والزمن، حتى غشيتهم حملة الكمين، وخالطتهم أسنة الدفين، فولَّوا على أعقابهم مدبرين، وقُتل نحو العشرين، ثم انقلب عبد العزيز بمن معه إلى بلادهم راجعين.

وفيها عزل الأمير محمد والشيخُ مشاري بن معمر عن إمارة العينية؛ لأمر كثيرة شئت عنه شينه، وقدم الشيخ العينية تلك الأيام، وأمر سلطان بن محسن المعمره على من بها من سائر الأنام. وأمر بهدم قصر آل معمر، فهُدم ذلك القصر، لما حقق عليه الشيخ الأمر.

وفيها غزا المسلمون مفوحة وحرقوا الزروع، ثم كان منهم إلى بلدانهم العودة والرجوع.

وفيهما جرت وقعة آل ريس في بلد الرياض، ففتنوا من آل ريس أربعة بلا  
ارتياض، منهم علي، وقُتل معهم غيرهم.

وفيهما غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز، حرسه الله تعالى، آت عسكر من آل  
ظفير، وكنوا على الثمائية<sup>(١)</sup>، فصباحهم عبد العزيز بالغارة الشعوائية، فوقع  
بينهم القتال، واحتنك القضاء في المجال، حتى قُتل رئيس أولئك الأبطال،  
وكن يقال له فوزان الذبيحة من روس آل عسكر، فانكسر ذلك الفريق وأدبر،  
وقتل منهم عشرة رجال، وأخذ المسلمون منهم عظيم الأموال، ثم انقلبوا إلى  
بلادهم راجعين.

وفيهما غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز، فسار إلى الوشم، وحقق عليهم  
العزم، فوافق في طريقه خمسة عشر رجلاً من أهل ثرمدا، فشن عيهم الغارة  
وعدا، فزبنوا بدناً يقال له الحريق<sup>(٢)</sup>، فنازلها المسلمون، وطلبوا منهم أولئك  
القوم يخرجون، فأبى عن الموافقة والطاعة، من بالبلد من الجماعة، وقالوا هذه  
بئس الشناعة، فلم ألح عيهم عبد العزيز، وعرفوا أنه ليس دونهم أو الفدا من  
تجويز، افتدوهم منه بألف وخمسمائة زر<sup>(٣)</sup>، فقبل ذلك منهم وتركهم وصدر.

ثم دخلت السنة الرابعة والسبعون بعد المائة والألف.

وفيهما غزا عبد العزيز، أدام الله تعالى فوزه، وكثر من الخير حوزة، فسار  
بأهل الدين يريد سدير، وحث لأحق ذلك السر. فلم يصل إليهم حتى سقه

(١) قال ابن بشر (١ / ٤٣): «ماء معروف قرب بند رغبة».

(٢) مدة تقع في منطقة الوشم، تبعد عن شقراء ٣٠ كم

(٣) عبد ابن ستر (١ / ٤٣): «وافتدوهم منه بألف أحمر، وخمسمائة أحمر». وهو نقد

الذيير عليهم، فتأهبوا لإقباله واستعدوا لقتاله، ولم يكن معه من الركب سوى ثمانين من غير رتياب، فأغار على بلدة يقال لها الروضة<sup>(١)</sup>، وحرى بينهم قتال، وصار عن قتل شهيل بن سحيم الانفصال، ولم يُقتل سواه من المسلمين، ثم أقبل عبد العزيز بمن معه راجعين.

وفيها غزا عبد العزيز بالمسلمين سدير، فصارت على الروضة منهم الغارة، فخرج أهلها وابتدروا الحرب أعظم ابتدرة، وشدوا للقتال إزاره، فلما اشتد القتال وأججوا استعاره، ظهر عليهم الكمين فانكسروا أيّ انكسرة، وقتل منهم نحو الستة حين أعطى كل واحد منهم المسلمين أسنّه، ثم رجع المسلمون إلى بلادهم، بعد نيل مردهم.

وفي تلك الغزوة أغار المسلمون على الزلفي فحوة، فأخذوا سارح الأغنام ثم أدركهم فزع الأقوام، فتركوا ما معهم من الغنم، وصمموا على قتل من قصدهم ودهم، وجرى بينهم القتال ساعة، ثم كلّ إلى محله ارتجاعه.

وفيها سر عبد العزيز، أعز الله تعالى به المسلمين، وأدام له التأييد والتمكين، فنزل على الرياض بالمسلمين، وأعدّ في مظلم الديجور ما شاء من الكمين. فلما قارب الفجر في الانبلاج، تبين حال المسلمين ووقع في البلد الارتجاج، وخرج أهلها ووقع القتال بينهم، وعجل الله لأهل الباطل حينهم. فبعدهم حمي الحرب واستعر، وشدّ لهم تلك الأفزاع الأزر، ظهر عليهم من المسلمين لكمين، فلم يكن لهم عود ولا عوين، فولّوا سرعاً مدبرين. وقد كسرت رجل رئيسهم فهيد بن دواس، ولم يكن بعد كسره لهم صبر ولا احتباس، وعاش فهيد نحو أربعين يوماً بعد كسره، ثم حواه لحد قبره، وفتر

(١) روضة سدير، تقع على بعد ١٦٠ كم تقريباً شمال غرب مدينة الرياض.

منهم ثمانية رجال، واستشهد من المسلمين ستة في ذلك المجال.

وفيها غزا عبد العزيز بالمسلمين، فنزل منفوحة بالمريقات<sup>(١)</sup>، وأقام فيها بقية ليلته وبنات. فلما انبلج من الفجر الصياء، وتشعشع نوره وأصاء، وقد أعد الكمين في ديجر الليل، وكن للمسلمين إلى تخريب زروع منفوحة الميل، فلما تحقق أهل منفوحة ذلك الشأن، وتبين لهم في العين، لم يكن لهم عن اللقاء من توان، فلما خرجوا إليه مسرعين، وأقبلوا عليه مهطعين، ونوشوا القتال المسلمين، ظهر عليهم الكمين المذكور، وحان بينهم القضاء المسطور، فأضحى أهل منفوحة وأفزاع الرياض، كل منهم منهزماً مكسور، وقُتل من جميع تلك الأفزاع سبعة رجال بلا نزاع.

وفيها غزا المسلمون، وأميرهم عبد العزيز المذكور، ضاعف الله تعالى له الأجور، فصبح مسعد بن فياض مع قومه بالعتش<sup>(٢)</sup> في تلك الفياض، فلما طلعت عليه المسلمون، بقوا مدة يقتتلون، وراموا حماته ذلك الفريق، فلم يكن لهم إليها طريق، فشدد المسلمون عليهم الحملة، فلم يكن لهم دون الهزيمة مهلة، فاستولى المسلمون بعد الهزيمة، على جميع أموالهم فكانت غنيمة، واستاقوا جميع الأغنام والآبال، واحتوا على الأمتعة والأسلحة والأموال، وقتلوا منهم عشرة رجال، منهم سعد لقروى وأولاده، وقُتل من المسلمين ابن عزاز كما بن تعداده، ثم رجع المسلمون إلى بلادهم.

وفيها سار عبد العزيز بالمسلمين إلى قصر الغدوانة<sup>(٣)</sup>، يريد زيادة بناءه

(١) قال في «معجم مدينة لرياض» (ص ٧٤): «لمريقت: سم حي شهير وسط لرياض».

كن في الأصل قنعة حربية»

(٢) قل سر بشر (١ / ٤٤): «بين سدير والمحمل»

(٣) شعب يقع في حافة ودي حيفة في عرب الرياض



وتحصينه، ثم يرجع بعد حينه، ولكن إذ أراد الله تعالى أمراً فلا بد من إنفاده وتكوينه، فلما أراد الله ﷻ أن يبرز للمخلوق ما سبق في الأزل، ويبلو الناس بما فعل، ويهيئ الأسباب لمن دن له الاجل، همَّ عبد العزيز، بلغ الله به لأمل، أن يهجم على الرياض ليلة العيد، ويبيت أهلها ويبيد، فسار بعدما أظلم الليل وأغس، والصبح لم يتنفس، فدخل البلد من المسلمين عدوة، فرأهم رجاجيل لابن دواس صادرين من نادٍ أو ندوة، فعجلوا إليه بالأخبار، فلم يكن له دون ركوب الخيل من بدر، فخرج بخيله ورجاله ودولته، يريد ركن المسلمين مع جماعته، فبدر إلى الركن لمعد قبالة البلد، فلم يدرك منهم أحد، ثم ظهرت العدو التي دخلت البلاد، وقُطعت ساقة ابن دواس ومن معه من الأجناد، وشن المسلمون عليهم الغارة بالخيـل والجيش، والتهبت نار الحرب وزاغت الأبواب من الجزع والطيش. ثم انهزم دهام مع دولته بعد إذلاله وكسر حدته، وقد قُتل كثير من رجاله ومشاهير فرسانه وأبطاله، منهم حمد بن سودا وعبد الرحمن الحرثي وأبا المجبر، واستشهد من لمسلمين خزام ابن عبيد وعثمان بن مجلي.

ثم دخلت السنة الخامسة والسبعون بعد المائة والألف.

وفيها سار عبد العزيز بالمسلمين إلى منفوحة ليلاً، وقد أعد الكمين، فلما أخذ الصبح في الضياء والتبين، تبينت لأهل البلاد غارة المسلمين. فنهضوا إلى اللقاء، وبادروا من غير بقاء، فقتل الفريقان، وحمي بينهم الطعان، فلما ظهر عليهم الكمين، أدبروا منهزمين، وقتل منهم سعد بن محمد بن فارس وشيب الصنان، ولم يقتل من المسلمين إنسان.

وفيها سار المسلمون، وأميرهم عبد العزيز، إلى الخرج وكن لأهل نعان، ولم يفتن بذلك من أهلها إنسان، فلم تبين الصبح وأنار، خرج أهلها للقتال

عسى البدار، فاستعجل كمين المسلمين بالظهور، وذلك لما قدره الله من الأمور، واشتد بينهم الفتل ثم انكسروا على استعجال، وقتل المسمومون منهم سبعة رجال، وحصروهم في تلك القرية أياماً وليالي، وقطعوا من تلك النخيل العوالي.

ثم سار عبد العزيز بمن معه إلى الوشم، ودخل ضمرا لأجل تذهب الأزواد، ثم ساروا ولم يكن لهم دون مرات من مراد، فلما وصل في الليل إليها، وقدم في الظلام عليها، هيئاً للحرب كميته، وأمرهم بالصدق وإخلاص النية، فلما تبين الفجر وانكشف، وولّى مدلهم الليل وانحرف، تبين لأهل مرات الحار، فلم يكن لهم دون اللقاء من مجال، فخرجوا للحرب مستعدين وللموت مستوطنين، فلم يذبوا غير ساعة بعد ظهور الكمين، ثم ولّوا على أعقابهم مدبرين، وقتل المسلمون منهم قريب عشرين، وقتل من المسلمين رجالان، ثم انقلب المسلمون إلى البلدان.

وفيها أيضًا سار عبد العزيز ومن معه إلى الوشم، ونزل بأهل الفرعة، وأنخ عليها في الليل جيشه وجمعه، فلم خرج أهلها لقتال المسلمين، واستمروا عسى القتال مجتمعين، خرج عليهم بعد ذلك الكمين، فولّوا مسرعين، وقتل منهم سبعة رجال، ولم يقتل أحد من المسممين في ذلك المجال، ثم بعد ذلك بأيام طلب أهل الفرعة من أهل شقرا لدخول معهم في الإسلام، فأحابوهم إلى ذلك المرام.

وفيها أيضًا غزا عبد العزيز بالمسممين يريد ثرمدا، وقد جد لأجل ذلك المسير، فسبّقه إليهم النذير، فلم أغار عليهم ثم يدرك المراد، لتحصن أهل البلاد، وجرى الرمي من بعيد، ولكنه لا يجري ولا يصد، ولم يقتل من أهل البلد سوى شخص في لعدد، ثم سار في وجهته وطريقه ذلك وغزوته، ونزل بين

الفرعة ووشقرو، وبنى هنالك قصرًا يكون للمسلمين تغرًا، ويضيّق عبي وشيقر وأهله. وهذا من سديد رأيه وفعده، وأعد فيه للحرب والقتال شردمة من الرجال، ولم يزل ذلك القصر مأهولًا، وبالمسلمين موصولًا. جمعًا لأسباب العمارة والنظم، حتى دخل أهل وشيقر الإسلام.

وفي تلك الغزوة أيضًا وضع عبد العزيز في شقرا خيلًا ورجالًا، زيادة على من فيها ليحسنوا بذلك حالًا، ويزيد أهل البطل بهم ذلة ووبالًا.

وفيها غزا جدعان بن قعية بأهل عشر ركاب من المسلمين، فوافقهم ابن فيض مع غزو معه فناروا عنه مجتمعين<sup>(١)</sup>، وتزبّتوا قدرة في ذلك المكان، ثم دعاهم شخص من عرينة بالأمان، فلما أقبلوا إليهم نبذ العهد وخن، ولا غرابة في هذا فقد وقع نظيره في سابق الزمان، وقُتِل في تلك الغزاة عبد الله بن براك ومعين بن ذباح وجدعان بن قعية وغيرهم نحو العشرة.

وفيها عدا المسلمون على ضرب مقرن في الرياض، فاقتتلو معهم، وقُتِل من أهل الرياض ثلاثة، وأصيب شعلان بن دواس، وستشهد من المسلمين عبد الرحمن المشهوري وحمد بن سليمان القاضي.

وفيها أكل الدبى والجراد جميع زروع نجد وأشجاره، وحمى الله أثماره.

ثم دخلت السنة السادسة والسبعون بعد المائة والألف.

وفيها غزا عبد العزيز فسر بالمسلمين يريد الرياض والهجوم عيها، فجد السير حتى نزل حواليتها. وعبأ كمينه وعدوته، وهب في ليله سطوته، فدخل البدة العادون وأقاموا بها يرتادون، حتى لمع بريق الفجر، فعلم ذلك الشأن

(١) ناروا هربو

والأمر، وأقبل أهل الريض، في أشد عزمه وانتهص، فتجالدوا مع العادين، وكانوا لهم مبادئ، واستمر ذلك القتال في ذلك المجال، بين أولئك الرحار، فقتل أربعة من أهل البلد، فولوا مدربين، وقتل دهمش بن سحيم من المسلمين، وفيها أيضًا سار عبد العزيز بالمسلمين، وكنوا لأهل الريض منتدبين، فأسرعوا لذلك الشأن، حين تحكّم الرقاد في الأجفان، فوصل إلى تلك البلاد، فعبأ للعدوة من أراد، وكانوا نحو المائتين من غير شئ ولا مئ، فدخلوا البلد واختفوا منها فيما اطمئن، وعندهم أن أهل البلد لم يكن لهم فطن، وظنوا أن عيونهم قد حكم عليها الوسن، وقد أراد الله تعالى أن يعلم دهم بما دبروه حالًا، فأتاه من أصدقه مقلًا، فعند ذلك شمر هو ومن معه عجلًا، وأتاهم في مكانهم فرسانًا ورجالًا، وأراد أن يقطعهم دون الجيش الذي أبدى عن البلد اعتزالًا، فبادره المسلمون حملة واحتمالًا، وشمروا له جلاذًا وقتلًا، وأقبل بعد ذلك الجيش مشمرًا للجلاذ أذيلًا، فاقتتوا ساعة ثم انهزم دهم، وقد قُتل من قومه ستة رجال، وثلاث من الخيل، ونال ولله الحمد هوانًا موالًا، وقتل من المسلمين شريان، ورجعوا بعد ذلك بالأجر والإحسان.

وفيها عدا دهم بن دوس، وأبدى غية الكيد والإبلاس، ورام بالمسلمين قاصمة الظهر، ولم يدر أن الله تعالى يريد لهم التمكين والظهور، فأعد لباطل ذلك الكيد عدة، وأعد لذلك الأمر أهل الوحدة، واختار ذوي البأس والشدة، ولم يكن عند المسلمين بؤهم ولا يفسر، مما در من حاله وقبيح أفعده، حتى جاء المسلمين النذير، يخبرهم بوصوله واستعجاله، فتفاوض المسلمون في الرأي والتدبير، ومن أين يكون الخروج للعدو والمس-ير، فأش-ر عبد العزيز على والده محمد برأي مبارك رشده، وتدير ميمون سديد، وذلك أن المسلمين يحرقون من القرى لكوبه ضامًا خفي، وأرسلوا لها سبرًا بحقه حرًا، فلم

يَرْعُهُمْ إِلَّا الرمي وصوته، فبادروا إليه قبل هونه، فالتقى الخيل مسرعة، وأطلقوا أعتتها فتبعه، حتى فجأوا دواسًا ومن تبعه، فاشتد بينهم القتال، ثم تلاحق الجيش والأبطال، وحمي الحرب وسنعر، ولم يكن لأحد دون الذب عن عمره من مفر، حتى أن الله تعالى جلت حكمته وعمت رحمته أيد المسلمين وبصر، ورزقهم على عدوهم الظفر، فقتلوا من أهل الرياض خمسة وعشرين، ثم ولوا بعد ذلك مدبرين، وغنموا أربعة من الخيل، وأخذوا جميع الركب، ولم يكن لهم غير بلدهم من طلاب.

وقد كان عبد العزيز قبل قدوم هذا لخبر يشتكي من ألم الحمى بعض الضرر، فلما جاءته بذلك الأخبار لم يبال بما معه من الأضرار، بل شمر ساعده وشد الإزار، للقاء الأعداء والفجار، وقام في ذلك الأمر وقعد، وجد فيه طاقته واجتهد، حتى أنجح الله تعالى له ما قصد، وحقق له في أعدائه سؤله، وبلغه في أهل الباطل مأموله، وحمده في تلك الأفعال أهل الإيمان والكمال، وقتل من مشهير خيالة أهل الرياض: علي القروى وسعد المربع ومانع بن مشوط ومبيريك بن مبارك، فشفى الله تعالى بذلك قلب عبد العزيز والمؤمنين، وأذهب غيظ قلوبهم أجمعين.

وفيها غزا المسلمون، وأميرهم عبد العزيز، الحساء، فأزال الله تعالى بذلك الغزو عن قنوب المسممين الهم والأسى، وكانت خيل المسممين قريبًا في العدد من ثلاثين. فوصل إلى تلك الديار. بعدما أخذ النهار في الإدبار، وذهب ضوء شفق النهار، فأنخ قرب البلاد. وأرسل عبته إلى المطبري<sup>(١)</sup> ليردد، فألفهم وقد أخذ الرقد من أحفانهم المراد، وحكم عليهم الكرى بالإهجد، فأخذ في

(١) من قرى الأحساء، تقع على بعد ١٠ كم شمال مدينة المبرز

أهبة دخول البلاد، بالتهيئة والاستعداد، فلما انجلت من اللبس غباهه، وندت من الصبح سوفره ومدهه، هجم عليهم لمسلمون فيها، وحالوا في قاصبيها ودانيها، واستداروا في بيوت تلك البلد، يقتلون من يشاهدونه من أحد، فلم يسلم إلا من اختفى أو شرد، فقتلوا السبعين من أولئك المشركين، وأخذوا من الأمتعة والسلاح والدواب ما لا يحصره العد والحساب، وحسن للمسلمين في ذلك المآب.

فما أرادوا إلى نجد الرجوع والانقلاب، أغروا على أهل المبرز في ذلك الصباح، وقتلوا أيضاً في طريق تلك النخيل من أهل الفلاحة بعض الرجاجيل. ثم انقلب المسلمون راجعين، فلما أتوا العرمة<sup>(١)</sup> وفقوا أناساً مجتمعين من أهل الرياض وحرمة، فقتلوا أهل الرياض وأخذوا أموالهم، وتركوا أهل حرمة وحالهم، لأنهم إذ ذاك مهادنون، وفي السلم داخلون.

ولما وصل المسلمون إلى الرياض في هذه الغزوة، أغروا على أهلها فجوة، وأخذوا لأهل منفوحة أغنام. ورجع كل إلى بلاده بالسلامة والأغنام، وقسمت تلك الغنائم في الدرعية، بين الغزاة بالسوية.

وفيها وقعت الردة من أهل وثيثة، وذلك أن أهل وثيثة، لما أرادوا أن ينبذوا الإسلام ويبدؤا للعهد نكثاً، أرسوا إلى إبراهيم بن سليمان أمير ثرمدا يخبرونه بما عزموا عليه من الشأن، ويستجدونه على القدوم ويحثونه على الوصول إليهم والهجوم. فقل: ذلك ما كنا نريد، وهذا هو الرأي السديد. فقتلوا عبد ذلك عبد الكريم بن زامل، ودخنو مع إبراهيم في طريقه وعهده، وانتظموا في سلكه وعقده.

(١) العرمة. منطعة جسه تكون على سمن المسحة شمالاً مع طريق الرياض القصص السريع،

وفيها غزا عبد العزيز، حرس الله مهجته، بالمسلمين وآل كتبر، يريد سبع. لم نقضوا لعهد، فجد في المسير، وأخذ سائراً في الجنوب يريد سرعة لوصول. فوفقههم على سبيل الدبول<sup>(١)</sup>، فأغار عليهم من المسلمين الخبوع. ولحقهم الحيوش مثل السيول، فوقع بينهم المصادمة والقتال. ثم كد عن قتل مائق بن شلية الانفصال، وأخذ المسلمون منهم نحو المائتين من الإبل، ثم رجعوا إلى بلادهم وقد أدركوا الأمل.

وفيها غزا المسلمون سدير، وقصدهم بذلك بعض العربان، فلم يوافقوا أحداً في ذلك الزمان.

ثم دخلت السنة السابعة والسبعون بعد المائة والألف.

وفيها كتب دهم بن دواس الشيخ والأمير محمد بن سعود، على أنه يريد الدخول في المنهج المحمود، ويلتزم القيام بجميع شرائع الإسلام، ويحافظ على الوفاء بالعقود، ويقسم أعظم الأقسام أنه يوفي بالعهود، فوافقوه على ما طلب وأراد، مع عزمهم بأنه لا يوفي بوعده ولا ميعاده، ولكن لا يسعهم أن يصدوا عن طريق الحق والرشاد، من أراد الدخول فيه من العبد، وطبب الدلالة والإرشاد، ولكن طلبوا عليه على سبيل لتوبيخ له ولتنكيل، وطريق التأديب عن التغيير والتبديل، أُلْفِي زرع معجلة وأموال المهجرين، يرد كل لمن هو له، فالتزم بذلك الصدق والقيم، وأظهر غاية الانقياد والالتزام. وأرسى إلى الشيخ والأمير، ما شرط عليه من النقد في التقدير.

وفيها سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز، حرسه تعالى وأفض عليه بره ووالى، إلى سدير، لملافة ذلك العدو الكثير، فما وصل إلى جلاجل.

والطلام قد أخذ في التراجع. وأقام يهيئ التدبير لملاقاة العدو الكثير، فلم يبلج من أصبح عموده، حتى استعدت أحزابه وجوده. وكمن في موضعه الكمين، وعرف أهل الغارة من المسلمين. فلما استنار بياض الصباح. وخرجوا للقاء والكفاح، فلم يبتثوا للقتل إلا يسيرًا. ثم صار ذلك الفرع ينهرم مكسورًا، ولم يكن لهم عن دخول القرية من براح، وفي الحقيقة ليس عليهم في ذلك من جناح؛ إذ لا طاقة لهم ولا لغيرهم بالمسلمين في الكفاح. وقُتل من أهل البلاد عشرة رجال في التعداد. وقطع المسلمون عليهم بعض النخيل. ثم انصرفوا راجعين بالتأميل. وقُتل من المسلمين فرحان التمامي وصالح بن محمد بن صالح.

فما وصل المسلمون إلى رغبة، فإذا غزو من أهل اليمن قد أخذوا فريقًا من سبيع في الدمة ونهبه. واستولى على مال ذلك الفريق وسلبه، فأخبر ذلك الفريق عبد العزيز في أثناء الطريق، فشمر ساعد الجد والعزم. ورفع إزار الهمة والحزم، وسار في يومه ذلك عن ساعته، مع من معه من أحزابه وجمدته، وحث على ذلك الجياد، ولم يُثنِه حرسه الله البعد والبعد، ولا خوف ملاقات الأجناد، وسأل الله تعالى أن يعينه على ذلك المرام والمُراد، ويبغى ما أمّله من أهل الفساد. وأخذ سائرًا في آثارهم متطبًا لأخبارهم. حتى وصل إلى فيفاء سهية. تسمى إذ ذاك قذلة<sup>(١)</sup>، فإذا غزو اليمن قد ألقى بها رحه. وصرح بها قبله وثقله، فلم يكن لهم دون لقائهم ساعة ولا مهلة. حتى نلاحمت الخيول والأبطال، وتلاحقت بالجيوش والرجال، وطال بينهم لطعان في ذلك لمجال، وصدق المسلمون النية لمولاهم، فأنجح قصدهم ومدهم، فشدوا

(١) قال ابن شهر (١ / ٤٧): «بين سد الفويجة وسعود»



على أهل الشرك والضلال، ولم يكن لهم دون هزيمتهم من إمهال، فقتلوا منهم نحو الخمسين، وأسروا مائتين وأربعين، وأخذوا ما معهم من الخيل والركاب. ولم ينل لمسلمين من مصاب، وكانت ركائب المسلمين فوق المائة على التحقيق لا التخمين، وخيلهم نحو الأربعين، وانقلب المسلمون إلى أهلهم راجعين، وكانت هذه الواقعة العظيمة والمئة الجسيمة في شهر رمضان، فحصل السرور والتهان.

ثم دخلت السنة الثامنة والسبعون بعد المائة والألف.

وفيها غزوة تسمى غزوة المديهم، وكانت في صفر، ودلت أن عبد العزيز، أعزه الله تعالى بالإسلام، وأنجح له السؤل والمَرام، غزا بالمسلمين ومعهم في تلك الغزوة دواس بن دهم مع قومه، فسار عبد العزيز مُجِدًّا في يومه، ولم يزل في السير مُجِدًّا يبذل فيه جدًّا، يؤثر الوحد فيه عى الذميل<sup>(١)</sup>، ولا ينيخ فيه إلا القليل، وقصده بذلك الغزو والمسير فرقان من آل ظفير، يسمون مديهم، وقد كانوا على جراب ماء بنجد مقيم، فنزل بمن معه قريب ظلمة الليل البهيم. وأرسل عينه إليهم، فنظرهم وأشرف عليهم، فإذا هم عى التحقيق فريقان، ولقدؤهم لا يطاق ولا يدان، وليس لأحد به يدان، فم يكن لعبد العزيز سوى طلب المعونة والانتصار، من الملك القهار، على أولئك الأشرار. وبذل الجهد والاجتهاد في قتال ذوي البغي والفساد.

وتفاوض المسلمون بينهم في صمة القتال والتلاق؛ لأن الفريقين كانوا في المزل على افتراق، فتخوف المسلمون منهم أنهم إذا صَبَّحوا فريق عشيهم الفريق الثاني بالتطبيق، وكان المسممون إذ ذاك ليسوا بالكثير، وركبهم لا تزيد

(١) لوحد لسر السريع والذميل سبر لعد من لوحد.

على مائه وثلاثين بالتصدير، فأشار عليهم المدرك الميمون، برأي به النجاح يكون، وذلك أنهم يجتمعون ويحملون على فرق رجالاً، فإذا انكسروا انقلبوا إلى ركبهم فركبوها عجالاً، فيحملون بعد ذلك كفة مجتمعين، فيهزمونه أجمعين، فلم أضاء الصبح ونور، أخذ المسلمون في ذلك الرأي المدبر، فلم يذعن تلك الأعراب إلا أسنة المسلمين الأحباب، فبقوا معهم ساعة في جلال وبذل وجد واجتهاد، حتى عينوا ما ليس لهم به قبل، فولّوا سراعاً على عجل، وقُتِلَ منهم نحو الثلاثين. وأخذوا أموالهم أجمعين، وقُتِلَ من المسلمين المغيليث، ورجعوا إلى بلادهم بتلك الغنائم، ولم يقع لهم مثلها في المقاسم. وفيها في ربيع الثاني جرت على المسلمين وقعة الحائر<sup>(١)</sup>، ذات اللقب المشهور والاسم الظاهر، وذلك لما اقتضته الحكمة الربانية والقدرة الصمدانية، من وقوع أسباب المحن وفتح أبواب الشر والفتنة، وابتلاء أهل التوحيد والإيمان بذوي الضلال والعصيان، وتسويل أولياء الشيطان لكل ضعيف اليقين والإيقان، أحوال الردة والافتتن، وتمييز أهل الباطل والفجور والضلال من ذوي التوحيد والكمال، حتى يتميز ذلك لدى الناس، ويظهر الطيب المبرء من الأدناس، من الخبيث المتضخ بالأرجاس، ويشاهد حاله ويستبين ﴿وَلَسَلَوْكُمْ حَقَّ نَعْمِ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّالِّينَ﴾.

فكان سبب تلك الواقعة والذلة الجامعة، أن أهل اليمن لما أخذوا وأسروا، وقتلوا في قذلة وقُهرُوا، شَمَرُوا للثأر أطراف الدين، وحدوا في السير لنهار وليل، فلم يخطئوا عن الوصول ولقدومه، والمسير إلى نجران والهمحوم.

(١) قال ابن بشر (١ / ٤٧). «المعروف بحجر سبيع، بين الخرج والرياص» بعد عن الرصاص حنونا حوالي ١٧ كم

فشكوا لهم الحال وما عاشوا من الوبال، وشرحوا لهم على التحقيق ما صدر عليهم بذلك الطريق، وأن أصحابهم في الأسر والأغلال يعدون كل يوم على النوال، ودعّوهم إلى المسير والسيار، ولأخذ لهم بالثأر، وانتدب لهم بالمراد تلك الجماعة، والكلّ منهم مدّ للشرب معه.

وكان الداعية في ذلك الشأن رئيس نجران، واسمه لحسن بن هبة الله، قبحه الله وأخزاه، فجمع جميع أهل نجران من الحضر ولبدووان، والتأم معه قبائل اليمنان، فأقبلوا سائرين على عجل، حتى اجتمعت تلك القبائل ولدول، ووطنوا بلاد المسلمين، فجاءهم خبرهم اليقين على التفصيل ولتعيين، فجمع عبد لعريز، رحمه الله تعالى، مقاتلة المسلمين والإسلام، ممن بلغ سن الاحتلام، وأمرهم بالتأهب والقتال، والاستعداد للقاء ذوي الضلال، وسر بهم جميعاً يريد قرية الحائر، وكانت من بلاد المسلمين، وقد أرسل لهم قبله مدداً يكون عوناً وذخراً، فلما وصل إليها وأشرف عليها، وقد كان رئيس نجران بها نازل، ولأركانها حافل، وبقي بها مدة أيام وليال، كل يوم يقع بينه وبين أهلها قتال.

وقد كان المسمومون في مسيرهم إلى الحائر، الذي نزل به ذلك لعدو والجائر، والجنود المارق الفاجر، يتكلمون في مسيرهم إلى العدو والذهاب، بدلائل الخيلاء والإعجاب، الذي يكون غالباً به المعقبة ولعقاب، ويصير سبباً إلى لاثلاء من رب الأرباب، فحين التقى المسلمون بأولئك الأحزاب، وقد وطنوا أنفسهم في ذلك الموقف على بغاء الثواب، وبذل غالي ارفق، حمي بينهم الوطيس، ولم يحصل بين الأبطال تفيس، وبقي فرسان الإسلام حجول، ورجالهم نسأ الله النصر وتصول، حتى قدروا أن يكسفوا أولئك الأعداء، ويخلصوهم ثياب الردى، ولكن أراد الله تكريمة أولئذه، وحذلان أعدائه، ونسب

حرب المؤمنين ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ لَدَيْكَ صَدُوقُ وَلِيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ فكتب على المسلمين الهزيمة في ذلك اليوم، وتبع ساقتهم أولئك لقوم. وحققت عليهم الهزيمة. وقُتِلَ منهم مقبلة عظيمة، تقارب على التحقيق واليقين. أربعاً من عقود المئين، فصارت هذه الحادثة والنزلة الكارثة طهرة وتمحيصاً للمؤمنين، ومحققاً لضلال والمعتدين، ورفع درجات للمستشعدين، وعبرة للمعتبرين.

وأقام رئيس نجران أياماً بذلك المكان، ثم ارتحل بالغدوانة، فكان ذلك الباطن مكانه، ولما نزل بذلك الموضع المذكور، خرج أهل ذلك القصر المشهور، إلى إبل له نحو عشرين، وأخذوها وانقلبوا راجعين، ثم تحصنوا في مكانهم، وقتلوا من جماعته ثلاثة أشخاص من ساعته، ثم بدا عليه دهام بن دواس، وأهدى عليه هدايا لقصد الإيناس. ورغبة مما في قلبه من الشر والإفلاس. أن يمشيه ويسير به على بقية المسلمين والناس، ووعدته على ذلك كثيراً من الأموال، وأنت إن جردت سيف الجهاد والقتال، في هؤلاء الذين اعتدوا في الفعال، وفتحت بلدانهم، وقتلت أعوانهم، فزت بالسودد والمحمد، وألقت إليك نجد بالمقالد. وصرت رأسها ورئيسها، وغرتها ونفيسها، وغدوت حاكمها وواليها، تنفذ التدبير في أسافلها وأعاليتها، فهش الخيث عند زخرف ذلك المقال، وبش حين ما وعى ما موه عليه من الأقوال، ولم يدر حاله، ولم يختار أفعاله، بل بدا له أنه ناصح أمين، يريد له الظهور والتمكين، وما عرف أنه خائن أفك، ومعتد سفاك، وحنه على التأخر والإقامة، وأظهر حشمته وإكرامه.

ثم أرسل أيضاً دهام إلى عربعر بالخبر والإعلام. ويحثه على الظهور إلى نجد، ويفرس له امرام والقصد، ويسنجيشه في ذلك العام. ويحبره أن أهل نجد في غير نظام، وأن كلمتهم منفركة، وأحوالهم متشتتة منمزقة.

وفي إقامة رئيس نجران تلك المدة كذب المسممين، في القوم الذين كانوا

عندهم مأسورين، فقبلوا ذلك الحال، وكان الشرط بينهم في المقال، أن يُطلق ما عنده من أسرى المسلمين، ويطلقوا من عندهم أجمعين، وقد كان الرئيس المذكور عنده من أهل الإسلام ما هو مأسور، نحو الثلاث من المئين، فأطلقهم جميعاً مكرمين. وقد مكث في ذلك المكان نحو خمسة عشر يوماً من الزمان. وقدم عليه أيضاً في ذلك المكان ذو الضلال والطغيان، زيد بن زامل<sup>(١)</sup> وفيصل بن سويط<sup>(٢)</sup>، وأثنوا عليه في تلك الأفعال، وحمدوه في ذلك القتل والقتل، والتزموا له إن بقي جزيل لأموال، فلم يبق إليهم بال، ولم يَرَ لبطل ذلك المقال، وأرسل عريعر إليه يندبه أن يقيم بمكانه، حتى يقدم عليه، وأرسل إليه بالصحف ولمكاتيب، وزخرف الأباطيل والأكاذيب، ومموهات الرسائل والأرقام الموعود فيها بنفائس الأموال، والحطام وأجاويد الخيل الكرام، إن بقيت في ذلك المقام حتى أقدم عليك بالجيوش العظم. ويمنيه منكراً وزوراً، ويعده باطلاً وفجوراً ﴿يَعِدُّهُمْ وَيَمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ فلم تُجد تلك الوعود فيه، ولم يجنح إلى ما يعده ويمينه، ولم تُرض للإقامة شكيمته، ولم ترض بباطل الوعود شيمته، ولم تركز لما زخرفوه همته، ولم تُصغ لها عزيمة، ولم تكن نفسه أبيّة عن الأطمع، بل تطمع في المال غاية الأطماع. وتنزع إلى حبه أشد النزاع، ولكن لما قذفه الله تعالى في قلبه من الرعب والإفزع، والخوف والأجزاء، لم يقم غير ما ذكرنا في تلك البقاع، وأزاله الله تعالى عنها، وطرده وقذفه في هوة الذل وأبعده، ولم يحسن له بعد تلك الأفعال له شأن ولا حال. بل كتب عليه الهوان والإدلال. وأصيب بالنقمة من الكبير المنعزل.

(١) أمير اندلم

(٢) شيخ بظفر

وقد المصنف في ذلك الحال :

عين جودي بواكف هتان واسكي عبرة من الأجفان  
وأفيضي على الحدود دموغاً تحكي صوب الغمام في الهملان  
واهجري لذة الكرى في الدياجي قد كفى ما جرى من الأحزان  
واذكري معشراً وابكي مصاباً ما جرى مثله بماضي الزمان  
لهف نفسي على فراق صحاب قد تنالوا بطاعة الديان  
فهدوا للجهاد صدقاً وباعوا غالي النفس في رضا الرحمن  
أسرعوا في امثال أمر إله إذ دعاهم إلى قصور الجنان  
صدقوا ببيعة عليه وأوفوا ومضوا مسرعين للفران  
فأنيلوا الحياة مع مشتهى الجنات والخور في رفيع المكان  
وانقضى راجعاً بخزي وذل من أتى غازياً مع النجران

وفيهما خرج عريعر إلى الدرعية، مع بني خالد كفه وأهل الحسا وسائر  
الرعية، فلم تصل جيوشه وأجناده وعساكره وأمداده إلى رمال الدهنا، حتى  
اختلج رئيس نجران ذهنً، ومزج الخوف له، وملأ الله بالرعب قلبه، فلم يلبث  
بعده إلا قليلاً، ثم جد السير إلى بلاده وخدا ودميلاً، وآثر الليل هادياً ودليلاً،  
فلما وصل عريعر إلى فياض الحسا، وارتوى من تلك الحياض القعساء، طب  
كثير من أهل البلدان نفساً، ولما استقر به القرار، في معمور تلك الديار،  
واشترت حنوده في فسيح ذلك الوهاد، ومثت تلك الفيافي والمهاد، تبين من  
أهل نجد الارتداد، ونجم الضلال والنفاق، وقم الباطل على ساق، ودعا فلئت  
سرعة له أعوانه، وأجابته على الفور أخصانه، وسارعت إلى دعوته شياطينه  
وإخوانه.

وأول من أجاب لداعبه، ولبي الصوت منديه، وبدر إليه عجباً، وسار له

هرولة ورملاً، ورام بأن يبلغ بذلك البطل أملاً، وشهر راية الفتنة والإبلاس. دهم بن دواس. فكان مما رام بها على خيبة وإفلاس، وأهل منفوحة سلكوا معه في ذلك. العرب، وتتابع بحد من ذوي الإسلام والعهد أجمعين ﴿وَمِنْ سَائِرِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ ضُمَّانٌ بِهِ. وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أَنْقَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

ثم إن عريعر استشار من أهل نجد ذوي المعرفة ولشأن، في المنزل الذي ينزله من الدرعية مع تلك العربان، ويسع الحضر والبدو من أهل لحسا وسائر البلدان. فاستقرت الفكر والأذهان، على أنه ينزل بين قري القصير وقري عمران<sup>(١)</sup>، كما هو معروف بذلك إلى الآن، فوجلت قلوب أهل البلاد، مما جاء به وكاد، ومجره عليهم وقاد، وملئت قلوبهم مخافة ومهابة. حين ضرب خيامه ومدّ أطنايه، ودهشوا من ذلك الكيد بالإرعاب. وأزعجهم ما رأوا من الأجناد والخيلاء والإعجاب، وما شاهدوا من عظيم تلك الأسباب، وبهرت قلوبهم تلك المدافع، التي ليس أحد دونها بممنوع.

ولم يكن للمسلمين غير الله دفع، ولا سواء من معين ولا مدافع، فأنابوا إلى الله واستسلموا، ولجأوا إليه في كشف ما به دُهِمُوا. وتحققوا أنهم على الدين المنصور وجزموا، وجردوا سيوف الهمة على القتل وعزموا. وعلموا أنهم يرحمون فأعينوا ورُجِموا. وكلُّ صدق النية لله وأناب. وأخلص في الإيمان والاحساب. رجاء من الله في جزيل الثواب. وتأميلاً من المولى أن يحسن لهم المآب.

(١) حوَر الدرعية. ولقري (وبصغرة: قُري). سم لكر محرى سين بعطيه، وهو يُشبهه لروضة، غير أنه عدل لا يستقر به الماء «معجم اليمامة» (٢ / ٢٨٣ - ٢٨٤)

فلما أناخ بذلك المكان للمسيح، أقام ذلك اليوم ولم يبد حرباً ليسنريح، فلما بدا اليوم الثاني نهض مسرعاً من غير نوان، حين أكملت الطلوع شمس، مشمراً لقتال طيبة نفسه، وقرب المدافع والآلات، وتلك الجيوش المزعجات، إلى قريب من الجدارات، وأقام يرمي بها رميات، يريد أن يهدّ تلك اللبذات، ويقض تلك البروج المستكينات، وأخذ يحث الرمة ويزجر، ويرد عليهم ويصدر، فلم ينل ولله الحمد المراد، وصدر وما أفاد، ولم ترم مدافعه لبنة من جدار، فكان للمسمين ذلك اليوم أعظم اعتبار، وزيادة يقين في دينهم واستبصار، وقوة رجاء في الإعانة والانتصار، فكأنما والله قد نُشطوا من عقال، أو خرجوا من حبس واعتقال، بل كان الخوف لم يخطر لهم على بال، ولا ريب أن هذا تثبت من الكبير المتعال، وتأيد من ذي العزة والجلال، وإلا فقلوب البشر لا تطيق بعض ما صدر، ولكن كما قال تعالى: ﴿وَلَيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ، إِنَّكَ اللَّهُ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

ولما كان آخر النهار قبل وقت الإعصار من ذلك اليوم المذكور، خرج المسلمون للعرضة خارج السور، وكان ذلك بأمر عبد العزيز، حرسه الله تعالى من جميع الشرور، ففرح بذلك أولئك الجنود، وقالوا هذا المنى والمقصود، فأسرع عليهم الأقوام، وكانوا على تهيئة في الانقسام، فأطلقت الفرسان على من خلف السور كان، وأسرعت الدول تسير على عجل، تريد من عبو الباطن الدحول، حتى يفوزوا بالأممور، فدخل عند ذلك عند العزيز ومن معه من أهل النجدة، وكان عبو الباطن مراده وقصده، فسبقهم إليه قبل الدحول، ولم يكن لهم إلى النمكن فيه وصول، فلم يكونوا من مأمولهم على حصول، وأخرجهم المسمون منه قسراً، ونحوهم عنه فهراً، وقتلوا منهم رجال، وأخذوا فرس ديوان، وكن لعريعر خيال، وقُبل من المسمين سلطان بن عدوان، وهويدي بن



نعران، وبنى عبد العزيز في ذلك ما هُدم، وأحكم بناءه وردم، وأقاموا على ذلك أيامًا فلائل، كل يوم ينصبون لحرب الحبال، ويعمسون الآراء والفكر، فيم بقع بالمسلمين الأضرار والضرر، وقد أقاموا من الألام مدة في أعظم ضيق وخرج وشدة، وقد بلغ الضرر منهم حده، والكل منهم يتحسر ويتندم على مجيئه الذي تقدم، ويسوف ترياق الأسف والحسرة، ويعرض أنامله من الندم، حيث أجمع على المسلمين أمره، وأضحى عريع ذلك الجبان مما شاهده وعيانه، وصار يدعو بالخيبة والعتار والويل والدمار، على من عليه أشار بذلك المسير والتسيار، فكثروا في المنزل في غاية النذل، يقاسون من الظم والعطش شدائد، لبعدهم عن المياه والموارد، وكل يوم تغيب شمسهم وتطلع، تطلب نفسه الهروب وتنزع، ويروم الرحيل والترحال، لما وقع به من الوبال، وتأتيه شياطين أولئك الأعوان، وتثبته على الإقامة بذلك المكان، مثل دهم بن دواس وزيد بن زامل، وأمثال هؤلاء الذين كل منهم لغرضه محاول، ولقمع الدين وأهله أمل، فيلين لهم بعض اللين، وينخون أيضًا بني عمه عليه، فيأتونه للراضة<sup>(١)</sup> ويستكين، حتى نفخ الله تعالى سحره وطش، وأراد العجلة والانحياش<sup>(٢)</sup>، فأتوا إليه وتلَبَّوه، وحاولوه بضًا وظهرا وقلبوه، فلم يروا فيه وُجْدًا، ولم يجدوا به وردًا، ولكنهم أدركوا منه تسييرًا ومعدًا، وخذوا له في ذلك حدًا، وذلك بعدما أتوا إليه عتاء أهل الحرب، وزبنوا له الإقامة وقالوا نحن نعرف المسبأ والطريق، ونحن لك القددة، وسترى منا لك الإفادة، فراض إلى قولهم، وقصد معرفة فعلهم، فلما بوثقوا من راضته، شرعوا في الرأي وإفادته،

(١) أي: الهرب.

(٢) أي: الهرب.

واستقرت المشاورة والمعاودة على أن غداً تكون بيننا وبينهم المناهدة،  
وبصدقهم الحرب والمحاودة، وتفرق عليهم ثلاث فرق، ونظموا رأيهم ذلك  
حين انتظم سواد الغسق، وأخذ الرأي جهده من الحديق.

فوعت ذلك الترتيب آذان واعية من قريب، فأسرع بذلك من وعاه، وهو سالم  
بن جمهور، أثابه الله خيراً وجزاه، ونقله إلى عبد العزيز ونماه، فلم تستر  
بالضياء جهات الأرض، حتى قضى عبد العزيز من الاستعداد للقاء الغرض،  
فلما ارتفع سناء النهر سارت تلك الأجناد الكبر، تروم الحصن والجدار،  
وأخذت القنبرة<sup>(١)</sup> والمدافع في لفح الشرار، واستعظم الأمر واستطار، وزاغت  
القلوب والأبصار، وأخلصت أهل التوحيد السرائر لعالم الضمائر، فصرت  
المهاشير<sup>(٢)</sup> ومن معهم على الزلاّل<sup>(٣)</sup>، وكافة بني خالد وأهل الحبس ذوي  
الضلال، نحر جدران سمحان<sup>(٤)</sup>، وأهل الحريق وابن دوس وابن فارس وأهل  
سدير والوشم وبقية العدوان، قصدوا قري قصير، وصار قصدهم في ذلك  
السير، واكتنفوا جميع البدة، والكل قد بذل جهده وأرهف من ماضيه حده،  
وراموا في ذلك أمراً إذًا، وكل قد حارب ربه وتعدى، فلم ينل كل منهم رشداً،  
ولا حاز مفخرًا وسعدًا، ولا نال من مراده مطلوبًا، ولا حصل من سؤله مرامًا  
ولا مرغوبًا، بل رجع كل منهم خائبًا مرهوبًا، خائفًا وجلًا مرعوبًا، وقُتِلَ منهم  
نحو الخمسين، وهربوا عن المدافع مدبرين، فلم يَبْرَ أحد منهم إليها، ولا  
عرحوا تلك الساعة عبيها، لما عاينوا من الإرعاب، وصب عليهم ربث سوط

(١) القنبرة: قنينة المدفع. جمعها: قناير.

(٢) بطر كسر من بي خدد.

(٣) بدرعية، شمال حي طريف، ومحاور لسمحد.

(٤) من أحياء الدرعية.

عذاب، وكان عبيد بن تركي في المقتولين، وكان والده يديم عليه السكاء والحين، ويتفجع عليه في كل ساعة وحين، وانهزم رئيس المدافع بعدما قطع الله بماء، ونسحب يده قدر مبل في القلاة، ولم يحصل له بعص ما تمده، ثم ما ولي عنهم لارتيع، كروا على مدافعهم بالارتجاع، فلم يجرد بعد هذه المرة ومذاقتهم لتيك المرة، ومقاساتهم تلك الأهوال الممرة، قواضب قتال، ولم تسدد للرمي سهام ولا نصل، بل باؤوا بالخزي والوبال، وشئت الشأن والحال، وهموا في غدهم بالمسير والارتحال، وكان جملة من قتل من المسلمين ستة رجال محققين، قال المصنف:

نفوس الورى إلا القليل ركوها	إلى الغي لا يلقي لدين حينها
فسل ربك التشبث أي موحد	فأنت على السمحاء باد يقينها
وغيرك في بيد الضلالة سائر	وليس له إلا القبور يدينها
وأنت بمنهاج الشريعة سالك	وسنة خير المرسلين تبينها
فكن صابراً إن حلّ أو جلّ حادث	فعاقبة الصبر الفقى يستزينها
وإياك أن تبدي لخطب مخافة	ولا جزعاً من حادثات تشينها
وإن شئت من سحب الحوادث بارقاً	فلا تخش لو يزجي إليك هتينها
فكم فرّجت من شدة إثر شدة	وكم محنة مرت فسرّت سنينها
وكيف نفوس المخلصين ينالها	هموم وخلاق البرايا عوينها
فقد سارت الأحزاب يوم عريم	محزبة غث الورى وسمينها
وجاءوا بأسباب من الكيد مزعج	مدافعهم يزجي الوحوش رنينها
وأبدوا أموراً يذهب اللب عندها	ويسقط من بطن الرдах جنينها
وأقبل قادات الضلالة والردى	وساداتها تبغي الهداة تهينها
وتبغى لأهل الدين في الأرض وقعة	بغى بها في كل قطر مهينها

وهتك حمى البطحات ومن حل سمحها  
وراموا أصول الحق والدين والهدى  
وهدم دعائم المحجة بعد ما  
وتغير منهاج تألق نوره  
ولكنهم حادوا عن الرشيد وابتغوا  
ومن يعش عن ذكر الإله تضلّه  
فخانت لهم نجد لما قد أتوا به  
وهز ذوو الإسلام أعظم هزة  
لقد زاغت الأبصار وساعة أقبلت  
ولكن مولى النصر ثبت أهلها  
فقام بها عبد العزيز مشمرًا  
فأبت قلوب الناس من بعد طيشها  
فأضوا وقد راضوا يقينًا وجردوا  
وقد وطنوا للموت والله أنفُسًا  
وليس لها إلا التصبر واللقا  
فنالوا عظيم الفوز والعز والمقى  
وآبت جيوش الفسق بالخزي والردى  
أبى الله أن تعلو على الدين راية  
وأن يظأ الفساق في ذلك الحما  
فلا زالت البيضاء يسمو منارها  
بحكم إمام المسلمين وعدله  
ولا برح المولى معرًا وناصرًا

وسلب غوان ما تبدل عينها  
يريدون أن يبحث منها متيها  
أشيد ذراها واستقر رصينها  
فأبصره غرب النواحي وصينها  
مناهج آباء تغير دينها  
شياطين لا ينفك عنها قرينها  
ولم يبق في الإسلام إلا أمينها  
على الدين بالبلوى فبان كمينها  
بنو خالد أظعائها وطمعيناها  
كما هو في دفع الأعادي يعينها  
وساعده في الحرب متينها  
وقرت عيون واستسر حزينها  
قواضب غضب ليس ينبو سنيها  
لنيل الرضا والعز هان ثمينها  
من الله جيش والثبات كمينها  
وما نال هذا بالنفوس ظنينها  
وليس لها إلا الشنار رهينها  
فتربو ضلالات ويسمو مهينها  
ويهتك من تلك العوالي حصينها  
ويزهو بحياها ويصفو معينها  
تحاط نواحيها ويحمى عرينها  
سعود الذي يهوى العلا ويزينها

وفيها طلب دهام بن دواس الهدنة من الشيخ والأمير محمد، فأجبه إلى ذلك المقصد، واتفق على ذلك منهما الرأي والنظر، وكان ذلك من أدق الفكر، فهو دون مَجَانًا، وأقام في الهدنة زمانًا، يقصر عن السنة عدده، بل نحو عشرة أشهر أمده.

وفيها في ذي القعدة قُتِلَ محمد بن فارس وولده عبد المحسن، وذلك أن أولاد عامل الحية وأناسًا من جماعته تحققوا الردة منه وفيه، فأرسلوا إلى الشيخ والأمير يخبرونهم بذلك الأمر الخطير، ويعاودونهم على قتله وولده قبل أن يقع ذلك منه وبصير، فنهؤهم عن ذلك وأبوا، ولم يسعفهم عسى ما طلبوا، بل زجروهم غية الزجر عن ذلك المرام، وأن عقد الهدنة قوي الإحكام، فلم يُجِدَ فيهم ذلك التهديد، ولم يبالوا بذلك الوعيد، ولا أثر فيهم ذلك الكلام، بل أثنوهما بالكلام، وسددوا لهما من الردى مصيب السهام، وأوردوه وابنه حياض الحمام، في مجلسه الذي لا يرام، وأسرع إلى ابن دواس تلك الأخبار، فنهض من ساعته في المبادرة والابتدار، إلى منفوحة مع جماعته، وقد وصل الخبر بذلك إلى الدرعية في ساعته، فأخذ عبد العزيز وكافة المسلمين في السير إلى منفوحة مسرعين، مخافة أن يُسرع إليها دهام بمن معه من المبطلين، وقد تقدم أمامه كتاب من الشيخ إلى ابن دواس، يخبره أن هؤلاء الجماعة الذين فعلوا تلك الأفعال، طلبوا ذلك منا وعالجونا عليه قبل لم تحققوا من ابن فارس الاختلاف والاختلال، فزجرناهم عن ذلك وأغلظت عليهم العقاب. إلا أن ذكرنا لهم أننا لا نفيكم بل ندب عنكم ونؤويكم، فإن كنت تريد على الهدنة البقاء، فإنك أن تسلك سبيل الهلاك والشقاء، وإن كنت تريد النكت والحراية، فاسلك منهجه وأسأبه، وجاء الرسول، وقد قربه إلى منفوحة لوصول، وحرى بينهم من القتال فصول. وقُتِلَ من أهدبها رجلان تلك الساعة، وقتلوا منه واحدًا حين مدَّ

لُدْحُولِهَا بَاعَهُ، فَلَمَّا قَدَّمَ عَلَيْهِ الرَّسُولَ بِالْكِتَابِ، وَعَرَفَ فَحْوَى لِخْطَابِ، بَدَرَ إِلَى بَدْنِهِ بِأَنْقِلَابٍ، فَلَمْ يَصِلْ عَبْدُ الْعَزِيزِ إِلَيْهَا وَمِنْ مَعَهُ إِلَّا وَقْدَ آبٍ، ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْعَزِيزِ بَعْدَ مَا حَرَّحَ مِنْ مَنَفُوحِهِ، سَارَ إِلَى قَصْرِ الْغَدَوَانَةِ، وَأَقَامَ فِيهِ أَيَّامًا يَصْلُحُ شَأْنَهُ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهُ وَقَصَدَ مَكَانَهُ.

ثُمَّ دَخَلَتِ السَّنَةُ التَّاسِعَةُ وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ الْمِائَةِ وَالْأَلْفِ.

وَفِيهَا فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ اعْتَدَى دِهَامُ بْنُ دَوَاسٍ، وَأَبْدَى الْخِيَانَةَ وَالْإِبْلَاسَ، فَجَمَعَ زَيْدُ بْنُ زَامِلٍ وَغَيْرَهُمْ، فَعَدَا عَلَى الصَّيِّخَاتِ<sup>(١)</sup> وَأَخَذَ مِنْهَا طَرَشًا كَثِيرًا، وَخَرَجَ أَهْلُ مَنَفُوحَةٍ فَاقْتَتَلُوا مَعَهُ، وَقَتَّلَ مِنْهُمْ سِتَّةَ أَوْ سَبْعَةَ، وَقَتَّلُوا مِنْهُ نَحْوَ ذَلِكَ، وَكَانَ لَهُمْ عَنْهُ أَقْوَى مَنَعَةٍ، وَثَارَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَهَا الْحِرَابَةُ، وَهُوَ الَّذِي فَتَحَ مِنَ الشَّرْبَابِ، وَدَعَا إِلَى ذَلِكَ أَعْوَانَهُ وَأَحْزَابَهُ، وَفِي ذَلِكَ مِنَ السَّرِّ الْمَصُونِ، وَالْغَيْبِ الْمَكْنُونِ، مَا لَا تَحِيطُ بِهِ الْأَفْهَامُ، وَلَا تَدْرِكُهُ أَفْكَارُ الْإِنْسَانِ. بَلْ تَقَعُ التَّقْدِيرُ وَالْأَقْدَارُ، وَتَصْدُرُ إِرَادَةُ الْجَبَرِ، عَلَى غَيْرِ مَا يَجُولُ فِي الْخَلْدِ وَالْأَفْكَارِ، وَمَا لَا يَتَخِيلُهُ الْمُتَفَكِّرُونَ، وَلَا يَتَّبِعُهُ الْمُتَفَرِّسُونَ، لِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ، وَيَقْفُوا بِالتَّسْلِيمِ وَالْإِحْسَابِ، لِمَا دَبَّرَهُ رَبُّ الْأَرْبَابِ. وَيَحْصُلُ لَهُمُ الْأَجْرُ وَالثَّوَابُ، إِذَا كَانُوا لِأَحْكَامِهِ وَإِبْرَامِهِ يَسْلَمُونَ ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فَكَانَتْ هَذِهِ الْقَضِيَّةُ، وَصُدَّورُ هَذِهِ الْخِيَانَةِ الرَّدِيَّةِ، سَبَبًا لِمُخْرَجِهِ عَنْ بَدْنِهِ بِالْكَلِيَّةِ، وَمَبْدَأَ لِمُذَاهَبِهِ، وَأَنْمُودَجًا عَلَى عَذَابِهِ.

وَفِي مَنْسَلَخِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ تَوَفَّى الْأَمِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ سَعُودٍ، رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَى جَنَّاتِ الْخُلُودِ، وَأَمَّهُ يَوْمَ الْمَرْغِ وَالْمُرُودِ، وَسَقَاهُ مِنْ حَوْصِ مُحَمَّدٍ لِمُورُودٍ.

وفيهما بايع عبد العزيز أهل الإسلام، وأعطوه على الإمامة عقد الإحكام، وأقبل على لمبايعة والمعاهدة والمتابعة جميع الخاص والعم، من سائر الأنم. وقدم لذلك المسلمون من البلدان القصي منهم والدار، وتنبع على ذلك الحضر والبدوان.

والشيخ، رحمه الله تعالى، هو رأس ذلك النظم، والمحكم للعقد بالإبرام، وكان يتو عبيهم أحكاماً وموعظة وتعليماً ﴿فَمَنْ تَكَّ فَإِنَّمَا يَنْكُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وأسقط، حرسه الله تعالى، جميع المظلم، وأبطل كافة المغارم، وارتفع عمود الحق واستقدم، وانتظم أعظم انتظام. وتأود<sup>(١)</sup> غصن المحجة البيضاء، وأقبلت الدنيا على رعيته فيضاء. وملئت قلوب العدا مما شهدوا من سيرة الهدى، حسرة وغيظاً، وشهرت راسد الإسلام في الأقطار، وسارت بالفتوح الركبان في سائر الأمصار، وطارق قلوب أهل الضلال أي مطار، وزاد أهل الإيمان بذلك يقيناً وتسليماً، ووجدوا في الدين والتوحيد تفهماً وتفهماً ﴿وَبَيِّنَ لَكُمْ عَنَّا وَهَدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾.

وفيهما غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز الريح، وذلك أنه، حرسه الله تعالى، سار بمن معه إليها ليلاً، وملك بروج حصان<sup>(٢)</sup> وأدرك منها نيلاً، فمما تبين الصبح وانتشر الناس، بلغ الخبر دهم بن دواس، فأرسل سريعاً في الحال رجلاً من جماعته خيال، إلى سبيع وكنوا قريباً منه فعاجبوا بالمجيء والإقبال. وبادر في سرعة الامتثال، فم بشعر المسلمون إلا حبيهم في اقبال، ثم خرج

(١) أي: تثنى.

(٢) لم يذكره الأستاذ خالد السيمان في «معجم مدينة لرياض»، وأهدد لأستاذ راشد بن عسكر أنه يقع في شمار عرب لرياض

ابن دواس مع جماعته، لما علم مجيء سبيع من ساعته، وقصده الحديعة والمكر بالمسلمين ﴿وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِرِينَ﴾ فحينئذ أمر عبد العزيز عسى المسلمين بالظهور والخروج، والنزول عن تلك البروج.

ثم إن دهام بن دواس خرج مسرعاً إليهم، يريد يناوشهم الحرب ويشغلهم، حتى تقدم سبيع عليهم، فعند ذلك سدد الله تعالى عبد العزيز وثبته وحماه، من ذلك المكر وجماعته، وصارت بينهم جولة قتال، قتل فيها من المسلمين عدة رجال، وأقبلت خيل أولئك البدوان، فابتدروهم من المسلمين فرسان، وحمي بينهم الطعان، ثم بعد ذلك انفصل الفريقان، وكلّ قصد له مكان، ولم يدرك دهم من المسلمين ما رام.

وفيها غزا المسلمون العودة<sup>(١)</sup>، وأميرهم عبد الله بن محمد، فلم يجر بينهم قتال، ثم رجع إلى حريملاء، فغزا إلى شلية من سبيع، وهم بالعرمة، فصبحهم وأخذ إبلهم وخيلهم، وما معهم من الغنم والأمتعة.

وفيها أتى برد عظيم لم يُعهد مثله، فمات الزرع والعشب.

وفيها جرت وقعة تسمى (وقعة العدو)، وذلك أن المسلمين عدا منهم على الرياض ستون رجلاً، فخرج ولد زيد بن سديمان عجلاً مرتدّاً من الدرعية، فأخبر أهل الرياض بالقضية، فلم تأتهم تلك العدو إلا وهم مجتمعون لها في ندوة، فعَدّوا على صياح، فارتفع عند ذلك الصياح، ووقع بينهم الكفاح. ثم انهزم المسلمون، والخيل لهم وراءهم متعون، فقتلوا منهم ثمانية رجال، وحمسة أسروا في الاعتقال.

وفيها غزا المسلمون، وأميرهم عبد العزيز، فساروا إلى الرياض، وأعدوا في



الليل الكمين، فلما انتشر ضوء الصبح شعروا بالمسلمين. فبادروا إلى القتال، ولم يكن لهم عنه بد ولا احتيال، فلما حميت نار الحرب، واستقر الطعن والضرب، وظهر عليهم كمين المسلمين، نهزموا جميعاً مدبرين، وقُتل منهم ستة رجال، وانقلب المسلمون راجعين.

وفيها هم دهام بن دواس بأهل منفوحة، فوصل المسلمين الخبر، فأسرعوا إليهم بالنفر، فلم يستقر دهم في تلك النخيل، حتى جاءه مجيء المسلمين بالتعجيل، فولى على عقبه هارباً، ولبلده دائماً طالباً.

ثم دخلت السنة الثمانين بعد المائة والألف.

وفيها غزا المسلمون، وأميرهم عبد العزيز، ثرمدا، وأتاها بعد أن هدا الأنام، فكمن حتى استكملت الخروج للمرعى جميع ما بها من الأغنام، فستاقها ذوو الإسلام، وفرغ من في البلد من الأقوام، حتى وقع الاختلاط والالتحام، وجرى بينهم لقتال وضاق المجال، وخرج الكمين، فشدت عليهم فرسان المسلمين، فعند ذلك ولّوا مدبرين، وقُتل منهم نحو العشرين. منهم محمد بن عيد وحمد بن راشد ابن إبراهيم بن سليمان، وقُتل من لمسلمين فواز التهامي وابن غدير. وتسمى هذه الغزوة (غزوة الصحن)<sup>(١)</sup>، عند أهل ذلك الوطن؛ لأن القتال وقع في مكان يقل له ذلك، ثم انصرف المسلمون راجعين، وتوجه عبد العزيز بالجيوش إلى منفوحة، وفي أثناء ذلك الطريق وافق ركباً لابن دوس، فقتلهم، منهم محبس بن قاري المعضومي على التحقيق، ثم دخل عبد العزيز منفوحة بالسرور والابتهاج، لإرادة عقد الدخول ببست رامل الزواج

وفيها في الفصل الأول سر عبد العزيز، حرسه الله تعالى، بالمسلمين، فنزل

(١) قل اس سر (١ / ٥٠) "موضع معروف حارح سد ثرمدا"

بالسنة من الرياض، فخرج أهلها للقتال من غير ارتياض. فقتل منهم المسلمون أربعة رجال، ولم يبرزوا للطعان في مجل، وقُتل من المسلمين مرشد بن حصين.

ثم دخلت السنة الحادية والثمانون بعد المائة والألف.

وفيها ارتفع الأسعار والأثمان، ونفق الزاد في جميع البلدان، وبقي الناس في مقدسات البأس، وبلغ الأناس من غلاء الطعام همّ وظنّ وحزن وعنا، حتى بلغ الصاع جديدة ونصف، ووزنة ونصف جديدة<sup>(١)</sup>.

وفيها غزا المسلمون العربان، فلما سار المسلمون إليهم سبق النذير عليهم، فلم يصل إليهم من المسمين فرسان. إلا بعدم أخذوا الأهبة للطعان، وكنت خيولهم تزيد على ست من عقود المئين. ورام المسلمون أنهم يجدونهم مغفلين، فلما شنت خيل الإسلام الغرة على أولئك الأقوام، وأخذوا بعض الإبل السوام، أطبقت عليهم خيل المطران، وفرسان أولئك العربان، فاشتد بينهم الطعن، ولم يكن إلى الفرار من إمكان، فثبت الله أهل الإيمان، وتخلصوا من شر ذوي الطغيان، وقُتل بينهم بعض رجال من المسلمين؛ دوخي الصيخي وابن ربيع، ورجعوا على اعتجال.

وفيها غزا المسلمون، وأميرهم هذلول بن فيصل، ومعه سعود بن عبد العزيز، وهذه أول غزوة غزاها. فساروا يريدون العودة، فأتوا تلك البلاد. وقد هجع العدد، وقد حكم على المُقل الكرى، وما أشعر أحد بدخولهم وما درى. وقد أعدوا لهم في مكان كمياً من الشجعان، وأوصوهم أنهم إذا استكمل أهل البلد

(١) الحديدية نوع من العملة، كان يُسعمل قديماً، ولوزنه مقدار عندهم، بمثابة نكيو عندنا وتبلغ اوزنه كيلو غراماً ونصف

الفرع والظهور، يعقبونهم على ثلث الفلعة والدور. فلما تبين ضياء النور، وأدبر الطلام الديحور، أغار المسلمون على أطراف للدة، وكل من جيشه وكمينه عرف قصده، فبدرهم بالقتال من أهل البلد دو النجدة، فلم يأخذ المجال حده، حتى دخل الكمين البلاد، ففتنوا فوراً ابن سعدون وأناس من أهل الفساد، فيما علم بما جرى وصدر من خرج من أهل البلاد وظهر، رجعوا للقلعة، فإذا هي عنهم في منعة، وقتل المسلمون منهم رجال، ونودي بالأمن بعد انقضاء ذلك الحال، وصار ابن حماد فيها هو الأمير، ولم يغير عليه فيها بتغيير، حتى صدر على المسلمين منه ما يضير، ثم رجع المسمون.

وفيها سار عبد العزيز، حرس الله تعالى ذاته، بالمسلمين إلى الرياض، فنزل بالمشيقي<sup>(١)</sup>، وأقبل فرع أهل البلد إليهم، وصدقوا الحملة عليهم، ولكن الله من على المسلمين بالثبات، ولم يكن لهم إلى الفرار التفات، فقتل من أهل الريدض ستة من الأشرار، وقُتل من المسلمين ناصر بن عبد الله ومحمد بن حسن الهاللي، ورجع المسلمون إلى بلادهم.

وفيها كاتب أهل الوشم عبد العزيز على مجيئهم ودخولهم في الإسلام، فأجابوهم بحصول ذلك المرام، فأقبل أهل الوشم بلده وقراه، ولم يبق منهم أحد حتى أهل مرات، فدخلوا في الدائرة الحصينة، والكل منهم رفض دينه، وبايعوا أهل الإسلام، واستمرت عيهم تلك الأحكام.

وفيها غزا المسلمون، وأميرهم عبد العزيز، فوطئ جلاجل، وطلب من سويد النكال؛ لكونه مرتدًا قبل ذلك الحال، فأعطاه عن ذلك من الحيل خمسًا، فطاب بها عبد العزيز نفسًا، لكونها خيالًا بالجودة معروفة وبالجلب مشهورة موصوفة،

(١) حي يقع حوٓب شمشي بالريدض

ثم سار عبد العزيز، حرسه الله تعالى، في طريقه ذلك مُجِدًّا، وكان فريق من اليمن على المرتع به قصدًا، فصَبَّحَ الفريقان بلعارة، وأخذ عليهم إيلاً، ثم طلب آثاره، ورجع إلى بلده سالمًا. ولمال غانم.

وفيها سار عبد العزيز بالمسلمين إلى الرياض، وجرت بينهم وقعة تسمى (وقعة المجوز)؛ لكون الوقعة بمكان يسمى بذلك، وكان القتال بينهم من بعيد بالبنادق هنالك. ولم يقع بينهم للقتال مقاربة، ولكن كلٌّ أدرك بالرمي مطالبه، فقتل المسلمون من أهل الرياض خمسة رجال، ومن الخيل أربعًا، وقُتِلَ من المسلمين نحو عشرة. صارت لهم الجنة مرتعًا، منهم مبارك بن سبيت وزيد بن سعيد وابن رشيدان، وأقام عبد العزيز بقصر الغدوانة، أيامًا يغير على الرياض ويرجع مكانه. ثم دخلت السنة الثانية والثمانون بعد المائة والألف.

وفيها استمر غلاء الزاد، وبرح كافة العباد من المعيشة في مكابدة ونكاد، وتسمى هذه (سنة سُوقَة)؛ لأن السعر بلغ حده وطوقه. وفيها غزا سعود بالمسلمين، وهو أول غزو تأمر فيه، فأغار على الزلفي، وقتل ثلاثة رجال، ثم رجع بلا إمهل.

وفيها سار عبد العزيز، حرسه الله تعالى، بالمسلمين إلى سبيع، وكانوا حينئذ على الحائر، فلم يزل يجد السير إليهم، حتى قارب الهجوم عليهم، فسبقه عليهم النذير؛ لم اقتضته الإلهية لأزلية من التدبير، فلم تقص عليهم لمسلمون، إلا وهم للفناء مستعدون، فحين طبع عليهم طلائع الخيل كان منهم إليها تسرع ميل، فالتحم الفرسان، وحمي بسهم الطعن، والتزم الشد كل من الأقران، حتى نصر الله تعالى المسلمين وأعدن، فسند عليهم المسلمون الحملة، فلم يكن دون هزيمتهم مهلة، فانهزموا جميعًا وعمدوا إلى قصر الحائر سريعًا، فأقاموا به

محتمين، وكان أهله إذ ذاك مرتدين، وأخذ المسلمون ما معهم من الأمعة والخيل والإبل، ورجعوا فائزين بغاية الأمن.

وفيها عزا المسممون وأميرهم سعود، بلغه الله تعالى المقصود، فأغار على فريق من اليمن، بعدد قريتهم واستكر، فلم صبتحتهم منه الغارة، لم يشبوا غير ساعة، فنزمو الانكسار وتبعتهم إلى بيوتهم الخيول، ولم يكن لهم سواها وصول، وقُتل منهم رجل، ولكن الله أراد لهم السلامة، ولم يشعر غزو المسلمين لاشتغاله بمن أممه، إلا بالثثم بعض العربان عيهم، وإقبلهم إليهم، واستحر الطعن في أعقابهم، ورجعوا من حيث مآبهم، وأقبلت بعد ذلك لعرب المكسورة، واجتمعوا على المسلمين، فكانت بينهم وقعة مشهورة، فحتمى المسلمون وسلموا، وقُتل منهم سبعة، غفر الله لهم ورُجموا، منهم ناصر بن عثمان وفوزان بن ناصر، ورجع المسممون إلى بلادهم.

وفيها غز سعود بالمسممين، وركابهم نحو المائة على التخمين، فأغاروا على عنيزة، وخرج أهلها مجتمعين، وكانوا ذوي عدد من المئين، فوقع بينهم وبين المسممين القتال، وأبدى المسلمون في ذلك اليوم المجال، من النجدة والإقدام، وفرط البأس والالتزام، ما بهر عقول أولئك الأقوام، وأدهش أذهانهم والأفهام، حين رأوا فعلهم بعد المخالطة والالتحام، فلم يكن حينئذ لأهل البلد عزم ولا اهتمام، سوى الفرار إلى البيوت على الأقدام، وقتل المسلمون نحو عشرة، وكل من أهل الإسلام حمد ربه وشكره. وقُتل من المسممين ثلاثة رجال، ثم رجعوا إلى بلادهم من غير إمهال.

ثم دخلت السنة الثالثة والثمانون بعد المائة والألف.

وفيها سار عبد العزيز، حرسه الله تعالى، بالمسلمين يريد الرياض، فوافق في ساعة خروجه من غير ارتياض، خيلاً كثيرة لدهام على الدرعية عديدة، وقد

أخذت إبلا كثيرة لسيبع الدادية، فأطبقت عليهم حل المسلمين مُبادية، واستقر بينهم المحال سعة، ثم أدرت حيل ابن دواس خحله مراعاة، وقد قتل منهم المسلمون أربعة يُعرفون، مطرود الفريد وابن المربع وحسن الجعفري ودوخي بن مروان، ورجع عبد العزيز فلم يسر إلى ذلك المكان.

وفيها غزا عبد العزيز بالمسلمين من أهل الدرعية وقراها، فلما وصل إلى حريملا، حرسه الله تعالى، وحماها، أمر من هناك من بندان المسلمين أن يخرجوا له الدول مجتمعين، فأخرج أهل سدير وأهل المحمل جمعا كثيرا من الدول، وقصد ما يريد من محل، فأناخ بالمسلمين على المجمع، وكانت المسلمون عليها مجمعة، وجرى بينهم وبين أهلها القتال، ودخل قلوب أهلها من المسلمين الأوجال، وقتلوا منهم تلك الساعة عدة رجال، منهم عبد الله وقويقل ابن عثمان. وهما أخوا حمد رئيس المجمع.

ثم إن عبد العزيز أمر بالرجوع على من مشى معه من الدول، وتبعه حين فرغ من أمر المجمع، وغزا بالجيش من ذلك المكان، وكان ذلك في أئد شهر رمضان، فجذ سائرا في ذلك الزمان، حتى وصل إلى قرية الهلالية<sup>(١)</sup>. وقد هجعت البرية، وكانت من قرى القصيم، فأنخ عنده في ظلمة الليل البهيم، ورتب كمينه وحاله، قبل أن يزيل النور من الظلام أوجاله. فلما أغار بعد انتشار النهار وخرج أهلها إلى القتال، وبذلوا في ذلك غبة الحال، ولكن الله الكبير المتعبد سلط عليهم الرعب والاذلال، فنكسرو والمسلمون يقتلون في أثرهم باستعجال، وهتت المسلمون البند في ذلك المحال، ودخوها في تلك الحال، وأخذوا جميع ما بها من الأموال، ثم نوذي فيها بالأمن عدما قتل من أهلها رجال.

(١) من مد القصيم، بعد عن مسيرة نريدة حوالي ٥٠ كم.

وأقام بها عبد العزيز بعض ليل، فذل أهل القصيم كافة، وغشيهم أمر عظيم من المخافة، فرعوا في الدخول في الإسلام، والالتحاق بمنبر تلك الأحكام، ورفض ما يعبد من الأوثان والأصنام، وأقبلوا على عبد العزيز في تلك الأيام. فأخذ عليهم عقد لإبرام. ووضع عندهم معتمين للتوحيد والشرائع والأحكام، ثم رجع عبد العزيز يريد الدرعية؛ ليقسم الغنيمة فيها بالسوية، وفي أثناء ذلك عثر على أثر غزو لبني خالد كبيرهم بطين هنالك، فعرفوا أنه غزو المسلمين فقالوا: لا طاقة لك بأهل الدين. وكان هذا من رأيهم أجمعين، فتركوا المسلمين ومنازلتهم، بعدما حققوا مشاورتهم، وكفى الله المؤمنين القتال، وكتب على أولئك الغزو والمذلة والإذلال. وذلك أنهم أغروا على عدة فرقان. من سبيع بأرض ضرم مقيمين في ذلك المكان، فجرى بينهم قتال وطعان، وحمي الحرب بين الفرسان، وساعد أهل البد من الحضر أولئك العربان، وشمروا للقتال مع تلك البدوان، فهزم الله تعالى أهل الطغيان، وقتل منهم تلك الفرسان، وأخذ المسلمون منهم أموالاً كثيرة، وخيلاً نحو ست شهيرة.

وفيها غزا للمسلمين ركبٌ فصادف الشريف منصور، فأخذ مع ركب معه وأتى به بأسور، فمن عليه عبد العزيز بالإطلاق دون الفداء، فرجع بعد ذلك برخصة من شريف مكة في الحج لذوي الهدى، فاغتنم لذلك من المسلمين طائفة. وسارت للحج آمنة غير خائفة، وقضت ركن الإسلام، وأدت المناسك على التمام، في ذلك العم، ورجعت بالحشيمة والإكرام.

ثم دخلت السنة الرابعة والثمانون بعد المائة والألف.

وفيها غزا عبد العزيز بالمسلمين يريد آل ظفير، فأغار على المحقرة<sup>(١)</sup> منهم

(١) من فروع الظفير.

في ذلك المسير، وكنوا قبل مجيئه على حذر لسبق الندير، ولكن أخذوا عليهم بلاءً كثيرة، وصارت بينهم مقاتلة شهيرة، قُتل منهم بعض رجال، وانصرف المسلمون بتلك الآبال.

وفيها عزى عبد العزيز بالمسممين، وأقاموا في الحائر مجتمعين، ولم يخرج إليه من أهلها أحد، فشرع في قطع النخل واجتهد، فلما عاينوا ذلك أهل البلاد، طار منهم اللب والفؤاد، وحين شهدوا هذه القضية، عظمت عليهم الرزية، وأحاطت بهم البية، فلم يجدوا سوى الاستسلام منهجاً، وإظهار الانقياد والإسلام معاذاً وملتجاً، فطلبوا من عبد العزيز في الإسلام الدخول، فأجابهم إلى ذلك الشؤل، وأسعفهم بالمأمول، فبايعوه على الإسلام، والتمزوا في الأحكام بالقيام، ورجع عبد العزيز بمن معه.

١١٨٥

ثم دخلت السنة الخامسة والثمانون بعد المائة والألف.

وفيها غزا سعود، حرسه الله تعالى، يريد منيخ<sup>(١)</sup>، فلم وصل حريملاء بمن معه من المسلمين، ذكر له غزو آل ظفير مجتمعين، وكن رؤوس ذلك الغزو آل ضويحي ووهو بن فياض، فجد في ساعته في الانتهض، وحث السير في أثرهم بعد تحقق أخبارهم، فأدركهم في أرض غينة، وأسرعت إليهم به فرسانه، فلم عرفه آل ظفير وعلموا شأنه. كل منهم انهزم يريد أهله ومكانه. فعضّ المسلمون عليهم الساقة، وأسروا بعض أوثك الرفافة، وقتلوا منهم رجالاً، منهم وهق بن فياض. وستتوهم حالاً، فلم يسد من القتل والأسرى إلا من طلب الفرار، ثم رجع المسممون.

وفيها أرسل الشيخ وعمد العزيز إلى والي مكة أحمد بن سعيد الشريف هدايا،

(١) يطلق على محمعة وحرمة كم سو - .



وكن قد كسبهم وراسلهم، وطبب منهم أن يرسلوا ففهيَّ وعالمٌ من جماعتهم،  
يبين لهم حقيقة ما يدعون إليه من الدين، ويحضر عند علماء مكة، فأرسل إليه  
الشيخُ وعبدُ العزيز الشيخُ عبد العزيز الحصين، وكتب معه إلى الشريف رسالته،  
وهذه نسختها، وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم، المعروف لديك أدام الله فضل نعمه عليك،  
حضرة الشريف أحمد بن الشريف سعيد، أعزه الله تعالى في الدارين، وأعز به  
دين جده سيد الثقلين، أن الكتب لم وصل إلى الخادم، وتأمّن ما فيه من  
الكلام الحسن، رفع يديه بالدعاء إلى الله بتأييد لشريف؛ لما كان قصده نصر  
الشريعة المحمدية ومن تبعها، وعداوة من خرج عنها، وهذا هو الواجب على  
ولاة الأمور، ولما طلبتم من ناحيتك طالب عدم، امتثلنا الأمر، وهو واصل  
إليكم، ويحضر في مجلس الشريف، أعزه الله تعالى، هو وعمداء مكة، فإِنْ  
اجتمعوا فالحمد لله على ذلك، وإن اختلفوا أحضر الشريف كتبهم وكتب  
الحذبة، والواجب على كل منا ومنهم أن يقصد بعلمه وجه الله ونصر رسوله،  
كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ إلى قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾  
فإذا كان الله سبحانه قد أخذ الميثاق على الأنبياء إن أدركوا محمداً ﷺ على  
الإيمان به ونصرته، فكيف بنا بأمته؟ فلا بد من الإيمان به، ولا بد من نصرته،  
لا يكفي أحدهما عن الآخر، وأحق الناس بذلك وأولاهم أهل البيت، الذين  
بعثه لهم منهم، وشرفهم على أهل الأرض، وأحق أهل البيت بذلك مَنْ كان من  
ذريته ﷺ وغير ذلك بعلم الشريف، أعزه الله، أن غمنايتك من جملة الخدام، ثم  
أنتم في حفظ الله وحسن رعايته.

فلما وصل إليهم عبد العزيز المذكور، نزل على الشريف لملقب بالفعر،  
واجتمع هو وبعض علماء مكة عنده، وهم: يحيى بن صالح الحنفي وعبد  
الوهاب بن حسن لتركى مفتي السلطان وعبد الغني بن هلال، وتفاوضوا في

ثلاث مسائل وقعت المناظرة فيها :

الأولى : ما نُسب إلينا من التكفير بالعموم .

والثانية : هدم القباب التي على القبور .

والثالثة : إنكار دعوة الصالحين للشفاعة .

فذكر لهم الشيخ عبد العزيز أن نسبة التكفير بالعموم إلينا زور وبهتان علينا ، وأما هدم القباب فهو الحق والصواب ، كما هو مسطور في غير كتاب ، وليس لدى العلماء فيه شك ولا ارتياب ، وأما دعوة الصالحين وطب الشفاعة منهم والاستغاثة بهم في النوازل ، فقد نصّر عليه الأئمة الفواضل . وقرروه من الشرك الذي فعله الأوائل ، ولا يجادل في جوازه إلا كل ملحد جاهل . فأحضروا من كتب الحنبلة (الإقناع) فأروا عبارته في الوسائط وحكايته الإجماع ، فصار لهم بتلك العبارة اقتناع ، ولهم إلى الإقرار إسراع . وتفوهوا بأن هذا دين الله ، وانتشر فيما بينهم وشاع ، وقلوا : هذا مذهب الإمام المعظم ، وانصرف عنهم عبد العزيز مبجلًا مكرم .

وفيها سار عبد العزيز بالمسلمين يريد الرياض ، فعَدّوا منها على معكول<sup>(١)</sup> ، وخرج أهلها فجرى بينهم قتال ، فلم استقر جلادهم للمسلمين ، خرج عندهم الكمين . فلم يثبتوا غير ساعة ، ثم كان منهم إلى البلد ارتجاعه ، وقَتَلَ المسلمون منهم ستة رجال ، منهم عتيق بن زبيد . ثم هَمَّ المسمومون بالارتجال . فما وصل لمسلمون إلى بعض بلدانهم . انصبو راحعين يريدون الردض لشأنهم . فكان من القضاء والقدر أن دهام بن دواس قد سار وظهر عديًا على أهل عرقة<sup>(٢)</sup> . وليس عند المسلمين منه خبر ، فلم خرجوا في ذلك الشأن التقوا جميعًا قريبًا من ذلك

(١) أصبح من أحياء الرياض حدثًا ، وكان قديمًا بلدة مستفنة

(٢) أصبحت داخل نطاق مدينة الرياض من جهة السمر الغربي .

المكان، فأطبقت عليهم من المسممين فرسان، فلم يلبثوا ساعة للطعور، بل انهزموا إلى تلك البلدان، فكان أول قتيل منهم دوس بن دهام، ثم جد في أثرهم أهل الإسلام، وهم فيهم يقبلون. حتى قتل منهم عشرون، وآخرهم ابن لدهام، واسمه سعدون. وكان الذي بشر قتل دواس عبد العزيز أمير الناس، صرف الله عنه كل بأس، فرجع دهم بأعظم البأس، مرتدياً من الذل والخزي أضفي لباس، متجرعاً من الهم أصفى كأس، فلم تزل له بعد هذه عين قريرة، ولا حالة من المعاش سريرة، بل كلما غفت العيون أبدى من الأسف المكنون، ما لا يعرف ولا يقدر، لا سيما على مفارقة سعدون ودواس، فنودي عليه بلسان الحال من بعيد ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَنَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

وفيها سر عبد العزيز بالمسلمين حتى نزل الرياض، وخرج أهلها مسرعين، ولم يكونوا عن القتال مثنيين، وطال القتال بينهم، فجعل الله لبعض أهل الباطل حينهم. وشد عليهم لمسلمون، فأسرعوا يجهدون، وقد قتل منهم أربعة رجال، منهم ابن رومي الذي في ذلك المجال.

ثم دخلت السنة السادسة والثمانون بعد المائة والألف.

وفيها غزا عبد العزيز بن محمد بالمسلمين، فلم يبرحوا في ذلك السير مُجِدِّين يريدون آل حبش<sup>(١)</sup>، وكانوا نازلين بأرض صبح، فلم قاربوهم كمنوا حتى بحققوا أمرهم مرأً ونجاحاً، ويستعدوا لملاقاة أولئك الفرسان طعناً وكفاحاً. فلم انجلي الديجور، وعم ضياء النور، وفرغوا من الصلاة صُبحاً، شئت عندهم عديات المسلمين صُبحاً<sup>(٢)</sup>، فأخذوا عليهم آبل، وفرغ أهلها للقتال، وراموا

(١) قال بن بشر (١ / ٥٩): «من وادي العجمان».

(٢) مأخوذ من قوله تعالى ﴿وَالْعَدِيدُ صُحُفٌ أَيْ: سجل لعديات التي يحرر منها صوت من صدره ليس بصوتها المعتاد من صهيل أو همهمة

نهب فكاك. ولم بكر لهم إلى ذلك إدراك، بل وقعوا في هوة الأدراك. وقتل منهم أناس، ورجع المسلمون بإيناس.

وفيها غزا سعود، حرسه الله، بالمسلمين يريد من الرياض الإبل والغنم السارحة، فلم تزل همته على الجد في السير بارحة، حتى وصل إليها بعد الهجود، فكمّن كمينه هناك سعود، فما خرجت السوائم للرعاية، بدت غرة المسلمين إليها بداية. فالتجت إلى البلد الإبل. وخرج الفرع إليها بالعجل. فتقابل كل من الفريقين، واقتتل حتى صدقتهم فرسان المسلمين، فانهزموا مدبرين. وقد قتل منهم سبعة، منهم مرخان بن فريان وعبد الله الساري.

وفيها غزا عبد العزيز، فسار بأهل الدين يريد أهل الرياض المسرفين، فوصل لذلك قريب السحر. فقفى قبل الصبح من التعية الوطر، فلما بدا الصبح مسفرًا منيرًا، وقضى الصلاة تبدى مغيرًا، وارتفعت الأصوات في البلاد، وخرج بعد الاستعداد، من يريد القتال والجلاد، فما عينوا أهل الإسلام، جلّهم الرعب والإحجام، فلم يحصل لهم بعد الالتحام فرط إقدام، بل مكثوا في القتال زمن، مرتدبن ثياب الهوان، فلما شدّ عليهم أهل الإيمان، انهزموا من غير توان، وقُتِل منهم مرزوق المطيري ومحمد بن فايز، وقُتِل من المسلمين علي بن محمد الأمير<sup>(١)</sup>.

وفيها مات الشيخ أحمد بن مانع، رحمه الله تعالى، في رمضان. وفي آخره مات ثنيان بن سعود، أسكنهم الله تعالى دار الحبود، وكان لهما بهذا الدب المنهج لمحمود.

(١) د. ابن سر (١ / ٥٩): «أمير ضرم»

ثم دخلت السنة السابعة والثمانون بعد المائة والألف.

وفيها سار عبد العزيز بالمسلمين، متع الله تعالى به سنين، فنزل بالرياض وأقى رحلته في نيك الفياض، ونزل أهلها مدة من الببال، وكل يوم يجري بينهم قتل، واستولى المسلمون على بروج وجدران، فأسرعوا إلى تهديم ذلك البنين، وهدموا ذلك المرقب لشمخ، فصار الدمار لارتفاعه ناسخ، وقُتل من أهل البند رجال، وبات أهلها في غاية لأوجال، يسمرون في الديجي لسهى، مما حل بهم ونزل بساحتهم وذهى، وقد عرتهم الذلة والدهشة، وغشيتهم الرجفة والرعدة، لا تهدأ لهم قنوب ولا عيون، وقد أيسوا من أنفسهم وخابت منهم الظنون، وقد قارب أن يفتحها ذاك المسلمون، لم بان لهم من الانتصار وما ظهر على أهلها من الرعب والإنذعار، ولكن إرادة المولى غالبية على العبد، وليس يجري إلا ما اختاره وأراد، فانصرف عنهم جميع المسمين، وأُخِرَ الفتح إلى حين، وقد قُتل من المسلمين اثنا عشر رجلاً، نالوا من الشهادة أملاً، منهم عقيل بن نصير وسلطان بن حفيدن.

وكانت هذه الواقعة في صفر، ولم يشرق بعدها لدهام عز ولا سفر، بن هم بالرحلة والسفر، والجلاء عن ذلك الوطن، الذي ثوى فيه وقطن، وحرّ به وسكن، فأخذ في تدبير النقلة والارتحال، مما دخله من الرعب والأوجال، وخايط قلبه من الخوف والإذلال، فبقي أياماً وليال، لا يحسن له حل، ولا ينشرح له بان، مخافة على أهله والعيال، وأسفاً على ذهب تلك الأموال، وأسفاً على فراق المحلة، والبعد عن تلك المحلة، ومعاناة لجلاء والنقطة، ولأرض به واحقة، وريح الهروب عليه عاصفة، وهو يُصبر نفسه وينصبر، ويتجرع مرارة الأسف ويتحسر، وينادي بالويل على نفسه كل ساعة، وهى إلى الفرار بزّاعة، ولا تروص إلى اللقاء ولا تستقرر، ولا تميل إلى لمكث في

هاتيك النديار، حتى نادى عليه منادي الذل والصغار: إلى كم متى التصبر  
و لا صطار، والحلور والقرار، وحتى متى تقدم في ذلك رجلاً وتؤخر الأخرى،  
والجلاء هو الأولى لك والأخرى! وصاح به قلاع الحصون: إلى متى هنا  
السكون؟ فقد آذن ليل الباطل بالزوال، وأعمت سحب الشرك بالارتحال،  
وتقشعت غياهب الزيغ والضلال، ولاح نور الهدى والهداية، وانجلت دياجي  
الضلالة والغواية، وتلألأ عمود الصباح، وأشرق لأهل الإسلام السعد ولاح،  
وغدا البلاء على البطل وراح، وأعلن عليهم لسان الفتح وهم يسمعون:  
﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا آدِلَةً وَهُمْ صَغِرُونَ﴾.

فلما حان من شمس البطل غروبه، وأن لأهلها جلاؤه وهروبها، وأن تثبت  
في روضة الرياض قواعد الدين، وتمحق دولة المفسدين، ويظهر لأهل الإسلام  
النصر والظفر والتمكين، وتعلو كلمة الحق على المبطلين، وتمحى آثار ذوي  
المكر والمعتدين ﴿فَنَنْظُرُ كَيْفَ كُنَّا عِقْبَهُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَهُمْ وَقَوْمَهُمْ  
أَجْمَعِينَ﴾. جمع جميع أعيان بلده، وأخبر بحقيقة عزمه ومقصده، وأنه يريد  
الهروب والجلاء، وأن فؤاده ملئ رعباً ووجلاً، فصاحوا كلهم عليه، وأقبلوا  
بأجمعهم إليه، وقالو: ما حملك على هذه الأفعال؟ وما الموجب لها من  
لأحوال؟ أهذا لنا مكر وخداع، حتى تعرف منا الصدق بإجماع، أم حدث بك  
من الحزن استزاع؟ فاستعد بأبيه من الشيطان، فن ترأع! فقال: دعو عني هذا  
الهدبان، فليست الرياض لي بأوطن، وليس عدلي فيها سكاّن، وما شاء له  
كان ولم يرغو من ذلك لمقل وللمحاولة عن لارتحال، ولم يستنع إلى ذلك  
سبباً، ولا وجد من قلبه عليه دسلاً، بل انفخ سحره ولُبه، وطش فؤاده وقلبه،  
وتعظم منه في الحش ﴿وَمَنْ يُشِئْ شَاءَ فَمَا تُمْ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾  
فلفضوا من حوله سراعاً، وعرفوا أنهم لا يدركون به دفاعاً، فرددوا ذعراً،

وارتياعاً، وتحققوا أنهم منها محرحون، وأنهم له متعون ﴿وَتَنَا لَّهُمْ مَكَّةَ نَبَا لَمْ يَكُونُوا يَحْسَبُونَ﴾ فتروّوا وراء القسوط والإباس. وكل ساعة ينظرون حلول النعمة والئاس ﴿فَادْفَقَهَا تَنَّهُ لِبَاسِ الْخَوْجِ وَالْخَوْفِ بِمَا كُنُوا يَصْنَعُونَ﴾.

فلما انتصف ربيع الثاني خرج عبد العزيز، حرسه الله تعالى، بالمسلمين، يريد الرياض وحربها وتدميرها وخرابها، وقد جرد أهل الإسلام لذلك صورم الاعتزام، ونهضوا كافة وليس لهم دونها مرام، وقد ارتجوا الفتح من الملك العلام. ووطنوا نفوسهم على حصارها ليالي وأيام، ولم يكونوا بما في الغيب مشعرين ﴿أَدْحُلُّوْهَا بِسَنَةِ عَمِينَ﴾ فلما وصل، حرس الله تعالى مهجته، وأبد عزه ودولته، في مسيره ذلك إلى قريب عرقة، انبلج له عمود الأئس والسرور، وانسلخ مدلهم ذلك الديجور، وطلع له طالع السعد، وبرق له برق الفجر والمجد، وتبى له في أفق ذلك الطريق، لوامع المسرة واللطف والتوفيق، وكان بذلك جديراً وحقيقاً، وناداه لسان المبشر والبشير: إلى من تسعى وتسير وجميع عذاك في تدمير، وإلى كل بلد في مطير؟ فأرخ ذبول الهند، فقد جاءك لقصد والمنى، وزال عنك النصب والعند، فسعيك إن شاء الله مشكور، وأنت على ذلك مأثور، وقد ضوعفت لك في هذه المدة لأجور، وصارت لك العقبة على ذوي الفجور، والغلبة والنصرة على أهل الفساد والشرور، فقد خلت لك القصور، وتأهبت إلى لقائك الصدور، وقد قفرت تلك الدور، ممن كان بها يتعدى ويجور، وقد حقت كلمة العذب على الفسقين، وجاء وعد الله لحزبه الفاترين ﴿وَرَبُّهُ أَرْسَلَهُ عَلَى الْبَيْتِ سُنْصُفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَحْنَهُ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾، فحمد الله تعالى على هذه الأعم، وشكره على هذه المواهب الحسام، واعطى لوفرة العظم، وهان وهو خضع لربه مستكين، حمداً لله رب العامين: ﴿رَبِّ وَرَعَى أَنْ أَشْكُرَ بِعَمَلِكَ لِقَى أَعَمَّتْ عَنِّي وَعَيَّ وَلَيْتَ وَرَبِّ عَمَّرَ صَحْبًا رَضْنَهُ وَأَدْحَلِي بِرَحْمَتِكَ فِي عَذَابِكَ لُصْحَبِي﴾.

فسار يريد ما هياً الله تعالى له من مكان، وما خوله من تلك الأوطان، وشبعه في ذلك الطريق الأمر والأمن، وحقه فيه الأنس والنهن، ووصل إليها قبل غروب الشمس، أكمل فرح وأنس. وطيب قلب ونفس، ودخل تلك البلد، فإذا دهم قد ولى منها وشرد، وذلك أن دهم بن دواس، لما حاق به من ربه البأس، وقرب أن يسقي كؤوس الأحزان، ويلقى المذلة والهوان، وتكون الدائرة عليه لأهل الإيمان، جمع كفة ما نه من أعوان، وما أراده من الشأن، فكل بقي متحسراً حيران. يعرض أنامله ندمان، فخرج هو وأولاده وأعوانه، وغلب أهل البلد شأنهم شأنه، ولم يبق في البلاد إلا القليل، مخافة من فعلهم الويل. وقصدوا جميعاً الدلم، ونوى سكنها. وعزم وجد في الطريق ومن معه، ومات نحو أربعمائة من الخلق ممن تبعه، لأن جلاءهم كان في القيظ، فزادوا حرارة مع ما بقلوبهم من حرارة الغيظ، فصلَّتْهُمُ لواعج القيظ وجمرتها، وحرقتهم عواصفه وحدته.

هذا، والمسلمون قد جدوا في أثرهم المسير، ينقذون بالماء كل ضعيف وفقير، ويقتلون كل شيطان مريد، وكل ذي بأس شديد، حتى وصلوا إلى لدلم المعروفة، وقطعوا تلك المفاوز المخوفة، ونادى عبد العزيز فيها بالأمان، إلا من كان مشهوراً بالسوء بإعلان. فعند ذلك ظهر من كان مخفياً وبان، ولم يقتل إلا عبد المحسن بن شاخص وصالح المهشوري وبراك بن حمدان ومحمد بن سليمان، ولم يُقتلْ غيرهم إنسان، وأرسل عبد العزيز إلى أهلها الذين ناروا<sup>(١)</sup>، وخرجوا مع دهم وسدروا، يدعوه إلى الرجوع، فلم يكن أحداً عنه بممنوع، إلا من تمير بالسر والفساد، وتوغل في طرق العناد، وتسربل بالبغي والإفساد.



عفاؤوا إليها وآبوا، وقد ربحو، في ذلك وما خابوا، وسكنوا بها فضاها، وكنت جميع تلك الأموال. والخيول ذوات الإعلاء. فيئ من نه ذي الحلال، لكوبها لم يوحف عليها بخيل ولا ركاب. فكانت لبيت المال من غير ارتياب. وحسن تملكه لها وطب، وأقام بها عبد العزيز أيامًا، ونصب فيها أميرًا وإمامًا.

وكتب الشيخ لعبد العزيز في تلك الأيام رسالة أرسبها إليه، فقدمت في الرياض عليه، وقال فيها:

أُجِبُّ لَكَ مَا أُجِبُّ لِنَفْسِي، وقد أراك الله في عدوك ما لم تؤمن، فالذي أراه لك أن تُكثِرَ من قول الحسن البصري، كان إذا بدأ حديثه يقول: اللهم لك الحمد بما خَفَقْتَنَا وَرَزَقْتَنَا وَهَدَيْتَنَا وَفَرَّجْتَ عَنَا. لك الحمد بالإسلام والقرآن، ونك الحمد بالأهل والمال والمعافاة. كَبَّتْ عِدْوَنَ، وَبَسَطْتَ رِزْقَهُ، وَأَظْهَرْتَ أَمْنَنَا، وَأَحْسَنْتَ مَعَاذَنَا، وَمِنْ كُلِّ مَا سَأَلْنَاكَ رِئًّا عَطَيْتَنَا. فذلك الحمد على ذلك حمدًا كثيرًا طيبًا حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت.

خاتمة: يحتاج لها كل طالب، ويتشوق إليها نفس كل راغب، ويرتدع لها كل عدو محارب، ويتعظ بها كل خائف من الله مراقب، ومن نال من التوحيد رفيع المراتب، وهي أن الله القدر الحكيم، والآخذ الشديد الأليم، أقدم دهام بن دوس يصادم أجناد لدين، ويبدل جده في حرب ثلاثين من السنين والأعوام. لا يكدر يهنا له طعام، ولا تستغرق عيونه في دجى الظلام بلذيد لمنم، إلا أنه أظهر الاستعانة، وأدى الاستكدة. في ثلاث سنين للدخول مع المسلمين، وأقام في بلده الأحكام والشعائر، ولكنه بتربص بأهل الدس الدوائر، فكان إذا أتاه من الدرعة أحد قام في توقيره ويكرمه وقعد. وأظهر له في الإسلام الغبطة والرعة. وإن كان قد مضى من بعضه قلبه، وإذا رأى أحدًا من جماعته منبوذ الوحيد والدبانة، أحفى له لذنة وإهانة، وكانت هذه لثلاث سنين متفرقة من

السنين في عشرين، والذي قبل من الفريقين في هذه المدة أربعة آلاف في الحساب والعدة، ألف وسعمائة من المسلمين نالوا الكرامة، وألصق وثلاثمائة من الضلال صدرت عقابهم الندامة.

قال المصنف:

كشف الحق ظلمة الإغلاص      ومحا الدين جملة الأرجاس  
وأزال الصباح ديجور ليل      طالما ساعد الأسى في احتباس  
فظلام الضلال والشرك ولي      وضياء الرشاد والرشد راسي  
وتجلت غياهب البغي لما      آذن الزيف والردى بانتكاس  
ورياح القبول والنصر هبت      فالأعادي قلوبهم في ارتجاس  
ومنادى السرور أضحى ينادي      بالهنا والمنى بغير النباس  
وليلي الهموم ولت سريعًا      ونقضت بلا قنوط ويساسي  
زائها الصبر في اللقا فاستنارت      بضياء السعود من غير يأس  
وطيور الأفراح بالفتح غنت      فوق أفنان غصنه الميأس  
حين أم الإمام بالفتح ساع      مخبر عن جلا بني دواس  
فاستزاد الإسلام حوزًا وفوزًا      وسرورًا وعاد باستيناس  
ومضى الهم والعنا وتجلي      يوم أخلى الرياض ذو الإبلاس  
كم بدى من أبي سعود سعود      وفتوح ومفخر لأناس  
قد علت رتبة الشريعة لما      شاد أركانها بأقوى أساس  
وسمى منهج المحجة سمكًا      واستبانن معالم في اندراس  
وتبدى الهدى فأضحى سنه      ساطع النور لامع النبراس  
وأضاءت بذلك بلدان نجد      ومصوا بعده بغير احتراس

وأنت بعد ذا الفتوح وأضحى طالب الدين في مزيد التماس  
فاستقرت قواعد الدين فيها واستمرت سكانها في اقتباس  
وأق التوحيد يتلو جهازاً سورة الفتح لانتصار الناس  
وبدا الدين وجهه مستنيراً حين ميّطت براقع الأذناس  
خلد الله في النعيم إماماً أظهر الدين بعد طول ارتكاس  
وغدا معلناً بدعوة حق والورى في مناهج الخناس  
أوضح السبل للأنام وأحيا ميتاً غيبوه في الأرماس  
وجلا الوقر عن مسامع قوم والعمى عن بصائر في انطماس  
ساعده عصابة الحق حق لبسوا للحروب أقوى لباس  
عصبة لا ثياب هول المنايا كلهم في اللقاء صعب المراس  
عزروا الدين بالقنا والقواضي وأزالوا عنه قذى الأنجاس  
بذلوا للجهاد فيه نفوساً روضوها للموت بعد شماس  
كم تجلت لهم خطوب شمس فجلوها بكل لدن وقاس  
أيد الله نصرهم وعلاهم ببقاء الإمام في إيناس  
وأدام الإله نصر سمود ناصر الدين لابني العباس  
وفيهما وقع الطاعون في بغداد والبصرة وما بينهما من البلاد، وتزايد أمره  
وتفقم، وجل الخطب وتعاضم، وكل يوم يموت من البشر ويُدفن في تلك الحفر  
مئات من الأنام. وصال ذلك عليهم ليالي وأيام، حتى في أكثر أهل البصرة ومن  
والاه من فرى المجرة<sup>(١)</sup>. ويذكر أنه مات في ذلك الطاعون مئات الألوف من  
جميع البلدان مفروقون.

(١) حور، مدينة سوق السبوح «حور نراق».

وفيهما أرسل عبد العزيز، حرسه الله تعالى، إلى زيد بن زامل رئيس الدلم، نبذ العهد والأمن، وليس هنا إلا الدخول في دائرة أهل لإسلام والإيمان، فسم يشن إلى ذلك الشأن منه عيان، ولا التفت إليه مختلاً بما لديه، وسعى في حشد الناس والأحزاب، لما أراد الله تعالى عليه تعجيل العذاب، وأرسل إلى رئيس نجران يستجيشه ويستدعيه، ويعدده على مجيئه الأموال ويمنه، ويضعف أمر هذا الدبن ويوهيه، فلم يرعو إلى ذلك المقال، وقصده زيادة الشرط في المال، ولتوثق قبل الشروع في الحال.

ثم دخلت السنة الثامنة والثمانون بعد المائة والألف.

وفيهما أيضاً أرسل زيد بن زامل إلى رئيس نجران يدعوه إلى ذلك الشأن، ويحثه على القدوم في ذلك الزمن، وتعجيله قبل طوارق الحداث، فلان إلى ذلك فؤاده؛ لأن طلب المال هواه ومراده، وغرت لنيل المال عيونه، وحارت في ذلك أوهامه وظنونه، وصارت أنامل يده ينادمها عُثُونُهُ<sup>(١)</sup>، فتأمل ساعة وفكر، ثم أجمع عزمه ودبر، وحرر مقصوده وقدر، وحقق مطلوبة وقرر، فأرجع إليه الرسول يريد أن يبين له المبدول، ويعرفه بالعائد والموصول وفائدة المحصول، حتى يكون بعد ذلك لحصول، وينجح السير والوصول، ويُنجز لكم المرام والرسول، فأرجع إليه بما راض جأشه عليه، وأن ذلك يتمثل لديه، فوقع بينهما المشروطة، وابترام العقد والمرابضة، وحصل التقارر بعد المعاوذه والمفاوضة، على قريب من ثلاثين ألف رر تُعجل بها المقابضة، وطب زيد بن زامل من رئيس نجران أن يُرسل إليه أرهان، حتى يُرسل إليه الذي استقر واستبان، فأرسل إليه الرئيس رهناً من حممته، وأعين قومه وخاصته، وعجل

(١) لَعُثُونٌ من الحجة. مست على لَدَق وتحتة سِقْلًا. (السان العرب)

بهم له في ذلك العدم، رغبة في تعجيل الحطيم. وأداء ذلك الشرط والالتزام. فلما قدموا على زيد أولئك الأقوام، حدّ في نحصيل ذلك المال، واستيفائه من الرعية بالإدلال، وأقاموا على ذلك ليالي وأيام. لا تدوق عيونهم في الدجى مناماً، ويعانون من ذلك جهداً وسقاماً، وضيقاً ولزماً، ويرتجون لهم مآباً ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾، فلما نص له ذلك المال، أرسل به في الحال، لقصد نجح المرام بقدم أولئك الضغام.

وفيه نزل عريعر مع بني خالد وعنزة على بريدة، وأعمل فيها مكره وكيده، وأقم بها بعض أيام، وهو يحاول في أهلها بالخديعة والإبرام، وتبين الجناح نهم في الكلام، فجدشت إلى ذلك قلوبهم، وحاطت بهم ذنوبهم، فاستدعى عريعر أمرها عبد الله بن حسن للخروج إليه ولمواجهة، حتى يكون الخطب مشافهة، فاغتر بذلك وظهر، وسار إليه وابتدره فعند ذلك حجر عليه وأسر، فدخلت المدينة على حين غفلة من أهلها، وما أقبحها من خصه، فجالت في البيوت أولئك الأعراب، وكسروا تلك الأبواب، فلم يجد أهلها من ذلك مهرباً، ولا ألفوا للنجاة مطلباً، وشمر راشد الدريبي لذلك إزاره، وقصد في ساعته قصر الإمارة، وكان قبل ذلك منه جالياً، وذلك لبلد منه خالٍ.

وفر من يخاف من المسممين على نفسه من المبطلين. وتفرقوا في بلدان، حتى جاءهم من ربههم لصلة والإحسان، فكاتب عبد العزيز أهلها الذين خرجوا منها، وفروا هاربين عنها. وهم آل عدن، على أنهم يُقبلون عليه، ويقسمون عنه أحسن لله قصده، فأسرعوا إليه المجيء ولا قدم. وقبلهم بغيه لإكرام، ورعى لهم تلك الذمام، وأقاموا في نهاية الاحتشام.

وأقام عريعر في ذلك المكار بعض أيام وليال، ثم شمر في المسير والارتحال، فسار منها وضمن عنها. ومعه عبد الله بن حسن ذلك لاميرو. ولم

يزل عنده في حكم الأسير، حتى حاء قضاء العظيم الكبير، وحن أن يُسقي ذلك الكأس المرير، وينمذ فيه الإرادة والتقدير، وينحرج كأس لجدم بعد ذلك العز التام، فنزل به في أرض الخبية السام، فخر من ذلك المقام السام، وضمه ضيق الحدود، وصار أكلة لدود، بعد ذلك لقنا والقنابل، ومسيرة الجيوش والجحافل، وهذه سنة الله في جميع المخلوقات والعبيد، ومفاجأة الحمام بغته لذوي البأس العتيد، ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذْ أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ﴾.

وفيه غزا سعود، حرسه الله، بالمسممين يريد الدلم، والسعد قد قارنه وألم؛ فسار حتى قرب إليها، وشارف الهجوم عليها، فأناخ على حين غفلة من لناس، وقد هجع أهل الأندية والأحراس، فعبا عند ذلك من الكمين ما أراد، وهبأ أهل الغارة من أولئك الأجناد، فلم تستقر الشمس طالعة، حتى صارت خيول المسلمين إلى الغارة نازعة، فوافت كثير أغنام، فاستاقها على التمام، وخرج بعد ذلك من أهل البلد من فيه نجدة، وكان استرداد تلك الأغنام قصده، فناوشهم المسلمون القتل، والكل قد بذل فيه طاقة الحل، حتى ظهر الكمين عليهم وبدا، فصاح بهم صائح الذل والردى، فانكسروا ولكن بعدما جهدوا وجدوا، فانهزموا مدبرين، وما لَوُوا عني الساقة وما ردوا، وقُتل المسلمون عشرة من رجالهم، ودخلوا بلدهم بكسافة بالهم، وتشبثت حالهم، وقُتل من المسممين رجالان: عوض بن ذئب وراشد بن مطيع.

ثم بعد ذلك رحل سعود، فلما وصل إلى الحائر جهز سرية من المسلمين، وأمر عدامة بن سويري عليهم أجمعين، وأمره أن يقصد الزلفي، ويأخذ ما يحده هناك ويلقى، فسار من ساعته ومن معه عدامة، فوافه ركب من أهل الزلفي أمامه، فتن عليهم الغارة، ولم ينح أحد منهم بنياره، ولا أواه حين شمر فيه

إزاره، فكلّ منهم تحرّج حِمامه، وكن الموت عايته ومرامه، وكانوا نحو العشرين، فقتلوا أجمعين.

وفيها وفد أهل حرمة والمجموعة على الشيخ وعبد لعزيز يريدون الإسلام، فعهّدوا على ذلك والتزموا القيام بجميع الوظائف والشعائر والأحكام، غير أنهم طلبوا منهم عدم المطالبة بالجهد، حتى يتوفّر أهل تلك البلاد، وكان مرادهم لإمهال سنتين، ثم يشمروا بعد ذلك من غير مئثر، فلما عرفا منهما الحقيقة والرغبة، ساعدهم على الموافقة والطلب، ثم كنت إلى بلادهم الرجعة والأوبة، بعدما أدرك كلّ مطوبه.

وفيها وفد محمد بن رشيد الهزاني وأعيان أهل الحريق، يريدون الإسلام، الذي هو أسهل طريق، فقدموا على الشيخ وعبد العزيز، سلّك الله بهما مسلك التوفيق، فبايعوا على الإسلام، والتزموا القيام بجميع الأحكام، ثم بعد ذلك رجعوا إلى بلادهم بعد حصول مرادهم.

ثم دخلت السنة التاسعة والثمانون بعد المائة والألف.

وفيها سار عبد العزيز بالمسلمين يريد الخرج، فجد المسير، حتى إذا قارب الضيعة<sup>(١)</sup> بعد الهجوع، أناخ يهئ الجموع، وبعى أهل الغارة والكمين، فلم ينجل الظلام ويضمحل الإظلام، إلا وقد أخذ من التعبئة أحسن نظام، فعند ذلك شن الغارة أمّهم، وأخذوا من الأغنام، فخرج عند ذلك أهل البلاد، وناوشوا المسلمين الجلاد، حتى بدت لهم من الكمين أسنة، فأطلقوا نصاراً أعنة، وولّوا جمعاً مسيرين، وأقدموا في بلاد محنصرين، وقد قُتل منهم تلك الساعة اثنا عشر رجلاً، ورجع المسلمون على أعقابهم وقد أدركوا أملاً. ثم إن المسلمين

(١) مدينة راعية في محافظة الخرج

أحدوا في قطع الاشجار والحيل، فقطعوا من ذلك ما ليس بالقليل، وذلك جميع نخل الشدى.

ثم ارتحل عبد العزيز بالمسلمين ونزل باندلم، ونوى حصار أهل زميقة<sup>(١)</sup> وعزم، فأقام عليها للحصار، وأشرف أهلها على الدمار، وخرب من نخلها وزروعها، وقطع من أصلها وفروعها، ثم انصرف راجعاً إلى بلاده بعد نيل مراده، واستأذن الغزاة في إعطاء تلك الغنيمة آل عليان، فأجابوه بطيب لسان وجنان، وقد استشهد من المسنمين ثمانية رجال، منهم فهد بن سلمان، رحمهم الله تعالى.

وفيهما سار رئيس نجران يريد أهل الإيمان، ومحاصرتهم كافة في البلدان، فأقبل معه من سائر الأعراب ما لا يقدر على عدّه حُسَّاب، ولا تحصره الألباب، وقد انضم إليه والتأم كل جلف وطمع، وأشخص كالأنعام، بل هم أضل منها في الأفهام، وكل من بلغه ذلك المسير والتسيار، سارع إلى المسارعة والبدار، خصوصاً سكان الفيافي والقفار، فأقبت معه وبعده، خيَّب الله قصده، أصناف قبائل البادية، كلها على أهل الحق عادية، وجَدُّوا لأهل التهيئة سيرة ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَكُنُوا خَيْرًا﴾ وساعده في ذلك الأمر والشأن، كل رئيس وحاكم شيطان، من أهل نجد وغيرهم من الحضرة والبدون، وأعانوه على طمس هذا النور، وإطفاء مصباحه المضيء في الدبجور، جمع أهل المعاصي والفحور، بأنواع كثيرة من الأموال، وأمروه من النقود بما لا يخطر على البال، ولا يحصره لسان المقال، وبرزوا في ذلك الكبير المتعال، وحاربوا ذا العزة والجلال، فلم تنجح لهم أمل، ولم يحصلوا من لقون على حال.

(١) بلدة تقع جنوب مدينة اندلم



وأرسل له بطير بن عريعر من القود، ما ناف عنه على المقصود، فذكر أنه أرسل له بما يزيد على ستة آلاف مشحص<sup>(١)</sup>، وأظهر له من أحمل الطعام من الحسب وأشخص، فقدم عليه من احسا ثلاثمائة من الزاد، فرال عنه لجوع والهم والأسى، وتلاحقت عليه الأمداد من الجموع والزاد، وهو مقيم على الحائر من تلك لبلاد، وكل يوم يجري بينه وبين أهله القتال والجلاد، وقد قتلوا منه في تلك المدة قريباً من أربعين رجلاً في العدة، فزال ولله لحمد عن أهل تلك البلدة كل رعب وخوف وشدة، ودُعرت من معه من أجلاف الأعراب، وعرفوا أنه من مقصوده خسر وخاب، وما أطمعهم في المجيء معه والإقدام، إلا ما صدر عنه قبل ذلك العام، وما عرفوا ما في ضمن تلك المرة للمسممين من العز والمسرة، وما انطوت عليه من الحكم والأسرار، ما لا تحيط به الأفهام والأفكر، بل يحسبون أن ذلك لعقة عسل، فرجعوا بخيبة الأمل، وظنوا أن المسممين أكلة جزور، فآبوا بالثبور والعثور.

وكن عبد العزيز، حرسه الله تعالى، في تلك المدة والإقامة، قد أرفه حده واعتزاه، وصقل جده واهتمامه، في تجهيز الجيوش والإمداد، إلى كل قرية وبلاد، فأرسل إلى الرياض مدداً، فقاموا بها أمداً، وخرج سعود، بلغه الله المقصود، بالمسلمين فعمد إلى ضرما وأقام في نواحيها، وغاراته تراوح الأعداء وتغاديها، وتباغت البوادي العادية وتفاحيها، فأغار هو وجنوده المصور، على اليمن ذوي الكفر والفجور، وكانوا بأرض الحرمة<sup>(٢)</sup> يسمون، وفي سعاها تنك الأيم يقسمون، فلم يرتفع بعض الأسم للشمس س، وبجلو

(١) عمله نقدية كاس تستعمل في رمنهم.

(٢) شرق مدينه الرياض كم سق .

تلك الأعراب الناعية من عيونهم وسنا. إلا وهو قد أشرف عليهم ودنا، ويحل لهم الكرب والغنا. فشئت عليهم فرسان لمسلمين العدة. وكُنْ شَمْرَ لِقَتالِ إزاره، وجرى بينهم ذلك اليوم طعان، وقُتِلَ من كل الفريقين فرسان.

ثم رجع سعود بمن معه إلى ضرما، وانهزم أولئك اليمنان عن رعي ذلك المكان، فاجتمعوا مع رئيس نجران على الحثر. وأقاموا مع ذلك العدو الجائر. حتى وقع بينه وبين أهلها الصلح. فسار عنها ولم يحصل مما رام على نجاح، وقصده هو ومن معه، وساعده من الحضر والبدو وتبعه. بدة ضرما، وكان سعود قد سار عنها وظعن منها، فلم تأت تلك الأقوام وهو في ذلك المقام. بل وضع في البلاد من الرجال عددا. يكون لأهلها عوناً ومدداً، ويزدادون بهم همة وجندا، فلم تنزل بهم أولئك الجيوش الرعد، وتحف بتلك البروج الرفع، وتملاً فحج تيك البقاع، إلا وللمسلمون قد استعدوا للدفع. وأخذوا من الأهبة شأنها. وحصنوا تلك البلد بروجها وحيطانها، فجند ذلك الرئيس الشيطان، وأتى من الحرب ب بكر وعوان، ولم يُبْقِ جَهْدًا مِنْ نفسه وَمَنْ معه من الأعوان، فنهض في ثاني يوم نزوله عليها، وقرب جميع أجدده إليها، وأبرزوا من الاجتهاد. وطلائع الصبر في الجلال، وسيما النجدة والقوة والشجاعة والفتوة، ما ظنوا أنه يهرب أهل البد، ويرعب ذوي البأس والجند، ولكن الأحاد الصمد ثبت أقدام أهلها. حين شد القوم في حملها. وتوعلوا بين أشجارها ونخلها، فأنزل الله عليهم السكينة والثبات، فلم يكر لهم. وله الحمد. إلى الذل التفات، بل صدقوا لعلم الخفيات، وخالق البريت والسرائر والنبات، فرموا أولئك الأشرار بمصيب البندق سن النخل والأشجار، فكانت شهب الرصاص كأنها عليهم مرسلة، أو من فوقهم منزل. فخرجوا هربين سراعاً. ولم يدركوا نفعاً ولا انتفاعاً. ولم يستطيعوا حيتد دفاعاً، وقتل

المسمومون منهم خلقًا كثيرة، وأوقعو بهم جراحات عريرة، وأسقوهم من الأسف كأسًا مريرة، فانهزموا عنهم ورنحلوا منهم بحالة ضريبة، ودلة واصحة شهيرة، فلم يكن بعد نيك لجميع الأعداء عين قريرة، ورجعوا كلهم خثيين، قد أسفوا على ما قدموا أجمعين، وأصبح أهل الإعانة مختبرين، وعلى بذل المال متندمين، وودوا لو أُخروا إلى حين، وصاروا ممن خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

ثم بعد تمزُّق هذه العساكر المجرورة، وتشتت هذه الجيوش المرعوبة المكسورة، وتفرق تلك الأجناد المذعورة، قصد كُلُّ قَبِيلٍ قَبِيلَهُ، ونح كل ذي جيل جيله، وعمد كل ذي وطن إلى وطنه، وحنَّ كل ذي سكن إلى سكنه، فنقبوا قبائل العجمان، وحموا معهم على سريرته رئيس نجران، وقد أرهقه المرض والأسقام، وأضنت جسمه مواد الآلام. وكان ذلك الرئيس في الشر قرين إبليس. وقد فتن أولئك الهمج من الناس، مما يبدي لهم من حسب الرمل والتخمين والأحداش، وافتتن أولئك البوادي، وساروا له بالأموال الروائح والأغادي. فلم يشك أحد من جميع تلك الطوائف، أن ذلك الرمال لأسرار الغيب حافظ عارف، وعلى ما يحدث من المكونات محيط واقف، فكذبوا إذا أرادوا القتال حملوه على سريرته في لمجال، وقصدهم بذلك الاستنصار، ورفع ما يحفهم من الآصار، فمدت في أثناء انصرافه، وشاهد جزاء سعيه وإنصرافه، تحسَّى عليه مرارة الحزن جميعُ أصهاره وأسلافه، وفقد تلك الكهنة والتجسيم كفة خلانه وُلُوفه، وفاجأه وارد الجحيم قبل وصول بلده، وما فاز بمرامه.

وفيها غزا سعود بالمسلمين، فأغار على الضبيعة، ولم يخرجوا إلى قتال، فكان الرمي بينهم من بعد، وقتل من الكل بعض رجال، فُصل من المسلمين موسى بن حماد وعبد الله بن غنم، ثم انصرف المسلمون منهم ورجعوا عنهم.

وفيها مات مشاري بن سعود، وكان له في الجهاد مقام محمود.

وفيها أيضًا غز سعود، متع الله تعالى به المسلمين، فسار بريد بريدة ومعه آل عليان الذين خرجوا منها هاربين. فجد إليهم المسير، فلما وصل إلى قرب البلد، ولم يشعر به من أهلها أحد، لكونه نزل ليلاً بساحتهم، وكان وقت هجعتهم وراحتهم، فلم يستقر به القرار في أرض تلك الديار، حتى عبأ جيشه وكمينه، وقام ينتظر الصباح وحينه، فحين أسفر له منير ذلك الضياء، وفرغ من صلاة الصبح وقضى، نهض في إنجازه دبره ومضى، وكان ولله الحمد له في ذلك السعي رضا، وذلك أنه شن الغارة عليهم صباحًا، فلم يخرجوا إليه كفاحًا، ولم يجدوا دون الحصار في البلد صلاحًا، ولا ألفوا دونه مراحًا، مع أنهم لم ينالوا من ذلك فوزًا ولا نجاحًا، فأقام المسلمون على البلد أيامًا، وكل يوم يقع بينهم قتل ومرامي.

فما أعيا المسلمون أمره، وجهد أهل البلد حصارها وحصرها، ولم يباليوا بما نالوا من الضرر والأضرار، ومنازلة تلك الجموع والحصار، اقتضى رأي سعود أن يبني تجاههم للمسلمين حصنًا، يكون لهم ثغرا وأمنًا، فأمر ببناؤه، فبنى تلك الأيام وزيد في بنائه بجودة الإحكام، ووضع فيه عدة من أهل الإسلام، أميرهم عبد الله بن حسن<sup>(١)</sup>، ثم رجع سعود ومن معه إلى الوطن، وأقام أهل ذلك القصر فيه، وكل يوم يشنون الغارة على أمير بريدة وتؤذيه، ويقوا أيامًا لا تسرح لهم سائمة، ولا تبقى لهم عين نائمة، وبوادر الحرب كل يوم عليهم فائمة، وفرسان ذلك اشغروا لاستيلائهم رائمة.

فلم يجد أميره راشد الدريبي من الأسباب، إلا بعثه إلى جدبع<sup>(٢)</sup> بكتاب

(١) قال ابن سبر (١ / ٦٤): «من رؤساء آل ابن عبد الله أهل بريدة»

(٢) قال ابن سبر (١ / ٧٤) «رئيس آل حلال من عنزة»، فارس مشهور.

يستعينه ويستنجده، فلم يكر إلى ما يريده يسعده، فرجع منه الرسول بخيمة المأمول، فلما حذ به الحصار والضيق، وضائق عليه مناهج التسديد والتوفيق، لم يجد إلى سلامة عمره منهجاً، ولا طريق سوى أخذ لأمن على عمره، وحو به شؤم غدره ومكره، فأرسل إلى عبد الله بن حسن يطب لنفسه خاصة الأمان، وخروجه من تلك الأوطان، فأعطاه عبد الله ذلك بإعلان، ونادر إلى مواجهة عبد الله بذلة وهوان، ودخل عبد الله بن حسن وجماعته البلد، فقتل من قوم الدريبي كل من عشر عليه ووجد، فقتل في ذلك اليوم والحين من أولئك الجماعة نحو الخمسين. واستولوا على جميع ما فيها من الأموال، وتأمر عليها عبد الله بعد الفراغ من تلك الحال، وصارت تلك القضية وصدور هذه الموهبة السنية، إنقاذاً لأهل القصيم وما فيها من البرية، من غمرة الضلال الوبية الرديّة، فأظهروا الإسلام، ودانوا بجميع الأحكام.

ثم بعد مضي ذلك بأيام وليال، وفد عبد الله بن حسن مع رجال من وجوه أهل القصيم، على الشيخ وعبد العزيز لأجل المعاهدة والتسليم، فثُتُّوا بأنهم إقبال وقبول، وفازوا بأعم مطلوب وسول، وعاهدوا على الإسلام والقيام بالأحكام على التمام، وأقر عبد العزيز كر أمير بلد في بلده أميراً، وزادهم حشمة وتوقيراً. وأمر عبد الله بن حسن على جميع بلدان ذلك الوطن، لا يعرضه منهم أحد فيما أراده وقصد، واستمروا على حالة مرضية سنين، ثم تغيروا وانقلب كثير منهم لأجل فتنة يأتي ذكرها بعد حين.

وفيهما غزا محمد بن جمار مع جماعة من أهل الوشم، فوافاهم بطين بن عريعر بارض النبقية<sup>(١)</sup>، فقتل غالب أهل تلك السرية، ونار<sup>(٢)</sup> نأقيهم وسلم،

(١) من فرى القصيم، تعد عن بريدة حوالي ٤٥ كم

(٢) نار: حرب

ووهى عز بطين بعد تلك لقضية وهُدم، وتضعصع أمره وحاله، وتشتت عزمه وباله، ونقم عليه لقبح أفعاله، إخوانه ورجاله، وأخذ سبطانه في الضعة والانحطاط، وحق به أمر الله وحاط.

وفيها قدم زيد بن زامل على عبد العزيز في الدرعية، فجاءت من غير إشعار ولا إخبار القضية، ولا معاودة ولا أخذ أمان، ولا مفاوضة ولا روية، فلم يشعر عبد العزيز إلا بقدومه ومفاجأته له وهجومه، مع أناس من أعيان قومه، فبايعوا على الإسلام، فتراضت تلك النفوس التي نشأت في التكبر والإعظام، وألفت في ذلك منهج آبائهم القدم، فدانوا بشريف تلك الأحكام، والتزموا بجميعها القيم، وطلب عليهم كثير من أنواع السلاح، وعدة من الخيل المطهمة الملاح، فلم يلقوا بذلك نجاح ولا جندح، ولا رأوا به حوبًا ولا بأسًا، ولا رفعوا للإبانة والامتناع رأسًا، فأتوا سريعًا بما طُلب، وأرسلوا بجميع ما أريد وكتب، وحق عليهم وحسب، فلما وصل إلى عبد العزيز جميع المطوب، وأحضر لديه المقرر المكتوب، أخذ منه جزاءه الله خيرًا بعضًا، وبعض تركه لهم رفضًا، مسامحة لقبوهم وتطيينًا، وتوليْفًا لأولئك الأشرار وترغيبًا.

ثم دخلت سنة التسعين بعد المائة والألف.

وفيها قتل زيد بن زامل فواز بن محمد من أهل الحوطة، وذلك أنه أتى ابن زامل في بلاده، لما أراد الله كرامته واستشهاده، فطلب منه المحاكمة للشرع وسرعة انقباده لمشاجرة بينهم سابقة، فلم يُنْقَدْ له ولا وافقه، بل نفر عنه ولا طبقه، وأنبه على ذلك الكلام وقال: أنعد في بلادى إلى الأحكام، ويُقَدَّ عني في الشرع النقص والإرام، وأنا رئيس من في هذه البدة من الأنام، وكيف أهاار وأسام ويُلوَى عتقي وأضدم؟ فحرّد عليه صارمًا غير كهه<sup>(١)</sup>، وحرّعه كأس

(١) أي. عبر كبير.

لحمام، وارتدى برداء الغدر، وتسربل بالحزبي والذل والإهانة، فلم يحصل له ولله الحمد الإعانة، بل مذقه الله تعالى وأعونه، ومثك الله تعالى المسمين ترثه ومكانه، واستولوا سحته وأوطنه. واحتووا رعيته وحيطابه، فسبحان من لا يعجزه شيء، ولا يفوته حي، سبحانه.

فلما صدر عنه هذا الغدر والفتك، وظهر منه هذا المكر والهتك، وبغ ذلك على الجزم واليقين عبد العزيز إمام المسمين، أمر بغزو المسلمين عليه، وإرسال الجند إليه، فجدّ المسلمون إليه في الوصول، فلم يلبث إلا قليلاً حتى أحاطت به الجيوش في النزول، ونزل بساحته الجحافل والخيول، فلم يستقر بهم هناك لقرار، بل لم يقيموا به شطر نهر، حتى شمر للجلاء السعد والإزار، وحق به ما اقترب من الآثام والأوزار، وما صنع من العلو والاستنكاف والاستكبار. فهرب على ظهر فرسه مع ولده وبعض خواصه الأشرار، فدخل عبد العزيز وحزبه البلد، فلم يُغز منها على أحد، بل أعطى أولئك الأمان، إلا أصهار من تعدى وخن، وما له من خاصة وأعوان، فأمر على جميع أولئك القوم والملا بالخروج عن تلك البلد والجلاء، وأمر عليهم سليمان بن عفيصن، واستمروا على ذلك شطر زمان، وعليهم سيمة الإسلام والإيمان. حتى أراد الله الرحيم الرحمن، أن ينحطوا إلى حضيض الذل والهوان، وينخرطوا في سلك أهل الضلال والخذلان.

وفيها قدم أهل منبّخ وأهل الزلفى على الشيخ وعبد العزيز لأداء السلام، وتجديداً لعهد الإسلام. ووفد معهم سليمان بن عبد الوهاب، ولم يكن له إلى منبّخ رجوع وانقلاب، بل حسن له في الدرعية السكنى والمآب، فقولوا بالبول والإكرام والشاشة، وكان من الشيخ إلى أخيه سليمان أعظم تحنر واهتشاءة. فدر حاله حيثند وأراشه، ووسّع عنه قوته ومعاشه. وكان هذا

شأه مع غيره<sup>(١)</sup>، طيب لله في ضريحه مهاده وفراشه. فكان ذلك سبباً لإنقاذ سليمان. وصدقه مع أهل الإيمان، وتحققه بهذا الشأن، فقام في هذا الدن بتحقيق حزم وبيقين، وأقر عني نفسه واعترف بما قدمه قبل وأسلم، ووهى بما عاهد عليه وما أخلف، ومات، ولله الحمد، عني حالة رضا، بعدما جرى منه وما مضى، فلم يوافه القضا إلا بعدما رفض ما كان عليه وانقضى.

وفيها وفد أهل اليمامة، وأميرهم البجادي حسن، فقدموا على الشيخ وعبد العزيز في ذلك الوطن، جددوا للإسلام عهداً، وأرسل معهم معلماً في ذلك المبدأ، وهو حمد العريني، فسار معهم لأجل نشر التوحيد والتعليم، ومكث عندهم حتى صدر منهم ذلك الأمر العظيم والخطب الجسيم، وذلك أن أهل تلك القرية شرعوا ينسجون أردية الغدر والفرية، وينظمون أحوال الخيانة والردة بلا مرية، يدبرون فيها مظلم الآراء، ويدبرون أسباب التعدي والاجترأ، ويحاولون الفتك بمن عندهم من أهل الدين، حتى اجتمعوا عليه بيقين، وتعهّدوا عليه مجتمعين، وتجاهرو به غير مختفين، فلما تحقق منهم ذلك حمد العريني وابن داعج، وعرفوا أنهم من غير شك يريدون الردة، وأنهم يبغونهم بالقتل غداً أو بعده، خرجا منهم هاربين، وكن للسلمية طالين.

ثم بعد ذلك أسرع إلى عبد العزيز بذلك الخبر، فأمر المسلمين فوراً بالتجهيز لغزو. فخرج سعود بهم وظهر. وجد السير إليهم ليلاً ونهاراً، لا ينيح، لا وفتراحة اضطراباً، أو حنوح الشمس اصفراراً، حتى وصل إلى لسمبه<sup>(٢)</sup>، فألقى الرجال ووضع فيها من المسلمين عدة رجال، وأرسل إلى الدلم والضبيعة

(١) رحمه الله، وهد من حكمته في تألف من يقبل عني بحق، سواء من أفر به أو من عرهم

(٢) من مدر محافظة الحرج



ونعجن<sup>(١)</sup> مرانطية كثيرة من أهل الإيمان. خشة معالجة الردة والافتتان، وبقي  
أمام كثيره يكتب أهل اليمامة من جهة تلك القضية. وبحث حسر البجادي على  
إخراج أهل الشر من بلاده والأعددي. الذين صدرت منهم تلك السعاية،  
واجتمعوا على المسلمين بالفتك والنكبة. فوعده الامثال والإحراج. وليس  
دون ذلك من إرتاج<sup>(٢)</sup>، ولا عن جلائهم من إفراج، ولكن بعدما ترحل عن هذه  
البلدة - يعني السلمية - وتحط الأثقال في الدرعية، وكان هذا منه خديعة  
ومكرًا، وقد حاق به شؤم فعله قسرًا، وما أغنى كيده وما نوى، بل حطه في قعر  
الإذلال والخزي فتوى.

وذلك أن سعودًا لما جاءه منه الوعود، بأن ينفي عن بلده اليمامة كل من لا  
يحسن له بها الإقامة، ولا يعرف أهل التوحيد قبل ذلك إسلامه، ولا تبينت له  
قبل صلاحية واستقامة، وبعدهما تشرع في الارتحال. تكون منا الطاعة  
والامثال، رضي بذلك منه وما جال في خنده ما صدر عنه، وما شعر أن وراءه  
من الغدر نسيجه، وأن بارتحاله تبدو له النتيجة، فحينما أخذ سعود في الارتحال  
والمسير، شرع حسن مع جماعته لأسباب الردة في تدبير، فلم تنخ له في  
البطحاء الركاب، وتحط الأثقال أولئك الأصحاب، إلا والردة قد أحكمت لها  
الأسباب، وولج إليها من كل باب، وأظل أهلها مدلهم العقوبة والعذاب.

وحاصل ما صدر وتحقيق ما جرى وظهر، أنه خرج مع أهل النجدة من  
أصحابه وكافة رجاله وأحرابه، يرد من في السلمية من المسلمين، وكانوا بذلك  
لأمر مشعرين، ولقدومهم مستعدين، ولقدومهم مناهرين، فلم نور الصباح

(١) من مدد محافظة الحرج.

(٢) أى: اعلاف

بالإسفار، حتى هجم أولئك الأشرار، وكان لهم إلى حبل النحر البدار، وراموا أن سابقوا المسممين على القلعة المسورة، فلم يكن ولله الحمد لهم عليها مقدرة، فبدل دونها أهل التوحيد المعذرة، وأرخصوا ذلك اليوم الأعمار، وكان لهم فيه الغاية من الثبات ولاضطبار، وطال بينهم القتال، والكل شمر الساعد والأذيل، وأنف من المعرة والإدلال، وبذل في ذلك جده وجهده، وتبين فيه أهل البأس والنجدة، وأنجز الله تعالى للمسلمين وعده، فحمى الله تعالى عباده المؤمنين، وصرف عنهم كيد المعتدين ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصِحُّ عَمَلُ الْمُفْسِدِينَ﴾ فرجعوا على أعقابهم من حيث جاؤوا، وانقلبوا بالعار ولخزي إلى مكانهم وفاؤوا، وقُتِل من المسلمين اثنان، ورجع أعداؤهم بالهوان.

وفيها صاح إبليس بأهل الخرج وتنفس، وسول لهم الخروج عن الحق ووسوس، وزين في الارتداد منهاجه، وحث على إغوائهم أعوانه وأفواجه، وأقبل عليهم بخبيته ورجله ركضاً، فقاموا بذلك وأسرعوا إليه نهضاً، وفتح لهم اللعين ذلك الباب، وضح بهم في مفزعة لهلاك والعذاب، وجمع عليهم من أنواع النذل أسباب، ثم نادى فيهم بالخراب والذهب، فتذك ليس لي إليكم رجوع ولا إياب، فقد صرت عقباكم الندامة، وليس لكم عني ملامة.

وحصل ما جرى منهم من قبيح الأفعال، وما وقع بهم من الإهانة والإذلال، أنهم لما حسنت لهم الردة، وحقق كل منهم عهد قصده، لم يحدوا قيماً ورئيس، سوى فرين إبليس، وهو زيد بن زامل، وكان إذ ذاك عن الأمر غافل، وبما دروه وراموه جاهل، ولبس للرئاسة حيثنذ بآمل، فأرسلوا إليه بالتقدم، فمد جاءك ما تريد وتروم، فأسرع إليا بالإياب، فالمنى أتك بغير ارتياب، فلم يرفعو إلى ذلك الدطل والأدى، وقال من رام هذا فقد وسوس وهدى، ولا أقدم عسكم إلا إذا، ولكر أرسل إليكم ابني، وهو نائب فيكم عني، ويقف على حقيقة الحل، وما

صار إليه المال، فخرج ابنه يريد الدلم، وبوي ذلك وعزم، فلم يرعُهُ حتى قدم عليهم وهجم. فأرسلوا عند ذلك إلى آل مرة، وكانوا قريباً منهم ليقصي الله فيهم أمره. وأعلم بذلك أيضاً أهل اليمامة، فعجل كل منهم مجيئه وإقدامه، واجتمعوا يريدون المسلمين الذين في البلاد، وليس عندهم خبر بمن نواهم وكاد، بل هجموا عليهم من غير تأهب ولا استعداد، ووقع معهم في جوف البلاد المقاتلة والمقابلة والجلاد، فقتل من المسلمين نحو عشرة رجال، ونار<sup>(١)</sup> غالب المسلمين من غير إمهال، وتفرقوا في بلدان المسلمين، وبقي أهل الباطل في الدلم مجتمعين.

ولما جاء زيد بن زامل ذلك الخبر، وتحقق من أهل بلده ما جرى وصدر، أسرع إليهم المسير والارتحال، وقدم عليهم بعد مضي أيام وليال. وما تصور في دهنه أنه يخرج منها بهوان وإذلال، ويعجل له الإخراج منها والجلاء والانتقال، وحين وصل خبر ذلك الأمر الصادر والفعل القبيح الهادر، إلى إمام المسلمين، متع الله تعالى به في تمكين، جهز إليهم سعوداً وأصحابهم، وعجله في المسير وأحزابه، فجد السير إليهم حتى قدم هو ومن معه عليهم، فأنخ في بلد السلمية لأجل إخراج من فيها من رعية. فأقدم فيها نحو يومين، حتى تجهز للارتحال، وتهياً منها للجلاء والانتقال، جميع أهل التوحيد، بسكينة وتأيد، ثم سار مرتحلاً، بعدما نال منها أملاً، وخرج معه من غير المرابطة، حمائل كثيرة من أهل اسلمية، بجميع ما لهم من أهل وحيون وأثاث، من غير تلبث ولا ارتثاث، ولا مبالة بذلك الوطن ولا اكتراث، بل هم لما عند الله محتسبون ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَلَئِنْ لَدَيْنَا مَآسُوا وَعَلَىٰ رَبِّنَا يَتَوَكَّلُونَ﴾.

وفيها غزا المسلمون، وأميرهم عبد العزيز، حرسه الله تعالى، وأفاض عليه جوده ووالى، يريد الخرج وآل مرة الذين فيها، ومن ساعد على تلك الردة ومقويها، فجد، حرسه الله تعالى، في ذلك، يريد جميع من هنالك، وقد اجتمعوا في تلك الأراضي، جميع من له في الردة ارتياض، وعزّ له إلى بعثها انتهاض، وقد ملأ تلك الفيافي الفجاج، من له في الباطل والزيغ انتهاج، واحتسبوا في ذلك للقتل والمقاومة، وتأهبوا للجلاد والطامة، بل هم كل ساعة إليها في انتظار، وليس لهم عنها بد ولا اضطبار، فتقرب إمام المسلمين إلى الله رب العالمين، بالدعاء بالنصر على المبطلين، وحث إليهم النجائب، وأعمل في النص لركائب، حتى قاربهم حين الهجود، وكانوا غفاة رقود، فعند ذلك عبأ أهل الغارة والكمين، حتى أخذ الفجر يبدو ويستبين، فلما انكشف غيب الدجى وزل، وجدّ الضوء في الاشتعل، وفرغ من شُبحة الصبح، شرع فيم كان له السرور والنجح، فأمر أهل الغارة وغاروا، فربحوا في سعيهم وما باروا، وبدروا إلى أمره وما حاروا، فستاقوا جميع الآبال، وما كان دونها إهمال، فلم أشعرت قبائل العرب والبادية، أقبلت جميعها عليهم عادية، فاختطت الفرسان والأبطال، وكان بينهم أعظم مجال.

وكان المسلمون قد وطئوهم في مضيق شعب من الشعب، فلم نهضت إليهم أولئك الأعراب، وعاحلوهم بالفرع والانتداب، فأمسكوا من الشعب المضيق، ولم يكن للمسلمين فيه فسح طريق، فرمى من المسلمين بعض أسس، وكان سبباً لحصول الضرر والبأس، فانكشف أهل الدين، وجدّ في ساقتهم فرسان المظليين، وأخذوا يحهدوهم سافه، ولكن قد بذل فيه الطقة، واحتفى أهل الإسلام في ذلك المكر والمقدم، وصبروا على مصادمة أولئك الفرسان الأحلاف، ونهبوا لضعانهم في حاله الانكشاف، غير أن المسلمين قُتل منهم نحو

الأربعين، على سبيل الحُدس والتخمين، وفكَّ هُلَّ الباطل عَالِبَ الإيل،  
وَسَاقَ المسلمون على عجل، ورجع المسلمون إلى بلادهم، وأكره الله تعالى  
من تقدم باستشهادهم.

ولم وصل عبد العزيز إلى الحائر جهز سرية إلى اليمامة ثمانين راكبًا، فعقروا  
فيها إبلا. ثم رجع كل إلى أهله آتيًا، وقُتِلَ من المسلمين المشهورين عبد الله بن  
حسن أمير القصيم وهذلول بن نصير.

ثم دخلت السنة الحادية والتسعون بعد المائة والألف.

وفيها غزا المسلمون، وأميرهم سعود يريد الخرج، فذكر لأهل تلك البلاد أن  
هنا غزو للمسلمين. فتأهبوا في الاستعداد، ونفر منهم كل جريء الفؤاد، ومن  
مارس الحرب والجلاد، فخرجوا إلى لقائه، قبل غدرته واعتدائه، فتوافق  
الفريقان، وتصادف الجمعان في أرض السهبا، والكل منهم قد روض على  
الصبر قلبا، ورام لعدوه استيلاء وسلبًا، وقوى جأشه حتى ينال غنيمه ونهبًا،  
ويفك نفسه مما أحاط به واهيه وكربًا، فصال بينهم المجال، واستحضر القتل  
والقتال، وقتل من الكل رجال، ثم حصل بعد أن جهد كل منهم الانفصال،  
ورجع كل إلى بلاده، ولم يحصل على نيل مراده.

وفيها عُثِرَ على أهل سدير ومنيح بنسيج أردية الردة وبرود، وسعاية في فتح  
بابها لمرتج المسدود، وبير من أناس فيه قيام وقعود، وأتى الشيخ وعبد العزيز  
لأمير من حقق له ذلك النسيج والتدبير، وحق له أن ينشد على لسان التحذير:

أرى حُلَّ الرِماذ وميض جر ويوشك أن يكون لها ضرام

فإد لم يطفئها عقلاء قوم يكون وقودها جثث وهام

فما أعلم الشيخ وعبد العزيز عثمان بن عبد الله بمن قام فيها وقعد، جهز عبد

الله بن محمد في لمسير إلى تلك البلد. فسار في يومه ذلك وهضر، فلما وصل

عبد الله ومن معه من المسلمين إلى بدران سدير ومنيخ. أمر علي الحسيني ومحمد بن إبراهيم ومحمد بن عبد الله من أهل حرمة، ومن أهل سدير صعب بن مهديب رئيس الحوطة ومنصور بن حماد رئيس العودة وعياله، بالجلاء عن ذلك الوطن، لذي نَوُوا به إيقاع الفتن، لكون تلك الأمور المسصورة والأحوال المشهورة المزبورة، جميعها منسوبة لهؤلاء الجماعة المذكورة، فأتى بهم إلى الدرعية لأجل نسخ سب القضية، فلم تقم أولئك الغزاة في الأوطان، بل بادروا الخروج إلى الخرج بإعلان، فجَدَّ عبد الله بن محمد بمن معه من المسلمين في ذلك المقصد، ففاز بالمكان الأسعد، وذلك أنه صَبَّح الدلم بالغرة، وأشعل فيهم ناره، فقتل سنة رجال، وعقر عليهم كثيرًا من البقر والآبال.

وفيها ثارت للردة في حرمة نائرة، وأضرمت للحرب نائرة، وذلك أن ذوي القلوب الشريرة الفسدة، والأفئدة المغلولة الحاقدة، والنفوس التي هي للمسلمين في الحقيقة حاسدة، وللحق مكرة جاحدة، حصل بينهم تواطؤ وتوافق، وتساعد وتطابق، على إشعال نار الردى، وإطفاء مصباح الهدى، فصارت منهم الأيمان والمعاهدة، والحلف والمعاقدة، ورئيسهم في ذلك الغدر ونسج أردية الخيانة والمكر جويسر الحسيني، فوطأ قلوب رؤساء سدير، وهم سويد بن محمد وآل ماضي ومحمد بن عثمان، على لغدر بأهل الإيمان، وأن أهل كل بلد تقتل من المسممين من به قدم وقعد، فأعظوه على ذلك ما أراد، وطاعوا له بالمراد، فلم يكن لهم ولله الحمد عون ولا إسعاد، ولا ظفروا برشاد، وخاسوا وآبوا بسخط رب العباد.

فما أرادوا أن يبدروا بالإنجاز، ويعالجوا لفرصه بالانتهاز، أرسوا إلى كسر لمسلمين لذين في المحمعة، أن باتوا إلى حرمة يُعمون فهنا متعلمون ومستمعة، وقد انتظم لعقد والإبرام. وأتقن مرادهم بالإحكام، على قس أولئك

الأقوام. ولكن أراد الله تعالى إدلال أولئك العتاة اللثام، فلم يجرى أهل الدين والإسلام، ولم يحصل منهم إلى حرمة إقدام. فحده أهل الدين والإسلام إلى حرمة. وهم محمد بن شبانة وعثمان الثميري وكنعان بن عيسى وعمرهم، فلم يكن لهم المجيء والإقدام. أرسل جويسر ومن معه من الأقوام، إلى أميرهم عثمان بن عبد الله، وكان في نخل له، يعلمونه بقدوم تلك لجماعة، ويودون تعجبه وسراعه، وقد أعدوا له ستة رجال لقتله ساعة المجيء والإقبال، منهم أخوه خضير وابن عمه عثمان، فتكفلوا لهم بذلك لشأن، فلما قدم يريد البلاد، وكان أولئك له في طريقه بمرصاد، ولقتله في تأهب واستعداد، قاموا عليه فقتلوه، ونزل جويسر وقومه منهم ما أتلوه، ثم بادروا إلى حبس من عندهم ومن استدعوه ومن قصدهم، وهم محمد بن شبانة وكافة إخوانه، وشمروا إلى المجمع الأذيل، وخرجوا يريدونها بلا إمهال. وغايهم قتل من به من المسلمين، وإمساك قلعتها للتحصن والتحصين، فلم يصلوا إلى فنائها بالأقدام، حتى كان لأهل الدين ممن في البلد إلى القلعة سرعة وإقدام، فأقاموا مدة يحولون الولوج فيها والدخول، فلم يكن لهم إلى ساحتها وصول، فرجعوا منها بخيبة السؤل.

وأرسل أهل المجمع بعد انقضاء القضية، إلى عبد العزيز رسولاً على مطية، يخبره بما صدر، فعجل إليه لتسيار، حتى وصل إليه الخبر عن الواقعة ثاني نهار، فأمر سعوداً والمسلمين بالتجهيز مجتمعين، فجاء سعود لنس المقصود، وبادر في الأبهة في الحار، وحرص على عاية الاستعجال، فلم يلق عصا الاستراحة حتى كنت حرمة مناخة ومُراحه، فطُلب على تلك الهضبة رفيع تلك الخيام ولقارب، وبقي عليها أيماً مقيماً، وكل يوم يبالون من القتال أمراً عظيماً، لا يكفون عنه لبلاً ولا نهار، والكل يبغي على ذلك الحلد والاصطار، وقُتل بسهم

من الرجل ذو عدد، في تلك المصيبة والأمد، فلما جهد الحصار أهل البلاد، وأصنافهم لقتال والجلاد، تحققوا أن سعودًا لا يكاد ينصرف عنهم بغر المقصود، وآيسو من باطل لوسوس والأمل، وحرموا أنهم لا يحصون على ضائل ولا حال، طلبوا من سعود الدخول في الإسلام والإقبال، وأبدوا له الندم والأسف والإذلال، فأسقط عنهم لنكال، وتلقاهم بالقول، وكن لهم إلى مرامهم وصول، واشترط عليهم أن ينفوا جميع الأشرار، وهو جويسر الحسيني، فأسرعوا في البدار، فبايعوه على الإسلام، والتزموا له جميع الأحكام، وأمر عليهم ناصر بن إبراهيم، وأطلقوا محمد بن شبانة وإخوانه الذين معه.

ثم لما عزم سعود على المسير والإقبال، عزل رئيس الممحنة فأمره وأهله بالارتحال، لم صدر منه من تلك الأفعال، ثم لما وصل إلى جلاجل عزل سويد بن محمد عنها، فأمره وأهله بالانتقل منها، وأمر في الممحنة عثمان بن عثمان، وفي جلاجل ضويحي بن سويد، وسار رئيس الممحنة إلى القصب وأقام فيها، وقصد سويد شقرا، ورجع سعود بمن معه من المسلمين، ثم أمر عبد العزيز على حمد بن عثمان وسويد بالمجيء إلى الدرعية، فكانت لهم سكن، والكر ثوى فيها حتى مات فظعن.

وفيها سدرت للمسلمين فرسان يريدون الغارة على الدلم، ففضى الله تعالى وحكم، أن أهل الخرج يوافونهم قبل الأراكة<sup>(١)</sup>، فم بسع لمسلمون لانصراف والانفراكة<sup>(٢)</sup>، بل كل أمل من عدوه مرامه وإدراكه، فجالت تلك الفرسان وحرى بينهم الطعن، وقتل من المسلمين سيف بن نصر وبن شهي، وأصيب من الخرج عدة رجال، ورجع المسلمون بعد ذلك الحال.

(١) نجيب حوار الحجج «معجم سمامة» (١ / ٧١ - ٧٢)

(٢) أي: الهرب.



ثم دخلت السنة الثانية والتسعون بعد المائة والألف.

وفيهما سر المسلمون وأميرهم عبد العزيز، حرسه الله تعالى، يريد الدلم، وقد صمم على حصاره وعزم، فجد لسر إليها، حتى أناخ عليها، وكان وقت لذة الكرى، فم أبصره أحد ولا درى، فتوهل بعض الحلل، ومال منه المراد والأمل، وبقي ينتظر الصباح، حتى يحصل له من مراده الجاح. فلما أسفر ضوءه ولاح، وفرغ من صلاة الإصباح، نهض إلى الحرب، وأشعل حجرة لطن والضرب، وأحط المسلمون بجميع تلك الحلل، وأحكموا الأسباب لأخذ الآراء والعمل، وما يشعرون أن أهلها ممتعون إلى حين ﴿وَأَمَّا لَهُمْ إِنَّ كَيِّدِي مَتِينٌ﴾ فجدوا إلى تحصيل المطلوب، وإدراك المنى والمرغوب، ولم يحبطوا علمًا بأن ذلك غير مقدر لهم ولا مكتوب، فأرجف أهل البلاد، وآيسوا من أنفسهم في مصابرة الجلاد. وطمع أهل الإسلام في الفتح، لم عاينوا من علامات النصر والنجح، وذلك أن أهلها لما خرجوا لقتال المسلمين، ونهضوا إليهم ضحوة مجتمعين، والتقوا معهم في تلك الحلل، فكسرهم الله تعالى وهزمهم على عجل، فوَلَّوْا سِرَاعًا على غير مهل، فعند ذلك داخل أهلها الذر والخل، وملا قلوبهم الرعب والوجل، حتى إن بعض أهل تلك الأوطان، طلب لنفسه الأمان، ولكن أمر الله غلب، ولا يفوته سبحانه هارب.

وكن من قضاء الله تعالى المقدر، وحكمه الذفذ المراد المدبر، أن زيد بن زامل ذلك اليوم في اليمامة عند أولئك القوم، فلما سمعوا الرمي في تلك البلاد، فزع هو ومن فيها من لعداد، ونهضوا إلى ذلك سريعًا وقبوا، حميعًا، وكان غلب مقاتلة المسلمين بأهل تلك البلد محبطين، وبحللهم محدقين، وعلى أخذهم مشرفين، فاصبب رند ومن معه على محطة الجيش المحتمة، من غير فكرة ولا حيرة ولا حنبر ولا تدبر ولا استبصار. بن قضاء الملك القهار.

وقدر ميسر من الأقدار، وذلك أنه عدل من المحلة التي يسمع بها اللغظ والأصوات، وعليها لمفدلة والرماة، ورام أن يدخل البلد من الباب، يصن أن ليس هنالك أحد، فإذا الحيش بحدائه نازل بقربه وفائه، ولم يشعروا إلا بالجلبه والصيح، وتشريع أسنة الرمح، وإطلاق أعنة الجيد الملاح، فندعر الجيش وطاش، واندesh حيرة وارتعاش، وأخذ زيد من ركب الجيش نحو الخمسين، وقُتل حينئذ بعض المسلمين، ثم اجتمع المسمون وتراجعوا سريعاً، وتلاحقت مقاتلتهم جميعاً، وقربوا إلى البلاد كافة، وخرج أهلها للقتال بعد الذلة والمخفة، فوقع بينهم في تلك الساعة قتال، وقتل بينهم رجال، ثم بعد ذلك وقع التفرق والانفصال.

وسر عبد العزيز، حرسه الله تعالى، ومن معه من المسلمين، فأناخوا على نجان أجمعين، وبقوا أياماً لها محاصرين، حتى فتح الله تعالى على المسلمين منها ببعض الحبل، فأخذوها وفر أهلها على عجل، وقُتل فيها رجال، وفز المسلمون بكثير أموال، ورجع المسلمون إلى بلادهم، وقد أكرم الله نحو العشرين من المسلمين في تلك الغزوة باستشهادهم، وقُتل من جميع أهل الخرج فيها قريب من ذك.

وفيها نزل سعدون بن عريعر<sup>(١)</sup> الحرج، وأرسل لعبد العزيز بطلب الصحبة، فوافقه على ذلك وشرط عليه ألا يقرب لللدان، قصده مكر وخديعة، يزين لأهل البلد الردة، ثم بعد ذلك نزل مبايض<sup>(٢)</sup> فبان قصده، فنبذ إليه عبد العزيز عهده، فأقام مدة، ثم خاف من المسلمين فارتحل في الفيض، وتوعر في مطماة الدهناء

(١) تولى لأحساء بعد مقتل أخيه "دجر" عام ١١٨٩ هـ

(٢) تبعد عن مدينة روض قرانه ١٦٠ كم شمالاً، أصبح فيما بعد هجرة نفسه مصر

والصَّمان<sup>(١)</sup>، وتوسط فيها ذلك الزمرد، فنهاله وقومه أعظم النصب، وتعوا أشد التعب، ومات ما عندهم من الأغنام، وكابدوا طلائع الحِمَام، وأوهن الله تعالى كيده وما رام.

ثم دخلت السنة الثالثة والتسعون بعد المائة والألف.

وفيها عزم أهل حرمة على الردة، ونَوَّوا وخلعوا ملابس الدين، وظَوَّوا ونشروا للخيانة والردى عمَّا، وسَعَوْا إليها أُمَمًا، وهَيَّأُوا لأسببها وفتح بابها أمرًا مُحَكَّمًا، وعَقَدُوا رَصِيئًا في زعمهم الفاسد مبرمًا، وذلك أنهم أرسلوا إلى سعدون، رئيس بني خلد، بما دبروه، فكان على ذلك الشأن واجد، وعلى القيام فيه والنصرة له مُجَدِّ مسعد، فاستدعوا أيضًا أهل الزلفي، فكان كل منهم على ذلك مستنفي، ولإنجازه كل حين منتظر مشفي. فلما لبَّاهم أولئك الأَقْوَام، وأجابوهم على المساعدة في ذلك المَرَام، وأوعدوهم على يوم من الأيام، ينفذ فيه ذلك الإبرام، ويصدر فيه العقد والإحكام، وتُرَق في دماء ذوي الدين والإسلام، فلما قرب سعدون من البلاد، وتحققوا إنجاز المَرَاد، وعرفوا أنه يُصَبِّحهم غَدًا، عمد أهل الباطل والردى، فألبسوا أناسًا منهم ثياب النساء الغواني، وأمروهم أن يسيروا إلى المَجمعة من غير تَوَانِي، ويصعدوا إلى بروج القلعة، حتى يدهموا المسلمين في البلد ثم تكون لهم فيها متعة، فلم يبادروا إلى ذلك الأمر، وعجلوا النيل ذلك القصر، وصعدوا إلى تلك البروج، فأمسكوه حتى بدا من حماعتهم المجيء والخروج، فتنبه أهل الدين لكيد المعتدين، فسددهم الله تعالى وأعانهم، وخذل تلك الطائفة وأهانهم، فلم يطفروا ببرام، ونقض الله تعالى حل ذلك الإبرام، وأقبل سعدون بن عريعر ونحو خلد وأهل

(١) المَطْمَه لأرض الواسعة التي ليس فيها مورد للماء، بطناً فيها لإسناد

لزلقي وأهل حرمة، فأنأخوا عى لمحممة أياماً، وحاصروها وراموا به من الفتك مرأماً.

وكان تلك الأيام حسن بن مشاري مقيماً في جلاجل مع جماعة من المسلمين، فلما حاصر أهل المممة أحزاب المبطلين، نهض هو ومن معه إلى المممة ليلاً، فكانوا لأهلها مدداً، ونالوا بهم نيلاً، وأقامت أولئك القبائل والأحزاب، في حصار لبند وإضرار وخراب، وعمدوا إلى قطع النخيل والأشجار، رجاء أن يدين أهلها إلى السلم والنزولة والانحدار، إذا شاهدوا هذا الإضرار، ولا يكون لهم على ذلك صبر ولا قرار، فثبت الله تعالى المسلمين، وأوهن كيد المعتدين، وكان أعظم من أمثح في ذلك الأمر قبل وبعد، فبذل في ذلك غاية الصبر والجهد، وأوذي فيه وابتي، وصدر عنه في القيام ذلك الأمر الجلي، أحمد التويجري، رحمه الله تعالى.

ولم وصل عبد لعزير الخبر عن ذلك الحال، وم دبره أهل البطل والضلال، وما اجتمعوا عليه من الردى، أمر بالنفير والمسير على ذوي الهدى، فخرجوا بعد الاستعداد والأهبة، ولم تكن لهم سوى الأحزاب مراد ولا طبة، وأمر عليهم عبد الله بن محمد، فأسرع إلى ذلك الأمر وأنجد، فلم وصل الخبر إلى تلك الأحزاب، أن المسلمين في قدوم وإياب، وليس لهم غيركم طلاب، عاجلوا بالارتحال وبادروا للمسير باستعجال، وشمروا في الرحة والانقلاب، ولم يظفروا مما راموا بحسب مآب، فلما وصل عبد الله بن محمد ومن معه من المسلمين إلى حرمة، وكنوا إذ ذاك نائمين، فعباً لجيش والكمين، فم يسفر بصوته الفجر، وتفضى صلاته ذات القدر، حتى أخذ كل حرب مكانه، وثبت على القنا جانته، فلما شعر أهل البلاد بما دهم سحتهم من العدد، وما حظ بهم من الهلاك والهم ولأكاد، اندعرت فوب ذوي الشر والفساد، وارتعش

منهم اللب والنقاد، وتمنوا أنهم لم يكونوا لما قدموا فاعلين ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ  
الْقَوْمِ الْمَخْرِمِينَ﴾ فأحطوا بهم من كل ناحية، وجزموا عند ذلك بزول الداهية،  
فأقدم المسلمون لها محاصرين، وافتحها أملس، كل يوم ينهدون إلى القتل  
والقتل، ويجدون في تفصيع الأشجار والنخل، فقطعوا نخل المويس جملة، ولم  
يكن قطع بغير أناة ولا مهلة، فآيس من الإعمار، من في لبد من الأشرار،  
ونزل بهم الجهد والحصار، وأزعجهم ذلك التخريب والدمار.

وآخر يوم القتال هجم عليهم المسلمون فيها من بعض الأقطار، ووقع بينهم  
الجلاد والجلد والاصطبار، وبدل المسلمون عند ذلك النفوس الغالية، وآثروا  
الباقية على الفانية، وقُتِل من الأشرار من مَنِيَّتْه دانية، وهم عشرة رجل، كُلُّ بالغ  
حده في الشر والضلال، منهم مدلج المعِي ومحمد بن إبراهيم، ثم رجع  
المسلمون إلى بلادهم، وأبقى عبد الله بن محمد رجالاً من المسلمين وخيلاً في  
المجموعة، حتى ينالوا أهلها بذلك عزاً وتحصناً ومنفعة، وليضيّقوا على أهل  
حرمة المعاش، فلا يكون لهم إليه سبب ولا انتعاش.

وفيهما في رجب غزا عبد العزيز يريد السلمية، فلما قاربها شعر به من به من  
البرية، وانصرف راجعاً. بعدم كان بها طمعاً، ولم يصدر منه على أهلها منزلة  
ولا غرة، لأمر اقتضاه رأيه واختاره، ونهض في ساعته في ذلك الطريق، لإردة  
الله له بالتوفيق، فجد السير والمسير. يريد فرقاناً في أرض عروى نجد<sup>(١)</sup> من  
مطير. فصباحتهم فرسان المسلمين والإسلام، واستقبلهم مقتلة أولئك الأقوام،  
وحمل بينهم الطعام، وثبت الله أهل الإيمان، فشدوا عليهم. وصمموا الحملة  
إليهم. فوَّأوا هريس، وأخذوا نك لأسلاف أحمعين<sup>(٢)</sup>، وحازوا من لابل

(١) حروب الدودمي

(٢) لأسلاف أحمعات.

فوق المراد والأمال. ثم رجعوا الى بلادهم من غير إهمال. وقُتل من المسلمين ثلاثة رجال، منهم عدامة بن سويري.

وفيها غزا سعود، أسعده الله تعالى وأفاض عليه بره ووالى، فسار بالمسلمين يريد حرمة، ويرجو الله أن ينزل بهم البأس والنقمة، فجد السير إليها ليلاً ونهاراً، فلم يجد دونها قراراً، حتى أناخت تلك الجموع المؤيدة المنصورة، بساحة تلك الطوائف المكسورة، وأقام أياماً عليها، كل يوم ينهض لقتال إليها، ويقع بينهم جلاذ وقتل، وتقتل بينهم رجال، في كل جولة ومجال. فصابرهم على ذلك أياماً وليال، وهم في غاية من الذل والإذلال، واستولى المسلمون على النخل وحلها، فأيسر أهل البلد من رجائها وأمها، وضيق عليهم بعد ذلك أهل الإسلام، واحتنك عليهم فضء ذلك المقدم، وحقاق بهم قضاء المديك والعلام، وتحققوا أن البلد يدخل عليها من أقطارها، وقد ذل جميع حمايتها وأنصارها، فلم يجدوا منهجاً ينتهجونه، ولا عوناً يرتقبونه ويرتجونه، سوى النزول على الإسلام، وحقن دماء أولئك لأقوام، وإزالة ما يخشى على أهل الدين ويحذر، فدانوا بذلك وثبت الله الأمر وتقرر، فنزلوا وعاهدوا، واشتروا من سعود جميع ما في البيوت من الأموال والطعام وتعاهدوا، فأمر بهدم جميع القصور، وإزالة ما فيها من الدور، وبجلاء آل مدلج كافة، فطاروا إلى البدد من المخافة، فأضحوا على ما أسفوا. من الأعمال وهم متندمين، ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسْكَنُهُمْ﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ

ثم دخلت السنة الرابعة والتسعون بعد المائة والألف.

وفيها غزا سعود بالمسلمين، زاده الله تعالى نصراً وتمكين، فحث الأعوجية<sup>(١)</sup>

(١) في (لسان العرب): «وأعوج: فرس سبق ركب صغيراً، فعوخت قوثمه، ولأعوجة مسوبة إليه».

والجباد، وقصده الزلفي لأجل ما جرى منهم من لصد، فسمّر إليهم المسر، وفاجّهم فيه النذير، فلم تصل إليهم تنك الجيوش والأجناد، إلا وهم في عديّة من الأهبة والاستعداد، فسمروا الإزار والذيل، للخروج إلى لقاء غدة الحيل، فتهزوا لذلك واستبوا، وأسرعوا إلى مطاعتها وطلبوا، فالتحمت الفرسان، واستمر بينهم الطعان، وقُتل بينهم رجال في ذلك المعركة والمجال، ثم وقع منهم الانفصال، ورجع سعود ومن معه من المسلمين إلى بلدانهم أجمعين.

وفيها غزا المسلمون، وأميرهم عبد الله بن محمد، فسار بالمسلمين إلى الزلفي وقصد، فأعجل الركائب في نيل ما هو طلب، فلم يصل لذلك المحل، حتى سقه النذير على عجل، فكانوا متأهبين للقُدوم، وكن يوم ينتظرون الهجوم، فلما أغار على تلك البلاد، لم يحصل له منها مراد، فانصرف عبد الله راجعاً، فلم يصل إلى رغبة رجع مع أهل العارض، ورجع أهل سدير وأهل لوشم يريدون بلدانهم، وإذا سعدون بن عرعر مع جموع بني خالد لهم مؤافٍ مُعارض، فأطبقت عليهم تلك الجيوش والجموع، ولم يكن أحد منهم مسلم ممنوع، فحاولوا على جميع ذلك الجيش، وسم الله تعالى من له بقية من لعيش، ونارت<sup>(١)</sup> خيول المسلمين، وولي الباقي فرسان المبطيين، وقُتل من المسلمين نحو من الثلاثين. منهم حسين بن سعيد أمير العودة وعبد الله بن سدحان من كبار أهل شقرا.

وفي ذلك اليوم أعارت حبل لبني حائد على فريق من المسلمين سبعين، فإذا عندهم ناس من أهل ضرماء منصورفون من غزو عبد الله ركائب وفرسان، فحين

غارت خيول بني خالد، خرج إليهم كل شهم شجاع مجاهد، فحالدوهم ساعه وزمناً، وأسر المسلمون منهم فرساناً، منهم سعدون بن خالد، وفدى نفسه بثلاثة آلاف زر<sup>(١)</sup> أضحى لغالبها ناقد.

وفيها سار سعود بالمسلمين يريد الحوطة، فجدّ السير إلى تلك البلاد، وأعمل في ذلك غاية الاجتهاد، فأناخ وسط الليل حولها، ولم يشعروا بذلك أهلها، فرتب أصحاب الكمين، وأهل الجيش أجمعين، فلم يضيئ الفجر إسفار، ويخرج أهل الحاجة للانتشار، إلا والغارة غادية، وغرر الجياد عليهم بادية، والأصوات عالية بعدم كنت هدئة، فأسرعوا الخروج أولئك الأقوام، وكان لهم إلى اللقاء إقدام، فطل بينهم المجادلة والالتحام، وكل ارتدى برداء الصبر والاعتزام، وقُتل من أهل البلد في ذلك المجال خمسة عشر من الرجال، وقُتل من المسلمين بطي المطيري، ورجع المسمون إلى بلادهم.

ثم دخلت السنة الخامسة والتسعون بعد المائة والألف.

وفيها سار المسلمون وأميرهم سعود، بلغه الله تعالى المنى ولمقصود، فحث على السير جياده وركابه، وكانت الدلم مراده وطلابه، فتوغل في تلك الأراضي، وقد هدأت بلدة الإغماض، فعند ذلك قام في أداء أكيد الافتراض، من التهيئة والتعبئة عند رادة الانتهاض، فلم يكن له عن ذلك صدود ولا إغراض، ولا انحراف ولا ميل إلى الراحة، حتى أشعل الفجر مصاحبه، وركض انصبح على اندحى، وندره عموده وفجا، فعند ذلك أذن للمكتوبه، وسأل الله تعالى فيها أن ينيله مطلوبه، فدما فرغ من صلاته، نهض إلى تعبته، وأخذ الكمين مكانه، وحرص على الصبر جماعته وخوانه، فلما أخذت اشمس في



الإسفار، كان له إلى الغارة البدار، وقبض جميع من في الدلم من المقتلة، ورموا الحلال والمقابلة، فأورت فيهم أهل التوحيد والإيمان شعل البيروان، وأرووا من بحورهم أسنان المُرَّان<sup>(١)</sup>. فطشت لذلك قلوبهم وزاغت أبصارهم، ورعبت كماتهم وأنصروهم. فولّوا عند ذلك الأدبار، ولم يكن لهم على ذلك الهول اضطبار، وانهزموا على أعقابهم مدبرين. ويرحو في بلدتهم متحصنين. وأقام المسلمون أيما في قتالهم، وحصارهم مجتهدين في حربهم ودمارهم، كل يوم يصباحون قطع نخيلهم وأشجارهم، فقطعوا خضر بن عشب بن ذلك الزمان، فعرتهم الذلة والهوان، وعلتهم هموم وأحزان، وقُتِل منهم في ذلك لوقت والأمد، رجال من غير حصر عدد.

ثم إن سعودًا، حرسه الله تعالى، نوى بناء قصر في ذلك المكان، ويجعل فيه من أهل الدين والإيمان، من يضيق على أهل تلك الأوطان، وصمم على ذلك الرأي والبناء، فنال بذلك الرفعة والثناء، وقد كان بذلك الرأي والده مشير، وهو مبارك المشورة مسدد التدبير، فرفع قواعد بدع الحق الشامخ العال، فكان ولله الحمد سببًا لهدم بدع الغي والزيغ والضلال، فمنما فرغ من بنائه وإتمامه، وقضى من تشييده وإحكامه. وضع فيه من الإبطال عُدّة، وجعل فيه خيلًا ومن كة الحرب عُدّة. وكان جميع من فيه ذوي بأس في البقاء وشدة، وصبر عند الأقدام ونجدة، وأمر عليهم محمد بن غشيب، وكان ذا شجاعة وحده. ثم انصرف سعود راجعًا. وفي بلده راغبًا طمعًا.

وفيه غارت من المسلمين خيل من قصر البدع. فتوافقت مع خيل لأهل اليمامة، فحلولو معهم ساعة، فقتل المسلمون فرحان بن راشد البجادي وجرّعوه جِمامه.

وفيها ارتد جديع بن هذال<sup>(١)</sup>، بعدما ادعى الإسلام وعاهد وكن عيه من إقبال، فولى هارباً. وفي الضلال راغباً، ولنهجه طالباً، فأراد الله أن يوافقه مطير في ذلك السير، فناوحه أولئك العربان، وقُتِل جديع وأخوه وثلاثة معهما فباءوا بالخسران.

وفيها حَزَب أهل البغي والعدوان، وذوي التعدي والطغيان، على قصر البدع الذي فيه ابن غشيان، وذلك أن هذا القصر لما أُسِّس وبُنِيَ، واهتم بأمره واعُتُنِيَ، واختير من الرجال حمته وفرسانه، والمرابطون فيه وسكانه، فكانوا أولي بأس شديد وإقدام، ليس في اللقاء عليه مزيد ومصابرة في الطعان والإقدام، وعدم الخوف من الحمام، ولم يتبين من أحد منهم في اللقاء إحجام، وكانوا في غالب الليالي والأيام، يَغْدُون على أهل الخرج وينالون منهم المرام، ويقعدون لهم المراصد، ويأخذون كل قادم وقاصد، من الأقرب فضلاً عن الأبعد، ويقتلون كل صادر ووارد، واستمر عليهم ذلك الحال، وتجرعوا منهم غصص الوبال، وأقدموا في أكسف بل، لا يطعمون لذة المنام في دياجى الظلام، قد حاربوا الرقد وصلحوا السهد، والحرب توقد عليهم غية الانتقاد، فلما سقمت منهم الأجسام، وضاق عليهم في بلادهم المقام، وحالت وجوههم ذلك الزمن، وتغيرت منهم الألوان، وضوب منهم الأبدان، وعميت عليهم مناهج الحير، وسددت عليهم مناهج جميع السبل، ولم يلقوا في إزالة ذلك القصر سبب، و ستعانوا في ذلك أفكار العجم والعرب، حتى جاءهم شخص من تلك النواحي ممن تسمى بالمعرفة وانسب، فشكوا له حالهم ومصائبهم ومزب بساحتهم وأصدهم، فقال: ثكلتكم الأمهات، وعدمهم المرفهات، معشر

(١) قر ابن بشر (١) (٧٤) «رئيس آل حلال من عرة».

الحمق والسفاحات، وأرباب الجهر والترهات، لم تلدكم النساء للحروب، ومكافحات الحطوب، وما ولدتم للغى والهوى والمظلة. فلستم مساعير الحرب ولا رجاله، أَعَرْتُكُمْ من هذا القصر أحزان، حتى ذهب منكم اللب والجان، أَعَشَيْتُكُمْ منه الذلة والهوان. وتشبهتم بالغوايي دوات الأحدان، وتلفعتم بمروط النسوان؟ فقالوا: سبحان الله، يا أخا العرب، كيف ينطق بالتأنيب منك لسن، وتسرع إلينا بهذا الإغلاظ والهديان، ونحن الكُماة الشجعان. ولكن قد التقت حَلَقَتَا لِبْطَان<sup>(١)</sup>، واحتنكت علينا الأوطان، فعسى أن يكون للراحة منك يدان! فقال:

بشراكم بالفرج فما بكم من حرج      سوف أريكم فكرة ليس بها من عوج  
تبصرة وهمة تلقي العدا في رهج      إذا رأوها ذهبت قلوب تلك الهمج  
أبدى من العز لكم فخراً رفيع الدرج      ففكرت منقادة وقادة كالسرج  
فقد تولى عنكم غيب خطب مزعج      وجاءكم مرادكم فأصبحوا في بهج  
فقالوا: دعنا وهذه الغممة، واترك هذه الجمجمة، فبين لنا بالإفصاح، حتى نفوز بالأرباح. فقال: اتوني بأقوى الأخشاب، حتى أصنع لكم ما بقي من الرصد من الأبواب. وأجعل مثل الصندوق، وأعلاه مطبوع، والرجال فيه مداريع، وبأيديهم المفاتيح والمصاريع، ويحمل ذلك الصندوق على عجل، وأهله فيه قعود على مهل، ويدفعونه أولئك القعود، فيسير بالدراريح غير مردود، فإذا وصل إلى السور يفتح، ويحصل المرد وينجح، فيهدم السور ويفض. وبوهي أساسه وينفصر، وترمى أحجاره، وتقل بعد ذلك أنصده. وتدخل فيه الأجند، ولا يبقى فيه أحد من أولئك العباد.

(١) لِبْطَان: الحزام الذي تُحْمَلُ تحت بطن المعير، وفيه حفتان، فإذا نُقِصَ فقد بلغ لَشْدُ عابه. بُصِرَ مثلاً للأمر الذي بلغ عيته (مجمع لأمال)

فلما أخبرهم بلك الحيلة وفاه. أقبل منهم كل يضل فله ﴿قَالَ إِنَّكَ أَيُّومَ لَدَيْكَ مَكِبٌ أَمِينٌ﴾. فحكم بما تريد من أموالنا ونستكين. فقال: ذلك بعدم يتم المراد. ويحصل لكم الإسعاد، فعجبوا لي بالأحساب والأعواد. فأسرعوا في الاستعداد، وآتوه بما طلب وأراد، وشرعت الصناعات تصنع في الحديد، وأقاموا على ذلك أيامًا بلا تعديد، وهم في تعب شديد، حتى فرغ من أمره ذلك الشيطان، وأبرز كيده من غير توان، وقعد فيه أناس متدرون عدة مردة. وأخذوا يدفعونه ويعطي مَقْوَدَه. وهَيَّوْهُ إِلَى السور ومرصده، فلما توسط في الطريق عند القصر ومشهده. أبى إلا الوقوف، وكأنه عن المسير مصروف، فعجل إليه لكثير من فيه الحتوف. وحاولوا في ذلك أعظم حيلة، فلم يكن إلى ما راموه وسيلة، وقالوا: قد زال الفرع وجاء الترح. إن بقي هذا العجل في هذا المكان والمحل، هبط من في القصر ونزل، فقدوده علينا، وأوصلوه إلينا، فكن كمن ألقى نفسه في الهلاك. ووضع لإتلافها حبائل وأشراك.

وكان القوم الذين فيه لا يقدر على رده، ومن جاء من الأحزاب قُتِلَ قبل أن يصل إلى حده، فحارو وخارو وخسروا وباروا، يوم تعدوا وجاروا، وبقوا ساعة وزمنا، يعنون هما وأحزانا، وقد تسربلو بلباس الإحجام، وأبت أن تسير إلى رده الأقدام، حتى جرى بينهم عتاب وملام، وتنادب وبكاء بدموع سحاج، فنتدب له رجال. وناداه بعض منهم وقادوه قريب الحال. ثم بعد ذلك شَبَّوا عليه لذر، وقالوا: لا تستطيع نشاهده من الأبصار. فلما عرت الشمس ذلك اليوم وأقبل الإطلام، اجتمع أهل الحريق والحوطة وأهل الحرج بالتمام، وساروا يريسون الهجوم على القصر والصعود، وقد تعهدوا على ذلك بالأيمان والعقود، فوصلوا إليه بالمحامل، والكل للصعود امل، فشرعوا في الرقي والصعود، وقتل منهم جمع غير محصور ولا معدود، وبذلوا حد الاجتهاد فلم

شفقوا بمراد، ورجعوا وقد قُتل منهم خمسة وعشرون، وباؤوا بالخري والهون. ثم لما أعياهم ذلك القصر وعماهم، ونكد عليهم معاشهم ودناهم، وحرروا في أقصاهم وأدناهم، ولم يحصل لهم فيه مناهم، حذر<sup>(١)</sup> منهم جماعة من آل زمل وآل بجاد. إلى سعدون بن عريعر في تلك البلاد، وطلبوا منه المساعدة والإسعاد، فأجابهم إلى ذلك المراد، فتواعدوا على الخروج معه، فخرج بعد ذلك هو والبدوان ممن تبعه، ونزل على البدع مع تلك العربان، ثم بعد ذلك أقبل جميع أهل البدان، وهم أهل الحريق واليمامة والحوطة وأهل الخرج، فاجتمعوا على سعدون، وهم لهدم ذلك القصر دائمون، ومع سعدون المدافع. فاشتعلت بينهم نار الحرب والكل دون عمره يدافع، وبقوا يرمون بالمدافع السور، فلم يقع فيه من الرمي محذور، وكان عن الهدم مَوْقَى محذور، حتى تبين لهم البأس، وعرفوا أن الله تعالى قد نصر أولئك الناس، وأنهم عن الوصول إليهم لا يقدرُونَ، فعند ذلك عزم على الرحيل سعدون، وقلوا: هذا لا يكون، فعندك يقع عذاب الهون. فقال: إن لله وإن إليه راجعون، اختاروا منهجاً فيه تسكنون، فليست بعد ذلك تلامون. فضعن ورتحلن، وكلٌ قصد ما له من محل، وتفرقت ولله الحمد تلك الدول، وبقي سعدون بمدافعه مهتماً، وعلى إتيانه بها نادماً مغتماً. لا يدري كيف يفعل ويصنع، وهو إلى الهروب قد أسرع، وعلى الانهزام قد عزم وأزمع، فهو يجتد فيه ويربع، فاقتضى رأيه الشنيع، أن يتركها في اليمامة على سبيل التوديع، فساد وتركها في اليمامة، فأحذه أهل الإسلام حين كان للدين بها إقامة.

وفيها غزا عبد الله بن محمد بالمسلمين، فسر يريد اليمامة، وأرسل عيونه

أمامه، وطلّاعه قدامه، حتى أدخ عند البلد وسط الليل، وكان له على تعبته جيشه مَيل، فربب الكمين، فلم أخذ الضوء ينير ويستين، أغار الجيش على البلاد، فحرح أهل الجلال، وتطاعنوا قليلاً. وصبر أهل الدين صبراً جميلاً، حتى ظهر كمين الموحدين، فأسرع أهل البطل مؤلّين، وعلى أعقابهم منهزمين، وقُتِل من أهل البلد دون العشرين، منهم أحمد بن رشيد وعبد الله البجادي، ثم بعد ذلك انص-رف عبد الله بن محمد ومن معه من المسلمين، فأغاروا على الحريق. فالفهم يحشون مجتمعين، وكان لهم جماعة معهم مجنّبين، فناوشوا القتل ثم انهزموا بانجفال، وقُتِل منهم عشرون من الرجال، ورجع أهل الإسلام بأحسن حال.

وفيها غزا سعود بالمسلمين. زاده الله تعالى عزّاً وتمكين. يريد أسلافاً مجتمعة من قبائل العربان، من آل ظفير وعنزة مقيمين على ماء مبايض<sup>(١)</sup> في ذلك الزمان، فانتضى<sup>(٢)</sup> سنان الهمة والعزم، وجرد صدم الجند والحزم، إلى ذلك الأمر والشأن، حتى وصل إليهم بعد آن، فشنت عليهم الغرة الفرسان، وكانوا على أهبة واستعداد للقاء الشجعان، فجال معهم المسلمون، وهم على العزم والصبر ثابتون، ولأنفسهم على الموت مؤطّئون، فلم يدرك منهم أهل الدين وأهل الإسلام، في ذلك اليوم غاية ولا مرام، وانصرفوا عنهم بسلام، وكان هذا أمر من انملك العلامة، ليرى خواص الأنام، ما خفي في الغيب من الأسرار والحكم والأحكام. فارتحل سعود عنهم ونزل بأرض تمر<sup>(٣)</sup>. ثم أرسل إلى مدد من أهل سدبر، فأقبلوا سراعاً إليه، وقدموا فوراً عليه. فطعن بعد

(١) في سدبر.

(٢) أي: سلّ.

(٣) مدسه تقع في مطقة سدبر، على بعد ١٤٠ كم شمال غرب مدينة الربص.

ذلك وارتحل، وجدّ يريد تلك العربان الأول، فأسرع النزول مع أولئك الدول، فم يعد إليهم بعد ذلك اليوم، إلا وقد جاء لإمداد من العربان أولئك القوم، فحين رأوا أهل الإسلام قدمين، فرحوا بذلك لأنهم كانوا على انصرافهم نادمين، فأبدوا بالمسلمين الاستهراء والاستحفاف، ولم يدخل قلوبهم منهم مخافة ولا إرجاف، بل جزموا أنهم لهم غنيمة، وأنهم مهما شدوا عليهم شتموا لهزيمة، فكان البلاء موكلًا بالمنطق، فصير الله عليهم ذلك وحقق، فحين حمل عليهم المسلمون، طاعنوهم ساعة ثم جدوا في الفرار لا يلوون، فتولى المسلمون أكتافهم، حين حقق الله تعالى انكشافهم، وقد قُتل منهم في ذلك الحال فوق المائة من الرجال، وغنم المسلمون ما معهم من أمتعة وأثاث وأموال، وجميع السلاح والأغذم والآيل، وكان دهام أبا ذراع<sup>(١)</sup> ممن كان لروحه في ذلك الحين انتزاع.

ثم دخلت السنة السادسة والتسعون بعد المائة والألف.

وفيهما سار عبد العزيز، حرسه الله تعالى، من كل مكروه وبلغه ما يرجوه، بالمسلمين يريد الحوطة، فحث السير إليهم حتى قدم إليهم، وكن وقت القدوم والإقدام، حين عسعر الضلام، واستقام غيب الإظلام، فلما أنخ وأقدم، لم يسرع إلى لذة الراحة والمدم، بل أخذ في التدبير والاستعداد لمقاتلة أهل تلك البلاد، فلما قضى من ذلك المراد والغرض، وأدى من الدعاء ما أوجبه الله وفرض، بادر إلى القتال وانتفض، فأغارت الفرسان على ضارفة لبلد، فما عابوا ذلك لم تحلف عن الخروج منهم أحد، فالتقوا أهل لبلد، وكانوا من الصبر على يقين، إلا أن الله تعالى ليس لأمره رادّ، ولا بقاومه سبحانه أحد من

(١) شيخ الصمدة من الظفر

العباد، فحين صمم المسممون عليهم بدوا، وقصدوا البلد وناروا<sup>(١)</sup>، وقتل منهم في ذلك الوقت والمجال، خمسة عشر من الرجال، وأقاموا في بلادهم في جهد وضيق، لا يتيسر لهم إلى الخروج طريق، والمسلمون في تلك المدة، قد بذل كل منهم في التخريب وقطع النخل جهده، فقطع جميع نخل الرحيل، ثم كان للمسلمين إلى نعجان ميل، فساروا إليها وأقاموا حوليها، وقطعوا شبيثا من النخل ثم انصرفوا إلى أهلهم راجعين.

وفيهما جرى ذلك الأمر العظيم والخطب المدلهم الجسيم، وهو ارتداد أهل القصيم، فقدر المولى الرحيم أن يرتعوا في ذلك المرتع الوبيء الوخيم، وذلك أن كافة أهل القصيم، إلا بريدة والرس والتنومة<sup>(٢)</sup>، لما أراد الله تعالى عليهم المسكنة والذلة، وقضى عليهم في سابق الأزل بالهوان والمذلة، وأن يلبسوا ثياب الخزي والعار، ويتدروا بمدارع أهل النار، ويتحلوا بحلية الأشقياء الفجار، ويسلكوا مسالك الأشرار ﴿وَيَسْعَىٰ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا يُفَارِقُهُمْ﴾ من شر من أراد بهم الفجور والإضرار، ونوى بهم قاصمة الظهر وأصروا على ذلك غاية الإصرار، فرجع آيب بالخيبة والأوزار - اجتمعوا على الغدر بأهل الدين، وقتل من عندهم من أهل التوحيد وخصوصا لمعلمين، فحضر كافة رؤسائهم وكبرائهم وقدمائهم، في ذلك الوقت والزمان، يوم الجمعة في خفي مكان، فتفوضوا الأمر وأبرموه، وشدوا عقده وأحكموه، وتعاطوا بينهم الأيمان والعهود، وحققوا الوفاء بالعقود، على قتل أهل كل بلد من عندهم من المسممين موجود، في يوم معين عندهم معدود، وزمن مؤجل معروف وقته مشهود، فحين

(١) ناروا - هربوا

(٢) من مدن محافظة الأسح - القصيم



ثم ذلك الأمر وانفضى، انصرف كل إلى بلده ومضى، ولم يكن عند المسلمين من ذلك خبر. إلا أنهم على ما يصدر عليهم في حالة يقين ورض، فأرسل أهل تلك الأوطان إلى سعدون بن عريعر، يحبرونه بذلك الحاب والشأن، حتى يقدم ومن معه من البدوان، فكان قدوم ذلك الرسول عنده هو المنى والسؤل، فبادره بإعطاء البشارة بعدما أعلمه بالمأمول، وأنه سريع الحصول، فبادر إلى الأمر في الحال، وأذن في جميع البوادي بالارتحال، فأقبل بنو خالد كافة وعزّة وجدوا في السير والإقبال، تعجيلاً لذلك المرام الذي لم يخطر له على بال، وقد داخه من السرور والاستئناس، ما لا يُعرف حدّه ولا يقاس، وقال: الآن حان لنزمان أن يفي، فنتهز الفرصة ونشتفي، وقد قرب أن يطلع لي بأفق نجد، نجم العز والفخر والمجد، وينتشر صوت صيتي في الأقطار، فأكون حامل راية الشرف والافتخر، فتنحط لهيأتي رقاب الملوك، فلا يروم أحد لمنهجي سلوك، ولم يختج في لبه أن شمس عزه قد أذنت للغروب بدلوك، وأن جيشه مقدر عليه أنه موتور به مفتوك، وأنه يرجع من حيث جاء معثورًا مقروحًا منهوك، فسار بمن معه من الحماة والكماة والأنصار، يريد أهل تلك الدير، حتى ينجز منهم ما دبر وصار، ولسان الحال يتلو عليه ولكن لا تأمل ولا اعتبار ﴿إِنَّ لَنَنصُرَنَّ رَسُولَنَا﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴿١﴾ يَوْمَ لَا يَفْعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ الْعَذَابُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢﴾، وحين فارب أن يلقي عصا السير والترحال، ويحط عن الطهر الأثقال، في أرض تلك البلدان، أسرع أهل الشر والعدوان، وشرعوا الأسنة على أهل الإيمان، فقتل أهل الخبراء<sup>(١)</sup> إمامهم في الصلاة منصور أبا الخيل يوم الجمعة، وهو للصلاة مريد، فقطعوا منه الوريد، وقُتل ثنين

أب الخيل، وفل آل جندج رجلاً من أهل الدين مكفوف البصر، وصلوه بعصبة رجله، وفيه رمق من الحاة، وفل آك شمس أميرهم علي بن حوشد، وفعل بقية أهل البلدان مثل ذلك الفعل والشأن.

ومن لطف الله تعالى بأهل بريدة، وسلامتهم من الشيطان وكيدته، وتوفيق الله لهم وكرامته، وحفظه لهم وعنايته، أن سليمان الحجيلاني وابن حصين وغيرهم عزموا على الردة، وثبت ذلك عند حجيلان، فلما أقبلت تلك العربان بادر حجيلان إلى قتلهم، فقتلوا ولم يدركوا ما أملوا، ثم أرسل إليه أهل عنيزة على سبيل السلام والإكرام، وإظهار المبادرة في الامتثال والاعتزام، من عندهم من معلّمة الأحكام، ومفهمة التوحيد الذي تحققت لأجله الأنام، وهما عبد الله القاضي وناصر الشبلي، وقالوا: هؤلاء إليك قرية، ومن تقرب إلى الله تعالى بهم كفر ذنبه، وهم منا إليك هدية، وليس في قتلهم علينا ولا عليك عار ولا إزر ولا خطيئة، ولا مسبة عند الناس ولا رزية. فجرد عليهم صارمه وبأسه، وأسقى كلّاً من صرّف الحمام كأسه، فلبس من الخزي لباسه، فقتلهم حين جاؤوه صبراً، فنال من مولاه حرباً وإزرًا، وحقق الله تعالى لأهل الدين شهادة وأجرًا.

فلما استقر في تلك الفجاج الفسيحة الوسيعة، مع تلك الجيوش والأسلاف<sup>(١)</sup> الهائلة المنبعة، لس أهل الشر والفساد، وأهل لشقاق والنفاق والعند، من أهل تلك الأوطان والبلاد، ملابس السرور والفرح، وزال عنهم ما كان في قلوبهم من الهم والأسى والترح، وجاءت منهم حموع وأجناد، وأنصار وأمداد، كيف لا وهم الدين فدحوا في ذلك الزناد، وأورّوا حمرة الفسة أعظم

(١) الأسلاف الحماعات.

الإيراء والإيقاد، وأرووا شبا الموضي<sup>(١)</sup> من ثغور أولئك العبداء، ﴿لَا يَعْرِتُ نَقَبُ الدِّينِ كَفَرُوا فِي أَلَيْكِهِ﴾ مَعَ قَلِيلٍ ثُمَّ مَاوَنَهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسْرَ إِلَهُادُ ﴿﴾.

ولما نزل بذلك المنحلّ، عجل الله لأناس من جماعته الأجل، فبدروا إلى بريدة في الإسراع، وراموا ههنا حصول الأطماع، فلم يؤث إليه منهم إلا الأقمع، فداخه الرعب والارتياح، حين أرسل إلى بريدة يريد الخيانة، فأرسلوا إليه تلك الرؤوس، وقالوا هذه ضيافته وحشيمة الإقامة والجلوس، فشبط غيظاً وغضباً، وآلى إن ظفر بأهلها أن يقطعهم إرباً إرباً، ويوقع فيهم من الفتك والهتك أمراً عجباً، وشمر إلى أهلها في المنازلة، وكانت منه إليها معجلة، ولم يحسب أنها تبقى إلى أمد بعيد، فضلاً عن كونه يرجع عنها ولا يفيد، بل جزم أنها مفتوحة عن قرب، وأن سعيه لا يضيع ولا يخيب، فأب أول يوم المنازلة بالخيبة والحرمان، والقتل والذل والهوان، وقُتل جمعة من قومه، في ساعته تلك لا يومه، ثم عاد والحمة يوم آخر على السور، فرجع منقوصاً موتور، وقُتل من أولئك الحمر السود، كل من رام الهدم للسور أو الصعود، وبقيت قتلاهم لا تنتقل، ولا ترفع للدفن ولا تُحمل، بل بقي غالبهم ملقى مهمل، غير أنهم صاروا لعدديات مائدة، فهي إليهم تلك الأيام كل حين قاصدة، وصادرة وعائدة، فبقي أيماً حثراً متندماً، ثم أجمع رأيه وعزمه محققاً مصمماً، أنه يسوق عليهم جميع الآلات والخلق مزدحمًا، ويلجئهم بعد هدم بروجهم وأسوارها مقتحمًا، وأنه يعاقب من الجيوش من لم يره متقدماً، فنهض إلى إنجاز ذلك العزم، وإنهات تلك الهمة والحزم، وبدده على تؤدة من الصبح، منيماً بالبكور في لحاح،

(١) الشبا: جمع شاة، والمراد بها شاة لسيف، وهو حده القطع، والموضي: السيوف المقطعة، سميت بذلك لكونها تمضي في حسم الإسار إذا ضرب بها.

وحصول الأرباح، كما يروى في الأحاديث غير الصحاح: «بورك لأمتي في بكورها»<sup>(١)</sup> وليس على راويه من جناح.

فأقبل بكيد عظيم مهول، يحق للألباب عند رؤيته الإزالة والذهون، فصر أهل الدين وصابروا، وجَدَّ أهل الباطل وكابروا، وراموا اقتحام البروج والصور، وهدم تلك الحصون والقصور، والهجوم على أهل تلك الدور، فثبت الله لأهل الحق القلوب، ولم يكن أحد منهم بمذعور ولا مرهوب، فرجع ولله الحمد مذعورًا مرعوب، مهزومًا مغلوب، وما أغنى عنه ذلك الكيد شيئًا، وكانت له الذلة والمقتلة فيئًا، ثم بعدما صدر منه ما صدر، وجرى منه ما تبين وظهر، عرض من الغيظ الأنملة، حيث لم يرجع بما كان أمَلَّه، وبقي على أفعاله السالفة، وقضاياه التي هي للشرع مخالفة، متحسرًا متأسفًا، متندمًا متحيرًا، متحسفًا، فتفاوض مع أولئك الرؤساء، الذين هم لا يزالون عنده جلساء، في ما يدفع عنه الهم والحزن والأسى، واتفق الرأي السديد الجامع، والأمر الذي هو لتمراد قاطع، وللعُدو مذلة قانع، وللمقاتلة مزعج رادع، أنك نصبت لأجل هدم السور مدافع، ويأتي لها بحكم ومدافع، فلا يبقى لأهل البلد عن ذلك دافع، ويصير لك معاند ومشاقق متبع، ولحكمت متفادًا طائع، فأجابهم أن هذا هو الرأي السديد، وسينجز هذا قريبًا غير بعيد، فشرع في أسباب ما كن لهم به مجيب، وإنجز ذلك الأمر الذي هو في زعمهم صائب مصيب، وجمع له أهل تلك الأوطان من جميع البلدان، من أنواع الصفر جمعة، وأجروا له في قرب مدة ومهلة، فلم تمض من الأيام مدة، حتى اتفق عنده من ذلك عدة، وشرع في

(١) أخرجه الصرنى في المعجم الأوسط (٧٥٤) وصححه الشيخ لأساني (صحيح الجامع ٢٨٤١) وأخرجه أبو دود (٢٦٠٨) وإسمردي (١٢١٢) وبس ماحه (٢٢٣٦) بنقط.  
«اللَّهُمَّ تَارِكُ لَأُمْنِي فِي بُكُورِهَا» وصححه الشيخ الأنسى (صحيح الجامع ١٣٠٠)

صَّهَا الصَّانِعَ . فَكَارَ فِي إِحْكَامِ هَيْئَتِهَا طَامِعٌ . وَأَقَامَ يَعَالِجُهَا فِي إِحْكَامِهَا أَيَّامًا . فَمِنْ بَلٍ مِنْ ذَلِكَ مَرَامٌ . بَلْ حَازَ ذِلَّةً وَخِيبَةً وَثَنَامًا . وَأَطَالَ فِي ذَلِكَ الْأَمْرَ مَكْنًا وَمَقَامًا . وَكَلِمَا صَبِيهَا أَبَتَ . وَكَيْمَا أَفْرَغَهَا فِي لِفَالٍ خَبَتَ . فَلَمْ يَتِمَّ لَهَا حَالٌ وَلَا اسْتِقَامَةٌ . وَلَمْ يَدْرِكْ مِنْهَا مَقْصُودُهُ وَلَا مَرَامُهُ . وَعَرِفَ فِي بَاطِنِهِ أَنَّ لِهَذِهِ شَأْنًا . وَإِنْ لَمْ يَفِي بِذَلِكَ لِسَانًا . وَكُلَّ يَوْمٍ أَوْ غَالِبَ الْأَيَّامِ . يَجْرِي قِتَالٌ وَجَلَادٌ مَعَ أَوْلَئِكَ الْأَقْوَامِ .

وَأَهْلَ الدِّينِ وَالْهَدَى . لَمْ يَبَالُوا بِمَقَامِ أَهْلِ الرَّدَى . بَلْ كُلَّ يَوْمٍ مِنَ الْحَزَمِ فِي مَزِيدٍ . وَمِنْ الْبَأْسِ وَالنَّصْرَةِ فِي تَجْدِيدٍ . وَمَنْ اللَّهُ تَعَالَى فِي إِعَانَةٍ وَتَأْيِيدٍ . فَكَانَ حَالُهُمْ عِبْرَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَبِيدِ . وَأَيَّةٌ يَسْتَبْقِيهَا قَلْبُ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ .

وَفِي أَثْنَاءِ تِلْكَ الْإِقَامَةِ . بَنِي قَصْرًا وَأَنْجَزَ إِيَّامَهُ . وَجَعَلَ فِيهِ عِدَّةً مِنَ الرِّجَالِ . وَذَوِي الْبَأْسِ فِي الْمَجَالِ . وَكَانَ مَوْضِعُ ذَلِكَ لَيْسَ إِلَى الْحَلَةِ إِلَيْهِ مِنْ سَبِيلٍ . فَانْتَدَبَ الْمُسْلِمُونَ إِلَيْهِ لَيْلًا . فَنَالُوا مِنْ مَرَادِهِمْ نَيْلًا . وَقَدْ أَعْلَمَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ . أَنَّهُمْ يَرِيدُونَهُمْ جَنَحَ الظَّلَامِ . فَعَجَّلُوا لَهُمُ بِالْإِعْلَامِ . وَبَادَرُوهُمْ فِي ذَلِكَ الْقَصْرِ . فَهَؤُلَاءِ وَأَزِيلُ . وَبَقِيَ كُلُّ مَنْ فِيهِ مَجْنَدٌ لَا قَتِيلَ . وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ سِوَى وَاحِدٍ . وَكَانَ بِالْخَبَرِ عَنْ قَوْمِهِ وَارِدَ .

وَفِي أَثْنَاءِ تِلْكَ الْمُدَّةِ . أَغَارَ سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَمِيرَ الرِّسِّ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى سَارِحَةِ أَوْلَئِكَ الْأَعْرَابِ . فَأَخَذُوا غَنَمَ سَعْدُونَ . وَكَانُوا نَحْوَ أَرْبَعِمِائَةٍ فِي الْحِسَابِ . تَسْمَى تِلْكَ الْغَنَمُ الدَّغِيمَوَاتُ . كَثِيرٌ مِنْ غَنَمِ تِلْكَ الْبَرِيَّاتِ .

وَفِي أَثْنَاءِهَا أَيْضًا عَدَا أَهْلَ بَرِيدِهِ عَلَى بَيْتِ مِنَ الشَّعْرِ . جَعَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَشِيدٍ لِلْحَرْبِ مِنَ التِّيِّهِ وَالطَّرِ . وَكَانَ فَوْقَ النَّهْرِ<sup>(١)</sup> مَشْهُورًا . وَفِيهِ آلَاتٌ لِلْحَرْبِ

(١) بئر وبستان نحل حبوب بريدة

وزهبة<sup>(١)</sup> فأضحى لديهم محروراً، وقتلوا فيه أربعة رجال، ورحلوا في ضحوتهم في أحسن حال، فلم مصت من الشهور مدة، نحو خمسة في العدة، وتحقق له من مراده الحرمان والخيبة، وأراد لأهله الانصراف والأوبة، عزم على اقتحام البلاد، والدخول على أولئك العباد، وقد صنع منتريساً<sup>(٢)</sup> من الخشب، يسمى عَجْلاً عند أولئك العرب<sup>(٣)</sup>، يرد الرصاص عن فيه، فلا بضره ولا يؤذيه، فلما ساقوه إلى مرقب البلد، وكان في ذلك المرقب عشرة من العدد، تكلموا مع أهل المرقب، وذلك أن عثمان آل أحمد استفتح وهو مع ساقية العجل، وجد في الدعاء واجتهد، ورفع صوته وقال بفصيح اللسان والمقل: اللهم انصر من هو منّا على الحق. فأمن على دعائه أولئك الخلق، وصار أهل المرقب عند سماعه من المؤمنين، فكانوا هم أهل الحق، فلذا صاروا من سطوتهم مؤمنين، وحاولوا فيهم نكبة، فلم يحصنوا على غاية، واجتهدوا أن يسركوا إليهم وصولاً، فلم يجدوا إلى ذلك سبيلاً، وردّ كلّ منهم خاسراً خائباً ذليلاً، وترك أكثرهم ذليلاً. ثم بعد ذلك حمل على البلد حملة هائلة، وأصبحت تلك الأمم عليها صائلة، وعى جميع أركانها جائلة، وإلى تسور الأسوار مائلة، يساقون بالسيف من أعقابهم، في مسيرتهم وذهبهم، فازدحموا عند السور والبروج، فلم يفوزوا منها بصعود ولا عروج، بل قطعت عندها الحناجر، وأعد الله تعالى من بها من محاصر، وكن له عوناً وناصراً، فطر عند ذلك الاقتحام، وهول ذلك الازدحام، كثير من الروس ولهام، من تلك الأقوام، وانقلبوا بخيبة المقصود

(١) المشك والرصاص.

(٢) المنتريس: ما يترس به رجال المحاربون في الحرب، فيكونون حنقه لبقهم رصاص لبدون أو لرمح. وهو لرس.

(٣) لعجلها صندوق من الخشب، يسير على عجلات.

والمرام، من ذلك البأس والإقدام، فلم تسر إليها بعد ذلك أقدام، ورجع أهل الحق بالفوز والأحر الجسيم، والعناية والقبول من الله الكريم، كما قال سبحانه في الذكر الحكيم. ﴿فَأَقْصَوْا يُعْظِمَ مِنْ اللَّهِ وَفَضْلِهِمْ سَوْءٌ وَسَعَوْا رِضْوَانَهُ وَنَهَّ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٌ﴾، وارتحلت قبائل أولئك الأحزاب والعربان، عن ذلك الموضع والمكان، بأمر عظيم من الخزي والهوان.

ولما سارت تلك العشائر، خرج حجيلان ومن معه مسارعاً مبادر، ففاجأ بريدة آل شماس، وقتل من وجد بها من أولئك لناس، فأوقع بها النقرة والبأس، وخرج غالب أهلها نائرين، مع تلك الجيوش السائرين، وعرفوا أنها ليست لهم بدار مقام، فهربوا مع أولئك الأقوام، وشدوا في الانهزام.

ثم بعد صدور تلك القضية، وانصراف العسكر بالرزقة، ضاق وسيع الفجاج، على من ساعد ذلك المنهج، وانزعجت قلوبهم أشد الانزعاج، فلم يجدوا عن الدخول في حوزة الإسلام بُدّاً، ولم يبصروا سواه فصداً، فأقبلوا على حجيلان يريدون الإسلام والإيمان، وأعطاهم الأمان، وأجابهم إلى ذلك الشأن، بعدما شرط عليهم النكال، فكلُّ بذلك دار، وأقبلوا إليه مسرعين، وحداداً ومجتمعين، ووفدوا بلدًا بلدًا، ولم يبق إلا أهل عنيزة بُعداً.

وفيها غزا ركب لأهل بريدة في أثر سعدون، يطلبون الاختلاس من تلك البوادي ويريدون، فوافقوا ظهرة مع النفثي مارض المستوي<sup>(١)</sup>، فكان ذلك الركب لجميع الظهرة محتوي، وقتلوا جميع الرجال، وأخذوا منهم الأموال، وفدكان مع تلك لظهرة لأناس من أهل المدينة ما كثير، فأمر بأدائه

(١) مدرة وسعة تقع إلى الجنوب شرقي من القصيم. «المعجم الجغرافي - بلاد

قصيم»؛ لعبودي (ص ٢٢٥٦)

عبد العزيز الحويل منه ولحمير، فأدي تأم من غير بقص ولا تغيير، لأنها كانت أوقفًا وأحس، فلم يرد أخذها لأولئك الناس، وإن لم يكن فيه معرفة ولا بأس.

وفيها ارتداد أهل الروضة، لم كان من سعدون إليهم أوضة<sup>(١)</sup>، وأقبل إليهم بالعساكر والأجند، عجلوا بالردى والارتداد، وخلعوا ذلك العهد، فخبوا وخسرو ولم يفوزوا بقصد، فلما ظهر منهم ذلك الحال والشأن، بادر أهل التوحيد والإيمان، إلى قلعة البلد، فشمروا كل ساعده فيها واجتهدوا وتحصنوا فيها. وأقبل سعدون وجموعه، فطاف بها هو وربوعه، وجدَّ تلك الأجناد مع أهل البلاد، في محاصرة أولئك العباد، وأقاموا على ذلك أيام، حتى حاول في قطع مائهم أولئك الأقوام، فلما شعروا بذلك فزعوا، وخافوا على أنفسهم وجزعوا، فطلبوا على أنفسهم الأمان، وخرجوا بعد الاستئذان، واستولى سعدون وآل ماضي البلاد، ثم نهضوا بعد ذلك إلى أهل الداخلة<sup>(٢)</sup>، وكان فيها محمد بن غشيان، وأناس من أهل النجدة الفرس، فحاولوا إليهم الوصول، فلم يكن لهم إلى ذلك حصول، ونالوا من أولئك الحماة، ورصاص المجيدين الرماة، ما أذهل منهم الأبواب، وردهم على الأعقاب، فلم يكن لهم على الإقامة مصابرة، ولا على تلك العصبة مكابرة، فانصرفوا بالخيبة والحرمان، وقد قُتِل منهم أشخاص غالبهم من الأعيان، وثبت بلدان سدير على الدين والإسلام، بعدم كان من سعدون القدوم والإقدام. والأمور الهائلة العظام.

وكان إذ ذاك حسن بن مشاري كُتِبَ، في جلاجل مقيم، فصنعهم الرحمن الرحيم، عن تعاظم أسباب الجحيم.

(١) أى: عودة

(٢) من بلدان سدير.



ولما بلغ عند العزيز، حرسه الله، ما صدر من أهل الروضة وجرى، وعلم به بقيد ودرى، أمر سعوداً أن يتجهز والمسلمين، حتى يلقوا أولئك المحصورين، فبادروا في الأهبة والجهز، وكان ذلك سريع الحصول والإيجاز. فظهر سعود يريد التعجيل إليهم والانتهاز، وحين وصل إلى شاذى نزل حتى يتلاحق الجموع والدول، ثم يسير بتمام أهبة على عجل، فيدرك عند ذلك الأمن، فلما بلغ سعدون ظهور العصاة المنصورة، وأن ألوية العز عليهم خفقة منشورة، ورايات الإمداد مرفوعة، على رؤوسهم مشهورة، حصل له الرعب والإرجاف، فلم يكن له عند ذلك صبر ولا ائتلاف، بل أخذته الذلة والارتعاش، ولم يحصل لأهل البلد منه بعد ذلك انتعاش. بل ولى مديراً وانحاش<sup>(١)</sup>.

فلما ارتحل وشرع في السير، انتدب أهل الإيمان من قرى سدير، ما معهم من الإمداد، مثل حسن بن مشاري وابن غشيان وقومهما من الأنجاد، فبادروا أهل الروضة بالقتال والجلاد، فخرج إليهم أهل الشر والفساد، وطال بينهم القتال في ذلك المجال، وقتل منهم عدة رجال، منهم أميرهم عون بن ماضي، ثم ولوا مدبرين، وأقاموا بعد ذلك منحصرين، ثم أقبل سعود بجيوش المسلمين، فنزل على أولئك القوم المحصورين، فأخذ جميع الحلل التي كانت في النخل، ومكث أهل البلد في حلتهم، متحصنين في محلثهم، وفي قلعة البلد أنس من آل ماضي ورجايل لسعدون بن عريعر، فطال عليهم الحصار، وشرع سعود في قطع النخل والأشجار، فلما تحفقوا بهم نزول النعمة والس من رب أنس، وغلبهم القوط والياس. طلبوا من سعود الأمان، واللحوق بأهل الإيمان، فأجاب طلبهم، ولى دعوتهم، ونزلوا على حكمه، وما اقتصاه منير

فهمه، فعهده على الإسلام، والتزموا بجميع الأحكام، واعتذروا من سوء ذلك القنّام وقبح ذلك المرام. واشتروا منه جميع ما في البلد من الأموال بدراهم نقدوها له في الحال. وأمر بجلاء آل ماضي ومن ساعدهم من الرجال، فخرج عنها جميع أهل الشر والفساد، وأمر عبد الله بن عمر على تلك البلاد، وانصرف سعود راجعاً.

ثم دخلت السنة السابعة والتسعون بعد المائة والألف.

وفيها سار سعود بالمسلمين يريد أهل الخرج، ذوي الفساد والهرج، فلم وصل إلى قرية الحائر، أخبر في أثناء طريقه وهو سائر، أن آل مرة هنالك، فأمر على الدول بالرجوع وانصرف عن قصده ذلك، وسار بالجيش يريد فريقاً من مطير يُدعون الصهبة، فعمد إلى ذلك الفريق وطلبه، وحث الجياد في السير؛ لئلا ينتذر فريق مطير، وكانوا على المستجدة<sup>(١)</sup>، فبذل في التعجيل جهده، فلم يفجؤهم إلا غارة الخيل، وكانوا في سرعة اللقاء كالسيل، وشدوا للارتحال في الأظعان، ولحروب عن ذلك المكان، وبقيت حمدة الفرسان، مشمرة لئذب عنهم في الطعان، حتى أعياهم الأمر وعالهم، وغشيه من مرارة المران ما هالهم وكدر بالهم، فمزق الله تعالى رجالهم، وشتت حالهم، فأخذوا بذلك السكان عن قريب، ولم يكن لهم في السلامة نصيب، وقُتل منهم رجال كثيرة وشجعان شهيرة، مثل خلف الفغم ودخيل الله بن جاسر، وغنم المسلمون ما معهم من الأموال، وانصرفوا في أحسن حال.

وفيها علا الزاد جدّاً، وبلغ في الغلاء حدّاً، وأخذ الناس من ذلك المحهد والبلا، وكان سبباً للعداء والبلا. وطال ذلك على أهل نجد وسكاتها، ولم يروا

(١) قال بن بشر (١ / ٧٧). «مزرع المعروف». وهو يبعد عن حائل ١٢٥ كم جنوباً

مثله في أزمئنها، وعم ذلك جميع بلدانها، فسقموا من الجوع، ولس إلا إلى الله الرجوع. واستمر ذلك سنين. ويقوا تلك المدة مُسْنِتِينَ، وقد حلت عسهم السنين والأحوال، وشاهدوا أشد الأهوال، ومات من ذلك كثير من النساء ورجال، فضلًا عن البهائم والأطفال، فكان كثير إذا شرع في الصلاة خروًا وسقط، حتى يظن رائيه أنه من الجن قد اختبط، ووسوس في عقله واختلط، فالتجأوا إلى مولاهم في كشف ما هَمَّ، ودفع ما نزل بهم ودهم. فحُجِبَ جل وعلا دعاء ذلك الملا، وهو الذي يجيب المضطر إذا دعه، وينجح أمله ورجه، فأَنَزَلَ الله تعالى في قلب عبد العزيز الرأفة والرحمة والتحنن بضغفاء تلك الأمة، فأمر جميع البلدان في تلك السنين والأزمان، أن أهل كل بلد ومكان، يُحْضُون ما عندهم من المساكين والضعاف، ويقيتونهم من الطعام ما به قوام وكفاف، فامثلوا أمره وقوله، وانتهجوا عمله وفعله، وقام، حرسه الله، في الناس حين حلول البأس أعظم قيام، فأفرض من الإنعام على أولئك الأنام، خصوصًا أهل الحاجة والأرامل والأيتام، وشَمَّرَ بالإحسان منتدبًا. وجد في المعروف والبر محتسبًا، وكان لأجره من الله مرتقبًا، ولم يزل على تلك الحالة مستمرًا، حتى كشف الله تعالى عن الخلق ضرًا، فذل بذلك ثوابًا وأجرًا، وحز مجدًا وفخرًا.

وفيها مقتل زيد بن زامل، وذلك أنه أغار على أهل سبيع، وهم إذ ذاك على الرياض، فأخذ عليهم إبلًا ثم انصرف من ساعته من غير ارتياض. ففرغ على أثره سليمان بن عفيصان، وليس معه إلا جماعة يسيره من أهل الإيمان، فجد السر في طلبه، وحث المطي في عقبه. فأدرك ابن زامل مع قومه، وكنوا يريدون على ثلاثمائة راكب بأرض يقال لها الخنبة<sup>(١)</sup> من نجد، فشن عليهم

(١) بمحافة الخرج

الغارة، فدل بذلك أعظم قصد. وقتل زيد بن زمل، وانهزم جميع من معه من  
نضائل، وأخذ بعض من ركايبهم. وفك الإبل وولوا على أعقابهم. ورجع  
سليمان ومن معه بالنصر والأمان.

وفيها أهدى عبد العزيز، حرسه الله تعالى. إلى سرور والي مكة المشرفة  
خيلاً وركباً، وكرمه بذلك وشرفه، وقصده بذلك التشريف والإكرام، وإهدائه  
ذلك النفيس الذي هو أجل الحطام، الرخصة لأهل الدين والإسلام، في أداء  
واجب الافتراض والالتزام، خامس أركان هذا الدين. على التحقيق والجزم  
واليقين، الذي مُعْطِوه من سنين، وكانوا على قضائه متوجدين، فجاء الأمر منه  
في ذلك بالرخصة، فشر المسلمون وانتهزوا الفرصة، فحجوا ذلك العام،  
وكانوا نحو ثلاثمائة من الأنام.

ثم دخلت السنة الثامنة والتسعون بعد المائة والألف.

وفيها عدا براك بن زامل وأهل اليمامة، على منفوحة فسبق النذير أمامه، فم  
يردوا أهل البلد، حتى تاهب كل منهم واستعد، فحين أغاروا عليهم بدروا في  
الخروج إليهم، فاعتنقوهم سراعاً، وأرهقوهم بأساً ووقائعاً، وجالدوهم  
فجلدوهم، وفرقوا جمعهم وبدروهم، وقتلوا من القوم المعتدين، نحو خمسة  
عشر وفيهم أناس من المرتدين، فأتي سعود بذلك الخبر، فجرد عزمه لطلابهم،  
وظهر وجد في أثرهم، فلم يدركهم فرجع وصد.

وفيها غز. سعود، حرسه الله تعالى، بالمسلمين يريد الحسا، فأعمل في ذلك  
العيس. وجد في اسير والسرى فلم ينخ ما سوى المكتوبة والتغليس. حتى  
همم من ذلك الوطن وقربا تلك السكن، على قرية يقال لها العيون<sup>(١)</sup>، فللقاهم

(١) من قرى الأحساء. يُسبب لها «عُيوبون» نسبة إلى آل الو حكم لفرامضة.

وقد استولى الكرى على العيون، فدبر أحواله وشؤونه، وأهل العرب لم يأتهم عنه خبر ولا يظنونه، فلما أن نسخ حانك الديحور شعع الضء والنور، وفرع في صحنه من دعائه وسبحه، نهض إلى ما هياه وأراد، ووطئ ما خرج عن الحصن من مساكن تلك العباد، وأخذ جميع ما في تلك الدور والبيوت، من الحيوانات والأمتعة والقوت، وبقي ابن مهتّى وجماعته في الحصن متحصنين، وندشهم المسلمون القتال وكنوا من الخوف على أعمارهم مجتهدين، فلم يدركوا منهم مرأماً، ولم يطيلوا عندهم مقاماً، وانصرف المسلمون عنهم، ورجعوا منهم، وقد قُتل ناصر بن عبد الله وعبد العزيز ديان.

ولما أقبل سعود، بلغه الله تعالى المقصود، من الأحسا راجعاً، ولأمله طامعاً، اقتضى رأيه السديد، وفكره المصيب الرشيد، أن يعبر على اليمامة، فألفهم وقد خرجوا جميعهم أمامه، وساقهم القضاء والتقدير، ونفوذ حكم لإرادة والتدبير، لما أراد الله عزه ونصره وإكرامه، وأن يحل بأعداء هذا الدين بأسه وانتقامه، ويسمى كلاً من أهل الشر كأسه وسهمه وجماعته، فشتاقت نفوسهم إلى الخروج للتنزه والابتهاج، ومطاعة أزهار الرياض في تلك الفجاج، فلم يستقروا في تلك الرياض، حتى وردوا من المذيق الحياض، فدهمتهم الفرسان من أهل الدين والإيمان، في ذلك الموضع والمكان، فراموا عند ذلك الشجاعة، ومد كل إليها باعه، وحسبوا أن لهم بها استصاعة، فلم يكن لهم ذلك ولم يُقدر. ودم لهم أحلهم المحترم المقدّر، فحالت عليهم الحيل، وهب للمسلمين عنهم النصا والقبول، فسمروا عند ذلك لهزيمة الذبول، وولّوا على أعقابهم مدبرين، وفصدوا بلادهم متمزقين، وقد قتل المسلمون منهم نحو الثمانين، على التحفيق لا التخمين.

وفيها عز سعود، حرسه الله تعالى، بالمسلمين وفصد عنبرة من بلاد

المقصيم. وحث السبر في ذلك مشمراً لا ينخ إلا في الضرورة ولا يقيم، فلما وطئ في جنح الدجى من تلك البلد أرضها، وقضى من صلاة الصبح سننها وفرصها، أغارت على طارفة البلد فرسانه، وطافت بفنائها شجعانه، فخرج إليها من أهلها كل ذي بأس شديد. واستمروا مع المسلمين في تصدير وتوريد، وبذلوا من الشجاعة ما ليس فوقه مزيد، وقُتل بينهم في ذلك المجال بعض من الرجال، منهم من المسلمين ثين بن زويد<sup>(١)</sup> وغيره، وجرى بينهم مع سعود كلام في الصلح فلم يتم المقصود، ثم بعد ذلك انصرف عنهم وارتحل منهم. ثم دخلت السنة التاسعة والتسعون بعد المائة والألف.

وفيها غزا سعود فأخذ إبلاً معويد<sup>(٢)</sup> لأهل الحريق. كانت مودعة عند سبيع فأخذها من ذلك الفريق.

وفيها غزا سعود بالمسلمين يريد أرض أهل الجنوب، وكانت فرقان اليمن له المطلوب، فألح السير إليهم حتى قدم عليهم، فألفاهم في أرض الروضة<sup>(٣)</sup> يرعون، فألفى رئيسهم في قصر الروضة، فأخذه وقتله وقرّب الله له أجله، ثم غارت خيوله ورجاله على أولئك الأعراب، وغشيه من عظم العذاب أعظم سحاب. فلم يكن لهم على المقابلة قدرة، ولم يكن لهم في الرجاء حيلة ولا فكرة. فولّوا مدبرين على الأعقاب، وشمروا في الهزيمة والانقلاب. ولكن الله تعالى فضى أمراً وقدر. واحتاره ودبر. وذلك أن المسلمين لما كشفوا ذلك الفريق، وراموا أخذهم على التحقيق، أقبلت عليهم من فرقان السهول كراديس

(١) قول من بشر (١ / ٧٨) "شجع لمذكور".

(٢) الإبل المعاويد. التي رقع ماء من البئر العميقة

(٣) تبعد عن مدينة الرياض ٢٤٠ كم غرباً

من النخيل<sup>(١)</sup>، فرجع عنهم حينئذ المسلمون، لأنهم إذ ذاك لم يكونوا لهم يعرفون. وفك الله أولئك الأقيام بعد ذلك الانهزام، ولم يعرف لسهول جيش لمسلمين إلا بعدم الفوهم مدبرين، وكنو معهم داحين ولحكمهم تابعين. فكانوا على تلك القضية نادمين.

وفيها قتل براك بن زيد آل زامل بنو عمه زويمل<sup>(٢)</sup>، ومعهم عبد الله بن محمد بن راشد، وظنوا أنهم يدركون حكم الدلم والرئاسة فسدت عليهم تلك المقاصد، ولم ينل كل منهم ما هو مقصد، وطردوهم أهل البلاد، وكانوا ذوي بغي وفساد، فقصدوا الدرعية، وطلبوا خطة الدين السوية، ولم يكن يرد عن دخولها أحد من البرية، ثم بعد ذلك الحين هربوا إلى الحسا مرتدين.

وفيها غزا سعود، يسر الله تعالى له المقصود، فشمّر مع المسلمين يريد الخرج، فذكر له وهو في أثناء ذلك النهج، أن هنا ظهرة كبيرة وأمم من أهل الخرج والفرع كثيرة، ومعهم من الأموال وأصناف الأحمل ما لا يخطر على البال، فأقام سعود ومن معه على الشيما<sup>(٣)</sup> يرصد تلك الخلق المجتمعة، حتى أقبلوا يريدون الماء، وكانوا إذ ذاك على ظمأ، فشن الغارة عليهم المسلمون، فأخذوا السابق الذين هم للماء مسرعون، وقتلوهم قتلة رجل واحد، ثم أخذت الظهيرة ورام كل منهم أن يُجالد، فاستمروا معهم ساعة في جلال، ووقع المصابرة والاجتهاد، حتى تبين لهم أنهم لا يظفرون من السلامة بمراد، فعنده طلبوا من سعود السلامة على الرقب، فأعطاهم ذلك وأجاب، ومنع الله تعالى عباده المؤمنين السلامة والنصر والتمكين، وغنموا تلك الأموال، وفازوا بالآخر

(١) الكردوس: الحين العظيمة.

(٢) تصغير زامل.

(٣) قال ابن بشر (١ / ٧٩): «لما معروف قرب الخرج»

والإقبال، وقُبل في ذلك المجال نحو سبعين من الرجال، منهم ابن زيد زامل  
وإبن زيد الهراشي وسنان بن شاهين، وغيرهم مشاهير، وقُتل من المسلمين نحو  
ثلاثة رجال.

وفيها قدم ربيع وبنو ابنا زيد، وهما رئيس المخاريم<sup>(١)</sup>، وجماعة من  
قومهم، على الشيخ وعبد العزيز راغبين في الإسلام، طالبين منهج الأمن  
والاستسلام. فعهدوا على ذلك الطريق، وكان لهم في القيام بذلك هداية  
وتوفيق، فقد هدى الله تعالى بهم أنسًا من أهل الشرك وفريق، وصدروا ردماً في  
الوادي لا يروم رأس الباطل هدم الحق فيه ولا يطيق.

وفيها غزا سعود بالمسلمين، متعهم الله تعالى بنصره سنين، فجدا السير يريد  
الدلم من الخرج، وسأل الله تعالى أن يسهل له ذلك النهج، فتأداه منادي الإقبال  
بسان الحال، وهو ينصّ في تيك البيد الفساح: سر فليس عليك جناح، وقد  
قُدِّر لك الخير والصلاح، وأُعِدَّ لك الربح والأرباح، وتقدمك النصر والفلاح،  
وهيئ لك في فتح البلد مفتاح، فاطو القصر في الدجى، فعندك من حسن الرجاء  
ضياء ومصباح. فسار لذلك وشمر، وحث الجياد الضمّر، فلم يطل لركابه إراحة  
الجران، ولم يبق لخياله رَسَن ولا عِنَان، حتى استقر في تلك البلدان، ورأت  
بالعيان ملتف تلك الجنان، فحينئذ ذاق طعم الكرى المُقَلُّ والأجفان، بعد تعبته  
الكمة والشجعان، وتدير جميع ما له من شأن، فسم بضمحل سواد الظلام  
وينتشر سرعان الأنام، لا وفرسانه عادية مغبرة، وسناكه لعشر منبره. فكانت  
لمن صاففته مرددة مبيدة، غير مؤمنة ولا محبرة، فعند ذلك عت في البلاد ضحة  
العباد، وغشبتهم أصوات العرع والارتيع، والحرث والالتبع، فأقل جمع من

(١) من الدواسر.



في البند من المقتلة والأفراع، وراموا عن خلل النخل محالده ودفاع، فلم يحدوا إليه من سبيل، وهم يلعبوا لهم به كفيل. فرجع كل منهم حاسيًا ذليل، وقتل رجال من أولئك القبيل، واسنوى سعود جميع النخل وحلها، فنالت نفوسهم سُؤلها وأملها، ومكث أهل البلاد كافة محاصرين في القلعة، من المخافة وسحائب الذلة عليهم مظلة، ونوائب الجلاء بهم مظلة، وشجعانهم من الرعب مستذلة، وأقدمهم إلى الهروب مستقمة، لا يجدون ساعة من الراحة، وحزب الدين مشمر في الحرب صباحه ورواحه، وقد أظهروا للتجلد علامة، وظنوا أنه يخفف مقامه، وحسبوا أنه يكون وسيلة للسمّة والتضجر، ولا يزالون يعلنون النفوس بالمحال منه والمأبوس، نعلل المسجون بالأمل والمحجوس، حتى انقطع منهم الأمل والرجاء، وعراهم الخطب وفجى. وشاهدوا منه مدلهم الدجى، وناء عليهم بكلكله وسجى.

وذلك أن سعودًا لما رأى ما هم به من الحصر، وأنهم لا يطول لهم مكث ولا قرار، اقتضى رأيه وفكرته، واستجمع نظره ومشورته، أن يبني قصرًا للمسلمين بين النخل وتلك الحلل، ويجيد بناءه عن النخل، حتى ينقطع من أهل القرية الأمل، وينزلوا إلينا على عجل، فلما فرغ بناؤه وتم، ونوى سعود المسير ويترك أناسًا فيه وعزم، خرج جميع من في القلعة إليه، وعزموا على البيعة عليه، فحملوا حملة رجل واحد، وتقدم كل من هو في الحرب يجالده، ومن هو على الثبات والصبر يساعد، فتفاهم المسلمون بعزم باتر، وبأس مُخِد غير فتر، حتى أدار الله تعالى عليهم الدوائر، وكان لأهل الدين معيًّا وناصرًا. ولأولئك انفجار مُدْبِئ كاسر، فرجع كل منهم على عقبه خائبًا خاسر. وتمى أنه لم يكن للقتل بارزًا ظاهر، وقُتِل منهم رجال كثيرة، منهم تركي بن زيد ورجال غير شهرة، يزيدون على العشرين، وأقدموا في القلعة محتصرين، وهُمُوا بعد ذلك

اليوم أن ينزل على سعود جميع القوم، ولكن أسر إليهم بعض آل زامل ممن كان مع المسلمين نازل. فقال: ثبتوا مكانكم، وانزمو، أوطنكم، فأننا آخذ لكم الأمان، وأحكم لكم عقد الاستئمان. فكان بينهم وبين سعود واسطة، ولإحكام العهد رابطة، فأخذ لهم من الأمان عقداً، وتمم لهم عهداً، واشتروا منه ما في تلك البيوت والدور، من الحيوانات والأمتعة والسلاح والطعام ما ليس بمحصور، واستقر بينهم الأثمان، فانتقدوها بذلك المكان، ودخلوا في حصن الأمن والأمان، وفي دائرة أهل الإيمان، وأمر عبيهم سليمان بن عفيصان، وكانت كافة نخلها بيت مال، فء الله تعالى به ذو الجلال، وأجلى عن البلاد كل من جد في الفتنة واجتهد، ومن كان قبل ذلك بالسبابة لهذا الدين معروفاً، وبالبعض له مشهوراً موصوفاً.

وفيها تبين ذلك الحال واشتهر، وشاع بين الناس وانتشر، رجفت قلوب أهل الجنوب، وحلّ من البأس والكروب وغياهب الخطوب، ما لم يدع لهم قلباً، ولم يثبت لهم لباً، فكلّ منهم أرسل إلى سعود بالطاعة ولّبي، فأقبل أهل الحوطة وأهل الحريق وأهل اليمامة والسلمية وكافة الخرج، على سعود، فأحكموا للإسلام العهود، واشترط عليهم في النكاح ما شاء من النقود. فكان جميع ذلك لديه محضراً منقوداً، ثم انصرف بذلة لمولاه واستكنة. مكثراً لحمد مولاه وشكره سبحانه، وقصد أهله ومكانه، ثم بعد انقضاء هذه الأمور، وصدور ما هو مزبور، وفدوا راغبين في الإسلام أهل الأفلاح، فأتوا الشيخ وعبد العزيز طلباً لسلوك ذك المسحح، فعاهدوا على الإسلام، وانتزام جمع الأحكام. فحسن منهم ذلك القسام.

ثم دخلت السنة التي هي للمائة ختام، وبها يكون الثاني عشر للقرون تمام. ويتم بها العقد والانتظام.

وفيهما دبت بين بني خالد الفتن، واستحكمت في قلوبهم الشحنة والإحزن. وسعوا في أسباب الحوادث والمحن. وخذوا في أسباب القطيعة ما قدروا، عليه من الأمور الشنيعة. فأضاعوا سحنة الأرحام. وقام فيها ذور الأحلام. فأراقوا بينهم الدما، وسدوا البيض الدم، وغدا بعضهم للبعض سائًا، ولهلاكه مريدًا وطلبًا، فأصبحت الأرض من أفعالهم تعج، والخلق تجار إلى الله وتَضِحُّ، وتدعو الله عليهم بالإذلال وتعجيل الويل، ولسان حال القضاء يندي على أولئك الضَّلال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَّةَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾.

وفيهما جرت وقعة جضعة بين بني خالد<sup>(١)</sup>، وسميت بذلك؛ لأن المهشير وآل صبيح خانوا لعبد المحسن والمتفق ورئيسهم ثويني، فأخذوا من يديهم من العربان. فوقعت بينهم النبهة. وبدأ كل منهم في الآخر الرغبة. فنار<sup>(٢)</sup> سعدون وجماعته على ظهور الخيل وقصد لمسلمين، وترأس عبد المحسن ودويحس في بني خالد والحسد، فصار ذلك لعز الإسلام، ولإعلاء كلمة الحكيم، للعلام، أعظم مقدمة وطلية. ولاستيطان التوحيد فيها ذريعة. فلم تكن بعد ذلك قوة تلك الأسباب عن ذلك مانعة ولا منيعة. وبشارة بالفتح معجلة، ونصرة لثنين لوقتها موجهة، فأقبل سعدون وقومه، وأرسل لعبد العزيز يطلب منه الأمان، فنهه عن المجيء إلى البلد حتى يقف على ما عند ثويني من الخبر باستيقن، ويتحقق حقيقة الأمر والشأن، لأن بينه وبين ثويني فل ذلك مهادة ومصاحبة، فأراد أن يسد من ذلك أبواب المطالبة، فلم يبال سعدون لما ناله من الذلة

(١) يُنظر لمعرفة ما جرى بينهم: رسالة «نوخالد وعلافتهم بنجد»؛ للأستاذ عبد الكريم الوهبي.

(٢) - د: حرب.

والهون، بما نهاه عبد العزيز عنه فصار ذلك الإقبال منه، فتلوه بعد ذلك عبد العزيز، فلم يشعر عبد العزيز إلا بقدومه، وسرعة دخوله لبلده وهجومه، وكان لصلاته الجمعة خرجاً، ولسة البكير لها ناهجاً، فالتقى مع سعدون عند باب القصر، فرجع معه إليه، وأمر بتعجيل النزول عليه، وهبى له ما أراد، ثم رجع إلى طاعة رب العباد، وقد حصل له من الكرب ما ناء بالفؤاد، وحصل له غاية المساءة والإنكاد، حين رأى قدوم أولئك العباد، ولكنه لما أتم الصلاة، وحصل له إن شاء الله من ربه الصلاة، أسر بذلك الخبر، وأعلن للشيخ الذي هو للتوحيد أسنّ وأتقن وشرح له الحال، وبين له أن ذلك كدر عليه البالد، فجلا عنه الإمام جميع الشبه والأوهام، وتلا عليه ما جلا الرئين عن الأوهام، من الآيات المحكمات العظام، كما يفهمه كل قلب سليم ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، فلم يفرغ من قراءتها بالإكمال، حتى سري عن عبد العزيز ذلك الحال، وانجلى عن قلبه الكدر، حين تبين له المعنى وظهر، فلما بلغ ذلك ثوبني تعاضم وتجبر، وصغر خده وتكبر، وأرسل إليه عبد العزيز بالطف كلام، يستعطفه في قبول ذلك الأنام، ويبين له أنني لم أنقض لهذهنة عهداً، ولا أقتل لحبلها عقدًا، ولكن لا أجد عن قبول هؤلاء مندوحة ولا بداً، وأنا لك بما تريد منهم كفي، فلا تخش منهم أحدًا لا عزيزًا ولا ذليل، فلم يحنح إلى ذلك الكلام، وأنف من الاستعجاب ولا استعطام، وخذ في الحرب وشمّر، وأجمع رأيه عليه ودبر، فأرسل إلى الشان يستعين على ذلك الشان، وشرع في أحكام الأسباب والآلات، وتهيته عددها، المحكمات، وبارز في ذلك رب السريات، ونال من ذلك أعظم الرزيت، وأفح الخري والعقوبات.

وفيها غرا سعود، ونال من مطلوبه كل مقصود، فسار بالمسلمين ومعه سو

خالد وآل ظفير مجتمعين، فحث السير ليلاً ونهاراً لأجل تعجيل المطلوب، وإحراز المراد له والمرغوب. وقصده أسلاف قحطان<sup>(١)</sup>، وكانوا مقيمين بأرض الجنوب. فأعق السسر إليهم، ونص اليعملات<sup>(٢)</sup> عليهم، حتى طوى بأيديهم صحف النيافي والقفار. ولم يجد دونها تلافي ولا اضطبار، وسهل له سهلها وحزنها. وحاط بأولئك همها وحزنها، وعجلت إليهم الإنذار بما قد كان وصار، فأخذوا في تعداد وأهبة، وكان لهم إلى لقاء المسلمين رغبة، ففرحوا بذلك وطربوا، وودوا قدومهم وطلبوا، وقالوا: لظى الخطوب، ونار الوغى والحروب، لنا معشر أهل الجنوب، والهيحاء هي المراد والمنى، ونحن لها وهي لنا، أياض سعود أنت مثل من لقي من الجنود، ومن مارس من البوادي القروء! نحن الشَّمَّ العرَّانين الكِّمَّة، وذوو البأس والنجدة في الوطيس والحماة، وسبعلم ذلك ويعاين. ويدري حينئذ على من هو كائن، ويتحقق ويشاهد ما لم يكن معه يعاود. ونفض كل منهم مذكروه<sup>(٣)</sup>، وكان شؤم ذلك القول راجع عليه، فلم صبتحتهم تلك الجنود والأحناد، أظهروا من البأس ما يذهل الفؤاد، وتدرعوا مدارع النجدة في الجلال، فشاهدوا فرسان الإسلام منهم أسنة حداد، وأحساماً صلاباً صلاباً، وقلوباً قوية شداد، فحف الله تعالى المسلمين باللطف والإمداد. وأعد عليهم عادته في أهل الفساد، فشد عليهم الحملة أهل الدين والتوحيد، وأيدهم الله تعالى بالنصر والإعانة والتسديد، وأنفذ في أعدائه الوعيد. فشرَّدوا أعظم تشريد، وبُدِّدوا أقبح التبديد، وصاروا بين طعين وشريد، ومقطوع منه الوريد. ومزَّقوا كل مُمزَّق، وأجرى عليهم عادته وحقق، وعم

(١) لأسلاف: لجماعات.

(٢) جمع يعمسة؛ وهي لغة سحبة

(٣) يقال جاء فلان ينقص مذكروه: إذا جاء، دعياً يُهدد الآخرين ولمدروا صرف شيء

المسلمون عزيمة عظيمة، وانهزم الأعداء، أحزى هزيمة، واستولى أهل الدبن والإسلام، جميع الأمتعة والأثاث والآبل والأسلحة والأغنام.

وفيها غزا حجيلان بأهل الفصيم، ومعه من عزة فِرْقَن، فذكر له أن هناك ظهرة عظيمة خارجة من البصرة وسوق الشيوخ حضر وبدوان، فأَم لهم منار الطريق، وكان من خبرهم على يقين وتحقيق، فأسرع بمن معه وتبعه حتى وصل إلى بقعا<sup>(١)</sup>، وأقام ينتظرهم حتى قدموا بعد ذلك عليه، ووصلوا بما معهم من الأموال والأحمال إليه، فتلقاهم بغرة مزعجة مرهقة، وأسنة ماضية للأرواح مزهقة، فطاعنوا ساعة وحيناً، ثم انكشفوا بعد ذلك انكشافاً وهيئاً، وكان كل منهم للذلة موثق رهيناً، فغنم المسلمون تلك الأموال، واستقوا جميع الأعمال، وقتلوا عدداً من الرجال.

ثم دخلت السنة الحادية فوق المائتين والألف.

وفيها غزا سعود بالمسمين، فنزل أرض ملهم<sup>(٢)</sup> وأقام ينتظر إجماع المسمين، فأتاه رؤساء الروسة<sup>(٣)</sup> من اليمامة، وأخبروه أن آل بجادي يريدون الارتداد، وقد دبوا إحكامه، وأجادوا على أهل التوحيد إبرامه، فشمر من ذلك الحين لإنقاذ المسلمين، وحقن دماء الموحدين، فوصلها ليلاً، وأدرك من التمكن منها ليلاً، فلم أصبحوا وتحققوه، فهو بلباس لإسلام أن يمزقوه، وحاولوا نظرهم فيه، فطر كن منهم أن ذلك لا يصكه ولا ينجي، فرمو جميعاً بأنفسهم إلى سعود، وقدمو إليه النساء لكي يوافق بالمقصود، فآلهم شطر

(١) مدية بعد عن حايل حوالي ٩٥ كم

(٢) مدية بعد عن رباص حوالي ٧٠ كم شمالاً، وهي إحدى سدد إقليم شعيب.

(٣) نسبهم احاسر في "جمهرة أساب الأسر" (١/ ٣٢٦) إلى حنم.

البغية، وأدركوا بعض المنسة، وألزم عليهم السيج وعبد العزيز في البداية، وأجلى عنهم أهل الفساد ولإذابة، ثم بعد ذلك يرجعون إلى بلادهم، وأظهروا لسعود الامتثال، وشرعوا في المسير إلى عبد العزيز والارحال، فما توسطوا، في قسب لفلاة، كان في قلوبهم أعظم هناء، ولَوَّوا إلى الحسا الأعناق، وجدوا في الوحد إليها والإعناق<sup>(١)</sup>، وصمموا البعد عن اليمامة والفراق، فأمر عبد العزيز بهدم حلتهم التي تسمى البنة، وقد كانت باللهو مرتنة، فهُدمت ديارهم، وحُقق دمارهم، وأمر سعود عبد الله الرويس في البلاد، وبنى حصن فيها وجعل فيه آلة الحرب والاستعداد، وأمر في الحصن محمد بن غشيان، وأقام فيه مدة الزمان.

وفيها جرّ ثويني تلك الجرائر، وقاد على المسلمين تلك الجموع والعسكرو، وتجاوز في ذلك المسير طوق البشر في التدبير، ورام أن يغالب الحكيم الخبير المدبر القدير، فتطاول في خروجه وتمطى، وبعى فيه وتخطى، ودبر من الكيد والأسباب والشؤون، ما لا يقدر على مثله ولا يكون. بل يعجز عن تحصيله الآخرون، وجزم أهل المعرفة بزعمهم، ومَن يدعي العلم بفهمهم، أن جيوشه لأهل الدين يغلبون، وأعرضوا عن وعد الله للذين هم يؤمنون، ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُلْغِيَنَّ عَنْهُمْ سَبَطَكُمْ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. فسر بتلك الجحافل لجمة الغزار، والجيوش التي لا يحصي عدتها إلا عالم الأسرار، ولا يحيط بها إلا الحبار، حافة تلك المدافع والقنابر الكبار، التي لا يقوم عندهم حصن ولا حدر، ولا شئت عند رؤيتها قلوب الصعد والكبر، فلم يرب يحدّ إلى نجد اسير والمسير، ويستدعي في ذلك آراء الرأي والتدبير، من كل رئيس بالحرب خبير، وحلس

(١) الوحد: السير السريع، والإعناق: السير بين الاطمان والإسراع.

سبي البطنة شرير، يحلل له دماء أهل لتوحيد، ويحثه على ذلك ويشير، ويدعي مع ذلك أنه من العلم والمعرفة بالمكان الكبير، ولم يدرك أنه قصر الناع، قليل الاضلاع، طافح الغور غير غزير، وأنه لا يملك من ملث الله فتيلًا ولا قطمير، وأن الله تعالى وعد أهل التوحيد والدين بالنصرة والظهور على المبطلين، وفتح البلاد لهم والتمكين، ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فلم ينش لهم صارم عزم ولا همة، بل جد في ذلك الشأن وهمه، حتى أنزل في أرض التنومة<sup>(١)</sup> جميع تلك الأمة، وأحاطت بهم تلك المهمة، وغطتهم تلك الخطوب المدهمة، وحلت بهم الكربة والشدة والغمة، والتجأوا إلى المفرج عند الشدائد، وطبوا حسن تلك العوائد، والتحفوا لقمص والأكفن، وقال كل منهم: الموت على الشهادة والإيمان، وسنة من لنا من السلف والإخوان، ويأبى الله أن نتضمخ بوضر الذلة والإذعان، ونبين عند الله والمؤمنين أننا غير ضبر في الطعان، ولا عند حول الرزاي والامتحان، ونعوذ بالله من عقبة الشرك والافتتن، وتسويل مكائد الشيطان، والاستسقاء من حوض الردى ولذل والهوان، فليس هنا إلا التطلع إلى قصور الجنان، وما فيها من لحوور والولدان، ولما ثوى في ذلك المكان والمحل، واستقر به ونوى الإقامة ونزل، شرع في مجال القتال، وأحدثت بهم تلك الفرسان والأبطال، وأضرمت عليهم المدافع شرر النار، ولم يكن في قلوبهم منها اندعار، لم أفرغ الله تعالى عنهم النصر والاصطدار، وربط على قلوبهم فكأن لهم من لتثبت أحل قرار، وحث أهل المدافع والرمة، وندب الشجعان والكمأة، وحرّص ذوي النجدة والخمأة، وجلب عليهم نخيه ورّجه، وروم هدم التوحيد بأمله، فأطل الله تعالى كنهه

(١) من فرى 'قصم - كم سق .



ومكره، وأظهر فيه وفي جنوده بأسه وقهره. فحاق به سوء عمده، فشرّب حياض المرّ الهمّ بالأسف عللاً بعد نهله. ورأى عقوبة ذلك عجباً قبل موافاة أجله، واستمرت تلك الأحوال الشديدة من أولئك الحموع العديدة. يقاسون كل ساعة منهم حدة وبأساً، ولكن لا يرفعون إلى المذلة رأساً، ويقو أياماً في ذلك المقام، كل يوم تحيط به خطوب الجَمَام، ويتجرعون مرارة السّام، ولكنهم صبروا تلك النفوس الكرام، عن معاضاة أسباب الآثام، وآثروا دار السلام، وما عند الملك العلام، على هذه الدار الفانية. واشتاقوا إلى دار قطفها دانية.

فلما آيس ثويني من مصدمتهم، وتعب من مزاحمتهم، واكتر من مقامه هناك. واضطرب لبّه فقليل ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ﴾، مد أسباب الغدر. ونسج رداء الخيانة والمكر، فأرسل إليهم بالأمان. وزين لهم الاستثمان، والنزول عن ذلك المكن، والخروج إلى سائر الأوطان، وحاولهم في ذلك واجتهد، وكان الواسطة بينهم عثمان بن حمد، وكان هو من أولئك الجماعة، فظنوا أنه لا يروم بهم مكرًا ولا خداعة، وإن كن نفسه إلى الشر نزاعة، فرضوا بذلك وراضوا. بعدما تحدثوا فيه وفضوا، ولما استقر ذلك الأمان بينهم، دخلوا عليهم القلعة سريعاً ففعلوا للمسلمين حينئذ، وقتلوا غالب من وُجد، ولم ينج إلا من هرب وفُقد، ونهب تلك القرية، ونال ثويني من ذلك خزيه. وعجل الله تعالى له في الدين العقوبة. ولقي من قبيح صنعه وزره وخوبه، ثم لما بدت منه هذه الخيانة وبدرت، وظهرت منه وصدرت، ظعن من ذلك الوطن. ونزل على بريدة واستكن. وباوش أهلها الحرب من بعيد. وهم أن يُنزل بهم بأسه الشديد، ويمكر بهم ويكيد، فأخذه الله ﴿يَذْخُذُهُ أَيْمٌ شَدِيدٌ﴾، فأرجف قلبه وفؤده، وأظهر له من الرعب ما حمله أن يؤم منهرم بلاده، وشنت شمله وجمعه

وأحناذه، وأضاع هدرًا عليه من المال طريفه وتلاده<sup>(١)</sup>، فولى حاسًا مهرومًا،  
مشتًا مبعثًا مرجومًا.

ولما عزم على المسير، خرج من أهل بريدة لنفوذ التقدير، نحو سبعة رجال،  
وراموا أن يوقعوا في آخر الجيش نكل، فعجلت إليهم من تلك الخيول فرسان،  
فقططعوهم قبل وصول الجدران، وجد السير يريد البصرة. وقد أبدى الله تعالى  
فيه عبرة، وأراه شؤم تلك الأفعال، وجعل عاقبته تشتت الحال، فحين وصل  
البصرة وقدم إليها، رأى لخروج على الباشة والتغلب عليها، وساعده على ذلك  
المتسلم، وكان لأمره مطيع مسلم، وفي خدمته متقدم، ورُسمت باسمه  
الخطب، وأبدى من التجبر العجب، فحدر عليه لباشا سليمان، في ذلك  
الزمن، والتقوا عند سفوان<sup>(٢)</sup>، مع تلك البدوان، فانهزم ثويني ونار<sup>(٣)</sup>، وهدم  
الله عزه وبار، وفلَّ الله مَنْ له مِنْ أنصر، وعمد لى الكويت وسار، وأقام فيها  
ذليلاً، يقسى لهم زمانًا طويلًا، ثم جاء إلى الدرعية يريد الإسلام، فعاهد على  
الوفاء بالذمام، ثم نكث ذلك الإبرام.

ولما بلغ عبد العزيز حرسه الله تعالى، وصول ثويني إلى نجد، جد في  
التأهب والاستعداد. وجمعه من الغزاة كل نجد، فجهز سعودًا عليهم أميرًا،  
حتى يكون لأهل لبلد ظهرًا وظهيرًا، فلما انهزم ثويني ونصرف، وقصد بلاده  
ونحرف، جد سعود في أثره بالمسلمين، وكانت تلك الحيوش مهزمين، فلم  
يبرح، حرسه الله تعالى، يجهد في السير الركب، ويجد في ذلك الطلاب،

(١) اشتد. المال أو المكسب القديم. والصرف: الحديق.

(٢) من مدن محافظة بصرة بالعراق. يُعرف اليوم بصفوان.

(٣) نار. حرب.

حتى أدرك أسلاف من شمر، فشن الغارة عليهم وشمر، ورئيس ذلك الفرقان وكبير تلك العربان، ابن جدي، فكن إليه مهتدي، فلما غطاهم من العدة لعبار، ركب الفرسان الجياد والمهار<sup>(١)</sup>، وأفلوا للقي الأبطال كأهم في قر، وصمموا على بذل الأعمار دون الأموال والطعن، وبذلوا في ذلك مجهودهم، ولكن الله لم ينلهم مقصودهم، فغلبتهم كلمة الحق، فلم عاينوا من أهل الدين الصدق، انهزموا وفروا، وما ثبتوا ولا قروا، فقتل المسلمون منهم رجالاً كثيرة العدد، وأخذوا ما عندهم من العدد واستولوا على جميع تلك الأموال من أثاث وأمتعة وزلال، وغنم وآبل، ورجعوا بأحسن الآمال.

وفي أثناء خروج سعود في ذلك الطلاب، ظهر عبد المحسن ودويحس وبنو خالد أهل الحسا، يظنون أن ثويني لهم في انتظار وارتقاب، وأن بلدان نجد قد عمها من ثويني الخراب، وأنه مقيم هناك مع الأحزاب، لأنهم قد ثبت عندهم بلا شك ولا ارتياب، ونقته إليهم عدول ليسوا بكذب، أن ثويني ألزم على أهل الزبير، ألا يخرج أحد إلا بمرأته وعياله في ذلك السير، فمثلوا أمره في الحال، وأظهروا معهم من الأموال للتجارة والاتباع، ولم يجلب في خلدتهم أنهم إليها يعجلون الارتجاع، لما يداخهم من الذعر والرعب والارتجاع، بن زعموا أنهم يقيمون أزماناً عديدة في تلك البقاع، ولا يرجعون عنها حتى يدعوها صفصفاً قع، فلذا ظهرت بعد ذلك بنو خالد، وكل على ذلك معين مساعد، فلم تزعج بنو خالد وأهل الحسا، وهم إذ ذاك قد قطعوا الدهن، يؤمون نجداً ويؤمنون بها إقامة وسكناً، إلا انخر النقيس، والعلم المحقق المستبين، أن سعوداً قد حدث في السير والسيار، وأن ثويني فضى عليه العزيز الفهر، بالذل والاكسار.

(١) المهري من كرائم لائل نسة لئله المهرة بالمر

وكتب عليه الهوان والذلة والعار، والخزي والدمار، فكان ذلك عندهم من أشنع الأخبار، وأقطع ما يطرق القلوب والأفكار، واضطربوا عية الاضطراب، وشمروا منهرمين في الانقلاب، وأرسل الله عليهم رجزاً من العذاب، فكانوا لا يلوي منهم أحد على أحد، والكل قد طر عقله وارتعد، وارتدى بأردية الموت واستعد، وقطعوا الدهن في ذلك الصيف والصمان، والكل منهم صاّد ضمآن، فمات كثير من أهل الحسا، ونالوا مؤلم الهم والأسى، وتفرقوا في ذلك أيادي سبأ، وكانوا لمن بعدهم عبرة ونبأ.

وفيها غزا حجيلان بأهل القصيم ومن حوله من العربان، وقصد أهل الجب فاستقر بذلك المكان، وأقام فيه مدة أيام وليال، وغالب أهل تلك البلاد إلى الدخول في الإسلام في إقبال، فقدم عليه في ذلك الزمن، كثير من بدران ذلك الوطن، وعاهدوا على الإسلام، ورغبوا في الدخول والاستسلام، ومن أعرض عن ذلك وصد، تصدى حجيلان لحربه وقصد، وتأهب واستعد، وأقبل عليه بالحروب والحراية، حتى يدين بالإسلام ويفتح بابه، وأخذ على من امتنع أموال، في ذلك الوقت والحال، حتى طاعوا للتوحيد بالإجماع، فلم يشد حجيلان لسير عنهم الرحال، حتى تلقى جميعهم الإسلام بأحسن استقبال.

وفيها وفد هادي بن غانم المعروف بأمه قرملة، على عبد العزيز أناله الله تعالى في الدارين ما أمّله، وكان هادي إذ ذاك في الإسلام رغباً، وللدخول في الإيمان والتوحيد طلباً، قد اشرح له صدره، وتبين فيه حاله وأمره، وبرق له من الدين بارق، ولمع منه له ضوء شارق، قبل أن يعرف الحقائق، ويسد في أبيض الطرائق، فحاء مرعماً لكل عدو مسفق، ومشرّك ضال زاهو، وهجر من كان محباً له مراهو، ومن كان على الباطل مصادق، ولم يكر ذلك الوقت والحين، في رئاسة فحطان من المعدودين، ولا من كبارهم المشهورين، ولكنه

ترأس بالسن، وصار له الإقبال من إمام المسلمين. لما صدق وتبين على المشركين، ونصح في جهاد المبطلين، فصدر له تمكس عبد المسمين. فعاهد حين قدم على الإسلام. ولقد وفى العهد والدمم، وقم بوظائفه أحسن القيم، وبدا له فيه طالع حسن. وجاهد فيه من عبد الوثن، وأخلص له في السر والعين. وتنصل عن الضلال الذي ترعرع فيه ونشأ، لشرك الذي ملأ جميع الحشا. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ سُبُلَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْغَيْبِ وَأَنبَأُوا بِهِمْ سُبُلَ مَا يَرَىٰ السَّيِّئُ مِنكُمْ لَا دُخَانَ وَلَا صَلْصَالٍ وَلَا لَهْلَهٍ وَلَا زَمْزَمٍ تَسْمَعُونَ﴾. <sup>(١)</sup>

ثم دخلت السنة الثانية بعد المائتين والألف.

وفيها تظاهر كثير من أهل الوادي بالإسلام، ورغب فيه جماعة من تلك الأقوام، وسبب ذلك الإعلان والاشتهار، وتبين تلك الدعوة والانتشار، أن ربيع وأخاه بدن ابني زيد، رئيسي المخاريم<sup>(١)</sup> في الشرف والأيد، لما وفدا مع أناس من قومهم على الشيخ وعبد العزيز، وعاهدوا على الإسلام ودخلوا في حصنه الحريز، والتزموا الوفاء بجميع الأحكام، والقيام بذلك أتم القيام، وكان وفودهم قبل ذلك العام، فنفع الله تعالى به منهم خاصاً وعام، فلما أرشده الله تعالى وكان له مرشدًا وهادي، وتبين بدعوة التوحيد على أهل ذلك الوادي، أصبح كثير من أهل الضلال، بل أغلبهم له مبغض ومعادي. ولرد قوله ومعارضته بالباطل مُمَارٍ مبدي، وأطلقوا عليه أئنة الألسنة، وحاولوا البقاء على تلك السنن الناطلة المزممة، والطرائق الخبيثة الضالة الممتنة. فعند ذلك الحال والأمر، بنى ربيع له ولأهل الدين قصرًا. وشرع في تهية بنائه حتى أتمه وبده، فلم فرغ من القصر والبناء، جهر بالدعوة مُجَدًّا معبًا. وبادر بإزالة ما في ذلك الوطن من صنم ووثن، فأشعل في شجرة نار، وكانت معدًا لأولئك الأشرار،

(١) من لمواسر - كما سبق -.

يزعمون أنها تجلب النفع وتدفع الأضرار . فلم يرْعُهُمْ إلا دخن تلك الشجرة . وقد قضى منها الإحراق وطره ، فعند ذلك تأسفوا . عندها وتحرقوا ، وتجمعوا على البطل بعدما تشتتوا وتفرقوا ، واندبوا إلى عدوة من يتبين بالدين . وبهصوا ثاني يوم على ربيع في قصره مجتمعين ، وساروا يريدونه . وهموا بأنهم ينزلونه ويردونه ، وينزلونه في قصره ويهدمونه ، ويجرعونه الحمام ويسقونه ، فحصرهم في القصر ثلاثة أيام ، فصبر على ذلك أهل لإسلام ، وقطعوا ما لهم من نخل . وبدء منهم قبيح فعل ، وقتل المسلمون منهم رجلاً ، ولم يدرك أهل الضلال منهم أملاً . فلم آيس أهل البطل إليهم من الوصول ، وعرفوا أنهم لا يركون منهم مأمول ، وأن المسلمين أكثروا فيهم الجراح . ولم يكن على أهل الدين من جناح ، وتحققوا أن ليس في مقامهم لهم صلاح ، وعزموا على المسير عنهم والرواح . أخذوا حملاً مذبوحاً ، وجعلوه في ماء أهل القصر مطروحاً ، وكان ماؤهم خرج القصر من قريب ، إلى حد ما يجيد الرامي به ويصيب ، فأنتن بعد ذلك عليهم الماء ، ووجدوا لفقدة الماء ، وقسوا منه شدة وظماً ، فبدروا إلى الحفير ، فأظهر الله ماء عين غزير ، فشربوا منه وارتووا ، وتيقنوا النصر من ربهم وارتجوا ، وحكموا به لقوة رجائهم وقضوا ، فنالوا بذلك الأجر والفوز وخووا ، ولكنهم دفعوا بالتي هي أحسن ، فأعطوا فرساً من تظاهر بالشر وأعلن ، فقبلوه منهم وانصرفوا ، ورحلوا عنهم وانكفوا .

فأرسل رَسَّع بن زيد يخبر عبد العزيز بذلك الكبد . وبعلمه ما صدر وجرى ، إذ لم يكن به درى . فأمدته بكثير مال وزاد ، وأعطاه سلاحاً وأهبة الاستعداد ، وأرسل عبد العزيز إلى مبارك بن عبد الهادي . بأن يساعد ربيع ويقوم معه على أهل الوادي ، فحين آناه الرسول والمكتوب ، بادروا إلى ذلك المطلوب . وسار حتى نزل ذلك القصر . وشد الله تعالى به لربيع الأزر . فحاول جماعة

لخطاطبة<sup>(١)</sup> بناء قصر مشرف على ربيع. وكانت لذلك طالبة. وفي إخراجها من قصره رغبة. فنهاهم ربيع وحذرهم، وخوفهم وأندرهم، فلم ينتهوا عن المراءى، وشمروا في طرق الفساد، وصبوا راية الحرب، وشمر كل منهم في البناء ثيابه، فحين شرعوا في البناء، زادهم الله وهما، وقتل المسلمون ذلك البدن، فحين قُتل منهم بناتهم، ولم يدركوا من البناء منهم، بعدما غرهم الشيطان ومدهم، ألب عليهم جميع أهل الوادي وتغلبوا، وراموا هلاك الموحدين وتطلبوا، وجمعوا لهم كثيراً من الآلات، وسعوا إلى ذلك بأسباب وصناعات تسمى الزحافات، وكانت صنديق من خشب مطبقة، لم يُدرك مَنْ به ولم يُضرب، وفيه من ذوي البأس رجال، وبأيديهم مفاتيح تلك الأقفال، وتسير محمولة على دراريح، يُسمونها العجل أهل ذلك المحل. يرومون إذا قربوا من السور هدمه بلا محذور، وكان به من الناس متحصنين بدروع البأس، وفي كل صندوق ثلاثون من الأبطال، فساروا يريدون لسور من غير إمهال، فلم قارب الجدار، لم يكن لهم إليه تيار، ولا وصول ولا اقتدار، بل وقفت الزحافات دونه بعد انكسار إحداها وانكشاف الأخرى، فتبين من فيها. فأخذ المسمومون يرمونه فقتلوا منهم تسعة، ولم يكن فيهم ولله الحمد منعة، وزحفت تلك الجموع، وتداعت إلى هدم السور تلك الربوع، فرجعوا بالحرمان والخذلان، ولم يفدهم ذلك الكيد والشأن، وأخذ أهل الإسلام منهم سلاحاً ودروع، ولم يكن أحد منهم بما شهد من الكيد مروع، ولا جبناً ولا جزوع.

ثم بعد مضي ليل وأيام، أراد الملك العلام على بعض لبروج الانقضاض، فصار لأهل البطل على أهل الإسلام ركضة وانتهاض، فنادروا في الحال بلا

إناءة ولا مهل، وساروا على أهل القصر، وراموا بهم وقوع أمر، فحمى الله ﷺ المسميين، وقتلوا ثلاثة من المشركين، ورجعوا وله الحمد مجروحين مقروحين، ثم بعدما انقضى زمان وأمد، تجمع كل من أهل الباطل ونهد، وحزب كل منهم وقصد، على أولئك الأقوام، وذلك حين وقع من السور بعض الابهدام، فوقع عند السور القتال والازدحام، وحمي الحرب وحن الحمام، وحقن الله دماء ذوي الإسلام، وقتل من ذوي الشرك والضلال، في ذلك الوقت والحال، أربعة من شجعان الرجال، ثم طلبوا من المسلمين النزول والخروج، فكان للمسلمين إلى ذلك ميل وعروج، فأخذوا منهم الأمان، بشرط ما أخذوا منهم من السلاح في ذلك الزمن، والخروج عن ذلك المكان، ونزل المسلمون منه، وخرجوا بعد ذلك عنه، وقصدوا مبارك بن هادي، فكان يكرامهم مبادى.

ثم بعد ذلك بأيام، قدموا على عبد العزيز الإمام، فأكرمهم حزاه الله ﷺ خيرًا غاية الإكرام، وأمدهم جميعًا بكثير من الطعام، ورفدهم منه بجزيل من الحطام، فرجعوا من عنده بأعظم المقام، وكان لهم في الدين أوفر قيام، فبنوا لهم قصر، وشاع لهم بذلك ذكر، وكان مقابلًا قرية تمر<sup>(١)</sup>، فنفذ الله ﷺ بسببه في الوادي أمره، فأقدموا في ذلك القصر مدة شهور، وللدين منهم انتشار وظهور، وغارات أبدًا لا تفارق ولا تبارح، بل تفاجئ وتغادي وتراوح، حمع تلك القرى والقصور، فسم يكن لأهل ذاك القصر عن جهاد من حولهم تفصير ولا قصور.

ثم بعد ذلك تفضت أيام، وطال لهم مه مقام، رغب جمعة كثيرة وفدام، في

(١) بلدة تقع في مطفه ودي الدواسر في نجد، تعد عن النسس حوالي ٢٨ كم غربًا.



مهج الدين وتجريده، والقيم بنصره وتأيينه، وهم الحنابحة والعمور والولامين<sup>(١)</sup>، فأرسوا إلى ربيع ومبارك يريدون الدحول في الديار، ويطلبون منهم أنهم يأتون إليهم، ويقدمون عليهم، فأجابوهم إلى ما أوردوا وطبوا، فأينوا فضيلة الإسلام وحبوا لما أحبوه ورغبوا، وحولوا كغيرهم في إطفائه سابقاً وتعبوا، فلم يحصلوا ما أمّلوه بعد أن سئموا ونصبوا، فعاهدهم على الحق والهدى، والتبيس في طمس منار الضلال والردى، وطلبوا من ربيع ومبارك النزول معهم حتى يجاهدوا معهم العدا، ويجلدوا من تعدى عن الحدود واعتدى، وراح في طرق الشرك واغتدى، فكان منهما إلى الدعوة ميل وإزماع، وإلى الإجابة لما أوردوا حث وإسراع، فخرج ربيع من القصر وسر، وكان له في الدراسة عند الحنابجة مقدم وقرار، فأعلن عندهم لله تعالى بدعوة التوحيد، وكان للدين فيهم تصدير وتوريد، ولأهل الضلال فيهم تنغيص وتنكيد، ورعب ليس وراءه مزيد، لا يضرب لهم في الوادي سكن، ولا تطعم عيونهم لذة الموشن<sup>(٢)</sup>، ويدعون على من جرّ ذلك عليهم وسنّ، وأرهف المواضي على إظهاره وسنّ، وأحمى عليهم الغارة وسنّ، فلما طال عليهم الأمد والزمان، وقاسوا منه مصائب وامتحان، ولم يجدوا لهم نفعاً مما كانوا يعبدون، ويستغيثون بهم في الشدة ويدعون، ويخافونهم أشد الخوف ويرهبون، ويؤثرونهم في المحبة على الحق ويرغبون، من يكشف عنهم هذا الخطب، ويفرج لهم هذا الكرب، كلا، لقد خاؤا وخسروا، وضل سعيهم وعثروا، وأشركوا بالله تعالى وكفروا، فلم عابوا ولم يُنصروا. فعند ذلك اجتمع رؤساء ذلك الشار، ومن تظاهر بالفسق والعصيان، ونفكروا في الحال والمصير.

(١) من هروع قبيلة السواسر.

(٢) اسعاس

وشرعوا في إبرام حبل لتسير، وهيهات، قد نفذ الفضء فيهم والتقدير، ولكنه في إبانة وحيه يصر، فلم يلقوا لهم إلى المراد سبباً ولا ملاذاً، ولا مرتجى ولا مدجاً ولا معداً، إلا إلى الوصول إلى نجران، كي يستجيشوا من هناك من العربان، فاجتمع رأيهم على ذلك المنول، وظنوا أنهم يُدركون من المسلمين به منال، ويطفؤون نور الله الذي رب في الضياء والاشتعال، وأزال دياجر الإشراك والإضلال، فخرج رؤساؤهم الفجار، وقوادهم لأشرار، وهما جماهر كبير الرجبان، وحويل كبير الوداعين ذوي العصين، فعمدوا إلى رئيس نجران، وأخبروه بجميع ما كان، وبثوا ما جرى عليهم من أهل الإيمن، وشكوا عنده بث الهموم والأحزان، وندبوه على إغاثتهم سريعاً من غير توان، وأخبروه أنه إن لم يبدر إلى حسم هذه المدة، ويقصع السير والسلوك في هذه الجادة، وتصير أسنة عزمه مشحوزة حادة، وأهل الدين من فرط حده وحدته نادة، فليس والله دون بلدانك، والهجوم عليك في أوطانك، لنا فئة مانعة رادة، ولا جنود لهم مصادرة صادة، فاختر لنفسك قبل اتساع الخرق على الراقع، وراموا من عداوتهم وسخف عقولهم مدافعة النازل الواقع، والمقدّر في سابق الأزل فليس له من الله دافع، فتعالى وتقدس من لا تحيط بعَيبه النّهى، وتقف إذعائاً لهيبته المخلصون فيما أمر ونهى.

فلم سمع الرئيس مقالهم الفظيع، وتخويفهم الشنيع، سرى إليه الرعب والوجل، ومزح شغاف قلبه ودخل، وغره الشيطان والنفس والأمل، وما رأى من الخول<sup>(١)</sup>، ومن سبر معه حيث سر من الدول، فعز ربنا وجل، حيث لم تأخذ الضالم على عجل، ولا يدعه أيضاً همل، بل ينتقم منه على مهل، فيما قدر

(١) أي العطء.

له من الأجل، فنهض إلى تلك الإحابة، واسدعى للسير أصحابه، وأرمع على ذلك طلابه، فكان ولله الحمد اندر غايته ومأبه، فسار مُحْضًا يريد سرعة الوصول حتى يفوز بامأمول، فنزل على الرجبان والوداعين، الذين كانوا لمجيئه من السعير، فاجتمع عنده خلق لا تعد ولا تحصى، ولا تحسب ولا تستقصى، فحين رأى تلك الأمم، سلك معهم ذلك الأمم، وارتحل بمن معه ممن نهج مذهبه، فسار حتى نزل على الحنابجة، فتراموا معه من بعيد، واقتتلوا قتلاً شديداً، فلم ينل منهم ما يريد، وأقام على هذه الحالة يسدد عليهم سهامه ونصاله، ويمد من أسباب المكر، ما ينتجه الرأي والفكر، وكل يوم تطع شمسهِ وتغيب، يجري ويصدر من القتل فيه بينهم أوفر نصيب، ولكن القريب المجيب، ثبت أقدام أهل التوحيد، وكان لهم معيذ ورقيب، وربط على قلوبهم فلم يمزجها إرحاف ولا وجيب، بل كن صدر كل واحد منهم منشراحاً رحيب، فلما بان له منهم الإفلاس، وكان من المراد عى بأس، رأى أن ليس عليه في الارتحال بأس، فارتحل ولله الحمد رغماً على ذوي الإبلas، وأهل الضلال من الناس.

فلما ذهب رئيس نجران منصرفاً، وولّى ذليلاً منحرفاً، ورجع إلى بلاده متأسفاً، رجف قلوب قرى الدواسر، فكان بعض منهم إلى طلب الإسلام مبادراً، فطلب الرجبان من ربيع الدخول في الإسلام والإيمان، فأجابهم إلى ما طلبوا وأرادوا، وعاهدوا على ذلك فزادوا واستزادوا، وأقبل جميع الوداعين، وكانوا في لإسلام راغبين، وتتبع على ذلك كافة القرى، فأغاهم الله تعالى بعدما كانوا فقراً، ولكن نفوسهم لم تكن بذلك تطيب، ولم يكن لهم إداك من النور حظ ولا نصيب، ولكنهم يقولون: ما برحت حرّاً يُصاب ما ولا نصيب، فانددوا مستسلمين، ودّعوا للدين مكرهين، فلما صدر ذلك عنهم، وقد ربيع

وجماعة منهم. على الشيخ وعبد العزيز وأخبره بما صدر، فحمد الله تعالى وشكر، وقابلهم بالحشمة والإكرام، وأحرر عليهم الصلة والإنعام، وطلبوا منه معلماً للتوحيد والأحكام، فأرسل معهم عبد الله بن فضل، فكان لوطيفة التعليم فاعل، وبقوا على ذلك نحو ستة شهور، ثم كان لهم عن الدين إعراض ونفور، وللشرك ورْدٌ وصدور، وانشرت لهم به صدور، واجتمع على ذلك الرجبين والوداعين، وخذعوا عرى التوحيد والدين، ودخلوا فيما كان لهم معتاد، وسنن الآباء والأجداد، وشربوا كؤوس الغي والفساد، وأقاموا على الضلال في استبداد.

وجاء الخبر عبد العزيز بذلك. فجهز لهم سليمان بن عفيصن مع جيش يجاهدوهم هنالك، ويوردهم من الهلاك مسالك، ويقحمهم منه أعظم المهالك، فسار بمن معه ممشلاً، وقدم عليهم عاجلاً، فصب عليهم من العذاب عارض سكوب، وشب فيهم لظى الخطوب، ودام فيهم القتل والقتال، حتى أنكا أهل الضلال، ونكد عليهم العيش والبال، وضاق عليهم الحال، وعانوا عقوبة الأفعال، عاجلاً من غير إمهال، فبعد ذلك رفضوا وهانوا، ورغبوا في الإسلام ودانوا، فطلبوا ذلك من سليمان، فأجابهم من غير توان، وشرط عليهم القدوم على عبد العزيز معه في الحال، والرض بما يريد من النكل، فقدموا معه إلى الدرعية، راضين بما يصدر عليهم من قضية، فعاهدوا عبد العزيز على الإسلام، وشرط عليهم في عقد لأحكام ألفي ريال، وألف انفق ن تسلم في الحال، فلتزموا ذلك وتحملوه، ووفوا به وسلموه.

وفيها غرا سعود بالمسمين، أدام الله تعالى له النصر والتمكين، فحث سيره ومسراه، وكان وصوله عنبرة هو الذي اقتضه ورأه. وذئ أنما إليه صحيح الخبر، أن بعض من أهل عنيزة بحث عن أسباب لارتداد وحصر، وتحقق ذلك

عنه واشتهر، فعند ذلك أجمع على السير إليهم وظهر. فنزل عليهم بعد أيام وليال، ومكث عندهم يستري الحال، ويتحقق ذلك على يقين، لنلا يقدم على ما يريد به بتخمين، فيخالف قول رب العالمين: ﴿يَتَأْتِيهَا لَئِيْنٌ مِّنْ سَمَوَاتٍ مَّكَرٌ مَّرْكُومٌ﴾. فلما لاح له شمس الثيق والإيقان، من عدول أهل الإسلام والإيمان، من سكن ذلك المكان، وتحقق ذلك الأمر واستبان، وكان آل رشيد من ذلك النفر والملا، أمر عليهم بالجلا، وكل من لهم تابع، وفي أسباب الشر طامع، وأزال منه كل من يحذره ويخشاه. وأمر عليهم علي بن يحيى لاختياره ورضاه، ثم انصرف راجعاً.

وفيها غزا سعود بالمسلمين يريد بني خالد، فأقدم في الدهن يريد أن يتحسس، ويتفحص الأخبار عنهم ويتجسس، فاستقر الخبر أنهم قد أضموا وثبت عنده، فبدأ له عنهم ورفض قصده، وانصرف.

وفيها غزا سليمان بن عفيصان وجمع من الموحدين. وكانوا لأهل قطر في تلك الغزوة مريدين، فأسرع في سيره لأجل قضاء الوطر، فلم يثبت أن صبح الغارة آل أبي رميح من أهل قطر، فدهمهم في تلك الأرض على اغترار، فلم يتقدم قبله إنذار، وحصل منهم للحرب بدار، وجولان دون المال والأعمار، حتى أراد الله للمسلمين عليهم الانتصار، فانهزموا وولّوا الأدبار، وقتل منهم نحو الخمسين، وأخذ جميع ما عندهم من الغنم ولسلاح والأمتعة والركاب، ورجع نبيل المطلوب وآب.

وفي تلك الغزوة صبح سلمان بن عفيصان بلد الجشة<sup>(١)</sup> من الحساء، فلم

(١) تبعد عن مدسة لهوف حوالي ٢١ كم

يشعروا إلا بعد الحرب والهم والأسى، وقد ملك عليهم السور، وحاط بهم المكروه والمحصور، فانتدبوا للقتال، وتداووا للمجال ولهاء الأبطال. وبذلوا الجِد في الجِلاد، مخافة الاستيلاء على البلاد، واستيصال العباد. وطال الحرب بينهم ذلك اليوم. وقتلت بعض رجال من أولئك القوم.

وفيها أمر شيخ الزمان، وعلامة الوقت والزمان، وحائز قصب السبق في الميدان، ذو الحجج التي بهرت حين ظهرت، والقواطع التي صدعت حين صدحت، والبراهين التي قمعت إذ لمعت، وسطت على الأعداء لما سطعت، المزيل عن التوحيد برفعه، المبين لذوي الألباب حسنه وموقعه، الجالي دجى الضلال، والقالى للغواة الضلال، كاشف غيب البعد والإشراك، القائم في ذلك حسب الطاقة والإشراك، وليس بمداهن فيه ولا تراك، ناهج منهج البيان والصواب، محمد بن عبد الوهاب المسمين أن يبايعوا سعودًا على الإمارة بعد أبيه، أطال الله تعالى عمره، وصرف عنه السوء وأجاره، وكثر جنده وأنصاره، ومدّ في أجنه طول الأمد، وأنجح له ما أراده وقصد، فنهض إليه كافة الناس، وتناوبت البيعة أنواع وأجناس، وأعطوه الصفقة المحققة من غير التباس، فاتضح له نهجه واستبان، حتى بايع على ذلك كافة أهل التوحيد والإيمان، وتعاهدوا على التزام الطاعة بالإيمان، فتثبت له عند ذلك الإمارة واستمرت، وحقق له بعد والده واستقرت، وكانت بيعة معلومة مشهورة، متقنة بأحكام لشرع معدودة، مؤسسة دعائمها على الفنون المطلوب الشرعي. والمنهج المرغوب المرعي. لا بنازعه أعاده الله من ذلك إلا شرير ظالم. ولا يقوم عليه إذ ذاك فيه قائم، إلا وهو منعد غشيم. وصل الله تعالى بالائتلاف حبلمهم، وجمع على المحبة والاتفاق شملهم، وأجارهم عن ركوب خطر الاختلاف، وانتهج منهج القطيعة والأجندف، وحماهم عن الوقوع فيما دمر أولئك

الحموع، وأخلا منهم المنزل والربوع، وطهر عن الشحاء قلوبهم، وأبالهم  
سؤلهم ومطلوبهم. وذب عنهم ما دَبَّ في الأمم قبلهم. من الحسد. الذي أهك  
الديار وأهلها فلم يبق منهم على أحد، وذلك بعدما عرف أبوه حله ومسيره.  
وتحقق سيرته واخبره، فترجح عنده بيقين العلم والفهم، على التحقيق والعزم،  
ما شرف به من الدهاء والحزم، وما خول من السياسة والعزم، وما تلاً في  
غرفته من طلع السعادة، وما لاح في جبينه من بارق السيادة، وما عناه في رفع  
منار الهدى من مصادمة أهل الردى، حتى رفع الله تعالى به للمة الوسطى  
عموداً، وعاد معينها بعدم كان آجنا موروداً، وأورق به غصن الحق بعد ذبوله،  
وأسفر قمر التوحيد بعد أفوله. فرآه أهلاً للسياسة، وكفوا لمنصب الرئاسة.  
فحمل أعباءها كاهله، فكانت إليه آيلة أهلة.

وفيها غزا سعود بالمسلمين، فوافق البيعة أسلاف من عنزة مجتمعين، وكونوا  
إذ ذاك بأرض قني<sup>(١)</sup> من نجد مقيمين، ولم يكونوا أولئك نتيجة سيره وقصده،  
ولكن عرضوا له في طريقه وجده، وغنمه الله تعالى لإسعاده وسعده. فلم رأتهم  
من المسلمين أولو التقدم والسبق. قالوا هؤلاء آتوك وفق، وعرفوهم على اليقين  
والتحقيق، وكان هذا الطريق أيمن طريق، فقد نالوا منه مرادهم من غير نصب  
ولا تعب ولا تعويق. فشن عليهم الغارة المسلمون، وأتو من حيث لا يظنون،  
فتبدر من عندهم من فارس وشجاع. وانتدب إلى الأفرع، وتسربل للطعان  
والدفع. وتلاحق من عندهم من العدد. ولم يبق منهم أحد. ومن نهم أنفسهم  
الغارة، أنهم يقيمون أهل العدة، فطاعنوا زمناً يسير. ورأوا أن ذلك لا يجدي  
ولا يضير، وليس دون الفرار من مصير، ولقد صدقوا في العزم والأفعال، ولكن

(١) في عاليه نجد

عادة الله تعالى في أهل الضلال، سرعه الخذلان والإدلال، فانهزموا على الأعقاب، وليس لهم من دون الذلة ولخزي من مأب، وقُتل منهم في ذلك المجال عدة من الرجا، وغنم المسلمون منهم غيمة كثيرة من أنواع المال. وفيها غزا سليمان بن عفصان مع جمع من قومه أهل الإيمان، وقد أمره عبد العزيز أن يغزو من الحسا العقير<sup>(١)</sup>، فحث لذلك القصد والمرام والسير، فأسرع في ذلك المنهج، وطوى تلك الفجاج، حتى وصل إلى ماء حرص، فإذا عويس<sup>(٢)</sup> بن غفيان<sup>(٣)</sup> مع غزو أهل اليمامة خارجاً من الحسا قد عرض، وكانوا نحو الخمسين، وقد خرجوا من الحسا مغترين، ولبلدان المسلمين مريدين، فالتقى معهم أهل التوحيد، ونزلوهم منزلة الأبطال الصنديد، فبذلوا دون أعمارهم الجهد الجهيد، وأبدوا من الإقدام ما ليس وراءه مزيد، فأحانهم<sup>(٤)</sup> القوي المتين، فقتلهم لمسلمون أجمعين، ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾، فأخذوا ما معهم من ركاب وسلاح، ثم سار لقصده فرحاً مرتاح، فجد السير حتى صبح العقير، فأخذ ما في الخن من الأموال، وصعد لقلعة من فيه من الرجال، فأقدموا فيها متحصنين، وأصبح بيوت الجريد به محرقين، أضرم في جميعها النيران، سليمان بن عفيصان.

ثم دخلت السنة الثالثة بعد المائتين والألف.

وفيها غزا سعود، بلغه الله تعالى المصمود، ومعه جموع كثيرة هائلة وحنود لا يحصى نه عدد ولا يحصرها أحد، وتوجه يريد بني خالد، وكان على لقتئهم

(١) لميناء المعروف. يبعد عن الأحساء حوالي ١٢٠ كم.

(٢) تصغير «عيسى»

(٣) فار ابن بشر (١ / ٨٣): «العد لدرس الشعر المسهور»

(٤) أي: أصابهم بالحين، وهو هلاك.



جاهد، فحثه إلى مرده السير والسرى، وطرد عن عبونه في ذلك الكرى، حتى أراد الله تعالى أن يلتقي الجمعار، في أرض بني خالد بمكان. وكانت جموع بني خالد قلبة العدد، وأكثرهم متفرقون في أرض ذلك البلد، ووافى منهم من العربن والأسلاف، قوم دويحس وعبد المحسن من عبر حلاف، فلما صلع عبيهم سعود وجنوده، كن كل منهم الهروب مقصوده. ولم يعزموا على إقامة وبقاء. فضلاً عن مقاتلة ولقاء، ولكنهم يرجون تلك الساعة، يدبرون من الرأي فسيحه واتساعه، فأسرعت إليهم من تلك الجنود فرسان، وناوشوهم بعض الضعان. ولم يطل بينهم ميدان، ولم يتفق مجاورة طويلة بين الفرسان. وكان ذلك لموجب وشأن.

وذلك أن سعوداً، حرسه الله تعالى، أسرَّ له في ذلك اليوم أن بعض من عنده من القوم يريد الخيانة لبني خالد، وأنه على ذلك مواعد، وتحقق ذلك الأخبار، فلم يكن له إلى اللقاء اختيار، فسأل الله تعالى ودعاه واستخاره، فأرشده لخبرته وإرشاده. وهياه إلى إرادته وإسعاده، فانصرف راجعاً إلى بلاده، ومر ببدان أهل القرى فأخذ ما عندهم لبني خالد من الزاد، وقتل عيوناً قبل الملاقاة لعبد المحسن.

ولما رجع سعود مع ما أتى معه من تلك الجنود، ولم يلتق مع تلك الشرذمة القليلة، كان ذلك إلى طغيانهم وعتوهم وسيلة، وعلى فنائهم وإذلالهم حيلة. وأي حيلة، ولكنها لم يحكم الرأي لها عقداً، ولم ينظم الفكر لها عقداً، ولا أحسن إبرامها التدبير، بل القضاء والتقدير.

وفيها غزا سعود، حرسه الله تعالى، بالمسلمين الحاضرة منهم والبدية، بعدما بعث إليهم بالجهاز مناديه، فأسرع كلُّ منهم إليه مبدية، وسار حتى نزل حقيسة الدجاني<sup>(١)</sup>، ينتظر من قومه العصي والداني، فلما اجتمعت الجيوش

عنده، أرسل إلى والده يبين له قصده، ويشير عليه بما يشاء ويريد، لأن أبه مبارك الرأي رشيد، فأشار عليه إلى ثويني بالوصول، فعسى أن يحصل منه المأمول، فسار إلى ذلك المراد، يريد أولئك الشداد، وجاءته في أثناء طريقه عيونه، حتى تخبره بتوقيفه، فأعلموه أن جميع الأعداء، وأهل الزيغ والردى، كنهم على حمض<sup>(١)</sup> مجتمعون، فعجل إليهم لثلاثا يكونوا بمجيئه يعلمون، فلم يجتهر أحد قبل الغارة، فكانت لهم هي النذارة، فلما أقبلت عليهم فرسان الإسلام، كان لبني منتفق إليهم بأس وإقدام، وسرعة اختلاط والتحام، فانكسرت فرسان المسلمين، فأمر عبيهم سعود أن ينيخوا أجمعين، وأخبر أهل الدين والإسلام، أن ليس هن إلا الصبر على ما قدر العلام، وتجريد مواضي العزم والهمم، فعاقبة الفشل والفرار تدم، ويحصل به لفاعمه الندم، فوطنوا أنفسهم على الزحام، وعرفوا أنهم على أحد الحُسينين: الغنيمة أو دار السلام، فاصطفوا ميمنة وقلبا وميسرة، وأقبلت تلك الجموع تصادم كل منهم، فلم يلفوا على المسلمين مقدرة، وقد بذلوا دون الهزيمة المعذرة، فلما لم يجدوا بُدًا إلى العز والسلامة، وعرفوا أنهم مهما أقاموا ذاق كل منهم حِمَامَه، فامتطوا الأقدام في الفرار والانهمام، ولم يصبروا على الزحام، وكلٌّ من أولئك الشجعان رضي بالذل والهوان، وأرخی له الأوسان<sup>(٢)</sup>، وطاع به قهراً من غير إذعان، فغنم أهل الدين والإسلام، ما معهم من جميع لحطام، على كثرة أجناسه وأصنافه، وفرط تباينه واختلافه، من بعض الخيل والأثاث والأمتعة والخيام، والصيوان<sup>(٣)</sup> المشهور الأعلام.

(١) شمال قرية العليا، بالقرب من حدود الكويت

(٢) اعموه

(٣) يُطلق على نجيمة الواسعة

ولما حقق الله تعالى لسعود الإسعد، وأبانه من أعدائه المراد، وأراد الانصراف إلى البلد، طر كفة غزاة المسلمين أنهم يصيرون نقره واردة، بل جرموا بذلك وتحققوه على اليقين. لكن أراد أمر فأراد الله صده؛ ليحذل الباطل وجنده، ويظهر شرف من أراد عزه ومجده، فلما أناخ سعود للراحة في القائلة، كانت نفسه عن ورود ذلك الماء مصروفة مائلة، وبدا له عن ذلك الطريق، لما أراد مولاه له التوفيق، وأعرض عن ذلك المراد، فلم يكن له إليه إمام. لما أراد الله له العز والإكرام، فلم استقلت به راحلته وثار، وصرف وجهه إلى غير قرية بهت الغزاة وحارت. ووجلّت قلوبهم من ذلك وطارت، فبدر إليه صالح أبو العلا، وأخبره بتملل أولئك الملا، وكان أبو العلا هو الدليل. فأخذ يلاطف سعود ويستعطفه ويستميل، حتى أعلمه أنه يريد الشرب من الوفرا<sup>(١)</sup>، ليقتضي الله تعالى له أمر. فلما علم الدليل ذلك الحال، واستولى منه صحيح المقال، أخذ يشدد ذلك عليه. ويعسر المسير إليه. وقال له وهو في ذلك صادق: تصل إلى بلادك في أحسن الطرائق، قبل أن تصل إلى ماء الوفرا، فخر لك ولنفسك الطريق الأخرى. فلم يجد فيه ذلك الكلام، فسر حتى ورد الماء تلك الأيام، فشرب من الوفرا. ونوى بعدها الحفر<sup>(٢)</sup>، وجد في سيره يريد الورد والصدر. حتى إذا توسط وغارب البید، عن لهم أن على ماء الحفر طلباً رصيد. وحزباً يريدهم قعيد، فعلم الله حالهم؛ فلفظ بهم وأنلهم، وسقاهم من فيض السحاب شؤبوب، وأمطرهم من الرحمة عارص سكوب، فاستقوا من ذلك العذب الزلال. فطاب لهم الحال. لكن لم يعد خطنهم ذلك الوابل. بل

(١) مدينة صغيرة تقع في أقصى حوض الكويت قرب الحدود السعودية. تدعى لمحافظة الاحمدية. وكانت جزءاً من المنطقة المحاذية

(٢) حفر لدص

كان لإغاثتهم نازل. ولربّتهم هامل. فرل عليه يرد جميع الغنيمه. فسق الله تعالى من أيديه الكريمة، وأهدى له من مواهبه الجسيمة. ركبا من آل سحبان<sup>(١)</sup>، كيرهم ابن مغجل. فقتلوا أجمعين. وكسوا قريبا من التسعين. ثم انصرف إلى بلاده مؤيدا منصورا. مأنوس القلب مسرورا، ورايات الإقبال عليه خافقة، والألسنة بتوفيق الله له ناطقة.

وفيها غزا سعود، أناله الله تعالى مراتب السعود، فسار بالمسلمين يريد الأحس، فحث السير لذلك المرام، والهجوم على أولئك الأنام، حتى أشرف على البلاد، وظهر له منها السواد والقتام، فأناخ على المبرز<sup>(٢)</sup> حين غطى الضياء الظلام، واستحكم الكرى والمنام، في مقتل أولئك الأنام، فلم يتبين من النهار ضوءه وبياضه، ويبدو من الإضلام نقشعه وانتهاضه، حتى بدت خيله وحُماته. وشهرت أصوات البندق رُماته، وقد كنوا قبل ذلك الوقت والأوان محيطين بفريق لعتبان. فحينما نهضوا يريدون الأصوات، أجاد كثيرا منهم أولئك الرمة، فلم يكن لهم سبيل إلى الخروج. بل كانوا إلى السطوح في عروج. فدافعوا عن الدخول والهجوم. فلم يكن للمسلمين عليهم إقدام بعد القدوم. ثم بعد ذلك اجتمع أهل المبرز فخرجوا إلى الفضاء، وجالوا مع المسلمين ساعة. ثم رأى سعود الانصراف عنهم وارتضى. وأحكمه فكره واقتضى، فانصرف عنهم ومر الهفوف، ولم يرد عندهم وقوف.

ثم مضى من ساعته يريد الوصول إلى قرية الفضول، فأناخ عليهم وسط النهار، وشمر للحرب معهم الإرار. وأحاطت أجناد الموحدين بأولئك القوم

(١) من بني حنظل.

(٢) نعد حوئي أكم عن مذهبه بهوف للاحساء.

المبطلين، وأحدثت الفرسان والرمة والأبطال، بقرية أهل الريغ والشرك والضلال، وغظّاهم من فوقهم سحاب الهلاك، وحان لهم الاستئصال والإهلاك، وأمطرهم من غيم العذاب عارص، فكان لنفوسهم الخبيثة قارص، ورما للمسلمين دفعاً، وظنوا أن البلد تدل بهم امتداعاً ومنعاً، فجذّوا واجتهدوا كافة، ودعوا آلهتهم كما هو عادتهم عند المخافة، ورفعوا أكف الدعاء والسؤال، وأخلصوا انتصرع والابتهاال، إلى من لم يفرج عن نفسه أدنى الكروب، فضلاً عن كونه يدفع النواثب والخطوب.

فلما فرغ سعود من صلاة المساء، هبّ له نسيم الصّب، فزال عنه الأسى، ودعا ربه بحضور قلب وبإل، أن يحسن له العاقبة والحال، ويمكنه من هؤلاء الضّلال، فاستجاب له ربه دعوته، وعجز له طُلبته، وأنجح له سؤله، وحقق له مأموله، فهدى إليهم مسرعاً ونهض، وحفه النصر وأقبل عليه الإقبال وعرض، فشدوا على القرية الحملة، فانتدبوا إلى الفرار جملة، فلم يلفوا لهم هداية ولا توفيق، لكون المسلمين قد ملكوا عليهم كل فج وطريق، فعند ذلك كلهم راموا الاختفاء في البيوت والدور، فنزل بهم قضاء الله المحتم المقدور، وحل بهم الأمر المشهور، فدخل عليهم في تلك المنزل، فوردوا من الجِماء أمر المناهل، وشربوا منه كأساً، وأنزل الله تعالى عليهم بأساً، فقتلوا قتل النعم، وسُجِبوا سحب البهم، وكان أكثر الرجال وجدّهم المسلمون، وهم في بيت من البيوت مجتمعون، وكانوا ثلاثمائة نفس، فقتلوا جميعاً من غير لرس، وقتل غيرهم ذلك اليوم، ممن احتفى من أولئك القوم، وأخذ المسلمون جميع ما في القرية مما ينقل من المال، وأنواع لسلّاح والحيوان والأمتعة والأواني وبعض الطعام شيء له مال، وانصرف سعود إلى بلاده راجعاً، وقد كن عسكر الحسا ذلك اليوم مقيم، فلم يرزوا أراد منهم المسر إلى الفضول مع جميع أهل

المبرز، فأبى كل منهم وما أحرز، بل أبدى الذل والرعب وأبرز، وندى على نفسه بالجين والدلة، ورضي لها بالمذلة.

وفيها توفي الشيخ عيسى بن قاسم، وكان بنشر الدين مُجِدًّا فائمه، ولتعليم الناس ملازم، رحمه الله تعالى.

ثم دخلت السنة الرابعة بعد المائتين والألف.

وفيها وقعة غريميل<sup>(١)</sup>، وذلك أن سعودًا، حرسه الله تعالى، وأسغ عليه نواله ووالى، جمع المسلمين ومن لهم من البوادي والعربن، وسار معه بعض بني خالد الجبوية، مثل زيد بن عريعر، وقصد بني خالد وجد في ذلك الشأن، وجاءت إلى بني خالد بذلك الأخبار، وأسرعت قبته إليهم الأنذار، فأرسل عبد المحسن إلى أهل الحسا يريد منهم الدول، ويحثهم على ذلك فلم يُطْعَ قوله ولم يُمْتَثَل، وحاولهم أخوه ثواب وخوفهم. فلم يجد فيهم، فانصرف منهم على عجل، بخيبة القصد والأمل، فنزل بنو خالد بأرض غريميل المعروف، وكانوا حينئذ جماعة كثيرة وصفوف، يزدون على آحاد الألوف، وأقبل سعود بأهل التوحيد، فنزل تجاههم بتؤدة وتأيد، فتقابلت تلك الصفوف، وتقاتلت تلك الألوف، وبرحوا أول النهار في تجلد واصطبار، وجولان بينهم وطراد، ومنوشة بعض وجلاد، حتى بان وقت العصر وحان، وأدّيت فريضتها على سكية واطمئنان. ونشق أهل الدبر سيم الضبا، وسق كل منهم إلى الحلال وصب، وباعوا على الله ثمين الأعمار، آخر ذلك النهار، فصبر عند ذلك بنو خالد. ورام كل منهم أن يقتل دون ماله ويساعد، فلم يكن المولى لهم مساعد، فزحزحهم المسمون عن مصافهم العائية، وأمست رماتهم عن مواقفهم جالية.

(١) ابن بشر (١ / ٨٥) «حسن صغير بحتة ماء قرب الأحساء».

وأَمسى المسلمون لأعقابهم بالية، وانهزم جميع تلك الأمم، ولكن أفتح فرار  
ومُنْهَزَم، فأنحدرت الرمة من رفيع تلك الآكام، مشمرة في الفرار والانهزام،  
وملك المسلمون محلهم، وسنت الله شملهم. ولم يبرحوا بعد ذلك الزول  
والانحدار، في تشمير الساعد والإزار، للانهزام والفرار، وكانوا آخر بهارهم  
وبقية ليلهم إلى أسحارهم في هزيمة وانكسار، وضيع أموال ودمار، لا يلوي  
أحد على ماله وأهله، ولا يروم سوى نجاة عمره لقيح فعله، وحق للمسممين  
ولله الحمد عادة الله ووعد، وعمهم فضله وإحسانه ورفده، وتفضل عليهم  
بتلك الغنيمة لعظيمة، فحَوَّوا تلك الأموال الجسيمة.

ولكن سعود نهج معهم منهج الكرم المعدود، وأحسن فيهم السرة، ولم  
يؤاخذهم بما سلف منهم من لأمر الكبيرة، وسابق تلك الجريرة، وما راموا  
من الأمور الضربرة، فما جار فيهم ولا قطع، بن أعطى ومنع، ووصل ورفد،  
ولم يُعاقب منهم أحد، وأسدى إليهم المعروف وتطوّل، وأبدى إحسانه عليهم  
وتفضل.

واختلف حال أولئك العربان، بعدما حق عليهم النذل والهوان، فبعض صار  
وجهه من سعة الهزيمة الفرار إلى الأحس، فازداد هواناً ونعساً، لم تزل فرسان  
الموحدين في أثرهم مظليين، ولأكثرهم مدركين، فلم ينج بم عنده إلا القليل،  
مثل ابن جرذٍ وغيره، فما كان عندهم من سبيل. وبعض صار وجهه إلى سيف  
قطر، وذلك عند المحس وعيل عريعر الذين معه. وبعض من حماعتهم. ففكر  
قصد الزبارة وصدر، واختارهم لنفسه بعد التأمل ولظر والفكر. وأكثر أهل  
البوادي والعربان، اختاروا الاستفرار في الحسا والاسيطان، فشمر في طلب  
الأمان من سعود والدخول في حورة أهل الإيمن، فآعظهم ذلك وأنلهم،  
فأدركوا منالهم.

ولما انقضى شأن غريمين كما سَطَّر وقيل، أراد سعود، حرسه الله تعالى، من زيد بن عريعر أن يسير معه إلى الحبس، حتى يقيم فيها علم التوحيد والدين. ويُزيل ما فيها من بدع المظلمين، ويحقق على أهلها العهود، في الدخول في الطريق المحمود، حتى يستمروا على سنة خير المرسلين، ويقلعوا عما كانوا عليه من سنة آبائهم الذين كانوا لهم مقلدين، وبآثارهم وآصدهم مقتدين، فأبى عن ذلك وتعلل. وتضجّر وتململ، فأراد سعود إليهم الحصول، حتى يتم المقصود والسؤل، فارتحل من ذلك المكان يريد ذلك الشأن، وفي أثناء ذلك الطريق عنّ في قلبه أمر وخطر، صرفه عما إليه بدر. فشمر للظهور إلى نجد فظهر.

وفيها غزا ربيع المسمى قاعد بجماعة من قومه، فشمر لعزمه الساعد، وسار بمن معه وساعده وتبعه، يريد بعض البدوان، ممن صدّ وأعرض عن الإيمان، فلم أشرف على بني هاجر<sup>(١)</sup>، وكاد أن يكون عليهم غثر، ولجمعهم مشتتًا كاسر. سؤل الشيطان لأكثر من معه من البدوان وغزاة العرب، أن يحلحوا حلة الدين ويفتكوا بالمسلمين، فلم أغار على عرب بني هاجر. انخزل عنه أكثر من معه سائر، وصار غالب أهل البادية، على من بقي معه عدية، ولم يثبت مع جيش المسمين سوى ابن قرملة وأحمد بن نجان، فكان لهما ثبت على لإيمان، فعند ذلك اشتد الكرب والنالا. على المسمين من ذلك الملا. ووقع بينهم القتل، وحمي بينهم المحار، واسمر الطعن والضرب. واشتد الخطب والكرب، من آخر لنها إلى هزيع من الليل، والأبطال تقحم في ذلك المعرك الحيل، فقتل من المسلمين نحو العشرين، وأحدوا منهم مأسورين.

(١) من فئيل فحطّر.



وكانت تلك الواقعة تسمى (الليالية)، عند أولئك السرية، فبعد صدور تلك القضية، طمعت في الردة النفوس لشربة، وأهل الأفعال الردية، فرند جمهر وحويل ومن معهم من الأقوام، وعدلوا عن مناهج الإسلام.

وفيها أرسل غالب الشريف إلى عبد العزيز، حرسه الله تعالى، كتاباً وذكر في أثنائه أنه يريد إنساناً عارفاً من أهل الدين، حتى يعرف حقيقة هذا الأمر المبين، ويكون فيه على بصيرة ويقين، فأرسل إليه عبد العزيز الحصين، كي يشرح له بسان الخطاب، وجه الحق والصواب، ويزيل عن محياه النقاب، فيبدو عند ذلك لآلئ الستة، فيدعو حينئذ لمن أوضح هذا السبيل وسنّه، وكتب معه الشيخ إليه رسالة، بين فيها دعوته ومقاله، ونصها بعد البسملة:

من محمد بن عبد الوهب، إلى العلماء الأعلام في البلد الحرام، نصر الله بهم سيد الأنام، عليه أفضل الصلاة والسلام. وتابعي الأئمة الأعلام، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

جرى علينا من الفتنة ما بلغ غيركم، وسببه هدم بنيان في أرضنا على قبور الصالحين، ومع هذا نهينهم عن دعوة الصالحين، وأمرناهم بإخلاص الدعاء لله، فلما أظهرنا هذه لمسألة، مع ما ذكرنا من هدم البناء على القبور، كُبر على العمة، وعاضدهم بعض من يدعي العلم لأسباب ما تخفى على مشكم، أعظمها اتباع الهوى، مع أسباب آخر، فأشاعوا عندنا نسب الصالحين. وأن على غير جاذة العلماء، ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغرب. وذكروا عند أشياء يستحي العاقل من ذكرها، وأنا أحبركم بما نحن عنه بسبب أن مثلكم ما يروج عليه الكذب، على أناس متطهرين بمذهبهم، عند الخاص والعام، فنحن ولله الحمد متبعون لا مبدعون، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وتعمدون أعزكم لله أن المطع في كثير من البلدان لو يتبين بالعمل

بهاتين المسألتين، أنها تكبر على العمة الدين درجوا هم وآباؤهم على ضد ذلك. وأنتم تعلمون، رحمكم الله، أن في ولاية الشريف أحمد بن سعيد وصل إليكم الشريخ عبد العزيز بن عبد الله. وأشرقتم على ما عهدت، بعدم أحضروا كتب الحنابلة التي عندها عمده، كالتحفة والنهاية عند الشافعية، فلم طلب منا الشريف غالب، أعزه الله ونصره، امثلنا. وهو إليكم واصل، فإن كانت المسألة إجماعاً فلا كلام، وإن كانت مسألة جهاد فمعلومكم أنه لا إنكار في مسائل الاجتهاد، فمن عمل بمذهبه في محل ولايته لا يُنكر عليه، وأن أشهد الله وملائكته، وأشهدكم أنني على دين الله ورسوله، وأني متبع لأهل العلم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فقدم عبد العزيز الحصين مكة المشرفة، فأكرمه غالب وشرفه، واجتمع معه مرات عديدة، وعرض عليه رسالة الشيخ المفيدة، فعرف ما بها من الحق والهدى، وم نفته من الباطل والردى، فأذعن بذلك وأقر، ثم بعد مدة أبى وكفر، وتمسك بقديم سنته وأصر، وطلب منه عبد العزيز الحصين أن يحضر العلماء معه، فيقف على كلامهم ويسمعه، وينظرهم في أصول التوحيد، فأبوا عن الحضور، وقالوا: هؤلاء الجماعة ليس عندهم بضاعة، إلا إزالة نهج آباءك وأجدادك، ورفع يدك عن معتادك. وجوائز بلادك. فطار له وارتعش قلبه.

ثم دخلت السنة الخامسة بعد المائتين والألف.

وفيها غزا سعود، أدام الله له السعود، فسار بالمسلمين، وجدوا السير مشمرين. وأنضو الحياذ ولركب، في ذلك التسيار والذهب. ولم يرل بعق ويص في ذلك السير، حتى قارب أن يشرف على عربان من مطير، كبيرهم الحميداني، وأسلاف آخرون في أرض الحرسية<sup>(١)</sup> مجتمعون. وقد سبقت إليهم

(١) قرية من قرى محافظة مهد لذهب. بعد عن المدينة حوالي ٢٥٠ كم جنوباً

الأندار، ولكن لا يرد الحدر الأقدار، فعجلت لهم قبله، وكانوا مع ذلك على مهمة، فرحلوا وهجوا، وجدوا فيه وعجوا، وندوا بالويل وضجوا، فلم يكن لهم عن الأقدار من مصير ولا فرار، فحانهم<sup>(١)</sup> بأرض الحرسية الجبر، وحانهم كما هو عادته الفرار. فصحبهم الحند لكرار. وانحزب انذي هم ليسوا في اللقاء فرار. والعصابة التي هم للدين أنصار، وللتوحيد حماة وأعون وأصهر، فحاولت تلك البوادي، أن يرد الفرسان العوادي، وجالو معهم في الميدان، وصار بينهم قتال وقتل وطعان، حتى علاهم البأس الشديد، والهلاك الأكيد، من حمة التوحيد، فأخذوا غير بعيد، ونفذ فيهم الوعيد، فانهزموا أجمعين. واستولت أعقابهم خيل الموحدين. وقتلوا منهم نيفاً وخمسين. وغنم المسلمون ما معهم من الأموال، من الأمتعة والأثاث والزاد والغنم والآبال، ورجع المسمون بنيل الآمال.

وفيها مات عبد العزيز بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أحسن الله تعالى له المآب.

وفيها أظهر الشريف غالب كيداً لم يظهره قبله محارب، ورام أنه لأمر الله غالب، فقاد من الجوش والاحزاب، والحضر والعرب والأعراب، ما لا يكاد يحصر رقمه القلم في كتاب. وحشد الدوان من كل شعب وفج، وساقهم من كل واد ونهج، وجمعهم من كل ناحية وبلاد، فأقبلوا يهرعون إليه من كل واد، وجاءوا بأهبة واستعداد. وسارت له الرسل والركبان، إلى جميع القرى والبلدان، تطلب العون ولنصرة، والكل ساعده وأنجح أمره. فلم يدع بداً ولا قرية له أحواله، وظن منها الإعانة إلا أرسل إليها فوراً رسنه وركبته، ووصلوه

(١) أي: نصبهم الله بالخبر، وهو الهلاك

بما يصلح شأنه، ويقوي تجربته وتكبره وشيطانه، وتمالأ معه الحلق كافة، وما كان لهم من الله تعالى مخافة، بل جدوا معه وفاموا، وسهروا في منامهم الليلي وما ناموا، في خبيثهم وما طلبوا وما راموا! أَيَحَارِبُ رب العزة والجبروت، ومن بيده الملك والملكوت؟ أَيُنَادِي بالحرابة أصل الإسلام؟ أَيُنَادِي على هدم أساسه جميع الأنام؟ أيسعى بالوهن إلى حمى التوحيد، ويتداعى على إزالته بعد التشييد؟ أينسلون إليه من كل حذب، وينسل له ذو الحاجة والأرب، ولا يهب جناب الرب ويرتقب؟ كلا، لقد عميت الأبصار والبصائر، وانسد نهج الإنصاف فلبس إليه عابر، وعُذِلَ عن منهج البيان فأضحى محياه غابر، وتركت عين الشريعة فكاد نديرها أن يكون غائر، حاموا على سلف الجدود والأبوة، وبذلوا فيها النجدة والفتوة، وتمسكوا في الحقيقة بتلك السنة والطريقة، والتزموا أشد التزام، فلم ينفكوا عنها على الدوام، رَخُصَ عندهم في استقامتها نفيس الحطام، وهان لديهم فيها البذل والتسليم والاستسلام، بل رَخُصَ عندهم ما هو أعظم وأجمل، وأفخم وأكمل، وأجل وأعلى، وأرفع قدراً وأعلى، الأعمار وجواهرها، وأرادوا المنصب وظواهرها، فهانت عندهم الرقاب والأعمار، وركبوا لها ركب الأخطار، وطرحوها في ميدان القمار، وألقوها في ذلك المضمار، فكانت عقباهم الخسران والدمار، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾، وكلٌ يجازى بفعله.

فلما رأى ما اجتمع في فئاته ورحابه، وما نزل في أوديته وشعابه، وما ضمه إليه نطلاب ركابه، من أولئك الخلق والحموع والأسباب والملا، الذي طبق وأوسع الصجاج والفلا، ركض برَجَلِهِ وتجبى وعلا، وشمع أنفه وأعلى، وزبر له الشيطان أملا، وسعى إليه عجلا، وتحكم في قلبه أبو مرة، ونفذ فيه عيّه وأمره، وزخرف له مكروه وغدره، وحقق له في مرامه سولا، وحثه على التسير

وصولاً، وكان ذلك إني تسويله حيلة. فأسرع إليه وحرص عليه قبيله، فبادروا إلى الحروح. وسعى إلى ذلك المنهج المنهوج. وأظهر سريعاً امتثال الطاعة. لم رأى عنده من قوة الأسباب والاستطاعة. فكانت ولله الحمد بصاعته أخسر بضاعه، فلما أن أن يبدو لظهوره شمس. وحن أن يتبين في جبينه نحوس، ويخسف في أفقه نجم سعده، ويكشف بدر توفيقه ورشده، ويقف الخلق على ما أموه من مجده، وترجع أبصارهم خسة بعد مطالعتهم لبركته ويمنه وجده، ومشاهدتهم فلول صارم عزمه وحده، وأقول كوكب عزه ونصره وفقده، فقد جزموا وحكموا، وفهموا، وعلموا، أنه يفتح نجداً بنجده، ويكسر حزب الموحدين بأسبابه ووجده، والأسرار التي وصلت إليه من جده، ﴿سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾، يشهد به كل ذي علم عليم، وقلب عسى الحق مستقيم.

جهز عبد العزيز الشريف مع كثير من تنك الأجناد والأمم، وعجبه في المسير إلى نجد، فسار إليها وأم. وانثالت أيضاً إليه من الأعراب قبائل، وأصبح كل سوادهم إليه نائل، وقبلوا بأجمعهم إليه عاجل، وارتد كثير ممن أسلم لأجل ذلك التسيار والسير، منهم حسين الدويش وعربان من مطير، وتظاهر بأسباب الردة في كل بادية وبده خلق كثير، لا يحصون ولا يعدون ولا يستقصون. وبد لشرك دخان وضرام، وعلا منه بالأفق قتام، وجنح إلى الضلال بعد الإسلام، من الناس فثام، وتبين العناد جهراً والشقاق، ونفق ولله سوق النفق، بل نجم وقام على ساق، ونكن ولله الحمد لم يحصل لأهل ذلك مراد ولا اتفاق، ولم يبدُ لشمس مطلوبهم إشراق. بل شهدوا من لهم والعلم على نصره الدين وأهله ما أوصل أرواحهم إلى التراق، وأسفدهم من صرف الأسف والحسرة كأساً مريرة المداق، فلم يبرحوا حتى الساعة في قد من الملا وأعلاق، وأسر دائم وإفلاق، حتى يكون من الترى نحت أطواق.

فسار عبد العزيز الشريف مع تلك العرب، وكافة الأعراب والبدو، وأكثر الأسلاف إذ ذاك معه قحطان. فنزل سريعاً على قصر في السرّ يقال له قصر ستم<sup>(١)</sup>. ولم يكن فيه إلا قريب العشرين من الأناس. فأناخت تلك الجموع حوله، وكان لهم عنده ضوضة وعولة، وأصوات وزعقات، وجلبة هائلة وضجت، وحملوا على ذلك القصر أعظم حملات. وراموا لصعود إلى تلك الشرف، وراموا الأسباب والسلالم، والكل على التسور عازم. فأبعدهم الله تعالى عنه وأزاحهم منه، فصارت تلك الحملات عليهم خزيًا ونقمة، وأعقبتهم هوانًا ومذلات، فلم يدرك منه فائدة. ولم يحصل على مراد ولا عائدة، فانصرف خسرًا ذليلاً، وأقام في أرض السر زمانًا طويلًا، نحوًا من أربعة شهور، ينتظر من أخيه غالب الظهور.

وفي أثناء تلك المدة المذكورة، والإقامة المسطورة، عزم على الرجوع إلى ذلك القصر والعود، فرجع إليه فلم ينل ما أمل من الربح والفود، فلما نزل عليه وأناخ حواليه، عزم وآلى وأقسم بالله تعالى، ألا يبرح عنه حتى يقتل أهله ويخرجهم منه، وعزم على ذلك الأمر وصمم على اليمين. فجزم جميع من معه أنهم ستولونهم على يقين. وينالون منهم التولي والتمكين، فدهموا بالسلالم الجدار محتدين، ولبس الدروع من يريد الصعود لأجل التحصين، وأتوا ذلك اليوم بكيد أزعج ألباب أهل الدين، ورعبت قلوب لموحدين. ولكن أراد الله لهم النصرة والتمكين. وعلاء كلمة المسلمين. وحة عبده لمؤسس، فظهرت حكمة رب العالمين. ودان خزي المطليين. وتحقق حينئذ أهل الإيمان والإسلام، أن جميع الأناس لا بقدرهم على إحاد ذرة. فضلًا عن إبطال مضرة.

(١) في مدينة الرود، به ستم س على، حدّ ماهص، من حرب

فزادهم إيماناً مع إيمانهم، وأقرهم في أوطانهم، وقد قُتِل من جماعه الشريف وقومه في المرة الأولى والثنية في يومه رحل كثيرة، وصارت حاله في الذل شهيرة.

وفي أثناء تلك النبالي والأدم، أمر عبد العزيز الإمام على أهل الإيمن والإسلام، أن يجردوا مواضي العزيمة، ويصدقوا النية في الجهد لذي العطايا الجسيمة، فقد أقبلت إليكم الفتنة العظيمة، والمحنة التي أرجو أن تكون لكم منحة عميمة، وأرسى بهذا الإعلام والإخبار إلى المسلمين في جميع الديار. وحثهم على سرعة المجيء والتسيار، فأقبلوا بعد الجهاز إليه، وأمر سعود بالظهور فظهر ونزلوا عليه، وأقام سعود في أرض رمحين عند البلدان، حتى تلاحق به جميع أمداد أهل الإيمان، ثم بعد ذلك أمر حسن بن مشاري مع بعض البادية، أن يغزو تلك العربان لعدية، التي هي بالشر مبادية، فنهضوا سرعاً، فلم يفجأ بعض العربان التي مع الشريف إلا بالخيال العادية، فأخلو بعض الإبل، ورجعوا بعد حصول الأمل.

وفي تلك الأيام أرسل سعود، حرس الله مجده وخلد سعده، نغمشاً مع جمع من المسلمين، إلى أهل الوادي لكون أكثرهم عن الإسلام مرتدين، وهم قوم حوين وجماهر، وقد أرسل إليهم غالب الشريف بعض العساكر، وأمر فيهم شريقاً يسمى شاكر. وكان أكبر تلك الأقوام بني هاجر، فسار نغمش لذلك لسبيل، ولم يكن له دون ربيع ومبارك من تأميل، ولا مرام ولا تحصين، فأسرع بهم للحق، وحصل بما له الاتفاق، واستضاءت بقدومه لأهل التوحيد تلك الأفق. فلما قدم تلك البلاد، شمر مع ربيع ومبارك ومن معهما للجهد، فخرجوا إلى اللدام<sup>(١)</sup> سائرين، ولأهل الباطل المجتمعين فيه قاصدين، وكان

(١) من مدر ودي السوسر

أهل الردة وجميع العسكر فد نزل حوله وعنده. فقصدهم أهل الإسلام في بعض الأيام. وجرى بينهم قتال والتحام، والتهب نار الطعان. وثبت الله تعالى للمسلمين الجبان. فشدوا على أهل العصيان. فانهزموا ولم يبق منهم للجلاد اثنان، وبادروا البلاد، وقتل منهم ذلك اليوم عشرون في التعداد، منهم من آل شري<sup>(١)</sup> أربعة رجال. وقتل من المسلمين ثلاثة، ورجعوا بأحسن حال.

ثم بعد ذلك وصدوره بأمد، غزا سعود بمن معه ونهد. وجرّد مرهف البأس على أولئك القوم وجرّد، فأوخذ وأعقق بذلك السير، حتى صبح أسلاف مطير. عربان حسين الدويش، الذين هم للحرب تحذ السنان وتريش، فلم يرعهم إلا رجفة الأرض من سنايك العرب، والأسنة تلمع في ضياء الشمس مثل ضوء الشهاب، والبواتر التي تبيض مثل البروق في خلل السحاب، أو لمعات النار في الالتهاب، فتلقتهم أولئك المطران. وأقبلوا عليهم مجتمعين في قران، كأنهم أجنحة النسور والغربان، فراموا أولئك العربان أن يسقوا عطاش المُرّان<sup>(٢)</sup>. من نحور أهل الإيمن، فأبى الله أن يدنس واضح غررهم هوان، أو ينزل من ضررهم إنسان، أو يصل إلى تلك النحور التي هي ممر لألفاظ القرآن من أيدي الأعداء سنان، فأيدهم الله تعالى بعزه ونصره، وخذل العداة بقدرته وقهره، فقتل المسلمون منهم فوق العشرين، وأخذوا بعض الإبل ورجعوا سالمين.

ولما جرى على عبد العزيز الشريف وقومه ما جرى. من الذل والخزي بقي حائرًا مندبًا متفكرًا، فلم يجد له الرأي ما يتح له المراد. إلا الكذب على أخيه غالب حتى يخرج من مكة إلى تلك البلاد، فأرسل إليه الرسل أننا قد أدرکنا

(١) من فحصد

(٢) المراح.



الأمل، وأن أخذنا ببداء فأنت أنت والأمداد على عجل، فقد رُعب أهل ذلك لوطن والمحل، والكل قد جبن وذل، فلما جاء ذلك الخبر، بادر إلى ذلك وظهر، فرجع ولله الحمد بالذلة وصدر، وندوى المسلمين ونواهم بالقطيعة فما قدر، وبذل وسار بمدافعه وفنابره<sup>(١)</sup> وجاء والله بالكثرة. وأتى معه من الأسباب والآلات ما لا يؤمله البشر، ولا تعبر تياره الفكر. وكانت حاله لكل مُعبر عبرة من العبر، وآية دالة على الوحداية، وصدق هذه الدعوة لكل من سمعها فضلاً عما شهدها وحضر، وبرهاناً لائحاً لأهل التوحيد من يأتي بعد ومن غير، ودليلاً فضحاً لأهل الضلال والزيف والغير، فسبحن من حجب عقول من شاء، عما أبدى من الآيات وأنشأ، وطبع على القلوب الضالة عن إدراك المعرفة له، وقذفها في مهواة الدرك الأسفل من الدرك، وألقاها تعاني فيه ما أعده لها، وأودعها فيه وترك، وأخذ بمن أحب ذات اليمين فاختر كل منهم ذلك الطريق وسلكت، اللهم لا تهلكننا فيمن هلك، واجعلنا ممن دان نفسه وقرنها وملك، واجعل لنا من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً وفلك.

وكان خروج غالب في شهر رمضان، الذي فيه تُغلق أبواب النيران، فلما خرج غالب ظعن عبد العزيز ومن معه من أرض السر ورتحل، حتى وافى أخاه غالباً على الشعرا فاجتمع معه ونزل، واستقر بهم القرار في تلك الأرض، وكل يوم يصدر منهم إلى تلك القرية نهض، ويجري منهم بأسر وشدة واصطلام وحدة. وسقط للأعمار وعرض، وقد عزموا على استئصال أولئك الأدم. وثلم الدين والإسلام، ولم بخشوا قبيح الآثام. يوم الوقوف والعرص، كيف لا وأكثر الموادي به لا يصدقون، ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوُونَ﴾.

وأقام غلب وجموعه وجنوده، وكل يوم تزجي سحب العذاب على تلك  
 القرية رعوته، ويهددهم بالاستتصال والإهلاك وعوده، وأسببه وآلاته وكيدته،  
 على مصداق قوله شهوده، ويقسم بالله العظيم الواجب وجوده، لا تفارق نجداً  
 حتى تدمرها عساكره وراياته وبنوده، ويتم له مراده وسؤله ومقصوده، فأبى الله  
 إلا أن يدوم عليه حزنه ونكوده، ويشمت بهوانه وذله وخزيه عدوه وحسوده،  
 ويتألم لما ناله محبه وودوده، فرجع ولله الحمد ذليلاً متندماً هو وقروده،  
 وعدت سندير أشباله وأسوده، وأرضت أرانب قفر وبغات نسوره وفهوده،  
 فتبارك الذي بيده الآيات البينات، ويرفع الأعلام على انفراده بالآلوهية  
 والعبادات، ويأبى أهل الزيغ والضلالات، إلا إصرار ونفوراً، صرّف سبحانه  
 الأحكام للناس وبين، وصرّف قلوب أعدائه عن الهدى لم تبين، وأبدع الأرض  
 وما فيها والسموات وحفظها وزين، ﴿فَأَبْأَتْ أَكْثَرُ أُنثَىٰ ۖ لَا كُفُورًا﴾.

ولما انصرف لشريف غالب مرعوباً غير مدرك لما هو طالب، بل مقتول من  
 جنوده كثير من الرجال، مشيت الفكر مكدر البال، وجاء الخبر سعوداً عن رحيله  
 وانصرافه، أمر محمد بن معقل مع بعض من المسلمين، أن يتبع أثره ويغير عليه  
 من خلافه، فبادر محمد لم أمر وجد في ذلك الأثر، فأغار على فريق من  
 قحطان، فأخذ عليهم إبلاً كثيرة، ففرع عليهم منهم فرسان، وجالدوا لردّها فلم  
 يقضه الله لهم فما كان، وأخذ من الأفراع خمسة عشر فرساً نجية كريمة، ورجع  
 بأوفر غنيمة.

وفيها غزا سعود، أدام الله تعالى له بالتمكين والسعود، فسر بالمسلمين  
 وأدلج في ذلك السيور، يريد شمر وعربون مصير، ولم يبرح يحدد في مسيره  
 ويتنصي فيه عزماً، ويحرد له همه وحزماً، حتى أدركهم عند جبل سلمى، ولم  
 يفهموا عن محيئه حبراً ولا علماً، فأباح في ذلك المكان، عند ماء يقال له

العدوة<sup>(١)</sup>، وكان عنده عربان يُدعون البراعصة والعيثات<sup>(٢)</sup>، قد نزلوا حذوه، فلما قضى من الصلاة شأنه، ودع الله أن يُنزل عليه نصره وسكينته ويثبت حذيه. وأن ذلَّ ويهزم بحوله وقوته عدوانه، وصنح أولئك الأسلاف والعربان، وشنت خيله لغرة على البدوان، فعند ذلك نهض أولئك المردة العتاة الأباليس، وكتبهم ما بين معلّم ومقلص وشاكي السلاح ملايس، ورئيسهم ذلك اليوم حصان إبليس<sup>(٣)</sup>، فطعنوا حتى وهنوا، وشاهدوا من الأهوال ما خدروا عنده الذل وركنوا، وجدوا في الدفاع عن الأعمار والأموال والظعن، وبذلوا في ذلك من البأس ما لم يبذله أحد من الناس في سابق الزمن، حتى كتب الله تعالى عليهم ما كتبه على ذوي الضلال والفتن، وأجرى للموحدين عليهم ما أجرى على إخوانهم من ذلك السّنن، فشمروا في الانهزام والفرار، وجدوا في الإدبار والانكسار، وكان للموحدين عليهم الدولة والانتصار، فمنح الله تعالى المسلمين جميع أموال الكفر، واستولوا تلك الأمتعة والأثاث والغنم والإبل، وقتل حصان إبليس وولده، ولكنه ركب غيره فما ذل ولا انخدل، بل أخذ يركب العقول ويعلو قلوب الفحول، فضلاً عن صهوات الخيول، وقتل أيضاً منهم أبو هلبية وغيرهم رجال، وانهزموا بأقبح حال، لما قطع الله تعالى وصلهم، وجذ حبلهم، وشتت شملهم، تفرقت تلك البوادي والفرسان، تندب من حولهم من العربان، وتخبرهم بما صدر وكان، وكانت تلك البوادي ترعى الغنم وتسيم البهّم، في فياض أراضي سلمى، وتحسب أنها تنال بذلك أمناً وسلاماً، وترد على رغم العدا زلال ذلك الماء، وقد أعراها الشيطان في نفسها وأغواها وزين لها، أن ليس أحد يرومها ويغواها، فضلاً عن كونه يود مصادمتها ويهواها، حتى

(١) قال ابن بشر (١ / ٨٧): «قرب بلد حبل»

(٢) من مطهر.

(٣) قال ابن بشر (١ / ٨٧) عنه: «مسعود الملقب حصان إبليس»

أوردها من الهلاك مهواه، وحينئذ وقف عليهم وبادها بدعواها، هذا جراء الغواة ومثوها، إنها تهلك النفوس بصغواها.

فلما جاءتهم الأخبار من أولئك الأشرار بشرح حال تلك الواقعة، جرعتهم كؤوس السم الذقعة، وكانت ألببهم منها نادة فاقعة، فتداعوا إلى النصر أفواجًا، وملأوا لها مهامها وفجاجًا، وهياؤها سببًا ومنهاجًا، وانضم إليه ممن حولهم كل ذي عمود، وكن إلى تلبية الداعي إجابة وعمود، ومبادرة للإغثة ونهود، واجتماع على ذلك الباطل وشهود وعقود، وإحكام الثبات وعدم الفرار بأوثق العهود، فأقبل كلٌ منهم يولي على عدم التولي وبذل المجهود، وجاؤوا بالنساء والأطفال، والمطافيل والآبال وجميع الغنم والأموال، حتى يصدقوا البأس ولا يكون عنها صدود. فأوردهم ذلك البغي الطريق المسدود، والذل الذي كن لهم إلى حياضه ورود، ونال المسلمون بذلك الأمر المحمود، فحين أقبوا على المسلمين يزحفون، وهم على ذلك الماء أجمعون، تأهبت للقائهم الفرسان، واستعدت لطفانهم الشجعان، والكل صدق ذلك اليوم من أهل الإيمان، فلم يستتر بالذل والجبن منهم إنسان، سوى بعض فرسان من البدوان، وكان ورودهم على المسلمين مساءً قبل الغروب، وقد أبرموا الحيلة فيه فقالوا ندهمهم قرب الليل، فإن كن منهم الهروب اشتفت منهم القلوب، وحصل لنا الأمنى والمطلوب، وإن كان الفرار من كان الليل مسجاة لمطلوب، فلا يدرك الطلب منه مرامه، ويجد السر والسرى والليل أمامه، وقد نشر على الساري أعلامه، ويعمى أثره وأعلامه، فحملوا على أهل التوحيد حملة ليس وراءه مزيد، وقد زين لهم إلبس، أن يجعلوا الإبل لهم عن الرصاص متريس<sup>(١)</sup>.

(١) المتريس. الحديق. والذي يُفهم من النص أنهم جمعوا الإبل حوزًا يتصور به رمي السدق وهذه عادة معروفة في الحرب وهي نوع من أنواع المتريس

فساقوه أمامهم، وصبر المسلمون حتى قاربت خيامهم، فحملوا بعد ذلك على من ساق تلك الهائم، فهزموهم وصارت الإبل لهم عنائم. وقُتل من المشركين كثير في تلك الحملة، منهم بن الجربا من غير مُهبة. وأبررت فرسان الكفر والإشراك من التهور في الشجاعة ما لم يصل إلى أدناء دراك، ولم يذكر له نظير في العرب والأتراك، ولكن تنقتهم الحماة بالصدور، وسمحوا كما هو العادة بالأرواح والنحور، وصدّقوا في الاشتراء والابيعاء، وقالوا: والله لا نُضيع ولا نُضاع، فأمسى كل منهم ببذل العمر مطواع. وإلى الشهادة قلبه نَزاع، حتى حنهم مولاهم بوعده، ونال منهم غاية قصده. وأنزل عليهم النصر والسكينة، وكانت قلوبهم على الثبات راسخة رصينة، وأجرى في أعدائه سنته. وأجزل على المؤمنين فضله ومنته، فانهزم أهل الضلال بعدما أفرغوا الجهد والحال، ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ وكان ظلام الليل في بدوّ وإقبل، وولّوا على أعقابهم في الأدبار، وكان ضوء النهار في إدبار، وكان ذلك من نتائج الأفكار، ولكن الله الكريم بفضله العميم، أنال المسلمين من أموالهم ما لا يخطر على البال، وأذق الأعداء أليم الوبال، فشمر المسلمون في أثرهم الأذيال، بعد أداء المكتوبات من غير استعجال، وتناول بلغة من الزاد على إمهال، واستمر الطلب في أثرهم أيّما وليل، والمسلمون في إثرهم مجدّون، حتى تركوا أغلب الأموال وهربوا بالنفوس يسرعون، فتراجع حينئذ المسلمون عنهم، وأجمعوا جميع ما حَوَوْا منهم، من الخيل والأمتعة والغنم، ما لا يكاد يحصل مثله ويُغتنم، فالذي اجتمع عند لمسلمين من الإبل يزيد على ستة آلاف، ومن الغنم فوق مائة ألف بلا مزرعه ولا خلاف. ولا علو في القول ولا إسراف. سوى ما مات في الفلاة، فلم يكن إليه التفات. ورجع المسممون بالعز والإقبال، وباء أهل الضلال بالإذلال، وقُتل منهم بعض رجال، منهم مسلط بن مطلق الجربا. الذي زاد في الشر وأرعى.

ثم دخلت السنة السادسة بعد المائتين والألف.

وفيها غزا سعود، لا زال إلى المعالي في صعود. فسار بالمسلمين يريد القطيف وبيدنها، حين أراد الله تعالى ذلها وهوانها، وأن يدمر أهلها وسكانها، ويمزق منها أصنامها وأوثانها، ويخزي أربابها وأعوانها، فسار في ذلك مُجِدًّا، ولبغثتهم مستعدًّا، فلم يستكمل الليل راحة وإناخة. حتى كان الخُط<sup>(١)</sup> مراحه ومناخه، فأمست رواحله به مُنَاخَة. وحطت خيله وفرسانه فيه يمينًا ويسرًا، وخطرَ خُطبه<sup>(٢)</sup> في فئائه تبخترًا وافتخرًا، وسابق النصر الإقبال إليه وجارى، وألفى جميع تلك القرى بلا شك ولا امترا. قومًا فجارًا، قد خلعوا من أعناقهم شعار الحنيفية. وحملوها آصارًا وخرقوا الملة السنية. فدلوا به أوزارًا، وأطفأوا مصبيحها السنية، ورفعوا للرفض منارًا. وأقبلوا على عبادة آلهم ليلاً ونهارًا، وزادوا في ذلك غنًا وعلوًا واستكبارًا، ولقد جاءتهم النصائح فأعرضوا عنها زورارًا، ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ وأصروا عيها إصرارًا، وبارزوا في ذلك إعلانًا وإسرارًا، من أحاط بالأشياء علم خفية وجهارًا، واستمرت جياده تجول وتبارى، حتى عرف قصده وحققه معرفة واختيارًا، فأحاطوا بسيئات بعدما تلاً الضوء وزاد إسفارًا، وكبروا في نواحيها إعظامًا لله وإكبارًا، فملكت قلوب أهل الضلال حين شاهدوا ذلك الحال، ورأوا ذلك القدر مهبة وانذعارًا، وصبروا ساعة تجدد واصطبارًا، وهموا أن يحفظوا جواب البلد. فلا يهتك المسلمون منها ذرًا. فرغم اله تعالى أوفهم وعجل لهم هلاكًا ودمرًا، فتسوروها المسلمون وهجموا فيها زمرًا وأقطارًا، وقتلوا من فيها فلم يجدوا لهم

(١) نطس على القصف وما حاورها

(٢) رمحه.

من آلههم أنصاراً، وأسقتهم قواضب الموحدين وأسنة لمسلمين كؤوس الردى فبالوا هواناً وخساراً، وشربوا منها عبيطاً يزيد احمراراً، فقتل منهم ذلك اليوم خمسة عشر مائة إقلاً وإكثاراً، واستولوا على جميع ما فيها من الأموال، التي لا تعد ولا توصف ولا تُحَدُّ استعظماً واستكثراً.

ثم قصد المسلمون القديح<sup>(١)</sup> فقدحت فيه زندهم فأورت نراً، ودهمهم المسلمون فأشعلوا فيها للموت نراً، واستولوا على ما فيها من الأموال التي لا تمثل ولا تبارى، فعند ذلك أبدت بلدان القطيف جفلة وهزيمة وانكساراً، فستولى المسلمون العوامية<sup>(٢)</sup> وعَنك<sup>(٣)</sup> وغيرهما لما أخرجوا أهلهم وعمدوا إلى القرصة<sup>(٤)</sup> وراموا بها حصراً، فأحاط بها المسمنون ودعوهم إلى الإسلام فأبوا إلا كفوراً ونفراً، وأقموا أياماً يقاسون ذلة وجهداً واحتصاراً، حتى بذلوا للمسلمين ثلاثة آلاف زر فقبلوا ذلك وعجبوا بها إحضاراً، ولما أزال المسمنون ما فيها من الأوثان، ومعبدات الشيطان، وكنائس الرفض والطغيان، فأصبح أهلها عبيها خساراً، وأحرقوا تلك الكتب القبيحة بعدما جمعوا منها أحمالاً وأوقراً، ارتحلوا إلى تلك الأوطان في غاية من السرور والتهان وقد حازوا أجراً وأفخاراً.

وفيها توفي شيخ الإسلام، وعلم الأئمة الأعلام، المتبحر في العلوم النافعة المفيدة، والمعاني التي لم تبرزها سوى فكرته المجيدة، ذو الفكر الوقاد، والذهن المنقذ، الغائص على دُرر التوحيد في قعر البحور، الفلق عن جواهره

(١) بلدة تقع شمال غرب مدينة القطيف، وتعد عنها حوالي كمين.

(٢) بلدة تقع على الحبيح العربي، تعد عن مخطف حوالي ٣ كم.

(٣) مدينة تقع على ساحل الخليج العربي في الوسط بين مدينتي القطيف وسيهت.

(٤) سم بلدة مخطف مديناً.

الأصداف حتى زين بها النحور، المسننط من كتاب الله تعالى ما يفصّر عن بعضه الفهم، ولا يقدر على إبراز شذرة منه ذوو التدقيق في العلم، الممن في فهم القرآن ولا استنبط، فلا يقدر على فهم تبهوته ولا يغاص ولا يحاط، المتفرد في نشر أعلام التوحيد، القائم فيها لله تعالى بالشجيد، المؤيد فيها بالإعانة من الحميد المجيد، المسدد فيم يبيد فيه من الدقائق ويعيد، المنصور من الله تعالى على كل جبار عنيد، وعالم ضال مضل مريد، الذي بهر علمه حين ظهر، وشاع صوت فضله واشتهر، وطبق أطبق الأرض صيته وانتشر، قانع أهل الشرك والضلال، ورادع ذوي الزيغ والضلال، معزّ أهل الدين والإخلاص والجمع، ومُذِلّ ذوي الإلحاد والأهواء والبدع. من أصبح مُحَيِّبَ الدين به وأضحى منبراً، وظلام الضلال منقشاً مستطيراً، وثغر الحق متبسماً تبجحاً وتبشيراً، وأصبحت به السمحاء مرفوعة العماد، ثابتة الأطرب والأودد، قائمة على نهجها في البادية والبلاد، يؤمها الحاضر منهم والبدد، فأرشد الله تعالى بدعوته كثيراً من العباد، وهلك من أراد الله عليه ذلك فأعرض وناد، فلم يحضر للدعوة ناد، المقيم من السنة لاجبها ونهجها، المقوم منها مائلها ومعوجّها، ناهج منهج الصواب، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، طيب الله ثراه، وجعل الجنة مثواه.

فلما أراد الله تعالى أن يصب سحاب الرحمة عيه، ويوصل تمام جوده وإحسانه إليه، ويدببه من حضرته ويقربه لديه، احتار له منزلة الدنو من الحضرة، حتى يوفيه بفصله أجره، ويمحو عنه إزره، وكان ابتداء المرض به، رحمه الله تعالى، في شوال، ثم كان يوم الاثنين من آخر الشهر وفنه والانتقل، فنقله الله إلى حواره وحضرته، وقربه إلى حضرة قدسه وحته، وأدناه إلى دار رضونه وكرامته، ومحل تفصله وإحسانه ومبرّته، وكنت حله من العبادة في الصلاة



والصيام، مشهورة بين الأنام، لا يزال سميره القرآن في دجى الطلام، ودأبه إحياء غلب الليل بالقيام، والتأني والتثبت في تنفيذ الأحكام، حتى يتيقن ذلك ويحكمه أتم لإحكام، لا يميله الهوى عن الشرع ولا يصده، ولا تحمله على ضده عداوة ولا تردّه، بل يحكم بما ترجح له وجه صوابه، وتبين له فصل خطابه، من كتب الأئمة الأربعة، المقلدة في ذلك المتبعة، لا يعدل إن لم يجد نصًّا من كتاب الله أو سنة نبيه ﷺ إلا إليها، ولا يعول إن لم يَلَفْ قاطعًا إلا عليها، بعد المراجعة والتحقيق للنصر، وشدة البحث والكشف عن معارض والفحص، وكان، رحمه الله تعالى، وأفاض عليه سحب غفرانه ووالى، هو الذي إليه بيت المال يُجْبى، ويُدفع إليه ذلك ويُحْبى، من جميع بندان المسلمين، ويفرقه عليهم أجمعين، وكان على حالة رضىة، وطريقة من الزهد مرضية، وكان عن ذلك المال متكفّفًا، وعن كثرة الأكل منه متعفّفًا، بل يُعجله خروجًا ومصرفًا، ولا يأكل منه إلا بالمعروف، وليس أحدٌ عنه من ذوي الفقر مصروف، وكن سمحًا جوادًا كريمًا، لا يُلْفَى عنده المال مقيمًا، وكان لا يرد السؤال، إما أثب عاجلاً، أو بعد حال، فيرجع سائله بنجح الآمال. وتوفي، رحمه الله تعالى، ولم يخلف دينرًا ولا درهم، فلم يوزّع بين ورثته مالٌ ولم يُقسم، بل كان عليه دين كثير، فأوفى الله عنه الجليل والحقير، وقال المصنف يرثيه:

إلى الله في كشف الشدائد نفزع      وليس إلى غير المهيمن مفزع  
لقد كسفت شمس المعارف والهدى      فسالت دماء في الحدود وأدمع  
إمامٌ أصيب الناس طُراً بفقده      وطاف بهم خطب من البين موجع  
وأظلم أرجاء البلاد لموته      وجل بهم كرب من احزن مفع  
شهاب هوى من أفقه وسمائه      ونجم ثوى في الترب واره بلقع

وكوكب سعد مستنير سناؤه  
وصبح تبدى للأنام ضياؤه  
لقد غاص بحر العلم والفهم والندى  
فقوم جلا عنهم صدا الرين فاهتدوا  
وقوم ذوو فقر وجهد وفاقه  
لقد رفع المولى به رتبة الهدى  
أبان له من لمعة الحق لمحة  
سقاء غير الفهم مولاه فارتوى  
فأحيا به التوحيد بعد اندراسه  
فأنوار صبح الحق باد سناؤها  
سما ذروة المجد التي ما ارتقى لها  
وشمر في منهاج سنة أحمد  
وينفي الأعادي عن حماه وسوحه  
ينظر بالآيات والسنة التي  
فأضحت به السمحاء يسم ثغرها  
وعاد به نهج الغواية طامسا  
وجرّت به نجد ذيول افتخارها  
فأثاره فيها سوام سوافر  
لقد وجد الإسلام يوم فراقه  
وطاشت أولو الأحلام والفضل والهي  
وطارت قلوب المسلمين بيومه  
فضجوا جميعًا بالبكاء تأسفاً  
وبدر له في منزل الثمن مطلع  
فداجي الدياجي بعده متقشع  
وقد كان فيه للبرية مرتع  
فأسماعهم للحق تصفي وتسمع  
حووا واقتنوا ما فيه للعيش مطمع  
بوقت به يعلو الضلال ويرفع  
أزبل بها عنه حجاب وبرقع  
وعام بتيار المعارف يقطع  
وأقوى به من مظلم الشرك مهيع  
ومصباحه عالٍ ورياء ضيع  
سواه ولا حاذى فناها سميدع  
بشيد وبحبي ما تعفى ويرقع  
ويدمغ أرياب الضلال ويدفع  
أمرنا إليها في التنازع نرجع  
وأمسى محياها بضياء ويلمع  
وقد كان مسلوفاً به الناس تربع  
وحُق لها بالألمعي ترفع  
وأنواره فيها تضيء وتسطع  
مصاباً حشنا بعده يتصدع  
وكادت له الأرواح تثرى وتتبع  
وظنوا به أن القيامة تقرر  
وكادت قلوب بعده تتفجع

وفاضت عيونٌ واستهلت مدامع      بخالطها مزج من الدّم يمع  
 بكتته ذوو الحاجات يوم فراقه      وأهل الهدى والحق والدين أجمع  
 فما لي أرى الأبصار قلّص دمعها      وليست على فقدها همي وتدمع  
 وما لي أرى الأبواب تبدي قساوة      وليست على ذكره يوماً توجّع  
 لقد غدرت عين تظن بمائها      عليه وكبدٌ قد أبت لا تقطع  
 يحق لأرواح المحبين أن تُرى      مقبوضة لما خلت منه أربع  
 وتتلو سريراً فوقه قمر الهدى      وشمس المعالي والعلوم تشيع  
 فما بالها قرت بأشباح أهلها      ولم تك في يوم الوداع تودّع  
 فيا لك من قبر حوى الزهد والتقى      وحل به طود من العلم مُترّع  
 لئن كان في الدنيا له القبر موضع      فيوم الجزا يُرجى له الخلد موضع  
 سقى قبره من هاطل العفو ديمة      وباكره سحب من البرّ هُمع  
 وأسكنه بحبوحة الفوز والرضا      ولا زال بالرضوان فيها يُمتنع  
 وفيها غزا سعود، أدام الله تعالى له السمو والصعود، فسار بالمسلمين يطوي  
 المهامه، ويتحمل في ذاك المشق والمكاره، وينضي الأجسام والقلوب، في  
 قطع تلك المفاوز والدروب، حتى وطأ يمينى اليمن أرض الحروب، فشرب هو  
 وجنوده من الحناكية<sup>(١)</sup>، فروى وارتوى، فعزم أن يصبّح حرباً ومطيراً على  
 الشقرة<sup>(٢)</sup> ونوى، فما أقام بعد ذلك ولا ثوى، بل سار حين ألفت منه العيون،  
 وذكروا أنهم كلهم على الماء يسقون، وأبهم عنه منهزمون. وقد ظنوا أن  
 المسلمين لهم لا يطلبون، فلم يتم لهم على ماء الشقرة شرب ولا ورود، إلا

(١) تقع شرق لمدينة، سعد عنها حوالي ١٠٨ كم.

(٢) من قرى محافظة الحناكية، تعد عنها حوالي ٣٠ كم.

والمسلمون من عليهم يهود، فكلُّ فر بنفسه يهود، ولم يستطع الوقوف فضلاً عن القعود، فهرمهم الله تعالى بالذل والإرعاب، فستَمَرُوا للهروب بين تلك الشعاب، وكان للمسلمين حلفهم طلاب، فشَدُّوا في أثرهم بالسير والذهاب، فلم يبرحوا عنهم ولم ينفصلوا منهم، حتى صاروا شذر مذر، وتوعروا الريعان والحجر، وتحللوا صلد ذلك المدر، فرجع عنهم المسلمون، وشرعوا فيما منحهم الله يجمعون، وغنموا غنيمة عظيمة، وكانت على المشركين أخزى هزيمة، وأخذوا ثلاثين من الخيل، وحازوا مجداً وفخراً، ونالوا مع ذلك أجراً، واجتمع من الإبل في تلك الغنيمة ثلاثة آلاف، فقسمت على التسوية والإنصاف، وقتل من أهل الضلال بعض من الرجال، ورجع المسلمون بنيل الآمال، في أحسن حال، وأنعم قلب وبال، رغمًا على أنوف أناس، من ذوي لشر والإبلاس، الذين زين لهم إبليس أعمالهم وزخرف لهم أفعالهم وأحوالهم، وأحال عليهم غرورهم وأوحى لهم، فظنوا أن الطريق الذي عليه الموحدون ضلالة، وحُقق وبدعة وجهلة، وسفهة محققة مفهومة، ووسوسة عند العقلاء معلومة، وبالخروج موسومة، وستموت بعد موت صاحبها، وينطفئ منير مناهجها ولاحبها، ويندم حينئذ قلب طالبها، فلا تلقى لها من الناس داعياً، ولا تجد بعده سماعاً ولا واعياً، فأبطل الله تعالى فسد تلك الدعوى، وأخزى ذوي النفاق والأهوا، وألقاهم بفدريته في القعر لأهوى، وطبع على قلوبهم بطابع البلوى، وأعطى أهل الإسلام الغاية القصوى.

وفيها عرا هادي بن قرملة مع جمع كثير العدد، ولس معهم غير البدو أحد، فحدّ في سيره ذلك واجتهد، مع أولئك الأعرب، حتى وافق مطير على ماء الحديج في ذلك الطلاب، فصبّحهم على ذلك الماء المورود، فلقته فرسانهم فبذلوا في الذب المجهود، فجتلدوا ساعة حتى من الله الودود، بالنصر على

المسدمين فأصبح كل من ذوي الشر مشرود، وأخذ المسلمون ثلاثة آلاف بعير، وفاقوا بأحسن بشير.

ثم دخلت السنة السابعة بعد المائتين والألف.

وفيها غزا إبراهيم بن عفيصان بأهل الخرج والفرع<sup>(١)</sup> وأندس من البدوان، فشمر لقصده وابتدر، حتى بدت له أعلام قطر، فأغار على من بدى منهم وظهر، فأخذ ما معهم من غنم وركب، بعد مجادلة وضراب، وصدر إلى وطنه وبلاده، بعد نيل مراده.

وفيها غزا سعود، سلك الله به مناهج السعود، فسار بالمسدمين يريد بني خالد، وكانوا مجتمعين، فشمر في ذلك وجد السير والسرى، ولم يكن عنده خبر بما قدر الله لأولئك الوري، من ظهور براك وجماعته، وكان ذلك بعد قتل أبيه وراثته، في بني خالد والحسا وولايته، وأخذه لفرقان من سبيع وغيرهم، واعتدائه عليهم وغارته، فما توسط المسدمون تلك الفجاج، وتسمنوا ذروة ذلك المنهاج، ورأوا ما بذلك العربان من الاندعار والانزعاج، فعلموا عند ذلك خبره، وفهموا غارته وضرره، فأحضر سعود غزاة الإسلام، ونشر لهم تلك الأعلام، وطلب منهم المشورة والأفهام، وما يترجح عندهم من المرام، هل يقتضي أثر هؤلاء الأقسام، أو يقصد أهلهم ومحلهم، فليس عندهم من يحول دونه من الأنام؟ فأشاروا عليه بعد الاستشارة والأفهام، أن يعمدوا إلي أهلهم عاجلاً، فيصبّحهم ويرجع آملاً، فذلك لدينا أولى وأرجح. وأسرع للمراد وأصلح، فأبى ما دُعوا إليه، وقال إن الأولى والأصلح مصادمة هؤلاء الأشرار، فهو أنكى لهم وأسد في الرأي والأفكار. وصمم على ذلك الشأن، بعزم مرهف

(١) نزع - يشمل حوطه بني تميم والحريق وعام ولحوبة

وحرّم بامر وسن، فلم يُثَبِّه عن ذلك رأي إنسان، وكان ذلك توفيقاً من الله وإحسان.

فنهض بعد فكرته في حينه وساعته، بعد سؤاله مولاه واستخارته، وجد في السير عازماً، وللملاقات دائماً، وقال بعد رفعه أكف السؤال بخضوع وإذلال: يا من لا تخفى عليه خافية في السر والعلانية، مَكَّدْ من هؤلاء واجعل منأيهم دانية، واجعلهم خبراً بعد عين، وأدر عليهم دائرة البلاء والحين. فعجّل مولاه له الإجابة، وأدرك منه ثأره وطّلاه، فلما وصل إلى ماء اللصافة<sup>(١)</sup>، وقد انجلى عمن معه الوجل والإخافة، نزل بها يرصد من أولئك القدوم، ويتحرى لهم كل ساعة الهجوم، حتى أنجح الله تعالى مراده، وجاءه بشير السعادة: قم إلى السعد والإسعاد، فقد تبدى لك كوكب المدد والإمداد، وأشرق يُمنك في الآفاق، وتلاًلاً حظك في الإشراق، ولن ترى لأعدائك من باق. فنهض مسرعاً لذلك النداء، فإذا المراد قد طلع وبدأ، فأسرعت من قومه خيل العرب البادية، فندوشهم الطعان الفرسان العدية، وظنوا أن هذا غزو لبعض البدوان، فطمعوا عند ذلك في الطعان، وراموا أن يدركوا منه أسباب التهان، فأبى الله تعالى عليهم إلا تشيتهم في البلدان، فلما تناشبت القواضب والحراب، وتلاحمت فرسان الأعراب، طلع عليهم علم الإسلام، وأظلم من الحمام غمام، وأمطرت عليهم من العذاب سحائب، وحرعتهم من كؤوس الردى مصائب، وحلت بهم خطوط ونوائب، واستقلت عليهم كروب غرائب، وسُدَّتْ عليهم منهج المطلب، وأبدى الله تعالى فيهم أموراً عجب، وصار كل منهم للنحة طالب، وفي سلامة عمره راغب، وعن حومة الوغى هارب. فأخذ المسلمون

(١) هي قرية الحلال من مطر وتقع في اصمار

يقتلون فيهم قتلاً ذريعاً. حتى قتلوا منهم ذلك اليوم ستمائة سريعاً، وأخذوا ما معهم من خيل وركاب، وجدوا في أثرهم الطلاب، وهم يأخذون فيهم ويقتلون، والمسلمون لهم مقتفون، والذي غنم المسلمون من الحيل مئتان، مختلفة النوع والألوان.

وفي تلك الأيام أغار من آل ظفير أقوام وأناس من الحجاز، لم يدركوا سعوداً فصار لهم إلى بني خالد انتهاز، فصباحوا أهلهم، وأخذوا كثيراً من الإبل، وحوو، غالب المحل، وجرى بينهم قتال، فرجع أهل الغارة على عجل، وقد فازوا بالأمل، ولما فرغ شأن أهل الشيط<sup>(١)</sup> وانقضى، سر سعود يريد الحسا ومضى. وأرسل غنيماً أب العلاء ومهوس بن شقير إلى من في الحسا من الملا، وكتب معهما كتباً يدعوهم إلى الدخول في دائرة الأمان، ويطلب منهم الإسلام والإيمان، ويرغبهم في الانقياد والاستسلام لدعوة الميث العلام، ويحث على ذلك جميع أولئك الآنام، ويحذرهم الصد والإعراض. فكان أغلبهم ذلك اليوم به راض، وكانوا إلى الإجابة في مبادرة وانتهاضر، بل لم يحصل منهم تردد ولا ارتياض، فأجابوا جميعاً أولئك الدعاة، وكل أطع بذلك وأحاط به علماً ورعه، وأسرعوا إلى خطّ الكتاب، وقد بينوا فيه غاية الطاعة وعدم الارتياب، ولم يدخل قلوبهم إذ ذاك ارتياب ولا اضطراب، وحثوا سعوداً على القدوم إلى البلاد، حتى يبيعوه أولئك العباد، ويمهّدها أحسن المهاد.

ولما أرسل سعود غنيماً ومهوساً إلى الحسا، أرسل بعدهم سعود بن غيث مع ركب من المسلمين، وأمرهم بأن يكونوا في طريق الحسا مكمنين، حتى يكونوا لمن أراد الهروب مدركن، فلما قدموا ذلك المحل، وافقوا غزو، لأهل عمان

(١) إحدى ديار مطر بصحراء

قد جدوا في الهروب على عجل، فقتلوهم وكانوا يريدون على مئة رحل، وأخذوا ما معهم من الركب والإبل، فلم قدم إلى سعود الكتاب والرسل، ثم له السرور وحصل، وأقبل إليهم تلك الأيام بعد ذلك الانتظم، وكان قدوم الرسل في وسط شعبن، وقدوم سعود أول رمضان، فلم قارب القدوم والوصول، كان لكثير من أهل الحسا إلى ملاقاته حصول، وإسراع إلى رؤيته محبة له وقبول، فنزل قرب عين نجم<sup>(١)</sup>، وطلع لسعوده في أفقها نجم، وخرج إليه جميع أهل البلاد، وعاهدوه على الإسلام بانقياد، والاعتصم بحبل الله والقيام على أعداء الله، وأحكموا عقود الالتزام بجميع الشرائع والأحكام، والاهتمام بها أوفر اهتمام، وأقال أولئك الأنام من الجهاد أعوام، ترغيباً لهم في البقاء على الإسلام، وتوليفاً لأولئك الأقوام، فأبوا إلا الذل والصغار، حين أراد الله تعالى لهم الهلاك والدمار.

ولما أخذ منهم أوثق العهود، وأحكم عليهم في البيعة العقود، وقلد بالبيعة رقابهم، وعرف حالهم ومآبهم، وأنهم قد طوقوا بها الأجياد، ولم يدر أنهم من الخيانة على ميعاد، شرع فيما يطب به شرعاً، وألقى في إنجازهم بصراً وسمعاً، فأمر بجميع ما فيها من المعبّدات والقبب، والقبور التي يُستغاث بها وتُدعى وتُندب، أن يُزال ما فيها من المحظور، وأن يُسلك به سنة القبور، وأن تستوي على المصحح المشهور، وألا يُصرف إليها نذور، وأمر بهدم ما فيها من كنائس الرفض والبدع، فالتزم أهلها صلوات الخمس والجُمع، وبُعثت أماكن لربغ والأهواء والضلال، ومعتقدات ذوي السفاهة والاعتزال، وذوي الضلالة والإصلال، وأمر بإقامة شرائع التوحيد والإسلام، وإبطال ما خالف الشرع من

(١) جدى عول الأحساء مشهورة



الأحكام، وبالمواظبة على إظهار النصوات في المساجد، ومعقبة كل متخلف عنها معاند، وقتل كل منكر جاحد، وزدى على أنواع الربا بالإبطال، فلا يسعى في أسبابها ولا يُنال، وإفساد كل حيلة داعية إليه، أو طريقة هادية عليه، فأضحى أهل العقود الفاسدة والحيل، وذوي العقول القاصرة التي لم تدرك المعرفة ولم تنل، يتحسرون على مذاهبهم لأوّل، وذهب أهل تلك الدول، وأمر بالتدريس في جميع الأربعة المذاهب، وتأييد كل سالك إليها وذاهب، وتعليم العلم ونشره وحياته بالمذاكرة فيه، وذكره والتجرد والتجريد في تفهم التوحيد، فقاموا فيه بعدما قعدوا، وشمروا في العلوم واجتهدوا، وأقر الأئمة في مساجدها وأكل حاصلها وفوائدها، وقرر العلماء في المدارس، فأصبح كل في كتب مذهبه درس، فلم يكن منهجه مضموساً ولا دارس، وأقر لأحباس والسبل، فلم يصل إلى أربابه خلل، وأبطل جميع أوقاف الرفضة، وعطل ذلك الطريق وهجر كل واحد من أربابه ورفضه، وأبطل جميع أنواع المظالم، وعفى أثر المغارم، فكسد سوق الأخماس، وعُظِّلَت العشور والأمكاس، فاستقلت الحنيفة السمحاء على المنهاج، وزال ما بها من الاعوجاج، فأسفر وجه الحق بعد ظلامه، وتقشع منه كثيف قتامه، وانجلى عن بدر السنة متراكم غمامه، فأضاء نوره وأسفر، واستكمل التمام بعدما أقمر، فصدحت حمائم النصر بألحانها، وصدعت بنغمات العز على أفنانها، وتغنّت في روح الإنس على أشجارها بأفنانها، مدكرة بالشكر والحمد لأهل الحسا وسكنها، بإزالة المحذور وحول التوحيد في أوطانها.

ولما أفرغ جهده في مهد سنّ الحق والهدى، ومحق مناهج الضلال والردى، وفرغ من إكماله وأسباب إعماله، وتم له من ذلك لمراد، وعزم أن يرحل عن تلك البلاد، فأشار عليه كثير من أهل البدان أن يبني له حصناً، وجَدَّ كل منهم

في ذلك واجتهد، وأتوا إليه مراراً عديدة، فكانت أقوالهم عنده غير راجحة ولا سديدة، ومشورتهم غير مفيدة، واستعانوا عليه بجماعة من قومه من ذوي الشأن، على إباح ذلك النيبان، وتعجبه لهم في ذلك الزمان، فلما لم يجد بُدَّ من ذلك سمح لهم باللسان، وأشار بأن يكون موضعه فيما يصلح له من المكان، فاجتمع الرأي والنظر والمشورة والفكر، على أن ليس له مكان يصلح ويليق، سوى بيوت آل حميد وما حولها من الفريق، فطاع بذلك ودان، وهدمت تلك البيوت في ذلك الأوان، وكل بيت ليس بيت مال واحتيج إليه، أمر أن تدفع إلى ربه قيمته كاملة وتُحضر لديه، فلا يضيع ملك عليه، وحث على ذلك قيمه وأوصده، وحذره شؤم العاقبة إن خالف أمره وتعداه، وشرع أهل ذلك الوطن والمحل في إحكام ذلك البناء والعمل، فلم يرد تمامه ﷺ.

ثم ظعن سعود، حرسه الله تعالى، عن مكانه وارتحل، وقصد قرية أنطاع<sup>(١)</sup> من القراب ونزل، ولما أراد الله تعالى الذل والهوان بأهل ذلك المكان، وحكم ﷺ بدمار ذلك المحل، وأن تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، والذلة لأهل الإلحاد والمبطلين، فتح لجميع الضلال والغواة أن يدعوا مسلك الفوز والنجاة، ويلوذوا إلى مناهج البغاة، ويجنحوا إلى ظلم تلك الضلالات، ويقتلوا أولئك القوم الهداة، والجماعة الذين هم للتوحيد دعاة. ويسقوهم صرف الحمام والردى، ويطمسوا بعد ذلك منار الحق والهدى، ويعلنوا بأمور الفسق والردى، ويحسبون أن الله تعالى بتركهم سدى، كلا، وعزته لا يهوته من بغى واعدى، فسعى في نسج برود الإثم والأوزار، وهياؤا له أردية وإرار، وقام في ذلك الإزر والآثام أناس كثيرة وأقوام، يُنسبون إلى الكرم والإكرام، وأكثرهم

فساق وطعام، ورفضة وفخار وعوام، منهم محمد بن سعدون ومحمد بن عبد العزيز، ومن العتبان مهيني بن عمران، ومن أهل الهفوف سعد آل ملحمة وابن عفف والحبيبي وعلي بن أحمد واس حبيب وصويلج النجار، فاجتمعوا في بعض ليالي تلك الأيام، خرجوا عن البلد والأدم، حين استحکم دُجى الظلام، وأناخ بجرائه على العيون بالمنام، فتعاطوا بينهم مفاتيح الكلام، وتجارَت خيول أفكارهم في ميدان ذلك المرام، وتبارت في ذلك المضمار على الإنفاذ والإبرام، ولكن لا يُدرك ولا يُرام، إلا بعد المعاهدة والمعقدة والانتظام، وتوثيق ذلك بالحلف والإقسام، والتغيط في ذلك والإعظام، فحكموا أمرهم بينهم، وأبرموا غدرهم وشيئهم، ولفظوا بنقض العهود في ذلك الميعاد، وأجمعوا على نكث العقود في ذلك الإنفاذ، فأسرعوا بعاشر شوال يوم الجمعة في الارتداد، وقتلوا كثيراً من أهل التوحيد والرشاد، الذين مكثوا عندهم للتعليم والإرشاد، وتعاطى ذلك الأمر وبشره أهل الشر والفسق والفساد، وغيرهم من ذوي الشقاق والعداء، فأصبحوا وقد أشفوا من دمء المسلمين الفؤاد، فأطفؤوا بتلك الدمء المراقبة لواعج الحزن الذي أربى في الاتقَد، وأوقده الأسف غية الإيقاد، فباءوا بسخط رب العبد، ودخوا في دائرة أهل الإبعاد، ومهدوا لأنفسهم من الهلاك مهد، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَازِمٌ رِصَادٍ﴾، فاستقت عنهم حيثنأ أظلة السعد والإسعاد، وطوح بهم في خصلة الطرد والبعاد، فنالوا بعد ذلك أعظم الأُنكاد، وقُتل غالبهم بعد أمد من الآماد، وحُلِيَّتْ بقيتهم في كل بلاد، فهم كل يوم في عناء وضناء وسقم ومفاساة هموم وأحقاد، ولا يزالون في مزيد وازدياد. وجرى ذلك اليوم بتلك الصيحة، حين وقعت تلك الغفنة القبيحة، في البند ضحّة هائلة عظيمة، وأظلتها حيثنأ حطوب جسيمة، وقُتل ذلك اليوم عند الله بن فضل وحمد بن حسين وإبراهيم بن حسن بن عیدان، وهؤلاء يُعلمون الناس

النوحيد في تلك الأوطان. وقتل أمير المراتبية محمد بن سيمان. وقتل محمد الحملي الأمير وحسين أبو سبت الوزير. وسطي في بن عياس ومبارك وأخيه شهيل ونجم. ونهبوا بيت أبي سبت والحملي. وأخذوا ما فيها من المال. وباؤوا بأقبح الأحوال، ثم بعد ذلك أمروا على مبارك بن خليفة وأخيه وصالح بن عياش وأخيه وأحمد بن هديب بأن يحبسوهم في الطرف<sup>(١)</sup>، فأقاموا عندهم مدة، وكان جملة من قُتل نحو الثلاثين، وقُتل في الصفوف عبد العزيز اليميني. ولما سمع محمد بن غشيان، وكان أميراً على مراتبية من في الكوت<sup>(٢)</sup> من أهل الإيمان. أصوات الناس والضجة، وذلك النغط والعجة، ركب خيلاً مع قومه وابتدر الأصوات. وكان مقيماً في بيت الباشات، فلما عرف الحال وتحققه، وفهم أن الأمر قد عاجله وأرهقه، قصد كويت الحصار، وكان إذ ذاك لم يكمل له الأسوار، فتحصن هو وقومه فيه عمن يريده ويؤذيه، وكان قد أخذ على ركابه بعض الزاد، لأجل التهيؤ في الحصار والاستعداد، فأطبق خلفه تلك الأمم، حين قصد ذلك القصر وأم، وراموا له وقومه إدراكاً، ونظموا له عقوداً وأسلاكاً، وأسرعوا إليهم ونهدوا، وحولوا في ذلك وجهوا، وحرصوا على ذلك وجردوا، وأخزاهم الله تعالى فما ربحوا ولا سعدوا.

ثم بعد ذلك بأيام، اجتمع أهل الحسا في انتظام، واتعدوا على لسور أولئك الأفوام، فخرجوا كأنهم جراد منتشر. وقصدوا ذلك القصر ومن فيه من لشر، وحولوا فيه أنواع من الضرر، وحاؤوا بأمور بعضها أدهش وحرر الفكر، وبهت العقول وبهر، وأضحى كل من في ذلك لقصر محاطاً به محتصر، بجرم كل من

(١) قرية من قرى الهفوف الشرقية

(٢) حصن الهفوف

شاهد تلك الحال أن أجلبهم قد قرب واحتضر، فأيدهم الله تعالى وشهم ونصر،  
 وخذل أعداءهم وأذنهم وقهر، حتى أن محمد بن غشين عدا عليهم في غفلة  
 وقتل أربعة منهم وصدر، وقتل منهم رجال كثيرة في تلك الأيام ممن قاتل  
 وحضر، فرجعوا خائبين ولم يكن لهم عليهم مقتدر. ﴿وَلَقَدْ حَكَاهُمْ مِنَ الْإِبْرَةِ مَا  
 بِهِ مُرَدَجِرٌ﴾، ولم يفيثوا إليه ولم يقبوا عليه ولم يكن منهم مدكر، ﴿حِكْمَةٌ  
 بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْأُنْذُرُ﴾، وبقي ابن غشين في ذلك القصر أيامًا، ولم يدركوا منه  
 تلك الأحزاب مرامًا، وثبت الله تعالى للمسلمين فيه أقدامًا، فلم يتيسر للأعداء  
 عليهم فيه إقدامًا، ونالوا ذلًا وخزيًا وهوانًا وإحجامًا، فكانت هذه الحال آية من  
 لله تعالى وإعلامًا، تزيد الموحد لله في الله إعظامًا.

ولما قل الزاد وطل الحصار والجهاد، ولم يبق عند محمد وقومه شيء من  
 الطعام، ولا زهرة يُقاتل بها تلك الأقوام، خرج ليلاً وناراً<sup>(١)</sup>، وسلكت سبيل  
 الفرار، وخرج من الحصار، وجد في السير والذهاب، ولم يكن لهم إليه  
 طلاب، فشمر إلى إخوانه وبنده وأوطنه. ولم يخرج ابن غشين وأفاه غزو  
 للمسلمين من العتبان، فرجع ومن معه معهم وصبحوا قرية الشعبة<sup>(٢)</sup> وهجموا  
 عليهم بين الدور، ووقع القتال في تلك القصور، وقتلوا منهم رجالاً، وأخذوا  
 منها حياوين<sup>(٣)</sup>، وأموالاً ورحعوا سالمين.

وجاء سعود، حرسه الله تعالى، الخبر، وشاع الحد واشتهر، وهو إذ ذاك  
 مقبم على أنطاخ، وقد امتلأت بذلك الأسماع، فسنتشار أهل الدين والإسلام،  
 في الظهور إلى نجد أو الإقبال على أهل الحسا ولإقدام، فختلف نساء

(١) نار: هرب

(٢) قرية من قرى المبرر.

(٣) أي: حيوات

المقال، وسير الفكر والبال، في ذلك الشأن والحال، فعض رأى لإقدام عبيه وصوبه، وبعض رأى تأخير ذلك إلى حين وطلبه، حتى يأذن الله تعالى فيه ويهيئ مطلبه، وينزل على أهل تلك الفتنة شدته وكرهه وأسه وخطبه ونوبه، فسار يريد نجداً، ويجد السير ذيلاً ووخداً، ويدعو الله أن ينجز له فيهم وعداً، ويمكنه من تلك الأعداء، ويهيئ له من أمره رشداً ورشداً، ويوليه إسعداً وسعداً، فوصل إلى بلاده ذلك الزمان، وصار مجيئه الحسا بعد آن.

وفيهما غزا حجيلان بأهل القصيم وبعض البادية، فسار يريد بني عمرو، وكنت للمسلمين معادية، فصباحهم بالغارة، فلم يشد كل منهم للحرب إزاره، بل جد وصدق في النجارة<sup>(١)</sup>، وقتل المسلمون منهم رجلاً، وأدركوا من الإبل منالاً.

### ثم دخلت السنة الثامنة بعد المائتين والألف.

وفيهما سر سعود، سلك الله تعالى به السنن المحمود، يريد الأحسا وإحصارها وتدميرها، وفجارها وفسقها وكفرها، وأرفاضها وأسوارها، وذوي الردة والذين أطروا شرارها، وقتلوا معلمة التوحيد وأضيافها وخطرها، فأغضبت ملك الملوك وقهارها، وأسخطت خالقها وجبارها، وغفر الذنوب وسدورها، فأسرع في المسير بالمسلمين، وقد اتفق رأي الموحدين على الحصار والمضيقة والمنزلة، وبذل الجد في الاجتهاد ولمقاتلة.

وكان زيد بن عريعر وإخوانه وجماعته حين تلك النزلة، في بلد الكويت نزلة، فأقربوا بعد مدة على لحس، فزادهم الله تعالى حرناً وأسى، وبقوا مع أهلها تلك الأيام، وهم مستعدون لفتاب أهل الإسلام، فلما كان آخر عاشوراء

(١) نجارة: نهج.

المحرم، عزم سعود على النزول وتقدم، فنزل على قرى الشمال، وكان في الشقيق<sup>(١)</sup> ستمائة من الرجال، فأضرمت نار الحروب، وأحاطت بهم سوء الخطوب، فأوقدت أعظم اوقود، وأحدفت بهم أولئك الضراغمة الأسود، فلما نزل سعود في ذلك المكان، خرج أهل الشقيق ومن معهم نحو ستمائة من العسكر من أهل العصيان، ووقع بينهم وبين المسلمين قتال، وقُتل ذلك اليوم بينهم رجال، فلما أضاءت شمس ثاني يوم بالنور، بدر المسممون إلى القتال فلم يكن من أهل الشقيق ظهور، فسار إليهم أهل الإيمان، وأرادوا البروز فما كان، وبقوا محتصرين في ذلك المكان، وجرى بينهم قتل بالبندق. قضى الله بالموت على من كان لأجله موافق، وشرع المسممون في قطع النخل، حتى من الله تعالى عليهم بالفتح والفضل.

فلما كان أول ليلة الثالثة حين استحكم الظلام، هرب من في الشقيق من أولئك الأنم، وتفرقوا في القرين<sup>(٢)</sup> والمطيرفي<sup>(٣)</sup> والمبرز، والكل طاب النجاة ولنفسه أحرز، فأتى الخبر اليقين إلى سعود والمسلمين في ساعة الهروب والانهزام، فأرسل أناس يحفظونها من أهل الإسلام، فألقوا من أهلها خالية، وأخذوا الأموال التي فيها حالية، لما كانت حمايتها عنها جالية، ثم بعد ذلك اجتمع أهل تلك القرى في القرين، وهموا بالاشتداد، وعزموا على القتال حين أرادوا تلك البلاد والأمداد، فأطال المسلمون عليهم المحاصرة، ونووهم بطول الإقامة والمصاراة، فكتب الله عليهم الهوان والذلة، وطلبوا من سعود الصلح عن لقرية والمحلة، فصلحهم عنها على نصف ذلك، فتدصفوا جميع ما

(١) من قرى المبرز.

(٢) من قرى الأحساء لشماله، تعد عن جهوف حوالي ٨ كم

(٣) تقع شمال المبرز

هذلك. من أمتعة وسلاح وحيوان، وجميع أنواع ائمال وطعم وغيره، وقسموا على تلك الحال، ونحا أهل لمطبرفي في ذلك المنهج، وكل من فرى أهل الشمال على المناصفة عرج.

فلم انقضى شأن الشمال في قليل من الأيام واليال، وطاعت تلك القرى، مما حل بهم واعتري، وذلت أنصارها وهانت، وألقى المقلید بعضها للإسلام ودانت، وأمر على أهل القرين بالجلاء عن الوطن، فكل ارتحل عنه وظعن، سار بعض الخيل والجيش إلى أهل المبرز، فخرجوا جميعاً ومعهم من عندهم من أولاد عريعر وفرسانه والكل قد أبدى شأنه وأبرز، فالتقوا مع المسمين، وجالت معهم فرسان الموحدين، وجرى في ذلك المجال طعان وقتل، فشدت فرسان التوحيد على تلك الجموع العظيمة، فلم يلبثوا إلا ساعة فشدوا في الهزيمة، وقُتل ذلك اليوم من أولئك القوم غدیر بن عمر وحمود بن غرمول، فرجع المسلمون إلى رحالهم ومحلثهم، بعدما جدّ الأعداء في هزيمتهم.

ثم بعد أيام نهذ المسمون إلى أهل المبرز مرة أخرى، وتقابلوا معهم عصرًا، وخرج أهل المبرز للقتال، وكان المعترك دون نخيل أهل الشمال، فتداعى الجميع في ذلك المجال، ولم يقدر فيه انقضاء آجل، فرجع كل إلى ما له من موضع ومال، فلما عرف المسلمون من أهل المبرز تلك الحال، واختبروا سيرتهم في القتال، سعوا لهم في تهیئة أسباب لحيلة والخدع، بإظهار بواعث انطمع والأطماع، حتى برغب أهل تلك الجموع والاجتماع، وليسمنروا للمسمين في انفاء واتباع، حتى يبعدو بهم عن تلك المواضع والبقع، ويحطوهم عن ذرى تلك التلاع، فلا يكون لهم صعود ولا ارتفاع، ثم بعد ذلك نكروا عليهم للدفاع، وبعضفون عليهم كصواري لسبع والنسور الحيع، فيكون حينئذ منهم هروب واندفاع، ورعب واندعار وارتباع، فشدد المسلمون عليهم في



الاتباع، بقنوب متوجدة عليهم ذات التباع، وأفئدة لم يفارقها حرور ذلك الافتجاع، ومواضع مصقولة الشُّبَا فحده باتر فطّاع، وأسة كلرق اللماع، سريعة الانتهاب للأرواح والانتزاع.

فلما كان يوم الثلاثاء شمر المسلمون للقتال في الإسراع، واجتمع من أهل الحسا ما لا يقدر عليه ولا يستطيع، ولم يطرق السمع في قتل العرب مثله سمع، حتى كادت ألبيب المسلمين أن تزين القناع، فدداها هاتف الإقبال بصوت ملأ الأسماع: قد جاءكم الفتح والنصر فلا ترجف القلوب ولا تُراع. فسكنت وراضت وكن منها لذلك قبول واستماع، وأقبلوا على أولئك الجنود التي عدت النفع والانتفاع، وقد عزموا على الوفاء لله تعالى وصدق الاتباع، وكُلُّ يُنْشِد بعد الحوقلة والاسترجاع، قول شعر مقدم شجاع:

أقول لها وقد طارت شَعاعًا من الأبطال ويحك لا تراعي  
فصبرًا في مجال الموت صبرًا فما نيل الخلود بمستطاع  
فإن الموت غاية كل حي وداعيه لأهل الأرض داع  
فصدقوا لهم الحملة، فامتقعت ألوان تلك الجموع من الرعب أعظم امتقاع، فكان لهم إلى الهزيمة إسراع بعد إزماع، ولم يحصل منهم ولله الحمد مطاعنة ولا نزاع، بل غالب تلك الأمم لم يقفوا ساعة في المجل، فضلًا عن الجلال والقراع، فجفلوا كغذم صحت بها أسود بقاع، فصدر لهم إلى البيوت معاجلة وانقطع، وقُتِل منهم نحو الستين ذلك اليوم، ومثلها في سائر الأيام فكان بها اقتناع، وانهزم زيد بن عريعر إلى بلدان المشرق، فلم يكن له إلى المبرز رجوع ولا ارتجاع، إلا بعد طلوع الشمس ثاني يوم حين عدم حال البلد بتحقيق الاضلاع.

ثم بعد أيام سار المسلمون إلى أهل بلاد ابن بطال<sup>(١)</sup>، فجرى فيها قتل كثير من أولئك الضُّلَّال. وانهزم جميع أهلها فلم يثبتوا فيها ساعة لمجال، وأخذ المسلمون ما فيها من الأمتعة والحيوان والطعام والأموال.

ثم بعد أيام سار المسلمون إلى بلدان الشرق يريدون عليها الإقدام، فهجموا على مضيق تلك الدروب، وطاف على الجبيل طائف الخطوب، فاقتحم المسلمون عليهم، وأرادوا الوصول إليهم. فوقع عند البلاد قتل وجَلَاد، ثم انصرف المسلمون إلى مكانهم، وارتجف أهل الشرق في أوطانهم، وبقي كل من أهل الإسلام تلك الليالي والأيام، يُجَدّ في القتال ويُجَدّ في الصرام، فأسرع المسلمون خصوصًا العربان، وسائر أولئك الأعراب والدوان، يبكرون صرم النخل والأثمار، ولا يبرحون عنه حتى يدبر النهار، وأهل الحسا في مضيقه وبأس ودمار. وضيق معيشة وحصار، فلما أراد الله تعالى أن يبرز في مقام الإظهار، ما قضه سبحانه لأوليائه واختار، ويسلك بهم الطريق السهل الخيار، وينشر لهم أعلام الظفر والتمكين والانتصار. ويستقر قواعد التوحيد في تلك القرى والأمصار، فيشتهر ذلك في سائر الأقطار. أتى براك بن عبد المحسن سعودًا، حرسه الله تعالى، فأخبره أن أهل الحسا لهم رغبة في الدخول في الدين وإقبال، وأنهم متقدمون على صدور تلك الأفعال، وأنهم يطبّون طريق الإيمان والإسلام. والالتزام بسائر الأحكام، فقال: ذلك لهم ولا يُرَدُّون، فعساهم لسييل الحق يهندون، وعن مهجع العي ينتهون، ولكن بخرجون لعهد إليا، ويفدون للمبايعة علي. فعاد له بالقول مرارًا، وقال: إنهم لا يقدرّون على

(١) أي: قرية الطلية، نسبة إلى من بدل أحد رجال الدولة لعبونية، وهي من قرى الأحساء الشمالية، نعد عن الهفوف حوالي ٧ كم.

مواجهتك خوفاً منك وفراراً، ولا يستطيعوا إلى ذلك المكان إحصاراً. فاستعان براك بكبار أهل التوحيد، على إنجاح ذلك الرأي السديد، فساعدته أهل الدين والإسلام. وقدموا معه أتم لقيم، حتى سجع ذلك الأمي والمرم، وانفق الرأي والانتقام. بين براك وكبير أهل الحسا أن سعوداً إذا ظعن عن ذلك المكان والمقام، وفرغ من الأثمار والصرام، أنك تأتينا ونبيعك على الإسلام، ونخرج زيد بن عريعر وإخوانه، ونفيه هو وأعوانه. ولعل هذه حيلة وخديعة، إذ لم تكن نفوسهم بمجيئه لهم مطيعة.

فارتحل سعود، بلغه الله تعالى المقصود، حين ألح عليه إخوانه في ذلك الشأن، وقلوا: عسى أن يكون هذا سبباً لهم في الإيمان. وجد سيرة يريد لأهل والأوطان، وقد نال أبهى الأنس والسرور والتهان، وأزهى صلات البر والجود والإحسان، فلما وصل سعود إلى تلك الدير، زال عن الحسا ذلك الخوف والرعب والحصار، وبرحوا على ذلك مدة أيام، وقد وجدوا بعد ذلك لذة المنام، وزال ما بهم من الهم والأسقام.

حتى كان من براك عليهم مفاجأة وإقدام، يريد ذلك العهد منهم والإبرام، والوفاء بما عاهد عليه أولئك الأنام، وقال لهم: هذا وقت الوعد، فقد وصل سعود إلى نجد، وقد حان حين الوفا، فأيكم وسلوك طريق لخلف والجفا، فتصبرون من الهلاك على شفا. فأبوا إلا الخلف والإخلاص، وركوب متن الإحناف، فلم يحصل بمرامه إسعاف، وثر بينهم القتال، واختلفت كلمتهم بعد ذلك الحان، وافتقرت قلوب تلك القبائل، فكدر الله تعالى بهم مذبلاً وحذلاً، فلم قبلوا نصحاً لقاتل. ولم يروصوا إلى عدل عدو، فتعد فيهم حكم الحكم العادل، والقضاء الدفد الفاضل.

فاصرف عنهم براك، بعد أن لم يحصل على إدراك. وخرج إلى النادية، ثم

بعد ذلك كانت خيله عليهم عادية. وقدم عليهم في رمضان، وجرى القتال ولطعان. وخرج جملة من أهل الدين من السباب<sup>(١)</sup> مجتمعين، وكبيرهم سيف بن سعدون. فكانوا للقتال كل يوم ينهدون، واجتمعوا في قرية الجشة<sup>(٢)</sup>، بعد أن لم يدركوا في المبرز حية، فكان ذلك إلى الفتح ذريعة ووسيلة. فاجتمع أولاد عريعر محمد وإخوانه. وجميع جيشه وأعوانه، وأهل المبرز وأهل الصفوف. في بند الجفر، وكانوا مما لا يضبطهم الحصر، فمكثوا فيه أيامًا، وأطالوا فيه مكثًا ومقدمًا، وكل يوم وحين ينهد إليهم برّاك والبدو والسياسب مجتمعين، ويقع بينهم طعنٌ وطعان، ومجادلة خيل وفرسان، وتلاحم ومصادمة واقتران، وقُتِلَ بينهم رجال في تلك الأيام والليال، والكل بيدي الصبر في حومة المجال. حتى أراد الله تعالى صلاح الحال، وحسن العقبة للمسلمين والمك. فأدخل برّاك الهفوف باحتيال، فطاب له حينئذ القلب والبال. وتم له السرور والإقبال. وهرب أولاد عريعر دويحس ومحمد وماجد، وكثُر من الخاصة مساعد، وأقبل برّاك إلى المبرز صبيحة ذلك اليوم، فتلقاه بالقبول أولئك القوم، وأتوه لأجل السلام والتهنئة بالقدوم والإقدام، وإنجاح السؤال والمرام، فطلب منهم المعاهدة على الدين والإسلام، والالتزام بجميع الأحكام. فعهده على ذلك وحدانا ومجتمعين. والتزموا. لقيام بتوحيد رب العالمين، فوفى العهد طوائف وحمائل وآحاد في الفرقن غير منحصرين. والرفضة وكثير من غيرهم دخلوا في ذلك لعهد مكرهين. وودو لو أصبحوا له لأكثس، ولكن الله ضرب عليهم الذلة حوله إلى يوم الدين. ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾.

(١) مر بي خالد.

(٢) بعد عن الهفوف حوالي ٢١ كم

ثم بعد صدور ذلك الأمر وإبرامه، وتحقيقه وإحكامه، وجريدان شرانغ الدين في الحبس وأحكامه، كتب برك إلى عبد العزيز لمزيد إخباره وإعلامه، فسُرَّ بذلك الإخضر والإعلام. وبدر بالحمد ولشكر لمولى الإنعام. على ما حب أهل الإسلام من هذه المواهب الجسم، فامر عبد العزيز براك بن عبد المحسن أن يبذل في الدين جهده، وبوفي عهده ووعد، ويُجلي ابن فيروز<sup>(١)</sup> وأحمد بن حبيب ومحمد بن سعدون، فجلُّوا بعدما ألزم عليهم براك يخرجون.

وفيها غزا محمد بن معقل مع أهل الوشم وأهل لقصيم وأهل الجبل، فسار بمن معه من المسلمين على غير مهل، حتى أناخ بدومة الجندل<sup>(٢)</sup>، فحط فيها رحله ونزل، ثم أخذ يُحاصر أهل تلك القرى، ويُضيق على أهل الزبيغ والافترا، ويفجئهم كل يوم بالقتال، ويغديهم بأعظم الفعّال والأهوال، حتى ضاقت بهم لحال، وكلهم دانوا بالإسلام بعد إذلال، ولم يبق من تلك لقرى إلا قرية بني سراح<sup>(٣)</sup>، فلم يكن لها إلى الدين ارتياح، واجتمع عنده كثير من الأموال، فأعطى منها آل درع وكانوا مقاومين لابن سرح، ولهم تقدم وإقبال، وكنوا في حصر شديد ليس عليه مزيد، وقد تمسكو بما منحوا وأعطوا، فلم يندسوا وجوههم بغبار الردة ولم يخطوا.

(١) محمد بن فيروز (ت ١٢١٦هـ)، حامل لواء معارضة لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في الأحساء، له ترجمة في «السحب لوابلة» (٣ / ٩٦٩)، وستأتي قصيدته في تأييد والي العراق على لدولة السعودية، مع رد بن غنام عليها. ولكن: تأمل كيف اكتفوا بإحلاله رغم عداوته ونأليته.

(٢) دومة الجندل تعني: قمة الحجر، وهي تقع على مسافة ٥٠ كم جنوب مدينة سكاك.

(٣) دومة لحدل مقسمة إلى أحياء، في كل حي عدلة كسرة أو مجموعة من عدلات، منها حي السرح، وحي لدرع.

وفيهما غزا إبراهيم بن عفيف بن بأهل الخرج والعارض وأهل سدير، فشمر ساعده للجد في السير، حتى وصل إلى بلد الكويع بعد الهجوع، فأناح يهيم ما معه من الجموع، فلم تنحل الغهب حتى فرغ من تلك المطالب، ورتب الحبش والكمين، ثم بعد الإسفار أغارت خيول المسلمين، فخرج مقاتلة أهل البلد مجتمعين، وناوشوا المسلمين القتال، وعقدوا للحرب المجال، ثم بعد ذلك ظهر عليهم الكمين، فولّوا مدبرين، وعمدوا إلى البلد مسرعين، وقتل المسلمون منهم نحو الثلاثين، وأخذوا عليهم غنماً كثيرة، وأسلحة ثمينة شهيرة، ورجعوا إلى بلادهم فائزين، وللمال والأجر حائزين.

وفيهما غزا هادي بن قرمة رئيس قحطان، ومعه محمد بن معقل وأهل الوشم ومطير وعربان كثيرة من البدوان، فلم يزل في ذلك النهج سائر، حتى صبح عرباناً كثيرة من البقوم وبني هاجر، وذلك أنه قرب منهم والليل داج وداجر، والظلام مجتمع العسكر، فلم يرّعهم إلا ركم العيثر، والجياد التي كأنها الرياح السوائر، ولمعان المرهفات البواتر، والأسنة التي تفتت في الصدور والمراثي، فراموا الجلال ووطنوا عليه نفوسهم فأصبح كل على ما أصابه صبر، حتى أراد الله أن يدير من البلاد دائر. على أولئك المخلفين لأمر عالم السرائر، فشد عليهم المسلمون، فأضحى جواد عزهم منكسر عاثر، فقتل ابن شري المسمى ناصر، وأرادوا بعده الثبات والتحد، حتى دهمهم ما لا يستطيعه الصراغم في الأجسام والخواضر، فأصبح كل منهم يريد السجاة لنفسه نائر، وعن حومة الوغى بعد شدة ذلك البأس هارب نافر، وأخذ المسمومون منهم نحو ثلاثة آلاف من الإبل لكل ضابط وحاصر، وآب جند الصلال خائباً خاسر.

تم دخلت السنة التاسعة بعد المائتين والألف.

وفيهما غزا سعود، أيده الله تعالى بالنصر والسعود، وكان عربان الشمال له

مراد أو مقصود. فسار بالمسلمين بطوي منشور البيد، بأبدي اليعملات على العنق والنوخيد، ويؤم مطع السها و لفردين، ولم يبال بما حصل لعيه من الكلال والأين. ويسكو إله طول السرى وحلول لرى. قلوب الكمت ولرواحل، ونحن إلى الورود من فرط البعد ومدومة لوخذ. فبعلها بزال المذهل، وكان لمطالعة القطب لا ينفك ولا يزال، ولا رتعب النصر والظفر في ذلك الوجه في رجاء وآمال، حتى لمع ضياء البشرى والسرور في ساجي ذلك انديجور، وطلع له كوكب الإقدا والحبور، وهبت على أعدائه ريح الدبور، فجاءته طلائعه وعيونه بالتهان، بأن القواسم ه هنا وكبيرهم ابن عفيصان، وهم عرب من آل ظفير، فكانوا قبلته وواقه في ذلك المسير. فصبحتهم في أرض الحجر<sup>(١)</sup> غارته، ولم تسبقه عليهم نذراته، بل فجأته بحصول مراده بشارته، وبغت أولئك السيف دماره وخسارته، فلم يستطيعوا مع المسممين الجولان، ولم يعقدوا لحومة الوغى والبأس ميدان، بل نوش منهم بعض الفرسان، وراموا قليل طعن، ثم شمرو في الهزيمة من غير توان، وقد أخذ المسلمون منهم إبلا كثيرة، وجميع المحلة والغنم، وكان الإبل ألف وخمسمائة بعير على سبيل التقين لا التكثير، ورجع المسلمون إلى البلاد، وقد حفهم لإسعاد.

وفيها جرت وقعة سعد بن قطنان. وكان قبل ذلك قد أبدى للدين إذعن، وأسم قبل ذلك الزمان، فأراد أن يتبين على أهل الضلال وعبد الأوثان. خصوصاً لبدون. فبنى قصرًا محكمًا. ثم بعد ذلك تبين في الدين معنًا، وجهد من أهل ديه من لم يكن مسلمًا، فسلو منه ذلاً وهواناً وندماً، وأساقاهم كؤوسًا منزعة دمًا، حتى حاولوا فيه مأثمًا، وهبأوا له أمرًا محرماً. فشرطو

(١) مطقه و معة تقع شمرا شرق مطقة ندهاء إلى الشرق من لسة، وكنت من بلاد نضير

لاثنى عشر رجلاً، كل واحد منهم في البأس مفضماً، على قتل ابن قضن دراهم كثيرة بأخذه كل واحد منهم مغنماً، وينتقده بعد الفعل مسلماً، فعند ذلك حد كل واحد فيما كان ملترماً، فأبدوا للغدر والمكر حيلة وشئماً، فهاجروا إلى قصره مبدين للدين علماً، وأقاموا أياماً يدبرون لما راموا أمماً، وقد واعدوا رؤساء أهل دينه على يوم يكون مجيئهم فيه متقدماً، فلما كان بعض الأيام وشرع في الصلاة من كان لها مقدماً، جاء جمع كثير فدلى كل واحد من ذوي المكر له حبلاً ورمى، فصعدوا جميعاً السور ونزلوا وحمي الحرب واحتفى، ولعب الباطل بينهم وارتمى، وانتخى كل بنخوة الجاهلية وانتمى، فقتلوا غلب أهل القصر فصاروا شهداء رُحماً، وأخذوا أولاده فأرسلوا الكبير إلى الشريف فجعلوه في حبس الدّم، وجاء بقية أولاده عبد العزيز فأعطهم أموالاً كثيرة وإبلاً شهيرة، وانصرف كل منهم محبوراً مكرماً.

وفيها غزا سعود، خلد الله تعالى له الإقبال والسعود، فسار بالمسلمين يريد عربن القبلة<sup>(١)</sup>، وقد تقدمته طلائع العز والسعد قبله، فجذ في طريقه وقد باره النصر والإقبال، وجاراه التأييد والظفر فلم يكن لهم عنده انفصال، ولا مفارقة ولا زوال، فسم يزل يدأب السير والترحال، ويديم إنضاء الأعوجيات<sup>(٢)</sup> على اتصال، حتى أراد الله تعالى من تلك الأمكنة علوة وقربة، ومنحه طلبه أي طلبه، وذلك أنه نزل على قرى تربة<sup>(٣)</sup>، بعد أن طلع بعض العربان من دعة ذلك المكان، فحوى بينهم منوشة طعان، ثم انهزموا بعد ذلك حتى توغوا الحرار، فلم يكن عليهم توصل ولا اقتدار.

(١) من سبع

(٢) في (سنان نعرى) «وأعوج: فرس سدوق ركب صعباً وعوجت فوائمه، و لأعوجية مسوبة إليه»

(٣) تعد عن مدينة الطائف ١٨٠ كم من لحوب السرفى



ثم بعد ذلك أقام سعود في تلك الأراضي، ولم يكن له عن حصار القرى إعرض، فاستمر محاصراً لأهل تلك البلاد، وكل يوم يصدره منهم قتل وجهد، ومصابة عند التسور وجلاد، وكل يوم يحمل أهل الإسلام على الأسوار، ويرومون التسور على اليد والانحدار، ويقسون من أولئك الفجر من طلائع الموت ما يزيغ الأبصار، وقُتل من أهل الدين والإسلام، في جميع تلك الأيام، نحو عشرة رجل، كان لهم على الشهادة آجل، منهم محمد بن غشيان، وكان يعدّ من الأبطال الشجعان، وقتل من أولئك قريب من ذلك.

ثم شرع المسلمون في قطع ما لأولئك الأقوام، من تلك لنخيل العوام، ويخربون فيها كل يوم، حتى كادت تنفث مرائر تلك القوم، حين رأوا قطع تلك لنخيل الجليلة، وأربابها عن حمايتها محصورة ذليّة، ولم يكن لهم سبب إلى سلامتها، ولا وسيلة غير المصلحة عنها، وكان ذلك لهم حيلة، فصالح أهل قريتين سعوداً على نخيلهم، وقطع نخل قريتين لسوء فعلهم، ثم بعد ذلك الحال وانقضاء المراد على الكمال، عزم المسلمون على الارتحال، فساروا على تودة وتمهل، من غير غنو في السير ولا إيغال.

وفيها غزا إبراهيم بن عفيفان. يجمع من أهل الخرج والفرع والبدو ممن يدعي الإيمان، فسار يجد السير لنير المراد، حتى أنخ من فطر على بادية تلك البلاد. فأغار عليهم؛ فناروا<sup>(١)</sup> فوراً وتركوا الجلاذ، فأخذ ما عندهم من مال، من أمتعة وغنم وأبل، وقدم بذلك بلد الاحسا، وأقام يبيع ذلك فيها وأرسي. ثم بعد فراغه أصبح فيها وما أمسى.

(١) - رو: هربوا.

ثم دخلت السنة العاشرة بعد المائتين والألف.

وفيها أظهر الشريف عائب عساكر كثيرة، وحنودًا غزيرة، ورأس عليهم فهيد الشريف، فرلت عليه البوداي كل سلف وفريق، وسلكوا للشر كل طريق، وأقبلوا يريدون ابن قرملة، وكنوا على ماء يقال له ماسل<sup>(١)</sup>، فأقبل عليه تلك الأجناد والقبائل، وأتوه بعد قتل عيونه على غرة، لينفذ الله أمره، فدهموه وأهله في شعب من الشعاب، وقد ملكوا عليه فم ذاك الشعب، فلا يمكنه خروج ولا ذهب، فطعنهم زمانًا طويلًا، وقتل منهم ثلاثين رجلًا، وقتل من خيل ابن قرملة نحو عشرين، ثم انهزم ابن قرملة، وأخذ الشريف تلك القوم المجتمعين، ولم يقتل سوى رجل واحد من المسلمين.

وفيها غزا سعود، يسر الله تعالى له كل مراد ومقصود، فسار بالمسمين يعتسف من الفيافي السهل والصعاب، ويطوي من أديم الموامي كل موحشة يباب، لا يُسمعُ به غير أصوات العرج والذباب، يظل فيها القط فراخه فلا يهتدي، ويحير الخريت في مهامه فيتقنع قنع الموت ويرتدي، وتروح على رياضه اليعافير<sup>(٢)</sup> وتتدي، لا يرى بقفرها أنيس، ولا يبصر في لاجبها آثار العيس، مظمنة لا يدرك فيها ما يبيل صدى الظم، يحاكي لون أديمها زرقة السماء، مغبرة الأفق والأرجاء، يحس الساري بها بما للجن فيها من الغمغة والزمزمة والأرجاء، فلم يرل تدأب لمطي في ذلك السبر الإعاق، والأطاح تسبل منها بتلك الأعاف، حتى قطع بصارم لعرويين تلك لمفز، وأراد مولاه لمراده إيجاز، حتى تبين له من سواد الحرة ذلك الحجر، وبدر له منها ذلك

(١) قول ابن بسر (١ / ١٠٣): «الماء معروف في عالية حد»

(٢) نعلان

لمدر، وألقى لها الحجر عند أولئك العرب، وذوي الضلال والعصيان، وكانوا أسلاف، كبرهم بن مجبور من العتبان، فمد لها ضول الراحة بعد هزيع من الإعدام، وسجى داجر الإطلام، إلى أن شدت عسكر لطلام، في الهروب والانهرام، ونادى المذدي بدعوة الإسلام، وأذن للصلاة بليقيم، وقصيت على الطمأنينة والتمام، وكان لدعاء بعد ذلك ختام، نبيل التوفيق والمرام، فأسرعت لرجل إلى الرحال، وأطلق الركب من الاعتقال، وأسرعت الأبطال إلى الجياد، وتسمنوا شهواتها للجلاد، وشرع كل منهم سنامه، وسأل مولاه الإعانة، وجردت القواضب المرفقة، وشنوا على أولئك العرب عارتهم المرجفة، وشهواتهم المتلفة، فانتدبت فرسان الشرك والضلالة، وأقبلوا فرساناً ورجلة، وجلوا في الحرب مجله، ثم أنزل الله تعالى عليهم الذلة والبأس، فانهزم ذوو الضلال والإبلاس، وأخذ المسلمون جميع أولئك الناس، وولّوا على أعقابهم، وتوعروا في الحرة في ذهبهم، وعجل الله تعالى لهم بعض عقابهم، فشد المسلمون خلفهم في ذلك الأثر، حتى أعبهم مقاساة ذلك الحجر، وخشوا على أنفسهم وخيلهم من الضرر، فرجع كل واحد منهم وصدر، وأخذ أهل الإسلام المحلة، وشتت الله حزب الشرك وقته، وأخذ من الإبل نحو الألفين أو يزيد، ورجع المسممون بالأجر والمزيد، وأخذ أيضاً عشرة آلاف من الغنم، وغنموا أعظم مغتتم، وقُتِل ذلك اليوم من المسلمين سبيل، وكان مقداماً نبيل.

وفيهما غزا قاعد بن ربيع أمير الوادي، فساد بجمع من قومه يريد من هو للمسلمين معدي، وأدلى في ذلك الزمن، وهجر لذة الوسن، حتى رأى من بي هاجر<sup>(١)</sup> فريق آل ضمن، فاستقر بالله واطمأن، وثبت قلبه وركن، فصبحهم

بالعرة المجيدة، فكانت أسسته لهم عامدة مفيدة، ومرهفته لهم مبيرة مبيدة، فقتل منهم فوق الأربعين، وأخذ ما عندهم من خيل وإبل وعصم، وولي قليل من الرجل منهزمين.

وفيها أظهر الشريف غالب جموعًا وأجناد، وعسكر من كل قرية وبلاد، وانضم إليه أهل بلدانه، وجميع أعرابه وبدوانه، فرأس فيهم ناصر بن يحيى الشريف، وأمرهم بمصادمة بوادي الدين، ومن هو منتسب للمسلمين، فخرجوا يقتحمون السهل والوعر، ولا يصدهم عن مرادهم الضجر، فلما تحقق عبد العزيز ذلك الخبر، وشاع بين الناس واشتهر، أرسل العربان المسلمين من قبلة نجد، وأعدمهم بما عزم عليه الشريف من ذلك القصد. وأمرهم أن ينزلوا بالأهل والأطعن، على هادي بن قرملة كبير قحطان، وأمر ربيع أمير الدواسر والوادي، أن يظهر مع جيش من قومه وينزل على هادي، فالكل من أولئك الأقوام أسرع الامتثال، والقيام لأمر عبد العزيز الإمام، وبادروا لذلك المهم والإعانة في دفع ذلك المدلهم. فلم تمض قلائل من الأيام حتى اجتمع أولئك الأنام، على ماء بنجد يسمى الجمانية. فالتأمت به تلك الأمم البداونية، حتى كان آخر الأيام الشعبانية. نزلت تلك الجموع الشيطانية، وأبرزت من البأس وفرط الإبلاس. واختلاف الأجناس، ما يدهش العقول الإنسانية، ويرعش القلوب الجنانية، فلم بدت الغرة الرمضانية، تلاحمت الفرسان العربانية، وشرعت الحراب لسناميه، وجردت السيوف الهندوانية. وقتل ذلك اليوم أبو محبوب من الأبطال الفرسانية، وانفصلت جميع الأمم الفرقانية، لما غابت الأنوار الشمسانية.

فلما طلعت شمس ثاني رمضان، تداعى عند ذلك الكماة السجعية، وحملوا حملة هائلة ظلمانية. ووصلت تلك القوى الحسمانية والقلوب الصلدانية، ودرت تلك العجاج الدحانية. واصطلمت تلك المدافع النيرانية، فأعلن عند

تلك الأمور الهائلة العيانية، أهل الدين والإسلام بشعارهم تعظيم الصمدانية، والإعلان بكلمة التوحيد والوحدانية، فهزم له جميع تلك العدوانية، وحف المسلمين البصر والظفر من العناية الرحمانية، وتفرق أهل لصلال في حلال العقبات الشعبانية، وقتل منهم نحو ثلاثمائة رجل، وأخذوا من الإبل والغنم ما لم يُنل مثله ولم يُرم، وأخذوا جميع المحلة والأزواد والطعم، وتلك المدافع المجرورة ومنصوب تلك الخيم. وكان الغنم التي حصلها المسلمون ما تبي ألف، غير ما قضى الله تعالى عليه بالحتف، وعدد ما استولوا عليه من الإبل ثلاثون ألفاً، من غير خطأ ولا ذل، وقُتل من المسلمين رجال، وان-هزم الأعداء بأقبح حال.

وكان محمد بن معيقل قد أرسده عبد لعزير لعربان المسلمين مدداً، فلم يأتهم إلا بعدما فرق الله تعالى المبطلين عدداً، وجعلهم فرقاً وبدداً، وكان قدومه عليهم بعد يومين، فأطلب بني هاجر ولم يبال بما معه من الأين، فأدركهم على ماء يقال له القنصلية، فأغار عليهم وقتل نحو الأربعين من تلك البرية، فشدوا في الانهزام بعد تلك القضية، وكان هؤلاء الأعراب شمروا في الانهزام بمالهم والذهب، حين رأوا جيوش ابن قرملة على قومه مربين، فعاجلوا بالانهزام مدبرين، فاجتمعوا على ماء القنصلية<sup>(١)</sup>. وظنوا أنهم قد أحرزوا أموالهم، فخابت آمالهم الظنية، وحواد كلها ابن معيقل، وعزز به تلك القضية السوية، وانصرف بنيل أمنية.

وفيها غزا مبارك بن عبد الهادي، ومعه من قومه من أراد الجهد من بين حاضر وبادي، فسار في عزمه ذلك ومرامه، يجد السبر والسرى في جميع لباله

(١) قال ابن بشر (١ / ١٠٥) "قرب سد ثربه".

وجميع أيدمه، لم يشه انصب، ولم يسأمه النعب، فبحل عند همته وأحكامه، حتى قرب من أرض بجران، فألقى هناك بعض البدوان، يسمون آل الهندي<sup>(١)</sup>، فكان حينئذ للغارة عليهم مبدئي، فلم يشعروا إلا بهتزاز الرمح وبريق الصفح، فانتفضوا جميعاً للقتال والكفاح، ولم يتخلف إلا من ليس عليه جناح، فتطاعنوا ساعة وزماناً، ومكثوا للجلاد حيناً وأواناً، ثم انهزموا بأفضع حال، وقتل المسلمون منهم ثلاثين من الرجال، وأخذوا جميع ما عندهم من المحلة والغنم والآبال، وانصرفوا في أحسن حال.

وفي شهر رمضان من سنة عشر بعد المائتين والألف.

براك وآل الحسا من تحت إمام المسلمين، لمعت للفتنة بوارق، ووحث للفتنة بوائق، وفاح للشر عَرْفٌ وشذا، ولاح طالع الحس والأذى، واستبطن البغي والغدر، واستعلن الفحش والنكر، وعصفت للخيانة رياح، وظهر على الفساد البُشْرُ والارتياح، وعلتهم من الفرح نشوة، وزادت قلوبهم على المسلمين قسوة، واستشق المسلمون للمكر عَرْفٌ، فلا يستطيع أن يرجع في المنكر حرفٌ، بل يوم ينتظرون يلاقي حتفًا، فاستمرت الحال أيامًا وليال، وبطانة الشر تعلو وتزيد، وتضمّر البطش بأهل التوحيد، ولكن ليس عن ساحة الصبر من مجيد، فيما أراد الله تعالى إنفاذ الوعد والوعيد، وتهيئة أسباب التمكين لأوليائه والتأييد، وهلاك مَنْ أراد هلاكه وخذلائه، ودل مَنْ أراد ذله وهوانه، قدح زنادها وحقق ميعادها، فأورت بالشر نرها واستطار لهبها وشرارها، وسمى جهازًا منارها، وأعلن أصحابها وأنصارها، وتآزر بإزار العدر شرارها، وارتدى برداء الفتك فساقها وفجارها، وبقيت ثمر بين أهل لفجور تلك الشهور.

هنا، والمسلمون من أهل الحسا بين لعن وعسى، وكلّ تجرع مرارة الخوف واحتسى، وتدرّع بدروع الهم واكتسى، وكابد حرارة الغم والأسى، وقلوبهم بين رجيف واضطراب، ووحف وكتاب، إلى يوم للمنية في ارتداد، وفي حطم البلية في احتساب.

هذا، وإمام المسلمين عبد العزيز، أدخله الله كنفه الحريز، يُرسل المكاتب ويكثر فيها المعاتب، ويُعمل الرسل والإرقام، في كل أسبوع من الأيام، إلى براك بن عبد المحسن، ويحضه على نفي المنيء والإحسان إلى المحسن، وقد اهتم بذلك والله هذا الإمام أشدّ لاهتمام، وأمره أن يقيم الدين أشدّ القام، وأن يشيد قواعد الدين، ويبيد جملة المبطلين، ويزيل من الشرك أصله وأساسه، وينفي دعااته وأناسه، ويقيم على الحق والهدى، ويشردّ أهل الزيغ والردى، ويبتهل بإقامة السنة، ويتبع منهج الرسول الذي سنّه، ويأمره بإعلان شعائر الإسلام، وإخلاص الدعوة للميثك العلام، وإيقاع الخمس الصلوات في المساجد والجماعات، ويبدل له النصيح سرّاً وجهراً، ويبين له أنك إن فعلت هذا نلت عزّاً وفخراً، وخويت من مولاك عزّاً ونصراً، وأعظم لك ثواباً وأجراً، وقد ألزم عليه في ذلك أعظم الإلزام، وأمره أن يفى بما عاهد عليه الله حين دخوله في الإسلام، ويفعل ما شرط عليه حين عقد الإبرام، وما التزمه في الحجة من الأحكام، من نفي أهل الباطل والفجور، وطرد أصحاب الفساد والشرور. كما هو في صحيفة العهد المذكور، وفي حجة العقد مقرر مسطور، فلم تغن النصائح والإنذار، ولم يبادر بما دُعيّ إليه من إزالة الأشرار، ونعذر من الإمام في عدم القيام وعدم الوفاء بما عاهد عليه، أن هذا لا سبيل إليه، وقد أعيا الرأي والفكرة، وليس إلى حلاء رؤس الفتنه من قدرة، لما يؤدي إليه الحال، وسرقب في المآل، من الاختلاف والتشقق، وفنام أهل لرفض والنفاق،

واجتماع أهل الزيف والباطل، على أهل التوحيد والأفاضل، والأمر يوحد على مهل، ويُتدبر أن الأمر حاء على عجل، وأن الفتنة قد حزبت أحزابها، والبدعة قد نخت كمارها وأربابها، وأر الله تعالى قد حقق على الرافضة خرابها، وكبت على فساق تلك البلد ذهابها، وأبدى لهم جزاء ردتهم الأولى وعقابها، وبين لهم شؤم الخيانة ومآبها، وما أشقى به أهلها وأصحابها.

هذا، وأردية البلاء تُنسج وتُحاك، ويسعى فيها كل فاجر أفك، إذا غسق الليل ودجى الأفلاك، وترامى شرد الباطل في الأفلاك، وكان ذلك يسعى في نسج تلك الأردية والبرود، وعقد تلك الألوية لضالة عن المنهج المحمود، من هو في كل فتنة معدود، وفي كل مقام على المسلمين مشهود، رأس الفتنة ورئيسها الذي يثبت على أصلها وتأسيسها، ويرسي عليه عمودها، وتورق به أغصانها وعودها، وتثبت أوتادها وأطنبيها، ويفتح بشؤم فكره بابها، وذلك لكونه لا يزال سميرًا للفساق والفجار، وظهيرًا للعصاة والأشرار، وهو صالح النجر، فكان إذا هداؤ الناس، واشتد ظلام الإغلاس، أخذ بالشر والإبلاس، فركب دابته وجد وقصد، قصر علي بن حمد، فأحكم الرأي والمشورة، وعرض عليه تلك الأمور المحظورة، ثم سار من عنده وأجمع محكم قصده، ونحا على الحبابي وقصد، وأحضر ابن عقّات واجتهد، وظن أنه لم يشعر به أحد، لكون هذا السعي والاجتهاد، وإعمال المسير والترداد، إنما هو في الليل، وفي النهار يُظهر للمسلمين المصاحبة والمبيل، والمسلمون يعرفون حقيقة حاله، وقبيح ما يظلمه من فعالة، وقد أرسلوا الرسائل والكتب، وجَدُّوا في الطلب، وأعملوا المَطْيَّ بالإنعام، إلى عبد لعربز الإمام، يطلبون منه النجدة والمدد والعدة، ويحثونه على النصر والانتصار، وقد بسوا له جميع الذي صدر، وما بدا لهم من الشئ الذي ضار، وأشر الذي ارتفع له غبار، وكذلك أرسلوا إلى الأمير سعود بأن



يسعفهم بالمراد والمقصود.

وكن حينئذ، حرس الله مهجته وأدام عزه ودولته، منيخاً قرب شقرا، فلم  
جاءته الرسل من المسلمين، ومن ولده، متع الله به المسلمين، وقمع به أعداء  
الدين، أحضر وجوه الغزاة للمشورة فيما يراه، وم عزم عليه وأبداه، وبين لهم  
ما يراد بأهل التوحيد من أهل الحسا، وما خالطهم من الخوف والأسى، وقال:  
أريد أن أعجل لهم المدد، قبل أن يقع بهم الفتك من تعاهد عيه واتعد، حتى  
يكون لهم عوناً، وينقى العدو به ذلاً وهوناً، بل ربما يكون مجيئه البلاد سبباً  
لبطلان ذلك العهد والاتعاد، وتخدم بمجيئه نذر الفتنة التي توقد كل ليلة غية  
الإيقاد. فأرسل وهو في ذلك المكان، إبراهيم بن عفيصان، ومعه مائتا مطية  
تعبجلاً للرعية، واستدفاعاً لما أعد من البلية، وما عزم عيه من الردة الردية،  
وكان ذلك رأياً مباركاً ميموناً، خالياً من شوائب النحس مصوناً، وحزماً شبه  
مرهفاً مسنوناً، وعزماً حاز المسلمون به ركوداً وركوناً، فلما أقبلت الرسل  
إليهم، وقدموا عليهم، وسمعوا كلام البشير، وتحققوا المجيء والمسير،  
وفهموا قرب مكان الطليعة، عرفوا أنهم ليس لهم حيلة ولا دريعة، وأنها ليست  
لهم بممنعة ولا منيعة، إن لم يسارعوا إلى ما عليه عزمو، ويعجلوا ما عقدوه  
وأبرمو، وينفذوا ما نوهوه وأحكموا، ويبدروا المسممين قبل قدوم المدد  
المقبليين، بما أجمعوا عليه من الفتك، وندبوا إليه من الخيانة والهتك، ونصب  
أعلام الارتداد، ورفعها بين العباد، وشهرنها عند الحاصر والباد، قبل تلاحق  
الأمداد، لكي يغمسوا كافة أهل البلاد، في متن تلت الأقدار، ويضمخوهم  
بهايتك الأوضر، ويدخلوهم في دائرة الهلاك والأخطار، فأبى الله العزيز  
القهار، ألا يكون ذلك إلا على الرافضة والمساق والفجار، فلم آن أن يبدو  
للمضاء الأزلي آذر، وبظهر بعض ما انطوى في الغيب من الأسرار. وحن

الحبى وحق المكر بالأسرار، ولمع بارق قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ بِمَرِّ عَقَبَى الدَّارِ﴾.

وأقبل ظلام ليده الفتنة وسجى، واسودّ فيها محلولك الدجى، وأرخى الظلام فيها سدوله، وفقد الأفق من البدر أفوله، حتى أتى أهل الضلال والردى، والذين يريدون الفتك والاعتداء، من الرفعة والنعائل<sup>(١)</sup>، وغرهم من الأراذل وسفلة القبائل، رئيسهم النجار وأنيسهم، إذا انسخ النهار فاجتمعوا عنده، وعرف كل منهم قصده، وعادوا الرأي تلك الليلة، وأبرموا التدير والحيلة، بأن تقتل من فيه من أهل التوحيد كل قبيلة، بل سمى كل من المتعاهدين قرينه وقتيله، وبينوا التدير والاحتياي، وصمموا على الفتك والهتك والاعتيل، وبارزوا بالحرب شديد المحال، ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾.

هذا، والأنداز على المسلمين تتوالى، والأخبار تتلى عليهم وتتالى، فلما أراد حقن دماءهم عليه السلام، وخذلان من ساعد على الفجور ووالى، وتعذيب من اجتمع على الأولى والثانية وتمالى، والباسه في الدني هواناً وإذلاًلاً، ومقاساته تنكيلاً ونكالاً، نما ذلك الخبر وفشا ذلك فظهر، بعد أن خفي واستتر، وتحقق أمير السياسب سيف آل سعدون، ما هم له مستعدون، وما هم عليه مجتمعون، فأحضر المهاجرين من إخوانه، وأخبرهم بقصته وشأته، مع أنهم كانوا لذلك مستيقنين، وللخيانة مسنيقطين، وللغدر كل يوم متوقعين، إلا أنهم كنوا على الله متوكلين، وللموت نفوسهم موطين، فنسق رأيهم وانتظم، أن يرسلوا إلى من يخشى منه الردى من حماعتهم ويتهم، ومن دخل منهم في الحلف وعزم،

فلما أحضروهم كافة، ووضحوا لهم سبل المخافة، وما يترقب على ذلك من الافة، وأن أهل الشر والفساد، يريدون غداً الارتداد، وليس لهم غير مراد، وجيوش المسلمين والأمداد، تطعع عليهم بكرة أو روحة بالنصر والإمداد، فتالوا بدلت غاية السعد والإسعاد، وتدخلوا في طريق الرشيد والإرشاد، وترفضوا منهج من نوى السوء وكاد، ونحا قاصمة الظهر وأراد.

فكن، ولله الحمد والمنة، ذلك النصيح أزال عن قلوبهم الأكنة، وصار ذلك الوعد لهم والإيعاد، مما أجدى فيهم وأفاد، فكأنهم بعدما انتضوا السيوف لملاقاة الحتوف أعدوه في الأغمد، وكأنهم انتبهوا من سنة الرقاد، ودعت منهم تلك النصائح أذن واعية، فأصبحت أركان الردة ولله الحمد ذلك اليوم واهية، حيث لم يقم من السياسب لهم داعية، وانحلت عرا ذلك الإبرام، ورد الله بكيده من رام.

هذا، والنجار بعدم أخذ الكرى والمندم، في ظلام الدياجي أجفن الأنام، دأبه الإقبال والإدبار، وتدبير ما يريده في النهار، بحيث ذلك وينسج، ويدخل البلاد ويخرج، إلا أنه على شأن السياسب لم يُعرج، وقد أعد خرج البلد في بستان هناك رجاله، وسقاهم فيه من رحيق القهوة صافية ورلاله، وكان الوعد بينهم حين تذر قرنهما الغزالة، فسم يبيت الناس بعد ذهاب الإغلاس، إلا قدر ما بدأ من كوة الأفق ضوء السراج، وأشرق على سطح البسيطة نوره الوهاج، وانتشر في بطون الأرقعة والفتجاج، أهل الفلاحة ذو المحاح، حتى سمعت لجلبة والأصوات، ووقع الدعر والازعاج. فرجع الناس على أعقابهم نكصور، وقد خالط الرعب قلوبهم، فهم منذعرون، ولم يكونوا بذلك الأمر يشعرون، ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَيْمُتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

فتعظم الأمر وعلا، وشع سأنه بين الملا، وأسفر وجه لردة وجلا، وزادت

القلوب وحلًا، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾. ﴿وَحَرَّمَ عَلَىٰ قَرَبَةٍ هَلَكَتْهَا  
أَتْنُهُمْ لَا رَرْجُوعَ﴾. وزاغت الأبصار والألباب، وغلقت البيوت والأبواب،  
وزدى منادي الفضء بالعذاب، والذهب على الذين فعلوا ولكهم لا يسمعون.  
﴿وَمَا أَمْسَكَكَ مِنْ قَرَبَةٍ إِلَّا هَا مُنْذِرُونَ﴾ ونوقفت أشرار تلك القائل، ولم يكن  
غلبهم بما عنده فاعل، وهم بين لائم وعدل، إلا أنهم للسياسب منتظرون.  
﴿وَهُمْ مِنْ كَرٍّ حَدْبٍ يَنْسِلُونَ﴾.

وبادر قوم النجار، لأنهم رؤوس الأشرار، فقتلو شخصًا واحدًا، وهو عبد  
الله بن حسن، وكان النجار عنده قاعدًا، وبثبيطه مواعدًا، فأسرعوا إليهم  
يهرعون، وأقبلوا عليهم يركضون ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أَتَرَفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِكُمْ  
لَعَنَكُمْ تُشْتُونَ﴾. وجرحوا ابن كثير جرحًا، ولم يجعل الله لهم نَجَحًا، وما  
أصابوا في المسلمين قرحًا، وقد عرفوا لو يطلبون صلحًا من المسلمين لا  
يقبلون، ﴿أَنْتُمْ تَكُرُّوْنَ أَيْنَ تَشَاءُ عَنكُمْ فَكَنتُمْ بِهِ تَكْذِيبُونَ﴾.

فعند ذلك شمريت تلك العصابة، وندب النجار أعوانه وأصحابه وشيدوا  
الحراية، ونهضوا إلى السياسب يسرعون، ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصْبٍ يُؤِصُّونَ﴾، فدهموهم  
في الفريق والسكك، ووقع بين البيوت المعترك، وصدق الطعن من سلك،  
ولكنهم على الحق معتدون، ﴿لَا تَجْعَلُوا لِيَوْمٍ إِنْكُرْنَا لَا تُصْرُونَ﴾، فحين أبصروا  
حرارة الطعن، وذاقوا مرارة السينان، وحامت عليهم للموت عقبن، في منزلة  
تلك الإخوان، وتيقنوا أنهم لما يريدون لا يدركون، وأنهم أخطأوا ما يأملون،  
﴿سَأُورِيكُمْ آتًى فَلَا تَسْعَجُشْرُونَ﴾. فنهزموا بأقبح الذل والنكبة، وقتل منهم واحد  
هو الغاية، وحف المسلمون باللطف والعناية، لعلمهم بأمرهم بعسرون، وعلى  
ربهم يتوكلون، ﴿وَبِئْسَ خُدَاةً هُمُ الْعَبْدُونَ﴾، وأدبروا يعصون أنامل الندم، وولى كل  
نسيطان وانهرم.

ثم اجتمعوا عند رئيسهم وعزم أنهم لجميع المشرك يرسون، فأرسلوا

بحثونهم على المحيى والتعجيل، حتى يهوزوا بالمنى والتأمل، فلما قدمت عليهم الرسل، وأخبروهم بما حصص، بهد مقاتله كل فريه، واحتمعوا للحرب بلا مرية. فم يرتفع سلطان الهار، إلا والجنود تطلب لبدار، وتروم لأهل المبرز الدمار. وقد أقبلوا أولهم، وهم النعاثل والرفعة، والذين حصروا بيعة النجار، ثم أقبل بعدهم من أهل المشرق أعداد، وتتبع لهم جيوش وأمداد، وكل منهم لصدق الحرب في أهبة واستعداد، وتأهب لوطنه البلاد، إن لم يف لهم من حضر الحلف من الفرقان، بذلك الوعد الذي كان، ويرجعوا عن طريق الخذلان، ويقتل كل فريق من عنده من أهل الإيمان، ويحققوا لهم سابق ذلك الميعاد، وينجزوا ذلك الإيعاد.

هذا، وقد استعد من أهل المبرز كل فريق، وأحرز وجعل الأرصاد كرفيو، فيما يؤتى إليه من طريق، وشتموا للحرب سواعدهم، وأخلفوا مواعدهم، بل أظهروا أعظم الإباء والامتنع، وأشد الذب عن المسلمين والدفاع، وتبين منهم لصدق على ذلك والإجماع، فبقي من عندهم من أهل الفتنة والفجور، ينادي على نفسه بالويل والثبور، وأبصارهم تمور وأفكارهم تخور، وليس لهم من أهل المبرز مساعد، بل كل عن الفتنة قاعد، وهواتف البلاء عليهم يدرون، ﴿وَأَنَّ أَمْرَ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

فحين وضع واستبان، ذلك الخلف والخذلان. لصالح الرئيس الداعي إلى طريق إبليس، ولم يجد نصراً ولا قبيلًا، ولا معيت ولا كفيلاً، وأصحى حائراً ذليلاً، لم ير حيلة له إلى البقاء ولا سيلاً، ولا منهجاً لسلامة ولا ذليلاً، إلا مخدعة أهل الإسلام والإيمان، وطلب منهم الدخول معهم والأمد. فراح في ساعته، بعد تدبير فكرته، إلى فريق العتبد، وكانوا ذلت اليوم نعم الإحوان، جراهم الله تعالى خير، ورئيسهم مهوس بن شقيب، فاخذ منهم الأمان، على

نفسه ومن له من الإخوان، وكان هذا من الله تعالى حكمة بهرة، وقدرة قهرة، وأمرًا قدره بقدره، ﴿وَإِذْ رَدَدْنَا أَرْشَكَ قَرْيَةً أَمْرًا مُتَرَفِّعًا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾. أبرر حذلان أعدائه عبرة لأوليائه، وتسلية لهم على بلائه، لعنهم على الفتنة يصبرون، ﴿إِنَّمَا قَوْلُكَ لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْتَهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿فَسُحَّرَ عَلَى يَدَيْ بَيْرِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَلِيَّتِهِ تُرْجَعُونَ﴾.

هذا، ولم يندد المنادي لصلاة الظهر بالأذان، إلا وقد أقبلت الرسل تبشر بقدوم إبراهيم بن عفيصان، بل هم مع الوقت كفرسي رهان، فحصل الأنس وطابت النفس، وزاد سرور أهل التوحيد والإيمان، وزال ذلك الهم والخوف والأحزان، وتم السرور، وحصل الفرح والحبور، وهبت رياح القبول والبهن، وبدت شمس الأمان والأمان، ولم يزل أهل المشرق ومن معهم من الرفعة والنعثل، وسائر سفنة تلك القبائل، خلف السور مقيمين، ولمقصودهم رائمين، وعلى مأمولهم عازمين، إذ لم يكونوا عالمين بما قد صار من حال صالح النجار، وما جرى من الأخبار، فلم يفجأهم إلا الخيل تضبع، والأسنة تبرق وتلمع، والبيض تُشرق وتسطع، فكلُّ ولَّى وانهمزم، وتندم على ما كان عليه عزم، وانتضوا بطون الأقدام، ولم يكن لهم غير البيوت إقدام. فوطئهم من المسدمين خيول، وخرج معهم من أهل البلد فحول، فحالت على قطعة من الأحزاب الفرسان، وجالت عليهم أوثك الرجالة الشجعان، فقبضوا جميعًا في ذلك المكان، وجرُّعوا كأس المذلة والهوان، وباؤوا بالخزي والحسرة والحذلان.

وكان حملة المفتونين نحو الستين، وغالبهم من أهل الجيل، والباقي من بلدان المشرق متفرفين، وفات الحملي ومن معه، حين أقبلت الخيل عليهم

مسرعة، وشرد هاربًا ونرا<sup>(١)</sup>، ولم يجد دون بيته من قرار، وزدحموا عند دخولهم الدرورة، وأكل برید من الخوف السق واحرازه، فلم رأى وجوه فومه وجماعته، فبيح فعنه وصناعته، ساروا إليه سريعًا، وألزموه أن يخرج مع الحببي وقدمهمما جميعًا، وألحوا في ذلك الأمر عليه، وعرف أن القرار لا سبيل له إليه، وأن وجوه الفريق والأعيان، إن لم يخرجوا عنهم لم يدفعوا عنهم العدوان، وأنهم يسلمونهم إليهم، ولا يدفع عنهم إنسان، خرج هو والحببي، وأناس من الأشرار، حين أدير ضوء النهار، واشتد سواد الدجى، وانقطع منهم الرجا، ففجأوا عبي بن حمد في قصره، واستمدوا من رأيه وفكره، وبقوا عنده ثلاثة أيام، في أكسف حال، وأشر مقام.

هذا، وبلدان المشرق ينهب بعضها بعضًا، وتُسرع إلى القتل والقتل والنهب ركضًا، وتسابق الشمس في الطلوع إلى ذلك الحان نهضا، إبداء للندامة وطلبًا للسلامة، ومقدمة بين يدي سعود، بهذا الأمر المعدود، لعله يكون للرضا وسيلة، وإلى بقائهم في أوطانهم حية، ولم يروا مسلکًا سواه يسكون.

وفي تلك الأيام المذكورة والأحوال المسطورة، وإبراهيم بن عفيصان محاصر لقرية العمران، ومعه جمع كثير وجم غفير، من الساسب والعتبان، وغيرهم من سائر القبائل والفرقان.

ثم في أثناء المدة المذكورة طلب الحببي وابن عفات والحملبي، ومن معه من الرجال المحصورة، من إبراهيم بن عفيصان الخروج إلى العقير والأمان، فأعطاهم ذلك وغيرهم أنس، فخرجوا من الإحصار والأحبس، وأرسلهم إلى العقير مع محمد بن ديماس، وكان إذ ذاك لم يتسنم ذروة الضلال والإبلاس، فقطعوا في ليلتهم تلك المفاوز والفقر، وركبوا صبيحتها من زاهر البحار،

وامتطوا كوهل فلك السيارة، ونيمموا أهل الزبرة، فقدموا عليهم ولم يكر عندهم من لحال خبره ولا إشارة، حتى فحّوهم نعمة ذوو السيارة<sup>(١)</sup>، وشرحوا لهم عن الحبس أخبره، وصرحوا لهم أن قصدن بفعلنا أن نذهب وآثاره، ولم يعلموا أن لله تعالى على عبده غارة، وأن الله تعالى يؤيد دينه وأنصره، وينصر أهله وأحزابه وأصهاره، ويريد تبينه في أماكن الرجس وإظهاره، وإثباته في الأحس وقراره، وأبطل الله كيدهم وما يصنعون ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَلَئِنْ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ﴾.

ولما أراد الله تعالى إبراز حكمته، وتبيين آثار قدرته، واستنارة البرهان والحجة، وتقويم واضح الحجة، قدم سعود مستهل ذي الحجة، فنادى لسان الحال مبشراً بالسعود والإقبال، ومنذراً لذوي البدع والضلال، فأعلن وقال: الحمد لله الذي أطلع شمس الكمال في مطالع السعود، والشكر له على ما أعطى وأنال من الكرم والجود، برؤية هذه الطلعة السعيدة، والعزة المنيرة الرشيدة، فأنخت بقرب النعائل أولئك الجنود، وخففت رايات الإسلام والبنود، وأصبح جبل الحق ممدود، وفاز أهل التوحيد بالقُصود، وتلت ألسنتهم عند ذلك الحال المشهود، على سبيل الهدى ونيل المنى، وإبداء لشكر مولاهم الكريم، وإظهاراً للثناء ولتبجيل والتعظيم، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، ودارت كؤوس الأنس والأفراح، واملأ القلب بالفرح وارتاح، وهيمت في الأجساد والأشباح، حذاء النفوس والأرواح، على سطح البسيطة بالطول والعرض، ﴿وَعَدَ اللَّهُ لِّلَّذِينَ ءَمَّوْا مَكْرًا وَعَمَلُوا صَالِحًا لِّسَخِّفَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، ونُصبت بذلك المحل والمكان، خيام

(١) أسيرة: نهب.



التوحيد والإيمان، فغنت بلابل السرور على الأغصان، ورجعت الأغابي في الألحان. وكررت قول من قال في غابر الزمان شِعْرًا:

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قرّ عينًا بالإياب المسافر

وطارت قلوب أهل الزيف والضلال، حين مد فسطاطه وظلاله، وأبصروا فرسانه وأبطاله، وشاهدوا خيله ورجاله، وقد كنوا بها يكذبون، ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، وندموا على السُّم حين فات، وقلوا: يا ليتنا نرد. وهيهت، وتمنو الموت على الحياة، ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿١٧٣﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٧٤﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَنُونَ﴾، فلم يك إلا قد وحط الرحال، وتسوية الأحمال والأثقال، فتلقاء أهل الهفوف باستقبال، ونهضوا عليه يسلمون، ونهدوا إليه مستسلمون. ﴿قُلْ رَبِّ أَعْمُرْ بِالْحَقِّ وَرَبُّ الرَّحْمَنِ لَمُسْتَعَانٌ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾، فقابلهم بالقبول والتوقير، وعاملهم بطلائع التيسير، ونفى عنهم صنائع التعسير، وتلا لسان حاله على منهج التبشير، لعلمهم بما أشار لهم يفرحون: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، فأعطاهم إلا من دخل في الردة الأمان، وأدخلهم في دائرة أهل الإيمان، وأخذوا يديعونه على الإسلام بالإيمان، وداعي الحق يذكرهم بأي القرآن عساهم به يتعظون، ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَيْلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

ثم أقل أهل المشرق إليه أرسالا، وقدموا عليه عجالا، وقد رعبت قلوبهم مخافة وأوجالا، وتغيرت وجوههم ألوان وأحوالا. لقبح ما كانوا له يصنعون، ﴿أَمَرَهُمْ إِلَهُهُ تَمَعَّهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾، وقدموا بشعائر الذل والهوان، على الإساءة منه والإحسان، إدلس

عندهم منعة ولا مكن، عن القدوم به يتحصنون، ﴿لَوْ يَحْذَرُونَ مَضَحًا أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾، فشرع معهم في المايعة والمعاهدة، على المتابعة والمعاهدة، والتزام حبل الصلعة والمساعدة، وهم على لوفاء له يقسمون، ﴿وَيَحْلِفُونَ بِأَنَّهُ لَإِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ بِكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْقَهُونَ﴾ وأتاه أهل المبرز أهل الإيمان والإسلام، لأداء واجب السلام، وتجديداً لعهد الإسلام، فقابلهم بحسن البشر والإكرام، جزء بما كانوا يعملون، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدٍ وَإِنَّا لَهُمْ كَانُِونَ﴾.

فلما انقضت أيام العهود، وخف إتيان الوفود، بادر إلى ما هو الأهم والمقصود، وأخذ في تقويم السنن المحمود، الذي به المسلمون يأمنون، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وجرّد مرهفه المحدود، لإقامة القصص والحدود، وأورد الجمام المورود، غالب من باشر الردة الثانية في يومها المشهود، فغدوا لكأس الردى يتجرعون، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، وأردف جماعة من المعتدين، وثلة من الفساق المفسدين، وزمرة من الرافضة المبتدعين، الذين هم عن الصراط ناكبون، ﴿إِنَّهُمْ أَلفُوا ءَابَاءَهُمْ صَالِينَ﴾ ﴿٩٤﴾ فَهُمْ عَلَى ءَثَرِهِم يهرعون﴾ فأفنى رؤوس ذوي لشر والفساد، وأراح من شرهم جميع العباد، وأزاح باقيهم عن السداد، لا سيما ذوي الشقاق والعناد، الذين هم في الأرض مفسدون، ﴿ثُمَّ كَانَ عِصْيَانَهُ يَذِيبُ أَسْوَأَ لُؤْسَائِهِ كَدُّهُ بَدَنَتِ لَهُ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْرِءُونَ﴾، ودام القتل أياماً واستمر، ومكث مدة واستقر، وكل يوم يخسر عن المفسدين الخبر، ويقتل من اطلع عليه وعثر، حتى استسراً الحال والخبر، وعرف أنهم ليسوا بها يمكنون، ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلِخْوَانُ فِي طُعْنِهِمْ يعمهون﴾، فساد في البلاد أركان الإسلام، وأذن بالتوحيد فيها بالإعلان، ورفع للسنة

الإعلام، التي كان الولاء لها يمكرون، ﴿وَلَقَدْ كَسَسَ فِي الرُّبُورِ مِنْ عَدِي أَلَيْكِرْ  
أَنْتَ لَا تَرْضَى رِثَتَهَا عَبْدِي لَصَاحُونَ﴾، فبدأ بنسويه تلك القبور، وإزالة ما عليها من  
المحضور، وقطع تلك الأوقاف والنذور، التي أهل الباطل لها يصرفون، ﴿وَمَنْ  
أَصْرُ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ، إِنْ يَوْمَ الْفَيْصَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفُوتُونَ﴾،  
وأرسي بها قواعد الدين، فأمسى أهل الباطل مشردين، ومحا آثار المبطين،  
﴿مَقْطَعُ دَائِرِ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ﴿قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ  
فِي ذَلِكَ فَيَنْفَرُوهُ هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾، وضربت سُرَادِقَ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ،  
وَأَسَّسَ قِصْرَ التَّوْحِيدِ بِأَعْلَى مَكَّنٍ، وَأَحْكَمَ غَايَةَ الْإِحْكَامِ فِي الْبَنِينَ، ونودي  
عليه بأفصح لسان، وأهل الإسلام له منصتون، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى  
النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾، فحينئذ نبذ الضلال ملته، ونعى  
الشرك حزبه وأمته، وبكى الرفض أصهاره وفنته، لأنهم كانوا له يشيدون،  
﴿أَفَيْسَا لِهَآءِ دُونِ اللَّهِ يُرِيدُونَ﴾ وفقد أهل العزى عُرَاهَا، وجعل الخراب جزاها،  
وأهل اللات لها يتبعون، ﴿قَدْ خَسِرَآ أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾،  
ومُحَقَّتْ رسوم البدع والأهواء والإلحاد، وهُدَّتْ دعائم الجور والعماد،  
وأورق غصن الحق وماد، وبطل ما كانوا عليه يعكفون، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ هُمْ  
قَوْمٌ يَعْمَلُونَ﴾، وأقبلوا على ما أوجبه الله تعالى وفرضه، ودحضر أهل الضلال  
والرفضة، وكل هجر ما كن يدين به ورفضه، وضل عنهم ما كانوا يزعمون،  
﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ هُمْ قَوْمٌ يَعْمَلُونَ﴾، فاندروست ولله الحمد تلك الحقائق،  
وعطيت تلك الطرائق، ولم يكن لها موافق ولا مرافق، ﴿بَلْ نَقِيفُ بِالْحَقِّ عَلَى  
النَّطْلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ آلُؤُنْ مِنْكُمْ لَصِهُونَ﴾، وخر عرش الشرك ووهى،  
لما علاه التوحيد ودهى، وعرف بطلانه ذور النهى، وشمروا فيما أمر الله به  
ونهى، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرَبِّكُمْ عَلَيْهِ، فَعَرِّفُوهُ وَمَا رَبُّكُمْ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، وجد

في تعمم التوحيد الصنعة والشرفاء، فوجدوه لمرص القنوب دواء وشفاء، ولم يحدوا عنها مصرفاً، ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ كُلِّبِكَ صَصَفْتُ، أَنَّهُ حَزْرٌ مَا تُشْرِكُونَ﴾، وقرر أصحاب الأوقاف والأحباس، وحث رُباب لمدارس على تعميم الفقه والتوحيد للناس، فوجدوا عظيم اسرور والإيناس، واستمروا علماء المذاهب يدرسون، ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْقُرْآنِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، وأقر في أيدي أهل السنة جميع تلك القربى والأسبل، بل زاد غالبهم من بيت المال، واجتهدوا بالقيام في وظائفهم بسرور بال، فهم لهذه النعمة شاكرون، ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

ولم فرغ، حرسه الله تعالى، من ذلك العزم والتجريد، لإقامة سنن الدين والتوحيد، ومقدها أحسن تمهيد، لعل الدس لها يسلكون، ﴿فَطَرَتْ اللَّهُ أَلْقَى فَطَرَ الدَّسَ عَيْبًا لَا بَدِيدَ لِحَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ أَلْبَيْتُ الْقَيْدِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ نَكَسٍ لَا يَعْلَمُونَ﴾، شرع ينظر في الرعية بالتغيير والتبديل، ويدبر أحوال التأديب والتنكيل، على سبيل التسوية والعديل، بين أهل الهفوف وكافة الرى وهم لها يوزعون، ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَجْمَعًا أَلَيْسَ أَلَيْسَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا أَلَيْسَ ظَلَمُوا بِعَدَابٍ بَعْيسٍ يَمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، وفاز أهل المبرز بحسن الحال، والسلامة من الأغلال والنكال، وطبت لهم العاقبة والمآل، لأجل ما كانوا له يدعون، ﴿أَمْ حَسِبَ أَلَيْسَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَلَمْ تَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ وشد عليهم في ذلك النكال، مقابلة لما في بيوتهم من الأمتعة والأموال، لأنهم دخلوا في العهد على ذلك الحال، لعلمهم عن مثلها ينهون، ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا هُوَ عَنْهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، ومكنوا تلك اللبائي ولأيام، يقاسون حرارة اضنت والإلزام، ويسعون ما عندهم من الأمتعة ولحطام، لأداء ذلك الالتزام، ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ \* كَانُوا لَا يَتَنَبَّهُونَ عَنْ مُسْكِرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا

يَفْعَلُونَ ﴿١﴾ وطب عليهم جميع ألوان السلاح، ومن أخفى عنه شيء فلبس له في بلده مزاح. بل دمه هدر مستباح. فلم يكونوا لشيء منه يحفون. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِتُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْبِحُونَ﴾. نم أمر يهدم لأسوار ولروج. ولا يكون للردة منهج ولا عروج، فأصبحوا بها يهدمون. ﴿وَأَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ سَائِرَ الْأَرْضِ نَقُصُّهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَافِلُونَ﴾ فهدمت أسوار قراها والبلدان، مخافة أن ين-زغ بينهم الشيطان. ويطمع بها أحد من العدون، ويحسبون أنهم يمكنون. ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حولَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، ولما تم بناء ذلك القصر المحكم المشيد، على كل وجه من الأحكام والتسديد، والغلظ وارتفاع السُمك والتجويد، ووضع فيه من آلات الحرب والطعام ما يحتاج له المرباطون، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وأعد قطعة من خيبه وركابه، وجيشاً من جنده وأصحابه، خارج عن القصر قريب من بابه، لإخافة العدوان وأربابه، ولتذب عن البلد من أتوا يخرّبون، ﴿وَأَعِذُوا لَهُمْ مَّا سَتَعَفْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ﴾.

ثم دخلت سنة الحادية عشرة بعد المائتين والألف.

سار سعود من الأحساء، أناله الله لرتبة القعباء، لما اشتق، حرسه الله تعالى، إلى نجد وصب، وهيج شوقه نسيم الصبا، وتواجد لها شوقاً وطرباً، كيف وهي الوطن الذي به يستوطنون، ﴿وَمِنَ ءَبْيَهِ أَن خَوَّ لَكُمْ مِّنَ أَنْفُسِكُمْ أَرَوْحًا لِتَشْكُو إِلَيْهِ وَحَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. أمر بأشخاص قوم كثيرة وحمائل. من ضعة الناس وغائبهم أمثال. مصرفة من تلك لقائل، أنهم يحون في اندرعية يسكون، ﴿بِعَادَى آلِ عَمْرٍاءَ أَزْجَىٰ أَرْضِي وَسْعَةً فَإِنِّي فَأَعُدُّونَ﴾، ثم أمر بالرحيل ولترحال، وإن تقدم تلك الأحمال. وتعجل عن وجه الأثقال، ثم شدت له الرحال. فسنوى عليها وقال

ما كان السلف يقولون: ﴿سُحِّنَ إِلَيَّ سَحَرٌ لَاهِدًا وَمَا كُنَّا لَمْ مُقْرِبِينَ﴾، وجد في السبر إلى نجد، بعدما حار ذلك المجد، وأكثر الشكر والحمد للمولى الذي له الخلق يشنون، ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾، وحين قارب أن يلقي عصا السير والتسيار، ويحط الرحال في رفيع تلك الديار، وشرع إليها في النزول والانحدار، من المحل الذي لها ينحدرون قال: ﴿وَقَدْ رَبَّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ۖ ۝٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾، وبدأ المسجد حين دخوله بالتحية، ثم قصد والده والأهل والذرية، واستقر مجلسه مع والده وأعين الرعية، وطفق عبد العزيز يشوقهم لما عند الله لعلهم في الدنيا يزهدون، ﴿وَمَا أُوتِشْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعْ أَلْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا لَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

وفيها وقعة أحزاب ثويني<sup>(١)</sup>، ولم استقر بهجر<sup>(٢)</sup> عمود الدين والإسلام، ونُشرت على رغم أنوف العدا للهدى أعلام، وثبت أصل التوحيد ورسا، في جميع بدن الحسا، غشى قلوب المبطلين الحزن والأسى، وتمثلو بيبي عسى وعسى، فهم على تكرار لصباح والمساء، لعودة الباطل مرتجون، ﴿فَعَرَّضَ عَنْهُمْ وَانْظُرْ إِلَيْهِمْ مُسْتَظِرُونَ﴾، وشوت قلوبهم حرارة الحزن، ومرارة الهم والمحزن، حين ملك أهل الإسلام ذلك الوطن، وثوى فيه التوحيد وقطن، وضاق بهم فسيح الأرض فضلاً عن العطر، وعرفوا أنهم متبعون، ﴿وَقَدْ لَكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقِيمُونَ﴾؛ فأرجف الله تعالى قلوبهم خوفاً وفوقاً، وسفحوا لذلك دموعاً وعرقاً، وازدادوا ذعراً وغيظاً وحقاً، وساروا

(١) شيخ فيه استمق

(٢) لأحساء.

للتحريب عليها وحداً وعنقاً، وقصدهم لئور الحق يطفئون، ﴿رُبُّيُوتُ أَنْ يُطْفِئُوا  
نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْكُلَ اللَّهُ لَأَنْ يُبْعَثَ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾. وتعاضم ذلك  
الامر عليهم وأرسي، وسعوا في تغييره سرفاً وغرباً، وتداعوا عليه عجباً وغرباً،  
ولم يعرفوا أن للدين رباً، ﴿لَا يَسْتَلِ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُشْتَبُونَ﴾. ﴿لَقَدْ حَسَنَّا بِالْحَقِّ  
وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَذِبُونَ﴾، وتجرعوا من سماع هذا الأمر غصة، والكل أخذ من  
عظيم الحزن حصّة، حين رأوا أهل الإسلام على هذه المنصة، وودوا لو  
يدركون فرصة، على المسلمين بها ينتهزون، ﴿لَقَدْ ابْتِغَوْا لُفْسَةً مِنْ قَبْلُ وَقَكَبُوا  
لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَضَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ﴾، وشمروا ذبول المهمة  
بالتبديل والانقلاب، وجدوا إلى تحصيلها في الأسباب، والسعي في بواعث  
الاجتلاب، فأبوا بذلك بشر مآب، وما ظفروا بما يرتجون، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ  
لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾، فملأوا بطون الصحف  
والإرفام، من نفث اليراع والإقدام، وبث ما في الصدور ولأوهام، فزخرف  
القول والكلام، وأرسلوا بها إلى البشارة والحكم، لعلهم في إزالة الدين  
يسعون، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْعَلُونَ﴾ وأقام في ذلك الصغار  
والكبار، واجتمع عليه السفلة والخيار، وشمر فيه ساعد الجد والإزار، فباؤوا  
بالخيبة والأوزار، مما كانوا فيه يمترون، ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ  
النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾.

وانتدب إلى هدم ما قد أسس من الدين وبان، وإزالة ما له من أساس  
وأركان، كل رئيس وعالم شيطان، من جميع النواحي والبلدان، ونمقوا في  
الطروس قبيح الفعل والبهتان، وأرسلوها إلى الباشا سليمان. وأقسموا له فيها  
أنه لا يصح لهذا الشأن، ولا يقوم بأعباء الرئاسة ومصدمة الكتاب  
والشجعان، ومنازلة الجمع والأجناد من سائر العرب، ومقابلة هؤلاء العصاة

العدوان، ومقتنه حضرهم والبدون، وإزالة أثرهم من الحسد ومحاصرتهم في السدان، سوى ثوبي من الأنام إنسان، ولا يقدر على ما ذكرناه إلا هو ذو الهيبة والشأن، فأطلقه ورأسه حتى ترى ما يسر الأعبان، ويقر الناظر له في العيان، وتحمد أثر سعيه في قريب من الأزمان، ونرى أهل الدين من سطوته يهربون، ومرادهم على الدين يخربون، ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا يَأْتِيهِ وَلَا تَحَرَّ عَنْهُمْ وَلَا تَلُفْ فِي صَبِيحٍ يَمَّ بِمَكْرُونٍ﴾.

فلما دعا الباشا<sup>(١)</sup> ما حرروه، ووعى ما أثبتوه وقرروه، وتأمل مفهوم ما قد حبروه، وعرف منطوق ما سطره، وفحوى ما كذبوا فيه وزوروه، أمر بإحضار ثوبي عنده فأحضره، وحلح عليه ورأسه وكبره، وعقدوا له الحكم على الحاضرة والبدية وأمره، ولم يقف الباشا على حقيقة ما دبروه، وأنهم قد بدلوا الأمر عليه وغيره، وحذروه من هذا الذي نفروه، وما هو والله إلا كذب افتروه، وأعانهم عليه قوم آخرون ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ فحين حظي ثوبي بالرئاسة ونالها، وحاز من أماله منالها: نادى برفيع صوته: أنا لهؤلاء الطائفة أنا لها. وأعطى جماعته الأيمان عسى ذلك وأنالها. وهم لأيمانه مصدقون ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَمَمُوا أَيْ مَنَقَبَ بَنَفُسِهِمْ وَندبوه على قتل أهل الدين والتدمير، وحثوه على آلات التيسير، وتعجيل الظهور والمسير، وحرصوه على ألا يبقى منهم صغير ولا كبير، ولا نذر شريفاً ولا حقير، وكاد بمسمع من اللصيف الخبير، جميع ما به يحرضون ﴿فَسَرَّهُمْ يُحْضَرُونَ وَيَتَعَوَّنُوا حَتَّى تُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ فأقبل متنعمًا بإراله الدين من أساسه، وإطفاء نوره من نبراسه، وتغيير منهجه وانتكسه، وقتل كافة أنصاره وأحز به

(١) ونرى العراف سيمان باشا (ت ١٢١٧هـ). نظر ترجمته في «دوحه نوراء».



وأأسه، واستتصال شافة بلدائه وأعوانه وأحاسه، واعتبر بما جاء به من سواد رجسه وأرجاسه، وغوغاء أجناده وأحزابه وأجاسه، ورام هذا المرام لقوة بأسه، وما شعر أنه مسوق إلى قطع رأسه، وأسيفاء بقية أجده وأنفاسه، ولم يعرف ومن معه من هم له محاربون، ﴿فَلَمَّا شُؤِمَ دُكِّرُوا بِهِ، فَتَحَ عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾، وهبط من بغداد بعد مقاساته بها الأنكاد، ومعناته هم الأسر والقياد والغم الذي غشي الفؤاد، فأسرع في الامتثال والانقياد، وإحكام آلات الحرب والأهبة والاستعداد، وحشد الجيوش والأجناد، والاستعانة بالأسباب والأمداد، من كل ناحية وقطر بلاد، وكههم بما قدروا عليه يمدون، ﴿أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ دُؤْبِهِمْ الْمُجْرِمُونَ﴾، وسحب ثوب الخيلاء والتهيه وجرّه، وأوطأ سنايث خيل جيشه المجرّة، واختال بما داخله من العجب والأنس المسرّة، التي كن في ضمنها له الهلاك والمضرة، والذل والهوان والمعرة.

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجني عليه اجتهداه فكان، والعيذ بالله، كالجادع أنفه بكفه، والباحث عن حتفه بظنفه، وهذا شأن الذين يستدرجون، ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِعَاثِنَا سَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وحث السير يريد الفيحا وصولاً، وطوى بأيدي الجياد من المهمه صعباً وسهولاً، وعزم أن يفي بعهده، ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾، حتى يصادف من الدسا رفعة وقبولاً، ولقد نكلف بما ليس والله في طوقه، ﴿بِمَنْ كَانَ ظَنُومٌ خِفُولًا﴾، وشمح بأنفه وجر للكبر ذيولاً، ﴿يَتَذَكَّرُ لِمَنْ حَرَقَ أَلْدَرْسَ وَلَكِنْ لَمِنَ سَعَى الْجَالِ طُولًا﴾، ولكن أكثر الناس لا يشعرون ﴿وَأَحَدُهُمْ يَعْذِبُ لَعْنُهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

ولما قرب دخول البصرة في الإقبال، وتبين له منها رسوم وأطالال، خرج إليه أهلها من الفرح باستعجال، ونلقوه بالقبول من أمبال، وبادروه بالحشمة

والإكرام والإجلال، وأظهروا من التوقير والخدمة والامثال، ما لا يخطر على  
 البال، ولا يحصره في البيان المقال، فدخلها بأبهة تغشى عيون لناظرين روقاً  
 وحسناً، وتخلجل المتأملين فيها ألباباً وذهناً، ويبهز العقول مشهدة ذلك المقام  
 الأسنى، فتتقص عند مطالعته مهابة وجبناً، وتقول: يا بيت لنا مثله، وكذا أهل  
 الدنيا يقولون: ﴿وَيَذِكرُكُمْ تَوَابُ اللَّهِ حَيْرٌ لِّمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَاحِحًا وَلَا يُلَقِّنَهَا إِلَّا  
 الْغَاسِقُونَ﴾، ولم يستقر قراره في البصرة، بل ساعة دخلها أخذ يُجهز أمره،  
 ويُظهر تجربته وبأسه وقهره، ويجد في أسباب الحرب والمكايد خفية وجهرة،  
 ويحذر الناس سطوته ومكره، ويخوفهم لكي يسعدوه ويشدوا أزره، ولقد بذلوا  
 الجِد في مساعدته، وحققوا عزه وغلبته ونصره، وم جال في خلدِهم أنه قد حفر  
 لنفسه من الشر حفرة، وهي لمصرعه بيديه قبره، ولقد كنت حاله لذوي العقول  
 عبرة، ولكن أكثر الناس لا يعتبرون، ﴿فَدَّ مَكْرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَفَ اللَّهُ  
 بَيْتَهُمْ مِنْ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا  
 يَشْعُرُونَ﴾، وفي حدود إتيانه البصرة ووصولها، وهبوطه إليها ودخولها، ومكثه  
 فيها وحولها، أتته من رؤساء ما تليه من البلدان ومن العلماء، الذين هم لهذا  
 الدين عدوان، وعلى محقه من الأرض أعوان، محررات الوسائل للنفوس،  
 ومحبرات الرسائل في الطروس، والصحف التي أجيد في السجع منشورها،  
 والقصائد التي جُلِّي بالبهران صدورها، وأفصح بالعداوة والبغي منشورها،  
 وأبن محض الحسد ولاستكبار صدورهم، فكذب، وله الحمد، شؤماً عبه  
 قدومه وظهورها، لم دلع فيه من الفحش بهتاً وروراً، وتعدى فيه عصيانه  
 وفجورها، ومضمون تلك الرسائل والقصائد، ومطلوبها من الأمنى والصوائد،  
 حثه على سرعة التعجيل لما هو قاصد، لكي يفوز بما أملو من المقاصد، ولم  
 يحر على بالهم أن الله تعالى له دلمرصد، وأنه يعلم ما سرور وما يعلنون،

﴿قَدْ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ واستغاثوا به في مشورهم ومنظومهم وندوه. وسألوه تعجيل النصر لهم وطلبوه. ولم يخشوا الله تعالى في ذلك ولم يرهبوه، ووعدوه الأجر على ذلك ورغوه. ونأثروا هي نصره على الله فيم كتبوه، وليتهم لسوء هذه الجراءة يفهمون. ﴿أَنَّهُ يَحْشُرُونَ نَأْيَ لَا تَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَيْنَ وَرُؤُسِكَ لَدَيْهِ يَكْتُبُونَ﴾، وأعنفوا في سيرهم ذلك ونصوا، وعموا في حكمهم له وخصوا، وجزموا له فيم زخرفوه له بالغلبة ونصوا. وما اكثرثوا بمن عليه يجتروا. ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَرِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصَ لَهُ شَيْطَنُ فَهُوَ لَمْ يَرَيْنِ﴾ ﴿وَيُؤْتِيهِمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْشُرُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

وقد وصل إلينا من هاتيك الديار، منظومة لابن فيروز من تلك الأشعار، متضمنة لأقبح العار، تبين فساد مبناها وبطلان مفهومها ومعناها بأول وهلة قبل التأمل والاختبار، كيف وقد صرح فيها ناضمها ومُنشئها بالاستغاثة بملك جبار، وظالم تعدى وجار. ولدعوة والاستغاثة حق للواحد القهار، كما هم في محكم التنزيل يقرؤون: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصَرَكَمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصُدُّونَ﴾، ولقد نظمها ابن فيروز وأرسل بها إليه، وقدمت الصرة عليه، فقابلها بالقبول التام، وأبدى من حسن القبول والإعظام، ما زاد على السؤل والمرام، وأمدته بكثير من الحطام، وكان بينهما قبل ذلك محبة وصحبة والثناء ومعشرة ومواصلة وانتظم، فهم على الخلعة مجتمعون، ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿يَنْعَادُ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَخْزُونَ﴾. وهذا نصها:

أنا مل كف السعد قد أثبتت خطا بأقلام أحكام لنا حُررت ضطّا

وفد أجاب عنها المصنف، وأرسل به إليه. وهذا نص الجواب:

على وجهها الموسوم بالتسوم قد خطا عروس هوى ممقوتة زارت الشطا

نَحَطَتْ فَأَخْطَتْ فِي الْمَسَاعِي مَرَامَهَا  
وَنَارَتْ لِنَارِ الشَّرْكِ تَذْكِي ضَرَامَهَا  
لَقَدْ شَوَّهَتْ مَا زَخَرَفَتْهُ بِزُورِهَا  
وَقَدْ جَاءَ مَنْشِيهَا بِزُورٍ وَمَنْكَرٍ  
وَحَانَ بِهِ دَاعِي الْعِمَادِ لِمُهْبِيعٍ  
فَضْلٌ عَنِ الْإِرْشَادِ لِلْحَقِّ وَاعْتَدَى  
وَجَاوَزَ مِنْهَا جَاهُ الْهَدَايَةِ رَاضِيًا  
يَحَاوِلُ تَشْيِيدًا وَرَفْعًا لَهَا وَهَتْ  
وَيَسْمَى بِتَحْرِيطِضٍ وَتَهْيِيجِ فِتْنَةٍ  
وَرَبِّكَ بِالْمُرْصَادِ مِمَّنْ يَرِيدُ أَنْ  
فَلَا عَجَبٌ مَنْ يَغْشَى عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ  
لَقَدْ خَابَ مِنْ مَسْمَى غَدَا طَوْلَ عَمْرِهِ  
وَلَا كَابِنَ فَيُرُوزُ بِرُومِ سَفَاهَةٍ  
وَصَارَ يَذُودُ النَّاسَ عَمَّا أَتَى بِهِ  
وَيَدْعُو إِلَى نَهْجِ الضَّلَالَةِ مَعْلَنًا  
يَغَالِبُ أَمْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَالِبٌ  
وَيَرْجُو مِنَ الْخَلْقِ غَوْنًا وَنَصْرَةً  
وَذَاكَ مِنَ الْأَقْدَارِ مَا فَكَّ نَفْسَهُ  
لَنْ كَانَ يَدْعُوهُ لِتَضْرِيحِ كَرْبَةٍ  
فَبَشْرَاهُ بِالْخُسْرَانِ وَالذَّلِّ إِنْ سَعَى  
وَمَنْ جَرَبَ الْأَشْيَاءَ يَكْفِيهِ مَا جَرَى  
وَيَنْظُرُ فِي عَقْبَى الْخِيَانَةِ وَالرَّدَى

وَمُرْسَلَهَا عَنْ نِيلٍ مَقْصُودِهِ أَخْطَا  
وَسَارَتْ فَبَارَتْ وَالْإِلَهَ لَهَا قَطَا  
كَمَا أَنَّهُ بِالْمَيْنِ قَدْ أَحْكَمَتْ رِبْطَا  
وَفَحَشَ وَهَيْتَانِ يَعْطَى بِهِ عَطَا  
تَنْكَبُ عَنْ سُبُلِ الْهَدَايَةِ وَاشْتِطَا  
وَعَطَى أَنْسَا فِي طَرِيقَتِهِ غَطَا  
عَنِ الدِّينِ بِالْدُنْيَا فَمَا نَالَهَا بَسْطَا  
قَوَاعِدُهُ فَوْقَ الْبَسِيطَةِ وَالْمَحْطَا  
تَصِيرُ إِذَا شَبَّتْ لِحَاءَ الْعَدَا شَهْمَا  
يُؤَسِّرُ رُكْنَ الشَّرْكِ مِنْ بَعْدِ أَنْ حُطَا  
يُقَيِّضُ لَهُ الشَّيْطَانُ يَنْشِطُهُ نَشْطَا  
يَصْدُ عَنِ التَّوْحِيدِ مَنْ دَانَ أَوْ شَطَا  
دَفَاعًا لِحَقِّ فِي الْبَرِيَّةِ قَدْ وَطَا  
أَجَلَ شَفِيعٍ فِي الْجَزَا لِلْوَى يَعْطَا  
وَمِنْهَاجِ أَهْلِ الزَّيْغِ جَهْرًا بِهِ أَظَا  
وَيَنْدَبُ مَنْ لَا يَمْلِكُ الرِّفْعَ وَالْحَطَا  
يُنَادِيهِ مِنْ بَعْدِ أَغْثِنَا بَلَا إِبْطَا  
وَلَمْ يَغْنِ عَنْهُ الْمَالُ إِذْ بَذَلَ الشَّرْطَا  
فَلَيْسَ سِوَى الرَّحْمَنِ نَدْعُو بَلَا اسْتَبْطَا  
بِهْضَمِ لِهَذَا الدِّينِ أَوْ وَافَقَ الضَّغْطَا  
وَيُلْغِي أَبَاطِيْلًا عَنِ الْإِهْتِدَا شَحْطَا  
فَكُلُّ امْرِئٍ خَانَ الْعَهْدَ غَدَا سَقْطَا

وللشهم في تلك القضايا مواعظ  
وكم دولة كادت وقادت جموعها  
يريدون إخفاء لما الله مظهر  
رويدًا فوعد الله لا بد واقع  
ومن عارض الأقدار أو سخط القضا  
وما ذاك إلا معتد ذو حماقة  
فويل له يوم القصاص وحيث لا  
سمت عصبة التوحيد عما يشينهم  
أيوصف بالطاغوت من جدد الهدى  
وأعلن بالإسلام والدعوة التي  
وقام بأمر الحق في جاهلية  
وأطلع مولاه نجوم سعوته  
فسبحان من عم العباد بحلمه  
يكفر قوم بالكتاب تمسكوا  
وما عمووا بالكفر بل خصصوا به  
أفي محكم التنزيل تكفير من دعا  
أهل الهوى والزيف والفرق التي  
وهل جاء في التنزيل والوحي شاهد  
ومن قد نحا في الدين سنة صحبة  
فتسا وسحقا يا لها من مقالة  
لينظر دوو الأحلام والعلم والتقى  
وفي غربة الإسلام أعظم شاهد

يرد بها عنه الغواية والهمطا  
فبادت وما فادت وما أدركت مسطا  
وإتمام نور الله بالحفظ قد حيطا  
وقد وعد التمكين من عمل القسطا  
فربك قهار له المنع والإعطا  
توغر في الإبلال واعر وانغطا  
مناص وأهل النار تسرطهم سرطا  
وعن وصفهم بالكفر لكنه الأخطا  
وأحيا أصول الدين والسنة الوسطا  
لها كسط المختار رأس العدا كسطا  
وأهل الردى والشرك تحسبه خلطا  
بآل سعود حين صاروا له سبطا  
وفي هذه الدنيا بأمهاله غطا  
وبالهدى والإجماع ما خالفوا شرطا  
أناسًا من الإشراك أعمالهم حبطا  
إلى الله والتقوى وإسلام من شطا  
تحرف وحي الله حازوا الهدى خرطا  
بتحقيق إسلام الروافض قد خطا  
بنادي عليهم أنهم خبطوا خبطًا  
من الإفك والبهتان قد سحبت مرطا  
إلى أي قوم في الهدى تبعوا الخطا  
بإسلام من قد قام يدعو الورى عبطا

وبرهانه العقلی نصرة رهطه  
لقد رفعت أعلامهم بأمرهم  
بهم أسفرت شمس الدجى بعد دجئها  
ذوو الحزم والتسديد والعزم والنهى  
يزودون عن ورد الدنيا نفوسهم  
فقد بذلوا في ذا النفوس فأحرزوا  
وقد ولي الأحسا سعوذ فأسعدت  
وأبعد أهل الشرك عنها وأيدت  
وقرر أرباب الوظائف كلهم  
مدارسهم معمورة بعلومهم  
وما أبطلت أحكامهم حيثما أقر  
نعم هُدمت للرفض فيها كنائس  
وما كان من جور ونكث وبدعة  
ولم ينف إلا كل من عمل الردى  
فليس ترى إلا مفيدًا وهاديًا  
وأمر بمعروف وتنكير منكر  
وحش على فعل الصلاة جماعة  
فلله رب الحمد والشكر دائمًا  
لقد من مولانا علينا بمنة  
وصب علينا من شآبيب بره  
بإنقاذنا من غمرة الشرك والهوى  
عسى الله يعلي في الخنان محمداً

وتمكنهم في الأرض أكرم بهم رهطاً  
وأبناء أسد الحرب بل بأسهم أسطاً  
وزال ظلام الشرك من بعدما لطاً  
وأهل المعالي والفخار بهم ينطاً  
ويسخون في نيل المرايا بها سفظاً  
به العز يا طوير لمن أدرك القطاً  
مساعيه أهل الخير فانتظموا سمطاً  
مذاهبهم فيها وما أبصروا غمطاً  
وما شاهدوا في كل أوقافهم هبطاً  
وما ثبطوا عن نشر أحكامهم ثبطاً  
بإبطاله الشرع الشريف وما أخطأ  
وكل شعار الرفض عن أرضها ميطاً  
ولهو وتابوت وكل الدعا معطاً  
ومن كان سباباً لمنطقه مسطاً  
وعلماً وتحديثاً بذا تسمع اللفطاً  
وتنكيراً من قد قارف الذنب والسخطاً  
وتوبيخ من عنها تخلف أو أبطأ  
على نعم لم يحصر نظمي لها ضبطاً  
وخولنا من فضله خير ما أعطأ  
سحائب رُحى قد حوينا بها عبطاً  
ولولاه كنا في غياهبها ورطاً  
ويولي الرضا عبد العزيز الذي وطأ

ويجرسه عن كل سوء ونسله      ويبقى سعودًا في سعود وفي إبطا  
أبا عمر هُئيت بل هني الوري      بما نلت والتوحيد حاز بك البسطا  
إليك القرى والمدن ترنو عيونها      تمناك ترعاها فتملأها قسطا  
وترتاح من عليا سعود ونصره      وتغبط نجداً والحسا الآن والخطا  
فجهز لها المنصور بالبشر تلقه      وتفرش إكراماً لإقدامه بسطا  
فقد طرز الإقبال آيات فوزه      براياته والنصر والفتح قد خطا  
ودُم شارباً كأس المسرة والهنا      بأطيب عيش والعدا تأكل الخمطا  
وأزكى صلاة يفضح المسك عَرْفَهَا      نعم رسولاً في الورود لنا فرطاً  
كذا الآل والأصحاب ما خط كاتب      وثمق في مرسومه الشكل والنقطة

ولنرجع إلى تمام الحديث عن ثويني وحاله، وشرح مسيره وتدبيره وتدميره وماله، وذلك أنه لما أقام في ذلك المكان، في ترتيب الحل وتدبير ذلك الشأن، واجتمع عنده من أحباس الأجناد لغات مختلفة وألوان، ومن عُدة الحرب والمدافع وآلتها وقاداتها وحماتها ورماتها، ما يذهل الأذهن، ولم يجتمع قبله مثله عند إنسان. ولا أحكمت سياسته من هو في شكله من رؤساء الزمان، وانتظم ذلك في قبيل من الشهور، وانقادت له طوعاً استدراجاً صعاب الأمور، أذن مؤذن التعدي والفجور، في تلك الجحافل والمحافل والعسكر المجرور، بالارتحال والمسير إلى الأحسا ولنفور، والمبادرة بالخروج والظهور، ووردى برداء الإعجاب والغرور. ونسي يوم البعث والنشور. يوم يساقون للحساب ويحشرون. ﴿كَلَّا سَيَعْمُونَ﴾ ﴿كَلَّا سَعْمُونَ﴾.

وانضم إليه كثير من سواد البوادي والأعراب، ونسوا إليه من كل فجج وبدب، وتدبوا بينهم أن اغدوا للاخذ والاسلاب، ﴿جُنْدُ مَا هُنَاكَ مَهْرُوءٌ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾. وسمحت نفوسهم على لمساعدته وتقوية الأسباب بما كانوا بعصه

يُخْلُونَ، ﴿إِنَّ الدِّينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْئِتُهُمْ ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾. وأقبل جميع آل ظفير إليه، ونزلوا بأجمعهم عليه، وكاسوا معه ولديه، وخبعوا ما ادعوه قبل من ذلك اللبس، وجنحوا إلى سنن الإبلاس، واستحوذ على رؤسائهم الوسواس، حتى أنزل الله تعالى بهم البأس، وكانوا عن سبيل الحق يصدون ﴿هُرُّ الْعَدُوِّ فَاحْذَرُوهُمْ فَنَلَّهْمُ اللَّهُ أَفَى يُؤَفِّكُونَ﴾.

فزحفت تريد الحسا تلك الجنود، والجموع التي ضاق منها الأودية والفجاج والوهود، وقاد معها القنابل والقنابر والمدافع التي أصواتها كالرعود، وجدوا يريدون أن ينالوا المقصود، ففضى الله تعالى أنهم يساقون لحياض الحمام المورود، ويعجلون لأجلهم المعداد، في ذلك اليوم المقدر المشهود، وأخذوا من حيث لا يظنون، ﴿فَصَبْرٌ كَمَا صَبَرَ أَتْلُوا الْعَزِيمَ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ نَبْعٌ فَهَلْ يُهْدَى إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

فلما تحقق عبد العزيز الإمام الخبر، عن ثويني بصحيح الكلام واشتهر، عند الخاص والعام أنه نشر، للظهور الرايات والأعلام، رفع يديه لمولاه وسأله ودعاه، وألح في دعائه ونداه، وقال وهو من الإجابة على يقين: يا من يجيب دعاء المضطرين، ولا يخيب رجاء المرتجين، ويكشف السوء عن المكرويين، اكفنا بحولك وقوتك المعتدين، واصرف عنا شر الضلال والمشركين، وأنزل بأسك بالمجرمين، واضع دابر الظالمين، وشئت شملهم أجمعين، واحعلهم في كل فج ممزقين. فلم يتم حينئذ دعوته، حتى فوي في بقينه رحوه، وعب على ظنه أن البلا، كتب على جميع ذلك الملا، وأن الهلاك عليهم قد سطر، والإدلال عليهم رقم وزبر. وقد فرغ من ذلك وقدر، قتلا: ﴿سَهَرَهُمُ النَّمْعُ وَبَوَّأُوا النَّارَ﴾ ١٥ نل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر. فحقو له ذلك الرجا، وأنح له ما أمله وارتجى. ولم يكر باب الإجابة عن قبول دعائه مرتجى، وأله بحب



الدين إليه في كل حالة ينزعون. ﴿مَنْ يُجِبْ الْمَضْطَرَّ بِدَعَاةٍ وَيَكْسِفُ الشَّوْءَ وَيَجْعَلْكُمْ حُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَهُ فَلَيْلًا مَّا نَذْكُرُونَ﴾.

ثم بعد التصرع والإقبال والدعاء والسؤال، والنزول بين يدي الله ولاسهل، أمر سعودًا والمسلمين، بالتجهز والخروج أجمعين، لمنزلة المبطين، ومصادفة لمسرفين، وأرسل بذلك إلى كافة البلدان، من هو داخل في دائرة الإسلام والإيمان، البعيد والقريب والقاصي منهم والدان، فكل أجاب طيبته ومراده، ولبى دعوته وإنجده، وخرجوا للطاعة بدار، ولجهد شوقًا واختيارًا، وقد بلاهم الله بذلك اختبارًا، وامتحانهم ليميز الخبيث من الطيب جهارًا، فلقد أبدى الله ﷻ في هذه الحادثة برهانا ساطعًا، وحكمًا قاطعًا، من الآيات والأسرار المطوية الخفيات، والأمور المكتومة الخبيثات، والعقائد التي في الصدور منصويت، والأهوية التي هي قبل مائلة إلى الردات، ولقلوب التي هي مملوءة ب بغض هذا الدين من البريات، وتربص بذلك الدوائر من أهل الشرك والضلالات، والأفتدة التي هي بالإحزن على أهل الدين مشحونات، من البدو والحضر. من غير تعداد ولا حضر، ففضح الله تعالى خدق كثيرًا فافتضحوا، وزين لهم الشيطان أعمالهم فما فازوا ولا ربحوا. حيث رغبوا في الردة حينئذ وجنحوا فؤوبقتهم الأعمال، فأخرجوا إلى دائرة العدل والإهمال، وزال عنهم الاستسراج والإهمال، فانقطعت بهم الآمل، في مفوز الهلاك والوبال، ظنوا حين رأوا قوة ذلك العدد والأساس، أن هذا إبان حول العذاب. وأوان ادمار والذهاب، على أهل نجد، بل جزموا به من غير ارتياب، ولم يعلموا أن هذا هو. وربُّ الأرباب، كله على القطع سراب، فكم غر قلوبهم من قبائل، وآل في البيداء المضلة لمعاد الآل، ولقد رفع أعلاه الآيات الكبير لمعاد، لكل من له قلب سليم ولب كامل وبل. وأبرز القواطع على بصره بالالوهية والعبادة

والكمار. في تلك الحال وغيرها من الأحوال. فأبى إلا الصّد والإعراض أهل الإلحاد والضلال، وقالوا: ليس لنا عن سس أسلافنا انتقال، ولا نبرج على ما كانوا عليه من سالف الأعمال. وسابق ذلك المهج والأفعل. حتى تزول الأرض أو تزال، فأنزل عليهم العذاب سريع العقاب والإنزال. فقطع دابرهم باستئصال، وعاجلهم ذلك قبل حصول مآولهم وإدراك مطلوبهم وسؤلهم، ونودي عليهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾.

وخرج جيش أهل الحسا آخر شعبين، وجبوش أهل نجد اجتمع أكثره في شهر رمضان، وخرج سعود، بلغه الله تعالى كل مقصود، في النصف الأول من شوال، في أحسن حال، وأكمل بل، وقد أمر جيوش المسلمين وأمداد الموحدين. أن يكونوا عند العربان مجتمعين، وينزلوا طرف الصمان، مبرة لأولئك العرب، وكبيرهم محمد بن معقل، فكان أهل الإسلام كلم أقبل أولئك الطّغَم ونزلوا مكانًا آخر، ارتحل ابن معقل ومن معه وجدّ في ذلك وبادر، حتى نزل المسلمون قرية<sup>(١)</sup>. ونزل أولئك بناحيها بلا مربة، وكانت تلك الجنود والأحزاب، تروم السبق على الطّف<sup>(٢)</sup> وما يليه من غير ارتياب، فعرف أهل الدين مرادهم وممشاهم، فسبقوهم على ذلك وكان عقبهم الخسر ومثواهم.

ولما خرج سعود لذلك لمنهج المحمود، أقدم على الحفر يجمع عليه الإمداد، من كل أرض وبلاذ، ويرسلها إلى عربان المسلمين، وأجناد أهل التوحيد لمجتمعين، وقد عمل المطي والرسائل، إلى جميع العرب والقبائل،

(١) تبعد عن مدينة الدمام شمالاً بحوالي ٣٢٠ كم

(٢) يُقصد على منطقة مربعة ممتدة من الجنوب إلى لشمان -متدد لمطقة لشرفيه، من عرب

لأحساء إلى عرب الظهر - ( للمعجم الجغرافي لمطقة لشرفيه، ٣ - ١٠٣٢ )

وإلى جميع قرى الإسلام وبلدانه، ومن خلّ لتوحيد بأوطانه، من أهل الجنوب والشمال، فانتظم من الخلق والأمم ما لا يحصره القلم، ولا يعبر عنه ناطق بسم، ولم تحق عنه زول ثويني ودي الفرياء، أرسل حسن بن مشاري، رحمه الله تعالى، مع جنديه من تلك البرايا، حتى يسريح مهم البذل ويحسن منهم الحال، فقد كانوا في كرب وأوجل، لا سيما من عدم قدوم سعود عليهم بالاستعجال، ونزوله عليهم تلك الأيام والليل، ولم تعبر أحلامهم ساحل الفكر والاحتيا، ولم تتجر خيول أفكارهم لرأي في مجال، ولم يفهموا ما ابتدأ من نتائج لباب الدهاة من الرجال، ولم يسمعو ما ورد في صحيح المقال: «الحرب خدعة»<sup>(١)</sup> ولله درّ المتنبّي حيث قل شعراً:

الرأي قبل شجاعة الشجعان هي أولّ وهو المهل الثاني  
فإذا هما اجتماعاً لنفس حرة بلغت من العليا أعز مكان  
ولربما طعن الفتى أقرانه بالرأي قبل تطامن الأقران  
لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرف من الإنسان  
فقصر باع الأفهم أن تدرك سن الثاني في ذلك المقام، وعدم المبادرة بالإقدام، وظنوا أنه إحجام، ولم يتعودوا ممارسة العقول بالتدبير والسياسة، ولم يتأهوا للقيام بأعباء الرئاسة، وأضاعوا مواد الحزم، وخبطوا خبط عشوا بلا يقين ولا جزم، وحكموا بما لم يحيطوا به علم، ولم يكونوا من غامضه على فهم، فستحسنوا ما ليس بالحسن، لكون المقدمة لم تنج لهم المطلوب في العلل، وإلا فلأنة محمودة، والعجلة مذمومة مسعودة، كما ورد في بعض الأثار ومستحسن الأخبار، ولقد قال من سق في هذا المضممار:

(١) أحرجه نحري (٣٦١١) ومسم (١٠٦٦).

قد يُدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل ولقد دبر فكره فيهم مكائد، وأقدم لخداعه رصائد، وبصب لهم شركًا وحاله تقتنصهم فرسًا ورجاله، وأحكم لهم من الآراء درعًا سابغة، وزرًا بيوم الهيج نبعة، وهمت عند المنزلة لكتائب الأعداء رابعة، وأسنة مسنونة وعصبة بالصر مقرونة، لم ير قط عن الأقدام لها تأخر ولا إحجام، بل لا تزال للوغى طلبة، وفي الجهاد رابعة، وللأرواح نوبة، وللمهيج سابلة، وأراد بهم أمرًا أمرًا، ومن القاصمة كاهلًا وظهرًا، فأرسل إلى حسن بن مشاري يأمره أن يجمع عربان المسمين وجموعهم، على أمواه أم ربيعة، لكونها منزلًا للقتال، والمحل الواسع لمنازلة الكتائب والمجال، فعسى العدو إذا رأى هذه الحال، يظنها رعبًا وأجفال، فيسرع في القدوم والإقبال، فتقع المصادفة ولمزاحمة، وتصدر المقاتلة والملاحمة، فلا يطول مكث لتلك الكتائب، حتى يرى سواد سوادي آيب، فتقع حينئذ في الطعن عجائب، وتبدو أحوال غرائب وخطوب ومصائب، فتصحي كماء الأعداء للنجاة طوالب، وتلك الأحزاب متمزقة هوارب، ويضيق عليهم إذ ذاك فسيح المطالب، ويمسي كل واحد لكأس الذل شارب.

ولكن صدور ما جرى تدبير من ليس له غالب، وإرادة من لا يعجزه في الوجود هارب، وخيرة برّ وُصول، حلیم غير عجول، كريم جواد، يحف بالنصر والإمداد، من أرادته من العبد، وكفى بإرادته وخبرته للموحدین وعصبة لدين من خيرة ومراد، وبإمداده وإسعاده من إمداد وإسعاد، فسبحان الذي قدر الأشياء قبل الإبرار والإيجاد، فوقع في الكون ظهوره وبدا مسورها على ما شاء وأراد.

ولما أتى حسن بن مشاري ذلك الأمر من سعود، لم يكن له مدّ عن الارتحال حتى يتم المقصود، فارتحل تلك الأيام، وترك الإقامة في ذلك المقدم، وسَمّر في السير بعد الرحيل، من غير نومة ولا تمهيل، وسار عن الظف وما يليه بعدما

كان له فيها مراح ومقيس، وقصد ما أمره به الأمير، لكونه رأيًا سديدًا وبديراً من أحسن التدبير. فعند ذلك طمع لأعداء وكافة ذوي الردى، وحسبوا أن ذلك مخفة وجيب، ورعباً أطر قلباً وذهناً. فزحفوا إلى المكان الأدنى. فأكسبهم الله ذلاً ووهناً. وأهلكهم بما كسبت أيديهم، وأورث المؤمنين المحل الأسنى. وذرهم من أموالهم وأغنى، طمس الله تعالى على بصائرهم وأبصارهم وعمى عليهم الحيل والخداع، فلم يعتدوا لذلك بأفكارهم، فالتقوا أنفسهم إلى التهلكة بأيديهم. وهذا شأن قائدهم، يغويهم ثم يردبهم، وقد كشف الله تعالى بالارتحال عن ذلك المكان، ما أضمر في القلوب واستكن في الجدن، وأبرزه سبحانه من أنس في صفحات الوجه وفنتات اللسان، فنطق بالنفاق كثير من العرب. لاسيما في ذلك البدوان، فكاد أن تنفق للنفاق أسواق، ويكون للباطل اعتلاق. وللزور والكذب اختلاق. ومالوا إلى طريق الهوى، وحاولوا عن الهدى نفوراً، ﴿وَيَذَّيْقُوا الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا عُرْشًا﴾، وثبت الله تعالى أهل التوحيد والإيمان، وزدهم فيه تصديقاً وإيقاناً، وقلوا: ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ كما في القرآن، فأولاهم أسنى مراتب العرفان، وأفاض عليهم هائل البر والإحسان، وكانت العقبي لهم مع منحهم من رفيع ذلك الشأن.

وفي حدود هذه الأيام أرسل حسن بن مشاري جيشاً كثيراً من المسلمين، منهم محمد ك علي المهاشبر وفراج وصالح بن عياش، وأمرهم أن يطالعوا أدنى تلك الأحزاب. وبرسلوا إلى راءك بن عبد المحسن حتى يسرع إليهم في الإياب، لأنه قد أرسل إلى عبد العزيز الإمام، حدود مسيره إلى الشمال بك الأيام، يبين له ما جرى وأنه لم يرد ذلك المرام، ولم تطغ نفسه بذلك ولم ينقدم له فيه كلام، وإني أريد بالمسلمين للحوف، ولكنني عن ذلك مغفوق. وإن اتاني

من المسلمين غزوان، بادرته إلى لقائهم من غير تون، وكتب كذلك إلى سعود، قبل ظهوره من البلد وبعده، وبذل فيه جهده، وكتب إلى حسن بن مشاري تلك الأيام، وهو غير خائف ولا مماري بل رعة في الإسلام، والالتقيد للأحكام. فلما سر ذلك الغزو إلى تلك الأقوام، لم يحصل لبرك انتهاز فرصة ولا انهزام، لكون الأحزاب به مرجفة، ومنه محذرة مخوفة، فصارت له مكشفة، فردت تلك الغزاة منحرفة.

وفي هذه الأيام أغار فراج كبير سبيع مع غزو المسلمين حاضرة وبادية، فأصبحت خيولهم على المعددين عادية، وكانوا عنهم مخبرين، وعن قدومهم منذرين، فصاروا لهم مستعدين، فوقعت بينهم مضاعفة شديدة، وكان للمسلمين فيها أحوال حميدة، بعدما أناخوا للقتال، ولم يتبين فيهم رعب ولا إجفال، فقتل بينهم رجل، وقتل المسلمون منهم ثلاثة عشر فارسًا، وأخذوا عليهم آبال، ورجعوا في أحسن حال.

وفي تلك الأيام أيضًا أغار نفجان بن سند لندي مع غزو معه على الضويحي<sup>(١)</sup>، فأخذ منهم إبلاً كثيرة، وفزعوا يريدون ردها فرجعت أبصارهم عنها حسيرة.

وفي هذه الأيام أرسل سعود رسلاً نحو القطيف، ومعهم ركب آل مرة، لكون الطريق يخيف، فمما أتوا ذلك المكان، وجدوا قوماً من العمائر العدوان، ففجأوهم على غرة، ونفذ الله فيهم أمره، وقتلوا منهم خمسة وعشرين، وأخذوا السلاح وما كانوا له مجمعين.

وفيها وقع مطر عظيم، وجرى سيل جسم، وكان ذلك وقت الوسمي وأوانه.

(١) مر سي حند لحوف

وحبسه وزمانه، وأول أيامه وإياه، فزاد ذلك وأربى، وأشفق منه الناس محافة وكرهًا، وتلاطم موجه وزاد، وأزال كثيرًا من دكاكين أهل البلاد، وتعاضم جريانه وطمي، وصعد بعض لبيوب وارتمى، وطرح بعض نحر من البطحاء ورمى، وهدم كثيرًا من الركايا، وأقامت منه بيوت خوايا، ونالت منه بعض الضرر الرعايا، وألقى بيوت أهل الدلم وأزالها، وأغرق ما فيها من الأمتعة والطعام والأموال وشالها، فغير من أرباب تلك البيوت حالها، فاختطوا بعد ذلك لسكنهم خطة، وكان ذلك السيل عيهم من البلاء حطة، ونزل على حريملا برد كثير كبار، لم يعرف له مثل، قتل بهائم كثيرة، وكسر جمار بعض النخيل، وكسر غالب الأشجار، وحصل للمسلمين منه اندعار، وهدم كثيرًا من الجدران، وأشفق منه غالب البدن، فلجأوا في رفعه إلى الله مولاهم، فكشفه عنهم ومنحهم مناهم.

وفيهما أيضًا في فصل الصيف أتى سيل أخجل الألب والاذهان، ولم يجر قبله مثله في سابق الزمان، هدم بعض حوطة أهل الجنوب، وحصل للمسلمين منه كروب، وهدم من العينة والدرعية وغيرهما بيوت مَعُودة، وأغرق زروعًا كثيرة محصودة، ولكن أدرك الناس به نعمة منيفة، ومنه من الله تعالى شريفة، حيث استمر سنة يجري من غير مطر وادي بني حنيفة، فطابت لهم البلاد وحسن لهم العيش والحال، وأقاموا مدة هذه السنة في أنعم بال، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَغْيُرْ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يَغْيُرُوا مَا يَفْعَلُهُمْ وَيَذَرَهُمْ يَفْعَلُهُمْ سَوَاءٌ فَلَا مَرَدَّ لَهُمْ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾.

وفيهما كثر الجراد، وعم في أكثر البلاد، وانتشر في غالب الأقطار، ورأى في كثير من البلدان والأمصار، وحصل للناس من خيفه الصغار الذي لا يقبل الزجر والانزجار، ولا يعتريه من الرهح اندعار، أعظم ضرر وضرار، فأكل ذلك الدبا لما مشى ودبى، ولم يشعر به الناس حتى طلع عليهم حيشه وب غالب ثمر

الأشجار، ثم ولى بقدرة العزيز القهار.

وفيهما غزا ربّيع بن زيد أمير وادي الدواسر بجيش من جماعته ما بين حاضر وباء، فأسرع في سيره يريد بعض البدوان، ذوي الشرك والضلال والطغيان، فصَبَّحَ فَرِيْقًا يَقَالُ لَهُ أَبُو الْبَوْسِ مِنْ شَهْرَانَ، فَشَنَ الْغَارَةَ عَلَى ذَلِكَ الْفَرِيْقِ دُونَ إِمْهَالٍ وَلَا تَعْوِيْقٍ، فَشَمَرَ حَزْبَ الْفَسْقِ لِلْقِتَالِ بِالْصَّدْقِ، وَعَزَمُوا أَنْ يَكْشِفُوا الْعَوَادِي الْقَوَادِحَ، وَيُوقِعُوا مِنْ عَزْمِهِم بِالْمُسْلِمِينَ أُمُورًا فَوَادِحَ، تَسْوِيْلًا مِنَ الشَّيْطَانِ، وَاغْتِرَارًا بِالصَّبْرِ عِنْدَ الطَّعَانِ، حَتَّى رَأَوْا مِنْ بَأْسِ أَهْلِ الدِّينِ، مَا أَكْذَبَ أُمَانِيَّتَهُمْ فَوَلَّوْا مِنْهَزْمِينَ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ نَحْوَ الْخَمْسِينَ. وَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعَ الْمَحَلَّةِ وَالْغَنَمِ وَالْإِبِلِ، وَرَجَعُوا بِالْأَجْرِ وَحَسَنِ الْعَمَلِ.

وفيهما غزا ربّيع أمير واديه بجمع من حضره وبديه. فسار بمن معه من لمسلمين وحزبه المتبعين، يريد بلدان المشركين، فعمد إلى بيشة، ونزل على الشقيقة والجينة<sup>(١)</sup>، وبادرهم بالقتال بعد أن أبوا الإسلام وحينه، ثم بعد أن مضوا لهم ليال وأيام، وهو محاصر لهم في ذلك المقام، ورغبوا في طريق السلم والاستسلام، ونزلوا للبيعة على الإسلام، فعاهدوا جميعًا على ذلك، وحسن لهم المقام هنالك.

وفيهما أمر عبد العزيز، أدخله الله تحت كنفه الحريز، ربّيع بن زيد أن يسير بجماعته، إلى رنية<sup>(٢)</sup> مع من عنده من أهل ذلك المكان ومهاجرنه، فسار ممثلاً لذلك الأمر، حتى أنخ على رنية فبنى بها قصر، فلم أخكم نؤه. وتم رفعه واسعلاؤه، جعل فيه آلة للحرب وكثيرًا من الصعام، وأمر فيه محمد بن سعيد بن

(١) من فرى شنه.

(٢) تقع في منطقة مكة، على طريق بين منطقة عسير ومكة



قضان، فحين عاينوا أهل رنيه ذلك العمل، رجف بهم ذلك الوطن والمحل، وضاق عليهم فسيح الرحاب، ودهمهم أعظم، لاكترب، وحل بهم الأسى والاكثاب، فلم يجدو مهجاً للدفاع، ولم يكن عن الدخول في لدين امتناع، وإن كانت تفر عنه تلك الطبع، وليس لهم في البقاء على حالهم أطماع، فعند ذلك أسرعوا في الإسلام على المبايعة، وأقبلوا للعهد متابعة، فأبدوا أولئك الأقوام مناهج لاستسلام، ودانوا لما تضمنه من الأحكام على طريق الإلزام.

وفيها غزا محمد بن معقل مع جمع من أصحاب الحسا والمهاشير وأهل نجد، وكانت جزيرة العمائر<sup>(١)</sup> التي بالبحر له قصد، فسار وقد زال عنه ومن معه من الرجال، رَئُ النَّصْب والسَّامة والكلال، وقد أجهد المطي في السير والترحال، لئلا يعلم م دبره وهياه من الحال، فلم يزل يجد التسيار، ويقدر بمقراض اليعملات القفار، حتى شخص له لمع البحار. وسمع زخر موجه التيار، وبدت له في الجزيرة الأشخاص، فأسرعت الجيوش الأحسانية، والأبطال المجربة النجدية، إلى خوض البجة البحرية، مستمدين النصر والإعانة السرمدية، من خالق البرية، ولم تسبق قبل هذه في البحر لأهل الدين غزوة، ولم يفترعوا من تياره صهوة، بل لم يقصدوا نحوه، وخاض معهم بعض الخيل، ولم يكن لأحد عيهم قبل ذلك صدود ولا ميل، فشمر يعوم من كان يحسن العوم من أولئك الجماعة والقوم، حتى وصوا إلى ساحل الجزيرة، فساروا إليها بأعظم الحرية، وحين رأى من بها من الرحا، مهول تلك الأفعال، علم أن وراءه من الفضال أحوال وأهول، فركبوا سيرة الأفلاك، فكان لهم بها من السلامة أفلاك،

(١) تقع على سواحل السرفي من الخليج العربي على بعد ٣٥ كم شمال مدينة لحمل والعمائر من بني حنظل.

ولم يكن لهم سبيل ولا إدراك، وقتل منهم بعض الرجال، وأخذ المسمومون جميعاً ما به من الأموال، فآدركوا فيها سناً من الخيل لأجاويد، ونحو أربعين من إناث العبيد، وخياماً كثيرة وسلاح، وأمتعة ونقود وأرباح، وفازوا بالأجر والفلاح، ورجعوا من الأمل بالنجاح.

وفيها أرسل غالب الشريف رسلاً إلى عبد العزيز، أصبح الله تعالى له الحال وبدغه جميع الآمال، يطيب منه علماً من أهل الدين والتوحيد، ويزعم أنه يقصد بذلك تحقيق هذا الأمر ويريد، ويحرض على قدومهم مع من أرسله من البريد، حتى يقف على الحال عن يقين وعين، ويحيط بعد ذلك بالعرفان، وينجلي له من المناظرة في شريف ذلك المكان، ما خفي عليه من مدة أزمان، وربما تشرق له أنوار شمس البيان، ويحصل منه بعد الإباء والإصرار إذعان، وبعد النفرة عن عذب ذلك المنهل شرب وإدمان.

فلما عرف إمام أهل الإيمان، ما قصده ذلك الإنسان، وما حرض عليه من المناظرة لديه والتبيان، رغب أن يكون انقذح له من الدعوة شيء، أو نشر له من الحق طي، وربما يبدو منه إيب وفتي، بعد فرط صدود وامتناع وكي، ويقتضي من شاء من القرب لذلك المكان، وأيضاً فالهداية والتوفيق قد يكونان في أوقات دون أوقات، و«لله في دهره نفحات»<sup>(١)</sup> كما جاء عن النبي ﷺ في بعض الروايات.

وكان من حسن سيره عبد العزيز وفطنته، وبديع هديه ومنته، وعظيم فضل الله عليه ومنته، أنه يدعو إلى الله تعالى بالتي هي أحسن وأحكم، ويرشد العبد لتتي هي أقوم، فرأى إسعافه بذلك المرام وإسعاده، واختار أن ينيده مؤموله

(١) أخرجه لطبراني في معجمه لأوسط (٢٨٦٥) وضعفه نسج الألباني (ضعف

ومراده، فعسى أن يكون له سبباً لسعادة، فعند ذلك أرسل إليه من أهل الدين من  
يكشف عنه شبه المبطين، وبوضح له سبل المهتدين، وهم أناس من أهل المبر  
والنبيين، وحس المحاضرة في المنطرة بالرايين، وكبيرهم حمد بن ناصر بن  
معمر، وكان هو الرأس عليهم والمؤثر، فجهزهم بأحسن الجهاز وأتمه،  
وخولهم من معروفه أعمه، فجردوا للمسير الهمة، وقطعوا تلك المهامه  
المدلهمة، حتى أتم الله تعالى عليه الفضل والنعمة، وصرف عنه البؤس  
والنقمة، فوصلوا بعد إنضاء الأعوجيات، ويزال تلك المهریات في سياسب  
الفلاة، ومواصلة الشرى في الدجنات، بلد الله الحرام ومحلة الحج الذي هو  
أحد أركان الإسلام، فدخلوها معتمرين، فطافوا وسعوا، وأتوا بالعمرة على  
التمام، ونحروا الجُزر التي أرسلها الأمير سعود إلى بيت مولاه، في المروة التي  
تراق دماء شعائر الله، أوصل الله تعالى إليه أجر ذلك وثوابه، وأناله على ذلك  
القبول وأثابه، وبلغه في الدارين مقصوده وطلابه.

فقد بهم الشريف بالإقبال، وأبدى لهم طلائع الإجلال، وتلقاهم بطلاقة وجه  
واستهلال، وأنزلهم منزل التوقير والسلامة، ووالى عليهم حشمتهم وإكرامه،  
وأحضرهم لديه مع علمائهم ليال، وعقدوا للمناظرة مجال، وتجارت الأذهان  
فيها للجدال، وشرعوا أسنة المقال، وراموا أسنة الحق بالمحال، ولم يأتوا ولله  
الحمد على كل بما يثلج لهم وهيج البال، من النصوص السالمة من الضعف  
والاعتلال، ولم يجلبوا من البراهين المؤيدة للشرك والضلال، سوى  
موضوعات الملحدة والضلال، وأكادب الرندقة وغلاة العبد الجهار، التي  
عفت منار الحيفية وما لها من معالم وأطلال، حين حرب على مبهج مناهج  
محياتها الأدب.

فلم تحققوا ذلك وعلموه، وتيقنوا أنهم لم يجدوا في الدفع وفهموه، أحمعوا

رأيهم وأحكموه، في المعالطة في المفظ فأبرموه، فراشوا في المقال النصال، وحددوها للرمي في النصال، ورصدوا للحسن في اللفظ والمقال، لما تبين منهم الخذلان والإذلال، فلم يعثروا في سرد صحيح السنة القمعة لهم والأنقال، على ما فيه لبس لدى مصنف وإشكال، سوى لفظة جرى اللسان فيها على اللحن في الإعراب والإشكال، فارتفع من بعضهم عند ذلك التخطئة بالمبادرة والاعتجال، وناهيت بهذا من نقض في اللب والاختلال، وسخافة في العقل وخبال، ووسوسة من الشيطان أبرزها له في الخيال، وحسبك كونه في الفجج بالحنة لم يبال، ولم يبد منه فضيحة واعتجال، مع أنهم بذلك الإلزام والفلج لم يذعنوا، ويجحدونه وهم به مستيقنون، ﴿كَذَلِكَ زَيَّتْ لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وصفة ما جرى منهم أنهم حضروا بيت الشريف، تجده بيت الله المنبف، وجالت خيول الأذهان لدى غالب، والكل جرى ذلك المضمار لإدراك المآرب، فأول ما افتتحوا به التكنم والتخاطب، وأجمعوا عليه في المطالب، وصدر منهم البداة والتنافر، ووقع منهم بتلك المجالس، وجرى منهم التهاور والمفاوضة والتخطب فيه والمرأوضة، مسألة قتال الموحدين الناس، والكشف عن وجهه حجب الالتباس، فطلب من حمد بيان الحجة والدليل، والبرهان السالم من الأعاليل، والنص القاطع للاحتمال ولتاويل، والقامع لسائر الأقويل، على ذلك المنهج والسبيل، فأتي لهم جزاءه الله تعالى الثواب الجليل، من النص القاطع القمع، لكل أذن واعية وسامع، وأصل لهم من الأصول فيها، ما تودى بالمراد ويكفيها، وجلب من الأحاديث الصحيحة الراححة، والأدنة الماهرة لللائحة، ما شفى وكفى، وصيرهم من قطع اللسان والحنة على شفا، وأزاح عن محياها القدم ونفى، فقصف على بيت عنكبوتهم

نسب الحق ههنا، ومزق آثارهم ومندهم بعدم هب عنهم وسف، وأوقفهم على المنصوص، فأقروا وسلموا لتلك النصوص، وصدر منهم الإذعان، بعدما حملهم الشيطان، على كور تلك لم تكن في الكتب مسطرة، ولا موصولة فيها ومقررة، وتفوهوا بحضرة الشريف بذلك، حتى أوقفهم حمد على ما هنالك، ونقل من الكتب التي عندهم ما ضعضع وجدهم، وجلب عليهم علتهم وجهدهم، فوظفت جباههم من العرق، لما داخلهم من الخجل والفرق، فلم يكن لهم حينئذ بد ولا حيلة، حين قرأوا حجته ودليله، ولم يستطع منهم إنسان على جحود ذلك البرهان، بل صار منهم إقرار بذلك وعلان، ولم يكثرثوا بما صدر قبل من الكتمان، وما ابتدأوا به من الزور والبهتان، فأمسوا بذلك يقرون وبمضمونه يصدقون. ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ نَمَتٌ قَبِيلًا فَنُكِّلَ مَا يَشْرُونَ﴾.

ثم تفوضوا بعد ذلك في مجالس عديدة في دعوة الأموات، فأبدى لهم من النصوص العادلة السديدة، والآثار الراجحة المفيدة، والأقوال الصحيحة العديدة، ممن له الفكرة بالتحقيق من أقوال الأئمة الكبار، والأتباع المتقدمين الأخير، ما أدهش العقول والأفكار، مما لا يسع المنصف له إنكار، ولكنهم جحدوا وقوع ذلك في الوجود، وأنكروا أن يكون ذلك في الأقطار موجود، وذلك عندهم واقع مشهود، وهم على ذلك كل ساعة شهود، فلعياذ بالله تعالى عن هذا الإنكار باللسن، مع أنهم متيقنونه في لجان، ويشاهدونه الخلق عندهم بالعيان، فنقول: سبحانه هذا بهتان.

ولا بدع فيما جرى وصدر، فقد قل كبيرهم أول من حصر، وتأهب للمناظرة ونذر، وجرد ذبول الحياء، وفنخر، واحتدل من الكبر والأشر: اعلم أي قول ولا أمري، ولا أحاصمك ولا أناظرك ولا أناري، إن أثبتني بالدليل من الكتاب

أو ستة النبي، لثي هم خصم لكل كذاب، ولا أحارث ولا أطالب بما قاله علماء المذاهب، سوى ما فار به إمامي أبو حنيفة، لأنني مقدّمه فيما قل، فلا أسلم لسوى قوله من قل، ولو قلت قل رسول الله أو قل الله ذو الجلال! لأنه أعلم مني ومنك بأولئك، وأدل بابتهاج تلك المسالك، والأخذ بغير قول الأئمة هو عين اقتحام جرائيم المهالك.

فليقف العاقل على هذا المقال ويقضي منه العجب، حيث صدر من هذا المدعي للعلم مع الله سوء هذا الأدب، فيا بش ما اقترفه من الإثم واكتسب، لم يخف الله ولم يراقب، ولم يخش سوء العواقب، وحاول بذلك في الدنيا المراتب، حتى يكون من الجاه والرئاسة فيها متوسط الكهل والغارب.

فدما انقضت تلك الأيام والليال، وتقضت ساعات المناظرة والجدال، طهبوا من حمد بن نصر بن معمر تأصيل ما برهن به واحتج به وقرر، وكتب ما سجله عليهم وسطر، فانتدب لذلك، أدام الله نفعه وكثر من الفوائد جمعه، فحرر من الكتب التي عندهم في ذلك المكان، ما أراد من ذلك الأمر والشأن، بعد طلبه منهم تلك الكتب وتسميتها بالأعيان، فجمع لديهم عجالة، وعجل لهم في سوحهم رسالة، أوجز فيها مقله، وأتى فيها بما فيه كفية، في المحجة والدلالة، يذعن بعد سماعها كثر منصف عقل، ويشهد بفضل قائلها كل فاضل، وتقر بصدقها وصحة مضمونها الأمثل، ولا عبرة بمنافق أو غبي أو جاهل، بنى للحق الممين على أساسها صرحاً، وأجاد فيما أحكمه من التحرير إيضاحاً وشرحاً، فأفاد مما نحوه من التعبير صدعاً وصدقاً، ونرك مناظريه يعاون في الجواب عنها كدحاً، فلم يدركوا من سعيهم رجحاً، بل زادوا فيما زخرفوه عن الصواب عدداً ونزحاً، وهي عليك محبوة، وحججها مقروءة ومتلوّة، مميّزة بوضيئ حسنها النقاب، سافرة الوجه لنتقاد وللقاب، حائبة من شين الإسهاب

والإطباب، جالية التحرين ولارتاب، ولكن عيها سلامتها من الإعجاب، وهذا نص الرسالة المزبورة، والعحالة المنفحة المسطورة، وأثبت بها على تأصيلها ووضعها، ولم أغير بديع منولها وصنعها.

### الرسالة<sup>(١)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم

المسألة الأولى: ما قولك فيمن دعا نبياً أو ولياً واستغاث في تفرج لكربات، كقوله: يا رسول الله، أو: يا ابن عباس. أو: يا محجوب، أو غيرهم من الأولياء والصالحين؟

الجواب: الحمد لله، أستعينه وأستغفره، وأعوذ به من شرور أنفسه ومن سيئات أعماله، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان واقتفى آثارهم إلى آخر الزمان، أما بعد:

فإن الله تعالى قد أكمل لنا الدين، ورسوله قد بلغ البلاغ المبين، قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَنْزَغُكُمْ مِّنْهُ هُدًى فَمَبِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ \* وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِسْمَةِ

(١) وهي رسالته الشهيرة «الفؤاد» اعداد في الرد على من لم يحكم السنة ولكتب، نشرت في «الهدية السنوية» (ص ٦٣ - ١١٨)، وفي «الدرر النسية» (١٠ / ٢٧٩ - ٣٣٥). وضعت مفرده مراراً، من آخر طبعاتها طبعة شبيح عبدالرحمن لتركى، عم ١٤١٥ هـ.

أَعْمَى ﴿ وَقَالَ ابْنُ عَسَرَ . تَكْفُلُ اللَّهُ لِمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَاتَّبَعَ مَا فِيهِ إِلَّا يَضِلُّ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَشْقَى فِي الْآخِرَةِ <sup>(١)</sup> . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ بَعَثَ عَنْ دِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِصَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ الْآيَةُ .

رَوَى مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تُمْسِكْتُم بِهِمَا : كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ » <sup>(٢)</sup> .

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْمَحَبَّةِ الْبَيضَاءِ ، لَيْلَهَا كُنْهَارُهَا ، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ » <sup>(٣)</sup> .

وَقَالَ ﷺ : « مَا تَرَكْتُ مِنْ شَيْءٍ يَقْرُبُ إِلَى الْجَنَّةِ إِلَّا وَقَدْ حَدَّثْتُكُمْ بِهِ ، وَلَا شَيْءٍ يَقْرُبُ إِلَى النَّارِ إِلَّا وَقَدْ حَدَّثْتُكُمْ بِهِ » <sup>(٤)</sup> .

وَقَالَ ﷺ : « عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي ، تُمْسِكُوا بِهَا وَعِصُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » <sup>(٥)</sup> .

فَمَنْ أَصْغَى إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَجَدَ فِيهِمَا الْهُدَى وَالشِّفَاءَ ، وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ أَعْرَضَ عَنْ كِتَابِهِ ، وَدَعَا عِنْدَ التَّنَازُعِ إِلَى غَيْرِهِ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾ .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨ / ٣٨٩) .

(٢) الموطأ (٣٣٣٨) بلاغاً .

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٣) وإمام أحمد (٤ / ١٢٦) من حديث العرياض بن سارية، وصححه لشيخ الألباني (صحيح الجامع ٤٣٦٩) .

(٤) أخرجه عبد البرق (١١ / ١٢٥) وقال شيخ لأبني . مرسل حسن (الصحيح ١٨٠٣) .

(٥) أخرجه أبو دود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٢) وإمام أحمد (٤) .

(١٢٦) وصححه الشيخ الألباني (صحيح جامع ٢٥٤٩) .



إذا عرفت هذا فنقول:

الذي شرعه لنا رسول الله ﷺ عند زيارة القبور إنما هو تذكر الآخرة، والإحسان إلى الميت بالدعاء له، والترحم له والاستعمار له، وسؤال العافية، كما في صحيح مسلم<sup>(١)</sup> عن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى المقابر يقول: «السلام عليكم يا أهل الديار» وفي لفظ: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا بكم إن شاء الله لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية».

وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء»<sup>(٢)</sup>.

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: «ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين ببلغون مائة، كلهم يشفعون له، إلا شُفِّعُوا فيه» رواه مسلم<sup>(٣)</sup>.

فإذا كنا على جذوته ندعو له لا ندعوه، ونشفع له لا نستشفع به، فبعد الدفن أولى وأحرى. فبدل أهل الشرك قولاً غير الذي قيل لهم، بدلوا الدعاء له بدعائه، والشفاعة له بالاستشفاع به، وقصدوا بالزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ إحساناً إلى الميت سؤال الميت، وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذي هو مخ العبادة بنصر رسول الله ﷺ فعن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «الدعاء مخ العبادة» روه الترمذي<sup>(٤)</sup>. وعن النعمان بن شير

(١) صحيح مسلم (٢٤٩).

(٢) سنن أبي داود (٣١٩٩) وسنن ابن ماجه (١٤٩٧) وحسنه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٦٦٩).

(٣) صحيح مسلم (٩٤٧).

(٤) حمع لترمذي (٣٣٧١) وضعه النسخ الألباني (صعب الجمع ٣٠٠٣).

قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء هو العبادة» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه<sup>(١)</sup>.

ومن المحال أن يكون دعاء الموتى مشروعاً ويُصَرَّف عنه القرون الثلاثة المفضلة بنصر رسول الله ﷺ ثم يُوفَّق له الخُلُوف الذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون! فهذه سنة رسول الله ﷺ وهذه طريقة الصحابة والتابعين لهم بإحسان، هل نُقِل عن أحدهم نقل صحيح أو حسن؛ أنهم كانوا إذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندهم وتمسحوا بها، فضلاً عن أن يسألوا أصحابها جلب الفوائد وكشف الشدائد! ومعلوم أن هذا مما تتوافر الهمم والدواعي على نقله، وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله ﷺ بالأمصار عدد كثير متوافرون، فما منهم من استغاث عند قبر، ولا دعا، ولا استشفى به، ولا انتصر به، ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي ﷺ من بعد موته، ولا بغيره من الأنبياء، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأولياء، ولا الصلاة عندها، فإن كان عندكم في هذا أثر صحيح أو حسن فأوقفونا عليه، بل الذي صح عنهم خلاف ما ذهبتم إليه، ولما قحط الدس في زمن عمر بن الخطاب استسقى بالعباس وتوسل بدعائه وقال: اللهم إن كنا نتوسل إليك بنبينا فسقينا، ونحن نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. فَيُسْقَوْنَ. كما ثبت ذلك في صحيح البخاري. ذكره في كتاب الاستسقاء من صحيحه<sup>(٢)</sup>.

ونحن نعلم بالضرورة أن النبي ﷺ لم يشرع لأمة أن يدعوا أحداً من

(١) أخرجه أبو داود (١٤٩٧) والترمذي (٢٩٦٩) وسنن ماجة (٣٨٢٨) والإمام أحمد (٤/

٢٧١) وصححه السيخ لألباني (صحيح الترغيب ١٦٢٧)

(٢) صحيح لبحري (٣٥٠٧)

الأموات، لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها، بل نعم أنه نهى عن كل هذه الأمور، وأن ذلك من لشرك الأكبر الذي حرمه الله ورسوله، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ تَسْجُدَ لَهُ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْلٌ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافُونَ﴾ ⑤ وَذَٰ خَيْرَ النَّاسِ كَانُوا لَهُمْ عَدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ وقال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ ⑥ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ ⑦ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخْذَلُونَ عَذَابُهُمْ ⑧.

قال مجاهد: يبتغون إلى ربهم الوسيلة، هو عيسى وعزير والملائكة<sup>(١)</sup>. وكذا قال إبراهيم النخعي.

قال: كان ابن عباس يقول: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ هو عزير والمسيح والشمس والقمر<sup>(٢)</sup>.

وعن السدي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: عيسى وأمه والعزير<sup>(٣)</sup>.

وعن عبد الله بن مسعود قال: نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الحن، فأسلم الجنيون، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم،

(١) تفسير ططري (١٧ / ٤٧٤).

(٢) تفسير لطري (١٧ / ٤٧٤).

(٣) تفسير الضري (١٧ / ٤٧٣).

فترلت هذه الآية . ثبت ذلك عنه في صحيح البخاري ، ذكره في كتاب التفسير <sup>(١)</sup> .  
وهذه الأقوال كلها في معنى الآية حق . فإن الآية تعم كل من كان معبوده  
عبدًا لله ، سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر . فلاية حطب لكل  
من دعا من دون الله مدعواً . وذلك المدعواً يتغي إلى الله الوسيلة ويرجو رحمته  
ويخاف عذابه ، فكل من دعا ميتاً أو غائباً من الأنبياء والصالحين فقد تناولته هذه  
الآية ، ومعلوم أن المشركين يدعون الصالحين ، بمعنى أنهم وسائط بينهم وبين  
الله ، ومع هذا فقد نهى الله تعالى عن دعائهم ، وبين أنهم لا يملكون كشف  
الضر عن الداعين ولا تحويله ، ولا يدفعونه بالكلية . ولا يحولونه من موضع إلى  
موضع ، كتغيير صفته أو قدره . ولهذا قال : ﴿ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ فذكر صيغة تعم أنواع  
التحويل . فكل من دعا ميتاً من الأنبياء أو الصالحين ، أو دعا الملائكة ، أو دعا  
الجن فقد دعا من لا يُغيثه ولا يملك كشف لضر عنه ولا تحويله .

وهؤلاء المشركون اليوم منهم من إذا نزلت به شدة لا يدعو إلا شيخه ، ولا  
يذكر إلا اسمه ، قد لهج به كما لهج الصبي بذكر أمه ، فإذا تعسر أحدهم قال : يا  
بن عباس . أو : يا محجوب . ومنهم من يحلف بالله ويكذب . ويحلف بآبن  
عباس أو غيره ويصدق ولا يكذب ، فيكون المخوق في صدره أعظم من  
الخالق ! فإذا كان دعاء الموتى يتضمن هذا الاستهزاء بالدين ، وهذه المحادة لله  
ولكتبه . فأبي القريظين أحق بالاستهزاء وبالمحاداة لله ؛ من كان يدعو الموتى  
ويستغيث بهم ، أو من كان لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له . كما أمرت به  
رسله ، ويوجب طاعة الرسول ومتبعته في كل ما جاء به !

وحن . بحمد الله ، من أعظم الناس إيجاباً لرعية جاب الرسول ، نصديقاً له

(١) صحيح البخاري (٤٧١٥) .

فما أخبر، وطاعة له فيما أمر، واعتناء بمعرفة ما بُعث به واتباع ذلك دون ما خالفه. عملاً بقوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَمَرَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَبِيلًا مَا تَدْكُرُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

ومعذ، ولله الحمد، أصلاً عظيمان:

أحدهما: ألا نعبد إلا الله. فلا ندعو إلا هو، ولا نذبح النسك إلا لوجهه، ولا نرجو إلا هو، ولا نتوكل إلا عليه.

الأصل الثاني: ألا نعبد إلا بما شرع. لا نعبد بعبادة مبتدعة.

وهذان الأصلان هما تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن شهادة أن لا إله إلا الله تتضمن إخلاص الإلهية، فلا يتأله القلب ولا اللسان ولا الجوارح غيره تعالى. لا بحب ولا بخشية ولا إجلال ولا رغبة ولا رهبة. وشهادة أن محمداً رسول الله تتضمن تصديقه في جميع ما أخبر به، وطاعته واتباعه في كل ما أمر به، فما أثبت وجب إثباته، وما نفاه وجب نفيه. وقد روى البخاري من حديث أبي هريرة قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» فقلوا: ومن أبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»<sup>(١)</sup>.

إذا عُرِف هذا، فالذي نعتقده وندين به الله. أن من دعا نبياً أو ولياً، أو غيرهما، وسأل منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات، أن هذا من أعظم الشرك الذي كُفِّر الله به المشركين، حيث اتخذوا أولياء وشفعاء يستجلبون بهم المذفع، ويستدفعون بهم المضر، برعهم. قال الله تعالى: ﴿وَيَسْتَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْقُذُ عَنْ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ فمن جعل الأنبياء أو غيرهم، كابن عباس والمحجوب أو أبي طالب، وسائط يدعوهم،

(١) صحيح البخاري (٧٢٨٠).

ويتوكل عليهم، ويسألهم جلب المنافع، بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون الله، كما أن الوسطى عند الملوك حوائج الدس تقربهم منهم، والدس يسألونهم أدباً منهم أن يبشروا سؤل الملث، أو لكونهم أقرب إلى الملث، فمن جعلهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك حلال الدم والمال، وقد نص العلماء، رحمهم الله، على ذلك، وحكموا عليه بالإجماع.

قال في (الإقناع) وشرحه: مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وَسَائِطَ، يَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ وَيَدْعُوهُمْ وَيَسْأَلُهُمْ، كَفَرُ إِجْمَاعًا؛ لِأَنَّهُ ذَلِكُمْ كَفَعَلَ عَابِدِي الْأَصْنَامِ قَائِلِينَ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (١) انتهى.

وقال الإمام أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي، رحمه الله تعالى: لم صعبت التكاليف على الجهال والطغمة، عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسبغت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم. قال: وهم عندي كفار بهذه الأوضاع، مثل تعظيم القبور وإكرامها، وإلزامها بما نهى عنه الشرع من إيقاد النيران وتقبيلها وتخديقها، وخطاب الموتى بالحوثج، وكتب الرقاق فيها: يا مولاي افعل بي كذا وكذا، وأخذ تربتها تبركاً، وإفاضة الطيب على القبور، وشد الرحل إليها، وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات وانغزى (٢). انتهى.

وقال الإمام البكري الشافعي رحمه الله، في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَحَذَّرُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ وكانت الكفار إذا سئلو: من خلق السموات والأرض؟ قالوا: الله وإذا سئلو عن عبادة الأصنام قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ لأجل طلب شفاعتهم عند الله.

(١) الإقناع (٤/ ٢٩٧).

(٢) فيه عنه الإمام ابن القيم (بعنه له بعد ١/ ١٩٥).

وهذا كفر منهم . انتهى كلامه .

فتأمل ما ذكره صاحب (الإفناع) وكذلك ما ذكره ابن عقيل من تعظيم القبور وخصاب الموتى بالحوائح ، وهو كفر .

وقال الحافظ العماد ابن كثير رحمته ، في تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ تَخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ : أي إنما يحملهم على عبادتهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين ، في زعمهم ، فعبدوا تلك الصور ، تنزيلاً لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ، ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم ، وما ينوبهم من أمور الدنيا . فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به . قال قتادة والسدي ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد : ﴿ لَا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ أي : ليشفعوا لنا ويقربونا عنده . ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهيتهم : لبيك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك . وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه ، وجاءتهم الرسل صلوات الله عليهم بردها والنهي عنها ، والدعوة إلى إفرد العبادلة وحده لا شريك له ، وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم ، لم يأذن الله فيه ولا رضي به ، بل أبغضه ونهى عنه ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعَنَّا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّخِذُوا الطَّغُوتَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ فأخبر أن الملائكة التي في السموات ، من المقربين وغيرهم ، كلهم عبيد خاضعون لله ، لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى . ولسو عنده كالأمراء عند ملوكهم ، يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه المموك أو أبغضوه ﴿ فَلَا تَصْرِيحُ لِلَّهِ الْأَمْثَالُ ﴾ تعالى الله عن ذلك <sup>(١)</sup> . انتهى كلامه .

(١) تفسير ابن كثير (٧ ٨٤ ٨٥) .

وقال الإمام البكري رحمه الله، عند قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ الآية: فإن قلت: إذا أقروا فكيف عبدوا الأصنام؟ قلت: كلهم كانوا يعتقدون بعبادتهم الأصنام عبادة الله تعالى والتقرب إليه، لكن بطرق مختلفة، ففرقة قلت: ليست لك أهلية عبادة الله تعالى بلا واسطة لعظمته، فعبادتها لتقربنا إليه زلفى. وفرقة قالت: لملائكة ذور وجاهة ومنزلة عند الله تعالى، فاتخذنا لنا أصنامًا على هيئة الملائكة لتقربنا إلى الله زلفى. وفرقة قالت: جعلنا الأصنام لنا قبلة في العبادة، كما أن الكعبة قبة في عبادته. وفرقة اعتقدت أن لكل صنم شيطانًا موكلًا بأمر الله، فمن عبد الصنم حق عبادته قضى الشيطان حوائجه بأمر الله، ولا أصابه شيطان بنكبة بأمر الله. انتهى كلامه.

فانظر إلى كلام هؤلاء الأئمة وتصريحهم بأن المشركين ما أرادوا ممن عبدوا إلا التقرب إلى الله، وطلب شفاعتهم عند الله، وتأمل ما ذكره ابن كثير، وما حكاه عن زيد بن أسلم وابن زيد، ثم قال: وهذه الشبهة التي اعتقدها المشركون في قديم الدهر وحديثه وجاءهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم برده والنهي عنها. وتأمل ما ذكره البكري رحمه الله، عند آية الزمر، أن الكفار ما أرادوا إلا الشفاعة، ثم صرح بأن هذا كفر.

فمن تأمل ما ذكره الله في كتابه؛ تبين له أن الكفار ما أرادوا ممن عبدوا إلا التقرب إلى الله وطلب شفاعتهم عند الله. فإنهم لم يعتقدوا فيها أنها تحلق الحلائق، وتنزل لمطر، وتنبت النبات، بل كانوا مقرين أن الفاعل لذلك هو الله وحده. قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ﴾ إلى قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا إِلَهَ سِوَاهُ مَنْ حَقَّ السَّمُوبِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يَقُولُ اللَّهُ فَعَنِّي



وفي الصحيحين<sup>(١)</sup> من غير وجه عن رسول الله ﷺ وهو سيد ولد آدم وأكرم الخلق على الله أنه قال: «أتى تحت العرش، فأخبر لله ساجدًا، وُفْتُحَ عليَّ بمحمد لا أحصيها الآن، فِدَعْنِي ما شاء الله أن يدعني، ثم قال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع» قال: «فيحد لي حدًا فأدخلهم الجنة. ثم أدعو» هـ ذكر أربع مرّات، صوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء.

(١) صحيح البخاري (٧٤١٠) ومسنم (١٩٣).

أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ إِلَهٌ وَلَا شَفِيعٌ: نفى الشفاعة، وإن كنت واقعة في الآخرة، لأنها من حيث إنها لا تنفع إلا بإذنه كأنها غير موجودة من غيره، وهو كذلك، لكن جعل ذلك لتبيين لرتب، وجملة النبي حال من ضمير ﴿يُحْشَرُوا﴾ وهي محل الخوف، والمراد به المؤمنون العاصون. انتهى.

وقال عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ شَفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرِضَى لَهُ قَوْلًا﴾: دل على أن الشفاعة تكون للمؤمنين فقط.

قال الإمام الحافظ عماد الدين ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ أَسْتَوَاتٍ وَلَا تَرْبُ قُلُوبُ اللَّهِ﴾: يقرر تعالى أنه لا إله إلا هو، لأنهم معترفون أنه هو الذي خلق السموات والأرض، وهو ربها ومديرها، وهم مع هذا قد اتخذوا من دون الله أولياء يعبدونهم، وإنما كان عبد هؤلاء المشركون مع الله آلهة هم يعترفون أنها مخلوقة عبيد له. كما كانوا يقولون في تلييتهم: لييك لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك. وكما أخبر عنهم بقوله: ﴿مَا يَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ فأنكر تعالى ذلك عليهم، حيث اعتقدوا ذلك، وهو تعالى لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له، ثم قد أرسل رسله من أولهم إلى آخرهم يزجرهم عن ذلك، وينهاهم عن عبادة من سوى الله، فكذبوهم<sup>(١)</sup>. انتهى.

والمقصود بيان شرك المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ وأنهم ما أوردوا ممن عبدوا إلا التقرب إلى الله وطلب شفاعتهم عند الله، وبيان أن طلب الحوائج من الموني والاستغاثة بهم في الشدائد أنه من الشرك الذي كفر الله به لمشركين، وبيان أن الشفاعة كلها لله ليس لأحد معه من الأمر شيء، وأنه لا

شفاعة إلا بعد إذن الله تعالى، وأنه تعالى لا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله، وأنه لا يرضى إلا التوحيد، كما تقدمت الأدلة الدالة على ذلك، ومعلوم أن أعلى الحق وأفضهم وأكرمهم عند الله هم لرسول والملائكة المصريون، وهم عبيد محضون، لا يسبقونه بالقول، ولا يتقدمون بين يديه، ولا يفعلون شيئاً إلا بعد إذنه لهم وأمرهم، فيأذن سبحانه لمن شاء أن يشفعوا فيه، فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له تعالى، والذي شفع عنده إنما شفع بإذنه له وأمره، بعد شفاعته سبحانه إلى نفسه، وهي إرادته أن يرحم عبده، وهذا ضد الشفاعة الشركية التي أثبتت المشركون ومن وافقهم، وهي التي أبطلها سبحانه في كتابه بقوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمَ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ﴾.

ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد، كما صرحت بذلك النصوص، فروى البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله. خالصاً من قلبه»<sup>(١)</sup> وعن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا آت من عند ربي. فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة. وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً» رواه الترمذي وابن ماجه<sup>(٢)</sup>.

فأسعد الناس بشفاعة رسول الله ﷺ أهل التوحيد، الذين جرد التوحيد وأخلصوه من التعلقت لشركية. وهم الذين ارنصى الله سبحانه، قال الله

(١) الحديث (٩٩).

(٢) جامع لترمذي (٢٤٤١) وسنن ابن ماجه (٤٣١٧) وصححه الشيخ الالدي (صحيح الجامع ٥٦).

تعالى: ﴿وَلَا تَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضَى لَهُ قَوْلًا﴾ فأحرر سبحانه أنه لا يحصل شفاعته تنفع إلا بعد رضاه قول المشفوع له وإذنه للشافع. وأما المشرك فإنه لا يرخصه. ولا يرصى قوله، ولا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه، فإنه سبحانه علقها بأمرين: رضاه عن المشفوع له، وإذنه للشافع، فما لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعات، وهذه الشفاعات في الحقيقة هي منه، فإنه هو الذي أذن، والذي قبل، والذي رضي عن المشفوع له، والذي وفقه لفعل ما يستحق من الشفاعات. فمُتَّخَذُ الشفيع مشرك، لا تنفعه شفاعته ولا يُشَفَّعُ فيه، ومُتَّخَذُ الرب إلهه وحده ومعبوده هو الذي يأذن للشافع أن يشفع فيه، قال تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُشْرِكُونَ بِاللهِ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فيس أن المُتَّخِذِينَ شُفَعَاءَ مشركون، وأن الشفاعات لا تحصل باتخاذهم. وإنما تحصل بإذنه سبحانه للشافع، ورضاه عن المشفوع له. كما تقدم بيانه.

والمقصود أن الكتاب والسنة دَلَالًا على أن من جعل الملائكة والأنبياء، أو ابن عباس أو أب طالب أو المحجوب، وسائط بينهم وبين الله، يشفعون له عند الله لأجل قربهم من الله، كما يفعل عند الملوك، أنه كافر مشرك حلال المال والدم، وإن قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله. وصلى وصلى ورعى أنه مسلم، بل هو من الاحسرين أعمالا ﴿لَيْسَ صِرَ سَعَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْيَوْنَ مَوْتًا﴾.

ومن شمل القرآن لعزير وجده مصرحاً بأن المشركين الذين فأنلهم رسول الله ﷺ مُقِرُّونَ بِأَنَّ الله هو الخالق الرازق. وأن السموات السبع ومن

فيهن، والأرضين السبع ومن فيهن، كنهم عبيده وتحت قهره ونصرفه، كما حكه الله تعالى عنهم في سورة يونس وسورة المؤمنين وسورة العنكبوت وغيره من السور، ووجده مصرحاً بأن المشركين يدعون الصالحين، كما ذكر تعالى ذلك عنهم في سورة سبحان والمائدة وغيرهما من السور، وكذلك أخطر عنهم أنهم يعبدون الملائكة، كما ذكر ذلك في سورة الفرقان وسبأ والنجم، ووجده مصرحاً أيضاً بأن المشركين ما أرادوا ممن عبدوا إلا الشفاعة والتقرب إلى الله تعالى، كما ذكر ذلك عنهم في سورة يونس والزمر وغيرهم من السور.

فإذا تبين لكم أن القرآن قد صرح بهذه المسائل الثلاث، أعني اعتراف المشركين بتوحيد الربوبية، وأنهم يدعون الصالحين، وأنهم ما أرادوا منهم إلا الشفاعة، تبين لكم أن هذا الذي يُفعل عند القبور ليوم من سؤالهم جَلَبَ لفوائد وكَشَفَ الشدائد، أنه الشرك الأكبر الذي كَفَّرَ الله به المشركين، فإن هؤلاء المشركين شَبَّهوا الخالق بالمخلوق، وفي القرآن العزيز وكلام أهل العلم من لرد على هؤلاء ما لا يتسع له هذا الموضع، فإن الوسائط التي بين الملوك وبين الناس تكون على أحد وجوه ثلاثة:

إما لإخبارهم من أحول الناس بما لا يعرفونه. ومن قال إن الله لا يعرف أحول العباد حتى يخبره بذلك بعض الأنبياء أو غيرهم من أولياء والصالحين، فهو كافر. بل هو سبحانه يعلم لسر وأخفى، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

الثاني: أن يكون امته عاجراً، عن تدبير رعيته ودفع أعدائه، إلا بأعوان يعاونونه، فلا بد له من أعوان وأنصار لذلّه وعجزه. والله سبحانه ليس له ولي ولا طهر من الدن، وكل ما في الوجود من الأسباب فهو سبحانه ربه وخالقه، فهو لغني عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه، بخلاف الملوك المحسحين

إلى طهرائهم. وهم في الحقيقة شركؤهم، والله سبحانه ليس له شريك في الملك. بل لا إله إلا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد، ولهذا لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه. لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، فصلاً عن غيرهما، فإن من شفع عنده بغير إذنه فهو شريك له في حصول المطلوب، أثر فيه بشفاعته حتى يفعل ما يطلب منه. والله لا شريك له بوجه من الوجوه.

الثالث: أن يكون الملك ليس مريدًا لنفع رعيته والإحسان إليهم إلا بمحرك يحركه من خارج، فإذا خاطب الملك من ينصحه ويعظه، أو من يدل عليه بحيث يكون يرجوه ويخافه، تحركت إرادة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته. والله تعالى رب كل شيء ومليكه، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وكل الأسباب إنما تكون بمشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو سبحانه إذا أجرى نفع العباد بعضهم على يد بعض، فجعل هذا يُحسِن إلى هذا ويدعو له أو يشفع له، فهو الذي خلق ذلك كله، وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن، والداعي إرادة الإحسان، والدعاء، ولا يجوز أن يكون في الوجود مَنْ يُكْرِهُهُ على خلاف مراده، أو يُعَلِّمُهُ ما لم يكن يَعْنَمُهُ. والشفعاء الذين يشفعون عنده لا يشفعون عنده إلا بإذنه، كما تقدم بيانه، بخلاف الملوك، فإن الشافع عندهم يكون شريكًا لهم في الملك. وقد يكون مظهرًا لهم معونًا لهم على ملكهم، وهم يشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك، والملك يقبل شفاعتهم تارة بحاجته إليهم. وتارة لجراء إحسانهم ومكافأتهم. حتى أنه يقبل شفاعته ولده وزوجته لذلك. فإنه مخرج إلى الروحة والولد. حتى لو أعرض عنه ولده وزوجته لتضرر بذلك، ويقبل شفاعته مملوكه، فإنه إذا لم يقبل شفاعته يخاف ألا يطيعه. ويقبل شفاعته أحيه مخافة أن يسعى في صبره، وشفاعته العباد بعضهم عند بعض كلها من هذا الجنس. فلا أحد يقبل شفاعته أحد إلا لرغبة أو لرهبة. والله تعالى لا

يرجو أحدا ولا يخذه، ولا يحتاج إلى أحد، بل هو لعي سبحة عما سواه، وكل ما سواه فقير إليه، والمشركون يتحدون شعء مما يعبدونه، مثل لشفعة عند المخلوق، قال تعالى: ﴿وَعَبُدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَصُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ إني قوله ﷺ: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وقد تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِي، فَلَا بَمَلِكُوكَ كَشَفَ لُفْرِ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ أَوْثَقَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَنْفُوتُ إِلَى رَبِّهِمْ، لَوْ سِيلةً أَيْهِمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُمْ، فأخبر سبحانه أنما يدعى من دونه لا يملك كشف الضر ولا تحويلا، وأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه ويتقربون إليه، فقد نفى سبحانه ما أثبتوه من توسيط الملائكة والأنبياء. وفيما ذكرناه كفاية لمن هداه الله، وأما من أراد الله فتنه فلا حبة فيه ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيَّ مُرْشِدًا﴾.

وأما المسألة الثانية: وهي من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله. ولم يُصلِّ ولم يُزكَّ، هل يكون مؤمنا؟

فنقول: أما من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله. وهو مقيم على شركه؛ يدعو لموتى، ويسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات، فهذا مشرك كفر حلال الدم والمال. وإن قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ. وصلى وصدم وزعم أنه مسم، كما تقدم بيته.

وأما إن وحَّد الله تعالى ولم يُشرك به شيئا، ولكنه ترك الصلاة والزكاة تكسلا عبي، فهذا قد اختلف العلماء في كفره، والعلماء إذا أجمعوا فإجماعهم حجة، لا يحتمعون على ضلالة، وإذا تارعوا في شيء ردُّوا ما تارعوا فيه إلى الله وإلى الرسول، إذ الواحد منهم ليس بمعصوم على الإضلاق، بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي سَيِّءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ قال العلماء: الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول

هو الرد إلى سسته بعد وفاته . وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَحْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ مُحْكَمًا إِلَى نَفْسٍ ﴾<sup>(١)</sup> وقد ذم الله من أعرض عن كتابه ودعا عند التنزع إلى غيره . فقد تعالى : ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُُنْفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾ . إذا عُرف هذا فنقول : اختلف العلماء ، رحمهم الله ، في تارك الصلاة كسلاً من غير حرج ؛ فذهب الإمام أبو حنيفة ، والشافعي في أحد قوليهِ ، ومالك إلى أنه لا يُحْكَمُ بكفره ، واحتجوا بما رواه عبدة بن الصامت قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خمس كتبهن الله على العباد ، من أتى بهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له »<sup>(٢)</sup> .

وذهب إمامنا أحمد بن حنبل ، والشافعي في أحد قوليهِ ، وإسحاق بن راهويه وعبد الله بن المبارك والنخعي والحكم وأيوب السختياني وأبو داود الطيالسي ، وغيرهم من كبار الأئمة والتابعين ، إلى أنه كفر ، وحكاه إسحاق بن راهويه إجماعاً ، ذكره عن الشيخ أحمد بن حجر في شرح الأربعين ، وذكره في كتاب (الزواجر عن اقتراف الكبائر)<sup>(٣)</sup> عن جمهور الصحابة رضي الله عنهم ، والتابعين .

وقال الإمام محمد بن حزم : سائر الصحابة رضي الله عنهم ، والتابعين ومن بعدهم يكفرون تارك الصلاة مطلقاً ، ويحكمون عليه بالارتداد . منهم أبو بكر وعمر وابنه عبد الله وعبد الله بن عباس ومعاذ بن جبل وجابر بن عبد الله وأبو الدرداء وأبو هريرة وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من الصحابة ، ولا نعلم لهؤلاء مخالفاً من الصحابة

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٥) والبيهقي (٤٦١) وصححه الشيخ لأبي (صحح لجامع ٣٢٤٣)

(٢) الزواجر (١ ، ٢٥٧ - ٢٦٧) .



وأجابو عن قوله ﷺ: «من لم يأت بهن فليس له عند الله عهد، إن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له» أن المراد عدم المحافظة عليهن في وقتهن، بدليل الآيات والأحاديث الواردة فيها وفي تركها.

واحتجوا على كفر تاركها بما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «بين الرجل وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة»<sup>(١)</sup>.

وعن بريدة بن الحصيب قل: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «العهد بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر» رواه الإمام أحمد وأهل السنن<sup>(٢)</sup> وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، إسناده على شرط مسلم.

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بين العبد والكفر والإيمان الصلاة، فإذا تركها فقد أشرك»<sup>(٣)</sup> وإسناده صحيح على شرط مسلم.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يوماً فقال: «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً وبرهاناً ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف» رواه الإمام أحمد وأبو حاتم ابن حبان في صحيحه<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح مسلم (٨٢).

(٢) المسند (٥ / ٣٤٦) وجامع الترمذي (٢٦٢١) وسنن النسائي (٤٦٣) وسنن ابن ماجه (١٠٧٩) وصححه شيخ الأساني (صحيح الجامع ٤١٤٣).

(٣) قال شيخ الأساني: رواه هبة الله الطبري بإسناد صحيح (صحيح الترغيب ٥٦٦).

(٤) المسند (٢ / ١٦٩) وصححه ابن حبان (الإحسان ١٤٦٧) وحسنه شيخ الأساني (المعجم المستطاب ١ / ٥٣).

وعن عباد بن الصامت قال: أوصانا رسول الله ﷺ فقال: «لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تتركوا الصلاة عمداً، فمن تركها عمداً خرج من الملة» رواه ابن أبي حاتم في سننه<sup>(١)</sup>.

وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله» رواه الإمام أحمد<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي الدرداء قال: أوصانا رسول الله ﷺ ألا أترك صلاة متعمداً، فمن تركها متعمداً فقد برئت منه الذمة. رواه ابن أبي حاتم<sup>(٣)</sup>.

وعن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ أنه قال: «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة...» الحديث<sup>(٤)</sup>.

وعن عبد الله بن شقيق العقيلي قال: كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة. رواه الترمذي<sup>(٥)</sup>.

فهذه الأحاديث كما ترى صريحة في كفر تارك الصلاة، مع ما تقدم من إجماع الصحابة، كما حكه إسحاق بن راهويه وابن حزم وعبد الله بن شقيق، وهو مذهب الجمهور من التابعين ومن بعدهم، ثم إن العلماء كلهم مجمعون على قتل تارك الصلاة كسلاً، إلا أبا حنيفة ومحمد بن شهاب الزهري وداود، فإنهم قالوا: يُحْبَسُ تارك الصلاة المفروضة حتى يموت أو يتوب.

(١) رواه نصبه في لأحاديث المحترمة (٣٥١) وصححه الشيخ الألباني (ضعف لترعيب ٣٠٠)

(٢) المسند (٥ / ٢٣٨) وصححه الشيخ الألباني (الإرواء ٢٠٢٦)

(٣) رواه ابن ماجة (٤٠٤٣) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٧٣٣٩)

(٤) رواه الترمذي (٢٦١٦) والنسائي في السنن الكبرى (٦ / ٤٢٩) وابن ماجة (٣٩٧٣)

وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٥١٣٦).

(٥) جامع الترمذي (٢٦٢٢) وصححه الشيخ الألباني (صحيح لترعيب ٥٦٥)

ومن احتج بهذا القول بقوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحقها. وحسابهم على الله» فقد أبعد التُّجعة؛ فإن هذا الحديث لا حجة فيه، بل هو حجة لمن يقول بقتله، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

واحتج الجمهور على قتله بالكتب والسنة، أما الكتب فقولته تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ فشرط الكف التوبة من الشرك وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فإذا لم توجد الثلاث لم يكف عن قتالهم.

قل ابن ماجه: حدثنا نصر بن علي شاذ أبو أحمد ثنا نبأ لربيع بن أنس عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده، وعبادته وحده لا شريك له، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، مات والله عنه راضي»<sup>(١)</sup> قل أنس: وهو دين الله الذي جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم، قبل هرج الأحاديث واختلاف الأهواء.

وتصديق ذلك في كتب الله في آخر ما نزل ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ قال: خلع الأوثان وعبادتها ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ وقال في آية أخرى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾.

وأم السنة فثبت في الصحيحين عن بن عمر، رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها»<sup>(٢)</sup> فعلق العصمة على الشهادتين والصلاة والزكاة.

(١) رواه ابن ماجة (٧٠) وصعفه الشيخ الأناسي (صعيف، الترغيب ١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٣) ومسلم (٢٠).

وقد بعث النبي ﷺ كتاباً فيه: «مِنَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى أَهْلِ عَمَانَ، أَمَّا بَعْدُ: فَأَقْرُوا بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَأَدُوا الزَّكَاةَ، وَخُطُّوا الْمَسَاجِدَ، وَإِلَّا غَزَوْتُكُمْ»<sup>(١)</sup> أَخْرَجَهُ الطَّبْرَايُ وَالزَّارُ وَغَيْرُهُمْ، ذَكَرَهُ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ فِي شَرْحِ الْأَرْبَعِينَ.

وَرَوَى ابْنُ شَهَابٍ عَنْ حَنْظَلَةَ عَنْ عُبَيِّ بْنِ الْأَشْجَعِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَعَثَ خَالِدَ بْنَ لَوْلَيْدٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقَاتِلَ النَّاسَ عَلَى خُمْسٍ، فَمَنْ تَرَكَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ قَاتِلُهُ عَلَيْهَا كَمَا تَقْتُلُ عَلَى الْخُمْسِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصُومُ رَمَضَانَ، وَحُجُّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: لَوْ أَنَّ النَّاسَ تَرَكَوا الْحُجَّ لَقَاتَلْنَاهُمْ عَلَى تَرْكِهِ كَمَا نَقَاتِلُ عَلَى الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ.

وَبِالْجُمْلَةِ؛ فَالْكِتَابُ وَالسَّنَةُ وَالْآنَ عَلَى أَنْ لِقَاتِلَ مَمْدُودٍ إِلَى الشَّهَادَتَيْنِ وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ كُلَّ طَائِفَةٍ مَمْتَنَعَةٍ مِنْ شَرِيعَةٍ مِنْ شُرَائِعِ الْإِسْلَامِ فَإِنَّهُ يَجِبُ قِتَالُهَا حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ، كَالْمُحَارِبِينَ وَأُولَى. انْتَهَى.

وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا» فَهَذَا لَا إِشْكَالَ فِيهِ، بِحَمْدِ اللَّهِ، وَلَيْسَ لَكُمْ فِيهِ حِجَّةٌ، بَلْ هُوَ حِجَّةٌ عَلَيْكُمْ، قَدْ عَمَّاؤُنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ: إِذَا قَالُوا الْكَفْرَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ شَرَعَ فِي الْعَصْمِ لَهُ، فَيَحِبُّ الْكَفْرَ عَنْهُ، فَإِنْ تَمَّ ذَلِكَ حَقَّقْتَ الْعَصْمَةَ، وَإِلَّا بَطُلَتْ، وَيَكُونُ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ قَالَ حَدِيثًا فِي وَقْتٍ فَقَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» نَعِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ الْكَافِرَ الْمُحَارِبَ إِذَا قَالَهَا كَفَّ عَنْهُ وَصَارَ مَالُهُ وَدَمُهُ مَعْصُومًا، ثُمَّ

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَايُ فِي تَعْلِيقِهِ لِأَوْسَطِ (٦٨٤٩)

بين النبي ﷺ في الحديث الآخر أن القتال ممدود إلى الشهادتين والعبدين قل : «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ»<sup>(١)</sup> فَبَيِّنْ أَنْ تَمَامَ الْعَصْمَةِ وَكَمَالِهَا إِنَّمَا يَحْصُلُ بِذَلِكَ. وَلَثَلَا تَقَعُ الشُّبْهَةُ بِأَنْ مَجْرَدُ الْإِقْرَارِ يَعْصِمُ عَلَى الدَّوَامِ، كَمَا وَقَعَتْ لِبَعْضِ لَصَحَابَةٍ، حَتَّى جَلَاها أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ثُمَّ وَافَقُوهُ ﷺ. انتهى.

ومما يبين فساد قولكم وخطأ فهمكم في معنى حديث أبي هريرة، أن الصحابة رضوا. أجمعوا على قتال مانعي الزكاة، بعد مناظرة حصلت بين أبي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما، واستدل عمر على أبي بكر بحديث أبي هريرة، فبين صديق الأمة رضي الله عنه، أن الحديث حجة على قتال مَنْ منع الزكاة، فوافقه عمر وسائر الصحابة، وقتلوا مانعي الزكاة، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ويصلون، ونحن نسوق الحديث. ثم نذكر كلام العلماء عليه ليتبين لكم أن فهمكم الفساد لم يقل به أحد من العلماء، وأنه فهم مشثوم مذموم، مخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة، فنقول :

ثبت في الصحيحين<sup>(٢)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال : لم توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر، وكفر من كفر من العرب، قال عمر لأبي بكر : كيف تقتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ : «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا» ! قال أبو بكر : لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق للمال، فوالله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه. فقال عمر : فوالله، م

(١) أخرجه البخاري (٢٥) ومسلم (١٩)

(٢) أخرجه البخاري (١٤٥٦) ومسلم (٢٠)

هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق. وهذا الحديث خرجه البخاري في كتب الزكاة. ومسلم في كتاب الإيمان، وهو من أعظم الأدلة على فساد قولكم؛ فإن الصديق رضي الله عنه جعل المَسيح للقتال مجرد المنع لا جحد الوجوب.

وقد تكلم النووي، رحمه الله تعالى، في شرح صحيح مسلم فقال: باب الأمر بقتل الناس حتى يقولوا (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبي ﷺ وأن من قال ذلك عصم نفسه وماله، إلا بحققها. وكَلَّتْ سريره إلى الله تعالى، وقتل مَنْ مَنَعَ الزكاة أو غيرها من حقوق الإسلام، واهتمم الإمام بشرائع الإسلام. ثم ساق الحديث، ثم قل: قال الخطابي في شرح هذا الكلام كلامًا حسنًا، لا بد من ذكره لما فيه من الفوائد، قل بَلَّغْتُهُ: مما يجب تقديمه في هذا أن يُعْلَمَ أن أهل الردة كانوا إذ ذاك صنفين:

صنف ارتدوا عن الدين ونبذوا الملة وعادوا لكفرهم. وهم الذين عنى أبو هريرة بقوله: من كفر من العرب.

والصنف الآخر: فرَّقوا بين الصلاة والزكاة، فأقروا بالصلاة، وأنكروا فرض الزكاة ووجوب أدائها إلى الإمام، وقد كان في ضمن هؤلاء المانعين للزكاة مَنْ كان يسمح بالزكاة ولا يجمعها، إلا أن رؤساءهم صدوهم عن ذلك الرأي وقبضوا على أئديهم في ذلك، كبني يربوع، فإنهم جمعوا صدقاتهم وأرادوا أن يبعثوا بها إلى أبي بكر، فمنعهم مالك بن نويرة من ذلك وفرقها فيهم. وفي أمر هؤلاء عرض الحلاف ووفعت الشبهة لعمر رضي الله عنه، فراجع أما بكر رضي الله عنه، وناظره، واحتج عليه بفول النبي ﷺ بقوله: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَقَدْ عَصَمَ نَفْسَهُ وَمَالَهُ» وأن هذا كان من عمر

تعلقًا بظاهر الكلام، قبل أن ينظر في آخره ويتأمل شرائطه، فقال له أبو بكر: الزكاة حق المال. يريد أن القضية قد تضمنت عصمة دم ومال معققة برفاء شرائطه، والحكم المعلق بشرطين لا يحصل بأحدهما ولا آخر معدوم، ثم قايسه بالصلاة وردوا الزكاة إليها، وكان في ذلك من قوله دليل على أن قتال الممتنع من الصلاة كن إجماعاً من الصحابة، ولذلك ردوا المختلف فيه إلى المتفق عليه، فلما استقر عندهم صحة رأي أبي بكر رضي الله عنه، وبأن لعمر صوابه، تابعه على قتل القوم، وهو معنى قوله: فلما رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال عرفت أنه الحق. يريد انشراح صدره بالحجة التي أدلى بها، والبرهان الذي أقامه نصاً ودلالة<sup>(١)</sup>. انتهى.

فتأمل هذا الباب الذي ذكره النووي، رحمه الله تعالى، وهو إمام الشافعية على الإطلاق، تجده صريحاً في رد شبهتكم أن من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله. لا يباح دمه وماله، وإن ترك لصلاة والزكاة، فالترجمة نفسها صريحة في رد قولكم، فإنه صرح بالأمر بالقتال على ترك الصلاة ومنع الزكاة. وتأمل ما ذكره الخطابي أن الذين منعوا الزكاة منهم من كان يسمح بها ولا يمنعها، إلا أن رؤساءهم صدوهم عن ذلك الرأي وقبضوا على أيديهم، كبنو يربوع، فإنهم أرادوا أن يبعثوا بها إلى أبي بكر فمنعهم مالك بن نويرة من ذلك وفرقها فيهم، وأنه عرض الخلاف ووقعت الشبهة لعمر في هؤلاء. ثم إن عمر وافق أبا بكر على قتالهم

وتأمل قوله: واحتج عمر بقول النبي ﷺ: أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وكان هذا من عمر تعلقاً بظاهر الكلام قبل أن ينظر إلى

اخره وسأمل شرائطه. وتأمل قوله أن قتال الممنوع من الصلاة كن إجماعاً من الصحابة.

وقد أشار الخطابي إلى أن حديث أبي هريرة مختصر، قال النووي رحمه الله. قال الخطابي: وبين لك أن حديث أبي هريرة مختصر، أن عبد الله بن عمر وأنس رضي الله عنهما، رَوَيَاهُ بزيادة لم يذكرها أبو هريرة، ففي حديث ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا» وفي رواية أنس: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنْ يَسْتَقْبِلُوا قِبَلَتَنَا، وَأَنْ يَأْكُلُوا ذَبِيحَتَنَا، وَأَنْ يَصَلُّوا صَلَاتَنَا، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ حَرَمْتُ عَلَيْنَا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا، لَهُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ»<sup>(١)</sup> انتهى.

قلت: وقد ثبت في الطريق الثالث المذكور في الكتاب من طريق أبي هريرة وروايته أن رسول الله ﷺ قال: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ، فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا»<sup>(٢)</sup>.

وفي استدلال أبي بكر واعتراض عمر رضي الله عنهما، دليل على أنهما لم يحفظا عن رسول الله ﷺ ما روه ابن عمر وأنس وأبو هريرة، وكان هؤلاء الثلاثة سمعوا الزيادة في رواياتهم في مجلس آخر، فإن عمر لو سمع ذلك لما حلف، ولم كان احتج بالحدث، فإن هذه الزيادة حجة عليهم، ولو سمع أبو بكر هذه الزيادة

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٤٣) والترمذي (٢٦٠٨) وصححه الشرح لألنابي (نصحيحه ٣٠٣)

(٢) أخرجه مسلم (٢١)



لاحتج بها، ولما كن احتج بالقيس والعموم والله أعلم<sup>(١)</sup>. انتهى كلام النووي.

فتأمل ما ذكره عن الخطابي تجده صريحاً في رد قولكم، وتأمل قوله: فيد عمر لو سمع ذلك لما خالف ولما كان حتج بالحديث. فإن هذه الزيادة حجة عليهم.

وبالجملة؛ فحديث أبي هريرة حجة عليكم لا لكم، ولو لم يكن فيه إلا قوله «إلا بحقها» لكان كافياً في بطلان شبهتكم؛ فإن الصلاة والزكاة من أعظم حقوق (لا إله إلا الله) بل هما أعظمهما على الإطلاق.

ومما يدل على بطلان قولكم وفساد فهمكم في معنى هذا الحديث، أعني حديث أبي هريرة: «أُمرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله» أن جميع الشراح والمُحشّين لم يُؤولوه على هذا التأويل الذي ذهبتم إليه، فإنه حديث صحيح مخرّج في الصحاح، وهؤلاء شراح البخاري، وكذا شراح مسلم، هل أحد منهم استدل به على ترك قتل من ترك الفرائض؟ بل الذي ذكره خلاف ما ذهبتم إليه، ولو لم يكن إلا احتجاج عمر به على أبي بكر، ثم موافقته لأبي بكر على قتل مانعي الزكاة، لكان كافياً، ونحن نذكر لكم كلام الشراح عذراً ونذراً.

قال النووي، رحمه الله تعالى: قوله صحيح: «أُمرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله». فمن قال: لا إله إلا الله. فقد عصم مني ماله ونفسه، إلا بحقه، وحسابه على الله تعالى. قال الخطابي: معلوم أن المراد بهذا أهل الأوثان دون أهل الكتاب، لأنهم يقولون (لا إله إلا الله) ثم يقاتلون ولا يرفع عنهم السيف. قال: ومعنى «وحسابه على الله تعالى»: أي: فيما يسرونه

ويخفونه. قل: ففيه أن من أظهر الإسلام وأسر الكفر أنه يُقبلُ إسلامه في الصاهر، وهذا قول أكثر العلماء، وذهب مالك أن توبة الرنديق لا تقبل. ويحكى ذلك عن أحمد بن حنبل<sup>(١)</sup>. هذا كلام الخطابي.

وذكر القاضي عياض، رحمه الله تعالى، معنى هذا وزاد عليه وأوضحه، فقال: اختصاص عصمة المال والنفس ممن قال (لا إله إلا الله) تعبير عن الإجابة إلى الإيمان، وأن المراد مشركو العرب وأهل الأوثان ممن لا يوحد، وهم كانوا أول من دُعِيَ إلى الإسلام وقوتلوا عليه، فأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا يكتفي في عصمته بقول (لا إله إلا الله) إذ كان يقولها في كفره، وهي من اعتقاده، فلذلك في الحديث الآخر: «وأنبي رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة» هذا كلام القاضي. قلت: ولا بد من الإيمان مما جاء به رسول الله ﷺ كما جاء في الرواية الأخرى لأبي هريرة: «حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به»<sup>(٢)</sup> انتهى كلام النووي.

فتأمل ما ذكره الخطابي، وما ذكره القاضي عياض، أن المراد بقوله (لا إله إلا الله) التعبير عن الإجابة إلى الإيمان، واستدل لذلك بالحديث الآخر الذي فيه: «وأنبي رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة»، وتأمل قوله أن المراد بحديث أبي هريرة مشركو العرب وغيرهم ممن لا بوحدون، وأما الذي يقر بالتوحيد فلا يكتفي في عصمته بقول (لا إله إلا الله) إذ كان يقولها في كفره، وهي من اعتقاده. وتأمل قول النووي: ولا بد من الإيمان بما جاء به رسول الله ﷺ.

(١) شرح مسلم لنووي (١ / ٢٠٦)

(٢) شرح مسلم لنووي (١، ٢٠٦ - ٢٠٧)

وبالحملة ففوقه ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» لم يعلم أحدًا من أهل العلم أحره على ظاهره وقال إن من قال (لا إله إلا الله) يَكْفُفُ عنه ولا يجوز قتاله، وإن ترك الصلاة ومنع الركاة، هذا لم يقبل به أحد من العلماء، ولازم قولكم أن لليهود لا يجوز قتالهم لأنهم يقولون (لا إله إلا الله) وأن الخوارج الذين قتلهم عبي بن أبي طالب لا يجوز قتالهم لأنهم يقولون (لا إله إلا الله) وأن الصحابة مخطئون في قتلهم مانعي الزكاة لأنهم يقولون (لا إله إلا الله) ولازم قولكم أن بني حنيفة مسلمون لأنهم يقولون (لا إله إلا الله) سبحان لله! ما أعظم هذا الجهل ﴿كَذَلِكَ يَطْعَمُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبٍ لَّيِّنَةٍ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

ومن العجب أنكم تقرأون في صحيح البخاري هذا الباب في كتب الإيمان، حيث قال: باب ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ حدثنا عبد الله بن محمد المسندي قال: حدثنا شعبة عن واقد بن محمد: سمعت أبي يحدث عن ابن عمر رضيهما، أن رسول الله ﷺ قال: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا وَيَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى»<sup>(١)</sup>: ثم بعد ذلك هذه الآية والحديث الذين ذكرهما البخاري وبأي شيء تدفعون به هذه الأدلة؟

وقد الإمام أبو عيسى الترمذي في سننه، في باب (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله): حدثنا هناد أبو نؤاس معاوية عن الأعمش عن أبي صانع عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى

(١) صحيح البخاري (٢٥).

يقولوا لا إله إلا الله... الحديث<sup>(١)</sup> ثم أردفه بحديث أبي هريرة في قتل أبي بكر لماعبي الزكاة، وساق الحديث تدممه ثم قال: (باب ما جاء أمراً أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وبقيموا الصلاة) حدثني سعد بن يعقوب الصالقي أن ابن المبارك أن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، ويستقبلوا قبلتنا، ويأكلوا ذبيحتنا، وأن يصلوا صلاتنا، فإذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماؤهم وأموالهم، إلا بحقها، ولهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين»<sup>(٢)</sup> وفي الباب عن معاذ بن جبل وأبي هريرة، هذا حديث حسن صحيح.

والمقصود ببيان ذم هذه الشبهة التي دسها من يدعي أنه من العلماء على الجهة من الناس، أن من قال (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فهو مسلم، لا يجوز قتله ولو ترك فرائض الإسلام، وهذا كلام الله، وهذا كلام رسوله، وهذا كلام العلماء صريحا في رد هذه الشبهة، بل قد دل الكتاب والسنة والإجماع على أن الطائفة الممتنعة بقاتل على ترك الصلاة ومنع الزكاة، وإن أقروا بالوجوب، كما تقدمت النصوص الدالة على ذلك، بل قد صرح العلماء أن أهل البند إذا تركوا الأذان والإقامة يقتلون، وصرحوا أيضا بأنهم لو تركوا إقامة صلاة الجماعة يقتلون، وكذا لو تركوا صلاة العيد، وعلماء حرم الله الشريف يقولون: من قال لا إله إلا الله فقد عصم ماله ونفسه، وإن لم يصل ولم يرك! فسيحان مقلب القلوب والأبصار، وهل هذا إلا معارضة لكلام الله ورسوله وكلام أئمة

(١) جامع ترمذي (٢٦٠٦).

(٢) جامع ترمذي (٢٦٠٧).

المذاهب، وهذا كلامهم موجود في كتبهم يصرحون بأن من ترك الصلاة قتل، وأن الطائفة الممتنعة من الصلاة والزكاة والحج تقتل حتى يكون الدين كله لله، ويحكون عليه الإجماع، كما صرح بذلك أئمة الحنابلة في كتبهم.

فإذا كانوا يصرحون أن من ترك بعض شعائر الإسلام، كأهل لقرية إذا تركوا الأذان، أو تركوا صلاة الجمعة، وتركوا صلاة العيد، فإنهم يقتلون، فكيف بمن ترك الصلاة رأساً؟ وهؤلاء يقولون: من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد عصم نفسه ودمه، وإن كانوا طائفة ممتنعين من فعل الصلاة والزكاة، بل يصرحون بأن البوادي إسلام، حرام علينا دماؤهم وأموالهم، مع العسم القطعي بأنهم لا يؤذنون ولا يصنون ولا يزكون، بل الظاهر عندهم أنهم كافرون بالشرائع، وينكرون البعث بعد الموت! سبحان الله! ما أعظم هذا الجهل!

وقد ذكرنا من كلام الله وكلام رسوله، وكلام شراح المحدثين، ما فيه الهدى لمن هداه الله، وبيننا أن العصمة شرطها التوحيد وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فمن لم يأت بهذه الثلاث لم يكف عنه ولم يخل سبيله، وقد قال الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَذِبًا﴾ وقال تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوا حُذُوهُمْ وَأَخْصِرُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ وقال النبي ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحَسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ».

وأما كلام الفقهاء في كتبهم فنذكره على التفصيل:

أما كلام المالكية؛ فقال الشيخ علي الأجهوري في (شرح المحنصر): من ترك فرض آخر لبفاء ركعة بسجدها من الضروري قُتِلَ بالسيف حداً على

المشهور. وقال ابن حبيب وجماعة خرج المذهب: كافر. واختاره ابن عبد السلام<sup>(١)</sup> انتهى.

وقال في فضل الأذان: قال المازري: في الأذان معنيان:

أحدهما: إظهار الشعائر والتعريف بأن الدار دار إسلام، وهو فرض كفية، يُقَاتِلُ أهل القرية حتى يفعلوه، إن عجزوا عن قهرهم على إقامته إلا بالقتال. والثاني: الدعاء للصلاة والإعلام بوقتها.

وقد الأبي في (شرح مسلم)<sup>(٢)</sup>: والمشهور أن الأذان فرض كفية على أهل المصر؛ لأنه شعر الإسلام، فقد كان رسول الله ﷺ إن لم يسمع الأذان أغار، وإلا أمسك. وقول المصنف: يُقَاتِلُونَ عليه. ليس القتال من خصائص القول بالوجوب، لأنه نص عن عياض في قول المصنف: والوتر غير واجب، إلا أنهم اختلفوا في التمالي في ترك السن هل يقاتلون عليها، والصحيح قتالهم وإكراههم. لأن في التمالي على تركها إماتها انتهى.

وقال في فضل صلاة الجمعة: قال ابن رشد: صلاة الجمعة مستحبة للرجل في نفسه، فرض كفاية في الجملة. ويعني بقوله (في الجملة) أنها فرض كفاية على أهل المصر، ولو تركوها قوتلوا، كما تقدم. انتهى.

وعبارة غيره: وإن تركها أهل بلد قوتلوا، وأهل دار أجبروا عليها. انتهى كلام الشيخ رحمه الله. علي الأجهوري<sup>(٣)</sup>.

فانظر تصريحهم أن ترك الصلاة يُقتل باتفاق أصحاب مالك، وإنما اختلفوا

(١) الفوكه الدوسي (٢/ ٢٠١).

(٢) (٢/ ٢٣٤ - ٢٣٥).

(٣) موهب نحيل (١/ ٤٠٥).

في كفره، وأن ابن حبيب وابن عبد السلام اختدرا أنه يقتل كافرًا، وتأمل كلامهم في الطائفة لممتنعة عن الأذن وعن إقامة الجماعة في المساجد، وأنهم يُقَاتِلُونَ. فآيس هذا من قولكم أن من ترك الفرائض مع الإقرار بوجوبها لا يحل قتالهم لأنهم يقولون لا إله إلا الله!

وأما كلام الشافعية؛ فقال الإمام لعلامة أحمد بن حمدان الأذري رحمه الله في كتاب (قوت المحتاج في شرح المنهاج): من ترك الصلاة جاحدًا وجوبها كفر إجماعًا، وذلك جارٍ في كل جحود مجمع عليه، معلوم من الدين ضرورة، فإن تركها كسلًا قتل حدًا على الصحيح والمشهور، أما قتله فلأن الله تعالى أمر بقتل المشركين، ثم قال: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ فدل على أن القتل لا يرفع إلا بالإيمان وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولما في الصحيحين: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا» ثم قال: إشارات:

منها قتله ردة، ووجد لشريعة، منهم منصور التميمي وابن خزيمة، وقضية كلام الرونق. أنه كلام منصوص، حيث قال: فإذا قُتِلَ ففي ماله ودفنه بين المسلمين قولان: أحدهما ما رواه الربيع عن الشافعي أن ماله يكون فيء ولا يدفن بين المسلمين. والثاني ما رواه المازني عن الشافعي أن ماله لورثته ويدفن في مقابر المسلمين. وقال في المستعمل: سألت الربيع: ما يصنع بماله إذا قتله؟ قال: يكون فيءًا.

ومنها قل في (الروضة): ترك الوضوء بقتل على الصحيح، جزم به الشيخ أبو حامد<sup>(١)</sup>. وفي (البيان): لو صلى عريانًا مع القدرة لستر، أو العريضة قعدًا

بلا عذر. قُتِلَ، وكذلك لو ترك الشَّهَد أو الاعتدال. حكاه ابن الأَستَاز عن البحر. فإنَّ صَبح طرد في سائر الأركان ولشروط. ويجب أن يكون محله فيما أُجمع عليه.

ومنها لو امتنع من الصوم والزكاة حُسْوَ ومُتَعٍ من الفطرات. وقال إمام الحرمين: يجوز أن يكون الممتنع مما يضيق عليه، كالممتنع من الصلاة يجبر عليه. فإنَّ أبا ضُربت عنقه. قال المصنف: والصحيح قتله بصلاة واحدة، بشرط إخراجها عن وقت الضرورة. انتهى كلام الأذري.

فانظر كلامه في قتل من ترك الصلاة كسلاً، وأنَّ الربيع روى عن الشافعي أن ماله يكون فيئاً ولا يُدفن في مقابر المسلمين، وتأمل كلام أبي حامد وكلام صاحب الروضة في قتل ترك الوضوء، وكلام صاحب البيان فيمن صلى عريئاً مع القدرة على الس-ترة، أو صلى الفريضة قاعداً بلا ع-ذر، أنه يقتل. فأين هذا من قولكم أن من قال لا إله إلا الله كف عنه ولا يجوز قتاله بوجه من الوجوه؟

وقال الشيخ أحمد بن حجر الهيتمي في (التحفة) في حكم بارك الصلاة: إن ترك الصلاة جاحداً وجوبها كفر بالإجماع، أو تركها كسلاً مع اعتقاد وجوبها قُتِلَ لآية ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ وخبر: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ...» لأنهم شرطن، وفي الكف عن القتل والمقاتلة بالإسلام وإيتاء الزكاة. لأن الزكاة يمكن الإمام أخذها، ولو بالمقاتلة ممن امنعوا وفاتلوا. فكانت فيها على حقيقتها، بخلافها في الصلاة فإنه لا يمكن فعلها بالمقاتلة. وقال في باب صلاة الجمعة: وقيل: هي فرض للرجل، فيحب، بحيث يظهر به الشعار، فإن امنعوا كلهم أو بعضهم، كأهل محل من قرية كبيرة، ولم يظهر الشعار إلا بهم فوبلوا، يقاثلهم الإمام أو نائبه لإظهار هذه الشريعة الكبيرة. وقال في باب الأذان والإقامة:



سنة. وقبل: فرض كفايه، فيقاتل أهل بلد تركوهما، أو أحدهما، بحيث لم يظهر الشعار. وقال في باب صلاة العيدين: هي سنة. وقيل: فرض كفاية، فعليه يقاتل أهل بلد تركوها. انتهى كلامه في (التحفة)<sup>(١)</sup>.

فنظر إلى كلامه في قتل تارك الصلاة كسلاً، وتأمل قوله أن الآية والحديث شرطان في الكف عن القتل والمقاتلة الإسلام وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وأن الإمام يأخذ الزكاة، ولو بالمقاتلة ممن امتنعوا وقاتلوا، وتأمل كلامه في باب صلاة الجماعة، وأنه تجب بحيث يظهر الشعار في ذلك المحل، حتى في البدية، وأنهم يقاتلون إذا امتنعوا، بل كلامه في الأذن والإقامة، وأن الأمام يقاتل على تركه، وعلى ترك أحدهما، على القول بأنهما فرض كفاية، وتأمل كلامه في الطائفة إذا امتنعوا من صلاة العيدين. فأين هذا من كلام من يقول أن أهل البند والبوادي إذا قالوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله لم يجز قتلهم وإن لم يصلوا ولم يزكوا، فسبحان الله ما أعظم هذا الجهل!

وأما كلام الحنابلة فقال في (الإقناع) وشرحه في كتاب الصلاة: من جحد وجوبها كفر، فإن تركها تهوئاً وتكسلاً لا جحوداً يهدده، فإن أبى أن يصلّيها حتى تضايق وقت الذي بعده وجب قتله، لقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ فمتى ترك الصلاة لم بات بشرط التخية، فيبقى على إباحة القتل. ولقوله ﷺ: «من ترك الصلاة عمداً متعمداً فقد برئت منه ذمة الله ورسوله»<sup>(٢)</sup> رواه أحمد عن مكحول. وهو مرسى جيد. ولا يقتل حتى يستتب ثلاثة أيام، كالمريد نصّاً، فإن تاب بمفعليها وإلا قُتل بضرب عنقه، لم روي جابر عن النبي ﷺ أنه قال: «بين الرجل وبين

(١) حاشية الحمل على شرح المهبج (٢/ ١٢٩).

(٢) المسند (٦، ٤٢١).

الكفر ترك الصلاة» رواه مسلم، وروى بريدة أن النبي ﷺ قال: «من تركها فقد كفر» رواه الخمسة، وصححه الترمذي<sup>(١)</sup>. انتهى.

وقال في باب الأذان والإقامة: فإن تركهما، أي الأذان والإقامة، أهل بلد قُتِلُوا، أي قاتلهم الإمام أو نائبه، حتى يفعلوهما، لأنهما من أعلام الدين الظاهرة، فيقاتلوا على تركها كسلا كصلاة العيد<sup>(٢)</sup>.

وقال رحمه الله، في باب صلاة الجماعة: وهي واجبة وجوب عين، فيقتل تركها، وإن أقامها غيره، لأن وجوبها على الأعيان بخلافه<sup>(٣)</sup>.

وقال في باب صلاة العيدين: وهي فرض كفية، إن تركها أهل بلد يبلغون الأربعين، بلا عذر، قاتلهم الإمام. كالأذان، فإنه من شعائر الإسلام الظاهرة، وفي تركهما تهاون بالدين<sup>(٤)</sup>.

وقال في باب إخراج الزكاة: ومن منعها، أي الزكاة، بخلاً بها وتهاوناً، أُخِذَتْ منه قهراً، كذبن الأدمي. وإن غيب ماله أو كتمه، وأمكن أخذه، بأن كان في قبضة الإمام، أخذت من غير زيادة. وإن لم يكن أخذه استتيب ثلاثة أيام وجوباً، فإن تاب وأخرج كُفِّ عنه، وإلا قُتِلَ، لاتدف الصحابة على قتال مانعها، وإن لم يمكن أخذه إلا بالقتال وجب على الإمام قتله إن وضعه موضعها<sup>(٥)</sup>. انتهى كلامه في (الإقناع) وشرحه.

فتأمل كلامه فيمن ترك الصلاة كسلاً من غير جحود أنه سُستاب فإن تاب وإلا

(١) كشف الصاع (١/ ٢٢٨).

(٢) كشف الصاع (١/ ٢٣٤).

(٣) كشف الصاع (١/ ٤٥٤).

(٤) كشف الصاع (٢/ ٥٠).

(٥) كشف الصاع (٢/ ٢٥٦).

قُتِلَ كَافِرًا مُرْتَدًّا، وتَأْمَلْ كَلَامَهُ فِي أَهْلِ الْبِلْدَانِ إِذَا تَرَكَوا الْأَذَانَ أَوْ الْإِقَامَةَ أَوْ صَلَاةَ الْعِدِّ أَنَّهُمْ يَقْتُلُونَ بِمَجْرَدِ بَرَكِ ذَلِكَ، فَهَذَا كَلَامٌ لِمَانِكَةِ، وَهَذَا كَلَامُ الشَّافِعِيَّةِ، وَهَذَا كَلَامُ الْحَنَابِلَةِ، الْكُلُّ مِنْهُمْ قَدْ صَرَحَ بِمَذْكَرِهِ، فَإِذَا كَانُوا مُصْرَحِينَ بِقَتْلِ مَنْ لَزِمَ شُرَائِعَ الْإِسْلَامِ، إِلَّا أَنَّهُمْ تَرَكَوا الْأَذَانَ وَتَرَكَوا صَلَاةَ الْجَمَاعَةِ وَتَرَكَوا صَلَاةَ الْعِيدِ، فَكَيْفَ بِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ رَأْسًا، كَالْبَوَادِي، وَلَا يُزَكُّونَ وَلَا يُصُومُونَ، بَلْ يُنْكِرُونَ الشَّرَائِعَ، وَيُنْكِرُونَ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ، هَذَا هُوَ الْغَلَبُ عَلَيْهِمْ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَهُمْ الْقَلِيلُ، وَإِلَّا فَأَكْثَرُهُمْ لَيْسَ مَعَهُمُ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وَمَعَ هَذَا يَجَادِلُ عَمَاءَ مَكَّةَ وَيَقُولُونَ: إِنَّهُمْ مُسْلِمُونَ، وَإِنْ دَمَاءُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ حَرَامٌ بِحَرَمَةِ الْإِسْلَامِ، وَإِنْ لَمْ يَصِلُوا وَلَمْ يَزَكُوا وَلَمْ يَصُومُوا، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)! وَهَلْ هَذَا إِلَّا رَدٌّ عَلَى اللَّهِ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا دِينَ أَبِي بَكْرٍ الَّذِي هُوَ عَلَى الْغَيْبِ مُبْتَلًى لَا يَشْكُرُ الْوَجْهَ وَالْخَلْقُ لَهُمْ﴾ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ! وَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: يُخْلِي سَبِيلَهُمْ وَإِنْ لَمْ يَصِلُوا وَلَمْ يَزَكُوا.

وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دَمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ»<sup>(١)</sup> وَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: مَنْ قَالَ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فَقَدْ عَصَمُوا دَمَهُمْ وَمَالَهُمْ وَإِنْ لَمْ يَصِلُوا وَلَمْ يَزَكُوا! ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ.

وَهَذَا إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ عَلَى قَتْلِ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ أَوْ مَنَعَ الزَّكَاةَ، قَالَ صَدِّيقُ الْأُمَّةِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَاللَّهِ لَأَقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَاللَّهُ مَوْعِدُنِي عَقْلًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَفِي رَوَايَةٍ: عَاقِبًا، لِقَاتِلَتِهِمْ عَلَى مَنَعِهَا.

(١) أخرجه: البحاري (٢٥)، ومسنم (٢٢)

وهذا إجماع العلماء، قال في شرح (الإفناع): أجمع العلماء على أن كل طائفة ممنوعة من شريعة من شرائع الإسلام، فإنه يحب قتلها حتى يكون الدين كله لله وحتى لا تكون فتنة كالمحاربين وأولى<sup>(١)</sup>. انتهى.

قال أبو العباس، رحمه الله تعالى: القتال واجب حتى يكون الدين كله لله، وحتى لا تكون فتنة، فمتى كان الدين لغير الله فالقتال واجب، فأى طائفة ممنوعة امتنعت عن بعض الصلوات المفروضة، أو الصيام أو الحج، أو عن التزام تحريم الدماء والأموال والخمر والزنا والميسر، أو نكاح ذوات لمحرم، أو عن التزام جهد الكفار، أو ضرب الجزية على أهل الكتب، أو غير ذلك من التزام واجبات الدين أو محرماته التي لا عذر لأحد في جحودها أو تركها، التي لا يكفر الواحد يتركها بجحودها، فإن الطائفة الممتنعة تُقاتل عليها وإن كانت مقرة بها. وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء، وإنما اختلفوا الفقهاء في الطائفة الممتنعة إذ أصرت على ترك بعض السنن؛ كركعتي الفجر والأذان أو الإقامة، عند من لا يقول بوجوبها، ونحو ذلك من الشعائر. فهن تقاتل الطائفة الممتنعة على تركها أم لا، فأما الواجبات أو المحرمات المذكورة ونحوها فلا خلاف في القتل عليها<sup>(٢)</sup>. انتهى.

فتأمل كلام لحنابلة وتصريحه بأن من امتنع عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة، كالصلوات الخمس، أو الصيام، أو الزكاة، أو الحج، أو ترك المحرمات، كالزنا أو شرب الخمر أو المسكرات، أو غير ذلك، فإنه يحب قتل الطائفة عن ذلك حتى يكون الدين كله لله، ويلتزموا جميع شرائع الإسلام. وإن

(١) كشف مصدع (٦/ ١٦٧) عملاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية

(٢) مجموع النووي (٢٨ ٥٠٣)

كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين، ملتزمين ببعض شرائع الإسلام، وأن ذلك مما اتفق عليه لفقهاء من سائر الطوائف فمن بعدهم، فأين هذا من قولكم أن من قال لا إله إلا الله فقد عصم ماله ودمه وإن ترك الفرائض وارتكب المحرمات؟ بل من تأمل سيرة النبي ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده عرف أن قولكم هذا مصاد لما فعله النبي ﷺ وما فعله الخلفاء الراشدين من بعده، في سبحان الله أما علمتم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وهم يقولون (لا إله إلا الله) وسبى نساءهم واستحل دماءهم وأموالهم!

أما علمتم أن رسول الله ﷺ أراد أن يغزو بني المصطلق عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَسِقٌ فَاغْلِبُوا﴾!

أما علمتم أن علي بن أبي طالب حرق الغالية مع أنهم يقولون (لا إله إلا الله)!

أما علمتم أن الصحابة قاتلوا الخوارج بأمر نبيهم ﷺ مع أنه ﷺ أخبر أن الصحابة يحقرون صلاتهم مع صلاتهم، وصيامهم مع صيامهم، وقراءتهم مع قراءتهم، وقال: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم»<sup>(١)</sup>!

أما علمتم أن الصحابة قتلوا بني حنيفة، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، ويؤذنون ويصلون!

أما علمتم أن الصحابة قاتلوا بني يربوع لما منعوا الزكاة، مع أنهم مقرون بوجوبها، وكنوا قد جمعوا صدقاتهم، وأردوا أن يعثوا بها إلى أبي بكر. فمنعهم مالك بن نويرة! وفي أمر هؤلاء عرضت الشبهة لعمر بن الخطاب، حتى جلاها الصديق أبو بكر وقال: والله لو منعوني عاقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ

(١) أخرجه: سحري (٣٦١١)

لقاتلتهم على منعها. فقال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت إليه قد شرح صدر أبي بكر للفذل، فعرفت أنه الحق.

وقد تقدم ذلك مبسوطاً، وذكرنا لفظه في شرح مسلم في باب الأمر بهتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة. أم علمتم أن رسول الله ﷺ بعث لبراء إلى رجل تزوج امرأة أبيه، كما رواه الترمذي في سننه. حيث قال: (باب فيما جاء فيمن تزوج امرأة أبيه) حدثنا أبو سعيد الأشج أخبرنا حفص بن غيث عن أشعث عن عدي بن ثابت عن البراء قال: مر بي خالد أبو بردة، ومعه لواء، فقلت: إلى أين تريد؟ فقال: بعثني رسول الله ﷺ إلى رجل تزوج امرأة أبيه برأسه<sup>(١)</sup>. حديث حسن غريب انتهى.

ولو تتبعنا الآيات والأحاديث والآثار وكلام العلماء، في قتال من قال لا إله إلا الله وترك بعض حقوقه، لطال الكلام جداً، فكيف بمن ترك الإسلام كله، وكذب به وسهزأ على عمد، إلا أنهم يقولون (لا إله إلا الله) كهؤلاء البوادي! وفيما ذكرناه كفاية لمن طلب الإنصاف، فقد ذكرنا الأدلة من كلام الله، وكلام رسوله، وإجماع الصحابة، وإجماع العلماء بعدهم، فإن كان هذا الذي ذكرنا له معنى آخر ما فهمناه بينوه لنا، من كلام الله وكلام العلماء، ورحم الله امرأة نظر لنفسه وعرف أنه ملاق الله الذي عنده الجنة والنار.

وأما المسألة الثالثة: وهي مسألة البناء على القبور، فنقول ثبت في الصحيح والسنن عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن لبناء على القبور وأمر بهدمه، كما رواه مسلم في صحيحه. حيث قال: حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي لسي عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي: ألا

(١) جامع ترمذي (١٣٦٢) ونحدث أخرجه لحري (٢٣١٤) ومسلم (١٦٩٦)

أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع نمثالا إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته<sup>(١)</sup>.

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا حفص بن غياث عن أبي جريح عن ابن الزبير عن جابر رضي الله عنه، قال: نهى رسول الله ﷺ أن يحصص القبر، وأن يسي عليه، وأن يكتب عليه<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً: حدثنا هارون الأيلي قال: حدثنا ابن وهب قال: حدثني عمر بن الحارث أن ثمامة بن شفي حدثه قال: كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم، فتوفي صاحب لنا، فأمر فضالة بقبوره يسوى، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها<sup>(٣)</sup>.

وقد الترمذي: باب (ما جاء في تسوية القبور) حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن حبيب عن أبي ثابت عن أبي وائل أن علياً رضي الله عنه، قال لأبي الهياج الأسدي: أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع نمثالا إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته<sup>(٤)</sup>. قال: وفي الباب عن جابر.

وقال ابن ماجة: باب (ما جاء في النهي عن البناء على القبور وتجسيصها والكتابة عليها) حدثنا أزهر بن مروان حدثنا عبد الرزاق عن أيوب عن أبي الزبير عن جابر قال: نهى رسول الله ﷺ عن تجسيص القبور<sup>(٥)</sup>.

(١) صحيح مسلم (٩٦٩).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٣٢٧) ومن طريقه أخرجه مسلم (٩٧٠).

(٣) صحيح مسلم (٩٦٨).

(٤) جامع الترمذي (١٠٤٩) والحديث أخرجه مسلم (٩٦٩).

(٥) سنن ابن ماجة (١٥٦٢) وصححه الشيخ لأبى (صحيح ابن ماجة).

حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا حفص بن غياث عن أبي جريح عن سليمان بن موسى عن جابر قال: نهى رسول الله ﷺ أن يكتب على القبر شيء<sup>(١)</sup>.

حدثنا محمد بن يحيى حدثنا محمد بن عبد الله الرقشي نبا وهب حدثنا عبد الرحمن بن زيد عن القاسم بن مخيمرة عن أبي سعيد عن النبي ﷺ نهى أن يبنى على القبر<sup>(٢)</sup>.

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم: قال الشافعي في (الأم): رأيت الأئمة في مكة يأمرؤن بهدم ما يبنى. ويؤيد الهدم قوله: ولا قبرا مشرفا إلا سويته<sup>(٣)</sup>.

وقال الأذري رحمه الله تعالى في (قوت المحتاج): ثبت في صحيح مسلم النهي عن التجصيص والبناء، وفي الترمذي وغيره النهي عن الكتابة، قال القاضي: ولا يجوز أن يبنى عليها قباب ولا غيرها، والوصية عليها باطلة. قال الأذري: ولا يبعد الجزم بالتحريم في ملكه وغيره، من غير حاجة، على من علم النهي، بل هو القياس لحق، ولوجه في البناء على القبور والمبهاة ومضاهة الجبابرة والكفار، والتحريم يثبت بدون ذلك، وأم بطلان الوصية بالبناء على القباب وغيرها من الأبنية العظيمة وإنفاق الأموال الكثيرة عليه، فلا ريب في تحريمه. والعجب كل العجب ممن يلزم بذلك الورثة من حكام العصر. ويعمل الوصية بذلك. انتهى كلام الأذري، رحمه الله تعالى.

ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور، وما أمر به ونهى عنه، وما كان عليه أصحابه. وبين ما أئتم عليه من فعلكم مع قبر أبي طاسب والمحجوب وغيرهما، وجد أحدهما مضادا للآخر مناقضا له، لا يجتمعان أبدا، فنهى

(١) سنن ابن ماجه (١٥٦٣) وصححه الشيخ لأبني (صحيح لمجمع ٦٨٤٣)

(٢) سنن ابن ماجه (١٥٦٤) وصححه الشيخ الأثاني (تلخيص أحكام حديث ٨٥ / ١)

(٣) شرح مسلم لمصوي (٧ ٢٧)



رسول الله ﷺ عن البناء على القبور، كما تقدم ذكره، وأنتم تبون عليها لقباب لعظيمة، والذي رأيته في المعلاة أكثر من عشرين فيه نهى رسول الله ﷺ أن يزداد عليها غير ترابها. وأنتم تزيدون عليها غير التراب اتبوت الذي عليه لباس الجوخ، ومن فوق ذلك القبة العظيمة المبنية بالأحجار والجص!

وقد روى أبو داود من حديث جابر أن رسول الله ﷺ نهى أن يجصص القبر، أو يكتب عليه، أو يزداد عليه.

ونهى رسول الله ﷺ عن الكتابة عليها، كما تقدم من صحيح مسلم.

وقال أبو عيسى الترمذي: (باب ما جاء في التجصيص والكتابة عليها) حدثني عبد الرحمن بن الأسود أخبرني محمد بن ربيعة عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر قال: نهى رسول الله ﷺ أن تجصص القبور، وأن يكتب عليها، وأن يبنى عليها، وأن توطأ. هذا حديث حسن صحيح.

وهذه القبور عندهم مكتوب عليها القرآن والأشعار.

وقال أبو داود: (باب البناء على القبر) حدثني أحمد بن حنبل حدثنا عبد الرزاق قال: أخبرني ابن جريج قال: حدثني أبو الزبير أنه سمع جابرا يقول: سمعت النبي ﷺ نهى أن يقعد على القبر، وأن يجصص، وأن يبنى عليه. انتهى.

ولعن رسول الله ﷺ من أسرجها، والذي رأيته ليلة دخولنا مكة، شرفها الله تعالى، في المقبرة أكثر من مائة قنديل، هذا مع عنكم أن رسول الله ﷺ لعن فاعله. فقد روى ابن عباس أن رسول الله ﷺ لعن زوارات القبور، وامتخذين عليها المساجد والسرج. روى هذا أهل السنن<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٣٦) والترمذي (٣٢٠) والسنن (٢٠٤٣) والإمام أحمد (١)

(٣٣٧) وضعه نصح الألباني (ضعف الجمع ٤٦٩١)

وأعظم من هذا كله وأشد تحريماً، الشرك الذي يفعل عنده، ودعوة القبور، وسؤلهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات، لكن يقولون لنا: إن هذا لا يفعل عندها، وليس عند أحد يدعوها ويسألها. ويقول: اللهم اجعل ما ذكرنا حقاً وصدقاً. ونسأل الله أن يطهر حرمه من الشرك، ولا ريب أن دعاء الموتى وسؤلهم جلب الفوائد وكشف الشدائد، أنه من الشرك الأكبر الذي كفر الله به المشركين، كما نقدم بيانه في المسألة الأولى، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَزَقْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا مَمْلُوكَ كَشَفَ الْقَصْرِ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ إلى آخره.

وقد روى الترمذي عن أنس أن النبي ﷺ قال: «الدعاء مخ العبادة» وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء هو العبادة» ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

قل العلقمي في (شرح الجامع الصغير): حديث الدعاء مخ العبادة. قل شيخنا في (النهاية): مخ الشيء خالصة، وإنما كان مخها لأمرين: أحدهما: أنه امتثال لأمر الله تعالى، حيث قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فهو محض العبادة وخالصها.

والثاني: إذا رأى نجاح الأمور من الله قطع عمله عما سواه ودعاه لحاجته وحده، وهذا هو أصل العبادة، ولأن الغرض من العبادة هو الثواب المطلوب عليها، وهذا هو المطلوب من الدعاء<sup>(١)</sup>.

(١) النهاية في غرب الحديث (٤ / ٦٤١)

وقوله: «الدعاء هو العبادة» قال شيخنا: قال الطيالسي: أتى بالحبر المعروف باللام ليدل على الحصر، وأن العبادة ليست غير الدعاء. وقال شيخنا: قال الضوي: لما حكم أن الدعاء هو العبادة الحقيقية، التي تستأهل أن تسمى عبادة، من حيث إن فاعلها مقبل على الله، معرض عن سواه، ولا يرجو ولا يخاف إلا منه، واستدل عليه بآية، يعني قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فإنها تدل على أمر مأمور به، إذا أتى به المكلف قبل منه لا محالة، وترتب منه المقصود ترتب الجزاء على الشرط، والسبب على المسبب، وما كن كذلك كان أتم العبادة وأكملها. انتهى كلام العلقمي، رحمه الله تعالى.

وليكن هذا آخر الكلام على هذه المسائل الثلاث، فإن وافقتمونا على أن هذا هو الحق فهو المطلوب، وإن زعمتم أن الحق خلافه فأجيئون بالكتاب والسنة. فإنيهما بين الدس فيما تنازعوا فيه، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ لُنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ وقد ذكرنا لكم الأدلة من لكتاب والسنة وكلام الأئمة. فإذا أجبتكم على هذه المسائل الثلاث أجبتكم عن بقية المسائل، إن شاء الله تعالى، ولنحتم الكلام بقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ الدَّسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ هُمَمَّتْ صَوْمُكُمْ وَبِيعَ وَصَوَّتْ وَمَسَجِدُ يُذَكَّرُ فِيهِ سَمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ \* الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَإِنَّ عَفِيفَةَ الْأُمُورِ \* والحمد لله أولاً وآخراً كما يحب ربنا ويرضى، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

ثم دخلت السنة الثانية عشرة بعد المائتين والألف.

وفيها أظهر الشريف عات عثمان المضايقي مع كثير من العساكر والحيش. وذوي لسفهة والطيش، وقصد عربان الإسلام لكون جرودهم<sup>(١)</sup> عند سعود،

(١) الحرود تطوائف بكسرة من القوم المحاربين

ولم بكر عند الأهل كثير من أهل الإقدام، بل كانوا غزاة حماة تلك الأقوام. فظن أنه يحصل منهم على مرام، فأسرع الوصول إليهم، وقدم وهم على ماء عقيلان آل روق من قحطان<sup>(١)</sup>، وغيرهم من سائر العرب. وكبيرهم مسفر بن نقيحان، فأغارت عليهم فرسان الشريف، بقوة تُرعب وتُخيف، فتبث لهم أولئك العرب، ولم يكن أحد منهم عزم على الهرب، وصبروا على الجلاء، خوفاً على الأموال والأولاد، حتى أعانهم الرحمن، فانهزم ذوو الطغيان، وتبعهم أولئك البدوان، وقتلوا منهم فوق الخمسين، ونار<sup>(٢)</sup> الباقي مدبرين، ومات كثير منهم من الظماً متفرقين، وأخذوا كثيراً من السلاح والركاب، وخسر جميع الأحزاب.

هذا، ولنرجع إلى تدمر الحديث عن ثويني وإكماله، وما لقي في طريقه من سوء أعماله، وذلك أن الله تعالى الولي الحميد، المبدئ المعيد، المنتقم من كل جبار عنيد، لما أراد فيه إنفاذ الوعيد، وأن يولي المسلمين من فضله المزيد، ويجري لهم عادته من النصر والتأييد، ويخذل كل رائم لهم الهوان ومريد، من كل باغ وشيطان مريد، أقبل يقطع المفاوز، ويعقب وراءه كل مهمة ويجاوز، ويروم أنه بالحسب فائز، وأنه لولايتها مناهز، وعن مصادمة المسلمين في بلدانهم بعد ذلك غير عاجز، يعلن بذلك نفسه إذ سجي الدجى، ويحقق له الغرور ذلك الرجا. يولي في تلك المسامرة ويعزل، ويحكم بما شاء على من شاء ويفصل، ولم يدر أن الله تعالى له بمرصد، وأن القضاء له بمقعد، فلم يطل له على تلك الأمواه مقام، بل أسرع في المسير والإقدام، ولم يكن له عن أرض الشاك<sup>(٣)</sup>

(١) قال ابن بشر (١ / ١١٠): «دون بيشة».

(٢) نار: هرب.

(٣) قال ابن بشر (١ / ١٠٨): «الباء المعروف في ديرة سي خاند» وهو بالقرب من بلدة

«ثاج»، وثج قع عرب مسنة الحيل نحو نبي ٨٠ كم

إحجام، لم قصي عليه بشرب كتوس الحمام، وأن الله تعالى بحكمته النبي به  
للسموات والأرض القديم، وحسن لمن فيهن بها الانتظام، وقدرته التي فهرت  
جميع الأنام، وإرادته التي تم بها الوجود واستقام، اختار أن بين للناس ما فيه  
آية عظيمة، يستدعي بها إذعاناً لوحدة الله ذوو العقول السيمة، وسالكو  
المناهج القديمة المستقيمة، ولكن الله تعالى إذا طبع على القلوب بطابع  
الحجاب، وسلب الإدراك والمعرفة من الألباب، فلا تحس بما يصدر من  
العجاب، وتتمادى فيما هي فيه من الزيف والارتباب.

فلما نزل ثويني في رياض أراضي الشباك، مدت له من الحبال شبك،  
ونصب له من أسباب الحمام أشراك، حتى تخمد نار الغواية والإشراك، وترجع  
خاسئة على أعقابها أولئك السلاك، فناداه منادي القضاء المجيد، إلى أين  
تذهب وتريد، وقد حان هلاكك غير بعيد، ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَيِّئُ الْبَاطِلُ وَمَا  
يُعِيدُ﴾، ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ فلم تمض له إلا أيام  
قليلة، فصاح به أخرى وأسمعه قبيله، وناداه ولكن لا يسمع ولا يجيب، ﴿وَلَوْ  
تَرَوْا إِذْ فَرَعُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُحْذِرُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾، وجعل الله تعالى منية ذلك  
الضرغام، الذي لا يستطيع بأسه ولا يرم، على يد أذل وأضعف الأنام، وذلك  
أن الأسرار الغيبية، والمصالح التي نيط بها نظم البرية، وجميع العوالم العلوية  
والسفلية، لا تدركها حيد الأفهام والأذهن، بل تحجم دون ذلك الميدان، ولا  
يكون لها فيه جولان، ويقصُرُ باعها عن ذلك ونو أطلق لها عدن، فترجع حينئذ  
ألب أهل العرفان، وصفوة أهل التوحيد والإيمان، حين تشهد تلك الحكم  
التي ظهرت في غاية البيان، وأرزهم من هو كل يوم في شأن، في وقتها المقدر  
لها بحسان، إلى زيادة الإقرار والإذعان، لمكوّن الأكوان ومقدر الأجال  
والأزمن، ومحتم لفا على كل يسار وملك وجان، بمصداق، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾.

ومما يفتح هذا الباب لذوي البصائر والألباب، ويحث على التوحيد وإخلاص الدعوة لرب الأرباب، هذا برهان الذي شاهده أولو الأبصار، والحكم العادل الصادر من قاصم كل جبار، المبرز في مساق النصر والانتصار، صوناً لزال الشريعة عن الأكدار، وقدر زعاف الأشرار، ليستيقن أهل الدين بعد التتبع والاعتبار، ويزيد أهل الإيمان إيماناً بذلك الاستبصار، فلا تبدر العقول والأفكار، إلى امتطاء كاهل الإنكار، ولا تدخل في ضنك القنوط فتزيغ منها الأبصار، فما في الغيب من خفي الأسرار، أجل من أن تحيط به البصائر المستضيئة بالأنوار، فتبارك الذي أقصى من شاء من العباد، ونحاه إلى بيداء الإبعاد، وقسم له الطرد والحرمان، وأضنه على علم لإرادته به الهوان، وسبحان الذي قرّب أوليائه إلى جذبه، ومنح أصفياه لذيد خطبه.

وحاصل بيان هذه المنقبة، وتهيئة أسبابها الموجبة، وإشراق أنوار هذه الموهبة، أن ثويني لما ظهر للحراقة، وكان منه إليها تلبية وإجابة، وفتح من الشر باب، وارتد من البدوان كثير من العربان، كما قدمناه عن آل ظفير، وكُلُّ أقبل إلى الفتنة يسير، جاء بنو خالد الذين في الشمال، وأسرعوا إلى براك بن عن المحسن ومن معه من قومهم وأعلموهم بالحال، وخوفوهم من ثويني وما أتى من الكيد الذي لم يسبق له مثل، وأراد براك الامتناع، فهددوه بالأسر والاعتقال، فأشمل بعد ذلك هو ومن معه وكنوا إلى لقاء ثويني في استقبال، وهاجر من قوم براك جماعة كثيرة وقصدوا لُدريه، بعد صدور تلك القضية، ثم بعد ذلك خرجوا مع أهل الجهاد، وكان طعيس ممن هاجر وأتى الارتداد، وخرج للعزو مع نك الأمداد، وكان يُكثر الدعاء لمولاه والسؤال، ويُديم التضرع والاسهال، ويتمنى ذلك في كل حال، وينفّوه بذلك بين الرجال، حتى يظن سمعه أن به وسواساً وحبال، ويستبعد أن يكون للأسود والاشبال، إلى جنى ثويني وصول واتصال.

أو ندرك منه مرأى أو مال، فضلاً عن مثل هذا المهان الذي لا يبقى إليه مال،  
بجسر على هتت تلك الأنثة العديمه المثال، ووطء ساط تلك الحضرة التي  
دون رحتها خطوب وأهوال، فلا يرام الوقوف عندها ولا تنال.

فأراد الله الكبير المتعان، أنه يعزوم مع متاع أب رجلين، وهم أهل أربع ركاب  
يريدون اختلاس بعض الآبل، فوافقهم أناس من آل ظفير ذوي الضلال،  
فأخذوهم وبقي طعيس عند أولئك الجنود، وأخذت نفسه تُحدثه بتلك الآمال،  
ويُصمم على ذلك ويدعو بتيسيره في البكور والآصال، فاستعد للإقدام وبع  
نفسه وأبرم الاحتيال، وأخذ حربته وقد قوى الله عزيمته، فجاءه وهو قاعد مع  
بعض الرجل، فأنفذ فيه الحربة، وكان منه له اغتيال، فلما أحس بالطعنة جرّد  
صارمه فضرب به طعيساً، وقام عليه مع غيره رجال، فقُتل بعد ذلك في الحال،  
ولم يكن له ساعة إمهال، عيه رحمة الله تعالى، وبقي ثوبي ذلك اليوم إلى  
لعصر، ثم كان له إلى القبر نقال، فضجت تلك الأمم مما حل بهم ودهم.  
وذعرت وارتجت، وماجت قبورها بعدما رعبت وعجت، وحاك بها مُدْلَهُمْ  
الخطب، وعراها وقراها الزمان ما أوهى قراها، وضاق عليها فسيح الفجاج  
والرحب، وأحاط بهم رجز من العذاب، وانهزم منهم براك ونار، وأرسل  
للمسلمين بالأخبار، وتبعه أناس من قومه، وجد في الهروب من يومه، ولم  
يثبت لهم قوة ولا قلوب ولا قرار. بعدما صدر من براك وجماعته ذلك الفرار،  
وحول قوم ثوني وناصر أحوه في الثبت واحتدم الحاح. فلم يحصل له ما  
يرجوه، وأبت تلك العربان وندت أسلاف البدوان<sup>(١)</sup>، وشمرت في الانهزام  
والدهاب جميع ضوائف الأعراب، وشنت الله شمل أولئك الأحزاب، واستمر

كل واحد منهم في الهريمة لا يلوي أحد على أحد ولا بجيب، ﴿وَجِئَ بِبَنِيهِ وَمَنْ مَعَهُمْ كَمَا فُعِلَ بِشَيْعِهِمْ مِمَّنْ قُتِلَ فِيهِمْ كَأَنُورٍ فِي شَيْءٍ مُّزِيٍّ﴾.

ولما تحقق المسلمون ما صدر وجرى، وتبين لهم صدق ما نزل بهم وعرا، بادر حسن بن مشاري وجميع أهل الإسلام، في طبأ أولئك الجموع العظام، وشمروا في أعقاب أولئك الأقوام، يأخذون ويقتلون، والأعداء منهزمون ولا يلوون، وتركوا جميع ما عندهم من الغنم، وما ثقل من الطعام والنعم، ولم يكن لهم على جرّ المدافع الكبر، حيلة ولا وسيلة ولا اقتدار، فأخذ المسلمون جميع المدافع ولم يكن دونها مدافع، وغنموا من جميع الأموال ما لا يخطر على البال، واستمروا في آثارهم على ذلك المنوال، إلى قريب الجبراء يجمعون الأموال ويقتلون الرجال، فقتل منهم في الصبيحية<sup>(١)</sup> جماعات من تلك البرية.

ورجع المسلمون بعد نيل الأمل في أنعم عيش وبال، وأقبل سعود، بلغه الله المقصود، في حدود ظهور أنوار تلك الآية، وقد رفع طالع الإقبال على رأسه للنصر راية، فأحطت به من جوانبه الألفاف والتوفيق والعناية، وحق السعد والحفظ والرعاية، ونوى أن يغزو أولئك الجنود، ويبذل فيهم المجهود، وعزم على ذلك وصمم، وأجمع عليه رأيه وتقدم، وقال: لا بد في أرضهم من الوطأ والمجال، حتى يكون ذلك أردع وأقمع لذوي الضلال. فانتدب إليه من كبار المسلمين رجال، وقالوا: هذا صعب المنال، والركاب والجياد لا تستطيع السير بحال، وكفى ما وقع بهم من القتل والإذلال، وما نالوا من السر والويل، وعسى أن يتم لك المرد على الإمهال. فجنح إلى قولهم وراض، وكان له عن عزمه إعراض.



وأقام سعود حرسه الله في تلك الأرض، يجمع العنائم ويأخذ منها الخمس  
الفرص. ويقسم الباقي على المجاهدين، حتى وزعت بينهم أجمعين. وكان  
جمع ما حصل من الإبل ثلاثة آلاف، من غير مبالغة ولا إسراف. والذي جمع  
من الغنم فوق مائة ألف. وأكثره عاجلة الهلاك والحتف، ولم يدرك من الخيل  
إلا قتيلاً، ونال أهل الإسلام عزاً جليلاً، ونصراً مؤيداً جميلاً، وثواباً عظيماً  
وأجرًا جزيلاً، ورجع حزب البغي ذليلاً، وقد نكله الله، ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ  
تَنكِيلًا﴾، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَوَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكُفَرِ تَبْدِيلًا﴾.

وأقام سعود على تلك الأمواه أيام، وأطال بها المقام، ثم بعد ذلك سار إلى  
الحسا ونزل عن المبرز شمالاً، وقد انشرح صدره ونعم بالآ، ومكث يدبر شئون  
وأحوالاً، ويعتب من تبين فيه رعب وأبدى خفة عند تلك الأحزاب واعتجالاتها،  
ويؤنب من نار<sup>(١)</sup> إلى البحر ويوبخه مقالاً، ويحثهم على الاجتهاد والاجتماع،  
والمساعدة في الجهاد والدفاع، عند نزول طوارق الفتن. وحلول عوارض  
المحن، حتى ينالوا بذلك الدرجة العليا في الأخرى والدنيا، ويحوزوا أسمى  
المراتب السنية، ويفوزوا بأسمى المطالب السمية.

واجتهد بعض أهل الحسا على بعض، وصار لهم في السعية عنده إسراع  
وركض، ولم يقفوا عند حدود الله تعالى بالترك والرفض، وراموا بذلك إليه  
تقريباً ووصولاً، ومنزلة وتمكيناً لديه وحصولاً، وجمعوا له في ذلك الميدان،  
من قبيح المرور واليهتان، جملة وفصولاً، ﴿وَلَا تُقِفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّكَ تُسْمِعُ  
وَلَا تُنصِرُ وَلَهُوَ أَدَّ كُلُّهُ لِيَتَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾، فدأبوا في لساعية لديه بالنمائم،  
والكل من أهلها للحطوط الدنيوية دأبهم، ولم يحشوا عاقبة المآثم، ومن هو

نخفي حالهم عالم. وكذا ان يكون سوفها قائم، لولا من الله عليه بطفه فزجر أهل تلك المظالم. وأصبح لمنهجها يزيل عنها تلك المعالم. ولجميع موادها حاسم، وينشد قول شاعر عالم<sup>(١)</sup>:

كذبت مناكم صرحوا أو ججموا الدين أمتن والسجية أكرم  
وأردتمو تضيق صدر لم يضق والسمر في ثغر الصدور تُحْظَمُ  
وزحفتمو بمحالكم لجرّب ما زال يثبت للمجال فيَهْزَمُ  
أني رجوتم غدر من جربتمو منه الوفاء وجور من لا يَظْلَمُ

ونهاهم عن تعاطي تلك الخصلة القبيحة الذميمة، والكبيرة التي لا يرضاها، فضلاً عن كونه يتعاطاها، من له مسكّة من الدين أو شيمة، فيا لها من كبيرة في الدين عظيمة. لو لم يكن فيها من الإغلاظ والإعظام، إلا قوله عليه الصلاة والسلام على سبيل التهديد والتحذير والإعلام، لكافة ذوي الدين والإسلام من سائر الأنام: «لا يشم عَرَفَ الجنة نَمَام»<sup>(٢)</sup>. وقول الله تعالى في الذكر الحكيم: ﴿وَلَا تُطِيعُوا كُلَّ حَلَّافٍ مَّهْيَبٍ ۖ هَٰذَا مَثَلٌ مِّمَّنْ آمَنَ فَمَلَافِظَ بِمَوَٰثِقَ ۖ لَكَفَىٰ عَنْ اقْتِرَافِهَا وَسُرْعَةَ ٱلْهَجُومِ عَلَيْهَا ۖ وَٱلْإِقْدَامَ ۖ وَقَدْ جَآءَ فِيهَا مِنَ ٱلْوَعِيدِ مَا لَيْسَ عَلَيْهِ مَزِيدٌ ۖ مِنْ صَحِيحٍ قَوْلِ ٱلْأَنَامِ، مما لا تحيط به الأفهام. ولا تحويه الإرقام. ولكل من سرده الأرقام، ولا يليق باستقصائه هذا المقام. قال المصنف مهنيًا للأمير سعود، ولأبيه عبد العزيز، في قدوم سعود الحسا، بعد قتل ثويني:

تلاً نور الحق وانصدع الفجر وديجور ليل الشرك مزقه الظهر  
وشمس الأمان أشرقت في سعودها ولاح بأفق السعد أنجمه الزهر

(١) اس ريدون، في ديوانه (ص ٣١١ - ٣١٢).

(٢) لم أحده بهذا اللفظ، وأخرج لبحاري (٦٠٥٦) ومسلم (١٠٥) من حديث حنيفة سمعتُ لسيٍّ يقول: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ».

وجلىّ ظلام الخطب بيض صنائع وأسفر وحه الوقت بعد تعبس  
 فأيامه بالأنس بيض شوارق وهبت رياح النصر والفوز والهنا  
 وروح روح الأنس كل موحد كان به من نشأة اللطف نشوة  
 وغنت بروضات السرور بلابل فأصل التهاى دانيات قطوفه  
 ونادى منادى الحق بالخلق معلنا فما قلب ذي ظهر بفيفا أضله  
 بأفرح منا بالبشير وقوله أذيق العدا كأس الردى فسما الهدى  
 وفلّت جنود المعتدين ومزقت فمن حامد منا ومُثْنٍ وساجد  
 لقد أقبلوا والأرض ترجف منهمو وساروا بأسباب المكائد والردى  
 وقد زاغت الأبصار واحتتك الفضا فآبوا وقد خابوا وما أدركو المني  
 جنود فساد وابنداع وفتنة يريدون أن يطفوا مصابيح نوره  
 أبى الله أن يسمو الضلال على الهدى وتعلّى البواغي والطواغي وحزبها  
 كأن سناها في عياهبه بدر وحالت بصنع الله أحواله الكدر  
 تضيء كما أضوى بديجوره فجر فحق لنا منها البشائر والبشر  
 ففي قلبه سُكر وما مسه خمر ترنج منها العطف واستحكم السكر  
 يرجعن ألعانا يهش لها الصخر وفرعُ المني غرضٌ وأوراقه خضر  
 ألا فليحل الحمد وليعظم الشكر وفاجأه عند التوى ذلك الظهر  
 أنى الفتح والإقبال والعز والنصر وشلت يمين الشرك وانقصم الظهر  
 وزال ظلام الشرك وانحق النكر لمولاه شكراً بعدما انكشف الأمر  
 وقد أدبروا يقفوههم الذل والصغر إلينا فما أغناهم الكيد والجرّ  
 علينا كأن الأرض مما بنا شبر وبادروا وما سادوا وعقباهم الخسر  
 يقودهم الإضلال والبغي والفجر ويخفوا قومًا لا يرّام له ستر  
 ويطمس أعلام الحنيفية الكفر على عصبه في الدين شرعهم الذكر

وينسخ آيات الكتاب وحكمه  
لقد فل غضب الشك بل ثل عرشه  
وحالت مغانبه وأثوت ربوعه  
كأن لم تكن فيه الملاهي مرثة  
نعم الشك أحزاب الضلالة بعدما  
وقامت نواعي الرفض يندبن أهله  
رمى الله أحزاب الضلال كما رمى  
أديرت عليهم في الشباك رحي الردى  
وحاق بهم ما أضمرنا من طوية  
فمنهم مئات بالصبيحية اغتدت  
مربع فيها للطيور مراتع  
إذا مرها المجتاز يلفي موائد  
برب طعيس لا طعيس تقشعت  
لقد حق وعد الله واعتز جنده  
تولى إله الخلق نصرة دينه  
أرانا بهذا البطش ذو العرش آية  
رأى جزعاً منا فأبدى انتقامه  
على أن مولانا أبان بصنعمه  
عيون القضا ليست نياما وسهمه  
وحسن الرجا للعبد أقوى وسيلة  
تمنى رجال أن ينالوا مناله  
فهم في انتظار النحب يرجون فوزهم  
لخون الغنا والعود والطليل والزمر  
وسل حسام الدين واندرس الشر  
وزالت مبانیه فساخاته صفر  
ولم يجتمع للهو في ساحة تمر  
تغشاهم الإذلال والعار والوزر  
بحرقة قلب فيه من فقدهم جمر  
ذوي الفيل إذ أعياء عن مكة الحصر  
ودارت كئوس للمنايا لهم خمر  
وخانهم المغوي وحانهم المكر  
تراوحها الأشبال والذيب والنمر  
وترقص فيها النسر والحر والصقر  
وليس بها إلا كماء العدا جزر  
سحائب رجز بالمنايا لها شر  
فمن كان ذا نذر فقد وجب النذر  
فأعلى منار الحق وانشرح الصدر  
وذكرى لنا في ضمنها يظهر البشر  
وذكرنا للوعد إذ جاءنا الصبر  
لنا أن جند الحق لم يدره الحجر  
مصيب فما يغني عن القدر احذر  
إلى قصده والعسر يتبعه السر  
وقد عاهدوا بالبيع إن سامهم سعر  
وقد سمحوا بالعمر إن حارب العمر

فمن مبلغ عني العداة رسالة  
أتيتم إلينا راثمين قطيعة  
ورمتم ذرا السمحا وجب سنامها  
وناويتم الإسلام والله دونه  
تقاسمتم الأحساء قبل منالها  
أمان من أردى العباد بمكره  
تعستم فهجر دونها حطة البلا  
ومن دونها يوم به يعرف الفنا  
بها الأسل كالآجام والأسد حوطها  
أنبيوا سراعا قبل أن يهتك الفطا  
أفيقوا فأنتم في دجى غمرة الردى  
ألم ينهكم عن مهيع الغي ما جرى  
ألم بأن أن تأووا إلى معقل الهدى  
تبين نهج الحق والرشد للورى  
وقامت على الدين القويم شواهد  
فآياته محفوظة عن معارض  
يشيعها التسديد حيث تيممت  
تشعشع من خمسين عامًا ضياؤه  
سقى قبر من أحباء شؤبوب رحمة  
فقد جاءنا يدعو إلى الدين بعدما  
فجاده الأخبار فيما أنى به  
ونوظر حتى ألزم الخصم عجزه

أنبيوا فما يأويكم السهل والوعر  
فحل بكم بأس وعاجلكم حذر  
وهدم دعامات عليها رسا قصر  
وأحزابه والسمر والبيض والبتز  
فللروم شطر والبوادي لهم شطر  
وما وعده إلا الأباطيل والغدر  
ودون حماها يُقطع الهام والنحر  
وتروى المواضي والمثقفة السمر  
مثال الرواسي والنجيع به بحر  
ويكشف عن وجه المخدرة الخدر  
وأبصاركم عمي وفي سمعكم وقر  
ففيه لذي الألباب عن غيهم زجر  
فقد جاءت الآيات واستتبع النذر  
فليس لمن ينحو سبيل الردى عذر  
يقصر عن تعداها الضبط والحصر  
وراياته لا يُستطاع لها كسر  
ويتبعها التأييد والنصر والقهر  
ولم تبق أرض ليس فيها له ذكر  
وعم سحاب العفو من ضمه القبر  
عفا رسمه والأرض من نوره قفر  
من الحق والبرهان يكشفه السبر  
وصار إليه الفلج والورد والصدر

فعودي بغيا واهتضاما ونصرة  
 وهما بما لم يدركوا من وقية  
 نفته العدا لما جفته أقارب  
 فجاهد حتى أطلع الله بדרه  
 فهم أنجم للمهتدين وصارم  
 لقد أحرزوا حُصَلَ الفخار وأبرزوا  
 فأضحت بهجر شرعة الحق غضة  
 بهدي إمام المسلمين ومهده  
 عن بهذا الفتح يا بن محمد  
 هنيئا لك الفتح الذي فتحت له الس  
 هنيئا لك الفتح الذي طأطأت له  
 فهذا هو الفتح الذي بضياته  
 وهذا هو الفتح الذي جل قدره  
 فله فتح طبق الأرض صيته  
 بك الدين يا عبد العزيز مؤيد  
 فراع جناب الحق في الخلق وارعهم  
 وأحسن إليهم واعف عنهم ولا تطع  
 يسارع في سخط الإله تقربا  
 ولا تصطفي للنصح إلا مجربا  
 فلا سد من حشر ونشر وموقف  
 وبالعدل والإحسان والعفو والتقا  
 أتابك مولاك الكرامة في الجزا

لملة آباء عليها مضى العمر  
 فما ناله مما أرادوا به ضُر  
 فأواه بل ساواه من خصه البر  
 بآل سعود حتى شُد له الأزر  
 شباه بهام المعتدين له طر  
 من الدين مطويا فلاح له نشر  
 وصوّح نبت الشوك وانقطع البذر  
 أضاءت نواحيها فأرجاؤها سفر  
 فقد تم للدين القويم به فخر  
 حوات والفردوس وافتخرت هجر  
 جباه الملوك الصيد واتضع الكبر  
 تهلل وجه الدهر وابتسم الثغر  
 فليس بمُحصِر فضله النظم والنثر  
 وهزت به البلدان وارتعدت مصر  
 يمزره بالبيض أبناؤك الغر  
 بعدل وإحسان لكي يعظم الأجر  
 بهم قول واشر جل مقصوده الثبر  
 إليك لكي يدن فينمو له الوفير  
 تقيا نقيا ليس في قلبه وحر  
 مهول به التقوى تكون هي الذعر  
 يال الرضا والملك يبقى له الخير  
 وجادك من هطال سحب الرضا قطر

سمود بهذا الفتح هنئت فليكن  
 وإسبال ذيل العدل والصفح والرضا  
 أساء الأعادي ظنهم فيك فاعتدوا  
 فظنوا سفاهاً أن حزمك رازم  
 وأنت وإن بعد إدلاجك السرى  
 وقد عرفوا منك الشهامة والدّها  
 فأنساهم الشيطان ما يعرفونه  
 وما جحدوا ما استيقنوا منك في اللقا  
 وما غرهم إلا تأنيك عنهمو  
 فبُرد الوغى ما لم يُجد نسجه الحِجَا  
 وأصل الوغى التدبير والرأي ساقها  
 فليبتك عن صدم الأعادي خديعة  
 ونا الله ما اخترت المقام على اللقا  
 وما أنت إلا مسعر الحرب إن خبت  
 بربك أركان الشريعة قد رست  
 لأن زادت الأحسا بنصرك بهجة  
 وإن لم تكن زاحفتهم بعد رجفهم  
 وقابلهم بأس الإله ورجزه  
 فولّوا سراعاً مدبرين وخلفهم  
 عصاة توحيد إذا اشتبك القنا  
 نحوص عباب النقع والموت ناقع  
 أدام لهم ربّ بك النصر والهنا  
 يقابله منك التجاوز والغفر  
 لجنان فإن العقو يسمو به الحر  
 وما علموا ما ينتج الرأي والفكر  
 وعزمك معقول اليمين به حصر  
 وحدك من بعد المضاء به دثر  
 ومن بأسك المشهور عندهم الخبر  
 ليقطع منهم حيث أغواهم الدبر  
 ولكنهم من شؤم أعمالهم غُرّوا  
 ولم يفهموا أن الأناة لها سر  
 ويحكمه التدبير قبل اللقاء طُمر  
 وأغصانها صبر وأثمارها نصر  
 ومكر فما يلفى عليك به سخر  
 لجُبن ولكن المراد بهم فقر  
 وخواض حاميتها إذا حمي الدسر  
 وقوم منها ما تخلله الصعر  
 فقد زانت الدنيا بوجهه والعصر  
 فقد زاحفت عنك المهابة والذعر  
 وصاح بهم صوت القضاء ألا فِرُّوا  
 ليوث شرى من طبعها الفتك والأسر  
 وضاق محال الخيل وانتفخ السحر  
 كأن حياض الموت عندهم نهر  
 كما للعدا منك النكاية والقسر

وأولاك مجداً يحسر الطرف دونه      ويقصر عن إدراكه البدو والحضر  
ولا زلت في الدنيا عزيز مؤيداً      لك النقض والإبرام والنهي والأمر  
ودونك من خرد القريض خريدة      يحلّ سناها أن يمائله الدرّ  
نحتك وخمر التيه يهصر عطفها      عسى أن يرى حسن القبول لها مهر  
وأزكى صلاة يبهر البدر حسنها      على خير مبعوث به رفع الإصر  
كذا الآل والأصحاب ما جادت الصبا      على الروض مطولاً فمطرها الزهر  
وفيها غزا ربيع بأهل الوادي، ومن يرى فجاج تلك الأرض من سائر  
البوادي، فسار حتى نزل في أرض بيشة، فأعد عند الجنية والشقيقة، وكنتا  
للمسمين هناك جنده وجيشه. فاستمر يغير على أهل تلك البلد والقرايا،  
وينالون منها عظم البلايا. ويصبحهم بالغارة كل ساعة وحين. فيسوا من  
مقاسات القتال بمستريحين. فأقاموا على تلك الأحوال مدة، يقاسون منه تضيق  
وشدة، فلم يحسن لهم تلك الأيام، في بلدانهم سكنى ولا مقام، ولا يهناون  
بطعام، ولا يجدون راحة منام، حتى أقبلوا على القسر منهم والإرغام، إلى  
منهج الاستسلام. فطلبوا الدخول فيه، ولا يجوز لأحد أن يبعد من أراد ذلك  
وينفيه. فدخل الإسلام كثير من أولئك الأنم، وعاهد على ذلك كثير من القرى،  
حتى جرى عليهم من الردة ما جرى.

وسبب ذلك أن غالب الشريف لما تحقق عنده ما جرى على أهل بيشة، تكدر  
حاله وتنغص عليه المعيشة، فدبر فكره وحبته، وحقق قصده ووسيلته. فأظهر  
جيشاً كثيراً وجم غفيراً، واستمد سائر الوادي، فكل بالإسراع أجاب ذلك  
المزدي، فرأس فيهم الشريف فهيد، فخرج بأعظم الكبد، وسار حتى نزل على  
الجنية. وكنت للإسلام سابقه، ونك القرى بعدها لاحقة. فدعاهم إلى النزول  
الأمّن، أو قطع تلك البواسق الحسان، فأجابه لذلك من غير توان. وظهروا



عليه من ذلك المكان، فأوقع بهم اخري والهوان، وقتل منهم كثيرًا من أهلها ممن ادعى الدين، وينسب للموحدين. وأسر أناس كثيرة ونهب لبلاد. وعابوا أقبح الفساد.

ثم بعد مضي ذلك وانقضائه، وصدور قدر الله وقضائه، على أولئك العباد، وما نالوا من الذل والإنكاد، سار إلى رنيه عاجلاً. وكان لنيل المأرب منها أملاً، فأناخ على النخيل والحلل. ورام أن يقطعها على مهل. وظن أهلها إليه لا يخرجون، وإذا رأوها يقطعها يزعمون. ويحنون عليها حنين الثكلى، وكفى بذلك تنكيلاً ونكلاً، ألا يدركوا منها أكلاً، فحين نزل قريباً منها خرجوا إليه سراغاً، فنحوه عنها وطال بينهم مجال القتال، وصبر على البأس أولئك الرجال، وطاعنوا دون الحلل والنخيل. وليس عندهم سوى الرجا تأميل، فأمدهم بالنصر والظفر، من علم حالهم وأعدن فرسانهم ورجالهم، وكتب على أعدائهم خذلانهم وذلالتهم، بعدما سول لهم الشيطان وأملى لهم، فقتلوا منهم مائة رجل، ثم انهزم فهيد ومن معه على عجل.

وفيهما غزا هادي بن قرملة مع كثير من قومه قحطان، وقليل من سائر العربان، فسار حتى انفق له ضياء الأمل، وتقشع عنه قتام النصب والكسل، فأبصرت البقوم عيونه فحققت ظنونه. فعند ذلك كسا تلك الأقوام، من تقع الغارة قتام، ودجا عليهم من سنايك الجياد ظلام، فاشتد الزحام، وحانت المضجع في الرجام. فاجلدوا لحظة وكل أخذ من النجدة حظه، ثم بعد ذلك انهزم الأعداء. وحامت على رؤوسهم عقبات الردى. فولّوا على أعقابهم مدبرين، وقبل المسلمون منهم نحو الستين، وأخذوا منهم كثيراً من الإبل، ورجعوا بحسن الأمل.

ثم بعد مصي شهرين، عاد عنهم طئف الين، فأغار عليهم هادي بن قرملة.

فأدرك منهم فوق ما أمله. وبلا حمت بعد الغارة فرسان البوادي، فكان طلع الإقبال لهادي. فصدقت أبطاله ونصحت رجاله. فحسنت عند ذلك حاله، ونهزم أعداؤه. ونجح رجاؤه، فأخذ من الغنم ألفوف. وجرع أربعين رجلاً المحتوف، وأدرك بعض الآبال فنعم له البال.

وفيها رأس سليمان باش بغداد حمود بن ثامر، بعدما قتل الله ثويني ونهزمت تلك الجيوش والعساكر، وكتب الله عليهم التمزيق والشتات، ففرقوا أيادي سبأ في الفلاة. ولم يكن لهم بعد ظهور البراهين والآيات، صبر ولا اجتماع ولا التفات. وظن الباشا سليمان أن تلك الأحزاب والعربان، إذ رأس حموداً على البصرة والبلدان، تُقبل عليه وتجتمع لديه، ويكون لهم في التخريب أمر وشأن، فأرسل إليه النُجب والبريد، بذلك للرئيس والتأييد، مصحوباً بخُلعة فاخرة جميلة، وصِلات وافرة جزيلة، فترنح عطفه بخمرة الملك، فاستضاءت رحابه حين انتظم واسطة لذلك السلك، وأشرق نأديه بعد ذلك الحلك، ولم يدر أنه طوّق بأطواق من الشر والهلك، فلما أدرك الرئاسة واحتوى، وكرع في موارده حتى تضلع وارتوى، وم خطر على باله ما كمن في ضمنها وانطوى. وتسمن كهل السياسة وارتقى، واختار من أعوانها وانتقى، وتقلد أعباءها وتطوق، وتحلى بحلّاها وتحقق. أقبل إليه كل من تشئت وتفرق، والتأم عليه كل من تقطع وتمزق، وأسرع لديه كل من خف من المسلمين وأشفق، وكل من صد عن التوحيد والحق. ورام للدين وأهله مغالته، وأنه يدرك منهم مطالبه، وسعلم من تكون له العاقبة، وأنها كما نطق به الكتاب المبين، من غير شك لعبده المتقن. وحزبه المؤمنون وحنده الموحدين.

وفيها غزا من أهل الحسا غزو، وأميرهم أبا رجلين منع، فلم يكن لهم دون

الكويت اقتنع، ولا حنولة ولا دفاع، فصباحوا تلك البلد بعد حث وإسراع، فأغار ذلك الجيش على أطراف البلاد، بعدما جعلوا لهم كميناً لجلاد. فأخذوا غنماً كثيرة، وفزع أهل البلاد جموع غزيرة، وعده عظمة شهيرة، فوقع بينهم قتال من بعيد، والرمي يصيب فيهم ويحصد، وكل من العتتين لبس له على الثبات من محيد، حتى طبع ذلك الكمين المعدود، فانهزم أهل البلد وكان لهم إليها ورود، وما كان لهم دون ذلك صدود، فملك المسلمون أعقابهم، وكان كؤوس الردى شرابهم، وعجل الله تعالى لهم عذابهم، فقتل منهم نيفا وعشرين، وأخذ ما معهم من سلاح وولى الباقي منهم منهزمين.

وفي تلك الغزوة صدف منصور بن فضيل مع ركب معه من العمير<sup>(١)</sup>، وهو إذ ذاك للقطيف سائر، فقتل ومن معه، وجُرّع جِمامه فجرعه.

وفيها أيضاً وافق مناع أبا رجلين وغزو أهل الحسا ما جلب لهم السرور والإيناس، وهو ركبٌ معهم محمد بن ديماس، فقتل من معه، وخاضت البحر بمحمد بن ديماس فرسه مسرعة، فدعي عند ذلك بالأمان، لكونه لم يعرفه من المسلمين إنسان، فأقبل بعد ذلك سريعاً، ونال ذلاً شنيعاً، فقيّد وأسير بعدما ملّك وقهر، ثم بعد صدور القضية، أتى به مدع إمام المسلمين في الدرعية، فحاول على قتله حجة شرعية، وطريقاً يبري ذمته عند رب البرية، فكأنه، حرس الله تعالى من المكروه مهجته، وأدام توفيقه ونعمته وبهجته، تورّع في المسارعة إلى قتله، مع ما صدر من قبيح فعله، فقد كان وقافاً عند الحدود، وكان يدرؤها بالشبه كما للنص بذلك ورود، ولكنه ترك ابن ديماس يعاين همة الأحاس.

وفيها أغار مشاري بن عبد الله آل حسين، على فريق من زُعب<sup>(٢)</sup> فقرب الله

(١) من بني خند.

(٢) إحدى فئتين من بني شلب.

وعلى له الهلاك والحين، وكن غدرًا من الكويت مع أهل عشرين مطية، وبعض من الخيل. فلم يدرك إلا الرزية. ومفاحاة الحمام والمنبة. معاقبة لأفعاله الردية. وشؤم صنعه في السرية، وفوته عن التوحيد، ومولاته لكل شيطان مريد، وبذل جده في مصدمة الحق والهدى، ومساعدته لأهل الضلال والردى. وقيامه مع من تعدى وجار، من سائر طوائف الفساق والنجار، وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون. ﴿إِنَّمَا يُؤَجِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾.

وفيهما أرسل كثير ممن حول مكة من البدو إلى عبد العزيز يطلبون منه الإسلام والأمان، وجعلوا بينهم واسطة حمود بن ربيعان، فأجابهم إلى ذلك الإمام، وشرط عليهم النكال. فالتزمه ذلك الأنام. وجعل على كل بيت شيئًا من الدراهم، وعلى كل سلف ركابًا وسلاحًا وخيلًا جياذًا كرائم، لكونهم قد نزعوا حلية الدين، ونزعوا إلى طريق المبطلين، وكان التنكيل بالمال، مما لا خفاء في جوازه ولا إشكال، والمعاقبة بذلك جائزة واردة، والنصوص عليه شاهدة، ولا عبرة بمن كنت بصيرته جامدة، وفكرته لذلك جاحدة، وكانت هذه سنة عبد العزيز، حرسه الله تعالى، فيمن عدل عن الحق والمنهج، وركب طريق الزيغ والاعوجاج، فراض على ذلك الاشتراط، من كان له بالمسلمين ارتباط. وفي الإسلام رغبة واغترباط، وهم كثير من أولئك العربان، وأعظمهم كثرة فرقان العتبان.

وسم يبق ممن يسم مواشي الأنال في تلك الشعوب والبال. سوى النجوم من أهل الصلال. فشق ذلك على غالب. وكان عليه من أعظم المصائب. وهمه ذلك وأقلقه، وأزعجه ما جرى وأرهقه، وأحزنه ما صدر من حالهم. ودخولهم في الإسلام بعد ضلالهم. وبحق أن ذلك عليه داء عضال، وأنهم يحرون عليه الهوان والإذلال. فلم يلف بعد معودة الفكر والبال. طريقًا إلى التوصل في

بقائهم عنده على تلك الحال، إلا الخروج والاستعداد للصل، ومصادمة الأعراب و ليوادي، ومكبرنهم بالجنوش والعوادي، فعند ذلك شمر في الأمر وسعى، ونادى على الإغاثة ودعا، وأقبل إليه أحزابه شبيعا، وخرجوا معه تنعا، فجدّ في وجهته مسرعا، فوافى عيوناً لابن قرملة، فأخذهم وتهددهم حتى دلوه على ما أرادته وأمله، فلم يشعر هادي إلا بغلب عليه عادي، وتطاعنت الفرسان ولم يحضر من فرسان قحطان سوى ثلاثة عشر فارساً من الشجعان، فحمي بينهم سعيير الوغى، ولم يكن دون الجلال مبتغى، فقتل من قوم الشريف خمسة أفراس، وأقام ابن قرملة معهم في غية الجلال والمراس، وهزم أكثر الإبل، فلم يدرك منها غالب غاية الأمر، وأخذ منها بعض في ذلك المجال، وأخذ كثيراً من بعير الظهر ذي الأثقال، ثم حصل بينهم المفارقة والانفصال.

ثم بعد ذلك عمد هادي ومن معه إلى رنية. وأقام غالب على ماء القنصلية، ثم سار إلى رنية من غير رنية، فنزل عليها ليالي وأيام، وحاصر من فيها من الأنم، ممن دان للإسلام، وحوار نزول أهلها بلبين الكلام، ورغبهم في نبذ العهد والذمام، فلم يفز منهم بسؤل ولا مرام، فأخذ يقطع النخيل وزين له الشيطان أنه يفوز بتأميل، فعند ذلك أسرع أهل البلاد إليه، وصمموا في البيعة عليه، فالتقوا ذلك اليوم، وحمي القتال بين القوم، وقتل بينهم رجال، ثم وقع التفرق والانفصال، وأقام على تلك الحال أياماً وليال، ثم أورد الله تعالى ذله وهوانه، وخزيه وأعوانه. وذلك أنه في بعض تلك المواطن، وأهل البلاد يقاتلونه في بعض الأماكن، ودار الوطيس بينهم حامية. وعيون الجراح منهم دامية، عدا عليهم ابن قرملة مع أناس من جماعته، فوقع بينهم قتال، وقُتل كثير من أحزاب الشريف في ساعه، وكان جميع من قتل من قومه قبل ذلك اليوم وفي يومه مائة وريادة، فانصرف ولم نل منها مراده، ولم يرد تعالى إسناده، بل سلب منه مدده وإمداده.

ولما أتى الخبرُ عبد العزيز بما صدر من غالب الشريف، أرسل إلى حجيلان أن يسير مع أهل القصيم حتى يتم لابن فرملة المطالب. ويسلك معه ما أراد من المذاهب، ويعينه على ذلك العدو المحارب. وكان سعود، بلغه الله المقصود، إذ ذاك مقيمًا بالأجردي<sup>(١)</sup>، يريد أن يغزو أهل الشمال ويعتدي، فأتاه الخبر اليقين، بما صار من المعتدين، وحزب غالب المسرفين. فأرسل ربيع أمير الوادي مع جمع من المسلمين، ممن كانوا معه مجتمعين، وللغزو في تلك الأيام مريدين، فأمرهم أن يعجلوا المسير، ويساعدوا ابن قرملة حتى يحصل بهم له الفرج والتيسير، ويشمروا ساعد الهمة والعزيمة أتم التشمير، فساروا منه وهو في ذلك المكان، فصار ولله الحمد له شأن ولهم شأن، وحصل لكل منهم بهجة وسرور، وانتصار واستعلاء وتمكين من الكفدر. فقصد سعود السها وجعله أممه، وقصد ربيع ومن معه أهل بهامة، فنال كل من المسلمين مرامه، وأدرك العز والكرامة.

وبعد ما صار من غالب تلك الأفعال، جر من الفخر الأذيال، فشمّر إلى بيشة سائرًا، وعلى من بها من المسلمين غائرًا، ولمن له فيها من الجماعة معينًا وناصرًا، فرجعه الله تعالى ذليلاً خاسرًا، مهانًا مشتتًا ولله الحمد عائرًا. وذلك أنه لما أتى إليها وأناخ بجمعه عليها، هرب من فيها من المسلمين، ولم يكونوا في تلك البلدان مقبمين، وقد هاجر قبل قدومه إليهم ووفوده عيبتهم ناس من أهل بيشة كثيرة، كان لهم في الدين بعض بصيرة. ففرقوا في ربه والودي. وكان الله تعالى لهم مرشدًا وهادي. وحملهم على لهجرة والهرب. والفرار عن المسكن الذي هو للنفوس مطلب، سبب هو أعظم السبب، وذلك أن غالب تلك

(١) وادي الأحردى، يقع شرقي القصيم

أبلاذ، يرغبون في منهج الغي والفساد، وأنهم أنفقوا من أهل الدين، وكانوا لعداوتهم مضميرين، وسب وظهر وتحقق واشتهر، أنهم أرسوا إلى غلب الشريف، يأتي إليهم بلا توقف ولا وتوفيف، ويقتل من دان بالنوحيد حتى يرجف غيرهم ويخيف، فأتاهم سريعاً لذلك الحال، فأقام عندهم أياماً وليال، يرتب ما أراد من الأحوال، ثم لما عزم على المسير والارتحال، أخذ أناساً معه في الاعتقل، وقادهم معه في السلاسل والأغلال، فشمروا ساعد المسير، لم يريده من الحزم والعزم والتدبير، فنال أعظم الهلاك والإذلال والتدمير، فلحمد لله العلي الكبير.

وذلك أنه أسرع في تسياره، يريد قضاء بعض أوطاره، حتى يرجع متبجحاً عند رعيته وأنصاره، ويدخل متبخترًا بحضرة بلده وأهل داره، فنزل على قرية يقال لها الخرمة<sup>(١)</sup>، وفيها سكن قليل من الناس مسلمة، فلم علموا بقدومه لتلك القرية، هربوا وندوا، وطلبوا النجاة لأنفسهم وشدوا، فتعلقوا، لبدوان، وساروا مع العربان، فساعة أنخ بهم ركابه، ومدّ بها أطنايه، وقر له به القرار. أشعر في تلك القرية النار، وعجل الله لها بالدمار، وكانت عقبه في يومه ذلك البوار، وأظهر الملك القهر، والمنتقم الجبار، فيه للمسلمين آية لانتصار، وعما من أعلام الأقدار، وبرهاناً على الوحدانية لا يعرف له مقدار، ولا يحاط بكنهه في الفكر والاعتبار، يحل عن القيام بحق حمده وشكره، ونقصر الألسنة عن الثناء عليه وذكره، فمواهبه سبحانه لأهل الدين، وفواضله على كافة الحق أجمعين، وبصرته لعباده المؤمنين، وإعراره لأولائه المملحين، ودفعه عنهم

(١) تقع شمال شرقي مدينة الطائف، وتبعد عنها حوالي ٢٣٠ كم، وهي تابعة لإمارة منطقة مكة.

صروف الحادثات والنوب. وتفريجه عنهم الشدائد والكروب. أكثر من أن يعدّ ويحصر. وأشهر من أن يُحصى ويذكر. ولكن أين الألباب الذي تعي ذلك وتفهم، وتخلص التوحيد وتُسَلِّم وتُسَلِّم، وتحزن على ما جرى منها وتندم. وتذكر ذلك الضلال الأعظم، والغي الأقيح الأقدم، في ذلك الزمان الذي مضى وتقدم، ففسأله أن يوزع شكر نعمائه، ويوالي علينا فيض بره وآلائه، وأن يصرف عنا مضلات فتنه وابتلائه. ويحقق لنا سؤلنا ومأمولنا في حسن رجائه، وتحقيق الحديث والخبر، عما جرى على غالب وجنده ممن شاهد الأمر وحضر، أنه لم نزل بذلك المكان والمحل، وفعل بالإحراق له ما فعل، لم يكمل له أنس، ولم تغب له فيه شمس. حتى دهاه فيها ما أزهق الروح والنفس، وذلك أنه لما عمد إلى ذلك المكان، وسر لقصد ذلك الشن. أتى خبره ربيع أمير الوادي وابن قرملة أمير قحطان، فاستعانوا الرحيم الرحمن، في الغزو عليه بأثره حتى ينلوا بذلك الثواب من الله والإحسان، ويوقعوا به بعض الذل والهوان. ولم يقع في رُوعِهِم أنهم لجنده منازلون. ولجيشه مصابرون ومقاتلون، ولكن كما قال تعالى: ﴿وَدَّ حُنْدًا لَهُمُ الْغَيُوثُ﴾، فجذوا السير بأثره يطلبون. ولبعض النصرة عليه من مولاهم مؤملون، فلم يفاجئه إلا وفرسانهم عليه مشرفون، وذكر له أن هؤلاء ربيع وهادي وقومهم لهم متبعون، فركض برجله الأرض وفحص وقال: الآن أفترس الضرغم وأفتنص. ولكن لا تروم السنائير الأشبال، ولا يروم السرحان<sup>(١)</sup> على الريال<sup>(٢)</sup>، ولا تحوم بحدث الطيور على العقان والسور. أيحكي طنين الدبب زئير ليث الغب؟ ولئن حك صولة الأسود، في الانتفاض الهرة والفروء، فلا تنظره في البأس والوروء.

(١) الدب.

(٢) الرجل الذي يعرف وحده.



والإقدام والنهوض:

ومن رام في الهيجا لقاء جحافلي وخوض لظى بأسي يوم التنازل  
فقد ضل في قفر السفاهة والردى وألقي في قعر الظنون السوافل  
وأضحى ينادي بالحماقة جهرة ويرفل في ثوب من الجهل نافل  
أتسمو إلى مجدي وذروة مفخري جميع الورى أو يدركون منازل  
مجاز تمنى دون ذاك مناله فأين الثريا من يد المتناول  
أمان كلمع الآل<sup>(١)</sup> لم يرو صاديا ومحسبه الظمان عذب المناهل  
لقد عدمتني الكمت<sup>(٢)</sup> يوم مجاها ولا وسطت بي الجمع يوم التناضل  
ولا أروت الأسل الظما سحب راحتي .....

آخر ما وُجد من التاريخ، والحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا  
نبي بعده، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.



(١) السراب.

(٢) الكمت من الحل من السود والحُمرة

## نبذة موجزة عن نُسخ تاريخ ابن غنام

كتبها: الأخ الشيخ عبدالله بن بسام البسيمي - وفقه الله

١- نسخة بخط محمد بن عثمان بن عيدان، سنة ١٣١٣هـ، في مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض، ضمن مخطوطات فوزان السابق. انظر: نشرة (أخبار المكتبة)، العدد ١٤.

٢- الجزء الأول، مصور بالفتوستات، عن نسخة بخط: مثل بن ناصر الحلبي، عن نسخة ابن عيدان المتقدمة، للكرملي. والجزء الثاني كذلك سنة ١٣٣٢ هـ، برقم (٧١٠١ ح)، في دار الكتب المصرية.

ونسخة ثانية بخط حسين فهمي خطاب، سنة ١٣٦٥هـ، برقم (٩٧٣٧ ح). انظر عن وصفها: (فهرس المخطوطات)، نشرة بالمخطوطات التي اقتنتها الدار من سنة ١٩٣٦-١٩٥٥م، دار الكتب المصرية، ط ١٣٨٢هـ، تصنيف أمين سيد، ج ٢، ص ١٥٣.

٣- قطعة منه تقع في ٢٧ ورقة، عني فلم في الجامعة الإسلامية، مصور من جامعة الرياض. انظر: (فهرس كتب التاريخ والرحلات والجغرافيا والبيدات في المصغرات لفلمية بالجامعة الإسلامية)، ط ١٤١٥هـ، ص ٧١.

٤- توجد في دارة الملك عبدالعزيز بالرياض عدة نسخ أصدة من تاريخ ابن غنام، منها نسخة بخط الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله، سنة ١٣٠٤هـ، نشرت الدارة نماذج منها بخطه في كتاب (مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة) للدكتور فهد السماري، ط ١٤١٧هـ. انظر: الصفحات: ٢٢، ٢٣، ٢٠٦، ٢٠٧.

- ٥- نسخة في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، الجزء الأول برقم (١٤٦٣/١)، والثاني برقم (١٤٦٣/٢). انظر: (فهرس مخطوطات جامعة أم القرى)، ج ٥، ص ٢٧٨ - ٢٧٩، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- ٦- وفي جامعة أم القرى نسخة برقم (١٧٥٩)، جاء وصفها في (فهرس مخطوطات جامعة أم القرى)، ج ٤، ص ٢٥٩، ط ١، ١٤١٤هـ.
- ٧- وتوجد نسخ أخرى من تاريخ ابن غنام. منها نسخة في دار الكتب المصرية، برقم (١١٠٣٣ح)، غير النسختين السابقتين. ونسخة في مكتبة المتحف البريطاني ببندون.
- انظر عن ذلك: (تاريخ الكويت): لأحمد مصطفى أبو حكمة، ج ١، ص ٢٢. و(دراسة في أهم مصادر تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعصر)؛ لعبدالفتاح أبو علي، ص ٣٨٣، دار المريخ، الرياض، ١٤٢٢هـ.

١٤٠٥/١١/٢٤  
 تاريخ  
 ابن غنام  
 ١٤٠٥/١١/٢٤  
 تاريخ  
 ابن غنام  
 ١٤٠٥/١١/٢٤  
 تاريخ  
 ابن غنام

فهرس الأعلام والقباثل

٧٩٢	آل حبش
٨٨١	آل سحبان
٨٩٣	آل شري
٧٨٩	آل ضويحي
٨١٩	آل ماضي
٢٥	آل مشرف
٩٣١	آل الهندي ...
٢٥	آل وهبة
١٠٠٣	الأبني
٥٣	إبراهيم بن أحمد بن يوسف ..
٩٩	إبراهيم باشا ..
٦٨٨	إبراهيم الحر
٥٠٤ ، ٤٩٧	إبراهيم الحربي
٩١٢	إبراهيم بن حسن بن عيدان
٦٨٧	إبراهيم بن زيد
٦٨٩	إبراهيم بن سلطان
٧٦٣ ، ٧٣٥ ، ٦٨٧ ، ٦٨٠	إبراهيم بن سليمان

- إبراهيم بن عفيصان ..... ٩٣٩ ، ٩٣٤ ، ٩٢٦ ، ٩٢٣ ، ٩٠٦ .....
- إبراهيم بن عسى ..... ٥٤ ، ٢٦ ..
- إبراهيم بن عام ..... ٦٨
- إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن ..... ٦٨٩
- إبراهيم المنقور ..... ٧٤٥ .....
- إبراهيم النخعي ..... ٧٢٦ .....
- إبراهيم بن نفيسة ..... ٧٣٨ .....
- ابن إسحاق ..... ١٩١ .....
- أبو إسحاق لجينبيثي .. ٢٨٨ .....
- ابن إسماعيل ..... ٧١٧ ، ٥٠٠ ، ٤٦٦ ، ٤٣١ ، ٤٢٤ ، ٣٤٠ ، ٣٣٦ ، ٣٢٥ .....
- أبو بكر الصديق ..... ٥٠٦ ، ٤٣٥ ، ٣٢٧ ، ٢٤٠ ، ٩٠ ، ٨٢ .....
- أبو بكر الطرطوشي ..... ٣٥٥ ، ٢٨٨ ، ٢٨٥ .....
- أبو ثور ..... ٢٥٦ .....
- أبو حديدة .. ٤٣٨ ، ٤٣٣ .....
- أبو لحسن الشاذلي ..... ٣٠١ .....
- أبو الحسن القدوري ..... ٢٩١ .....
- أبو العائية .. ٢٥١ .....
- أبو عبد الله بن حُوَيْرِ مَنَاد البصري .. ٢٣٠ .....
- أبو عبد الله محمد بن أبي العباس المؤدب ..... ٢٨٨ .....
- أبو عبد الله محمد بن النعمان المفيد ..... ٧١٥ ، ٣٠٦ ، ٢٩٥ .....
- أبو عبي الحناني .... ٣٢٣ .....
- أبو عمر يوسف بن عبد المر ..... ٢٥٩ ، ٢٥٥ ، ٢٣٠ ، ٢٢٩ ، ١٩٧

١٩	أبو عسدر (شيخ بن شنة)
٧٢٦	أبو غلابة
٧٥٨	أبو المجير
٩٢٩	أبو مجبور
٧٠٢	أبو معشر
٣٢٣	أبو هاشم
٧١٣ ، ٣٤٢ ، ٢٨٩	أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي
٢٩١ ، ٢٣٢	أبو يوسف
٢٩٩	أبي بن كعب
٤٢٣	أحمد بن إبراهيم
٢٠٦	أحمد بن أبي عاصم
٧١٦ ، ٤٥٥ ، ٣٥٥ ، ٣٥٠ ، ١٨٢	أحمد البدوي
٨٢٥	أحمد التويعري
٩٢٢ ، ٩١٢	أحمد بن حيل
١٠٠٤	أحمد بن حمدان الأذري
٣٢ ، ٢٨	أحمد بن رزق
٨٣٥	أحمد بن رشيد
٧٤٥ ، ٤٥٧ ، ٤٢٠ ، ٢١٦	أحمد بن سويلم
٤٣٢ ، ٤٣١	أحمد بن عبد الكرم
٦٧٧	أحمد بن علي بن ناصر
٦٨	أحمد بن عام
٧٩٣ ، ٥٢٣	أحمد بن منع

- أحمد بن محمد بن دختل ..... ٧٣٨ ...
- أحمد بن محمد بن سويلم ..... ٤٢٠ ...
- أحمد بن نجان ..... ٨٨٥ ...
- ابن أحمد بن نوح ..... ٣٩٢ ...
- أحمد بن هديب ..... ٩١٣ ...
- أحمد بن يحيى ..... ٤٤١ ، ٤٣١ ...
- إدريس ..... ٣٧٥ ...
- الأزرقى .. ..... ١٩ ...
- أسمة بن زيد ..... ١٥٣ ، ٧٥ ...
- الأستاذ رشدي مدحس ..... ٤٠ ، ٢٤ ...
- الأستاذ صلاح آل الشيخ .. ..... ٧٠ ...
- الأستاذ عبدالرحمن آل الشيخ . ... ..... ٦ ...
- الأستاذ مسعود الندوي .. ..... ١١٣ ، ٧٠ ...
- أسد بن الفرات ..... ٧٢٢ ...
- أسد بن موسى .. ..... ٧٢٢ ...
- إسماعيل باشا ..... ٥٥ ، ٥١ ...
- إسماعيل النيمي . ..... ٢٦١ ...
- الأشعري ..... ٤٣٧ ...
- أشهب ..... ٣٨٢ ...
- إسماعيل بن يحيى المزنى ... ..... ٢٣١ ...

الإمام أبو حنيفة ..... ١٨٦ ، ٢٣٦ ، ٢٥٦ ، ٢٩١ ، ٤٩٠  
 الإمام أحمد بن حنبل ٥١ ، ٥١ ، ٩٠ ، ١١١ ، ٢٠٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٧ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤ ،  
 ٢٥٦ ، ٢٩٣ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٦٩ ، ٣٨٥ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٤٦ ،  
 ٤٧١ ، ٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٤٧٩ ، ٥٠٢

الإمام البكري ..... ٩٨٠ ..  
 الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد ..... ٢٢  
 الإمام الشافعي ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ،  
 ٢٥٦ ، ٢٥٩

الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود .. ٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٧ ،  
 ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ١١٠ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٨ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ،  
 ٧٣٦ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٥٠ ،  
 ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٤ ،  
 ٧٦٦ ، ٧٦٨ ، ٧٧٣ ، ٧٧٥ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ،  
 ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ،  
 ٨٠١ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٨ ،  
 ٨٢٠ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٣٦ ، ٨٤٦ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥٥ ،  
 ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٦٠ ، ٨٦٣ ، ٨٦٥ ، ٨٦٩ ، ٨٧٣ ، ٨٧٧ ، ٨٨٦ ، ٨٩٢ ، ٩٣٠ ،  
 ٩٣٢ ، ٩٥٧ ، ٩٦٢ ، ٩٦٥ ، ٩٦٧

الإمام مالك ..... ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٢٥٤ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٣١٢  
 الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب ٥ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٦ ، ٢٣ ، ٢٥ ،  
 ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ،  
 ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٩ ،  
 ٧٠ ، ٧١ ، ٧٩ ، ٨٦ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٠ ،



١٠١، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤،  
 ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥،  
 ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧،  
 ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٣، ١٦٧، ٢٠٨،  
 ٢١٥، ٢٢٧، ٢٤٦، ٣١٠، ٣٤٣، ٣٤٧، ٣٦٢، ٤٠٨، ٤١١، ٤١٢، ٤١٥،  
 ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٣٠، ٤٣٢، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٤٥،  
 ٤٥٦، ٥١٣، ٥٢٣، ٦٦٥، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٥،  
 ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٦، ٧٤٠، ٧٤٧، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١،  
 ٧٥٢، ٧٥٤، ٧٦٤، ٧٧٨، ٧٨٠، ٧٨٩، ٧٩٨، ٨٠٤، ٨١٠، ٨١٢، ٨١٣،  
 ٨١٨، ٨٥٥، ٨٥٧، ٨٦٠، ٨٧٣، ٨٧٥، ٨٨٦، ٩٠٠، ٩٠١

الأمير سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود ٨، ٢٢، ٢٩، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥٣،  
 ٦٠، ٦٣، ٦٦، ٧٨٣، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٩، ٧٩٣، ٨٠٣، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨،  
 ٨٠٩، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٦، ٨١٨، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠،  
 ٨٣٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٧،  
 ٨٥٩، ٨٦٤، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١،  
 ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٧، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٥، ٨٩٩، ٩٠٤، ٩٠٦،  
 ٩٠٨، ٩١١، ٩١٤، ٩١٥، ٩٢٠، ٩٢٣، ٩٢٥، ٩٢٧، ٩٤٦، ٩٥٩، ١٠٢٢

الأمير عثمان ..... ٢١٥

الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني .. ٧، ٣٦، ٣٧، ١١٣، ١٩٨، ٢٤١، ٧٢٠،  
 الأمير محمد بن سعود ٣٠، ٣٩، ٤٦، ٤٩، ٥٣، ٥٧، ٩٧، ٣٧١، ٦٧١، ٦٧٢،  
 ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٥، ٦٨٧، ٦٨٩،  
 ٦٩٣، ٦٩٤، ٧٣٥، ٧٤٠، ٧٤٢، ٧٤٧، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٤،  
 ٧٦١، ٧٦٤، ٧٧٨، ٧٧٩

الأوزاعي	١٠٦ ، ٢٣١ ، ٢٦٢ ، ٧٢٤
البحتري	٢٣٠
البخاري	٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٤٧٧ ، ٥٠٦
بدن بن زيد	٨٥٣
البراعصة	٨٩٦
برك بن حميدان	٧٩٧
براك بن زيد	٨٤٩ ، ٨٥١ ، ٨٥٢
براك بن عبد المحسن	٣٠ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢٢ ، ٩٣٢ ، ٩٦٢
البرعي	١٨٣
بشر بن بلاع	٧٤٧
ابن بطوطة	٢١
بطي ، المطيري	٨٢٩
بطين بن عريعر	٨٠٦
البغوي	٢٦١
بن البكري	٤٢٨ ، ٤٢٩
البلدحي	٢٩١
ست الأمير	١٧٥
سو خالد	٧٥١
سو عبد القدح	٧٣ ، ٨٣ ، ١٥٠ ، ٢٧٥
سو هاجر	٨٨٥
لوي	٢٩٩
السيهقي	٢٥٥ ، ٢٦١

- شمسان ٧٣، ١٤١، ١٥٠، ١٧٥، ٢٧٥، ٣٧٥، ٤١٦، ٤٥٠، ٥٢١، ٥٣٣، ٦٧٦
- تركي بن دواس ..... ٦٧٧، ٧٤٨
- تركي بن زيد ..... ٨٥٤
- التهامي ..... ٢٢٤
- ثيان أبو الخيل ..... ٨٣٦
- ثيان بن زويد ..... ٨٥١
- ثيان بن سعود ..... ٢١٦، ٤٢٠، ٤٥٥، ٤٥٦، ٦٧١، ٧٩٣
- ثيان بن مبيريك ..... ٧٤٩
- ثويني بن عبد لله ..... ٨، ٣٠، ٤٣، ٥٠، ٦٠، ٦٣، ٨٥٦، ٨٦٠، ٨٦٢، ٨٦٣،  
٨٦٤، ٨٧٩، ٩٤٧، ٩٥٦، ١٠١٧
- الجبري ..... ٧٤٨
- ابن جبير ..... ٢١
- جدعان بن قبة ..... ٧٦٠
- جديع بن هزال ..... ٨٠٩، ٨٣١
- ابن جرير ..... ٢٥٥، ٧٠١
- الجعد بن درهم ..... ٨١، ٤٣٥، ٧٢٠
- جنيدل ..... ٦٨٨
- حهم بن صفوان ..... ٨١
- ابن لحوزى ..... ٨١، ١٣٠، ٧٢٠
- حويسر الحسبي ..... ٨١٩، ٨٢١
- حطب بن أبي بلنعة ..... ١٤٤
- الحسن المصري ..... ٢٠٦، ٥٧٥، ٧٩٨

٩١٢	الحامى
٣٨٢	ابن حبيب
٧١٧ ، ٢٥٤ ، ٢٤٨	ابن حجر الهيثمى
٨١٤ ، ٨١٣	حسن البجادى
١٨٨	الحسن البصرى
٧٨٧	حسن الجعفرى
٦٧٩	حسن الشميرى
٩٦٢ ، ٩٦١ ، ٨٩٢ ، ٨٤٦ ، ٨٤٥ ، ٨٢٥	حسن بن مشرى
٧٦٨	الحسن بن هبة الله
٩١٣	حسين أبو سبيت
٨٩٠	حسين الدويش
٨٢٨	حسين بن سعيد
٧٣٨	حسين بن عثمان
٢٩٩ ، ١٨٨	الحسين بن على
٨٩٦	حصان إبليس
٧١٦	الحصيرى
٧٣٨	حمد أبو الحويل
٦٧١	حمد بن حسين
٦٨٧	حمد بن راشد
٧٨٢	حمد بن راشد بن إبراهيم بن سيمان
٧٦٠	حمد بن سليمان الفاصى
٧٥٨	حمد بن سود

٨١٩	حمد بن عبد الله
٦٩٠	حمد بن عثمان الهرازي
٨١٣	حمد العربي
٧٤٥	حمد بن غنام
٦٧٩	حمد بن محمد بن منيس
٧٣٨	حمد المخاضيب
٧٤٣	حمد المَعْنِي
٧٤٩	حمد بن ناصر بن عدوان
٩٧١، ٩٦٨، ٢٢٧، ٥٤، ٥٠، ٤٣، ٤٢، ٣٢، ٢٣، ١٣، ٨	حمد بن ناصر بن معمر
٧٣٨	حمد بن هلال
٦٨	حمزة الحسن
٩٤٠	لحمي
١٠٣١	حمود بن ثمر
٦٧٩	حمود بن حسين بن داود
٧٤٨	حمود بن مجد
٨٨٧	الحميداني
١٨٠	حوى
٣١٨	حميدان بن تركي
٧٤٩	حميد بن قسم
٣٦٨	الحميدي
٨٧٠	الحبابجة
٦٩٣	اس حوشان

- خاند بن الوليد ..... ٥٧٩ ، ١٥٣ ..
- ابن خالد ..... ٧١٧ ..
- حبیب بن عبد الله بن الربیر ..... ٥٠٥
- خديجة أم المؤمنین ..... ١٧٨ ..
- الخرقي ..... ٣٦٩ ..
- خزام بن عبيد ..... ٧٥٨ ..
- الخطبي ..... ٩٩٦ ، ٢٥٥ ..
- الخططبة ..... ٨٦٨ ..
- الخضر ..... ٣٥٣ ..
- خضير الصمعر ..... ٦٧٦ ..
- خلف الفغم ..... ٨٤٧ ..
- الدارقطني ..... ٢٦١ ..
- دخيل الله بن جاسر ..... ٨٤٧ ..
- درع الصمعر ..... ٦٧٦ ..
- الدكتور بكري شيخ أمين ..... ٥٩ ..
- الدكتور صالح الحسن ..... ١١٣ ، ١٠٧ ..
- الدكتور طه حسين ... ١١١ ..
- الدكتور عبدالعزيز آل عبداللطيف ..... ٨٦ ، ٦٩ ..
- الدكتور عبدالعزيز الخويطر ..... ٥١ ..
- الدكتور عبدالله بن صالح العثيمين ..... ٦٤ ، ٢٥ ، ١٠ ..
- الدكتور محمد بن سعد لشويعر ..... ٤٥ ، ١٠ ..
- الدكتور محمد الشمخ ..... ٥٨ ..

- الدكتور ناصر الدين الأسد .. ٧ ..  
 دهام بن دوس ٧ ، ٩٧ ، ٣٤٠ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٩ ، ٦٨١ ، ٦٨٣ ، ٦٩٤ ، ٧٣٧ ،  
 ٧٣٩ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٥٨ ، ٧٦١ ، ٧٦٤ ، ٧٦٩ ، ٧٧٥ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ،  
 ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٧ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٨  
 دهمش بن سحيم ... ٧٦١  
 دوخي الصيخي ..... ٧٨٣  
 دوخي بن مروان ..... ٧٨٧  
 دويحس بن عريعر ..... ٩٢١  
 ابن داعج ..... ٨١٣  
 لذهبي .... ٤٤٦ ، ٢٦١ ، ٢٥٥ ، ٢٤٧  
 ذو الخلصة .. ٧٢١  
 الرازي ..... ٧٠٤ ، ٧٠٢ ، ٤٣٨  
 راشد التخيفي ..... ٧٣٨  
 راشد الدريبي ..... ٨١٠ ، ٨٠٩  
 رشد بن عربان .. ٤١٠  
 راشد بن غانم ... ٧٤٩  
 راشد بن مطيع ..... ٨٠٣  
 راشد بن نفيسة ..... ٧٣٨  
 اس ربيع ..... ٧٨٣  
 ربيع بن زيد ..... ٩٦٥ ، ٨٧٠ ، ٨٦٨ ، ٨٦٧ ، ٨٥٣  
 ربيع (قاعد) ..... ٨٨٥  
 ابن ربيعه ..... ٥٠٠ ، ٤٢٤ ، ٣٨٢

٤٤٦ ، ٤٢٧ ، ٢٥٥ ، ٢٤٨ ، ٢٣٦....	ابن رحب
١٠٠٣	ابن رشد
٧٨٥	ابن رشيدان
٦٨٩	رشيد العيزار
٧٤٤	رطيان
٤٣٣	ابن رفيع
٧٩١	ابن رومي
٣٨٣	الرويني
٦٧٣	زامل بن فارس
١٩	ابن زباله
٣٢٨ ، ٣٢٠ ، ١٨٨	الزبير
٥٧٧	الزجاج
٣٨٣	الزركشي
٥٦	الزركلي
٦٧٦	زهمول الفضلي
٤٥٠ ، ٣٤٤ ، ١٧٣	زيد بن الخطب
٨٤٨ ، ٨٢٢ ، ٨١٦ ، ٨١٥ ، ٨١١ ، ٨٠١ ، ٧٧٩ ، ٧٧٠ ، ٣٠	زيد بن زامل
٧٨٥	ريد بن سعيد
٧٨١	ريد بن سليمان
٩٢٠ ، ٩١٨ ، ٩١٥ ، ٨٨٥ ، ٨٨٣	ريد بن عريعر
٦٧٣	ريد بن موسى أبو زرعة
٨٥٣	ابن زيد الهراي



٩٣	زني دحلان
٧٧٥	سالم بن جمهور
٣٨٣	السكي
٢٩٥	ابن سبعين
٦٨٩	سيهان
١١٢	ستودارد
٣٨٢	سحنون
٦٧٩	سرحان البكاوي
٢٦١	ابن سريج
٩١٢	سعد آل ملح
٨٤٢	سعد بن عبد الله
٧٥٧	سعد القروي
٩٢٤	سعد بن قطنان
٧٥٨	سعد بن محمد بن فارس
٧٦٢	سعد المربع
٧٣٨	سعد بن نوح
٨٢٩	سعدون بن خالد
٧٩٢	سعدون بن دهم
٨٤٦ ، ٨٣٨ ، ٨٣٤ ، ٨٢٨ ، ٨٢٤ ، ٨٢٣	سعدون بن عرعر
٧٨٤	ابن سعدون
١٤٣	ابن سعدي
٧٤٠	سعود بن حمد

٢٩	سعود بن عبد العزيز
٣١	سعدون بن عريعر
٥٣	سعود بن محمد بن عبد العزيز بن محمد بن سعود
٧٣٨	سعيد بن عمران
٢٦٢ ، ٢٥٧ ، ٢٣١ ، ٢٠٧	سفيان الثوري
٧٣٨	سلامة بن حسين
٤٠٥	سلامة بن مانع
٧٩٤	سلطان بن حفيطان
٧٣٨	سلطان بن عبد الله
٧٧٣	سلطان بن عدوان
٧٥٤	سلطان بن محيسن
٢٥٧	سلمان الفارسي
٦٧٠	سيمن آل محمد
٩٤٨	سيمن باش
٦٨٨	سليمان بن جابر
٦٨٢	سليمان بن حبيب
٨٣٩	سليمان الححيلي
٧٣٨	سليمان بن حسين
٧٣٨	سليمان بن حمد بن صالح
٦٩٥	سليمان بن خواصر
٦٧٩	سليمان الزير

سليمان بن سحيم ١٤٨ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٣١٦ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٧٤ ،  
٣٨٨ ، ٤٦١ ، ٥٢٠ ،

سليمان الشعبي ..... ٧٣٨

سليمان بن عبد الله بن عيسى ..... ٤١٥

سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ..... ٨١٢ ، ٧٣٦ ، ٦٦ ، ٥٤ ،

سليمان بن عفيصان ..... ٨٧٧ ، ٨٧٤ ، ٨٧٣ ، ٨٥٥ ، ٨٤٨ ،

سليمان بن محمد بن عريعر ..... ٩٧

سليمان بن موسى البهلي ..... ٦٨٨

سليمان بن نفيسة .. ..... ٧٣٨

سليمان الوشيقي ..... ٦٧١

السمهودي ..... ١٩

سنان بن شاهين ..... ٨٥٣

سنة سوقة .... ..... ٧٨٥

سويد بن زايد ... ..... ٧٤٣

سويد بن محمد ..... ٨٢١ ، ٨١٩

السياسب ..... ٩٢١

سيف آل سعدون ..... ٩٣٥

سيف بن ثقبه ..... ٧٥٣

سيف العنقي ..... ٤٢٥

ان سينا ..... ٧١٦

السيوطي ..... ٣٧٩

اس شامس العنري ..... ٩٧

- ابن شهى ..... ٨٢١
- شبيب الصندن ..... ٧٥٨
- الشريف أبوطالب بن حسن بن نمى ..... ٣٤٠ ، ١٧٧
- الشريف أحمد بن سعيد ..... ٨٨٧ ، ٧٩٠ ، ٧٨٩ ، ٩٣ ، ٩٢
- الشريف سرور ..... ١٠٠ ، ٩٣
- الشريف عبد العزيز ..... ٨٩٣ ، ٨٩١ ، ٨٩٠
- الشريف غالب بن مساعد ٤٣ ، ٦٨ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ١٠٠ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٩٢٧ ، ٩٢٩ ، ٩٦٧ ، ١٠١٦ ، ١٠٢٩
- الشريف فهد ..... ٩٢٧
- الشريف مساعد بن سعيد ..... ٩٣
- الشريف مسعود ..... ٩٩ ، ٩٣
- الشريف منصور ..... ٧٨٨
- الشريف ناصر بن يحيى ..... ٩٢٩
- شعلان بن دواس ..... ٧٦٠
- الشمس الزيلعي ..... ١٨٥
- شوكاني ..... ١١٠ ، ١٠٢
- شهيل بن سحيم ..... ٧٥٦
- الشيخ أبو حامد ..... ١٠٠٤
- شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ..... ٩٠ ، ٧٧ ، ٥٧ ، ٤٢ ، ١١١ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٩٣ ، ٢٣٦ ، ٢٩٠ ، ٣١٧ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٣٠ ، ٣٣٦ ، ٣٤٢ ، ٣٥١ ، ٣٧٨ ، ٣٨٧ ، ٣٩١ ، ٤٢٥ ، ٤٣١ ، ٤٤٤ ، ٤٤٦ ، ٤٥٧ ، ٤٧١ ، ٤٩٣ ، ٥١٢ ، ٦٩٧ ، ٧٠٠ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧٣٢ ، ٧٣٤

- الشيخ أحمد بن حجر آل بو طامي ..... ٨٤ ، ٦٩
- الشيخ أحمد بن محمد البسام الوهبي التميمي ..... ٥٣ ، ٢٥
- الشيخ أحمد المنقور ..... ٥٣ ، ٢٥
- الشيخ حسين بن غنام ١٠ ، ١٢ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١٢١
- الشيخ حمد الجاسر . ..... ٥٨ ، ٥١ ، ٤٨ ، ٤٢ ، ٤٠ ، ١٨ ، ١٠
- الشيخ سعد بن عتيق ... ..... ٨٨
- الشيخ سليمان بن سحمان ..... ١٠٥ ، ٨٩
- الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب .. ١٣ ، ١٥ ، ٢٣ ، ٨٦ ، ٢٠٩ ، ٦٠٩
- الشيخ صالح العبود ..... ٦٩
- الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ ..... ٨٩
- الشيخ صديق ..... ١٨٥
- الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب ..... ١١٠ ، ١٧ ، ١٦
- الشيخ عبدالرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ..... ٥٨ ، ٥١ ، ١٧
- الشيخ عبدالرحمن بن قاسم ..... ٥١
- الشيخ عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ ..... ٨٩
- الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن ناصر بن معمر ... ..... ١٣
- الشيخ عبدالعزيز بن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ..... ٧
- الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن ٧٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٦ ، ١٠٥ ، ١١٦ ، ١٤٣ ، ١٥٣
- الشيخ عبد الله بن إبراهيم النجدي ..... ٢٠٩

- الشيخ عبدالله بن أحمد آل عبدالقادر ..... ٢٧ ، ١٧
- الشيخ عبدالله بن بسام البسيمي ..... ١١
- الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ..... ١١٠ ، ٩٥
- الشيخ عبدالله بن فيروز ..... ٦٧ ، ٦٣ ، ٤٤ ، ٢٧
- الشيخ عبدالله الكردي ..... ٣٢
- الشيخ عبدالله بن عيسى ..... ٤٤٣ ، ٤١٨ ، ٤١٦ ، ٤٠٦ ، ٤٠٣ ، ٤٠١ ، ١٠٨
- الشيخ عبدالوهاب (والد الإمام محمد) ..... ٢١٢
- الشيخ علي الأجهوري ..... ١٠٠٢
- الشيخ عيسى بن قاسم ..... ٨٨٣ ، ٦٩٥ ، ٦٧١ ، ٤٥٧
- الشيخ فوزان ..... ٩٩
- الشيخ قسم ..... ٧١٦ ، ٣٥٤
- الشيخ المحدث سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ..... ١٣
- الشيخ محمد بهجت الأثري ..... ١٠٢
- الشيخ محمد بن حمد أنمي ..... ١١
- الشيخ محمد بن ناصر العبودي ..... ١٠
- الشيخ منصور ..... ٤٧١ ، ٤٧٠
- الشيخ ناصر العقل ..... ٩٦ ، ٦٩
- الشيخ يحيى الصرصري ..... ٣٠٦
- ابن صالح ..... ٣٩١
- صالح بن عبد الله ..... ٤٢٤ ، ٣١٨
- صالح بن عباس ..... ٩٦٢
- صالح بن محمد بن صالح ..... ٧٦٤

٧٩٧	صالح المهشوري
٥١٦	س صباح
٨١٩	صعب بن مهديب
٦٨٩	صقر آل سيف السيرة
٩١٢	صويحج النجار
١٧٤	ضرار بن الأزور
٨٢١	ضويحي بن سويد
٣٩٢	طالب الحمضي
١٩	الطبري
٣٢٨ ، ٣٢٠	طلحة
١٠١٦	الطيلسي
٦	عبد الرحمن آل لشيخ
٧٣٨	عبد الرحمن أبو الحويل
٣٥٧ ، ٢٨٩ ، ٢٨٦	عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم أبو شامة
١٠١	عبد الرحمن بك سامي
٧٣٨	عبد الرحمن بن جندل
٧٣٨	عبد الرحمن بن ذهلان
٤٣٠ ، ٤٢٩	عبد الرحمن بن ربيعة
٧٣٨	عبد الرحمن بن سويدان
٤٧	عبد الرحمن بن عبد اللطيف
٤١٢	عبد الرحمن بن عبد الله بن السويدي
٤٢١	عبد الرحمن بن عقيل

- ٧٥٨ .. .. عبد الرحمن الحرّيص
- ٧٣٨ .. .. عبد لرحمن المخصيب .
- ٧٦٠ . . . . . عبد الرحمن المشهوري . . . . .
- ١٩٤ ..... عبد الرحمن بن مهدي ..... . . . .
- ١٠١ ، ٩٩ ..... عبد الرحمن الجبرتي ... ..
- ٣٩٨ ، ٣٩٢ ..... عبد الرحمن الشنفي . . . . .
- ٨٨ ..... ابن عبدالسلام . . . . .
- ٨٨٨ ..... عبد العزيز بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب .. ..
- ٤١ ، ٧ ..... عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ .. ..
- ٥٣ ، ٢٩ ، ٢٧ ، ٨ ..... عبد العزيز بن محمد بن سعود .. ..
- ٨٨٧ ، ٨٨٦ ، ٧٩١ ، ٧٩٠ ، ٩٢ ..... عبدالعزيز الحُصَيْن .. ..
- ٨٥٠ ..... عبد العزيز ديان .. ..
- ٩١٣ ..... عبد العزيز اليمني . . . . .
- ٣٨٢ ..... ابن عبد الغفور .. ..
- ٧٩٠ ..... عبد الغني بن هلال .... ..
- ٥٠٣ ، ٤٥٥ ، ٤٥٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٠ ، ٣٠٦ ، ٢٦٨ ، ١٨٥ ، ١٣٨ عبد القادر الجيلاني
- ٣٤٠ ، ٣١٨ . . . . . عبد القادر العدلي . . . . .
- ٥٥ ، ٥١ ، ٤٨ ، ٤٧ ، ١٧ ..... ابن عبد القادر .. ..
- ٧٣٦ ..... عبد الكريم بن زامل .. ..
- ٧٦٠ ..... عبد الله بن براك .. ..
- ٩٣٧ ، ٨١٨ ، ٨١٠ ، ٨٠٢ . . . . . عبد الله بن حسن .. ..
- ٦٨٥ ..... عبد الله بن حمود .. ..



٦٧١	عبد الله بن دعيث .....
٨٤٢	عبد الله بن رشيد .....
٧٣٨	عبد الله بن رشيدان .....
٦٨٥	عبد لله بن سبيت .....
٣٤٧ ، ٣٤٣ ، ٣٢١ ، ٣١٨	عبد الله بن سحيم .....
٨٢٨	عبد الله بن سدحان .....
٦٨	عبد الله بن سعود .....
٧٤٥	عبد الله بن سلطان .....
٦٨٨	عبد الله بن سليمان الهاللي .....
٦٧٠ ، ٤٢٢	عبد الله بن سويلم .....
٦٨٥	عبد الله بن شوذب .....
٦٠٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٥ ، ٥٧١ ، ٥٠٩ ، ٥٠٦ ، ٢٤٠ ، ١٧٩	عبد الله بن عباس .....
٦٩٠	عبد الله بن عبد الرحمن .....
٦٨٢	عبد الله بن عبيكة .....
٧٤٥ ، ٤٢٧ ، ٥٣	عبدالله بن عضيپ .....
٦٧٧	عبد الله بن علي .....
٤٣٨	عبد الله بن عون .....
٨٠٨	عبد الله بن غاسم .....
٨٧٣	عبد الله بن فضل .....
٤٢٧ ، ٥٦ ، ٥٤	عبد الله بن فلى .....
٢٥٦ ، ٢٣٠	عبد الله بن المارك .....
٤١٥	عبد الله بن عبد الرحمن .....

- عبد الله بن محمد ..... ٧٨١ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٨ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥
- عبدالله بن محمد البسام ..... ٢٦
- عبد الله بن محمد بن دخیل ..... ٧٣٨
- عبد الله بن محمد بن عبد اللطیف ..... ٢٤٦ ، ٢١٨ ، ٣٧
- عبد الله بن نفیسة ..... ٧٣٨
- عبد الله بن نوح ..... ٧٤٤
- عبد الله البجادی ..... ٨٣٥
- عبد الله الرویس ..... ٨٦٠
- عبد الله الساری ..... ٧٩٣
- عبد الله القاضي ..... ٨٣٨
- عبد الله المحجوب .. ..... ١٧٧
- عبد الله لمخضیب ..... ٧٣٨
- عبد المحسن بن إبرهیم ..... ٧٤٧
- عبد المحسن بن شاخص ..... ٧٩٧
- عبدالمحسن بن عثمان أبا بطین ..... ٨٧ ، ٨٥ ، ٧٥ ، ٥٦ ، ٥٥ ، ٤١ ، ٧
- عبد المحسن بن محمد بن فارس .. ..... ٧٧٨
- عبد المحسن الشریف ..... ٤٢١
- عبد الوهاب بن حسن التركي ..... ٧٩٠
- عبد الوهاب بن عبد الله بن عیسی ..... ٤٤٥ ، ٤١٩ ، ٤١٨ ، ٤١٧ ، ٤١٥
- عبد الوهاب بن مشرف ..... ٧٤٢
- ابن عبد الهادی ..... ٤٢٨
- عتیق بن رابید ..... ٧٩١

عثمان بن بشر ١٧، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٤٠، ٤١، ٤٦، ٥٠، ٥١، ٥٤، ٥٥، ١٠٥، ١٠٩

٧٣٨ عثمان بن حسين .....

٤٢ عثمان بن سند .....

٨٢٠ عثمان بن عبد الله بن مبارك ..... ٦٩٣، ٨١٨، ٨٢٠

٨٢١ عثمان بن عثمان .....

٧٣٨ عثمان بن مجلي .....

٧٣٨ عثمان التخيفي .....

٦٨٥ عثمان بن معمر ... ٩٧، ٢١٥، ٢١٦، ٦٧٧، ٦٨٠، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥

٦٨٨، ٦٨٦

٨٢٠ عثمان الثميري .....

٨١ عثمان الحنبلي .....

٧٣٨ عثمان العليوي .....

١٠١٦ عثمان المضيفي .....

١١٣ العجلاني .....

٨٢٧، ٨٠٣ عدامة بن سويري .....

٣٥٠ عدي بن مسافر .....

٦٩٣ عدوان بن مارك .....

٤٦٨، ٤٠٨، ٤٠٥، ٣٥٨، ٣٥٤، ٣٤٥، ٣٢٧، ١٠٩ ابن عربي .....

٧٣٨ عرييد .....

٨٠٢، ٧٧٢، ٧٧١، ٧٦٩، ٧٥١، ٧٤٨، ٢٩ عريعر بن دحين .....

٧٥٧، ٣٥٨ بن عزار .....

- ٣١٩ ..... عرير
- ٤٢٧ ..... ابن عصب
- ٩١٢ ..... بن عفوف
- ٤٢٥ ، ٣٣٦ ..... ابن عفلق
- ٧٩٤ ..... عقيل بن نصير
- ١٩ ..... عكرمة بن عمار
- ٩٩ ..... العلامة محمود فهمي المصري
- ١٠١٥ ..... العلقمي
- ١٨٣ ..... ابن علوان
- ١٠١ ..... علي بش مبارك
- ٣٩ ..... علي بشا مساعد والي بغداد
- ١٨٧ ، ١٥٢ ، ١٥٠ ، ١٢٦ ، ١٢٠ ، ٨٤ ، ٨٢ ، ٧٦ ، ٧٤ ، ٧٣ ..... عبي بن أبي طلب
- ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٣٥٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٦ ، ٥١٦ ، ٥١٩ ، ٧١٠
- ٩١٢ ..... علي بن أحمد
- ٦٩٣ ..... علي بن حسن
- ٨٣٨ ..... علي بن حوشان
- ٧٥٣ ..... علي بن دخان
- ٦٨٩ ، ٣١٨ ..... علي بن زامل
- ٦٩١ ، ٦٨٨ ..... علي بن عثمان بن ريس
- ١٨٤ ..... علي بن عمر الشاذلي
- ٦٨٩ ، ٦٨٨ ..... عيسى الدروع
- ٦٧٦ ..... عبي بن مزروع

٧٣٨	علي بن نفيسة
٧٣٨	علي بن سوح
٨٧٤	علي بن يحيى
٨١٩	علي الحسيني
٣٢٣	علي الخطيب
٧٦٢	علي القروى
٥١١ ، ٤٤٦ ، ٣١٦ ، ٢٥٥ ، ٢٤٨	العماد ابن كثير
٢٩٢ ، ٢٤٩ ، ٢٤٠ ، ١٢٨ ، ١٢٦	عمر بن الخطاب
٥٦ ، ٥٣ ، ٥١	عمر رضا كحالة
٦٨٩	عمر الفقيه
٦٩١	عمران بن جري
١٠٥	ابن عمرو
٨٧٠	العمور
٧٥٣	عودة بن علي
٨٠٣	عوض بن ذئب
٨٤٦	عون بن ماضي
٨٧٧	عويس بن غفیان
٣٢٤ ، ٣٢٣ ، ٣٢١	ابن عيدان
٧٧٦	عبد بن تركي
٤٣٣ ، ١٨٤	العندروس
٧٤٧	عيسى بن دهلال
٧٣٨	عسى بن سرحار

- ٧٣٨ عيسى بن سعدون . . . . .
- ٦٧١ ، ٤٥٧ عيسى بن قاسم . . . . .
- ٧٣٨ عيسى المحاضيب . . . . .
- ٧٣٨ عيسى بن نوح . . . . .
- ١٩٤ ابن عينة . . . . .
- ٧٨٢ ابن غدير . . . . .
- ٧٤٣ غزو بن فيز . . . . .
- ٩٢٦ ، ٩١٤ ، ٩١٣ ، ٨٤٦ ، ٨٣١ ، ٨٣٠ محمد بن غشيان . . . . .
- ٦٨٥ غنام بن دعيح . . . . .
- ٩٠٨ غنيم أبو العلاء . . . . .
- ٧٣٨ غيث بن سحيم . . . . .
- ٧٧٥ ، ٧٣٧ ابن فارس . . . . .
- ٤٦٨ ، ٤٠٨ ، ٤٠٥ ، ٣٤٥ ، ١٠٩ ابن الفارض . . . . .
- ١٩ الفاسي . . . . .
- ٤١٠ فاضل آل مزيد . . . . .
- ٨٣٠ فرحان بن راشد البجادي . . . . .
- ٦٧١ فرحان بن سعود . . . . .
- ٧٦٤٥ فرحان التمامي . . . . .
- ٣٨٣ ، ٣٨١ ابن فرحون . . . . .
- ٧٤٨ اس فريان . . . . .
- ٧١٦ ، ٦٩٩ ، ٥٠١ الفصل بن عياض . . . . .
- ٨٠٥ فهد بن سمن . . . . .

- فهيذ بن دواس ..... ٧٥٦
- فواز بن محمد ..... ٨١١
- فواز التهامي ..... ٧٨٢
- فوزان بن ناصر ..... ٧٨٦
- فوزان الذبيحة ..... ٧٥٥
- فيصل بن الأمير محمد بن سعود ..... ٦٧٨
- فيصل بن سويط ..... ٧٧٠، ٧٤٣، ٦٨٧
- القاضي أبو يعلى ..... ٣٦٨، ٣٥٧
- القاضي عياض ..... ٧١٦
- قاعد بن ربيع ..... ٩٢٨
- القباني ..... ٤٢٥
- قتادة ..... ٦٦٥، ٥٧٥
- ابن قتيبة ..... ٢٥٥
- قدامة بن مضعون ..... ١٢٨
- القرظبي ..... ٧١٦
- ابن القيم ..... ١٢٠، ١٩٨، ٢٢٨، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٥، ٣١١، ٣١٦، ٣٢٧، ٣٥٨،  
٤٠٠، ٤٠١، ٤١٥، ٤٢٥، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٣٥، ٤٤٣، ٤٤٦، ٤٩٣، ٤٩٧،  
٥١٤، ٥٧٠، ٥٧٥، ٧٠٧، ٧١٥، ٧١٨
- كارل بروكلمان ..... ١١١
- الكظم ..... ١٨٨
- كنعان بن عيسى ..... ٨٢٠
- كنعان المرشد ..... ٧٤٤

٧٦٤	مائق بن سلقية .
٩٢١	ماجد بن عريعر .
١٠٠٣	المازري ..
٧٦٢	منع بن مشوط .....
٣٨٣	المارودي .....
٧٢٤	ابن المبارك .....
٩١٣	مبارك بن خيفة .....
٧٨٥	مبارك بن سبيت .....
٧٤٧ ، ٧٣٩ ، ٧٣٧ ، ٦٩٣	مبارك بن عدوان بن مبارك .....
٩٣٠ ، ٨٧٠ ، ٨٦٩ ، ٨٦٧	مبارك بن عبد الهادي .....
٧٣٨	مبارك بن مرجان .....
٧٥٣	مبارك بن مزروع .....
٨٦٩	مبارك بن هادي .....
٧٥١ ، ٧٥٠ ، ٧٤٩	مبيريك بن عدوان .....
٧٦٢	مبيريك بن مبارك .. ..
٩٦٠ ، ٧٤٦	المتنبي .....
٥٧١	مجاهد .
٢١	ابن المحاور .....
٩٦٢	محمد آل علي المهاشير .
٣١٨	محمد أبو الخيل .
١٠١	محمد بن رؤوف ..
٨١٩	محمد بن إبراهيم ..



- محمد بن إدريس بن أبي حمصة ..... ١٩
- محمد بن أسلم الطوسي .. ٤٠٠
- محمد بن جماز ..... ٨١٠
- محمد بن حسن الهلالي ..... ٧٨٤ ، ٦٨٨ ...
- محمد بن حسين ..... ٦٧١
- محمد بن حمد بن حسين ..... ٧٣٨
- محمد بن دخيل ..... ٧٣٨
- محمد بن دغيش ..... ٧٤٥
- محمد بن دهم بن دواس ..... ٦٧٣
- محمد بن ديماس ..... ١٠٣٢ ، ٩٤٠ ، ٦٧
- محمد بن ربيعة العوسجي ..... ٥٣
- محمد بن رشيد الهزاني ..... ٨٤
- محمد بن سحيم ..... ٢١٨ ، ٢١٦
- محمد بن سعدون ..... ٩٢٢ ، ٧٣٨
- محمد بن سعود ..... ٥٣ ، ٣٠
- محمد بن سعيد بن قطن ..... ٩٦٥
- محمد بن سلامة ..... ٦٨٥
- محمد بن سلطان بن عبد الله ..... ٧٣٨
- محمد بن سليمان .. ٤٥٩ ، ٣٣٦
- محمد بن سودا ..... ٦٧٩
- محمد بن شبابة ..... ٨٢١ ، ٨٢٠
- محمد بن صالح ..... ٦٩٤ ، ٤٦٠

- ٧٣٨ ..... محمد بن صفى
- ٣٤٠ ، ٣٣٣ ..... محمد بن عبد
- ٢١٨ ..... محمد بن عبد الرحمن بن عقالق
- ٧٤٧ ..... محمد بن عبد الرحمن بن موسى
- ٩١٢ ..... محمد بن عبد العزيز
- ٤٧ ..... محمد بن عبد القادر
- ٧٤٤ ، ٧٣٥ ..... محمد بن عبد الله
- ٥١٣ ..... محمد بن عبد الله بن إسماعيل
- ٩٢٢ ، ٤١٩ ، ٢٥١ ، ٨ ..... محمد بن عبدالله بن فيروز
- ٦٩٣ ..... محمد بن عبد الله بن مبارك
- ٩٢١ ..... محمد بن عريعر
- ٣١٨ ..... محمد بن عبيد
- ٤١ ، ٤٠ ، ٢٧ ، ٢٦ ..... محمد بن علي بن سلوم
- ٣٣٧ ، ١١٤ ، ١٠٤ ..... محمد بن عيد
- ٧٨٢ ..... محمد بن عيد بن إبراهيم بن سليمان
- ٨٣٠ ..... محمد بن عشيان
- ٧٧٨ ، ٧٣٩ ، ٧٣٧ ، ١١٨ ..... محمد بن فارس
- ٧٩٣ ..... محمد بن فاير
- ٧٤٥ ..... محمد بن ماع
- ٦٨٠ ..... محمد بن مبارك
- ٩٦٦ ، ٩٥٩ ، ٩٣٠ ، ٩٢٣ ، ٩٢٢ ..... محمد بن معقل
- ٧٣٨ ..... محمد بن موسى بن ر

- ٧٣٨ ..... محمد بن هلال .....
- ٧٢٤ ، ٧٢٢ ..... محمد بن وضاح .....
- ١٠٢ ..... محمد بهت الأثري .....
- ٦٧١ ..... محمد لحزيمي .....
- ٩١٣ ..... محمد الحملي .....
- ٢٦ ..... محمد الفاخري .....
- ١٠٢ ..... محمود الألوسي .....
- ١٠٢ ..... محمود فهمي المهندس .....
- ٨٥٣ ..... المخاريم .....
- ٧٢٠ ..... المختار بن أبي عبيد .....
- ٨٢٦ ..... مدليج المعني .....
- ٧٨٧ ..... ابن المربع .....
- ٤٢٨ ..... مرشد .....
- ٧٩٣ ..... مرخان بن فريان .....
- ٧٩٣ ..... مرزوق المطيري .....
- ٧٨٣ ..... مرشد بن حصين .....
- ٤٢٤ ..... المزبودي .....
- ٧٥٧ ..... مساعد بن فياض .....
- ٤٠٠ ، ٢٤٠ ..... ابن مسعود .....
- ٨٩٨ ..... مسلط بن مطلق .....
- ٦٧٩ ..... ابن مسفر .....
- ٧١٧ ، ٤٣٥ ، ٣٢٧ ، ١٥٠ ، ٧٣ ..... مسيلمة الكذاب .....

٨٠٩ ، ٦٧٤ ، ٦٧١ ، ٢١٦	مشاري بن سعود
١٠٣٢	مشاري بن عبد لله آل حسين ..
٧٥٤ ، ٦٩١ ، ٦٨٨	مشاري بن معمر
٦٧٤	مشلب بن دواس
٧٨٧	مطروذ لفريد
٤٢٦ ، ٤٢٥	ابن مطلق
٤٥١ ، ٢٩٢	معاوية
٥٠٤ ، ٤٩٨ ، ٤٥٠ ، ١٨٦	معروف الكرخي
٧٦٠	معين بن ذباح
٨٨١	ابن مخجل
٣٧٥	المغربي
٧٦٧	المغليلث
٧٣٨	مفرج بن جلال
٧٣٨	مفرج بن رشيدان
٧٤٩	مفرج بن شعلان
٣٥٨	ابن المقري الشافعي
٥١٩	مقرن بن عبد الله
٦	الملك عبدالعزيز آل سعود
٨٣٦	منصور أبو الخيل
٨١٩	منصور بن حماد
١٠٣٢	منصور بن فضيل
٨٢١	منف بن نصير

٧٧٥	المهاشبر .....
٨٥٠	ابن مهى .....
٩٠٨	مهوس بن شقبر .....
٩١٢	مهني بن عمران .....
٧٣٨	موسى أبو الحويل .....
٤٠٥	موسى بن جوعان .....
٧٣٨	موسى بن حسين .....
٨٠٨	موسى بن حماد .....
٧٣٨	موسى بن زياد .....
٣٩١	موسى بن سليم .....
٦٧٩	موسى بن عيسى الحريص .....
٦٨٢	موسى بن عبد القادر .....
٧٣٨	موسى بن محمد .....
٧٣٨	موسى بن محمد بن دخيل .....
٧٢٩	ميمون بن مهران .....
٣٩٢	موسى بن نوح .....
٤٨٤	الموصلى .....
٥٠٠	المويس ... ٢١٨، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٤٠، ٣٤١، ٤٢٤، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٣١، ٥٠٠
١٧٨	ميمونة ست الحارث أم المؤمنين .....
٨٢١	ناصر بن إبراهيم .....
٦٩٣	ناصر بن جميع .....
٧٤٠	ناصر بن حمار العربي .....

٧٣٨	ناصر بن حسين
٤٦ ، ٢١ ، ٢٠	ناصر خسرو عوى
٤١ ، ٧	ناصر لدين الأسد
٨٣٨	ناصر الشبلي
٧٨٤	ناصر بن عبد الله
٧٨٦	ناصر بن عثمان
٣٩٨	الناصر بن قلاوون
٦٨٨ ، ٦٧٧	ناصر بن معمر
٧٤٤	ابن نعران
٤٠٠	نعيم بن حماد
٨٩٢	نغمش
٩٦٣	نفجان بن سند الندي
٨٤٨	النفيثي
٤٨٤ ، ٣٨٦	النووي
٨٦٥	هادي بن غانم
١٠٣٠ ، ٩٢٣ ، ٩٠٥ ، ٨٨٥	هادي بن قرملة
٢٣٦	ابن هبيرة
٧٨٣	هدلور بن عيصل
٨١٨	هدلور بن نصير
٣٢١	هشام بن الحكم
٣١٧	ابن هشام
٧٧٣	هويدي بن نعران

الولامس ...	٨٧٠ ...
وهب بن منه	٤٨١ ..
وهق بن فبص	٧٨٩ ..
يحيى بن أبي كثر .	١٠٦ ، ١٩ ..
يحيى بن صالح الحنفي ..	٧٩٠ ..
يزيد بن الأسود الجرشي ..	٢٩٢ ..
يونس بن عبيد ..	٢٠٦ ..



فهرس الأماكن والبلدان والقبائل

٢٥	أشقر
٩١١	أنطع
١٨٤	أهل المخا
١٠٣	لأستنة
١٠٣٥	الأجردي
٨	الأحساء
٨٢١	الأراكة
٢٠	الأفلاج
٣٢	البحرين
٩٢٣	البقوم
١٨٠	البقيع
٢٨٧	الميت الصغير
٨٣٧	التنومة
٢١	التوبم
٧٥٥	شرمليه
٨٥٢	الثليما
١٧٣	الحبيبة



٨٨٧	الحرسية
٧٣٦	الجرج
٨٧٤	الجشة
٩٢١	الجهر
٧٤٧	الجنوبية
٩٦٥	الجنينة
٦٧٣	الحائر
٩٢٤	الحجرة
١٨٥	الحديدة
٦٨٤	الحريص
٧٥٥	الحريق
٦٩٠	الحسي
٨٨٠	الحفر
٩٠٤	الحذكية
٨٤٨	الحنية
٨٣٦	الحوطة
٧٧٨	الحية
٨٣٨	الخبراء
٦٩١	الخرج
١٠٣٦	الخزعة
٨٩٩	الخط
٨٤٥	الداخلية

١٢	الدرعية
٦٩١	الدلم
٨٥٩	الروسة
٧٥٦	الروضة
٨	الرياض
٧٧٥	الزلال
٦٩٠	الزلفى
٨٣٧	الرس
٩٣٥	الرفعة
٨٥١	الروضة
٨١٣	السلمية
١٠١٧	الشبك
١٨٤	الشحر
٩١٤	الشعبة
٩٠٤	الشقرة
٩١٦	الشقيق
٩٦٥	الشقيقة
٩٠٨	الشيص
١٠٢١	الصيحبة
٧٧٩	الصبخ
٧٤٠	الصبيخة
٩٢١	الصفوف

٧٤٤	الصمدة
٨٠٤	الضبعة
٩٦٣	لضويحي
١٧٩	الطائف
٩٥٩	الطف
٣٤٨	العارض
٧٥٧	العتش
٨٩٦	العدوة
٧٦٣	العرمة
٢٦	العطار
٨٧٧	العقير
٦٧٧	العمارية
١٠٣٢	العمائر
٢٨٧	العمود المخلوق
٩٠٠	العوامية
٧٨١	العودة
٨٤٩	العيون
٢١	لعينة
٧٤٩	الغذانة
٧٦٦	غزوة المديهم
١٧٤	الفدا
٩٠٦	الفرع

٧٥٩	المرعة
٩٠٠	المرضة
٦٧٦	النفور
١٠١	القاهرة
٧٤٨	أقبة
٩٢٥	القبلة
٩٠٠	القديح
٩١٦	القرين
٤٢٤	القصيم
١٨٨	لقطيف
٩٣	القنصلية
٧٤٠	القويعة
٩٢٣	الكويت
١٨٥	اللحية
٨٩٢	اللدان
١٢	المبرز
٨٠٠	المجرة
٢١	المجمعة
٧٨٨	المحبرة
٧٥١	المحمل
٧٥٧	المريقات
٨٤٧	المستحدة

٨٤٤	المستوى
٧٨٤	المشقيق
٧٦٢	المطير في
١٧٨	المعل
١٠٢	الموصل
٨١٠	النقية
٩٣٥	النعال
٧٥٠	النعمية
٨٤٢	النهر
١٨٣	الهجرية
١٢	الهفوف
٧٨٧	الهلالية
٦٧٧	الوشام
٣٢١	الوشم
٨٨٠	الوفرا
٨٣٤	اليمامة
٢٨٧	باب توما
٧٠٤	باب كندة
٣٥٧	باب النصر
١٨٣	برع
٨٠٢	بريدة
١٨٦	بغداد

١٨٦	بلاد الأكر د ..
٩١٨	بلاد ابن بطل
١٢٠	بنو تميم .....
٩٢٣	بنو هاجر .....
٩٦٥	بيشة ..
٩٢٥	تربة .....
٨٦٩	تمرة .....
٨٣٥	تمير .....
٤٢٩	ثادق .....
٦٨٠	ثرمدا .....
٣٧٠	ثمنع .....
٢٩٩	جبل لبنان .....
١٨٠	جدة .....
٦٧٨	جرف عيان ..
٩٦٦	جزيرة العمائر .....
٧٨٠	جصان .....
٧٤٥	جلاجل .....
٢١	حرمة .....
٢١٢	حرملاء .....
١٨٤	حصرموت ..
١٨٦	حب ..
٨٧٩	حمض ..

٢٨٥	.....	حخير
٨٧٨	.....	خفيسة الدجاني
٣٧١	.....	خبر
١٠١	.....	دمشق
٩٢٢	.....	دومة الجندل
٢٨٥	.....	ذات أنوط
٧٦٥	.....	رغبة
٩٦٥	.....	رنية
١٠٣٢	.....	زعب
٨٠٥	.....	زميقة
٧٦٤	.....	سبيع
٢٦	.....	سدير
١٧٨	.....	سرف
٨٦٣	.....	سفوان
٧٧٥	.....	سمحان
٢٧	.....	سوق الشيوخ
٧٦٤	.....	سيح الدبول
١٧٥	.....	شجرة الطرفية
٧٣٦	.....	شعب عوح
١٧٤	.....	شعب غبرا
٧٤٢	.....	شقرا
٧٨١	.....	شنية

٧٩٢	صحاح
١٨٢	صنعاء
٦٨٢	صباح
٦٨٢	ضرماء
١٨٤	عدن
٦٨٢	عرقه
٨٢٦	عروى نجد
٦٩١	عفجة الحائر
٩٠٠	عنك
٨٥٠	عنيزة
٢٨٧	عويمه الحمى
٢٨٨	عين العافية
٩٠٩	عين نجم
٧٨٢	غزوة المصحر
٦٧٧	فيضه لبن
١٧٧	قبة أبي طالب
٣٤٠	قبة رجب
٣٤٠	قبة الكواز
٢٩٩	قبر أبي بن كعب
١٨١	قبر أحمد البدوي
١٨٦	قبر الإمام أبي حنيفة
١٨٨	قبر الحسن البصري



١٨٠	قبر حمزة
١٨٠	قبر حوى
١٧٨	قبر حليحة أم المؤمنين
٣١٣	قبر دنيل
١٨٥	قبر رابعة
١٨٨	قبر لزير
٤٣٠	قبر زيد
١٨٥	قبر الزيدعي (الشمس)
١٨٥	قبر الشيخ صديق
١٨٦	قبر الشيخ عبد القادر
١٧٩	قبر عبد الله بن عباس
١٨٣	قبر ابن علوان
١٨٤	قبر العيدروس
١٧٧	قبر المحجوب
١٨٦	قبر معروف الكرخي
١٧٨	قبر ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين
٢٩٩	قبر نوح
١٨٢	قبر الهادي
٤٢٥	قبر يوسف
٧٦٥	قبر فدل
٧٧٢	قري القصير
٧٧٢	قري عمرا

١٧٣ .	قريوه
٩٥٩ ...	قرية
٩٢٢ .	قرية بني سراح .
٨٩١ .....	قصر بسام
٨٧٦ ..	قني
١٠١٧ .....	ماء عقيلان
٩٠٧ .....	ماء اللصافة
٨٣٥ ..	ماء مبيض
٩٢٧ ....	ماسل
٨٢٣ .....	مبايض
٤٢٣ .....	مرات
٣١٤ .....	مسجد الضرار
٧٠١ .....	مسجد الكف
١٨٨ - ١٨٧ ..	مشهد الحسين
١٨٧ .	مشهد علي بن أبي طالب
١٨٧ .....	مشهد الكاظم
١٨٠ .	معد العلوي
٧٩١ .	معكال
٦٨٢ .....	مقرن
٨٥٩ .....	ملهم
٢١٤ .....	منفوحة
٢١٨ .....	منبخ

١٨	سجد .
١٨٦	سحران
٨١٤	سحجان
٢١٢	هجر
٧٦٣	وثيئة
٩٤٧	وقعة أحزاب ثويني
٧٤٨	وقعة أم العصافير
٧٤٣	وقعة باب القبلى .
٦٨٨	وقعة البطحاء
٦٨٣	وقعة البطين
٦٨٢	وقعة البنية
٧٦٧	وقعة الحائر
٦٨٥	وقعة الحبونية
٨٨٣	وقعة غريميس
٨٥٦	وقعة جضعة
٦٨٣	وقعة الخريزة ..
٦٧٩	وقعة دلقة
٧٤١	وقعة الرش
٦٧٧	وقعة أشياب
٦٧٨	وقعة العبيد
٧٨١	وقعة العدو
٧٣٥	وقعة الغنبل

٦٧٨	...	...	...	...	وفعة غبية
٨٨٦	.....	.....	.....	.....	وفعة الليبية
٧٨٥	.....	.....	.....	.....	وفعة المجوز
٦٨٨	.....	.....	.....	.....	وفعة الوطية
١٨٤	.....	.....	.....	.....	يفع



# فهرس المحتويات

## فهرس المحتويات

٥	المقدمة .....
١٢	ترجمة الشيخ حسين بن غنام .....
١٨	مؤرخو نجد، لشيخ حمد الجاسر .....
١٩	رحلة في القرن الخمس يصف نجدًا .....
٢٠	مصادر تاريخ نجد القديمة .....
٢٥	ابن غنام مؤرخًا، ليدكتور عبدالله بن صالح العثيمين .....
٤٥	ابن غنام مؤرخ وتاريخ، ليدكتور محمد بن سعد الشويعر .....
٤٧	ابن غنام وتاريخه .....
٥١	مذهبه .....
٥٢	تأثره وتأثيره .....
٥٤	تاريخه .....
٥٨	ابن غنام أديبًا .....
٦٣	جانب مهم من تاريخ ابن غنام .....
	لجنب الأور أن ابن غنام - رحمه الله - قد صاغ تاريخه بأسلوب يفيض
٦٣	حبًا وفتحًا دعوة التوحيد .....
	اجانب الثاني مجموعة من صور العدل التي نحتت لها دعوة لإمام
٦٥	محمد بن محمد ومثلته الدعوة السعودية الأولى .....

- قواعد مهمة عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وخصومها ..... ٦٩
- (١) الطعن في دعوة الشيخ ليس بالأمر الحديدي ..... ٦٩
- (٢) الحوار لا ينبغي أن يكون عن وجود «التكفير» إنما يكون عن أسبابه ..... ٧٠
- (٣) عند المخالفين من قل: «لا إله إلا الله» فقد برئ من الكفر مهما ..... ٧١
- ارتكب من النواقض ..... ٧١
- (٤) عدم فهم المخالفين لحقيقة العبادة ..... ٨٥
- (٥) خلط المذوئين للشيخ بين التوسل البدعي والشركي، ثم افتراؤهم على ..... ٨٥
- الشيخ أنه يكفر بالأول ..... ٨٥
- (٦) خصوم الدعوة كفروا الشيخ ﷺ وأتباعه وبادروهم بالقتال ..... ٩١
- (٧) الواقع الديني لنجد قبل دعوة الشيخ محمد رحمه الله ..... ١٠٠
- (٨) أصول الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ في قضية التكفير .. ..... ١١٥
- الأصل الأول: عدم التكفير إلا بدليل شرعي صحيح صريح ..... ١١٥
- الأصل الثاني: أن الإمام محمد يكفر بالمتفق عليه، دون المختلف فيه ..... ١١٦
- الأصل الثالث: التفريق بين التكفير المطلق، وتكفير المعين ..... ١١٨
- سمت منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب ﷺ في مسألة التكفير ..... ١١٩
- السمة الأولى: تفريقه بين قيام الحجة وفهم الحجة ..... ١١٩
- السمة الثانية: الاحتراز والتثبت ..... ١٢١
- السمة الثالثة: وسطيته في مسائل التكفير بين الجاهلي والغالي ..... ١٢٣
- تكفير المعين وشروطه ..... ١٢٣
- موانع تكفير المعين عند الإمام محمد بن عبد الوهاب .. ..... ١٢٤
- أولاً: الجهل ..... ١٢٤
- ثانياً: الإكراه ..... ١٢٥

١٢٥	ثالثاً: الخطأ .....
١٢٦	رابعاً: التأويل .....
١٢٨	المبحث الثاني: الاعتقادات المكفرة .....
١٢٨	الأول: استحلال أمر معلوم تحريمه من الدين بالضرورة .....
١٢٨	معنى الاستحلال .....
١٢٨	الثاني: الشك في حكم من أحكام الله تعالى أو خبر من أخباره .....
١٢٩	الثالث: من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع النبي ﷺ .....
١٣٠	الرابع: بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ .. ..
١٣١	الخامس: اعتقاد وجود هدي أو حكم أفضل من هدي النبي ﷺ وحكمه .....
١٣٢	الأقوال المكفرة .. ..
١٣٢	الأول: سب الله تعالى أو الاستهزاء به .....
١٣٣	الثاني: سب الرسول ﷺ أو أحد من الأنبياء .....
١٣٣	الثالث: الاستهزاء بكتب الله المنزلة أو بدين الله أو بشيء من ثوابه وعقابه .....
١٣٤	الرابع: إنكار المعلوم من الدين بالضرورة .. ..
١٣٥	الخامس: رد النصوص الثابتة في الكتاب والسنة .. ..
١٣٦	الأفعال المكفرة .....
١٣٦	الأول: الإشراك بالله .....
١٤١	الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوها .. ..
١٤٢	الثالث: ترك أركان الإسلام بالكلية .....
١٤٢	الرابع: السحر .....
١٤٢	الخامس: مظاهرة المشركين ومعدونتهم على المسلمين .. ..
١٤٥	السادس: الإعراض التام عن دين الله لا تتعلمه ولا يعمل به .....



- أسباب الإفراط في التكفير ..... ١٤٦
- السبب الأول: عدم التمسك بالكتاب والسنة ..... ١٤٦
- السبب الثاني: لأسباب السياسية (نصرة الدولة له) والأسباب النفسية (الحسد) ..... ١٤٧
- السبب الثالث: الجهر بالتوحيد ..... ١٤٧
- صورة الورقة لأولى من لجزء الأول من المخطوط ..... ١٥٥
- صورة الورقة الأخيرة من الجزء الأول من لمخطوط ..... ١٥٦
- صورة الورقة الأولى من الجزء الثاني من المخطوط ..... ١٥٧
- صورة الورقة الأخيرة من الجزء الثاني من المخطوط ..... ١٥٨
- صورة غلاف الطبعة الهندية ..... ١٥٩
- صورة غلاف طبعة الشيخ عبدالمحسن أببطين رحمه لله ..... ١٦٠
- صورة غلاف طبعة الدكتور نصر لدين الأسد ..... ١٦١
- الجزء الأول من تاريخ ابن غنام ..... ١٦٣
- مقدمة المؤلف ..... ١٦٥
- الفصل الأول: في بيان ما جرى في تلك الأزمان من الشرك والضلال  
والطغيان في نجد والحسا وغيرهما مما بينهما من البلدان ..... ١٧١
- فوائد ..... ١٨٨
- الأولى: يجب على كل كَيِّس، وهو من دان نفسه وعمل لما بعد الموت،  
أن يهتم بم كلفه الله تعالى .... ١٨٨
- كلام المؤلف عى حديث الافتراق ..... ١٩٠
- الثانية: قل شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية في كتبه  
«اقتضاء الصراط المستقيم» ..... ١٩٣
- الفائدة الثالثة: أصبقت لأمة وافقت العقلة أن لله تعالى لا يجمع هذه

١٩٦	لأمة على ضلالة .....
١٩٨	قصيدة الصنعاني البائية .....
٢٠١	الفائدة الرابعة: في بيان ما جرى في غربة الإسلام التي وعد بها خير الأنام .....
٢٠٦	تمة: مدح كثير من السلف السُّنة، ووصفها بالغربة، ووصف أهلها بالقلّة .....
٢٠٧	الغربة عند أهل الطريقة غربت: ظاهرة وباطنة .....
٢٠٧	فالظاهرة غربة أهل الإصلاح بين الفساق .....
٢٠٧	والباطنة غربة الهمة .....
	الفصل الثاني: في نسب الشيخ ومبدأ أمره، وما جرى عليه في قيمه بتلك
٢٠٨	الدعوة من أهل مصره، وما صدمه به عمء عصره .....
٢٠٩	سماع الشيخ للحديث المشهور المسلسل بالأوليّة .....
٢١١	سماعه لحديث المسلسل بالحنابلة .....
٢٢٠	مهمات ... ..
	الأولى: أنه رحمه الله تعالى لم تظاهر بذلك الأمر والشأن، في تلك
٢٢٠	الأوقات والأزمان .....
	الثانية: كان، رحمة الله عليه، مع ما يسمع من الأذى ويُقل إليه،
٢٢٢	وما يُنمى من قبيحهم لديه غير مكترث بهم .....
	المهمة الثالثة: يتأكد على كل مؤمن وموحد، أن يسأل لله داوم
٢٢٣	الهداية ويسترشد .....
٢٢٨	كلام العلماء في اتباع قول لله وقول رسوله ﷺ وذمهم للتقليد ..
	تمة: قد بين الشيخ، رحمه الله تعالى، هي بعض رسائله. التقليد الممنوع،
٢٣٥	والمأذون فيه والمباح .....
٢٤١	قصيدة الصنعاني الدلية في مدح الشيخ محمد

خاتمة: توفي الشيخ، رحمه الله تعالى، وله من العمر قريب من ثنتين	
وتسعين سنة .....	٢٤٦
رسالة لشيخ لعبد الله بن عبد اللطيف الأحساني .....	٢٤٦
رسالة «كشف الشبهات» .....	٢٦٣
فوائد: كان العلماء، <small>رحمهم الله</small> من قديم الزمان ينكرون هذا الذي حدث في	
هذه الأمة؛ من تعظيم القبور وبنائها .....	٢٨٤
الفائدة الثانية: قال الشيخ تقي الدين: جاءت السنة أن يُسأل الله	
بأسمائه وصفاته .....	٢٩٠
نقل مطول عن شيخ الإسلام في مسألة تعظيم القبور .....	٢٩١
الفائدة الثالثة: قال ابن القيم <small>رحمته الله</small> في «الإغاثة» عن حديث:	
«لا تتخذوا قبوري عيداً» .....	٣١١
الفصل الثالث: في سرد بعض رسائل أرسلها إلى بعض البلدان، وإلى	
بعض خواص الإخوان يدعوهم بالقول السديد إلى تجريد التوحيد .....	٣١٨
فمنها: رسالته إلى مطاوعة أهل سدير والوشم والقصيم .....	٣١٨
ومنها: رسالة أرسلها إلى عبد الله بن سحيم، مطوع المجمع .....	٣٢١
ومنها: رسالة كتبها إلى محمد بن عباد، مطوع ثرمذ .....	٣٣٣
ومنها: رسالة أرسلها إلى محمد بن عيد، من مطاوعة ثرمذ .....	٣٣٧
ومنها: رسالة أرسلها جواباً لعبد الله بن سحيم، مطوع من أهل المجمع.	
يحيى فيها عن شبهات سليمان بن سحيم .....	٣٤٣
جواب الشيخ عن شبهات التي احتج بها من أجاز وقف لجف والإثم	٣٦٤
مسألة الرشوة التي يأخذها القضاة، ويكرار الشيخ لها .....	٣٨١
كلام لشيخ في الدخ للحر، أو عبرهم .....	٣٨٦

- ٣٨٨ ..... ومنها : رسالته إلى عدو الدعوة سليمان بن سحيم
- ٤٠١ ..... ومنها : رسالته إلى أهل الرياض ومنفوحة، وهو إذ ذاك مقيم في بلد العيينة ...
- ٤٠٦ ..... تعليق الشيخ عبد الله بن عيسى على الرسالة السابقة .
- ٤٠٩ ..... ومنها : الرسالة التي أرسلها إلى بعض الملدن .. .. .
- ٤١٠ ..... ومنها : رسالة أرسلها إلى فاضل آل مزيد، رئيس بادية الشام .
- ٤١٢ ..... ومنها : رسالة أرسلها إلى ابن السويدي، عالم من أهل العراق ..
- ٤١٥ ..... ومنها : رسالة أرسلها إلى مطاوعة أهل الدرعية، وهو إذ ذاك في بلد العيينة .
- ٤١٧ ..... ومنها : رسالة أرسلها أيضًا إلى عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب ..
- ٤١٩ ..... ومنها : رسالة كتبها إلى عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى .
- ٤٢٠ ..... ومنها : رسالة كتبها إلى أحمد بن محمد بن سويلم وثيان بن سعود ..
- ..... ومنها : رسالة أرسلها إلى عبد الله بن سويلم، حين غضب على ابن عمه
- ٤٢٢ ..... أحمد في شدته على المناققين ..
- ٤٢٣ ..... ومنها : رسالة كتبها إلى أحمد بن إبراهيم، مطوع مرات، من بلدان الوشم ..
- ٤٢٩ ..... ومنها : رسالة أرسلها إلى عبد الرحمن بن ربيعة، مطوع أهل ثدق ..
- ..... ومنها : رسالة أرسلها جوابًا لرجل من أهل الحسد يقال له «أحمد
- ٤٣١ ..... ابن عبد الكريم» .
- ..... ومنها : رسالة أرسلها إلى إخوانه من أهل سدير، بسبب أمر جرى بين أهل
- ٤٤٠ ..... الحوطة من بلدان سدير ..
- ٤٤٢ ..... ومنها : رسالة أرسلها إلى أحمد بن يحيى، مطوع من أهل رعبة ...
- ٤٤٣ ..... ومنها : رسالة أرسلها إلى عبد الله بن عيسى، مطوع الدرعية ...
- ٤٤٥ ..... ومنها : رساله أرسلها إلى عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى ..
- ٤٤٧ ..... الفصل الرابع : في المسائل التي سئل عنها فأجاب ..

- المسألة الأولى: سئل عن معنى: «لا إله إلا الله» فأجاب ..... ٤٤٧
- المسألة الثانية: سئل عن قوله تعالى في سورة هود:
- ﴿مَنْ كَانَ يَرْيِدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّتَهَا﴾ فأجاب ..... ٤٥٠
- المسألة الثالثة: قال رحمه الله: سألتني الشريف عمه نُقَاتِل عليه وعمه نُكُفَر
- به الرجل ..... ٤٥٣
- المسألة الرابعة: سأل ثنيان بن سعود عن قوله تبارك وتعالى:
- ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ وعن الحديث المذكور في مسند
- أحمد أن نوحًا عليه السلام نهى بنيه عن الشرك وأمرهم بـ (لا إله إلا الله) ..... ٤٥٥
- المسألة الخامسة: سأله الشيخ عيسى بن قاسم وأحمد بن سويلم عن قول الشيخ
- تقي الدين: مَنْ جَاءَ بِهِ الرُّسُولُ وَقَمَتَ بِهِ الْحُجَّةُ فَهُوَ كَافِرٌ. فأجاب ..... ٤٥٧
- المسألة السادسة: سأله محمد بن صالح عن رشوة الحاكم الذي ورد عنه عليه السلام
- أنه لعن الراشي والمرتشي ..... ٤٦٠
- المسألة السابعة: سئل رحمه الله عن بعض المسائل المفيدة .. ..... ٤٦٨
- المسألة الثامنة: سئل الشيخ رحمه الله عن توحيد لربوبية وتوحيد الألوهية
- وتوحيد الصفات .. ..... ٤٨٠
- المسألة التاسعة: سئل رحمه الله: ما قول الشيخ رحمه الله في تسمية المعبودات أرباباً .. ٤٨١
- المسألة العشرة: سئل رحمه الله عن مسائل ..... ٤٨١
- المسألة الحادية عشرة: سئل رحمه الله عن الوعيد فيمن حفظ القرآن ثم نسيه،
- هل هو صحيح أم غير ذلك؟ .. ..... ٤٨٣
- المسألة الثانية عشرة: قال السائل: عفا الله عني، خطبتُ ووفقتُ على:
- (يوم يُعْتَر من في القصور، ويُحْصَل ما في الصدور)
- المسألة الثالثة عشرة: سئل رحمه الله: ما يقول الشيخ، شرح الله صدره

- ٤٨٧ ويترّمه. في مسائل أشكلت عني، فيم يجب عليّ من معرفة الله .
- ٤٩٠ المسألة الرابعة عشرة: سُئِلَ ﷺ عن معنى قول لبي ﷺ في حديث ...
- ٤٩٤ المسألة الخامسة عشرة: سئل، عفا الله عنه، عن كون الأذان ... ..
- ٤٩٥ المسألة السادسة عشرة: سُئِلَ ﷺ تعالى عن مسائل ... ..
- ٥٠٦ المسألة السابعة عشرة: سُئِلَ ﷺ عن الجد هل يكون بمنزلة الأب ... ..
- المسألة الثامنة عشرة: سُئِلَ ﷺ عن قوله تعالى:
- ﴿قل رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً﴾ الآية؟ ..... ٥٠٧
- ٥١١ المسألة التاسعة عشرة: سُئِلَ ﷺ عن رجل خاشع خشاع وطلبوا ضمان أخيه
- ٥١٣ المسألة العشرون: سُئِلَ ﷺ عن قلب الدّين في ذمة المدين بتمر أو غيره ...
- ٥١٥ المسألة الحادية والعشرون: سأله رجل عن وقف نخل تعطل، ... ..
- ٥١٦ المسألة الثانية والعشرون: قال ﷺ تعالى: الذي يعلم به ويقف على ... ..
- الثالثة والعشرون: قال ﷺ: الذي يعلم به الأخ مقرر بن عهد الله.
- ٥١٩ بعد إبلاغ السلام، أن ابن صالح سألني عن التذكير. فقلت: إنه بدعة. ....
- ٥١٩ الرابعة والعشرون: قال ﷺ: إلى الأخ سليمان. وبعد، مسألة لخمس ... ..
- ٥٢٠ الخامسة والعشرون: قال ﷺ: يعلم من يقف عليه أنني وقفت على ... ..
- ٥٢٣ المسألة السادسة والعشرون: سأله الشيخ أحمد بن مانع عن مسائل، فأجاب
- الفصل الخامس: في ذكر كلامه على آيات متفرقة من القرآن، وما فُتح
- عنه في ذلك من البيان ..... ٥٢٦
- ٥٢٦ كلامه على سورة الفاتحة بكاملها ..... ٥٢٦
- ٥٣٤ وقار ﷺ في مسائل ذكرها على سورة الفاتحة. .... ٥٣٤
- ٥٣٥ ومن كلامه على آيات من سورة البقرة ..... ٥٣٥
- ٥٥٢ ومن كلامه على آيات من سورة آل عمران ..... ٥٥٢

٥٥٨	ومن كلامه على آيات من سورة الأنعام .....
٥٦٨	ومن كلامه على آيات من سورة الأعراف .....
٥٩٧	ومن كلامه على آيات من سورة يونس .....
٥٩٨	ومن كلامه على آيات من سورة هود .....
٦٠٥	ومن كلامه على آيات من سورة يوسف .....
٦٠٦	ومن كلامه على آيات من سورة الكهف .....
٦٢٣	ومن كلامه على آيات من سورة المؤمنون .....
٢٤	ومن كلامه على آيات من سورة القصص .....
٦٣٤	ومن كلامه على آيات من سورة طه .....
٦٣٩	ومن كلامه على آيات من سورة الأعراف .....
٦٤٠	ومن كلامه على آيات من سورة الشعراء .....
٦٤٢	ومن كلامه على آيات من سورة النمل .....
٦٤٢	ومن كلامه على آيات من سورة يونس .....
٦٤٤	ومن كلامه على آيات من سورة الإسراء .....
٦٤٥	ومن كلامه على آيات من سورة الزخرف .....
٦٤٦	ومن كلامه على آيات من سورة الدخان .....
٦٤٧	ومن كلامه على آيات من سورة الزمر .....
٦٥٠	مسائل مستنبطة من سورة الجن .....
٦٥١	مسائل مستنبطة من سورة اقرأ .....
٦٥٤	ومن كلامه على آيات من سورة المذثر .....
٦٦١	ومن كلامه على آيات من سورة المسد .....
٦٦٢	ومن كلامه في تفسير سورة الإخلاص .....

٦٦٢	تفسير سورة الفلق .....
٦٦٤	تفسير سورة الناس .....
٦٦٧	الجزء الثاني من تاريخ ابن غنام .....
٦٦٩	كتاب الغزوات البيانية والفتوحات الربانية وذكر السبب الذي حمل على ذلك .....
٦٦٩	قضية رجم المرأة التي أقرت بالزنا .....
٦٧٠	حوادث سنة ١١٥٧هـ .....
٦٧٠	انتقال الشيخ محمد للدرعية .....
٦٧٢	بداية صراع أنصار الدعوة مع حاكم الرياض "دهام بن دواس" .....
٦٧٧	حوادث سنة ١١٥٩هـ .....
٦٧٩	حوادث سنة ١١٦٠هـ .....
٦٨٢	حوادث سنة ١١٦١هـ .....
٦٨٥	حوادث سنة ١١٦٢هـ .....
٦٨٦	حوادث سنة ١١٦٣هـ .....
٦٨٩	حوادث سنة ١١٦٤هـ .....
٦٩٠	حوادث سنة ١١٦٥هـ .....
٦٩٤	حوادث سنة ١١٦٦هـ .....
٦٩٤	حوادث سنة ١١٦٧هـ .....
٦٩٥	رسالة «مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد» للشيخ محمد .....
٧٣٦	حوادث سنة ١١٦٨هـ .....
٧٤٠	حوادث سنة ١١٦٩هـ .....
٧٤٠	حوادث سنة ١١٧٠هـ .....
٧٤٦	حوادث سنة ١١٧١هـ .....



٧٥١	حوادث سنة ١١٧٢هـ
٧٥٣	حوادث سنة ١١٧٣هـ
٧٥٥	حوادث سنة ١١٧٤هـ
٧٥٨	حوادث سنة ١١٧٥هـ
٧٦٠	حوادث سنة ١١٧٦هـ
٧٦٤	حوادث سنة ١١٧٧هـ
٧٦٦	حوادث سنة ١١٧٨هـ
٧٧٩	حوادث سنة ١١٧٩هـ
٧٨٢	حوادث سنة ١١٨٠هـ
٧٨٣	حوادث سنة ١١٨١هـ
٧٨٥	حوادث سنة ١١٨٢هـ
٧٨٦	حوادث سنة ١١٨٣هـ
٧٨٨	حوادث سنة ١١٨٤هـ
٧٨٩	حوادث سنة ١١٨٥هـ
٧٩٢	حوادث سنة ١١٨٦هـ
٧٩٤	حوادث سنة ١١٨٧هـ
٨٠١	حوادث سنة ١١٨٨هـ
٨٠٤	حوادث سنة ١١٨٩هـ
٨١١	حوادث سنة ١١٩٠هـ
٨١٨	حوادث سنة ١١٩١هـ
٨٢٢	حوادث سنة ١١٩٢هـ
٨٢٤	حوادث سنة ١١٩٣هـ

٨٢٧	حوادث سنة ١١٩٤هـ
٨٢٧	حوادث سنة ١١٩٤هـ
٨٢٩	حوادث سنة ١١٩٥هـ
٨٣٦	حوادث سنة ١١٩٦هـ
٨٤٧	حوادث سنة ١١٩٧هـ
٨٤٩	حوادث سنة ١١٩٨هـ
٨٥١	حوادث سنة ١١٩٩هـ
٨٥٥	حوادث سنة ١٢٠٠هـ
٨٥٩	حوادث سنة ١٢٠١هـ
٨٦٦	حوادث سنة ١٢٠٢هـ
٨٧٧	حوادث سنة ١٢٠٣هـ
٨٨٣	حوادث سنة ١٢٠٤هـ
٨٨٧	حوادث سنة ١٢٠٥هـ
٨٩٩	حوادث سنة ١٢٠٦هـ
٩٠٠	وفاة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله
٩٠٦	حوادث سنة ١٢٠٧هـ
٩١٥	حوادث سنة ١٢٠٨هـ
٩٢٣	حوادث سنة ١٢٠٩هـ
٩٢٧	حوادث سنة ١٢١٠هـ
٩٤٦	حوادث سنة ١٢١١هـ

رسالة: «انفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب»

٩٧٢	للشيخ حمد بن معمر رحمه الله
-----	-----------------------------

١٠١٦ .....	حوادث سنة ١٢١٢ هـ
١٠٣٩ .....	نبذة موجزة عن نسخ تاريخ ابن غنام
١٠٤١ .....	فهرست أعلام الشخصيات والقبائل
١٠٧٧ .....	فهرست الأمكنة
١٠٩٠ .....	فهرست - المحتويات

